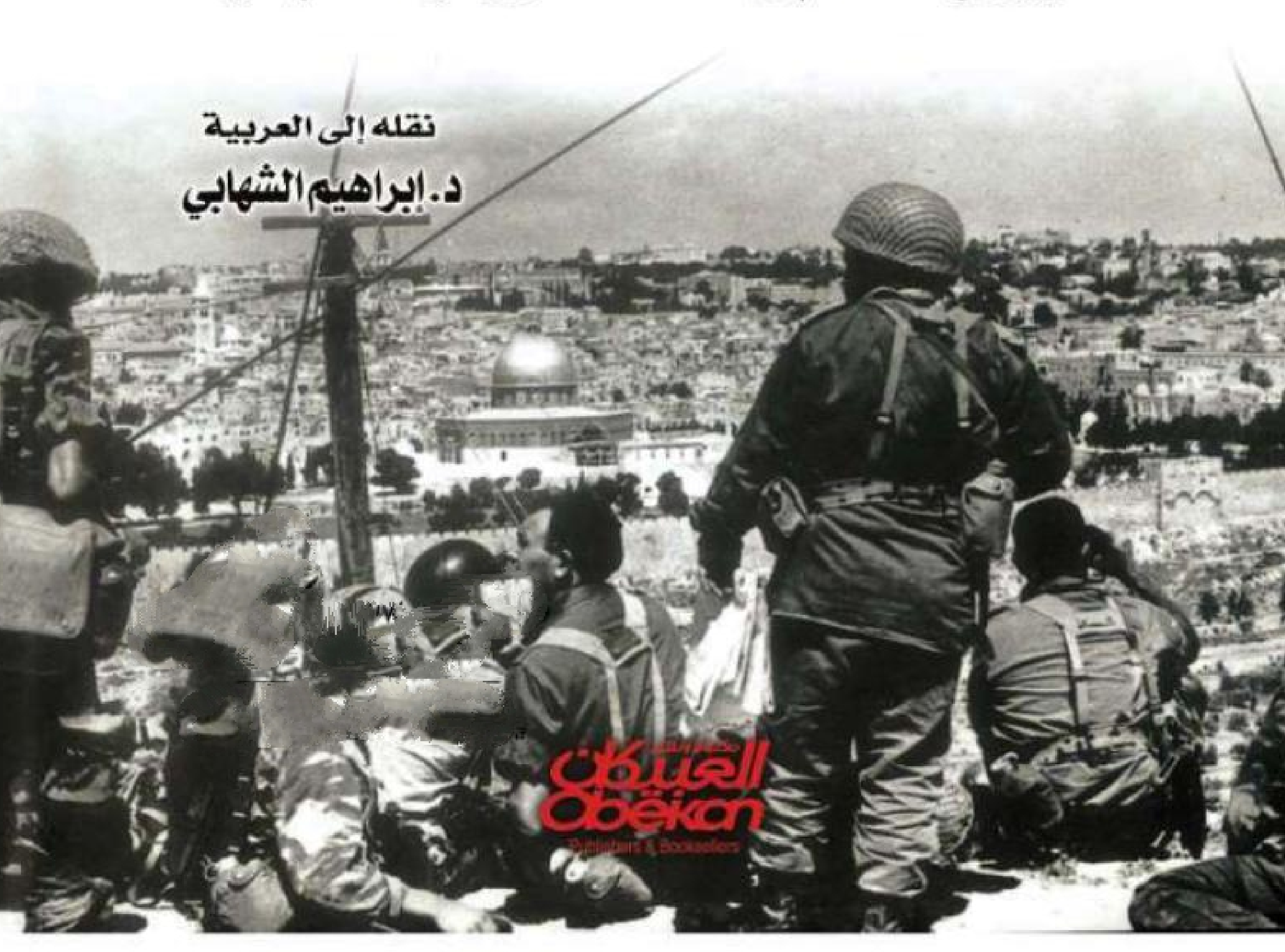
ميشيل ب. أورين

ستة أيام من الحرب

حزيران ١٩٦٧م وصناعة شرق أوسط جديد

نقله إلى العربية

د. ابراهيم الشهابي



العبيكان

Obeikan

Publishers & Booksellers

ميشيل ب. أورين

ستة أيام من الحرب

نقله إلى العربية

إبراهيم الشهابي



Original Title:

How To Say It Online

by:

Kim Baker And Sunny Baker

ISBN 1 - 7352 - 0164 - 1

للملكة العربية السعودية، شمال طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة، ص.ب. 62807 الرياض 11595

Obeikan Publishers, North King Fahd Road, P.O. Box 62807, Riyadh 11595, Saudi Arabia

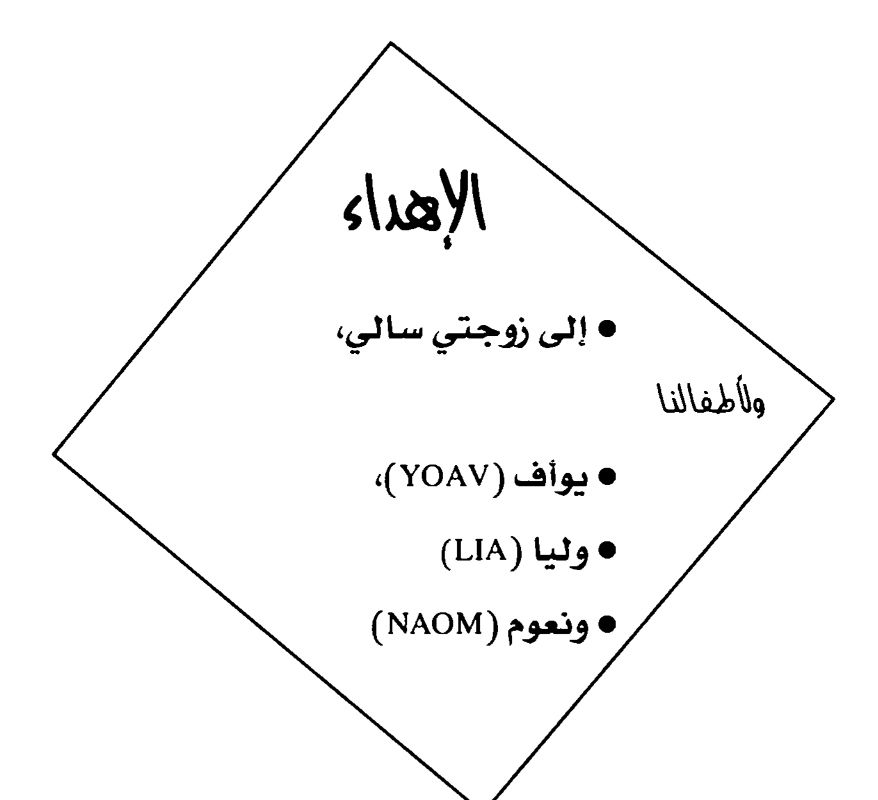
الطبعة العربية الأولى 1426هـ-2005م

ISBN X - 773 - 40 - 9960

ⓒ مكتبة العبيكان، 1426هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر


بسم الله الرحمن الرحيم



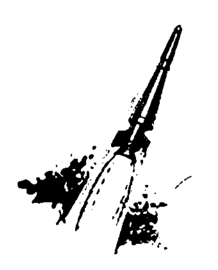
الإهداء
● إلى زوجتي سالي،
ولأطفالنا
● يوأف (YOAV)،
● وليا (LIA)
● ونعوم (NAOM)

﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٠].

«قبائل تهدر كهدير مياه كثيرة، ولكنه ينتهرها فتهرب بعيداً وتطرد كعاصفة الجبال أمام الريح وكالجل أمام الزوبعة» . [العهد القديم/أشعيا، الإصحاح ١٧، الآية١٣].

الفهرس

الموضوع	الصفحة



قائمة الخرائط



كلمة شكر وعرفان

على الرغم من أن اسمي يظهر كمؤلف لهذا الكتاب، وأني أتحمل المسؤولية وحدي عن مضمونه، فإن كتاب «ستة أيام من الحرب» يمثل ما بذله الكثيرون من جهد وما كرّسوه من وقت وقدموه من خبرات لإنجاز هذا العمل.

ولا بد لي من أن أشكر أولاً موظفي الأرشيف ومساعديهم الذين يسروا لي البحث في مكتبات متنوعة في مختلف أنحاء العالم، وهم: ريجينا غرينويل (Regina Groe-weel) في أرشيف ليندن ب. جونسون الرئاسي؛ وباتريك هوسي (Patrick Hussey) في مدينة واشنطن؛ وميشيل هلفاند (Michael Helfand) في أرشيف الأمم المتحدة في نيويورك؛ وأليكسي كورنيلوف (Alexey Kornilov) وما شا ييجوروفا (Masha Yegorova) في موسكو؛ وجيلادليفني (Gilad Livne) وإيلياهو شلومو (Eliahu Shlomo) في أرشيف إسرائيل الوطني؛ وميشيل تزور (Michael Tzur) في أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي، والكولونيل يورام بوسكيلا (Yoram Buskila)، والكابتن ميشال يزرائيلي (Michal Yizraeli) في الجناح التاريخي للقوات الجوية الإسرائيلية.

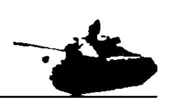
وتلقيت أثناء تأليفي لهذا الكتاب معلومات قيّمة من زملائي العلماء. وأتقدم بشكري إلى السفير ريتشارد ب. باركر (Richard B. Parker)، عالم مقيم في معهد الشرق الأوسط؛ ويغال كارمون (Yigal Carmon) رئيس مركز الشرق الأوسط للبحوث العسكرية (MEMRI)؛ والدكتور عبد المنعم سعيد علي، مدير مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية والسياسية؛ وزكي شالوم (Zaki Shalom) من جامعة بن غوريون، وإيال سيسر (Eyal Sisser) من مركز دايان التابع لجامعة تل أبيب، ودان شوفتان (Dan Schueftan) وأريه مورغينشترن (Arie Morgenstern) والحبر اسحق ليفشيتز (Rabbi Isaac Lifshitz) وكلهم من مركز سالم (Shalem). وأتقدم



بالشكر إلى إران ليرمان (Eran Lerman) لقراءته النقدية للنص. وبودي أيضاً أن أعبر عن امتناني لزميلي اللذين أسهمت نصيحتهما ودعمهما في توجيهي عبر تقلبات هذه الموضوع، وهما الأستاذ أفراهام سيلا (Avraham Sela) الأستاذ في الجامعة العبرية، والسيد مور ألتشولر (Mor Altshueler) من مركز سالم أيضاً.

ومن أجل الحصول على مزيد من المعرفة التي تتعلق، في كتابة وصياغة العبارات والمصادر والتي ينبغي أن أرجع إليها والتشجيع المعنوي، لجأت إلى عدد من الأصدقاء ذوي المعرفة من بينهم يوسي كلين هاليفي (Yossi Klein Halevi) وشارون فريدمان (Sharon Friedman)، وماثيو ميللر (Mathew Miller)، وجوناثان كارب (Janathan Karp)، وجون كريفين (John Krevine)، وجوزيف روذينبرغ (Joseph Rothenberg)، وداني كروسمان (Danny Crossman)، وإيزابيلا جنور (Isabella Ginor)، وكينيت فينشتاين (Kenneth Weinstein)، وصهيون سوليمان (Zion Suliman)، والمحترم آ. جاي كريستول (Hon. A. Jay Gristol) وجوناثان برايس (Jonathan Price)، ونعومي شاكتر - برايس (Naomi Shacter - Price) اللذين ألجأ لهما دائماً. إنني أتقدم لهم جميعاً بالشكر الحار.

وبوركت (هذه هي الصفة المناسبة) بفريق من الباحثين الموهوبين المتلزمين الذين ساعدوني في إنجاز هذا الكتاب الذي لم يكن ليرى النور لولاهم. ولا بد من التعبير عن إعجابي العميق بموشي فوخسمان (Moshe Fuchsman)، ويميما كيترون (Yemima Kitron)، وإيليشيفا ماكليس (Elisheva Machlis) والكساندر بيفزنر (Alexander Pevzner). وأتقدم بالكشر كذلك إلى مُساعدي التحرير ألوما هولتر (Aloma Halter) وميشيل روز (Michael Rose)، وإلى الفنان التخطيطي باتشيفاكوهي (Batsheva Cohay). وإنني مدين بصورة خاصة إلى نوا بزموث (Noa Bismoth) الذي لا يمكن الاستغناء عن تكريس وقته للعمل ونشاطه ومهاراته.



وأود أن أشكر بحرارة محرر الكتاب بيتر جنًا (Peter Ginna) لالتزامه الذي لا ينثني بهذا الكتاب، وإلى الآخرين في مطبعة جامعة اكسفورد - تيم بارتلت (Tim Bartlett)، وهيلين ميولز (Helen Mules)، وسارا ليوبولد (Sara Leopold)، وفوراحا نورتن (Foraha Norton)، ولينخ (Lunch)، وروث مانيس (Roth Mannes) - الذين تابعوا طباعة هذا الكتاب ونشره بصبر. وشكراً لك يا غلين هارتلي (Glen Hartley) رئيس ممثلي الكتاب، وكيلي الرائع.

أقدم هذا الكتاب إلى أسرتي، زوجتي وأولادي الذين لا يوفيهم حقهم مجرد الشكر والامتنان، والأمر نفسه لوالدي مارلين (Marilyn) وليستر بورنشتاين (Lester Bornstein)، وأختيَّ أورا كوبيربيرغ (Aura Kuperberg) وكارين أنغريست (Karen Angrist).

وأود أن أشكر أيضاً «أسرتي» في مركز سالم المعهد التربوي والبحثي الذي أحظى بزمالته الأولى والذي جرى فيه بحث هذا الكتاب وتأليفه. وشكراً جزيلاً لأعضاء الهيئة الذين ساعدوني بطرق لا حصر لها وهم: مارينا بيليبودي (Marina Pilipodi)، وراشيل كافيتس (Rachel Cavits)، ونعومي أربيل (Naomi Arbel)، وكارول داهان (Carol Dahan)، ودينا بلانك (Dina Blank)، ويهوديت أديست (Yahudit Adest)، وبيانا هيرتزوغ (Biana Herzog)، ولورا كوهين (Lura Co-hen)، ودان بليك (Dan Blique)، وميشال شاتي (Michal Shaty)، وأنات توبنهاوس (Anat Topenhouse)، وإينات شيكور (Einat Shichor)، وإنا تاباك (Ina Tabak). ولا أخفي إعجابي بديفيد هازوني (David Hazony)، وجوش فينشناين (Josh Weinstein) اللذين كنت أعتمد دائماً على نصيحتهما الحصيفة. كما أنني معجب بيشاي هاتزيني (Yishai Haetzini) وشاؤول جولان (Shaul Golan) العضوين التنفيذيين اللذين شاركاني في رؤية هذا الكتاب وجعلا المستحيل ممكناً في غالب الأحيان. وأحتفظ بامتنان خاص إلى دانيال بوليسار (Daniel Polisar)، المدير الأكاديمي لمركز سالم والذي دعم هذا المشروع منذ البداية وحتى الطباعة

والنشـر، وإلى ناشـرتنا التي لا تكلّ ولا تملّ دينا روزينفليد فـريدمان (Deena Rosen-feld - Friedman). وأتوجه بالشكر إلى أعضاء مجلس الأمناء لمركز سالم، وبالأخص إلى ألين هـ.روث (Allen H.Roth)، ووليام كريستول (William Cristol) لدعمهما الثابت ونصحهما الدؤوب، وأخيراً، أتقدم بأحر آيات الشكر إلى يوارم هازوني (Yoram Hazony) رئيس مركز سالم وإلى رئيس مجلسه، روجر هيرتوغ (Roger Hertog) لما أبدياه من كرم وما أوحياه من أفكار وما قاما به من إدارة سليمة.

حرب الـ ١٩٦٧، في الأصل، حكاية لا تقتصر على الكتب والوثائق، بل هي حكاية تدور على ألسن الناس الذين سعدت وتشرفت بلقائهم أما لمن هم غير عاديين من أمثال أبا إيبان (Abba Eban)، ومريام إشكول (Miriam Eshkol)، وإندارجت ريخي (Indar Jit Rikhrye)، ومحمد الفرا (Mchammad al-Farra)، وسليمان مرزوق (Suliman Marzuq)، وجوزيف سيسكو (Joseph Sisco)، والإخوة روستو (Rostow brothers) يوجين وولتر (Eugene and Walter)، وإيريك روليو (Eric Rouleau) وفاديم كيربتشينكو (Vadim Kirpitchenko)، فلا يسعني إلاّ أن أقول بأنني والتاريخ مدينان لهم بالشيء الكثير.





THE MIDDLE EAST AND NORTH AFRICA, 1967

N
W E
S

U.S.S.R.
AFGHANISTAN
PAKISTAN
KUWAIT
TRUCIAL STATES
MUSCAT AND OMAN
QATAR
IRAN
IRAQ
BAGHDAD
TURKEY
SYRIA
DAMASCUS
LEBANON
BEIRUT
ISRAEL
TEL AVIV
JERUSALEM
AMMAN
JORDAN
SAUDI ARABIA
RIYADH
JIDDA
SOUTHERN YEMEN
YEMEN
RED SEA
ETHIOPIA
SUDAN
KHARTOUM
EGYPT
CAIRO
ALEXANDRIA
MEDITERRANEAN SEA
BENGHAZI
LIBYA
TRIPOLI
TUNIS
TUNISIA
ALGERIA
MOROCCO
SPANISH SAHARA
MAURITANIA

ملاحظة حول المصادر وتهجئة بعض الأسماء

استخدمت مصادر عديدة متنوعة في تأليف هذا الكتاب. ويقوم معظم البحث على أوراق دبلوماسية من أرشيف أمريكا الشمالية وبريطانيا وإسرائيل الذي تكشَّف عنه النقاب، حسب القانون، بعد ثلاثين سنة، تظل غالبية بورتوكولات اجتماعات مجلس الوزراء الإسرائيلي حبيسة الأرشيف، كبقية الوثائق ما خلا النذر اليسير من أوراق جيش الدفاع الإسرائيلي، أما الأرشيف في الوطن العربي فهو مغلق على الباحثين على الرغم من إمكانية الوصول إلى بعض الوثائق عن طريق بعض المراكز الخاصة كدار الخيام في القاهرة على سبيل المثال.

كما أن عدداً كبيراً من الوثائق العربية قد وقعت في أيدي الإسرائيليين أثناء الحرب، ويمكن الاطلاع عليها في مكتبة المخابرات الإسرائيلية. أما الوثائق المكتوبة باللغة الروسية فهي متوافرة، نظرياً، في الأرشيف في موسكو رغم أنها محدودة وصياغتها ضعيفة، والوثائق الفرنسية منذ العام ١٩٦٧ لم يفرج عنها للعامة حتى الآن.

تختصر أسماء الأرشيفات، في حقل الملاحظات، على النحو التالي:

BGA: أرشيف بن غوريون.

FRUS: علاقات الولايات المتحدة الخارجية.

IDF: أرشيف قوات الدفاع الإسرائيلية (جيش الدفاع).

ISA: أرشيف دولة إسرائيل.

LBJ: مكتب ليندن بينس جونسون الرئاسية.

MPA: أرشيف حزب الماباي.

NAC: أرشيف كندا القومي.

PRO: مكتب السجل العام (= FOمكتب الخارجية، = CAB أوراق مجلس الوزراء، = PREM مكتب رئيس الوزراء).

SFM: أرشيف وزارة الخارجية السوفياتية.

UN: أرشيف الأمم المتحدة.

USNA: أرشيف الولايات المتحدة القومي.

YAD: أرشيف ياد تابنكن (Yad Tabenkin).

وتمثل مقابلات التاريخ الشفوي مصدراً هاماً آخر من مصادر هذا الكتاب. أجرى المؤلف غالبية هذه المقابلات، رغم أنه في كثير من الحالات العديدة الحساسة جداً، كان المؤلف يزود بعض الباحثين المساعدين الذين لم يرغبوا في الكشف عن أسمائهم لأسباب أمنية بأسئلة مكتوبة، حاولت مقابلة أكثر عدد ممكن من الشخصيات البارزة في الحرب، ولكن العديد منهم رحلوا إلى العالم الآخر أثناء عملي في هذا الكتاب مثل جدعون رفائيل (Gideon Rafael) والملك حسين، والملك الحسن، وآخرون عزفوا عن إجراء اللقاء مثل آريل شارون (Ariel Sharon) وياسر عرفات (Yasir Arafat).

تشكل الكلمات والأسماء العربية تحدياً مزعجاً، إذ غالباً ما يكون للأسماء صيغتان: شعبية وأدبية. وللتوضيح اخترت الصيغة الشعبية، مثل شرم الشّيخ (Sharm al- Sheikh) بدلاً من شرم الشيخ (Sharm al-Shaykh)، وأبو عجيلة (Abu ‘Ageila) بدلاً من (Abu’Ujayla) كذلك اخترت الصيغة الرسمية للأسماء الشخصية، اللهم إلا إذا اعتاد شخص ما أن يكتب اسمه بتهجئة معينة بالإنكليزية. وأضرب أمثلة على ذلك: اسم جمال عبد الناصر (Gamal Abdel Nasser) بدلاً من (Jamal Abd al-Nasir)، وياسر عرفات (Yasser-Arafat) بدلاً من (Yasir ‘Ara-fat) ومحمد القوني (Mohammad El Kony) بدلاً من (Muhammad al-Kuni). واحتفظت بأسماء أمكنة عديدة كما ترد عادة باللغة الإنكليزية مثل القاهرة (Cairo)، والقدس (Jerusalem) ودمشق (Damascus) بدلاً من كتابتها حسب لفظها العربي أو العبري.

مقدمة

إن حرب الاستنزاف، وحرب اليوم الكبير* ومذبحة ميونخ، وأيلول الأسود، والحرب اللبنانية، والجدل الدائر حول المستوطنات اليهودية ومستقبل القدس، واتفاقات كامب ديفيد، واتفاقيات أوسلو والانتفاضة كلها من نتائج ستة أيام عصيبة من شهر يونيو من العام ١٩٦٧ في الشرق الأوسط. من النادر في العصر الحديث أن يسفر صراع محلي قصير جداً كهذا عن نتائج كونية مديدة. ونادراً ما استحوذ حدث واحد وما تفرع عنه على انتباه العالم واحتفظ باهتمامه به كهذا الحدث. وبالمعنى الحقيقي لدى رجال الدولة والدبلوماسيين والجنود، فإن هذه الحرب لم تنته بعد. بل إنها في نظر المؤرخين قد بدأت من تَوّها.

أُلِّفت كتبٌ عديدة حول ما يسمى في معظم أنحاء العالم بحرب الأيام الستة، أو كما يفضل العرب تسميتها بحرب يونيو (حزيران) للعام ١٩٦٧. فالأدب واسع لأن الموضوع مثير جداً -كان الحدث فيه خاطفاً كالبرق، وألقى بظلاله على العالم، واتسمت أرض المعركة بالقدسيّة لدى الملايين من الناس. كان هناك وراء آليات المشهد والتحركات التكتيكية الجريئة أبطال وأوغاد. وكان هناك خطر نشوب حرب نووية. وما إن توقف إطلاق النار حتى أخذت التحليلات والأوصاف الأولى تظهر - وفي غالبيتها عن شهود عيان. ولسوف يتبعها مئات أخرى.

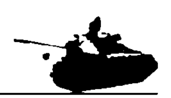
أريد لبعض هذه الكتب أن تخاطب الطلبة والدارسين، وأريد لبعضها أن تخاطب الجمهور العام. وكلها كانت مبنية على مصادر متماثلة: على كتب صدرت سابقاً، ومقالات، وصحف، بالإضافة إلى مقابلات متناثرة، أغلبها باللغة الإنكليزية، وركزت

* هكذا يسمونها في إسرائيل. وتسمى في سوريا (حرب تشرين) وفي مصر (حرب أكتوبر) وتُسمَّى كذلك بـ (حرب رمضان).

أكثرية الكتب على الطور العسكري من الحرب، من ذلك كتاب تريفور ن. دوبيه (TREVOR N. DUPUY) بعنوان «النصر الخادع» وكتاب «السيف السريع» لمؤلفه س. ل. أ. مارشال (MARSHALL. A. L. S) وتعاملت بصورة سطحية فقط مع وجهيها السياسي والاستراتيجي. كما أن المؤلفين كانوا منحازين إما للعرب أو للإسرائيلين. ولم يظهر كتاب يعتمد على جميع المصادر المعلنة والمصنفة في الأرشيفات وبمختلف اللغات؛ العربية والعبرية والروسية. ولم تظهر دراسة واحدة تفحّصت الجوانب السياسية والعسكرية للحرب بأسلوب يسعى جاهداً كي يكون البحث متوازناً.

بدأ التحول في تسعينيات القرن العشرين عندما أفرج عن الوثائق السرية الدبلوماسية من الأرشيف الأمريكي أولاً، ومن ثم من أرشيف بريطانيا العظمى، وإسرائيل. وأسفر سقوط الاتحاد السوفياتي، وتخفيف القيود على الصحافة في مصر والأردن عن ظهور نصوص هامة ما كان لها أن تظهر قبل ذلك. ورد العديد من هذه المصادر الجديدة في كتابين أكاديميين رائعين هما كتاب: «سياسات سوء الحسابات في الشرق الأوسط» لريتشارد ب. باركر (RICHARD B. PARKER) وكتاب «عملية السلام» لويليام ب قواند (WILLIAM B.QUANDT) إذ قدم هذا الكتابان للقارئ، ولأول مرَّة، لمحة عن الدبلوماسية المعقدة المحيطة بالحرب، وعن دخائل إدارة المحنة العالمية. كما حقق هذان الكاتبان درجة من الحيادية والتجرد العلمي لم يسبقهما أحد إليه في أية دراسة لحرب العام ١٩٦٧: إنه ابتعاد منعش عن الانحيازية السابقة.

وما زلنا نفتقر إلى كتاب شامل عن الحرب، كتابٍ يعتمد على آلاف الوثائق المفرج عنها منذ ظهور كتابي قواند (QUANDT) وباركر (PARKER)، كتاب يعتمد على الثروة المتوافرة الآن باللغات الأجنبية، وعلى مقابلات في جميع البلدان التي انخرطت في الحرب. ومازلنا بحاجة إلى دراسة متوازنة لوجهي الحرب السياسي العسكري، وللأدوار العالمية والإقليمية والأبعاد المحلية ذات الصلة بالحرب، كتاب يخاطب الدارسين ولكنه سهل المنال لدى دائرة أوسع من القراء. وهذا هو الكتاب الذي شرعت في تأليفه.



العمل شاق بلا ريب، ليس بسبب سعة البحث فحسب، بل أيضاً للطبيعة الجدلية الراديكالية التي تتسم بها السياسات العربية الإسرائيلية. تغدو الحروب الكبرى في التاريخ حروباً تاريخية كبرى: ولا تشذ الحروب الإسرائيلية العربية عن هذه القاعدة. فمنذ عقود والمؤرخون يختصمون في تفسير تلك الحروب. بدءاً من حرب الاستقلال، أو حرب الـ ١٩٤٨ الفلسطينية، حتى أزمة السويس في العام ١٩٥٦. ولقد سعى حديثاً، فوج من المؤرخين التنقيحيين الجدد، على الأغلب في إسرائيل، لتضخيم إثم إسرائيل في تلك الصدامات وإظهاره في الجدل الدائر حول الحدود، وحتى حول شرعية الدولة اليهودية ذاتها. ويزداد الجدل حدة الآن بفضل تركيز المؤرخين على حرب الـ ١٩٦٧ واحتلال مناطق عربية من قبل إسرائيل ومنها الجولان والضفة الغربية اللتان مازالتا ترزحان تحت الاحتلال واللتان ستتأثر حياة الملايين بنتيجة حسم الأمر فيهما.

وكنت أنا كذلك جزءاً من الجدل وكانت لي آرائي. ومع ذلك، لدى كتابة التاريخ، أرى أن هذه المفاهيم المسبقة تشكل عقبة لا بد من اجتيازها بدلاً من أن تكون قناعات تؤكد رأياً أو تغنيه. حتى لو كان من المستحيل تأكيد حقيقة تأكيداً كاملاً، فإن أي جهد يبذل يجب أن يكون في اتجاه البحث عن الحقيقة. وعلى الرغم من أن ثلاثة عقود من الزمن تشكل منظوراً تاريخيا لا يُثّمَّن، فإنه لا ينبغي لوجهات نظر كهذه أن تشوش فهمنا لمظهر العالم في نظر الذين عاصروا تلك الأيام المضطربة. فلّنستخدم الفهم المتأخر للوقائع، متذكرين أن قرارات الموت والحياة يصنعها الزعماء في الزمن الواقعي، وليس المؤرخون بالمنظور الارتجاعي.

لا أقصد إثبات عدالة فريق أو آخر في الحرب، ولا تعيين الملوم عن نشوبها. بل أريد ببساطة - أن أبين البيئة التي انطلقت منها الحرب والمحفزات التي سرّعت حدوثها. وبفضل استخدام حرب ١٩٦٩ مثالاً، أتطلع إلى استكشاف طبيعة الأزمات

العالمية عموماً، والأسلوب الذي يجعل التفاعل البشري يولد نتائج غير مرئية وغير مقصودة. وأكثر ما أصبو إليه هو إعادة الحياة إلى الشرق الأوسط في ستينيات القرن العشرين وبعث الحياة في الشخصيات الخارقة التي شكلته، وتنشيط فترة تاريخية لها تأثيرها العميق علينا جميعاً. وسواء أطلق عليها حرب الأيام الستة، أو حرب يونيو (حزيزان)، فإن هدفي هو ألا نراها ثانية بالطريقة ذاتها.

(القدس، ٢٠٠٢).



السياق (البيئة)

العرب والإسرائيليون والقوى العظمى، ١٩٤٨-١٩٦٦

في الواحد والثلاثين من ديسمبر (كانون أول من العام ١٩٦٤ ليلاً، تقوم مجموعة من الفدائيين الفلسطينين بعبور لبنان إلى شمال إسرائيل. تقدمت إلى هدفها مزوَّدة بأسلحة سوفياتية، ويرتدي أفرادها زيّاً قدمته لهم سوريا. كان هدف هذه المجموعة هو مضخة لتزويد صحراء النقب بمياه الجليل. يعد هذا الهدف متواضعاً بيد أن غاية الفلسطينين كبيرة. إذ كان أعضاء فتح (ومعناها الفتح العسكري، كما أنها كلمة مشكلة من الأحرف الأولى لاسم المنظمة الفلسطينية «حركة التحرير الوطني الفلسطيني -حـ ت ف- بصورة عكسية فصارت ف ت ح أي «فتح») كان أعضاء هذه الحركة المقاتلة يرغبون في حسم الأمر في الشرق الأوسط. إذ كان يراودهم أمل في أن عمليتهم هذه سوف تدفع بإسرائيل إلى القيام بعمل انتقامي ضد إحدى الدول العربية المجاورة لها -كلبنان نفسها، أو الأردن- مثيرة بذلك تحركاً عربياً عسكرياً يطيح بالدولة الصهونية.

لقد انتهت عملية فتح البكر هذه بالإخفاق التام. إذ لم تتفجر العبوات الناسفة التي زرعوها. ثم ألقت الشرطة اللبنانية القبض على الفدائيين أثناء خروجهم من إسرائيل عائدين إلى قواعدهم. ومع ذلك أعلن زعيم فتح الشاب المهندس سابقاً البالغ من العمر الخامسة والثلاثين من غزة واسمه ياسر عرفات، بيان ظفر يدق ناقوس «واجب الجهاد و... أحلام الثوريين العرب من المحيط الأطلسي إلى الخليج».(١)

ما كان لأحد إلا ذي مخيلة رائدة فريدة أن يتصور أن مثل هذا العمل التخريبي الضيق النطاق، حتى ولو نجح، أن يطلق شرارة حرب ينخرط فيها أناس كثيرون ومعدات وأسلحة كثيرة، حربٍ تغير مسار تاريخ الشرق الأوسط، بل تحدث تغييرات كثيرة في العالم. ومع ذلك كانت عملية فتح هذه تتضمن عدداً من النقاط التي توحي بأن حرباً كهذه سوف تنشب في غضون أقل من ثلاث سنين. كان هناك بالطبع البعد الفلسطيني، الذي يعد مسألة متفجرة معقدة ومصدر قلق وإزعاج للدول العربية وإسرائيل على حد سواء.

كان هناك إرهاب تدعمه سوريا التي تتلقى دعماً بدورها من السوفيات.

وكان هناك ماء. إذ ربما تدور الحرب حول الماء وبسببه أكثر من أي سبب فردي آخر.

ومع ذلك يعد القول إن عملية فتح الأولى هذه أو أية هجمات أخرى لاحقة هي التي فجرت حرب الشرق الأوسط، ساذجاً وقَدَرِيّاً.

قال إيان ماك إيوان (Ian McEwan) في روايته «الحب الراسخ»: «البداية، وسيلة بارعة، ولكن الذي يرجح أمراً على سواه هو مقدار فهم ما سيأتي». تطبق هذه الملاحظة على التاريخ أيضاً حيث تكون محاولات التعرف على الأسباب الأساسية عشوائية في أحسن الأحوال، وعبثية في أسوئها. إذ يمكن للمرء أن يبدأ بسهولة بأول مستوطنة صهيونية في فلسطين، أو بالسياسة البريطانية في فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى: أو بنشوء حركة القومية العربية، أو بالمحرقة (الهولوكوست). الخيارات كثيرة ومتساوية في إمكانية كونها أسباباً أولية.

في حين أنه من العبث محاولة تحديد السبب أو الأسباب التي أدت إلى نشوب حرب الـ ٦٧ في الشرق الأوسط، فإنه يمكن وصف السياق أو المحيط الذي أصبحت فيه الحرب ممكنة الوقوع. ومثل ذلك كمثل الفراشة التي تحدث بخفقان أجنحتها تيارات ربما تولد عاصفة، كذلك ربما تولد أحداث تبدو تافهة شرارة تؤدي إلى جائحة في غير وقتها. وكما تحتاج الفراشة إلى بيئة وقرائن- كالجو الأرضي

والجاذبية وقوانين الديناميكا الحرارية - كي تولد العاصفة. كذلك الأحداث التي سبقت حرب يونيو للعام ١٩٦٧ تتطلب ظروفاً نوعية كي تسرِّع نشوب الحرب. كانت بيئة الحرب هي بيئة الشرق الأوسط في فترة ما بعد الاستعمار، منطقة مزّقتها النزاعات المريرة الضروس وتدخلات القوى العظمى والإثارة المستمرة لما أصبح يعرف بالصراع العربي الصهوني.

ابتداع البيئة

لا بد من نقطة انطلاق، حتى لبحث البيئة، وهو اختيار عشوائي.

فلنبدأ بالصهونية، حركة الشعب اليهودي لبناء كيان سياسي مستقل لهم في وطنهم التاريخي إن إدخال الصهيوينة إلى دوامة سياسات الشرق الأوسط أثار بيئة كانت في الأصل غير مستقرة وأدخلها في إطار حرب إقليمية. وعلى الرغم من أن الأمر يبدو بسيطاً وسهلاً، فإنه لولا الصهونية لما وجدت إسرائيل، ولولا إسراثيل لما كانت بيئة الصراع الشامل هذه.

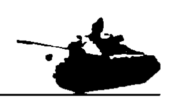
إن ما بدأ كمجرد فكرة في منتصف القرن التاسع عشر، وقد حفَزَ في مطلع القرن العشرين آلاف اليهود الأوربيين والشرق أوسطيين على ترك بيوتهم للإقامة في فلسطين البعيدة بصورة لا يمكن تصورها. يكمن سر الصهونية في مزاوجتها بين المفاهيم القومية الحديثة وربط الألفية الصوفية اليهودية بأرض إسرائيل، تلك هي القوة التي حافظت على المجتمع اليهودي في فلسطين خلال ما جرى من سلب في العهد العثماني، وخلال الحرب العالمية الثانية عندما طرد العديد من الزعماء اليهود بوصفهم أعداء وغرباء (ومعظمهم من اليهود الروس). وبنهاية الحرب حل الإنكليز محل الأتراك في فلسطين، ووعدوا بموجب تصريح بلفور ببناء وطن قومي يهودي في البلاد، تعاظم المجتمع اليهودي في ظل الانتداب البريطاني إذ تدفق إليه اللاجئون اليهود من اللاسامية الأوربية -أولاً من بولندا، ثم من ألمانيا- وأقاموا مؤسسات اجتماعية تربوية في زمن قصير فاق تلك المؤسسات التي أقامتها

بريطانيا. وبحلول أربعينيات القرن العشرين أصبح المجتمع اليهودي (اليشوف) مصدر طاقة دينامية، إبداعيّة، وإيديولوجية، وتعددية سياسية في عملية تشكيل المنطقة. وباتباع النماذج الغربية والأوربية، استطاع يهود فلسطين إيجاد وسائل جديدة للاستيطان الزراعي (المستعمرات الاشتراكية المشاعية kibbutz) -كبيوتز- والمستعمرات التعاونية (moshav - موشاف) الذي يعد اقتصاداً اشتراكيا قابلاً للحياة ذا أنظمة للصحة القومية، والتحريج، وتنمية البنية التحتية، والجامعات المحترمة، والأوركسترا السمفونية -والجيش الشعبي السري- الهاغناه (Haganah)(٢) لحماية المستعمرات. وعلى الرغم من أن البريطانيين أخذوا بالتخلي عن دعمهم للوطن القومي اليهودي، فإن ذلك الوطن قد أصبح حقيقة واقعة: دولة بدائية آخذة في التبرعم والازدهار.

وهذا ما نفر منه العرب الفلسطينيون. إذ اعتبر العرب ذوو الجذور العميقة منذ قرون في فلسطين ويشكلون الغالبية العظمى من السكان أن المجتمع اليهودي أداة من أدوات الامبريالية الغريبة عن ثقافتهم ومُنافٍ لطريقة حياتهم التقليدية وضارٌ بها، وعلى الرغم من أن الإسلام كان دائماً متسامحاً مع اليهود، ولو بوضعية أدنى، فإن تلك الحماية لم تعط اليهود الحق للسيطرة على جزء من قلب الأرض الإسلامية أو لحكم المسلمين.

ولم يكن الفلسطينيون بأقل من نظرائهم المتدينين الخاضعين للحكم الفرنسي في سوريا وشمال إفريقية، أو للحكم البريطاني في العراق ومصر، مطالبة بالاستقلال وسعيا لتحقيقه. فقد تلقوا هم كذلك وعداً من بريطانيا بالاستقلال، وأخذوا يطالبون بتنفيذ هذا الوعد(٣). أما أن يستقلوا تحت السيادة اليهودية، فلم يكن مقبولاً لديهم أبداً، بل كان ذلك في نظرهم شكلاً معيناً من أشكال الاستعمار.

وهكذا كانت كل موجة من المهاجرين اليهود إلى فلسطين -في الأعوام ١٩٢٠-١٦٢١-١٩٣٩ تثير رد فعل عنيف عند العرب بلغ ذروته في الثورة العربية عام ١٩٣٦ ضد اليهود والبريطانيين معاً. استمر العصيان والتمرد ثلاث سنوات وأسفر عن إبعاد الكثير من القيادات الفلسطينية العربية وإضعاف اقتصاد العرب. وبالعكس، تعاظمت قوة المجتمع اليهودي. ومع ذلك، حرم اليهود من النصر. إذ أصدرت



بريطانيا كتاباً أبيض ألغى عمليا وعد بلفور، وذلك تحسباً من قيام المسلمين بحركة عنيفة مفاجئة ضد بريطانيا في جميع أنحاء الإمبراطورية. وبعد ذلك بوقت قصير نشبت الحرب العالمية الثانية وأعلن الزعيم الصهيوني ديفيد بن غوريون عن عزم حركته «محاربة الكتاب الأبيض وكأنه لا توجد حرب عالمية، وأن يخوض الحرب وكأنه لا يوجد كتاب أبيض». وبالمقابل ألقى الحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين المعين من قبل البريطانيين والذي ادعى من تلقاء نفسه أنه يمثل العرب الفلسطينيين وضع مصيره في يد هتلر. (٤)

وكان للثورة العربية من العام ١٩٣٦-إلى العام ١٩٣٩ نتيجة مصيرية أكبر. فإذا ما كان الصراع سابقاً بين اليهود والعرب في فلسطين، فإنه اليوم صراع بين الصهيونيين والعرب في كل مكان. لقد أثارت القضية الفلسطينية تعاطفاً كبيراً في جميع أنحاء الوطن العربي حيث كانت تترعرع الروح القومية الجديدة وتزدهر. وادعت القومية العربية التي كانت أيضاً من نتاج الفكر الأوربي الحديث، بوجود شعب عربي واحد تتجاوز هويته الروابط العرقية والدينية والعائلية. دعي ذلك الشعب الآن لكي ينتقم من قرون ثلاثة من الإذلال على يد الغرب، وإزالة الحدود المصطنعة (بين سوريا ولبنان والأردن وفلسطين والعراق) التي رسمها الاستعمار.

وعلى الرغم من أن حلم إقامة دولة عربية مستقلة تمتد من جبال طوروس (Taurus Mountains) في الشمال إلى المحيط الأطلسي في الغرب، ومن الخليج العربي إلى طرف شبه الجزيرة العربية، سيظل حلماً، إلا أن ظهور عالم عربي تربطه العواطف والثقافة قد أصبح حقيقة واقعية(٥). فمنذ أواخر ثلاثينيات القرن العشرين، كان أيٌّ حدث يقع في فلسطين يولد اضطرباً وتمرداً في بغداد والقاهرة وحمص وتونس والدار البيضاء.

ولم يكن يدرك هذا النهج بصورة أفضل أو يخشاه أكثر من زعماء العرب في ذلك الحين. وبسبب الافتقار إلى أيّة شرعية دستورية كانت التشكيلة القيادية: رؤساء وزارات، وملوك، وسلاطين، وأمراء تعارض التعبير الحر وحساسة لتدفق الرأي الجماهيري - أي تحرك «الشارع» العربي. لذلك كانت مهمة القادة العرب أن يدركوا

مسبقا السبيل الذي يسير في الشارع ويناور، كي يكونوا هم في طليعته. كان الشارع مناهضاً بعنف للصهيونية. واستجابة لذلك الغضب العارم، وبسبب التنافس بين القادة العرب الذي قيد حركتهم، زينت الأنظمة العربية نفسها بفلسطين، فلم يعد الصراع محلياً أبداً.

وفي تلك الأثناء، اغتنم البريطانيون بدهاء حياد الصهيونية في أثناء الحرب، لتهدئة العرب واسترضائهم فرعوا إنشاء جامعة عربية يمكن لأعضائها أن يظهروا وحدتهم ويحتفظوا في الوقت نفسه باستقلاليتهم. (٦)

ولكن، عندما تأكد النصر في أوربا عاد الصهاينة للانتقام فأعلن الصهيونيون الحرب على الانتداب، يحفزهم على ذلك استمرار وجود الكتاب الأبيض.

ويلهبهم الهولوكوست الذي لولا الكتاب الأبيض لما ذهب ستة ملايين من اليهود ضحية للهولوكوست، وأول من أعلن الحرب على الانتداب ميليشيات الإرغون (IRGUN) اليمينية برعاية مناحم بيغن (MENACHEM BEGIN)، ثم تبعه التيار العام الهاغناه (HAGANAH).

وبحلول العام ١٩٤٧ كانت بريطانيا المنهكة من الحرب والتي يطاردها رئيس أمريكي هو هاري ترومان (HARRY TRUMAN) الملتزم علناً بالقضية الصهيونية، على استعداد لتسليم القضية الفلسطينية إلى الولايات المتحدة وجاءت المحصلة بصدور القرار ١٨١ عن الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي ينص على تقسيم فلسطين إلى دولتين، واحدة عربية وأخرى يهودية وإقامة نظام دولي للقدس. وافق الصهيونيون على القرار، بينما رفضه العرب الذين كانوا قد رفضوا عرضاً سابقاً أفضل منه قدمته بريطانيا وأصروا على وجوب فرض سيادتهم على كل فلسطين.

في الثلاثين من نوفمبر (تشرين الثاني) من العام ١٩٤٧، أي في اليوم الثاني لصدور قرار التقسيم، قام الفدائيون الفلسطينيون بمهاجمة المستعمرات اليهودية في جميع أنحاء فلسطين وقطعوا الطرق الواصلة فيما بينها. أما رد الصهيونيين

فكان ضبط النفس كيلا تعتقد الأمم المتحدة إذا ما تصاعد العنف في فلسطين أن قرار التقسيم لا يجدي. ولكن المقاومة الفلسطينيية أثبتت فعاليتها القوية، الأمر الذي جعل اليهود يبدؤون بالقتال في إبريل (نيسان) من العام ١٩٤٨. ونجحوا في فتح الطرق وإنقاذ المستعمرات (المستوطنات) ولكن الرد اليهودي عجَّل بفرار المدنيين الفلسطينيين الذي بدأ في نوفمبر (تشرين ثاني).

وبدافع من التقارير التي نشرت عن مذابح حلت بالقرى الفلسطينية، مثل مذبحة دير ياسين قرب القدس هرب أو طرد من الفلسطينين ما بين (٦٥٠.٠٠٠) إلى (٧٥٠.٠٠٠) إلى البلدان العربية المجاورة. وكان معظمهم يتوقع العودة في المستقبل القريب، بعد تدخل القوات العربية المشتركة وطرد الغاصبين الصهاينة. كان لا بد من بذل محاولات قاسية لمنع مثل هذا التدخل. فسعى الزعماء اليهود سراً للتوصل إلى تسوية مؤقتة مع الملك عبد الله ملك المملكة الأردنية الهاشمية تقوم على تخوف الطرفين المشترك من الوطنية الفلسطينية. لم تكن وزارة الخارجية للولايات المتحدة مفتونة بالحلم الصهيوني وكانت معارضة بعمق للتقسيم وكانت تسعى لوضع فلسطين تحت وصاية دولية. وطرحت اقتراحات بإقامة دولة عربية يهودية ثنائية القومية، أو إقامة فيدرالية عربية يتمتع فيها اليهود بحكم ذاتي محلي(٧). لم ينجح أيٌّ من هذه الاقتراحات، وعندما انتهى الانتداب في ١٤ مايو (أيار) كانت الدولة اليهودية قد أعلنت. منذ ذلك الحين أصبح اليهود إسرائيليين، في حين أصبح الفلسطينيون مجرد فلسطينيين.

وفي ذلك اليوم نفسه تفجر الصراع المدني الذي نشب منذ نوفمبر (تشرين الثاني) إلى صدام إقليمي بين إسرائيل والدول العربية الخمس الأقرب إليها. وقاد الغزو أشد الدول العربية مناهضة للصهيونيين، سوريا والعراق، وتبعتها لبنان وشرق الأردن.

ولم تستطع مصر مقاومة ذلك الزخم، وخوفاً من أن تتوسع الدول العربية الأخرى، فسارعت إلى الالتحاق بهذه الدول. زحف آلاف الجنود المعززين بقاذفات القنابل والمقاتلات والمدرعات إلى ما وصف بعنجهية بأنه «عمل بوليسي».

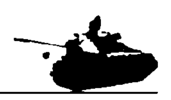


نجح ذلك العمل في دفع الدولة الوليدة إلى وضعية الدفاع العميقة عندما اخترقت الجيوش العربية النقب والجليل ووصلت إلى مشارف تل أبيب، أكبر مدينة في إسرائيل. وحوصر الـ (١٠٠.٠٠٠) يهودي في القدس حصاراً وحشياً ومع ذلك لم يتطرق اليأس إلى بن غوريون. فاستغل ذلك الرجل القصير المهيب الحالم المعجب بالقوة إعجاباً براغماتياً، الهدنات التي عقدت بوساطة الأمم المتحدة لإعادة تسليح قواته وتنشطيها. لقد قلبت تلك الميزة، بالإضافة إلى افتقار العرب الفاضح للقيادة والانضباط، التيار رأساً على عقب.

وبحلول خريف العام ١٩٤٨ كانت قوات الدفاع الإسرائيلية (IDF) حديثة التشكيل قد أفلحت في كسر الحصار العربي على القدس ومحاربة الفيلق العربي الأردني بقيادة بريطانية، والنجاح في تجميده، إن لم يكن في الانتصار عليه. كما أحرجت التقدمات السورية في الشمال والتغلغل العراقي في الوسط. بيد أن قوة إسرائيل المسلحة العظمى فقط وُجّهت إلى مصر، حيث أكبر فرقة عسكرية عربية. فطرد الجنود المصريون من جوار القدس وتل أبيب إلى خارج النقب كله سوى جيب صغير من الرجال. وبقي هؤلاء حتى مطلع العام ١٩٤٩ عندما سعت مصر إلى عقد هدنة.

انتهت حرب الاستقلال، كما يسميها الإسرائيليون. واسولت الدولة اليهودية على٣٠٪ من المناطق أكثر مما خصصت لها الأمم المتحدة بموجب قرار التقسيم، وبفضل خروج الفلسطينين أصبحت الدولة ذات أكثرية يهودية صلبة. ولم يردع قوات الدفاع الإسرائيلية عن احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة سوى الخوف من فقدان هذه الأكثرية وإغضاب بريطانيا حامية مصر والأردن، ودفعها إلى خوض حرب ضد الدولة اليهودية.

وفي آخر عملية قامت بها إسرائيل في مارس (آذار) من العام ١٩٤٤ بعد عقد الهدنة مع الأردن هي احتلال أم رشراش (UMMAL-RASHRASH) على البحر الأحمر، وهي منطقة كانت من حصة إسرائيل بموجب التقسيم.



وكان هذا الميناء الذي أعيدت تسميته فأصبح يعرف بإيلات (EILAT) شريان الحياة لإسرائيل عبر خليج العقبة ومضائق تيران، وإلى أسواق إفريقية وآسيا.

وخلافاً لما بدى أنه احتمال يقرب من المستحيل، أحرز القادة الشباب مثل إيغال آلون (YIGAL ALLUN) وإسحق رابين (YIZHAK RABIN) نصراً استثنائياً، ولكن بثمن باهظ. إذ قتل ستة آلاف يهودي -أي ١٪ من الشعب- وقصفت قرى عديدة ودمّر معظمها. وعلى الرغم من الهجمات المتكررة التي قامت بها قوات الدفاع الإسرائيلية على مدينة القدس، فإن هذه المدينة ظلت مع الهاشميين بالإضافة إلى ممر اللطرون (LUTRUR) المؤدي إليها. كما اجتث الفيلق العربي مستعمرات كتلة عتسيون (ETZION BLOCK) الواقعة خارج بيت لحم واحتل الضفة الغربية لنهر الأردن. وكانت غالبية سكان إسرائيل ومراكزها الصناعية تقع ضمن مدى مدفعية هذا الجيش العربي أو ذاك. وكان عرض إسرائيل في أضيق نقاطها تسعة كليو مترات فقط بحيث يسهل شطرها إلى قسمين باندفاع أردني أو عراقي من الشرق ولا مفر لليهود عندئذ سوى البحر.

لقد فاقمت غنائم النصر المختلطة جرح التاريخ اليهودي الكلي، وولدت ازدواجية متناقضة في إسرائيل: ثقة مفرطة بأنها لا تقهر جنبا إلى جنب مع الإحاس المتضخم بمصيرها. فكانت تصور نفسها عند الغرب بأن الإسرائيليين ليسوا سوى نسخ من داوود ضعيف التسلح يقاتلون العمالقة الفلسطينيين: وتصور نفسها عند العرب بأنهم غولاثيين (Golathians) يتمتعون بقوة لا يمكن تقديرها. وفي أول زيارة يقوم بها رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي موشيه ديان (MOSHE DAYAN) إلى الولايات المتحدة في نوفمبر (تشرين ثاني) من العام ١٩٥٣ قال للمسؤولين في البنتاغون: إن إسرائيل واجهت خطراً مميتاً، ولكنها في الوقت نفسه استطاعت سحق الجيوش العربية مجتمعة في أسابيع. (٨)

لم يصب العرب بوباء هذا التناقض على أية حال. فكانت حرب الـ ٤٨ تعد «نكبة» عندهم لا يمكن تخفيفها أو تلطيفها. إن استعراضات النصر التي كانت تقام

في القاهرة ودمشق لم تستطع إخفاء حقيقة أن العرب قد فشلوا في أول امتحان بعد مرحلة الاستعمار. وكان ضم الضفة الغربية إلى شرق الأردن (جعل الدولة تسقط عبارة «عبر/ شرق» لتصبح المملكة الأردنية الهاشمية) واحتلال مصر لغزة أكد خسارة الفلسطينين للدولة التي كان من المفروض أن تضم هاتين المنطقتين. كما أن هزيمة العرب على يد جيش صغير كان محتقراً في نظرهم، ضاعف من إذلالهم(٩) لم تستطع تلك الهزيمة أن تولد أبطالاً بل ولدت مرارة في نفوس الجنود من أمثال جمال عبد الناصر أحد الضباط الشباب الذين حوصروا في جيب النقب، الذي أخذ يسعى الآن للانتقام ليس من إسرائيل فقط بل من الحكام العرب العاجزين الذين أذلتهم إسرائيل.



السلام المستحيل

كان لاتفاقات الهدنة العامة (GAA) التي وقعتها إسرائيل مع أعدائها المجاورين الأربعة: مصر والأردن ولبنان وسوريا، على التوالي في النصف الأول من العام ١٩٤٩أثر عميق على العلاقات العربية الإسرائيلية خلال السنوات التسع عشرة التالية.

وبموجب النصوص الغامضة لهذه الاتفاقيات، كان أحد الفريقين، وهو الفريق العربي، يدَّعي أن له حقاً كاملاً في القتال واستئناف الأنشطة القتالية عندما يرغب، وحرم الطرف الثاني، وهو إسرائيل، من أي شكل من أشكال الشرعية أو الاعتراف به. تُعَدُّ هذه الاتفاقات كوثائق دبلوماسية فريدة من نوعها. ففي حين أريد لها أن تكون أساساً لسلام دائم في فلسطين، حيثما قال رالف بنش (RALPH BUNCHE) وسيط الأمم المتحدة الذي نال جائزة نوبل على جهوده للتوصل إلى هذه الاتفاقات، فإن هذه الهدنة أضفت صفة الديمومة على الصراع وهيأت الأرضية للحرب.

لقد خُدع الاسرائيليون. فبسبب اعتقاد بن غوريون وغيره من القادة الإسرائيليين بأنهم قادرون على الاحتفاظ بالأراضي التي احتلوها فيما وراء حدود التقسيم وإبقاء اللاجئين خارج فلسطين لم تقم القوات الاسرائيلية بإنزال مزيد من العقوبات بالجيوش العربية. إذ كانوا يعتقدون أن تحقيق السَّلام ليس إلا مسألة شهور، إن لم تكن أسابيع. ولكن ما إن انسحبت قواتهم حتى أعلنت الحكومات العربية أن الهدنة لم تكن سوى هدنة مؤقتة يستطيع العرب بموجبها مقاطعة البضائع الاسرائيلية، وحرمان إسرائيل من الإبحار عبر مضائق تيران وقناة السويس. وادعوا أنه لا توجد إسرائيل، بل يوجد جيش إسرائيلي، ولا توجد حدود إسرائيلية بل هي خطوط هدنة عشوائية تتخللها مناطق منزوعة السلاح (DZS) مختلف على ملكيتها.

وهكذا فقد هُلِّلَ للاتفاقات مبدئيا بوصفها مكسباً، لأنه سرعان ما أصبحت إسرائيل حجر الرحى فيها. فقد حاولت إسرائيل أن تتحدى حصار السويس في مجلس الأمن في العام ١٩٥١ ولكن سرعان ما تجاهلته مصر في حين قامت سوريا في الشمال باحتلال قمم بعض التلال فوق خط الهدنة. وأصبحت لجان الهدنة المشتركة (MACS) التي شكلت لتعالج الشؤون اليومية، ميداناً للاتهامات



والاتهامات المضادة: الأمر الذي جعل معظمها يتوقف عن العمل تماماً. كما فشلت الجهود التي بذلتها لجنة التوثيق الفلسطينية التابعة للأمم المتحدة («UN Palestine Conciliation Commission (PCC)») وحكومتا الولايات المتحدة وبريطانيا في دفع إسرائيل والدول العربية في اتجاه السلام.

ومع ذلك لم يكن جميع القادة العرب ضد السلام، من حيث المبدأ على الأقل، خصوصاً إذا جلب لهم هذا السلام مكاسب إقليمية.

وعلى الرغم من قرعهم طبول الحرب لتهدئة الشارع في بلدانهم، كان بعض القادة يسعون سراً لعقد اتفاقات مع الصهيونيين.

فالدكتاتور السوري حسني الزعيم عرض سراً توطين ٣٠٠.٠٠٠ لاجئ فلسطيني مقابل سيطرة سورية على نصف بحيرة الجليل (بحيرة طبريا).

أراد ملك الأردن، عبد الله، ممراً بين الضفة الغربية التي ضمها حديثاً والبحر المتوسط، وطالب فاروق، ملك مصر، بكامل صحراء النقب -٦٢٪ من مناطق إسرائيل. عارض بن غوريون، على أية حال، تقديم أية تنازلات ثنائية عن الأرض مفضلا بقاء الحال على ما هو حيث تستطيع إسرائيل تنمية بنيتها التحتية واستيعاب المهاجرين، وتجميع قوتها. بيد أن فشل التوصل إلى سلام لا يعود إلى عناد بن غوريون بقدر ما يعود إلى عجز العرب عن التعامل مع إسرائيل بصورة رسمية عادية. وهكذا أقنع مجلس الوزراء الأردني الملك عبد الله بإيقاف المحادثات مع إسرائيل، وأوضح المبعوثون المصريون أن عقد اتفاق مع الصهيونيين الآن أو حتى في المستقبل المنظور سوف يكلفهم حياتهم بالتأكيد. (١٠)

لقد باءت جهود الحكام العرب لمسايرة الرأي العام بالفشل في النهاية لأنهم أخذوا يتساقطون الواحد تلو الأخر. فحسني الزعيم لم يكن يكمل شهوراً ستة في الحكم قبل أن يطاح به ويُعدم، معطياً نموذجاً لستة عشر نظام ستنشأ وتزول في سوريا خلال سنوات. وتلاه الملك عبد الله الذي أردته رصاصة فلسطينية خارج المسجد الأقصى في القدس في يوليو (تموز) من العام ١٩٥١، أمَامَ ناظِرَيْ حفيده حسين الذي ورثه في الحكم فيما بعد.

كما مُثِّلَ بالملك العراقي الهاشمي، فيصل، على يد غوغاء متوحشين في بغداد في العام ١٩٥٨، مع رئيس وزرائه نوري السعيد الذي كان صوته عالياً صاخباً ضد الصهيونيين، ولكنه كان يتصل بهم سراً. (١١)

وجاء دور مصر في يوليو(تموز) من العام ١٩٥٢، إذ أطيح بملكها فاروق على يد عصبة من الضباط الأحرار المزيفين بقيادة الجنرال محمد نجيب.

ثم أطيح بمحمد نجيب نفسه في غضون سنة على يد الرجل الحقيقي القوي الذي كان وراء النظام، البكباشي (كولونيل) الملهم ومدعي الاعتدال جمال عبد الناصر.

اعتقد الاسرائيليون أن بإمكانهم إقامة عمل مع هذا الرجل. انخرط ممثلون مصريون وإسرائيليون مرَّة أخرى في اتصالات سرية، حتى إنه قدمت رسالة غير موقعة من جمال عبد الناصر إلى القادة الإسرائيليين.

بيد أن الموقف الأساسي لمصر لم يتغير: لا يمكن التفكير بعقد سلام في الظروف الحالية، ولن يكون السلام ممكنا إلا بتنازل إسرائيل عن صحراء النقب بأكملها. وبحلول العام ١٩٥٣، عندما بدأت مصر ترعى هجمات الفدائيين الفلسطينين داخل إسرائيل، وتجددت الدعوة إلى «جولة ثانية»، رأى بن غوريون أن الاتصالات لم تكن سوى لعبة ومحاولة لتخدير إسرائيل قبل ذبحها.

حصل في السنة الثالثة، ١٩٥٤، منعطف فاصل في الشرق الأوسط لم يلحظه أحد في أي مكان آخر في العالم. إذ تحول ولاء الاتحاد السوفياتي في تلك السنة إلى الطرف الآخر. كان الاتحاد السوفياتي في الواقع، قبل ذلك التاريخ، يدعم إسرائيل منذ نشأتها واعترف بها وزودها بالسلاح. بيد أنه لم يعد هناك ما يكسبه من الصهيونية -إذ كانت الامبراطورية البريطانية آخذة بالأفول- وأصبحت مكاسبه تكمن في استرضاء الحكومات الجديدة في منطقة الشرق الأوسط التي جاءت للحكم بعد فترة الاستعمار، لتأمين حدوده الجنوبية غير المحصنة، وتهديد موارد النفط الغربية. فصرح السكرتير الأول للحزب الشيوعي، نيكيتا خروتشيف (Nikita

Khrushchev) بأن من يستحق الإدانة هو إسرائيل التي بدأت منذ ولادتها تهدد جيرانها ثم اتهمها فيما بعد بأنها متواطئة مع الامبريالية «وتنهب بصراحة ثروات المنطقة وفيما خلا تدمير إسرائيل، كان الاتحاد السوفياتي يدعم «حقوق العرب في فلسطين» وكل الوسائل التي تؤدي إلى حصولهم على تلك الحقوق». (١٢)

وصلت الحرب الباردة إلى الشرق الأوسط؛ وفي سنة ١٩٥٤، أخذت الولايات المتحدة وبريطانيا تطمحان إلى الدفاع عن المنطقة من خلال تحالف يضم دول الإزار الشمالي: إيران وتركيا وباكستان، مع جيرانها من الدول العربية. ولما كان الصراع العربي الاسرائيلي يشكل عقبة في سبيل تحقيق هذا التكتل، شرع المخططون الأنكلو - أمريكيون في السعي لإزالة هذه العقبة عن طريق مبادرة سليمة سرية. وكانت الخطة التي أُطلِق عليها اسم رمزي هو (ألفا ALPHA) تقضي بإجبار إسرائيل على التنازل عن قطع كبيرة من الأرض لقاء وعد العرب بإنهاء حالة الحرب معها. وكان مفتاح هذه المسألة المفترض جمال عبد الناصر المقرب من الأمريكيين - إذا كانت CIA قد ساعدته بهدوء في انقلابه - والذي كان يؤمل في تحقيق مكاسب كبيرة من تعاونه مع أمريكا. وكان الثمن الذي سيدفع هو شحنات من الأسلحة الأمريكية لمصر، وإقامة جسر بري عبر النقب (١٣) وهو ما كانت مصر تتوق لإقامته.

كانت الرابطة المادية بين مصر والمشرق تلوح بوضوح في تفكير عبد الناصر. فالضابط الذي تولى السلطة واعداً بإجراء إصلاحات داخلية، قد اكتشف الآن العالم وراء حدود بلاده فصرح أن مصر بلد عربي، وغير منحازة في الحرب الباردة، وبدأ يتحدث عن دوائر اهتمام ومصالح متحدة المركز، العالمين العربي والإسلامي، وإفريقيا تقع مصر في قلبها، ويقف جمال عبد الناصر في مركز مصر.

بدأت التحديات تظهر أمامه، فلم يضيع وقتاً في التصدي لها. إذا أنجز اتفاقاً مع بريطانيا لإنهاء احتلالها لقناة السويس منذ اثنين وسبعين سنة، ثم استدار لإحباط محاولات بريطانيا لإلحاق العراق بحلف الحزام الشمالي الذي عرف

حينذاك باسم «حلف بغداد». ثم تبنى الأفكار الاشتراكية، بذكاء بادئ الأمر، مازجاً إياها مع القومية العربية والوطنية المصرية. أما المتطرفون الإسلاميون فقد اعتبروه زنديقاً وحاولوا قتله، ولكن ذلك لم يردعه. ولدى نجاته من إحدى محاولات اغتياله أعلن مراراً وتكراراً: «أنهم يستطيعون قتل عبد الناصر، ولكن ناصراً آخر سيحل محله!! الثورة مستمرة». (١٤)

بدأت الدراما تتعاظم حوله، ومع ذلك فقد تجاهل تقريباً أهم قضية عربية وأكثرها حدة وتأثيراً: ألا وهي فلسطين، ففي حين احتفظ بالحصار وبمستوى معتدل من الأنشطة الفدائية، فقد خفف حدة الصراع مع إسرائيل واضعاً إياه، كما يحلو للدبلوماسيين القول، في «الثلاجة». لكن الشارع العربي كان يطلب أكثر من ذلك. إذ إن مجرد وجود إسرائيل يُعدُّ أمراً مرعباً للعرب، ومذكراً باغتصاب فلسطين، ورأس جسر لعودة الاستعمار. ومن الأمور التي ضغطت على عبد الناصر أكثر، ليس فقط وجود إسرائيل، بل أيضاً أنها أكدت وجودها وعززته عسكرياً.

ردّاً على هجمات الفدائيين، قامت وحدات من جيش الدفاع الإسرائيلي الخاصة بغارات عقابية عبر الحدود. ففي عملية واحدة فقط في قبيه، إحدى مدن الضفة الغربية، جرت في أكتوبر (تشرين أول) من العام ١٩٥١ نسفت وحدات كوماندوز إسرائيلية بقيادة الرائد أرئييل شارون (Ariel Sharon) عشرات المنازل، وقتلت ٦٩ مدنياً عن غير قصد كما ادعى. وقامت إسرائيل بتجفيف بحيرة الحولة في شمال الجليل، الأمر الذي كدَّر سوريا وفلحت المناطق المنزوعة السلاح وزرعتها. ولم يستثن عبد الناصر من هذه الأنشطة.

إذ أبحرت السفينة الإسرائيلية بات غاليم (Bat Galim) في قناة السويس حيث سبب استيلاء مصر عليها فضيحة عالمية، وأخيراً قام العملاء الإسرائيليون بمحاولات لإحباط عملية خروج بريطانيا من قناة السويس وذلك عن طريق إحداث فوضى في مصر بفضل تخريب المؤسسات العامة. فألقت السلطات المصرية القبض على أحد عشر مصرياً يهودياً اتُّهموا بالخيانة.



لقد أغضب ذلك عبد الناصر وشعر بالإذلال، فكثف من دعمه للفدائيين الفلسطيين، ورفض الإفراج عن السفينة الإسرائيلية أو العفو عن المخربين المصريين اليهود الذين أعُدِم منهم اثنان شنقاً في النهاية، أما البقية فحكموا بالسَّجن. كما رفض خطة ألفا على الرغم من مغرياتها الإقليمية «فرد بن غوريون رداً سريعاً وقاسياً: وكانت أكبر عملية انتقامية ضد قوات عربية نظامية منذ عام ١٩٤٨. إنها الإغارة على غزة (هكذا أصبح اسمها) في الثامن والعشرين من فبراير (شباط) ١٩٥٥ التي أسفرت عن مقتل واحد وخمسين جندياً مصرياً وثمانية جنود إسرائليين، وأطلقت العد التنازلي نحو الحرب.

وهكذا أخذ العنف يتصاعد خلال العام ١٩٥٥. إذ استمر ناصر بالاعتداء على إسرائيل بعمليات فدائية، وعلى الصعيد السياسي اتخذ موقفاً ضد السلالات العربية المحافظة الحاكمة -كالهاشميين في الأردن والعراق، والسعوديين- الذين كانوا يعارضون راديكاليته المتشددة. ثم وجه ضربة في سبمتمبر (أيلول) إلى إسرائيل والملوك العرب على حد سواء. إذ ابتاع أسلحة سوفياتية من خلال موردين تشيكيين (Czech) فقد اشترى دبابات ومدافع وطائرات نفاثة أكثر من كل أسلحة الشرق الأوسط مجتمعة.

وفي تطور مفاجئ قفز الاتحاد السوفياتي فوق الحزام الشمالي وحط في مفرق الطرق بين آسيا وإفريقية، في حين حلَّق عبد الناصر إلى وضع لم يسبق له مثيل في التاريخ العربي الحديث؛ وأخذ يدعو الشعب العربي مباشرة إلى الوحدة والكرامة برعاية مصر ورعاية عبد الناصر متجاوزاً بذلك الحدود التي صنعها الاستعمار.

كان بن غوريون يراقب صعود ناصر بقلق شديد. فقد تنبأ منذ زمن بعيد بظهور شخص قوي ذي جاذبية لدى الجماهير، أي أتاتورك (Ataturk) آخر يوحد العالم العربي من أجل الحرب. وفجأة تجسد ذلك الكابوس حقيقة واقعة. وقال بن غوريون: أصبحت القضية مسألة وقت قبل أن يستوعب الجيش المصري السلاح الجديد المتدفق بوفرة، ومن ثم لا يعود له عذر في عدم استخدامه. فأثبتت نبوءته صحتها تماماً: إذ

شهدت الشهور الستة التي تلت تلقي الأسلحة السوفياتية قتالاً حدودياً واسع النطاق، وأعمالاً انتقامية، وهجمات فدائيين التي أزهقت أرواح المئات. (١٥)

بحلول ربيع العام ١٩٥٦ كان بن غوريون قد قرر حسم الأمر مع مصر. فوضع خطة التعاون مع تابعيه موشي دايان رئيس هيئة أركان جيش الدفاع الإسرائيلي، وشمعون بيريز مدير وزارة الدفاع، لإنزال هزيمة بالجيش المصري والحط من هيبة ناصر. وكل ما كانت إسرائيل تحتاجه هو دولة عظمى تمدها بالسلاح وتحميها من التدخل السوفياتي، كانت الولايات المتحدة خارج الموضوع بسبب رفضها المتكرر لاقتراح إسرائيل بعقد معاهدة دفاع مشترك، وكذلك بريطانيا التي هددت بقصف إسرائيل بسبب هجماتها على الأردن! ولكن إسرائيل قد وجدت حليفاً لها فرنسا التي كانت في حرب ضد القومية العربية في الجزائر - والتي كانت تشارك إسرائيل أفكارها الاشتراكية.

حَضّر بن غوريون للحرب ولكن ناصراً كانت لديه مواجهة أخرى. ففي ٢٣ يوليو (تموز)، أي بعد أسابيع من بدء المفاوضات على عقد معاهدة مع بريطانيا وفرنسا بشأن مستقبل قناة السويس! أعلن من جانب واحد تأميم القناة. وإثر تهديدات ناصر لحلفاء بريطانيا في الأردن والعراق، ولفرنسا في الجزائر، أصبح الأوربيون على استعداد لاستخدام القوة لإجبار عبد الناصر على التخلي عن القناة (يتقيأها). ولكن كما أن إسرائيل كانت بحاجة إلى دعم قوة عظمى، كذلك كانت فرنسا وبريطانيا بحاجة إلى دعم قوة فائقة، هي الولايات المتحدة.

لم تكن إدارة إيزنهاور (Eisenhower) مفتونة بعبد الناصر آخذة في الاعتبار سياساته غير المنحازة وصفقات السلاح التي يعقدها مع الاتحاد السوفياتي. وكانت آخر خيبة أمل لأمريكا هي مبادرة ثانية باسم غاما (Gamma) عرضت على مصر يجري بموجبها إعلان مصر إنهاء حالة الحرب والعداء مقابل تنازل إسرائيل عن قطعة أرض. إذ أرسل الرئيس الأمريكي إيزنهاور مبعوثه الشخصي، روبرت ب.



أندرسون (Robert B.Anderson) التكساسي وزير المالية الأسبق كوسيط لبحث هذه الصفقة. فوجد بن غوريون غير قابل لتقديم أي تنازل بشأن الأرض، ولكنه كان راغباً في لقاء عبد الناصر في أي مكان وأي زمان. أما عبد الناصر فقد أوضح المهمة منذ البداية بتساؤله: لم المجازفة بالتباحث مع إسرائيل من أجل حلف بغداد؟ وبالتالي فقد رفض استقبال أندرسون. وبعد ذلك وافق أيزنهاور على مشروع آخر بالغ السرية اسمه أوميغ (Omega) يهدف إلى الإطاحة بجمال عبد الناصر بأية وسيلة سوى الاغتيال(١٦).

كانت واشنطن تكره عبد الناصر، في واقع الأمر، ولكنها مع ذلك كانت تكره الاستعمار الأوربي أكثر من كرهها لعبد الناصر. ولهذا، برغم كون الولايات المتحدة أحد الأطراف الموقِّعة على التصريح الثلاثي مع بريطانيا وفرنسا الذي مفاده: منع أية محاولة لتغيير الحدود في الشرق الأوسط بالقوة، فإنها لم توافق على اعتبار تأميم عبد الناصر للقناة محاولة لتغيير الحدود بالقوة، ولم تقر استخدام القوة ضد مصر. ثم توالت سلسلة من المبادرات الدولية تهدف كلها إلى حل الأزمة، ولكنها جميعاً تفتقر إلى الأسنان (آلية التنفيذ). وأخيراً بلغ غضب فرنسا حده فلجأت إلى حلفائها وأقنعت بريطانيا بأن تحذو حذوها. وهكذا وقع في ٢٤ سبتمبر (أيلول) ممثلون عن ثلاث دول بروتوكولاً بالغ السرية في سيفريه (sevres) إحدى ضواحي باريس. وبموجب هذا البرتوكول تتظاهر إسرائيل بالهجوم على قناة السويس، وبذلك تعطي مسوّغاً للأوربيين لاحتلال القناة بذريعة حمايتها. وبالمقابل يتلقى الإسرائيليون دعماً جوياً وبحرياً لدى قيام قواتها بتدمير الجيش المصري في سيناء وفتح مضائق تيران. (١٧)

نشبت الحرب العربية الإسرائيلية الثانية المعروفة في إسرائيل باسم «حملة سيناء»، وفي البلدان العربية باسم «العدوان الثلاثي» في فجر التاسع والعشرين من أكتوبر (تشرين أول). نزلت قوات إسرائيل المظلية في ممر متلا «Mitla pass» الواقع على بعد ٢٤ ميلا شرقي القنال. وبموجب الذريعة المتفق عليها سلفاً، أعلنت بريطانيا وفرنسا إنذارهما النهائي الذي رفضته مصر كما هو متوقع. وفي الوقت نفسه اخترقت تشكيلات دايان المدرعة الخطوط المصرية في وسط سيناء وجنوبها وتابعت سيرها

عبر قطاع غزة المحتل من قبل مصر. فأصيب الجنرال محمد عبد الحكيم عامر رئيس هيئة أركان الجيش المصري بالهلع فأمر جنوده بالتراجع. كان انتصار إسرائيل سريعاً -أسرع مما توقعت بريطانيا وفرنسا. كانت الأرمادا الأنكلو- فرنسية تتهادى في البحر في حين كان القادة الفرنسيون والبريطانيون يترنحون تحت الضغط العالمي. فلم يبدأ الغزو حتى الرابع من نوفمبر (تشرين ثاني) في الوقت الذي ادعى فيه المصريون أنهم لم يطردوا من سيناء بل تراجعوا تكتيكياً للدفاع عن بيوتهم.

تعد عملية مسكيتير (Musketeer) (هذا هو اسمها الرمزي) عملية عكسرية ناجحة تماماً. إذ تشتت الجيش المصري، ثمّ إعادة احتلال ثلاثة أرباع القناة. ومع ذلك كانت النتائج السياسية كارثية. إذ اختفت الحرب الباردة والفروقات الثقافية لدى توحد المجتمع الدولي في إدانة الهجوم. وثبطت عزيمة بريطانيا وفرنسا تحت ضغط التهديد الأمريكي بفرض عقوبات، وتهديد الصواريخ السوفياتية. فانسحبت قواتهما تجر أذيال الخزي، وأنزلت أعلامهما من الشرق الأوسط نهائياً وإلى الأبد.

وبالمقابل لم يكن الإسرائيليون الذين كانوا يسيطرون على كل سيناء ومضائق تيران في عجلة من أمرهم. إذ على الرغم من الضغط الهائل الأمريكي والروسي الذي تعرضت له، فقد كانت مازالت تتمتع بتعاطف دولي بوصفها. ضحية المقاطعة والإرهاب، إضافة إلى ما كان يلقاه بن غوريون من دعم قوي داخل إسرائيل. وفي حين كان يخضع للمطالب الداعية إلى سحب قواته من سيناء، فإنه ربط قبوله بضرورة حصوله على ضمانات بحرية العبور من مضائق تيران وحماية إسرائيل من الغارات الحدودية. وصرح قائلاً: إن الهدنة التي مارست مصر في ظلها العدوان على إسرائيل قد ماتت.

تبع ذلك دبلوماسية كسر الأعناق لمدة شهور، حاول خلالها أبا إيبان (Abba Eban) السفير الإسرائيلي المفوض إلى الولايات المتحدة والأمم المتحدة جاهداً لتأمين مصالح بلاده غير منقوصة.

بيد أن دور الإنقاذ لم يلق على عاتق إيبان، بل على كاهل وزير خارجية كندا ليستر مايك بيرسون (Lester Mike Pearson). وبوصفه موثوقاً من قبل جميع الأطراف ذات الصلة -العرب والإسرائيليين والأوربيين- ثقة لا يتطرق إليها الشك طرح بيرسون تصوراً لإيجاد قوات طوارئ متعددة الجنسيات تابعة للأمم المتحدة (UNEF) لمراقبة الانسحاب البريطاني-الفرنسي من مصر، ثم طبق ذلك المفهوم على القوات الإسرائيلية في سيناء. وتتضمن هذه الفكرة نشر قوات من مجموعة من الدول على طول الحدود المصرية- الإسرائيلية، في قطاع غزة وشرم الشيخ المطلة على مضائق تيران. قاوم ناصر الفكرة كما هو متوقع، إذ اعتبرها تقييداً لسيادة مصر ومكافأة لإسرائيل على عدوانها.

وكذلك بن غوريون اعترض عليها لأنها تخوِّل ناصر أن يطرد هذه القوة الدولية متى رأى ذلك مناسباً.

لقد تم تخطي العقبة هذه باتفاقين صادقين صافيي النية - أحدهما بين وزير خارجية أمريكا جون فوستر دالاس (John Foster Dalles) وغوالد مائير (Golda Meir) وزيرة خارجية إسرائيل. ووعد همر شولد (Hammarskjold) عبد الناصر أن يكون لمصر الحق في إخراج قوات الطوارئ ولكن بعد دراسة الجميعة العمومية للأمم المتحدة فيما إذا كانت قوات حفظ السلام قد أنجزت مهمتها. ووعد دالاس أن الولايات المتحدة سوف تعتبر أية محاولة مصرية لإعادة فرض الحصار على مضائق تيران عملاً حربيا يحق لإسرائيل أن ترد عليه دفاعاً عن النفس بموجب المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة. وفي مثل هذه الحالة تعهدت مائير بإحاطة الولايات المتحدة علما بنواياها. انضمت بريطانيا وفرنسا كذلك إلى هذا الاتفاق بالإضافة إلى كندا وعدد من الدول الغربية - مثل السويد وبلجيكا وإيطاليا ونيوزيلاندا. حدثت أخطاء بسيطة عندما عادت القوات المصرية إلى غزة، وعندما كرر دالاس دعمه للهدنة، ولكن بحلول ١١ مارس من العام ١٩٥٧ كانت قوات الطوارئ الدولية قد أخذت مواقعها، وآخر جندي إسرائيلي قد غادر سيناء. (١٨)

ومن خلال ذلك كله، ظل الصراع العربي -الإسرائيلي يشكل السمة الثابتة للحياة في الشرق الأوسط. إذ اتسع نطاقه من نزاع محلي في عشرينيات القرن العشرين وثلاثينياته إلى أن شمل المنطقة كلها في أربعينيات ذلك القرن، وأصبح نزاعاً في خمسينيات القرن. فالتأمت عناصر السياق والبيئة المؤلفة من الصراع العربي- العربي، والتنافس بين القوى العظمى ومخاوف إسرائيل وتبجحاتها، والمرارة التي تعتصر نفوس الفريقين.

وإن كان هناك وضع جديد قد نشأ فهو ليس سوى عدم استقرار موروث متأصل، وحالة قابلة للاشتعال، تلهبها أصغر شرارة.

حروب باردة / حروب ساخنة

لقد أفادت حرب الـ ١٩٥٦ كلا الطرفين. فقد أشاعت الدعاية المصرية أن عبدالناصر قد حقق انتصاراً أساسياً وعسكرياً في الحرب، إذ هزم وحده الإمبرياليين، وحشد الرأي العالمي ضد إسرائيل، التي لم تستطع تحدي مصر وحدها. وبعودة قناة السويس لمالكها غير القابل للتصرف أو التغيير، يمكن أن تصبح مصر قوة إقليمية، إن لم تكن قوة عالمية عظمى. (١٩)

أما الإسرائيليون فاعتقدوا أن الحرب جلبت لهم عشر سنوات على الأقل من الهدوء، وهو عقد صلب من التنمية. ولقنت قوات الدفاع الإسرائيلي الغرب درساً بأن إسرائيل حقيقة راسخة واقعة لا يمكن استغفالها وتمزيقها ولو بالاستدراج من قبل القوى الكبرى. ولم يعد هناك خطط ألفا ولا غاما. بل بدلاً منها نشأت علاقات وثيقة واسعة بينها وبين بلدان آسيوية وإفريقية، والحصول على النفط من إيران، وعلى طائرات حربية متقدمة -أوراغان (Ouragan) والميستير (Mystere) والميراج (Mirage)- من فرنسا.

وساعد الفرنسيون إسرائيل بأجرأ إنجاز وأكثره جدلاً في ميدان الأمن، وهو المفاعل النووي قرب مدينة ديمونة (Dimoma) الجنوبية.

إلى جانب هذه الإضافات الإيجابية، هناك جوانب سلبية لحرب العام ١٩٥٦. فإذ كانت ثقة الإسرائليين بشجاعة إسرائيل العسكرية وبراعتها فإن الخوف من الضغط



العالمي قد تعاظم كذلك. وظل العرب يعتقدون بما لا يدع مجالاً للشك أن «الكيان الصهيوني» (إسرائيل) ممقوت وبغيض جداً، وأنه أداة إمبريالية عدوانية، ولكنه ذا أيديولوجية ضعيفة فإذا ما كانت الجولة الثانية أنجح من الأولى، فلا شك أن الجولة الثالثة ستحقق النصر وما على عبد الناصر إلا خوض هذه الجولة. (٢٠)

ومن حسن حظ إسرائيل أن عبد الناصر لم يقع ضحية «تناذر السويس» العربي، ولم ينخدع بدعاياته المصرية. فهو يعلم أن الجيش المصري قد هزم على يد قوات الدفاع الإسرائيلي، وأن حرباً أخرى مهما رُوِّج لها لا بد وأن تتأخر قدر المستطاع إلى أن يصبح العرب أقوياء. فتعاون مع قوات الطوارئ الدولية، وأبقى قوة رمزية منها في سيناء، وصارت السفن الإسرائيلية تعبر مضائق تيران دون أية مضايقات، وعادت القضية الفلسطينية الآن ثانية إلى الثلاجة برغم خطابات عبدالناصر العداونية الطنانة.

وبدلاً من ذلك كرس ناصر طاقاته إلى تحقيق خلطة أكثر راديكالية من الاشتراكية العربية والقومية -ألا وهي الناصرية- وإقامة سلسلة من حركات الحزب الواحد لإحياء الجماهير وتحقيق قفزة في الاقتصاد المصري. ولم تعط هذه الجهود ثماراً سوى قلة قليلة منها. وبسبب اليأس من النجاح ازداد ناصر ميلاً نحو الاتحاد السوفياتي وصعّد صراعه مع ملوك الشرق الأوسط - ذلك الصراع الذي أسماه أحد العلماء: بـ «الحرب الباردة العربية».

حدثت انقلابات عنيفة متعاقبة، واغتيالات، وتفجيرات، بلغت ذروتها في الثورة العراقية في العام ١٩٥٨ومحاولة الإطاحة بحكومتي لبنان والأردن. وقد تم تفادي الحكومة الأردنية بفضل التدخل العسكري الغربي عندما طرد إيزنهاور بريطانيا وفرنسا وأخذ يسعى لملء الفراغ الناجم عن ذلك بعقيدة تحمل اسمه وهي «مبدأ ايزنهاور لملء الفراغ». إذ تعهدت أمريكا من ذلك الحين فصاعداً بالدفاع عن أي بلد شرق أوسطي يتعرض لتهديد الشيوعية أو حلفائها، الذين كانت مصر من أبرزهم. (٢١)

إلى جانب النكسات التي أصيب بها عبد الناصر في العام ١٩٥٨، فقد سجل

إنجازاً مذهلاً بتحقيق الوحدة بين مصر وسوريا. وتبنى النظام الجديد اشتراكية متطرفة، مؤدية للخط السوفياتي، وجسدت الجمهورية العربية المتحدة (وهو الاسم الذي أطلق على الوحدة هذه) المثل العربية الراديكالية. وأنشأ عبد الناصر في السنة التالية كياناً في غزة، وهو نوع من الحكومة في المنفى التي عبرت عن التزامها بالقضية الفلسطينية رغم عدم تمتعها بسلطة حقيقية. وتوج إنجازه في العام ١٩٦٠، بفضل حصوله على تمويل من الاتحاد السوفياتي لمشروع بناء السد العالي في أسوان الذي يعد «أكبر مأثرة هندسية في الشرق الأوسط منذ بناء الإهرامات» عمت الفرحة والنشوة الشارع العربي. وبفضل ربط نصفي العرب الشرقي والغربي في إطار دولة واحدة، الأمر الذي أدى إلى تضييق الخناق على إسرائيل، عادت الآمال والتوقعات بتحرير فلسطين عسكريا. ولم يستطع عبد الناصر تجاهل ذلك كله، خصوصاً عندما تعرضت سوريا في العام ١٩٦٠إلى التهديد بالحرب. (٢٢)

بدأ التهديد بمحاولة إسرائيل فلاحة المنطقة المنزوعة السلاح على طول الحدود الشمالية. أطلق السوريون النار على الجرارات الإسرائيلية وردت مدفعية الجيش الإسرائيلي بقصف بعض المواقع في مرتفعات الجولان المطلة على إسرائيل. ولدى ارتفاع حرارة الاحتكاك دخل الاتحاد السوفياتي وأخبر عبد الناصر بأن إسرائيل تخطط لغزو سوريا وحدد تاريخاً هو ٢٢ فبراير (شباط) عيد الجمهورية العربية المتحدة.

كان عبد الناصر قد تلقى تحذيرات مماثلة من قبل ولكنه اختار هذا الوقت ليتحرك نظراً لارتفاع حدة الرأي العام العربي. فاندفع لواءان مصريان بما فيهما اللواء المدرع الرابع إلى سيناء. وأحيطت قوات الطوارئ الدولية علماً بوجوب مغادرة شبه جزيرة سيناء في غضون ٢٤ ساعة خشية وقوع أعمال عدائية.

كان عرضاً للعضلات رائعاً لإسرائيل، التي لم يكن لها سوى ثلاثين دبابة في الجنوب دون حماية. فاستنفر الجيش بجنون في حين صرح الدبلوماسيون الإسرائيليون ليطمئنوا الحكومات الأجنبية بعدم وجود أية حشود حربية على أي من سوريا أو مصر. وظل التوتر عالياً حتى مطلع مارس (آذار)، عندما انسحبت



القوات المصرية من سيناء بهدوء كما دخلتها(٢٣). سببت هذه الفترة التي أطلق عليها جيش الدفاع الإسرائيلي اسم (ريتاما) على اسم النبات الصحراوي العَطر روتيم (rotem بالعبرية) جرحاً لإسرائيل، وحققت ما هو ليس بأقل من نصر لعبد الناصر. ولسوف تظل ذكراها حية في الأذهان ودروسها واضحة، في العام ١٩٦٧.

بيد أن سد أسوان و«ريتاما» كانتا مجرد استثناء في حكاية الجمهورية العربية المتحدة التي تمنى عبد الناصر أنها لم تكن. إذ إن الجمهورية العربية المتحدة أخذت تتفكك في ظل الجكومة المشتركة في سوريا بإدارة المشير عبد الحكيم عامر العاجزة كعجز جنرالاته في حرب ١٩٥٦. فقد انتشر الفساد والظلم والبطش، وهيمنت الدولة بقوة على الاقتصاد السوري المنفتح تقليديا وشاظ الضباط السوريون غضباً إذ وجدوا أنفسهم خارج أطر السلطة. فقامت ثلة من هؤلاء الضباط في سبتمبر (أيلول) من العام ١٩٦١، ومن بينهم صلاح جديد وحافظ الأسد بانقلاب ناجح وأعلنوا انفصال سورية عن الوحدة (٢٤). وحُمِّل عامر وهيئته في طائرة ورحلوا إلى القاهرة على وجه السرعة. ولم يبق لهم من ذكرى الجمهورية العربية المتحدة سوى اسمها الذي احتفظت به مصر من جانب واحد.

كانت مرحلة الانفصال بداية الانحدار في حياة عبد الناصر.

فقد اعتلت صحته -وصار يعاني من مرض نقص السكر في تلك السنة- ودخل في علاقات عاصفة مع خروتشيف الذي كان يرى أن مصر لم تكن راديكالية بما فيه الكفاية. وأخذ اقتصاد البلد ينهار. إن البقعة الوحيدة المضيئة في قلب هذه الفترة الحالكة كانت بفضل تحسن العلاقات المصرية مع الولايات المتحدة بإدارة جون ف. كينِدي (John F.Kennedy) الجديدة.

وخلافاً لأيزنهاور الصدامي، كان كينيدي يرى أن الجزرة يمكن أن تكون فاعلة ومؤثرة أكثر من العصا في احتواء النفوذ السوفياتي في الشرق الأوسط وإخراج عبد الناصرمن المشكلة.

وباستخدام «السلاح غير المنظور» كما أسماه تشيستر باولز (Chester Baules)، أحد كبار المسؤولين في إدارة كيندي قدمت واشنطن لعبد الناصر شحنات نصف سنوية من القمح والسلع الأساسية الأخرى كحافز له «ليترك الميكرفون للجرار» حققت هذه السياسة نجاحاً حيناً من الزمن. إذ بدا وكأن عبد الناصر انسحب من فوضى السياسات العربية -العربية وأخذ يركز أكثر على الشؤون المحلية (المصرية) فانفتح باب الحوار بين مصر وأمريكا على الرغم من أن دعم مصر لحركات التحرر الوطني المقاتلة وخصوصاً في أفريقيا، وتزعمها لحركة عدم الانحياز كان يؤرقها، ودليل هذا التحول ظهر في المراسلات بين الرئيسين، إذ كتب عبد الناصر إلى كيندي يقول: «ستظل هناك خلافات فيما بيننا»، ورد عليه كيندي مقتبساً كلامه قائلاً: «ولكن التفاهم المتبادل سيبقي هذه الخلافات ضمن حدود لا تتجاوزها». كما ظهر هذا التحسن في العلاقات بالمساعدات التي قدمتها أمريكا لمصر التي كانت تطعم ٤٠٪ من الشعب المصري في العام ١٩٦٢ . (٢٥)

إلاَّ أن أحداثاً أخرى وقعت في العام ١٩٦٢ قد بذرت بذور الكارثة في ذاك الانفراج في العلاقات الأمريكية -المصرية، وبذور المصائب في حياة عبد الناصر عموما. تلك هي مشكلة اليمن. إذ أطيح بالبدر، إمام ذلك البلد البعيد في أقصى جنوب الجزيرة العربية، على يد مجموعة من الضباط الأحرار بقيادة الجنرال عبد الله السلال (Abdullah.al-Sallal). فهرب البدر إلى الرياض سعيا وراء الحصول على دعم السعودية لتمرد مضاد. أما السلاَّل فقد اتجه إلى القاهرة.

وجد السلال عبد الناصر مازال يترنح بسبب تفكك الجمهورية العربية المتحدة، وبسبب انهيار سياساته الاقتصادية، إضافة إلى خشيته من تحول ولاء بعض ضباط جيشه الكبار. فكان تقديم الدعم التكتيكي لقوات السلال، قد منح عبد الناصر أمراً واقعاً.

فقبل ذلك مقدراً أن اليمن مكان ملائماً لإشغال اهتمام جيشه ولإنزال هزيمة سهلة بمنافسه السعودي ولإحراج المستعمرة البريطانية في اليمن وإرباكها. أما



خروتشيف الذي كان تواقاً للانتقام من الإرباك الأخير الذي ألم به بسبب أزمة الصواريخ الكوبية، فقد بارك خطوة عبد الناصر هذه. (٢٦)

وهكذا بدأت ورطة عبثية عنيفة جداً بحيث يمكن أن تسمى حرب فيتنام الوشيكة «يمن أمريكا» (٢٧) بسهولة. إذ كان الأسرى يعدمون بصورة روتينية، والجثث تُشوه، وقرى بأكملها تمسح من الوجود. وكانت القوات المصرية تقصف المخازن الملكية في المملكة العربية السعودية، ولأول مرَّة في التاريخ يستخدم جيش عرَبي الغاز السام. بالإضافة إلى أن حرب اليمن قد أشعلت الحرب الباردة بين التقدميين والرجعيين العرب، فقد عكرت صفو شهر العسل القصير في العلاقات المصرية - الأمريكية. فقد رأى كيندي في تدخل عبد الناصر في اليمن بدايات لتسلل الاتحاد السوفياتي إلى جنوب شبه الجزيرة العربية، لذلك أصر من خلال وسيطه الخاص إلسوورث بانكر (Elsworth Banker) على ضرورة التوصل إلى اتفاق تتوقف السعودية بموجبه عن دعم الإمام البدر وتسحب مصر جنودها من اليمن. ولكن في حين وافقت الرياض، فإن القاهرة قد نكثت بالعهد وأرسلت مزيداً من القوات إلى اليمن. فحذَّر كيندي في التاسع عشر من أكتوبر (تشرين أول)، أي قبل أكثر من شهر من اغتياله قائلاً: «إن انهيار فك الارتباط.. لن يؤدي إلاَّ إلى وضع تتباعد فيه الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة بدلاً من أن تتقاربا». (٢٨)

لم يدرك أحد أن الوضع العربي قد أصبح أكثر انعزالية وكآبة - ومع هذا فقد كان كذلك. إذ سقط النظام الحاكم في العراق الذي لم تكن علاقته مع مصر ودية، في فبراير ١٩٦٣ سقوطاً عنيفاً حيث قتل قادة الحكم رميا بالرصاص على يد راديكاليي حزب البعث. ولم يسفر الحديث عن وحدة ثلاثية بين مصر وسوريا والعراق سوى عن مسودة دستور وحسب.

وحدث حمام دم عندما طرد المتعاطفون مع عبد الناصر من الجيش العراقي، ومن ثم من الجيش السوري إثر إجهاض محاولة انقلاب في يوليو (تموز).

قتل المئات وأعدموا، ووقعوا ضحية نيران متقاطعة.

فما كان لمثل هذه الأحداث، والعلاقات الخارجية المصرية السقيمة جداً والعلاقات العربية - العربية عموماً إلا أن تدخل السرور على قلوب الإسرائيليين. إذ أصبح خطر نشوب حرب عربية إسرائيلية ثالثة بعيداً بسبب تفكك الجمهورية العربية المتحدة وغرق جيش عبد الناصر في مستنقع اليمن. فضلاً عن التطمينات التي جاءت من الولايات المتحدة بفضل التحسن الذي طرأ على العلاقات بينها وبين إسرائيل بمبادرة من كيندي. وخلافاً للجمهوريين الذين لم يكونوا يتمتعون بدعم غالبية اليهود الأمريكيين، والذين لم يكونوا يتعاطفون كثيراً مع إسرائيل، فإن الرئيس الديمقراطي الجديد كان يدين بنجاحه الحرج في الانتخابات الرئاسية إلى الأصوات اليهودية وكان يتكلم عن الدولة اليهودية بحرارة. فقد قال لوزيرة الخارجية مائير: «للولايات المتحدة علاقة خاصة بإسرائيل يمكن مقارنتها بعلاقتها مع بريطانيا. وأعتقد أنه في حال تعرض إسرائيل إلى غزو فإن الولايات المتحدة ستسارع إلى دعمها». وقد تجسد هذا الالتزام ببيع إسرائيل صفقة من الأسلحة تقدر ثمنها بـ ٧٥ مليون دولار، الدفعة الثالثة منها مخصصة لصواريخ هوك أرض - جو. (٢٩)

ومع ذلك لم تخل العلاقات الإسرائيلية - الأمريكية من احتكاكات. فلم تكن إدارة كيندي أقل معارضة من إدارة إيزنهاور لسياسة الانتقام الإسرائيلية، ومحاولاتها لتحويل نهر الأردن ومعارضتها لعودة اللاجئين الفلسطينين. وأكثر ما كان يقلق كيندي الملتزم بعدم السماح للأسلحة النووية بالانتشار هو برنامج إسرائيل النووي. إذ كان يخشى أن يحفز إنتاج إسرائيل لمواد انشطارية العرب على تركيب صواريخ سوفياتية في مناطقهم، أو حتى توجيه ضربة استباقية إلى إسرائيل. فقد تذرع عبد الناصر بقدرة إسرائيل العسكرية المفترضة ليشرع بصناعة صواريخه مستعيناً بعلماء ألمان ونازيين سابقين بدلاً من الروس. ولم تنجح وعود إسرائيل المتكررة بأنه لن يرشح ما يضر أو يسيء في ديمونة، وأنها لن تكون الدولة الأولى في إدخال الأسلحة النووية إلى الشرق الأوسط، في تهدئة مخاوف الرئيس الأمريكي. فقد



أصر على ضرورة تفتيش المفاعل كل ستة شهور وإلا أعاد النظر بكل التزام أمريكا بأمن إسرائيل إذا ما رفض بن غوريون التعاون، وعرض عليه صواريخ هوك هذه عساه يتعاون. وكان بن غوريون يجادل قائلاً: إن مشاريع إسرائيل النووية تدخل في نطاق سيادتها، وإنها أفضل وسيلة لتضمن عدم حدوث هولوكوست آخر. ونشرت صواريخ هوك حول مفاعل ديمونا. (٣٠)

ولكن، لم يعد بن غوريون محرك العام ١٩٤٨ والعام ١٩٥٦ رغم كل ما يتسم به من حماسة وجلد، وتشدد، وصلابة رأس.

فعلى الرغم من أن إسرائيل قد حسنت علاقاتها مع أمريكا وتحالفت مع فرنسا وأنشأت روابط مع إفريقية وآسيا فإنها كانت تبدو في نظر بن غوريون مجرد غيتو معزولة ومكشوفة لا ترقى إلى أن تكون قوة إقليمية. «فالجمهورية العربية تزداد قوة بفضل الأسلحة السوفياتية» كما قال للرئيس الفرنسي شارل ديغول (Charles de Gaulle) في العام ١٩٦١، وأضاف قائلاً: «ويعتقد عبد الناصر أنه في غضون سنة أو سنتين يستطيع شن حرب خاطفة يدمر فيها مطاراتنا ويقصف مدننا». فقد قال عبد الناصر متباهيا أثناء الاحتفالات بثورة يوليو (تموز) في العام ١٩٦٢ حيث عرض صواريخه في شوراع القاهرة: «تستطيع هذه الصواريخ أن تصيب أهدافها جنوب بيروت فأصيب رئيس الوزراء الإسرائيلي بالهلع. كما أصابه الهلع ثانية عندما أعلنت مصر وسوريا والعراق في مايو (آيار) التالي: انهم سوف يقيمون وحدة ثلاثية بين الأقطار الثلاثة.

فحذر بن غوريون عندئذ سفير أمريكا في تل أبيب قائلا: «إننا نتعرض للتهديد بالتدمير كل يوم. فعبد الناصر يدعو إلى الحرب ضد إسرائيل وإذا ما حقق قدرة نووية، فاقرأ علينا السلام». والواقع أن صواريخ مصر لم تكن أكثر من صواريخ V-I «تعد مشروعاً مكلفاً فاشلاً، لن يدخل ميدان العمليات قبل بضع سنين». وذلك وفق المصادر المخابراتية الأمريكية، وأن التحالف العربي الجديد لم يكن سوى تحالف زائف، فلم يكن له تأثير يذكر على بن غورين.

ومع ذلك ضغط بإلحاح لعقد صفقة سرية مع مؤسسة مارسيل داسولت الفرنسية (French Marcel Dassault) لإنجاز مشروع إنتاج صواريخ أرض - أرض في غضون بضع سنين منذ ذلك الحين، أي في العام ١٩٦٦ أو ١٩٥٧ . (٣١)

لم تكن إسرائيل بدون دواع للقلق، فهي بلد محاط بحدود معادية طولها ٦٣٩ ميلاً وحوالي ثلاثين فرقة عسكرية.

ويمكن لمصر في المستقبل أن تفرض حصاراً على الإبحار في مضائق تيران ويمكن لسوريا التي تسيطر على منابع نهر الأردن أن تقطع المياه عن إسرائيل. وبلغت نفقات العرب مجتمعين على السلاح حوالي ٩٣٨ مليون دولار سنويا - وهو مبلغ يساوي ضعف ما تنفقه إسرائيل رغم أنها ضاعفت ميزانية التسلح لديها خمسة أضعاف. وعلى الرغم من أنه لم يقتل من المدنيين الإسرائيليين بنيران معادية سوى ١٨٩ شخصاً بين العامين ١٩٥٧ و١٩٦٧، في حين قتل ٤٨٦ في الفترة ما بين ١٩٤٩ و١٩٥٦، فإن خطر الكمائن والقصف كان ماثلاً دائماً.

لم ينس الإسرائيليون ذلك قط، رغم أن مطلع ستينيات القرن العشرين لم يكن في نظر الكثيرين زمن تجاوز الخوف، بل كان زمن الأمن نسبياً، وزمن الازدهار. فزاد السكان ثلاثة أضعاف إذ أصبح تعداد سكان إسرائيل ٢.٩ مليون نسمة، وتمتعت الدولة بنمو سنوي قدره (١٠٪) ولم يضاهها في ذلك سوى اليابان.

وبلغت نسبة خريجي الجامعات في إسرائيل أعلى خامس نسبة في العالم. وازدهرت الفنون، وكانت الصحافة نشيطة وحرة.

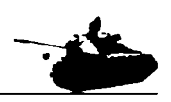
وفي حين كان التحيز والتمييز العنصري منتشراً في البلاد ضد المهاجرين من شمال إفريقيا، إلا أن روح الحماس للأهداف الوطنية كانت فريدة. فقد حظر على فرقة الخنافس (Beatles) من تقديم عروض في إسرائيل بدعوى الأمن، والواقع أن المحافظين أرادوا حجب الشباب الإسرائيلي عن مثل هذا الفن، لأن المجتمع

الإسرائيلي كان محافظاً في أساسه يتشبث بأفكار جديدة، مادية بدائية، وبفكرة ضرورة إنتاج جيل جدّي من القادة يتمتعون بثقة كبيرة.

لقد أرسيت قواعد هذه الثقة في جيش الدفاع الإسرائيلي، ذلك الجيش الذي ترعرع ونما فأصبح يضم ٢٥ لواءً و١٧٥ طائرة وحوالي /١٠٠٠ مدرعة مزودة بمدافع محسنة من عيار ١٠٥ مم، بحيث أصبح يشكل تهديداً باختراق الخطوط العربية وتأمين نصر مبكر قبل أن تدمر المدن الإسرائيلية المعرضة للقصف. وطُوِّر سلاح الجو الإسرائيلي بحيث أصبح قادراً على توجيه ضربة موجعة إلى مصر إدراكاً من قادة إسرائيل أن تحييد مصر يجعل بقية الجيوش العربية تنهار. بيد أن جيش الدفاع الإسرائيلي لم يكن مجرد قوة مقاتلة، بل كان مؤسسة تقوم على مفاهيم التطوعية، وعلى مفهوم قيادة الضباط لجنودهم على أساس «صيحة اتبعوني!!» وعلى قواعد المسؤولية الاجتماعية.

كان الإسرائيليون جميعاً رجالاً ونساء يعدون جنوداً دائمين في إجازات مؤقتة، وذلك بفضل نظام الجندية المتبع عندهم إذ تخدم المرأة ثمانية عشر شهراً خدمة نظامية ويخدم الرجل سنتين/ وتتبع هذه الخدمة بدورات احتياط سنوية إلى أن يبلغ المرء الثانية والخمسين من العمر. ولا يؤدي الجنود التحية ولا يقومون بتدريبات المشي إلا ما ندر -إذ يركز جيش الدفاع الإسرائيلي على السرعة، والارتجال «المبادرة الذاتية» والمرونة في القيادة. وكان الافتراض الشائع أنه لا خيار أمام إسرائيل سوى خوض حرب حياة أو موت أخرى، حرب يفوق فيها العدو جيش الدفاع الاسرئيلي عدداً رغم نموه بصورة هائلة(٣٢).

اجتمعت السياسة والقوة العسكرية في يونيو (حزيران) ١٩٦٣ عندما شعر الإسرائيليون باطمئنان كاف ليتركوا بن غوريون، أب البلاد، يقدم استقالته. أما السبب المباشر لاستقالة بن غوريون فهو الفضيحة الدائمة التي أحاطت بعملية التخريب في مصر والتساؤل عمن أمر بها، أهو أحد الوزراء أم عناصر في المؤسسة الأمنية؟ أصر بن غوريون على تشكيل هيئة قانونية مستقلة للتحقيق في الاتهامات في مواجهة معارضة اللجنة الحكومية الداخلية التي كانت قد برَأت الوزير، وربط



وجوده في تشكيل الهيئة القانونية. فخسر. لأن أكثرية زملائه في حزب الماباي (حزب العمال الإسرائيلي) «Mapai» وقفوا إلى جانب اللجنة الوزارية، فخرج بن غوريون احتجاجاً على ذلك.

لم يكن مثل هذا التغير للحارس -إذ كان السبب الحقيقي وراء هذا الجدل هو رغبة محدثي التحرس في السياسة مثل غولدا مائير وأيغال آلون في أن يتقدموا ممكنا في زمن مليء بالمخاطر حقا، وما كانت الدولة لتعهد بقيادتها لرجل يحل محل مؤسسها، هو ذلك التكنوقراطي العجوز ليفي إشكول (Levi Eshkol).

لا تشابه بين الاثنين، بن غوريون وليفي إشكول. إذ كان إشكول بلا لون سياسي ولا خبرة له، فقد كان وزيراً للزراعة وللمالية يعرف الكثير عن الزراعة والمال ولكنه لا يعرف إلا القليل في شؤون الدولة. لم يتوقع السياسيون بقاءه في الحكم طويلاً إلا قلة منهم. مفترضين أن بن غوريون لا بد وأنه عائد إلى الحكم يوماً ما. حتى إن إشكول نفسه وصف منصبه «كرئيس وزراء بالوكالة». ولكن عندما وصل الأمر إلى علاقات إسرائيل مع العالم العربي تطابق منظورهما تماماً. إذ كان إشكول، أيضاً، يعتقد أن العرب يريدون الحرب وأن إسرائيل كانت ذات مرّة لا تقهر عسكرياً ومعرضة للموت. مُشَبّهاً إياها بشمشون الجبار (بالعبرية اليديشية Shimshon dor nebech dikker)، وبالانكليزية (Samson the nerd). وهكذا، في غضون شهر واحد في العام ١٩٦٣، قال رئيس الوزراء الجديد لوحدة محمولة جواً من جيش الدفاع الإسرائيلي: «ربما يأتي الوقت الذي يحدد فيه المظليون حدود إسرائيل. إذ ينبغي ألاّ ننخدع جيراننا بأن ضعفنا يمنعنا من إراقة الدم». ويستدير إلى الكلية الحربية محذراً: «الخطر الذي نواجهه هو الدمار الكامل».

وصف البيئة وتحليلها

من المفارقات أن تكون إسرائيل مدينة بنجاحها إلى حدّ ما إلى العرب، إلى عدائهم الذي غلّف مجتمعا كان خياليا لولا هذا العداء. ومع ذلك وحّد هذا العداء نفسه العرب بطرق عدّة كان زعماؤهم تواقين إلى تسخيرها. فالوحدة المقترحة بين

مصر وسوريا والعراق عرضت على أنها تحالف ضد إسرائيل لأنه، برغم تقاربهم أيدولوجيا، لا توجد قضية أخرى يتفقون عليها.

فقد صورت مصر تدخلها في اليمن على أنه «خطوة على طريق التخلص من الصهيونية»، في حين أن حلف الطائف (Taif) السعودي -الأردني الذي عارض ذلك التدخل، وصف نفسه بأنه «جبهة ضد العدوان اليهودي». (٣٤)

بيد أن فلسطين كانت تياراً يجُذَبُ في اتجاهات متعارضة يوحّد العرب ويفرّقهم حسبما يوجهه قادة العالم العربي ضد منافسيهم.

فمع ولادة الوحدة الثلاثية ميتة، على سبيل المثال، وجَّه دكتاتور سوريا أمين الحافظ إلى عبد الناصر تهمة التعاون مع إسرائيل وبيع فلسطين لقاء إردبات قليلة من القمح. ورد عبد الناصر باتهام سورية «بطعن مصر في الظهر» ومحاولة جر العرب إلى الحرب قبل أن يتوحدوا. كما أن وصفي التل رئيس وزراء الأردن الدائم انضم إلى أعدائه الرئيسيين في دمشق وشجب بقوة عدم شن عبد الناصر حرباً على إسرائيل، وشجب رغبته في الاختباء وراء قوات الطوارئ الدولية. (٣٥) إن استمرار مشكلة مليون لاجئ فلسطيني، إضافة إلى السياسة الخارجية والدفاعية الإسرائيلية الثابتة يؤكد أن الصراع سوف يستمر ليكون عامل توحيد وتفريق في آن واحد.

فبحلول مطلع العام ١٩٦٤ بدا التيار وكأنه يسير في اتجاه التعاون بعيداً عن الانقسامات. والذريعة كانت خطط إسرائيل في شق قناة لجر مياه الجليل إلى النقب. إذ كان العرب يخشون أن إرواء النقب سيجعلها صالحة لاستيعاب ثلاثة ملايين مهاجر يهودي وتعزيز قبضة إسرائيل على فلسطين. سوف يفيد السوريون من ذلك الخوف في منافستهم لعبد الناصر. فدعوا إلى «حرب شعبية» لتدمير المخطط الصهيوني، أسوة بحرب التحرير الجزائرية المظفرة التي تدين الكثير إلى دعم عبد الناصر.

وألقت السعودية والأردن ثقلهما إلى جانب دمشق فوجدت مصر، أكبر دولة عربية وأقواها، نفسها معزولة فجأة، إذ بدت وكأنها غير راغبة في التصدي لإسرائيل.

لم يكن عبد الناصر راغباً في أن تحبط مناوراته. فرد بفكرة درامية إذ دعا إلى عقد قمة عربية. وأعلن أن «فلسطين فوق كل الاختلافات في الرأي. ومن أجل فلسطين، نحن على استعداد للّقاء مع كل الذين نحتلف معهم». (٣٦)

كان يكمن وراء هذا الكلام المنمق عزوف عبد الناصر عن فتح سوريا المبادرة في الشأن الفلسطيني، وحاجته إلى تفادي خوض حرب لا تستطيع مصر الصمود فيها أو تحقيق النصر. وقد أوضح ذلك في كلمة ألقاها في الاسكندرية قبل انعقاد القمة بأسبوع، قائلاً:

«لا نستطيع استخدام القوة اليوم لأن الظروف لا تسمح لنا بذلك! فاصبروا معنا، فمعركة فلسطين يمكن أن تستمر، ومعركة الأردن تعد جزءاً من معركة فلسطين. إنني أقودكم إلى كارثة إذا ادعيت بأني سأحارب في وقت أنا عاجز عن خوض الحرب. لن أقود بلدي إلى كارثة ولن أقامر بمصيرها». (٣٧)

كانت مسألة تلافي الحرب وحفظ ماء الوجه يعدان حافزاً كافيا لعقد القمة، ومع ذلك كان لدى عبد الناصر حافز أقوى: ألا وهو الحاجة إلى الخروج من اليمن. إذا ازداد عدد القوات في اليمن من فرقة صغيرة في العام ١٩٦٢ إلى أكثر من ٥٠.٠٠٠ الأمر الذي أرهق الاقتصاد الذي كان على حافة الهاوية، ربما ازداد عامر وزمرته ثراء بفضل الحرب، ولكنها كلفت البلاد حوالي ٩.٢ مليار دولار -أي حوالي ٥ ملايين دولار لكل قرية مصرية- بالإضافة إلى آلاف الاصابات البشرية. لكي ينسحب من اليمن، كان لا بد لعبد الناصر من التفاوض مع السعودية وغيرها من الرجعيين الممقوتين لديه، وهو ثمن أصبح عبد الناصر في النهاية راغباً في دفعه.



انعقد في القاهرة في ١٤ يناير (كانون ثاني) من العام ١٩٦٤، أكبر تجمع لزعماء العرب منذ حرب فلسطين. بذل عبد الناصر جهده خلال الأيام الثلاثة التالية لتحقيق أهدافه في السيطرة على الثوريين المنحلة شكيمتهم، واختيار زملاء جدد له من الملوك المحافظين.

ولكن ذلك كلفه كثيراً. إذ وافقت القمة على خطة عربية كلفتها ١٧,٥ مليون دولار لتحويل مجرى الأردن عند منبعيه -نهري بانياس (Banias) والحاصباني (Hatzbani)- وبذلك تنخفض كمية المياه التي تصل إسرائيل انخفاضاً حاداً. ومع افتراض أن إسرائيل لن تقف مكتوفة الأيدي وهي ترى بلدها يجف، فقد أوجد المؤتمر قيادة عربية موحدة (UAC) لحماية مشروع تحويل نهري بانياس والحاصباني وللاستعداد لمواجهة أي عدوان إسرائيلي. وكُلِفتْ القيادة العربية الموحّدة التي خصص لها ميزانية قدرها ٣٤٥ مليون دولار خلال عشر سنوات بتوحيد السلاح العربي، وتقديم عون عسكري للأردن ولبنان وسورية. ووضعت خطط لدعم الدفاع اللبناني بقوات سورية وأردنية وعراقية، ووضع سلاح الجو العراقي المتقدم تحت تصرف القيادة العربية الموحدة. ووضعت شروط لخوض الحرب: السرية والوحدة والاستعداد العسكري الكامل. (٣٨)

وكانت القمة قد حظيت لأول مرَّة في تاريخ الشعوب العربية بموافقة جميع القادة العرب، الأمر الذي عُدَّ نصراً لعبد الناصر. ووضعت القيادة العربية الموحّدة تحت سلطة مصرية مباشرة بقيادة الجنرال علي علي عامر، ورئاسة أركانها بإمرة الجنرال عبد المنعم رياض. وأخذت مصر على عاتقها زمام المبادرة في الكفاح المسلح ضد إسرائيل، ولكن ساعة الحسم قد أرجئت لمدة سنتين ونصف حتى تستكمل القيادة العربية الموحدة استعدادها وتصبح جاهزة للعمل في العام ١٩٦٧. وبفضل حشد العرب جميعاً تحت سيطرة عبد الناصر الحازمة تجسد شعاره القائل «وحدة العمل» وأصبح حقيقة واقعة. (٣٩)

ولكن القمة لم تجد مخرجاً لمصر من مستنقع اليمن ولم تهدئ السوريين: إذ ما إن عاد أمين الحافظ إلى بلده حتى كرر القول: «إن ما نريده هو دفع الشعب العربي إلى دخول المعركة بكل الوسائل..» واتهم مصر ثانية بالاختباء خلف قوات الطوارئ الدولية (٤٠) كانت القيادة العربية الموحدة وسيلة، وما على سورية إلا أن تستغلها. لقد أدى سعي عبد الناصر إلى تحقيق الوحدة العربية وتأجيل الصراع مع إسرائيل إلى خلق إطار للشقاق دون أن يدري، الأمر الذي عَجّل زخم التحرك نحو الحرب.

ظهرت هذه الحقائق لعبد الناصر بالتدريج من خلال قمتين متعاقبتين إحداهما في الاسكندرية في شهر سبتمبر (أيلول) من ذلك العام، والثانية في الدار البيضاء في المغرب في العام التالي. وافقت وفود الدول العربية إلى القمة على إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة أحمد الشقيري وهو محام جريء ومهذار، كان يُعَدُّ عميلاً لعبد الناصر، وعلى تشكيل جيش تحرير فلسطيني ينشر على الحدود مع إسرائيل. أكثر من ذلك زيدت موازنة القيادة العربية الموحَّدة بحوالي ٦٠٠ مليون دولار، ووضعت الخطط «لوضع حد للعدوان الإسرائيلي» في وقت ما قبل حلول العام ١٩٦٧. ووافق الزعماء العرب على عدم التدخل في الشؤون الداخلية لبعضهم البعض، وعلى التركيز على الهدف الأسمى وهو تحرير فلسطين. (٤١)

غير أن التعاون العربي - العربي ظل، مرَّة أخرى، حبراً على ورق. فرفضت الأردن نشر قوات جيش التحرير الفلسطيني على الضفة الغربية، ورفضت إدخال أية قوات سعودية أو عراقية إلى أراضيها. كما أنّ لبنان كانت مشمئزَّة من استضافة قوات أجنبية، ولم تكن العراق راغبة في إعارة طائراتها إلى القيادة العربية الموحدة. ولم ترغب أيَّة جيوش مدرَّبة حسب العقيدة الغربية ومزوَّدة بالسلاح الغربي في توحيد ترساناتها العسكرية بالاستعاضة عن السلاح الغربي بالأسلحة السوفياتية، ولم يرغب أحد في تلقي الأوامر من الجنرالات المصريين. وكان الشقيري محتقراً في جميع أنحاء العالم، ما عدا مصر وكان جيش التحرير الفلسطيني في تقهقر مستمر بسبب عدم التزام الدول العربية بوعودها. (٤٢)

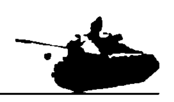


كانت كل هذه الأمور مصدر صراع لعبد الناصر. وتعمقت المشاكل والمتاعب أكثر عندما شرعت سوريا وحدها بتحويل منابع نهر الأردن، في ربيع العام ١٩٦٤ مستغلة تورط مصر في اليمن. وكما كان متوقعاً، لم تقف إسرائيل مكتوفة الأيدي، بل قامت بقصف مدمر للأعمال السورية فدمَّرتها. صرح رئيس أركان الجيش السوري، صلاح جديد، قائلاً: «يشعر كل جندي في جيشنا أن إسرائيل ينبغي أن تمسح من الخارطة» وحث الجماهير العربية على «إشعال شرارة» الحرب مع إسرائيل ودعم جهود سورية للتحرير. (٤٣)

ولامت السعودية ناصر بطريقة ساخرة بأن تورطه في اليمن منعه من تحرير فلسطين. كما تمَّ تجاهل اتفاق السلام بشأن اليمن الذي تم التوصُّل إليه عن طريق تفاوض عبد الناصر والملك فيصل في أغسطس (آب) من العام ١٩٦٥، الأمر الذي دعا عبد الناصر إلى التهديد بغزو السعودية. وظل حوالي ٧٠،٠٠٠ جندي مصري من خيرة الجنود المصريين غارقين في اليمن.

وحاول عبد الناصر، لكي يخرج من المأزق أن يقود حملة مقاطعة لألمانيا بسبب اعترافها بإسرائيل، ولكن المملكة العربية السعودية والمغرب وليبيا وتونس لم تنخرط في هذه الحملة: ثم دعا إلى مقاطعة الرئيس التونسي الحبيب بو رقيبة بسبب قبوله قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة. (٤٤)

سنتان تقريبا من القمة العربية لم تسفرا عن أية فائدة لمصر ولا لأية دولة عربية. إذ لم تنته حرب اليمن، ولم تنته المهاترات العربية العربية. وبدلاً من نشوء جبهة موحدة ضد إسرائيل كانت هناك خطط عدوانية مشتركة تهدف في الغالب إلى إثارة إسرائيل - باختصار برزت كل عيوب الوحدة، ولم يظهر شيء من منافعها. حتى الإنجاز الوحيد المهم، وهو إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية، فقد وصفتها ما لا يقل عن سبع منظمات فدائية - من بينها فتح - بأنها منظمة عاجزة.



مازال الوضع العربي المعقَّد يزداد سوءاً. فقد زادت العلاقات المصرية -الأمريكية توتراً وسوءاً باقتراب نهاية ولاية إدارة الرئيس كيندي، وقطعت نهائيا في عهد خلفه الرئيس لندن بينس جونسون (Lindon Baines Johnson). وأضيفت الهجمات على قاعدة ويلوس (Wheelus) الأمريكية الاستراتيجية في ليبيا، إلى سياسات مصر الثابتة تجاه الحرب في فيتنام والكونغو، وإسرائيل واليمن والملوك الموالين للمغرب- والتي كانت كلها تختلف عن سياسات واشنطن.

أما الشعرة التي قصمت ظهر البعير فقد كانت في نوفمبر (تشرين ثاني) من العام ١٩٦٤، في ما أسماه سفير الولايات المتحدة إلى القاهرة، لوشياس باتل (Lucius Buttle) «سلسلة صغيرة من الرُّعب». أولها قام مشاغبون بمهاجمة السفارة الأمريكية في العاصمة، وأحرقوا مكتبتها، ثم أسقطت القوات المصرية بالصدفة طائرة يمتلكها جون ميكوم (John Mecom)، رجل الأعمال التكساسي والصديق الشخصي للرئيس. وعندما اقترح باتل أن يعتدل سلوك عبد الناصر لتأمين استمرار حصوله على القمح الأمريكي، أعلن الزعيم المصري قائلاً: «يقول السفير الأمريكي إنّ سلوكنا غير مقبول، إننا نقول لهم من لم يعجبه سلوكنا فليشرب من البحر.. ولسوف نقطع ألسنة الذين يسيئون القول فينا.. ولن نقبل سلوك قطاع الطرق رعاة البقر». (٤٥)

وهكذا انتهت المساعدات الأمريكية لمصر بحلول العام ١٩٦٥.

كانت الولايات المتحدة تعمل جاهدة لنسف جهود القاهرة لإعادة جدولة ديونها العالمية، والحصول على رصيد في صندوق النقد الدولي. فقد عُلِّقت شحنات القمح الأمريكي التي كانت تشكل ٦٠٪ من الخبز المصري. واقتنع عبد الناصر أن جونسون يسعى لاغتياله. بيد أن جزءاً كبيراً من خسارة مصر قد عوضتها المساعدات التي قدمها خروتشيف أثناء زيارته إلى القاهرة في مايو (أيار) من العام ١٩٦٤، والتي بدونها ما كان بالإمكان علاج علل البلاد المزمنة: إذ ازداد عدد سكان مصر من ٢٩.٢ مليون نسمة بنسبة ٣.٥٪سنويا، إضافة إلى الفقر (دخل الفرد سنويا حوالي ١٤٠ دولاراً، وتضخم بنسبة ٤٠٪) والسّقم (إذ كان معدل عمر الرجال ٣٥سنة)،

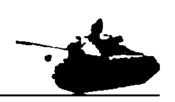
وأمية منتشرة على نطاق كبير (٤٥٪ من الشعب). إضافة إلى سحق المنشقين والمعارضين بصورة وحشية، والتأميم العشوائي للمتلكات، والبيروقراطية الخانقة: هكذا كان الحال في مصر -الدولة البوليسية- في ستينيات القرن العشرين. حتى السد العالي في أسوان، أعظم رمز للناصرية، تبين أنه ساهم بنشر مرض البلهارسيا (bilharesia) في جمع أنحاء البلاد. (٤٦)

لم تكن هذه الصورة المحبطة هي صورة مصر وحدها. إذ كان تزايد السكان المفرط، وتضاؤل فرص العمل، ومستويات الرعاية الصحية والتربوية المتدنية، كلها أمراض متفشية في العالم العربي. (٤٧) وبوصف المجتمع العربي مجتمعاً أبوياً تكلله أنظمة دكتاتورية شمولية، لم يكن ناضجاً مؤهلاً للتقدم. حتى إن الهدف الأساسي من الوحدة -معاقبة الغرب المتغطرس والدولة اليهودية البغيضة التي فرضها الغرب عليهم- قد غاب عن نواظر العرب.

لقد دفع الإحباط وخيبة الأمل المغيرين من فتح إلى عبور الحدود إلى إسرائيل في الليلة الأولى من العام ١٩٦٥. لقد كان لذلك العمل، رغم أنه أجهض، تأثيراً انتشر في جميع أنحاء المنطقة العربية -لم يكن ذلك ملحوظاً بادئ الأمر، ولكنه كان تكتوينا (قوة أدت إلى ظهور أمور كثيرة). منها أن الصراع العربي الإسرائيلي الذي كان كامناً معطلاً خلال الحرب الباردة العربية - العربية، قد ظهر على السطح الآن مع الرغبة في الانتقام وبهذا اكتمل السياق أو المناخ لنشوب حرب.

خارج الثلاجة

على الرغم من هذه الاخفاقات التي بدت للعرب والإسرائيليين والقمتين العربيتين في العام ١٩٦٤-١٩٦٥، فإنها لم تكن سوى بؤر بركانية تجسد رغبة الجيران في اجتثاث الإخفاقات وإسرائيل. فالمخابرات التابعة لجيش الدفاع الإسرائيلي التي نفت سابقاً إمكانية خوض العرب حرباً من أجل الحياة، قد غيرت نغمتها الآن. إذ صرح أحد المسؤولين في مخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي في تقديره لتلك المرحلة قائلاً: «كانت هذه الرغبة دائماً نظرية مجردة -حتى الآن- إذ علمنا لأول مرَّة بوجود خطة ذات مراحل واضحة، مع تحديد ساعة الحسم. وهكذا



كنا في العام ١٩٦٧-١٩٦٨ عرضة لمواجهة مبادرة عربية جديدة. وربما يكون التعبير عنها بالقيام بمحاولة أخرى لتحويل منابع نهر الأردن، وتشجيع هجمات الفدائيين، وحوادث حدود، وإغلاق مضائق تيران» وحذر أحد عناصر مخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي قائلاً: «إن إسرائيل في محاولتها لاستعادة قوتها الرادعة ستقوم بتوجيه ضربة على أكثر من جبهة في وقت واحد، وبذلك رغم إرادتها، ستمكّن العرب من القيام بهجوم مضاد شامل». (٤٨)

كان السير نحو الحرب، من وجهة النظر الإسرائيلية، قد بدأ بالأعمال العربية على أرض الواقع. فعلى الحدود الشمالية شرع السوريون من طرف واحد بتحويل منابع الأردن في نوفمبر (تشرين ثاني) من العام ١٩٦٤ (انظر خارطه حملة الجولان)، لمنع إسرائيل من فلاحة المناطق المنزوعة السلاح، التي حُددت بموجب اتفاقيات الهدنة، في مناطق أجلى الجيش السوري إسرائيل عنها. تنقسم هذه المناطق إلى ثلاثة قطاعات رئيسة تبلغ مساحتها حوالي ٥,٦٦ ميلاً مربعاً، تحتوي على أرخبيلات ذات أشكال غير منتظمة -لكل منها اسمه الخاص مثل: ليغيوم (أرض البقوليات) وأنف ديغول- كانت إسرائيل قد ادعت سيادة كاملة عليها. فلم يعترف الإسرائيليون بأية سلطة قضائية للجنة الهدنة المشتركة (ومن ضمنها الممثلون السوريون) على المناطق المنزوعة السلاح، فصرحوا لتأكيد هذا الادعاء أن هذه المناطق محرَّمة على المزراعين السوريين.

ولكن السوريين المعارضين لمحاولات إسرئيل السيطرة على هذه الأراضي كانوا يطلقون النار من مواقعهم المشرفة في هضبة الجولان، على أي جرار يحرث الأرض.

في المركز السطحي لهذه التواترات يقع بحر الجليل (بحيرة طبريا) نفسه الذي يقع بكامله تحت السيادة الإسرائيلية الهزيلة. فهناك شريط بعرض عشرة أمتار على طول الضفة الشمالية الشرقية للبحيرة يَخُصُّ إسرائيل، ولكنه يقع تحت مرمى المدفعية السورية، وبالتالي كان من المستحيل الدفاع عنه. وكان القناصة السوريون



يطلقون النار باستمرار على قوارب صيد السمك الإسرائيلية في حين كانت الدوريات الإسرائيلية تخترق منطقة منزوعة السلاح بعرض ٢٥٠ متراً ممتدة من الشاطئ الشرقي إلى داخل البحيرة.

كانت قضيتا الأرض والماء متشابكتين في العقل الإسرائيلي. إذ كان الإسرائيليون يحاولون منع السوريين من تحويل منبعي الأردن عن طريق تأكيد سيادتهم على المناطق المنزوعة السلاح. قال إشكول لحكومته: «بدون السيطرة على مصادر المياه لا يمكن تحقيق الحلم الصهيوني. فالماء هو أساس الوجود اليهودي في أرض إسرائيل».

ومن الناحية التكتيكية كانت إسرائيل تستغل حوادث المنطقة المنزوعة السلاح كذريعة لقصف مشروع تحويل منبعي الأردن.

تمكنت الدبابات الإسرائيلية من إصابة البلدوزرات السورية على عمق أميال وراء الحدود. ولكن السوريين صعّدوا من مطالبهم فيما بعد.

تعرضت دورية إسرائيلية لنيران سورية في شمال دان (Dan) في ١٣ نوفمبر (تشرين ثاني). فردت المدرعات الإسرائيلية التي كانت مموهة قرب المنطقة على النيران السورية. فقامت المدفعية السورية في هضبة الجولان بقصف المستوطنات الإسرائيلية في وادي الحوله (Hula Valley) بوابل من القذائف. ولكون مدفعية العدو خارج نطاق مدى مدفعية إسرائيل، فكان من الواضح أن تقوم الطائرات بقصف مرابض المدفعية السورية. ولكن إشكول تردد في ذلك خشية نشوب حرب وتعريض محاولات إسرائيل لشراء طائرات أمريكية للخطر: فطرح السؤال التالي على إسحق رابين (Yitshak Rabin) الذي كان رئيساً للأركان حينذاك: «هل هي مسألة بضعة ثقوب أخرى في السقف، أم عدم وجود سقف ولا جدران بالمرّة؟».

كان رابين يحبذ ضرب سوريا ضربة حاسمة. وقال موضحاً وجهة نظره: «بفضل انقسام العرب، وعدم وجود احتمال لتدخل السوفيات فإن ضربة انتقامية لسورية لن تؤدي إلى نشوب حرب. إضافة إلى أن انشغال الولايات المتحدة بقصف فيتنام

الشمالية، فإنها لن توجه ضربة مماثلة ضد سوريا. فاقتنع إشكول وقبل بتعليل رابين: وهكذا أقلعت طائرات سلاح الجو الإسرائيلي (IAE). (٤٤)

أسفرت المعركة التي دامت ثلاث ساعات عن مقتل أربعة جنود إسرائيليين وجرح تسعة: أما المستوطنات فقد تضررت كثيراً. وكانت الخسائر السورية كذلك كبيرة - فقد أصيبت دبابتان على الأقل وعدة أليات أرضية متحركة- بيد أن جرحهم العميق كان حرجاً نفسياً. إذ لم تكن القوة الجوية السورية بمستوى القوة الجوية الإسرائيلية.

وعلى الرغم من إمكانية استمرار أشغال تحويل منبعي نهر الأردن خلال ربيع العام ١٩٦٥ على بعد خمسة أميال خارج نطاق مدى المدفعية الإسرائيلية، فإنه لم يعد بالإمكان مواصلة هذه الأشغال طالما أن إسرائيل سيطرت على الجو. فكان جواب سورية شراء حوالي ستين من الطائرات السوفياتية من طراز ميغ S21 (Mig-21s) السريعة، في حين شرعت بمحاولة جديدة أقل خطورة.

لقد أثبتت الغارات الفدائية الفلسطينية التي استخدمت في مصر في خمسينيات القرن العشرين أنها وسيلة ناجحة لجرح الإسرائيليين، وفي الوقت نفسه تحرز نقاطاً إيجابية لدى الرأي العام العربي. إذ كان تمويل هذه العمليات غير باهظ، ولدى مواجهة الحكومة بالتواطؤ مع الفدائيين تستطيع الحكومة إنكار ذلك خصوصاً إذا انطلقت العمليات من بلدان مجاورة. فلم تكن هناك أية صعوبة في وجه تجنيد المقاتلين من المنظمات الفلسطينية التي كانت تمقت الشقيري ومنظمته العاطلة عن العمل. فالتقت مصالح هذه المجموعات الرافضة مع مصالح سورية في إثارة التوتر مع إسرائيل. فعلى مدار العام ١٩٦٥ قامت العاصفة (al-Asifa) الجناح العسكري لحركة فتح - التي تتلقى دعماً من سورية بتنفيذ ٣٥ هجوماً وفق الحسابات الإسرائيلية، ١١٠ عمليات وفق الحسابات الفلسطينية.

أربكت هذه العمليات عبد الناصر، مرّة أخرى، بتحدي قيادته لفلسطين، وبتجديد خطر قيام إسرائيل بالرد على هذه العمليات. الأمر الذي سوف يضطر مصر الملتزمة بالقيادة العربية الموحدة إلى الرد عليها - أي بعبارة أخرى، شن حرب ضد

إسرائيل. جاء العمل الفدائي في أسوأ وقت ممكن، حيث كان الجيش المصري غارقاً في اليمن، واقتصاد مصر في هبوط. وأنشأت المملكة العربية السعودية والأردن وإيران جامعة إسلامية بهدف الحد من نفوذ عبد الناصر. فألغى عبد الناصر مشاركته في مؤتمر القمة العربية المقبلة التي كان من المتوقّع عقدها في الجزائر احتجاجاً على هذه الجامعة التي اعتبرها مؤامرة مشتركة بين الولايات المتحدة الأمريكية والإخوان المسلمين. وقال موضحاً موقفه: «بإمكاننا إنهاء إسرائيل في اثني عشر يوماً لو شكل العرب جبهة موحدة. ولا يمكن مهاجمة إسرائيل إلا من.. سوريا والأردن..» ثم أعلن «أنه سوف يحرر فلسطين بأسلوب ثوري تقليدي» وألقى القبض بهدوء على جميع نشطاء فتح في مصر وغزة. (٥٠)

لم يكن عبد الناصر القائد العربي الوحيد الذي يهدده الإرهاب برعاية سوريا. بل سرعان ما أصبح ملك الأردن مهدداً كذلك. فبعد نجاحه في مقاومة خطط القيادة العربية الموحدة لنشر قوات سعودية وعراقية في أرض المملكة الأردنية الهاشمية، إدراكاً منه بأن إسرائيل سوف تتخذ ذلك ذريعة لاحتلال الضفة الغربية. فقد أصبح الآن يواجه موقفاً مماثلاً نتيجة لغارات فتح. إذ كان ينطلق أكثر من نصفها من الضفة الغربية حيث كان الملك حسين يقاوم نفوذ الشقيري الذي اضطر لتشكيل مجموعاته الفدائية لمنافسة فتح. قطع الملك الأردني شوطاً بعيداً لتجميد هذه الأنشطة، ولكنه كان يعرف أن هناك حدوداً لكبح المقاومة الفلسطينية المشروعة، وأن هناك حدوداً لضبط النفس الإسرائيلي. (٥١)

لقد أخبره الإسرائيليون بذلك. إذ كان الملك حسين منذ العام ١٩٦٠ عندما هنأه بن غوريون على نجاته من هجوم بالقنابل رتبته مصر قائلاً: «سوف نستمر يا جلالة الملك في تحدي جميع محاولات نسف القانون والنظام بشجاعة ونجاح»، على اتصال مع ممثلين إسرائيليين من حين إلى حين. كما أحبطت المخابرات الإسرائيلية (Mossad) محاولة أخرى لاغتيال الملك حسين بعد سنتين، كان لمصر ضلع فيها. تابع الملك حسين كجده من قبله هذه المحادثات مع الإسرائيليين بحذر وسرية تامة

في لندن. وعلى الرغم من أنه لم يستجب لجهود إشكول لعقد معاهدة سلام كامل، ورغم عدم ميله للخروج عن الإجماع العربي، فإنه كان منفتحاً باتجاه بعض المعايير العملية، كالتعاون الهادئ على المشاركة في مياه الأردن.

ساعدت الاتصالات على استرضاء الإسرائيليين -والأمريكان شركائهم- أثناء فترة القمم العربية عندما نافست الدعاية الأردنية المناهضة للصهيونية الدعاية السورية بسهولة. إلاّ أن الدعاية شيء والإرهاب شيء آخر، فأنذر الإسرائيليوّن الملك حسين بضرورة وقف الإرهاب (٥٢) فلم يتوقف، وفي مايو (آيار) من العام ١٩٦٥ بعد مقتل ستة إسرائيليين، ردت قوات الدفاع الإسرائيلية الضربة.

شنت إسرائيل ثلاث غارات انتقامية، على قلقيلية (Qalgilya) والشونة (shuna) وجنين (Jenin) في الضفة الغربية. كانت هجمات ضيقة النطاق بمعايير جيش الدفاع الإسرائيلي، موجهة على المنشآت المائية ومعمل الجليد، ومطحنة الحبوب. ومع ذلك زودت الشقيري بالذخيرة البلاغية التي يحتاجها لمعاقبة حكم الهاشميين «الاستعماري» والمطالبة بإسقاطه كخطوة أولى نحو تحرير فلسطين. فأقسم الحسين «أن يقطع أية يد ترتفع ضد هذا البلد المناضل وأن يفقأ كل عين تنظر إليه بكراهية» واعتقل ٢٠٠ عنصر مخرِّب في الأردن وأغلق مكتب منظمة التحرير الفلسطينية. وأعلن أن «غاية منظمة التحرير الفلسطينية هي تدمير الأردن وكل ما بناه وأنجزه خلال هذه السنين الطويلة لأمتنا ولفلسطين».

وكتب الملك إلى عبد الناصر، ولكن عبد الناصر لم يتعاطف معه، إذ لم يكن راغباً في الدفاع عن ملك رجعي ضد المقاتلين الفلسطينين من أجل الحرية. أما السوريون فقد أدانوا الملك حسين وعبد الناصر كليهما - أدانوا عبد الناصر لفشله في التقدم لإنقاذ الفلسطينين بطرد قوات الطوارئ الدولية، وخوض «الجولة الثالثة» من الحرب ضد إسرائيل (٥٣). وهكذا فقد أثمرت استراتيجية فتح: بفضل إثارة إسرائيل للرد على الدول العربية، وأصبح العرب يهمز بعضهم بعضاً بالتدريج لخوض حرب أخرى.



كان الإسرائيليون يراقبون هذه العملية بشعور متزايد من اليأس - رغم انتصاراتهم المؤثرة في الشمال. فكان إشكول مثلاً يشك في أن العرب سوف ينتظرون العام ١٩٦٧ لكي يضربوا إسرائيل. واحتج ذات مرَّة على تقييم مخابراتي متفائل قائلاً: «حسناً، حسناً، ولكن ماذا لو كانت المخابرات مخطئة؟».

وبما أن طيف هجوم يقوم به العرب كلهم على إسرائيل كان يشكل هاجساً لجيش الدفاع الإسرائيلي، لذلك قام بإعداد خطة دفاعية «السندان» شاملة لصد الهجمات على جميع الجبهات ومن ثم أخذ زمام المبادرة والبدء بالهجوم. ولكن تطبيق الخطة سوف يستغرق سنة أخرى، حتى يونيو (حزيران) من العام ١٩٦٦، وهكذا تبقى الدولة حتى ذلك الحين معرضة للخطر. لقد أصيب إشكول بالهلع عندما علم أن ذخيرة المدرعات لا تكفي إلا ثلاثة أيام من القتال، فأمر بمضاعفتها إلى ستة أيام - وأن ثلث سلاح الجو سوف ينخرط بالضرورة في الهجوم على سلاح الجو المصري. ومما أضاف إلى قلقه اعتقال إيلي كوهين (Eli Cohen) المعروف بالاسم المستعار كمال أمين ثابت (Kamal Amin Thabet) عميل الموساد الذي أدخل نفسه في المراتب العليا من المؤسسة العسكرية السورية.

وبإعدامه في مايو (آيار) فقدت إسرائيل مصدر معلومات لا يُعَوَّض حول انتشار القوات السورية في مرتفعات الجولان، وحول دعم سورية السَّخي لفتح. (٥٤)

كان هناك مصدر قلق أكبر للإسرائيليين هو حالة تحالفهم مع فرنسا. إذا أخذ هذا التحالف يفتر بصورة كبيرة منذ خروج بن غوريون من الحكم وتسلم ديغول سدة الرئاسة في فرنسا، ومنذ انتهاء الحرب الجزائرية وتورط بعض الجنرالات الإسرئيليين في محاولات انقلاب ضد ديغول. وعلى الرغم من أن فرنسا زوَّدت إسرائيل باثنتين وسبعين طائرة ميراج ٣ مقاتلة في العام ١٩٦١، فإن الدفعات التالية أرجئت بسبب سعي فرنسا جعل مسألة السويس جزءاً من الماضي، وإعادة بناء الجسور الشرق الأوسطية. وبحلول العام ١٩٦٥، استقبلت باريس الجنرال المصري، عامر كضيف مكرَّم. (٥٥)

كان الجواب على مصادر القلق هذه يكمن، من وجهة نظر إسرائيل، في الولايات المتحدة، وفي رئيسها ذي النزعة الودية الجيدة. فبعد اغتيال كنيدي، قال الرئيس جونسون لأحد الدبلوماسيين الإسرائيليين، «لقد فقدتم صديقاً عظيماً، ولكنكم وجدتم من هو أفضل منه» ظهرت تلك الصداقة في يونيو (حزيران) من العام ١٩٦٤ عندما كان ليفي إشكول أول رئيس وزراء إسرائيلي يستقبل في البيت الأبيض. إذ طمأن الرئيس ضيفه قائلاً: «إن الولايات المتحدة تقف وراء إسرائيل بصراحة وصلابة في جميع الأمور التي تؤثر على مصالحها الأمنية، تماماً كما تقف وراء جنوب شرق آسيا.. سار الاثنان المتماثلان في السن وفي الخلفية الزراعية على ما يرام. فرد عليه إشكول مبديا ذعره قائلاً: «نحن لا نستطيع أن نخسر. فربما يكون هذا آخر موقف لنا في التاريخ، إن لدى الشعب اليهودي ما يعطيه للعالم. وأعتقد أنك لو نظرت إلى تاريخنا وإلى كل الصعاب التي نجونا منها، فلسوف تستنتج أن التاريخ يريدنا أن نستمر. ولا نستيطع البقاء إذا ما عانينا ثانية ما حدث لنا على يد هتلر.. وأعتقد أنك ستفهمنا. (٥٦)

فهم جونسون ومنح إسرائيل مساعدات مدنية بقيمة ٥٢ مليون دولار، أما المساعدات العسكرية فتلك حكاية أخرى. فبيعت مدرعات باتون م-٤٨ (Pattom M-٤٨) إلى إسرائيل بطريقة غير مباشرة من خلال ألمانيا، لقاء صفقة مدرعات مماثلة إلى الأردن - بالإضافة إلى ٤٨ طائرة مقاتلة من طراز سكاي هوك (Sky Hauk) تسلَّم في ديسمبر (كانون أول) من العام ١٩٦٧ . ولكن ألمانيا خضعت للضغوط العربية وأوقفت بيع السلاح لإسرائيل، بينما حصلت مصر على قاذفات بعيدة المدى من الاتحاد السوفياتي، الأمر الذي يعني ضرورة تسلُّم إسرائيل للطائرات الأمريكية على الفور. في حين تضاعفت مبيعات السلاح الأمريكي للشرق الأوسط في عهد إدارة جونسون، من ٤٤.٢ مليون دولار إلى ٩٩.٣ مليون دولار، فإن حصة إسرائيل من هذه المبيعات كانت ضئيلة. فقد ورد في مذكرة مشتركة في فبراير (شباط) من العام ١٩٦٢ «أن نية الولايات المتحدة تجاه



إسرائيل طيبة، وترغب في أن تمتلك سلاحاً رادعاً فعالاً». ولكن جونسون رفض أن تكون الولايات المتحدة المورِّد الأساسي لإسرائيل. (٥٧)

يعد رفض جونسون هذا انعكاساً لعزوف أمريكا التقليدي عن وقوفها كليا مع طرف دون آخر في الصراع العربي - الإسرائيلي، أو أن تقع في شرك سباق التسلح في الشرق الأوسط. وأكثر من ذلك كان جونسون مشغولاً بحرب فيتنام ومعارضتها في الداخل، اللتين كانتا تتصاعدان معاً. (٥٨) فلم تكن الولايات المتحدة قادرة على إلزام نفسها في أية منطقة أخرى من العالم، ولا على مواجهة أخرى مع السوفيات، كما أكد جونسون نفسه. فولد إدراك هذه الحقيقة عزاء بسيطاً لدى إشكول، خصوصاً وأن السوفيات كانوا يزودون الفيتناميين الشماليين والعرب كليهما بالسلاح.

كان لدى رئيس الوزراء الإسرائيلي، مشاكله الداخلية، أيضاً. إذ مازال بن غوريون يترنح بسبب استقالته من منصب رئاسة الوزارة، وتأكد في النهاية أن إشكول لم يكن مجرد بديل مؤقت له. فشكل مع معاونيه بيريز (Peres) ودايان (Dayan) حزبه الخاص المنفصل، رافي (Rafi) [Reshimat Poalei Israel قائمة العمال الإسرائيليين) الذي كان أداؤه ضعيفاً في انتخابات أكتوبر (تشربن أول) للعام ١٩٦٥. ولكن إذا فشل حزب رافي في تسلم السلطة، فإنه نجح في إحداث تآكل في أكثرية حزب ماباي (Mapai) وإرهاق زعيمه، بل سَبَّب له نوبة قلبية. وشفي إشكول ليواجه كساداً اقتصادياً نشأ عن انخفاض مستوى الهجرة وانتهاء التعويضات الألمانية. فارتفعت البطالة بصورة مفاجئة إلى ١٢,٤٪ وانخفض معدل النمو السنوي إلى ١٪. وبدأ الإحساس بالفتور الوطني ينتشر بين الشباب الإسرائيلي بوجه خاص، لأول مرَّة منذ أيام العام ١٩٤٨ الكالحة. (٥٩)

كل ذلك حدث والوضع الأمني يسير من سيئ إلى وضع لا يحتمل. ففي غضون العام ١٩٦٦ سجلت إسرائيل ٩٣ حادثة حدودية - ألغام، إطلاق نار، تخريب - في حين تباهى السوريون بخمسة وسبعين هجوماً فدائياً في شهر واحد خلال فبراير- مارس (شباط وآذار). (٦٠) وفي هذين الشهرين شهدت دمشق حكومة جديدة -عن

طريق العنف- إذ أقام الجنرال جديد (Jadid) وقائد سلاح الطيران حافظ الأسد (Hafez al Assad) نظاماً بعثياً أكثر راديكالية من النظام السابق. كان هذا النظام المؤلف في غالبيته من العلويين، الطائفة الابتداعية المكروهة من الأكثرية السنية، يفتقر إلى الدعم الشعبي ويتملكه الخوف من عبد الناصر. يكمن الدواء الشافي لهذه المشكلات في اصطناع أعداء مثل الرجعية العربية والإمبريالية الغربية، رغم أن كليهما ليسا بأسوء من الصهيونية:

«تعد القضية الفلسطينية محور سياساتنا المحلية والعربية والدولية.. ولا يمكن أن يخوض معركة التحرير سوى القوى العربية التقدمية عن طريق حرب التحرير الشعبية التي أثبتت أنها السبيل الوحيد للانتصار على القوى الرجعية.. وستظل السبيل النهائي لتحرير الوطن العربي بأكمله ولتحقيق وحدته الشعبية الاشتراكية الشاملة». (٦١)

أوصل آخر انقلاب بعثي إلى القمة نهجاً كان قد بدأ في العام ١٩٦٤ عندما حاول الحكام السوريون اكتساب الهيبة لمنافسة مصر والأردن وتغطية عدم الأمن في الداخل، وذلك عن طريق القيام بعمليات قتالية ضد إسرائيل. لقد فشلت هذه الخطة عندما أحبط جيش الدفاع الاسرئيلي محاولة تحويل منبعي الأردن والسيطرة على المناطق المنزوعة السلاح. فالتفتت دمشق عندئذ إلى الغارات الفلسطينية التي كان لها منافع ثلاث: إلحاق الأذى بإسرائيل، وإلحاق الخزي بعبد الناصر، وإضعاف الحسين. لم يكن لاحتمال أن تؤدي هذه الغارات إلى تأكيد تقدير إسرائيل بأن العرب يعدون لخوض حرب ضدها ذا أهمية بالنسبة للسوريين الذين كانوا يرون أنهم لن يخسروا شيئاً بسبب الحرب التي ستسفر إما عن هزيمة إسرائيل أو هزيمة منافستيهما: مصر والأردن. فلن يصيب سوريا أي أذى التي يحميها تحالفها الراسخ مع الاتحاد السوفياتي.

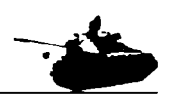
لقد استثمر السوفيات، في واقع الأمر أموالاً طائلة في الشرق الأوسط - حوالي ٢ بليار دولار كمساعدات عسكرية فقط ١٧٠٠ دبابة، و٢٤٠٠ قطعة مدفعية، و ٥٠٠ طائرة، ١٤٠٠ مستشارا ـ منذ العام ١٩٥٦، كانت حصة مصر منها حوالي ٤٣٪. ففي



المفهوم السوفياتي كان عبد الناصر «الثوري الديمقراطي اللارأسمالي» أملاً لهزيمة الغرب في أعقاب أزمة الصواريخ الكوبية. لن يخيب أمل موسكو. فعندما نشبت الحرب في جنوب شرق آسيا جرى التفاف على حلف الناتو من الجنوب وتهدد مصدرهم النفطي من قبل الأنظمة العربية الموالية للسوفيات. وهكذا منح عبد الناصر وعبد الحكيم عامر لقب بطلي الاتحاد السوفياتي في العام ١٩٦٤، وهي جائزة لم يحظ بها أجنبي من قبل.

كان هذا السخاء السوفياتي في المنطقة يعد مصدر شقاق. إذ لم يتفق قادة الحزب والجيش في تقييمهم للصفات العربية كجنود وانفتاح على الأفكار الماركسية. حتى إن بعض المراقبين يربطون خروج خروتشيف من السلطة في أكتوبر (تشرين أول) من العام ١٩٦٤ بخيبة الأمل الناجمة عن فرط كرمه تجاه مصر. ومع ذلك لم يكن الذين حلوا محله، وهم الثلاثي: رئيس الوزراء أليكسي كوسيجن (Alexei Kos-ygin)، والرئيس نيكولاي بودغورني (Nikolai podgorny) والأمين العام للحزب الشيوعي لـ.أ بريجنيف (Brezhnev. T. L) بأقل عطاء من سلفهم. إذ قالوا للمشير عبد الحكيم عامر أثناء زيارته لموسكو بدعوة من القيادة السوفياتية: «سنعطيكم كل شيء حتى الأسلحة السرية» فرد عليهم قائلاً: «ولسوف نحفظ تلك الأسرار». (٦٢)

بلغ الكرم السوفياتي درجة لم يسبقهم إليها أحد من قبل في أعقاب ثورة البعث في سوريا. وخلافاً لما هو الحال في مصر حيث كان الحزب الشيوعي محظوراً غير شرعي، والعلاقات مع السوفيات بسبب ذلك كانت معقدة، فإن النظام الجديد في سورية تضمن لأول مرَّة الشيوعيين السوريين. فانهالت المساعدات على سورية - فقد بلغت في العام ١٩٦٦ وحده ٤٢٨ مليون دولار - فتجددت البنية التحتية لسوريا، ومُوِّل مشروع إنشاء سد الفرات الذي كلف أكثر من السد العالي في أسوان. وأصبحت اللغة الروسية تدرس في المدارس كلغة ثانية. ومع ذلك قامت العلاقات السورية السوفياتية على أكثر من الأساس الايديولوجي. إذ إن سياسة العالم الثالث، التي كانت تعد نجاحاً باهراً للسوفيات، قد أخذت تعاني من انتكاسات خطيرة لدى



الإحاطة بسو كارنو (Sukarno) في إندونيسيا ونكروما (Nkruma) في غانا (Ghana)، وانتشار النفوذ الصيني في آسيا وإفريقيا. فكانت سوريا هي التعويض عن هذه النكسات. (٦٣)

بدت موسكو ودمشق متفقتين تماماً في كل القضايا الهامة، فيما عدا القضية الفلسطينية. فبالرغم من طعن السوفيات للصهيونية وإدانتهم القاسية لإسرائيل، فإنهم دائماً يعترضون على استخدام العنف. إذ لم تكن إثارة الحرب في الشرق الأوسط المحاذي لحدود السوفيات الجنوبية، ضد الأسطول السادس الأمريكي الموجود في شرقي البحر المتوسط قريباً من الاتحاد السوفياتي من ضمن اهتمامات القادة السوفيات. فقد عارض زعماء الكرملين (Kremlin) محاولات سورية تحويل منبعي الأردن، وطرحوا بدلاً من ذلك إجراء محادثات سلام على أساس خطة التقسيم. ولكن هذا الموقف أخذ يضعف رويداً رويداً بحلول منتصف العام ١٩٦٦. فقد صدر بيان مشترك سوري- سوفياتي إثر قيام وفد سوري على مستوى عال بزيارة موسكو، وصفت إسرائيل فيه بأنها «ترسانة عسكرية وقاعدة للعدوان والابتزاز ضد.. الشعب العربي»، ووعد الوفد السوري بدعم كامل سوفياتي للعرب «في قضيتهم العادلة ضد الصهيونية الاستعمارية». (٦٤)

ربما يكون هذا التحول في السياسة السوفياتية قد نشأ عن صراعات داخلية - فالمارشال أندرية أنتونوفيتش غريشكو (Andrei Antonovich Grechko) نائب وزير الدفاع، كان يلعب لعبة السلطة بدعم من بريجنيف، فكان بحاجة إلى استعراض عضلات - أو من رغبة في استغلال انغماس أمريكا في فيتنام. فكانت النتيجة، على أية حال، حتمية في ذلك الربيع عندما وسعت سورية المحصنة دعمها للهجمات الفدائية ضد إسرائيل. فقد خاطب الدكتور نور الدين الأتاسي، الرئيس السوري الصوري، الجنود السوريين الموجودين على خط الجبهة مع إسرائيل قائلاً: «إننا نريدها حرب تحرير شعبية بكل ما في الكلمة



من معنى لتدمير القاعدة الصهيونية في فلسطين. لقد حان الوقت لاستخدام هذه الأسلحة للغرض الذي صنعت من أجله». (٦٥)

كان من المتوقع من إسرائيل التي تم تحديها هكذا أن ترد مباشرة على سوريا. فلدى إسرائيل المقدرة العسكرية، بالتأكيد، والدعم الأمريكي الضمني. ولكن خطر إشعال مواجهة أوسع تلعبها سورية وتثير السوفيات كان يطغى على هذه الميزات. إذ كان إشكول كغيره من أبناء جيله الأوربيين الشرقيين يعرف الروس ويخشاهم. لذلك كانت الحرب مع سوريا مجازفة كبيرة وربما تكون انتحارية بفضل دعم الاتحاد السوفياتي. (٦٦)

ظهر عدم استقرار العلاقات السوفياتية - الإسرائيلية جليا في ٢٥ مايو (آيار) من العام ١٩٦٦ عندما أخبر وزير خارجية الاتحاد السوفياتي السفير الإسرائيلي، كاتريل كاتز (Katriel Katz) بخطة صهيونية لغزو سورية قائلاً: «إن جيش الدفاع الإسرائيلي، وأسلحة الامبريالية والاستعمارية السرية في الشرق الأدنى تحتشد على الحدود الشمالية».

إن إنكار كاتز وإشكول العميق الذي أبلغاه إلى سفير الاتحاد السوفياتي في تل أبيب، شوفا خين (chuva Khin) وتأكيدات إسرائيل باحترام وحدة الأراضي السورية وسلامتها، لم تثن السوفيات عن رأيهم هذا. لقد ظهرت هذه الأزمة في وكالة الأنباء السوفياتية، تاس (Tass) بعد يومين، فأخذت تطبل وتزمّر قائلة: «لقد آن آوان الكشف.. كبرهان على تضامن السوفيات مع البلدان العربية في نضالها ضد.. القوى الأجنبية والرجعية المحلية». بيد أن إسرائيل قد أخذت الرسالة مأخذ الجد فغدت عصبية المزاج بشأن استفزاز السوريين، حتى ولو بطلعات استطلاعية للطيران الإسرائيلي فوق الأراضي السورية. (٦٧)

ظلت الضفة الغربية هي الهدف الدائم الوحيد لإسرائيل. إذ نفذ جيش الدفاع الإسرائيلي ضربتين هناك في منطقة الخليل -حيث قتل ثمانية مدنيين- وجرى تبادل إطلاق النار مع الفيلق العربي الأردني.

ربما أدت هذه العمليات إلى تلطيف انتقادات إشكول ولكنها لم تردع دمشق. استمر القصف المدفعي، ومن المدرعات على طول الحدود عندما استأنف السوريون أعمال التحويل خارج نطاق المدى الإسرائيلي وكثفوا قصفهم للمستوطنات الإسرائيلية، ومرَّة أخرى، لم يجد رابين بُداً من استدعاء سلاح الجو الاسرئيلي للقيام بغارات في ٧ يوليو (تموز) فأسقط طائرة ميغ سورية.

لم يتأخر الرد السوري. فعندما جنح قارب دورية إسرائيلي على شاطئ بحيرة طبريا الشرقي في المنطقة المنزوعة في ١٥/ أغسطس (آب)، أرسلت سوريا طائراتها لضرب القارب. كان الغرض من هذا الهجوم «إثبات عدم صحة تفوق سلاح الجو الإسرائيلي» كما قال حافظ الأسد: أصيبت طائرتا ميغ وهوتا مشتعلتين. ولكن رجال المدفعية السورية منعوا قوات الدفاع الإسرائيلية من إنقاذ القارب الذي تَمَّ إنقاذه بصعوبة فائقة أثناء الليل. (٦٨)

ومع ذلك استمرت الغارات الفسطينية التي أصبحت تعزى الآن إلى حوالي ٢٦ مجموعة فدائية تحمل أسماء مثل «شباب الثأر» و«أبطال العودة» (Youths of Revenge and Heroes of Return). لقد انصب جام غضب إسرائيل، ثانية، على الأردن حيث قام مظليون من جيش الدفاع الإسرائيلي بنسف ٢٨ منزلاً في قرية رافات (Rafat) شمال الضفة الغربية وقتلوا أحد عشر مدنيا. لم يشف هذا العمل الانتقامي غليل رابين، على أية حال. فحذر من مخاطر إضعاف الملك حسين، وأصر على ضرورة ضرب مصدر الإرهاب -سوريا- ضربة شبيهة بحملة سيناء. وسوف يكون التوقيت مثاليا طالما أن المصريين مشغولين في اليمن. والعالم العربي منقسم على بعضه. قال رابين لمجلة الجيش الإسرائيلي، باماهان (Bamahane) في ٩ سبتمبر (أيلول): «ينبغي أن يوجه الرد على الأعمال السورية، سواء كانت إرهاباً، أو تحويلاً، أو عدواناً على الحدود، إلى مرتكبي الإرهاب والنظام الذي يدعمه. إذا إن المشكلة مع سوريا، أساساً، هي الصدام مع القيادة».

أغضبت هذه الملاحظات إشكول الذي كان يخشى أن يؤدي مثل هذا الهجوم إلى إقحام السوفيات وتوحيد العرب كلهم في حرب ضد إسرائيل. فحذر قائلاً: «سوف تقصف المدن، بما فيها مفاعل ديمونة».

ولام رابين بقسوة قائلاً: «ينبغي ألا تتدخل إسرائيل في الشؤون الداخلية لسورية. بدلاً من مهاجمة سورية، مباشرة اقترح رئيس الوزراء طريقاً غير مباشرة عن طريق تحديد خدمة العلم الإجبارية ستة شهور، وإدانة الجرائم السورية في مجلس الأمن. فبدلاً من أن تعزز زيادة مدة الخدمة الاجبارية المعنويات العامة، أسفرت عن انهيار هذه المعنويات، إضافة إلى أن محاولات إدانة سورية في مجلس الأمن كان يحبطها الاتحاد السوفياتي باستخدام الفيتو».

أما في دمشق فكانت لهجة رئيس الوزراء، يوسف زعيّن عدوانية تماماً، إذ صرح قائلاً: «لم نأت لنكبح الثورة الفلسطينية.. بل سوف نشعل المنطقة ناراً وأي حركة تقوم بها إسرائيل ستؤدي إلى قبرها». (٦٩)

كانت الأحداث تتصاعد، ليس فقط فيما يتعلق بإسرائيل؛ بل مصر كذلك كانت تنظر برعب إلى الحملة السورية لجر المنطقة إلى الحرب. وقد ذكر تقرير وزارة الخارجية الأمريكية الذي رفع إلى الرئيس جونسون (٧٠) يقيم الوضع في المنطقة «أنّ عبد الناصر ربما يشجب إسرائيل بعنف أو ينفجر ضدها، ولكننا لا نرى أي احتمال لقيام عبد الناصر بشن هجوم على إسرائيل، أو القيام بعمل يستفزها في المستقبل المنظور».

لقد اشتركت إسرائيل ومصر في كبح جماح السوريين، رغم أن مثل هذا التعاون يبدو مستحيلاً.

وافق عبد الناصر، اعترافاً منه بهذا التقارب، على تجديد الاتصالات السرية بين مصر وإسرائيل للمرّة الأولى بعد أزمة السويس. جرت الاتصالات عبر رئيس الموساد مئير أميت (Meir Amit) والجنرال عزم الدين محمود خليل، رئيس مشاريع

الأسلحة المصرية غير التقليدية، الذي كان يكتب تقاريره مباشرة إلى عبد الناصر وعبد الحكيم عامر.

والتقى الاثنان، بفضل وسيط يعرف فقط باسم ستيف (Steve)، سرًا في باريس وبحثا ترتيبات متطابقة، في واقع الأمر، مع تلك التي طرحت في خمسنيات القرن العشرين: مساعدة إسرائيل مصر في الحصول على مساعدات عالمية مقابل تخفيف حملة الدعاية المعادية لإسرائيل في مصر، وتخفيف الحصار على مرور السفن الإسرائيلية في قناة السويس. وعرض المصريون كذلك إطلاق سراح اليهود المتهمين بالتجسس في العام ١٩٥٤ لقاء تلقي ٣٠ مليون دولار كقرض من إسرائيل. وذهب خليل إلى أبعد من ذلك، إذ وجه دعوة لآميت لزيارة القاهرة في يونيو (حزيران) من العام ١٩٦٦، بيد أن إشكول ألغى الفكرة راغباً عن ضمان سلامة نتائج وجود أعلى مسؤول في قوات الأمن السرية الاسرائيلية مع عبد الناصر. وبعد ذلك أغلق المصريون قناة الاتصال هذه كليا خشية أن يفتضح أمرها بين العرب الراغبين في الانتقاص من قدره. حاول الإسرائيليون إعادة فتح قناة الاتصال هذه ثانية، بعد سنة تماماً، في خضم محنة أكثر ظلاماً من سواها. (٧١)

ربما تساعد الاتصالات السرية على تهدئة الإسرائيليين، أما تهدئة السوريين، فلها مسالك درامية أخرى. اقترح عبد الناصر عقد معاهدة دفاع مشترك مع سوريا، الأمر الذي يعزز مقدرة سوريا على إغراء مصر لخوض صراع، ويمكن مصر، في الوقت ذاته، من الحد من قدرة سورية على المناورة، وهو أهون الشرين. فضلاً عن أن الزعماء السوريين كانوا ميالين لهذه الفكرة، بعد سقوط الطائرات السورية، وذهولهم لاكتشاف محاولة انقلاب بقيادة الرائد سليم حاطوم الدرزي، وبعد حملة التطهير في هيئة الضباط. وبالتالي لن يكون الاتفاق مع أقوى دولة عربية أسوأ سبيل لتدعيم النظام.

بدأت الخطوة الأولى في أواسط اكتوبر (تشرين أول) من العام ١٩٦٦ بقدوم وفد عسكري مصري إلى دمشق، حيث صرح رئيسه الجنرال سعد علي عامر قائلاً: «إننا

واثقون بأننا نسير خطوات واسعة باتجاه تحقيق هدفنا المشترك - ألا وهو الوحدة العربية الكاملة وإزالة إسرائيل». ثم قام زعيّن بزيارة متبادلة إلى القاهرة. وهناك قال عبد الناصر لرئيس الوزراء السوري يوسف زعينّ في الثاني من نوفمبر (تشرين ثاني): بأن ما توصلت إليه إسرائيل من تقدم تكنولوجي، وما تحصل عليه من مساعدات أمريكية يجعلها غير معرضة لخطر هجوم عربي. ومع ذلك، عندما احتج زعين قائلاً، إذن على العرب أن ينتظروا مئة سنة، طمأنه عبد الناصر بقوله: «عليك ألا تنتظر مئة سنة ولا خمسين، بل عليك أن تعلم أنك لا تستطيع تحقيق هدفك إلا بامتلاكك إلى مدفع بعيد المدى». (٧٢)

وُقعت معاهدة دفاع مصرية - سورية بعد يومين، واستعيدت العلاقات الدبلوماسية والعسكرية بين البلدين والتزم كل طرف بنجدة الآخر في حال نشوب معركة. واشترطت الملاحق السرية لهذه المعاهدة أن تهب مصر لمساعدة سورية في حال قيام إسرائيل بهجوم على الجبهة الشمالية وأعلن وزير الخارجية السوري، إبراهيم ماخوس أن «سلاحي الجو المصري والسوري يحلقان الآن في سماء واحدة». وكانت هذه المعاهدة فرصة لقطع التحالف الضمني الذي كان قائماً بين مصر والأردن على قاعدة معارضة سوريا، وشرعت إذاعة سورية وإذاعة صوت العرب القاهرية بهجوم متناغم على الملك حسين والحط من قدره ووصفه بأنه رجعي وعميل للاستعمار والصهيونية وأداة بأيديهما، واعدين إياه بمصير كمصير نوري السعيد رئيس وزراء العراق الذي اغتيل بانقلاب عسكري. (٧٣)

ولكن إذا اعتقد عبد الناصر بأنه يهدئ السوريين بالحديث عن حرب في المستقبل غير البعيد، فإن الأحداث أثبتت خطأه. إذ وقعت سبع غارات فدائية على إسرائيل، خرج معظمها من الأردن، في تعاقب سريع قتل فيها سبعة إسرائيليين وجرح اثنا عشر. قال إشكول للجنرالات الذين كانوا يطالبونه بضرورة الرد مطمئنا إياهم بأن أياً من القتلى لن يُنسى ولسوف ينتقم له قريباً: «دفتر الملاحظات مفتوح واليد تكتب» ولكنه رجا أمريكا أيضاً أن تتدخل لدى سوريا والأردن، مذكراً السفير

الأمريكي ولورث (وإلي) باربر (Walworth (Wally) Barber) قائلاً: «هناك جمهور لابد من أن يحسب حسابه. أريدك أن تعلم أن الوضع ربما يسفر عن صدامات. وربما نضطر أحياناً ألى القيام بعمل بعد التفكير فيه أكثر من مرّة». رفض رئيس الوزراء الاسرائيلي تقييم رئيس المراقبين التابعين للأمم المتحدة، الجنرال النرويجي، أودبول (OddBull) بأن الملك حسين يبذل قصارى جهده في منع التسلل المعادي لإسرائيل.

فبموجب تقارير المخابرات الاسرائيلية، كان الملك يعتقل الإرهابين ثم يطلق سراحهم في اليوم التالي. (٧٤)

في العاشر من نوفمبر (تشرين أول) انفجر لغم سيارة شرطة شبه عسكرية تقوم بالقتل والاغتيال ملحقة بالجيش عند الحدود الاسرائيلية المقابلة لمدينة الجليل في الضفة الغربية. قتل ثلاثة منهم وجرح واحد. فكتب الملك حسين رسالة تعزية إلى إشكول مدركاً ومتحسباً لغضب إسرائيل، أكد فيها التزامه بالحفاظ على أمن إسرائيل. بعث بها إلى السفير الأمريكي في عمان الذي بعث بها بدوره إلى باربر في تل أبيب. كان باربر، طويل القامة، المصاب بمرض الربو، المهيب، الأعزب طيلة حياته، المتعاطف مع إسرائيل تعاطفاً لا يخبو، يُعَدُّ من أكفأ السفراء. ولكنه انزلق الآن. إذ بدلاً من أن يبعث بالرسالة فوراً إلى مكتب رئيس الوزراء، وضعها على مكتبه.

كان ذلك اليوم هو الجمعة، فاعتقد أن الرسالة يمكن أن تنتظر إلى ما بعد عطلة نهاية الأسبوع طالما أنه لا شيء يدعوا إلى السرعة. (٧٥)

ولكن إسرائيل كانت قد قررت توجيه ضربة في عطلة نهاية الأسبوع. لم تكن ضربة محدودة، بل كانت واسعة النطاق، حدثت في وضح النّهار بغطاء جوي. قال رئيس العمليات في جيش الدفاع الاسرئيلي عيزر وايزمن (Ezer Weizman)، مؤكداً «إننا لا نستطيع تنفيذ غارة انتقامية في العام ١٩٦٦ بالطريقة ذاتها التي اتبعت في العام ١٩٥٥». «معللاً بذلك اتساع نطاق هذه الضربة. وافق تبقى كما هي إيبان وزير الخارجية حينذاك والمعروف بالهدوء على هذه الضربة، وكذلك معظم الوزراء. إذ

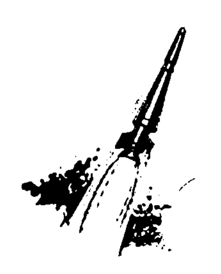


لابد من أن تسترد إسرائيل قدرتها على الردع دون إثارة حرب. ولدى سؤال إشكول عن سبب توجيه الضربة إلى الأردن وليس إلى سوريا أجاب قائلاً: «لقد توصلنا إلى قرار بأن مسؤولية تلك الأعمال لا تقع على الحكومات ذات الصلة فقط، بل على الشعب الذي يوفر مأوى لهذه العصابات». وعبر عن أمله أن لا تقع إصابات بين المدنيين، وألا تحدث صدامات مع الفيلق العربي الأردني. (٧٦)

أثيرت، بعد ذلك، أسئلة عديدة منها: هل كان إشكول سيتخذ القرار نفسه لو تسلم اعتذار الملك حسين في حينه، هل سيتغير مجرى الأحداث لو لم يتأخر باربر هذا التأخر المأساوي في إرسال كتاب الملك؟

هناك أسئلة عديدة يمكن أن تطرح.

بيد أن التطورات التي حدثت في الشهور الستة التالية، لا يمكن أن تنسب إلى شخص بعينه أو حادثة معينة. إذ كانت تنشأ من سياق أو بيئة اكتملت بحلول نهاية العام ١٩٦٦. فالصراع بين البلدان العربية والإسرائيليين، وبين البلدان العربية نفسها، وبين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، - يفاقمه التوتر المحلي في كل بلد- قد خلق جوا شديد القابلية للاشتعال. ففي مثل هذا الجو لا يحتاج إطلاق عملية تصعيد خارجة عن السيطرة، أو سلسلة تفاعلات من الجرأة والجرأة المضادة، أو من المقامرة وسوء الحساب، فكلها تؤدي حتماً إلى نشوب حرب لا رحمة فيها.



المحفزات

من السّموع إلى سيناء

عشر مدرعات، وأربعون نصف مجنزرة، وأربعمئة رجل - أكبر قوة ضاربة إسرائيلية حشدت منذ حرب العام ١٩٥٦- عبرت حدود الضفة الغربية قبيل اليوم الثالث عشر من نوفمبر (تشرين ثاني) من العام ١٩٦٦. غاية العملية معاقبة القرى الفلسطينية في منطقة الجليل التي كانت تساعد فدائيي فتح وتؤويهم. إذ سوف تتوسل تلك القرى إلى الملك حسين ليضغط على فتح، أو هكذا ظن الإسرائيليون. كما أن عرض القوة النارية المفرطة ربما يحدث لدى الأردنيين انطباعاً بمدى الانتقام الذي سيلحق بهم في المستقبل، ويحذر السوريين أيضاً. وكان لا بد للهجوم من أن يكون نظيفاً في المكاسب والمخاسر، مع توقع مقاومة ضئيلة وعدم مواجهة مع الفيلق العربي الأردني الذي ذكرت التقارير أنه غير موجود في المنطقة.

تقدم الرتل الإسرائيلي تحت غطاء مقاتلات سلاح الجو الإسرائيلي إلى رجم المدفع (Rujm al-Madfa) على بعد عشرة أميال إلى الجنوب الغربي من مدينة الخليل، ومسحت مركز الشرطة عن الأرض. أما الهدف الثاني فكان قرية السّموع التي يبلغ عدد سكانها ٥٠٠٠ نسمة وتعتبرها إسرائيل مكاناً رئيساً لتجمع الإرهابيين. واستجاب غالبية أهل القرية لأوامر الجيش الإسرائيلي التي صدرت إليهم بالتجمع في ساحة القرية، ثم تقدم مهندسوا الألغام من لواء المظليين الخامس والثلاثين ونسفوا عدداً كبيراً من البيوت في جميع أنحاء القرية، كل ذلك كان يسير حسب الخطة عندما ذكرت وحدة الاستطلاع في الساعة السابعة والنصف صباحاً: إن جنوداً أردنيين في طريقهم إلى المكان قادمين من الجهة الشمالية الغربية.



كانوا حوالي مئة رجل من لواء مشاة (حطين) بقيادة العميد بهجت المحسن تحملهم قافلة من عشرين عربة. كان العميد المحسن يقود جنوده إلى يطّا، إحدى قرى الخليل، حيث وردت تقارير تشير إلى وجود نشاط معاد هناك بيد أن الطريق الملتوية الوعرة إلى يطًّا تمر من السّمّوع؛ وكان هناك كمين إسرئيلي. فاشتعلت النار في ثلاثة أرباع القافلة؛ قتل ١٥ جندياً وجرح ٥٤. غير أن الأردنيين واجهوا الإسرائيلين وقاتلوهم فجرحوا عشرة مظليين وقتلوا قائد الكتيبة، الكولونيل يوآف شاهام (Yoau Sha ham)، ودوّى في الأجواء هدير طائرات هنتر (Hunter) الأردنية، فتصدى لها الاسرائيليون وأجبروها على العودة بعد إسقاط إحداها.

وهكذا تحولت الضربة التي أريد لها أن تكون سريعة وجراحية إلى معركة ضارية التحم فيها جيشان. (١)

لقد صعق القادة الإسرائيليون، ليس فقط بسبب الخسائر العسكرية. إذ قتل ثلاثة مدنيين من العرب وجرح ٩٦، وعندما أعلن الجيش الإسرائيلي أنه دَمَّر أربعين منزلاً. قَدَّرت الأمم المتحدة عدد الضحايا المدنيين بثلاثة أضعاف العدد الذي ذكرته السلطات الإسرائيلية. وبالتالي طالب الفلسطينيون بإسقاط الملك بدلاً من أن يلتمسوا إليه طالبين الحماية.

فعمت الاضطربات المنطقة: من الخليل إلى القدس إلى نابلس في الشمال ورشق المتظاهرون مكاتب الحكومة بالحجارة وأحرقوا صور الملك وتماثيله. الأمر الذي اضطر جنود الفيلق العربي الأردني إلى إطلاق النار فقتل أربعة فلسطينين وجرح العشرات.

وهكذا انعكس مفعول العملية شريدر (Sherdder)، كما أسماها الإسرائيليون، انعكاساً واضحاً. إذ وجه مجلس الأمن اللوم إلى إسرائيل لخرقها ميثاق الأمم المتحدة واتفاق الهدنة العامة بين إسرائيل والأردن وأنذرها باتخاذ خطوات فعَّالة ضدها.. لضمان عدم تكرار مثل هذه الأعمال. (٢)

إن ما أزعج إسرائيل وسبب لها إشكالات أكثر هو ردة فعل الولايات المتحدة التي لم يسبق لها مثيل في عهد جونسون.

فقد شعر الأمريكيون بالهلع من استهتار إسرائيل الواضح، ومن رغبتها في نسف الزعيم العربي الوحيد الذي تربطها به علاقات حميمة، الزعيم العربي المعتدل الموالي للغرب، والذي يناضل ضد أمواج البحر الراديكالية. وأشارت الولايات المتحدة إلى أن الملك حسين قد وافق على طلب إسرائيل في إبقاء دبابات باتون التي اشتراها حديثاً شرقي النهر بعيداً عن الحدود. أما الآن وقد اشتعلت الضفة الغربية ناراً فإنه سوف يتحلل من هذا التعهد.

سمع إيبان (Eban) أثناء زيارته إلى واشنطن من معاون وزير الخارجية الأمريكي نيكولاس كاتزيذباخ (Nicholas Katzenbach) اللوم التالي: «لقد دفعتم به (الملك حسين) إلى أسوأ وضع، وجعلتم الحياة صعبة جدا بالنسبة إليه. وعليكم الآن أن تتحملوا نتائج ما فعلتم».

وهاجم روبرت دبليو كومر (Robert W."Mad Bob" Komer) العضو الإسرائيلي العجوز في مجلس الأمن القومي إيبان «لفتحه مصدراً جديداً من مصادر الاضطراب في الشرق الأوسط، ونسف عقيدة توازن القوى الأمريكية القائمة على الحفاظ على الوضع القائم في الأردن، وعزلها عن الانسياق وراء مصر أو سورية أو الفلسطينيين». وتساءل كومر: لماذا هاجمت إسرائيل الأردن في حين أن الحكومة الوحيدة التي تناصر الإرهاب وتدعمه هي سوريا، وعندئذ يمكن أن يُفهم تصرفكم ضد سوريا.

أما مستشار الأمن القومي. والت دبليو روستو (Walt W.Rosto) فقد ذهب إلى أبعد من ذلك ملمحاً إلى أن إسرائيل «رغبت، لأسباب ماكيافيلّية، في وجود نظام يساري على الجانب الأيسر من الضفة من أجل استقطاب موقف يكون الروس فيه داعمين للعرب، وتكون الولايات المتحدة داعمة لإسرائيل، وبحيث لا تكون إسرائيل في وضع حرج عندما يقيم أحد أصدقائها من القوى العظمى علاقة صداقة مع بلد عربي». (٣)



إن محاولات إيبان لتوضيح غزوة السمّوع بأنها «رد فعل مفرط» على الإرهاب العربي، أو بأنها «تدريب على الاستخدام المسيطر عليه للقوة المحدودة» الذي أفشله تدخل ظروف لم تكن بالحسبان، لقد فشلت هذه الغزوة في إثارة أي تعاطف لدى الآخرين، حتى ولا رسالة إشكول إلى الرئيس جونسون التي اعترف فيها رئيس الوزارة بارتكاب خطأ. ولكنه طلب من الرئيس الأمريكي أن يقدر حالة إسرائيل ووضعها، قائلاً: «من المهم جداً أن يفهم الأصدقاء بعضهم البعض في ساعاتهم العصيبة، وهذه من الساعات العصيبة التي نعيشها». فلم يرد جونسون على الرسالة.

بل أرسل إلى الملك حسين يعبر فيها عن حزنه للأرواح التي أزهقت دون مسوّغ، وعن دعمه لسلامة الأراضي الأردنية. إن وزارة الخارجية التي فشلت في إيصال رسالة التعزية التي بعثت بها الحسين إلى إشكول، ترفض الآن إيصال تعزية إشكول إلى الحسين. (٤)

ولدى عودة إشكول إلى إسرائيل حاول أن يُجمِلَ الموقف، فقال: إلى سكرتارية حزب الماباي: على العرب أن يفهموا بعد عملية السمّوع أننا نعني «العمل»، مستخدماً الكلمة الإنكليزية (business) وتابع القول: «سوف يعلمون أننا عنينا ما قلناه عندما أقسمنا أننا لن نقبل أن نقتل في هذا البلد، لا بالجملة ولا بالمفرق، وليس بدون رد».

فنهض الجنرالات ليؤكدوا أن الغارة برهنت على هشاشة الفيلق العربي الأردني، وأثبتت أن إسرائيل قد استعادت قدرتها الرادعة وأنها لفتت انتباه العالم إلى مخاطر الإرهاب العربي.

ومع ذلك لم تؤثر هذه العملية في العديد من الإسرائيليين، وزراء وموظفين. ومن بينهم الكولونيل إسرائيل ليور (Israel Lior) المساعد العسكري لإشكول والمراقب الذكي لسياسات النسق الأعلى. إذ ذكر في يومياته قائلاً: «من الواضح أننا وقعنا في فخ نحن صنعناه بأيدينا. فلقد أنذرنا السوريين باستمرار، وخلقنا جواً من الرد المعلّق في الشمال - ثم ضربنا الأردن».

حتى رابين نفسه بدا متفقاً مع هذا التقييم، فقدم استقالته بصورة رسمية. (٥)

مما لا شك فيه أن المصالح الإسرائيلية والأمريكية قد تضررت بسبب غارة السموع، ولكن ليس بخطورة الضرر الذي أصاب المصالح الأردنية. فالحسين بن طلال بن عبد الله البالغ من العمر ٣١ عاماً نجا مما لا يقل عن اثنتي عشر محاولة انقلاب واغتيال منذ أن تسلَّم سدة العرش وهو في العقد الثاني من عمره في العام ١٩٥٣. كان قصير القامة أنيقاً رشيقاً ذا سلوك مهذب، يخفي وراءه عناداً داخلياً وذاكرة قوية تمكنه من تلافي التهديدات المتوالية من العربية السعودية والعراق وسوريا ومصر. وكان مقتنعاً أن الإسرائيليين لم يتخلوا أبداً عن حلمهم في التوسع: الإقليمي على حساب الأردن. قال للسفير الأمريكي، فندلي بيرنز الصغير (Findley Burns jr.) «إنهم يريدون الضفة الغربية، وينتظرون فرصة سانحة للاستيلاء عليها، وسوف يستغلوننا ويهاجموننا».

بدا وكأن هذه المهالك قد التقت كلها في الهجوم على السموع. إن راديو القاهرة الذي كان قد اتهم الملك حسين بأنه يقود مؤامرة للمخابرات المركزية الأمريكية (CIA) للاستيلاء على سورية، واتهمه بالتآمر على مصر، قد أدانه الآن لرفضه نشر قوات عراقية وسعودية في الضفة الغربية، والتخلي عنها للعدوان الإسرائيلي. أما سورية فقد عَرَّضت به بصورة مباشرة إذ اعتبرت غارة السموع نتيجة للتآمر المشؤوم بين «النظام الأردني الرجعي والصهيونية الإمبريالية». (٦)

لم يكن لدى الحسين، الذي رأى جده يقتل برصاص مغتال فلسطيني، أية أوهام بشأن هذه المخاطر. وعلى الرغم من أنه محبوب جداً أو بحماس من قبل الأردنيين من سكان شرق الأردن، فإن غالبية رعيته من الفلسطينيين الذين كان ولاؤهم إلى الشقيري في أحسن الأحوال، وإلى عبد الناصر وسوريا وفتح في أسوأ الأحوال. وبعد غارة السموع أكد زعيم م. ت. ف علنا أن «عمان إل ١٩٤٨ هي نفسها عمان إل ١٩٦٦: ولم يتغير شيء» وانطلقت دعايته من القاهرة تطالب الجيش الأردني بالإطاحة بالنظام الملكي.

ولم يكن بوسع الحسين التقليل من أهمية المدى الشرير الذي ستصله الحكومات العربية للإطاحة به، مستذكراً مقتل أحد عشر رسمياً أردنيا بمن فيهم رئيس الوزراء الأردني هزاع المجالي بقنبلة مصرية في العام ١٩٦٠.

والآن، في ظل ظروف العام ١٩٦٦ الزئبقية، كان الملك يرى عدة سيناريوهات تسعى بموجبها إسرائيل لابتلاع الأرض ولكنها كانت تخشى مصر وسورية، ولهذا ربما تغزو الضفة الغربية. وتوقع الحسين أن الدول العربية ستقف جانبا تراقب الأحداث في الوقت الذي هب فيه الفلسطينيون ثائرين. (٧)

تنبأ الجنرال إندار جيت ريكهاي (Indar Jit Rikhye) قائد قوات الطوارئ الدولية في سيناء في حديث إلى ضباطه حول الآثار التي نجمت عن السموع، قائلاً: «ربما يكون ضعف الحسين هو حجر الزاوية الذي تقوم عليه التحالفات العربية (ضد إسرائيل) في المستقبل. ربما يكون الملك حسين ضعيفاً، ولكنه كان يرفض دائماً أن يكون سلبيا. فآوى سليم حاطوم وغيره من الضباط المتورطين في الانقلاب المحبط في دمشق. وأغلق مكتب م. ت. ف في عمان، واعتبر المنظمة كلها غير شرعية، وأعلن الأحكام العرفية. ومع ذلك بذل جهوداً ليبدو أنه على استعداد للمصالحة. فوزع البنادق على القرويين في الضفة الغربية، وطبق نظام التجنيد الالزامي على الفلسطينين الرجال. ثم نشر، بحركة درامية مذلة، رسائل كان بعثها سراً إلى عبد الناصر بعد قمة الدار البيضاء، سأل فيها الزعيم المصري: «هل سنكون كبش فداء جديد؟ هل سيتكرر توجيه الاتهامات إلى بلد يمكن أن يكون نقطة انطلاق لعمل ضد العدو؟ هل سنترك كارثة الـ ١٩٤٨ تتكرر؟ فلم لا نعفو عما مضى وننظر إلى المستقبل؟ ضع نفسك مكاني وقل لي ماذا ستفعل؟» كما أبدى مثل هذا الميل نحو سوريا إذ قال لمجلة كريستيان سيانس مونيتر (Christian Sceince Moni(tor: «إذا ما هوجمت سوريا مباشرة فإننا سنقدم كل ما نستطيع لحماية حدودنا هناك». واقترح بحث مجمل قضايا الدفاع في منبر عربي آخر. (٨)

التقى ذلك المنبر، مجلس الدفاع التابع للجامعة العربية، في القاهرة في ١٥ ديسمبر (كانون أول) من العام ١٩٦٦، وسرعان ما أصبح مناهضا للأردن. إذ وجد ممثلو عمان أنفسهم يتعرضون للذم وتشويه السمعة لفشلهم في حماية الفلسطينين ولعدم القيام بالتزاماتهم ضمن القيادة العربية الموحدة. إذا ادعى السوريون والمصريون أنه لو سمح للقوات السعودية والعراقية أن تدخل الضفة الغربية لما وقعت حادثة السموع. ولم يقتنع المشتركون في اللقاء بالرد القائل إن إسرائيل سوف تعتبر دخول مثل هذه القوات سببا للحرب - فالعراق والسعودية كلاهما لم يوقعا على اتفاقيات الهدنة الدائمة - وبالتالي بدلاً من أن يمنع دخول قواتهما الحرب، فإنه سوف يشعلها. ووجه الوفد الأردني اتهاماً مضاداً إلى مصر قائلاً: «لِم لَمْ تجدد مصر الهجمات الفدائية انطلاقا من أراضيها؟ ولم لم يخرجوا قوات الطوارئ الدولية وينقلوا جنودهم من اليمن إلى سيناء؟ وأين كان سلاح الجو المصري العتيد عندما كان الإسرائيليون يهاجمون السموع؟ وأين التزام سوريا بالدفاع العربي؟». (٩)

لقد جرحت هذه الأسئلة -الاتهامات في حقيقتها- مشاعر عبد الناصر وضربته على الوتر الحساس، إذ كانت طائرتان مصريتان من طراز ميغ قد ضلتا طريقهما فوق المناطق الإسرائيلية فأسقطهما سلاح الجو الإسرائيلي.

وجاء إسقاط هاتين الطائرتين بعد خطاب نشر على نطاق واسع ألقاه الجنرال محمد صدقي محمود، قائد سلاح الجو المصري، قال فيه: «إننا نملك أقوى سلاح جوي في الشرق الأوسط. قاذفاتنا مزوَّدة بصواريخ ومقاتلاتنا حديثة - قادرة على تدمير مطارات إسرائيل وطائراتها. إننا لا نخشى شيئاً..».

والواقع أن الجيش المصري كله، وليس سلاح الجو وحده، كان في حالة يرثى لها، مستنزف باليمن، وبسبب تقلص نفقات الدفاع بصورة خطيرة، وذلك نتيجة الأزمة الاقتصادية التي ألمَّت بالبلاد، وكانت أزمة حادة جداً بحيث اضطر عبد الناصر إلى التخلف عن تسديد قرض أجنبي بقيمة مليار دولار. كما فشلت حملة تحرير مصر من آثار الإقطاع عن طريق نقل ملكية الصناعات المصرية الناشئة إلى العمال، فشلاً ذريعاً.



فالخمسة آلاف مستخدم في معمل نصر للسيارات أصبحوا لا ينتجون بعد تلك الخطوة أكثر من سيارتين في الأسبوع. ولدى تصاعد عدم الرضا العام في مصر، بدأ الدبلوماسيون الغربيون يتنبؤون بزوال النظام في وقت وشيك - بل كانوا يتوقعون ما هو أسوأ. وقال أحد الممثلين الدبلوماسيين البريطانيين، ر.م.تيش (Tesh. M. R) أن سياسة الجمهورية العربية المتحدة تمهد الطريق إلى الدمار محذراً من الوضع الذي يسعى فيه العسكريون لاستعادة هيبة مصر عن طريق خوض حرب، قائلاً: «إن رائحة الدم وقعقعة المعركة البعيدة ربما تبدأ بسبب بعض المتهورين الراغبين في الحرب - والويل عندئذ للمدنيين». (١٠)

مثل هذه التحذيرات كانت تُحجَبُ تقريباً في الخطاب العسكري المتصاعد في العالم العربي. فرئيس الوزراء الأردني، التل، قال في عمان: «أفضل الموت». على أن أسمح لقوات الأمم المتحدة أن تتمركز في أرض أردنية، أو أن أنخرط في «اتفاق جنتلمان» كما فعل عبد الناصر مع بن غوريون في العام ١٩٥٦. وادعى قائد القيادة العربية الموحدة الجنرال علي علي عامر، بدوره، أن التل انتظر أربع ساعات بعد انسحاب القوات لإسرائيلية من السموع، حتى اتصل به.

ثم اتهمت الصحافة المصرية الملك حسين باختلاس المخططات الدفاعية للقيادة العربية الموحدة، ونشرت بعناوين رئيسه في الصفحة الأولى مقابلة مع أحد المنشقين عن الجيش العربي الأردني، الكابتن رشيد الحمارشه (Rashid alHamarsha) الذي اعترف بأنه العقل المدبر للتفجيرات التي وقعت في سوريا. اتهمت الأردن الحمارشة بأنه جاسوس صهيوني مرتبط براقصة «هز بطن» اسمها أورورا جليلي (Aurora Galili) أو فيورورا جيلّي (Furora Jelli): ثم أظهرت الهارب من المخابرات المصرية الملتجئ إليها واسمه رياض حجاج، فكشف مؤامرات ضد حكومتي لبنان والسعودية. وبلغت المهاترات ذروتها في خطاب لعبد الناصر ألقاه في ٢٢ فبراير (شباط من العام ١٩٦٧ تلاعب فيه بكلمة «عاهل» الأردن ولفظها «عاهر» الأردن. (١١)



لقد وصلت العلاقات بين ناصر والحسين إلى «نقطة اللا عودة» كما جاء في مذكرة بريطانية. فاستدعى الملك حسين سفيره من القاهرة، بسبب انزعاجه الشديد من خطاب عبد الناصر، وطرد القنصل السوري من القدس الشرقية. وعندما انعقد مجلس الدفاع العربي فيما بعد في ١٤ مارس، خرج الوفد الأردني كي لا يجلس مع الشقيري «مفشي الأسرار العسكرية وناشر الأكاذيب». وتحول اللقاء إلى مشاجرة عامة اتهم فيها المصريون والسوريون الملك حسين بالتواطؤ مع خطة إسرائيل لتمويل الأردن وشراء الأسلحة الأمريكية. فقرر الأردنيون والسعوديون والتونسيون والمراكشيون مقاطعة دورات المجلس القادمة. (١٢)

استشاط الحسين غضباً، وشعر بالمرارة تعتصره، وبالإهانة تحيق به، وفوق ذلك كله أصيب بالإحباط وخيبة الأمل. إذ انهار التحالف الضمني بين الأردن ومصر الذي أنجز في فترة مؤتمرات القمة، والاتفاق الضمني بينهما القائم على معارضة شن حرب ضد إسرائيل قبل أن يكون العرب مستعدين لها. وكان السوريون، في نظر الملك حسين، مخططين في إغراء مصر والنجاح في جرها إلى فخ حرب حتمية - تنهزم فيها مصر ويسقط عبد الناصر. لكن الحسين احتفظ بأعمق الاشمئزاز من عبد الناصر لنفسه.

وقال ذات يوم لاجتماع في أريحا: «في كل مَرَّة يهاجمنا فيه يسأل الناس لماذا لا نرد عليه؟ الجواب بسيط». إذا كان لدينا أي شعور تجاه هذا الشخص فإنه الشعور بالألم، لأنه كانت لديه، ذات يوم، فرصة فريدة ليخدم أمتنا». (١٣)

(أثانا سيوس في مواجهة مندوم) Athanasius Contra Mundum.

«ذلك الشخص» له مصادر ألمه الخاصة به - الاقتصاد كما رأينا، والسوريون، والأخوان المسلمون. وعلى الرغم من أهمية هذه الإشكالات، كان هناك إحساس بالوهن لأن ثورة الضباط الأحرار قبل ١٥ عاماً، وحلم مصر في أن تخرج من العبودية وترقى في سلم الصعود العالمي، قد تبخرت كلها. تسلم جمال عبد الناصر



(الريّس)، (الزعيم) السلطة وهو في الرابعة والثلاثين من عمره، ويتمتع بشخصية حازمة مفعمة بالنشاط. وسيم، مندفع، يمتلك ذكاء حاداً غير معقول. وكان عبد الناصر قادراً على أسر الجماهير بفصاحته وبمزجه العربية العامية والفصحى بطريقة ساحرة. واستطاع ابن عامل البريد المتجول، الجندي الذي تركت فيه حرب فلسطين ندبة جرح، أن يطيح في أقل من خمس سنين بالملك فاروق والجنرال محمد نجيب، ليصبح أول زعيم مصري المولد يحكم مصر منذ ١٥٠ عاماً. وفي غضون سنتين من تسلمه سدة الحكم: ذاعت شهرته الأسطورية في جميع أنحاء الشرق الأوسط بوصفه محرراً لمصر ومدافعاً عن العرب ضد الغرب الجشع، ووصف بأنه صلاح الدين في هذا العصر.

كانت إنجازاته الأولى مذهلة حقاً. وبدت فريدة، إذ أمَّن إجلاء بريطانيا عن قناة السويس، وحصل على سلاح سوفياتي، ثم أمم القنال، وهزم العدوان الثلاثي، وجعل من الوحدة العربية حقيقة. كانت ملايين العرب تحترمه، بل تقدسه، وكان زعماء العالم يتوددون إليه كناطق باسم قومية العالم الثالث، وبطل عدم الانحياز جنبا إلى جنب مع نهرو (Nehro) ونيكروما (Mkrumah). إنه رجل هادئ عرف بالفطنة والملحة، وكان يعيش مع زوجته وأولاده معيشة يغمرها الإيمان، وتتصف بالاقتصاد والتقشف. وكان غير قابل للفساد أبداً في بلد اشتهر بالابتزاز والكسب غير المشروع.

ولكن هذا الصرح قد انهار بعد ذلك بصورة مذهلة أيضاً. فالقطيعة مع سوريا والممالك العربية، وكابوس اليمن، ونفوره من الولايات المتحدة الأمريكية - تتابعت كلها على ستارة مسرح الانحدار الوطني المتواصل. كما أن الناصرية، وهي الحركة التي حملت اسمه، قد ماتت عمليا ضحية تحالف السوريين والسعوديين والأردنيين والفلسطينين.

وبحلول العام ١٩٦٧ كان عبد الناصر مثقلاً، وكامداً - بسبب إصابته بمرض البول السكري المتفاقم، على الأغلب - فأصبح سريع الغضب يشعر بالعظمة. قال عنه أكرم حوراني، الزعيم السوري، «إنه يعرف كيف يبدأ الأمور بإتقان، ولكنه لا يعرف ليش ينهيها». وساد عنصر اللا معقول في قرارات عبد الناصر الآن بعد أن كانت خالية منه ذات يوم.

علّق حسين صبري، أحد الضباط الأحرار، على شبكة الشرطة السرية الهائلة (المخابرات) التي أنشأها عبد الناصر حوله، قائلاً: «كان قانونه في الحكم هو قانون الرجل الذي لا يكون آمناً إلاّ إذا تصرف من خلال جهاز سري». وقال لويس عوض الناقد الأدبي المصري، معلقاً على ذلك بصورة أكثر أناقة: «القانون في ظل نظام عبد الناصر في إجازة». ولدى انتخابه للمرّة الثانية بأكثرية ٩٩.٩٩٪، تربع على رأس الاجتماعات الوزارية حيث يتحدث هو وحده، وغالباً ما كان يعنّف الوزراء، فتحول إلى دكتاتور عسكري انتقامي - أو إلى «أثاناسيوس في مواجهة العالم، ينغصه هذا العالم» (١٤) كما وصفه دبلوماسي بريطاني.

لم يبق لعبد الناصر سوى كبريائه التي تعاظمت لسوء حظه، إلى حد كبير. قال لوشياس باتل (Lucius Battle) معلقاً على ذلك: «كان لتلك السمة علاقة بفقدان الاعتبار، مشفوعة بنوع من عقدة مسيحانية. إذ لم يكن يحب أن يكون على خطأ ولا يقبل الاعتراف بالخطأ» (١٥) جرحت كبرياؤه تلك من قبل السعوديين والأمريكيين، الأمر الذي دفع مصر على التورط في اليمن وإلى الثأر من الرئيس جونسون. إضافة إلى تحديات وإهانات أخطر كانت تصدر عن الأردن. ومن الاتهامات اللاذعة، بوجه خاص، التي كانت تبثها الإذاعة الأردنية من عمان هي: خوف عبد الناصر من مواجهة الاسرائيليين، ورفضه الخروج من وراء قوات الطوارئ الدولية.

وهكذا خُزي الزعيم المصري الذي نجح في إخفاء وجود قوات الطوارئ الدولية وعبور السفن الإسرائيلية عبر مضائق تيران عن غالبية شعبه. والكبرياء تتطلب الانتقام والرد: ولكن كيف؟

جاء الجواب على الفور من عبد الحكيم عامر، الذي أبرق للرئيس عبد الناصر من الباكستان، حيث كان يقوم بزيارة دولة لها في الرابع من ديسمبر، اقتراحاً بإصدار أمر لقوات الطوارئ الدولية بمغادرة الأراضي المصرية، وتركيز الجيش



المصري في سيناء، وإعادة فرض الحظر على الملاحة الإسرائيلية في مضائق تيران.

إن مثل هذا الإجراء سوف يسحب الريح من أشرعة الحسين، ويحرم إسرائيل من قدرتها على المناورة في الهجوم على سوريا أو الأردن. إذ سيجد الإسرائيليون أنفسهم مضطرين في النهاية إلى توجيه ضربة إلى مصر، وخوض معركة تدوم ثلاثة أيام أو خمسة قبل أن تتدخل الأمم المتحدة، وتفرض وقف إطلاق النار. وكما حصل في العام ١٩٥٦ سوف تدان إسرائيل كمعتدية، وتجبر مرغمة على الانسحاب وتبدو مصر منقذة للعرب.

لم تكن فكرة طرد قوات حفظ السلام بجديدة عند عبد الحكيم عامر. فقد كانت ذكرى حرب العام١٩٥٦ مريرة في نظره لأنها لم تكن نصراً حاسماً كما ادعى، وكانت قوات الطوارئ الدولية دائماً مصدر عار إلى الفيلد مارشال (المشير) عامر، وكانت كابحاً لقوته العسكرية التي صنعها. وكان عامر قد طرح خطة مماثلة في السنة السابقة خلال دورة القوات المصرية في اليمن، ولكن عبد الناصر رفضها حينذاك كما رفضها الآن.

كانت أسباب ذلك الرفض عديدة. لم يكن شعور عبد الناصر بالمهانة من وجود قوات الطوارئ الدولية بأقل من شعور عبد الحكيم عامر، ولا أقل تطلعاً إلى إخراجها. قال الجنرال محمد فوزي، رئيس أركان الجيش المصري: «أوضح لي كل من الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر قبل العام ١٩٦٧ أنهما كانا يريدان اهتبال أي وضع دولي أو إقليمي يسمح لهما بالتصرف مع قوات الطوارئ الدولية» تضمنه تقرير للمخابرات المركزية الأمريكية (CIA) في ١٨/إبريل (نيسان)/١٩٦٧حديثاً لعبد الناصر مع دبلوماسي مصري رفيع المستوى، أبدى له فيه رغبته في تخليص سيناء من قوات الطوارئ الدولية وإغلاق مضائق تيران. ولكن ذلك يعني عودة مصر إلى حالة الحرب ضد إسرائيل حتى وإن لم تشن إسرائيل حرباً، فإن إخراج قوات الطوارئ وإغلاق مضائق تيران لا يبقي لمصر عذراً في ألا

تحارب إسرائيل. ولكن كان لدى عبد الناصر مسألتان هامتان هما التوقيت والإعداد، لذلك قال عبد الناصر في حديث له مع ممثلي م.ت.ف: «يقول السوريون، أخرج قوات الطوارئ الدولية، ولكن إن طردناهم، «أليس من الأمور الجوهرية أن يكون لدينا خطة؟ إذا اعتدت إسرائيل على سوريا، فهل سأهاجم إسرائيل؟ عندئذ ستكون إسرائيل هي التي حددت زمن المعركة وفرضته علي.. ثم هل من المعقول أن أهاجم إسرائيل في حين يوجد ٥٠.٠٠٠ جندي مصري في اليمن؟». (١٦)

مضت سنتان وبقيت هذه الأسئلة بلا جواب. وبدلاً من أن تخف حدة حرب اليمن، ازدادت شدة، مع عودة الطائرات للإغارة على قواعد سعودية، وتمسحها بالغازات السامة. وقيل: إن الضباط المصريين المستائين كانوا على وشك التمرد. ومع ذلك صرحت القاهرة أن الجيش المصري سيقاتل عشرين سنة أخرى، إذا ما لزم الأمر.

وفي هذه الأثناء كاد التنسيق بين الزعماء العرب في مجال الأمن أن ينهار. وكشفت اجتماعات مجلس الدفاع في يناير وفبراير من العام ١٩٦٧، للمرَّة الثانية، فشل الدول الأعضاء في تنفيذ التزاماتهم إلى القيادة العربية الموحدة، كما كشفت سوء استخدام ميزانيتها القليلة. قال الجنرال يوسف خَوَّاش ممثل الأردن في هيئة أركان القيادة العربية الموحدة: «إننا نجلس حول المائدة ولا نفعل شيئاً، سوى كتابة بعض الدراسات الجيدة». وخلص علي علي عامر في تقرير له صنف في مارس، إلى أنه لا يمكن للوضع أن يُيسّر تطبيق المهام المقررة (للقيادة العربية الموحدة)، أي تقوية الدفاع العربي لتأمين حرية العمل في المستقبل، وتمهيد الطريق إلى تحرير فلسطين» وحذر قائد القيادة العربية الموحدة قائلاً: «إذا ما خضنا الحرب في هذا الوقت فإننا سوف نخسر مزيداً من الأرض، بدلاً من أن نهزم إسرائيل».

فهذان السببان -اليمن، وغياب خيار عسكري سليم ضد إسرائيل- أقنعا عبد الناصر أن التوقيت غير مناسب لطرد قوات الطوارئ الدولية.

أما القضية الفلسطينية فيمكن إبقاؤها بأمان «في الثلاجة» إلى أن يحين الوقت الذي تكون فيه مصر والعالم العربي قادرين على إذابة الثلج (١٧). ومع ذلك كان هناك اعتبار آخر في قرار عبد الناصر، وهو اعتبار داخلي وشخصي إنه يتعلق بمصدر النصيحة ذاتها، ألا وهو عبد الحكيم عامر.

لا يمكن أن تكون الصداقة أكثر حميمية مما هي بين ناصر وعامر. فهما من خلفية متواضعة متماثلة، خدما كضابطين في الجيش في السودان معاً، وخططا معاً ثورة العام ١٩٥٢. سمى ناصر ابنه عبد الحكيم، وزوّج عامر ابنته أمل من حسين أخ عبد الناصر الأصغر. وكان بيتاهما الصيفيان في الإسكندرية متجاورين، وكان ينادي كل منهما الآخر بـ «أخي» أو باسمه المجرّد من الألقاب والكنية: فكان عامر ينادي عبد الناصر بـ «جيمي» (Jimmy)، وناصر ينادي عامر بـ «روبنسون» (Robinson) لأنه يحب السفر كثيراً كان الود بين ناصر وعامر عميقاً جداً بحيث غفر عبد الناصر لعامر أداءه المحزن في أزمة السويس ،حيث أصيب عامر بانهيار عصبي، كما قيل، ومن ثم صفح عنه سوء إدارته للوحدة مع سورية. وغفر له، كذلك، إدمانه على الكحول، وزواجه السري، غير المعروف لدى زوجته، من نجمة، السينما المصرية برلنتي عبد الحميد (Berlinti Abd- al-Hamid). فلم يكن عبد الحكيم عامر الرجل النحيف الداكن البشرة، المعروف بالكسل وقلة الخبرة، مرشحاً محتملاً لتحدي حكم عبد الناصر. ومع ذلك كان عامر ذا طموح جامح، سخيا لمن يدعمونه، قاسيا لا يرحم من يعارضونه.

بدت تلك القسوة أخيراً لعبد الناصر في العام ١٩٦٢ لدى وصول أول تقارير عن فساد عامر في اليمن، ورفضه قبول مزيد من الهيمنة المدنية على الجيش. وعندما حاول عبد الناصر تشكيل مجلس رئاسي ليشرف على الأنشطة العسكرية، هدد الضباط الموالون لعامر بالتمرد. تراجع عبد الناصر، وبدلا من أن يحدً من سلطة عامر انتهى به الأمر إلى تعزيزها. أصبح عامر الآن النائب الأول لرئيس الجمهورية المسؤول عن القوات المسلحة: استخدم عامر هذا المنصب لتحويل الجيش إلى إقطاعة خاصة به، يرفع الضباط على أساس الولاء وليس على أساس الشجاعة

والبراعة محيطا نفسه بعصبة من «أهل الثقة» الإمّعات، ورفّع نفسه كذلك إلى رتبة مشير، وهي أعلى رتبة عسكرية في العالم العربي.

ومازالت سلطته تتنامى. وشملت ألقابه بعد خمس سنين لقب وزير العلوم، ورئيس هيئة الطاقة الذرية المصرية، ورئيس مجلس النقل في القاهرة، ورئيس لجنة تصفية الإقطاع، وحتى رئيس الكشافة المصرية واتحادات كرة القدم. وكان قادراً على تعيين نصف أعضاء مجلس الرئاسة، وثلث أعضاء الوزارة، وثلثي السفراء. لم يكن نفوذ عامر محصوراً في الوطن، بل إن البيانات السوفياتية المشتركة في تلك الفترة أكدت أهمية عامر بما لا يقل عن ناصر. قال السفير الأمريكي في القاهرة: «كان المشير يقحم نفسه في كل مجالات الحياة المصرية لدرجة أنه بدا وكأنه وريث عبد الناصر بلا منازع.» وكان عبد الناصر موافقاً على ذلك بالتأكيد.

ولكن عندما وصل الأمر إلى «عامر» لم يستطع الرئيس المصري اتخاذ أي إجراء ضده إما خوفاً، أو افتتانا أو كلاهما. بيد أنه وضع عامر تحت المراقبة الدائمة، ورفض إخراجه من السلطة، قائلاً: «أفضل أن أستقيل». (١٨)

إنّ هذا التناقض في علاقة عبد الناصر بعامر قد ألقى بظلاله على اقتراح عامر بتخليص مصر من قوات الطوارئ الدولية. (UNEF). فإذا ما رفض ناصر هذا الاقتراح لعدم رغبته في أن يعهد لعامر بأمر إخراج الـ UNEF وإعادة سيناء إلى الجيش المصري، فإنه لم يرفضه مباشرة. بل أمر بتشكيل لجنة لفحص مسألة إخراج UNEF بكل ما يمكن أن ينجم عنها من تفرعات. وبُذلت جهود لإطلاع السوفيات على الفكرة، ومعرفة رأي يوثانت Uthant الأمين العام للأمم المتحدة. (١٩)

ظل التصرف تجاه الـUNEF مرهوناً بالمستقبل إذ ليس لدى عبد الناصر خطط فورية تجاه إسرائيل. ولدى بحثه عن مجرم يحمّله مسؤولية المصائب التي تواجهها مصر، وقع اختياره على الولايات المتحدة الأمريكية. وكما ذكر باتل (Battle)، «جمع عبد الناصر كل المواضيع التي حصلت في السنوات القليلة الماضية ضد أمريكا

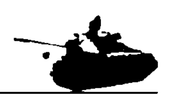
وربطها في حزمة واحدة» إذ ربط عبد الناصر «أمريكا» بالإمبريالية في خطابه الذي ألقاه في ٢٢ فبراير ما لا يقل عن مئة مرّة. وأبرز أهمية هذه الرسالة بسلسلة مقالات من ثماني حلقات نشرت في جريدة الأهرام بقلم محررها محمد حسنين هيكل، موضع ثقة عبد الناصر، اتهم فيها الولايات المتحدة الأمريكية بأنها العقل المدبر «لجهاز سري واسع» مصمم لتدمير الأنظمة العربية الثورية بفضل «الحرب الاقتصادية والنفسية وحبك المؤامرات وتدبير الاغتيالات».

رأى باتل (Battel) في ختام رحلته إلى القاهرة، أن وضع ناصر المحلي القائم سيضطره للقيام بعمل درامي فوري في الخارج -على الأغلب في اليمن أو إفريقيا. وافق القائم بالأعمال لدى باتل، ديفيد جي نيس (David G. Nes) على هذا الرأي مشيراً إلى أن عبد الناصر قد وصل إلى درجة من اللا معقولية قريبة من الجنون بسبب الإحباطات والمخاوف الناجمة عن فشله على الصعيد المحلي والخارجي.. «أين ستكون الضربة الثالثة -ليبيا؟ لبنان؟» أما احتمال أن تكون ضربة عبد الناصر الثانية موجهة إلى إسرائيل فلم يخطر ببال الأمريكيين. (٢٠)

بدا وكأن إسرائيل قد أُسقطت من برنامج عبد الناصر. وأثناء استضافته للرئيس العراقي الجديد، عبد الرحمن عارف، قال عبد الناصر معترفاً: «لا نستطيع التعامل مع القضية الفلسطينية» التي لا تحل إلا من خلال «تخطيط مستمر على مراحل عديدة». إن هذه الكلمات التي صدرت عن رجل أقسم ذات يوم «ألا ينسى حقوق الشعب الفلسطيني»، وأنه «سوف يجند مليوني رجل أو ثلاثة ملايين لتحرير فلسطين. لا يمكن أن تكون كلمات قتال ولا يحتاجها أن تكون كذلك ما دام الهدوء يسود الجبهة السورية». (٢١)

أبو الهول السوري

كان الهدوء على الحدود السورية، دائما، نسبيا، ومنذ شهر نوفمبر، والتوقيع على المعاهدة المصرية السورية -ومنذ عملية السمّوع وفشل سوريا ومصر في الرد عليها- ودمشق تواقة إلى التوصل لوقف قتال ضمني. ومنذ ذلك الحين حتى نهاية



العام لم تسجل سوى حوادث قليلة. ثم بدأت المنطقة تغلي ثانية في مطلع يناير من العام ١٩٦٧. إذا أمطرت الدبابات السورية كيبوتز. الماغور (Almagor) بإحدى وثلاثين قذيفة، فجرح اثنان من أعضاء كيبوتز شامير (Kibbutz Shamer) بنيران الرشاشات. واستمرت الصدامات أسبوعاً قبل أن تبلغ ذروتها بموت إسرائيلي وجرح اثنين آخرين بلغم أرضي مضاد للأفراد كان قد غرس في موشاف ديشون (Moshav Dishon) تبنت فتح ذلك الهجوم. وكان اللغم يحمل علامات الجيش السوري. وأعلن راديو دمشق السري في السادس عشر من يناير «أن سوريا قد غيرت استراتيجيتها من الدفاع إلى الهجوم.. ولسوف نتابع القيام بالعمليات إلى أن تزول إسرائيل». (٢٢)

كانت أسباب هذا التصعيد غامضة غموض النظام السوري نفسه. إذ ما زالت هناك الأيديولوجية البعثية التي تضع في أولوياتها إزالة إسرائيل، «ونشر الصديد الذي ينشر سم الكراهية والعداوة» كوسيلة لتوحيد العالم العربي وتخليصه من «الرجعيات» - وهو منهج معاكس لمنهج عبد الناصر الذي يرى أن الوحدة شرط مسبق للحرب، صرحت صحيفة البعث الرسمية اليومية تحت عنوان بارز: «شعبنا البطل يغني أغاني الحرب، توقاً لبدء المعركة النهائية. فليس هناك من سبيل لإزالة الاحتلال سوى سحق قواعد العدو وتدمير قوته». وقال الكولونيل مصطفى طلاس قائد الجبهة الوسطى المبهرج المهذار: «أصبح يوم العمل وشيكا، لأن المحافظين العرب جبناء، ولا تستطيع سوريا الانتظار لأكثر من ذلك» (٢٣) كانت الحرب هي أكثر ما يشغل البعث، ويشكل جزءاً كبيراً من أسباب وجوده.

ومع ذلك يكمن المزيد من الأيديولوجية وراء سياسة الحدود السورية، كان النظام في هذه الفترة، في يناير، منشغلاً بنزاع طويل مع شركة نفط العراق. وإضافة إلى عدم رضا سوريا بما تدفعه العراق لسماحها بتدفق النفط عبر أنبوب يمر في الأراضي السورية إلى البحر، فقد دانت سوريا شركة نفط العراق (IPC) التي تملكها بريطانيا بوصفها عميلة إمبريالية تؤدي خدمات بغيضة لإسرائيل. وأوضح

راديو دمشق قائلاً: «إن اللهب الثوري المنبعث من معركة النفط هو السبب الواضح للتحركات الصهيونية على طول حدودنا». ورددت صحيفة البعث قائلة: «النصر على شركة نفط العراق ليس سوى الخطوة الأولى... المؤدية إلى تحرير الأرض العربية من الإمبريالية والرجعية والصهيونية» (٢٤) وبموجب منطق دمشق الغريب يعد وضع الحدود ومفاوضات النفط وجهان لعملة واحدة، وبالتالي فإن إظهار الشجاعة في إحداهما ينعكس شجاعة على الجانب الآخر ويعززه.

وهناك علاقات سورية مع موسكو ليست أقل إلغازاً من مسألة النفط. استمرت السياسة السوفياتية في العمل على الجذب في اتجاهين، دعم سوريا سياسيا وعسكريا، وفي الوقت نفسه تعمل على كبح ميولها العدوانية. هذا التفرع كان ينعكس تنافراً داخل الكرملين نفسه. ففي حين كان وزير الخارجية السوفياتي أندريه غروميكو (Andre Gromyko) يضغط على المكتب السياسي في اتجاه تجنب المزيد من الصراعات مع الولايات المتحدة، خصوصاً في الشرق الأوسط، كان الأسطول الروسي يحتشد في شرق البحر المتوسط. وكان الدبلوماسيون السوفيات في دمشق يحثون النظام على تخفيف اللهجة العدائية، في حين كان الخبراء الروس في الميدان يحثون الجيش السوري على النشاط في العمليات. وعلى الرغم من طموح السوفيات لتحقيق حلمهم القديم في عزل تركيا والسيطرة على الممرات المائية في الشرق، وتحييد التهديد الذي يتمثل في الأسطول السادس الأمريكي، فإنهم في الوقت نفسه كانوا يخشون الحرب، ويخشون أن يفجرها الراديكاليون العرب. (٢٥)

انعكست هذه الدوافع المتناقضة في التحذير السوفياتي للجيش الإسرائيلي الذي كان يحشد على الحدود الشمالية -وصدرت مثل هذه التحذيرات في أكتوبر ونوفمبر من العام ١٩٦٦ ، ومرَّة أخرى في يناير من العام ١٩٦٧ التي رفضتها إسرائيل- وفي دعم القصف السوري للمستوطنات.

وكان انفصام الشخصية السوفياتية واضحاً أثناء زيارة دولة قام بها الرجل السوري القوي صلاح جديد في ٢٠ يناير، ومع أن القادة السوفيات قد شكموا صلاح جديد، كما هو واضح، إلا إنه عاد يحمل وعوداً بمساعدات عسكرية على نطاق واسع، ودعماً لموقفه ضد «الصهيونية العدوانية» وكان السوفيات، في نظر المراقبين الإسرائيلين والأمريكيين يسعون لمعالجة الأمور في الشرق الأوسط على نار هادئة، بهدف «الإبقاء على التوترات من غير أن تنفجر» والإبقاء على متاعب صغيرة وليست كبيرة». (٢٦)

كان لدى القادة السوريين سبب شخصي آخر لرفع وتيرة التوتر مع إسرائيل غير التشجيع السوفياتي والتحريض الناجم عن نضالهم ضد شركة نفط العراق، فبالإضافة إلى كون مجموعة الحكم محتقرة من الشعب بصورة عامة، فقد كانت هناك انقسامات داخلية –الضباط ضد «الدكاترة المدنيين» كالرئيس الأتاسي، ووزير الخارجية ماخوس (Makhous) وفيما بين الضباط أنفسهم. كان حافظ الأسد الذي يدعمه سلاح الجو يقف ضد الجيش والرئيس جديد، في حين كان رئيس المخابرات، عبد الكريم الجندي، يعارض الجنرالين معاً. في ١٧ يناير حاول ثلاثة من رجال الجندي اغتيال الأسد، وزير الدفاع حينذاك، بإطلاق النار على سيارته وهو في طريقه إلى طبيبه. فإذا ما كان ذلك الخبر صحيحاً فإن الكمين لم يكن حدثاً غريباً. فتحطم السأم الكئيب الذي كان يلف دمشق الاشتراكية الراديكالية بالانفجارات وفرقعة البنادق، وأحاط الجنود بالوزارات، واعتقل ضباط ووزراء، وصدرت أحكام بالموت لسلسة من الجرائم، بدءاً «من نشر التعصب الطائفي» انتهاء بـ «إعاقة النظام الاشتراكي». (٢٧)

عمّقت مثل هه الصراعات كثيراً شعور النظام بعدم الأمان، وللتغلب على هذه الحالة، كانت هناك حاجة لدفع جمال عبد الناصر إلى مواجهة إسرائيل – حسب عبارة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA)، وفي لقاء سري مع رجل أعمال سوري اسمه فريد عودة (Farid Awda) له صلات وثيقة مع بريطانيا،

حاول الأسد الحصول على المال والمدافع «لتحويل الأنظار إلى جبهة إسرائيل الجنوبية» فهذا سيتيح له الإحاطة بصلاح جديد، ونور الدين الأتاسي، وتجنب وقوع انقلاب سني تدعمه مصر في سورية، واعداً بأن إشكالية الـ IPC سوف تحل بعد ذلك على الفور. (٢٨)

كان لكل هذه العوامل الخارجية والداخلية أثر على الحدود حيث كان العنف يتصاعد باستمرار خلال الشهور الأولى من العام ١٩٦٧. وخوفاً من أن تنشب حرب دعا يوثانت (Uthant) الفريقين إلى حل خلافاتهما في إطار لجنة الهدنة السورية الإسرائيلية المشتركة. ولم تستطع لجنة الهدنة السورية الإسرائيلية المشتركة (ISMAC) العمل إلا من حين إلى حين، رغم أنها تلقت في غضون بضع سنين حوالي٦٦.٠٠ شكوى وكلها تتعلق بالمناطق المنزوعة السلاح. وكان الذي يعيق عمل اللجنة هو مطالبة سورية بالسيطرة على المناطق المنزوعة السلاح ورفض إسرائيل لذلك الطلب، والعداوة المكشوفة بين الوفدين.

كانت العداوة واضحة في واقع الأمر منذ لحظة التئام لجنة الهدنة الإسرائيلية السورية المشتركة في ٢٥ يناير. إذ اتهم الإسرائيليون السوريين بأنهم يلعبون لعبة مزدوجة: السعي لإعادة المزارعين العرب سلمياً إلى المناطق المنزوعة السلاح، والاستمرار في الحرب الشعبية ضد إسرائيل في الوقت نفسه. وصف موشي ساسون (Moshe Sasson)، المندوب الإسرائيلي في اللجنة الاجتماع بأنه «استثنائي» «وغير رسمي» مقللا بذلك من أهمية الدور السوري في تلك المناطق. ولم يكن السوريون بأقل ارتياباً. فقالوا إن غايتهم هي «إنهاء العدوان الصّهيوني على الأرض العربية». وأنهم لا يضمنون «أمن دولة العصابات داخل فلسطين». توسعت الهوّة بين الطرفين عندما اقترح ساسون تعهداً ثنائيا «بالتمسك بالتزاماتهما اللاعدوانية وبالامتناع عن القيام بأي عمل عدواني ضد بعضهما البعض». رفض الكابتن عبد الله ممثل سوريا الفكرة وأصر على تبني إجراءات عملية لحل النزاع حول المناطق المنزوعة السلاح. ومع ذلك عندما جاء دور عبد الله لإدارة مثل هذه الاقتراحات

انطلق في خطبة مطولة قرَّع فيها إسرائيل وسياساتها. ومنذ ذلك الحين لم يعد بإمكان ساسون وعبد الله الاتفاق على أي برنامج، وبالتالي كان التقدم نحو الحل أقل بكثير من ذي قبل. (٢٤)

وفي هذه الأثناء تضاعفت حوادث الحدود. وفي الثالث من مارس أصيب أحد أعضاء كيبوتز شامير بجروح خطيرة عندما اصطدم جرار بلغم سوري. ووجدت ألغام مماثلة بعد ثلاثة أسابيع خارج القريتين الإسرائيليتين كفار شولد (Kfar Szold) وزرعيت (Zarit). فكانت الحدود مع الأردن أكثر اضطراباً من الحدود مع سوريا. إذ شهدت تلك الحدود في الشهور الأولى من العام ١٩٦٧ حوالي ٢٧٠ حادثة أي بزيادة قدرها ١٠٠٪ باعتراف إسرائيل. وفي ١٢ مارس مثلاً أوقف قطار إسرائيلي وهو في طريقه من كريات غات (Kiryat Gat) إلى كيبوتزلاهاف (Kibbutz Lahav) بانفجار في سكته: ووجدت بالقرب من ذلك قصاصات ورق كتب عليها «الموت للغزاة الصهاينة والنصر للفلسطينين الأبطال». وألقي القبض على أربع مخربين فلسطينيين في اليوم التالي مقابل مدينة قلقيلة الواقعة في الضفة الغربية، وكانوا يحملون عبوات ناسفة، وقتل اثنان آخران في ٢٦ مارس وهما يحاولان إزالة مضخة ماء إلى الشرق من أراد (Arad).أصدرت فتح سلسلة من أربعة وثلاثين بيانا تصف أعمالها بتفصيل كبير وتمتدح شجاعة شهدائها. (٣٠)

امتدحت سوريا هذه الأعمال دون أن تتحمل مسؤوليتها. إذ كرر النظام القول في ٨/إبريل (نيسان): «إن هدفنا المعروف هو تحرير فلسطين وتصفية الوجود الصهيوني هناك. وإن جيشنا وشعبنا سوف يدعم كل مقاتل عربي يعمل على استرداد فلسطين». (٣١)

جعل هذا الإطراء بالإضافة إلى مقاومة سوريا لوساطة الأمم المتحدة الكثيرين من المراقبين الغربيين يستخلصون أن سوريا كانت ملتزمة بالحرب أكثر من أي وقت مضى. وهكذا ذكرت السفارة البريطانية في دمشق في تقرير لها لدى ملاحظتها التهديد في مواجهة إسرائيل «ليس دفاعيا» بل «بضربة عدوانية



كبيرة داخل فلسطين المحتلة، فكل شيء يشير إلى أن مزاج الحكومة السورية الحالية والقوات السورية المسلحة يدل على أن هذا التهديد سوف ينفذ مهما يكلف الثمن. «وكشف سفير الولايات المتحدة إلى دمشق هيو أتش سيمتي (Hugh H.Symthe) نظام «الخوف والإحباط، الستاليني» السوري، وحذّر من أن الخوف من المؤامرات والعدوان بالإضافة إلى الاستفزازات المستمرة لإسرائيل ربما تؤدي إلى مغامرة عسكرية تنتهي بالهزيمة».

أصبحت رعاية سوريا لهجمات الفدائيين علنية لدرجة أن المسؤولين الأمريكيين كَفُّوا عن معارضة قيام إسرائيل بالرد الانتقامي. قال مسؤول رفيع المستوى في وزارة الدفاع الأمريكية، تاونسند هوبس (Townsend Hoopes) أثناء زيارته إلى وزارة الخارجية الاسرئيلية في مارس: «السوريون أبناء كلبة، لماذا لا تضربونهم على الرأس عندما يكون هذا هو العمل الطبيعي الذي ينبغي القيام به؟» وقال يوجين روستو (Eugen rostow) ببلاغة أكثر لإفرايم «إبي» إفرون (Evron "Eppy" Ephraim) الوزير في السفارة الإسرائيلية في واشنطن: «الهجوم المنطلق من داخل بلد ما هو إلا هجوم من قبل ذلك البلد». (٣٢)

كانت إسرائيل في الحقيقة، تعد العدة لعملية انتقامية ضد سوريا. وأخبر إفرون (Evron) البيت الأبيض في ١٦ يناير شفهياً بأن «استمرار السياسة العدوانية السورية سيضطر إسرائيل إلى القيام بعمل دفاعاً عن النفس وممارسة لحقها الدولي وواجبها القومي». بيد أن المشكلة ظلت أعقد من ذلك بكثير، وذلك بسبب خطر تدخل الاتحاد السوفياتي كما كان إشكول يرى بحق.

وبعد ذلك قام الفدائيون الفلسطينيون بنسف مضخة الماء لكبيوتز ميسغاف أم Kibbutz Misgav Am على الحدود اللبنانية في الأول من إبريل. فكانت هذه في نظر إشكول المزارع سابقاً ومهندس الري، هي القشة التي قصمت ظهر البعير. فقال في لقاء خاص بينه وبين رابين: «أعتقد أن علينا معاقبة السوريين؛ ولكني لا أريد حربا ولا أريد القتال على مرتفعات الجولان، فوافق رابين الذي

وصفه ليور (Lior) بأنه «مصاب بشناذر سوري» وكراهية متأصلة لدمشق. وفي الاستفزاز السوري التالي سترسل إسرائيل جرارات مدرعة إلى عمق المناطق المنزوعة السلاح بانتظار إطلاق النار عليها من قبل السوريين عندئذ ترد إسرائيل الضربة (٣٣).

ثلاثون ثانية فوق دمشق

لم يتأخر الاستفزاز. إذ نفذ الفدائيون ضربتين في ١٣ مارس: زرعوا شحنتين ناسفتين تحت مضخة ري، وخطوط السكة الحديدية على طول الحدود الأردنية. وكما كان مخططاً، تتقدم الجرارات الإسرائيلية عبر المنطقة المنزوعة السلاح الجنوبية المجاورة إلى النّقب (Ein Gev) وكيبوتز هاعون (Ha'on) وكما هو متوقع تطلق عليها البنادق الرشاشة والمضادة للدرع من موقع التوافيق فوقهم على هضبة الجولان. ردت قوات الدفاع الإسرائيلي على النار بالمثل. لم يستغرق تبادل إطلاق النار زمناً طويلاً. وحدث صدام مماثل في الساعة التاسعة صباح السابع من إبريل عندما دخل جراران منطقة منزوعة السلاح قرب تل كاتزير (Tel Katzir) عند الطرف الجنوبي لبحر الجيل (بحيرة طبريا). حياهم السوريون هذه المرة بمدافع عيار ٣٧ مم وليس بأسلحة خفيفة. أصيب الجراران على الفور. قصفت الدبابات الإسرائيلية مرابط المدفعية السورية، فقصفت مدفعية الهاون السورية من عيار ٨١ مم وعيار ١٢٠ مم المستوطنات الإسرائيلية.

سرعان ما تحولت المناوشات إلى حرب صغيرة. إذ لعلعت أصوات البنادق الرشاشة، وهدر دوي المدافع في الجولان والأراضي المنبسطة تحتها. وما إن حلت الساعة ٧,٣٠ بعد الظهر، حتى كانت ٢٤٧ قذيفة مدفع قد سقطت على كيبوتر غادوت (Gadot) فاشتعلت فيها عدة مبان، حسبما قال مراقبو الأمم المتحدة.

سعت الأمم المتحدة إلى ترتيب وقف إطلاق النار. فوافقت سوريا على ذلك شريطة أن تتوقف إسرائيل عن كل الأعمال في المناطق المنزوعة السلاح. رفض إشكول في القدس الذي كان على اتصال دائم برابين في موقعه القتالي المتقدم، هذه الشروط - وأمر بإرسال المزيد من الجرارات ولكنه توقف عند اقتراح رئيس الأركان بضرورة تفعيل سلاح الجو الإسرائيلي لتحييد المدفعية السورية البعيدة المدى. بعد ساعة اشتد القصف السوري. وأخيراً لانَ إشكول، وحلّقت قاذفات فاتور (Vatour) الإسرائيلية تغطيها طائرات الميراج (Mirage) وشرعت بقصف القرى والبلوكوزات السورية. فدمر في قرية واحدة هي سقوفيا، أربعين منزلاً وقتل أربعة عشر مدنيا. ولم تكد الطائرات الإسرائيلية تبدأ هجماتها حتى اشتبكت مع طائرات ميغ MIG السورية.

لم يكن أداء سلاح الجو السوري ناجحًا ضد سلاح الجو الإسرائيلي أبداً، ولم تكن هذه المرة استثناء. إذ سقطت طائرتا ميغ فوق القنيطرة، أكبر مدن الجولان، وعادت بقية الطائرات إلى دمشق.

وفي معركة عنيفة ضخمة اشتركت فيها حوالي ١٣٠ طائرة، دُمرِت أربع طائرات ميغ سورية أخرى. وفي غضون ثلاثين ثانية فقط كانت إسرائيل قد حققت تفوقاً فوق الأجواء السورية. وقع النظام في حيرة من أمره حول تفسير ورطتهم «أيها المواطنون: انتبهوا، إن طائرات العدو تحلق في أجوائنا، وطائراتنا مشتبكة معها».

وادعت السلطات السورية فيما بعد قائلة: «لقد أسقط نسورنا الأبطال خمس طائرات إسرائيلية». بيد أنه لم يكن بالإمكان إخفاء الحقيقة المرّة، إذ شهدت العاصمة كلها الصدام. وانخرطت طائرات الميراج الإسرئيلية في تحليق انتصار حول دمشق، وتعالت صيحات الابتهاج في مكتب رابين. وقال رئيس الأركان: «استعادت إسرائيل زمام المبادرة.» فأهين السوريون، وظل المصريون بلا حراك.

كان رابين مخطئاً: لقد أكدت حوادث السابع من إبريل عجز الحلف الدفاعي المصري - السوري، كما أثبتت غارة السّموع من قبل. فقد شكى رئيس هيئة القيادة العربية الموحدة، علي علي عامر، في حديث خاص مع الشقيري قائلاً: «كم مَرَّة رجونا إخوتنا السوريين ألاّ يستفزوا إسرائيل؟ فهم يعلمون أننا لم نستكمل استعداداتنا العسكرية، بعد.. ويعلمون أنه يجب أن نختار نحن زمان ومكان المعركة.. لقد توسّلنا إليهم المرَّة تلوا الأخرى، ومع ذلك ظلوا يقصفون المستوطنات الإسرائيلية، ويرسلون خلايا فتح ليطلقوا النار على وسائل المواصلات أو ينسفوا الطرقات وكل ذلك يضر بجهودنا العسكرية». ادعى عبد الناصر أن عدوان إسرائيل كان محاولة لتحويل أنظاره عن اليمن، فكان هذا الادعاء ضعيفاً. وأردف موضحاً أن الجولان تقع خارج مدى مصر. (٣٤)

وفي تحرك لإنقاذ ماء الوجه، أرسل عبد الناصر رئيس وزرائه صدقي سليمان، وقائد قواته الجوية الجنرال صدقي محمود إلى دمشق.

انخرط أعلى اثنين رتبة في مصر، أثناء زيارتهما الأولى منذ انفصال الجمهورية العربية المتحدة قبل ست سنوات، في كلام بليغ أدانوا فيه بعبع الصهيونية والإمبريالية الأمريكية، والرجعية العربية. وحاول المصريون جاهدين من وراء الكواليس إقناع مضيفيهم السوريين أن يكفوا عن دعم فتح. محذرين أنه إذا ما أصرت فتح على الاستمرار بعملياتها وعجّلت نشوب الحرب، فسوف تقف سوريا وحدها.

لم يلتزم السوريون، على أية حال، ورفضوا طلب زائريهم بأن يضعوا طائرات مصرية نفاثة قرب دمشق. وبدلاً من ذلك نجحوا في أن ينتزعوا من المصريين وعداً بمساعدتهم إذا ما وقعت الحرب.

وبموجب الخطة التي أعطيت اسما رمزياً هو «رشيد»، تقوم الدولتان بهجوم متزامن على إسرائيل، سوريا تضرب الشمال ومصر تضرب الجنوب والوسط. ثم



تتقدم القوات السورية عبر الجليل إلى حيفا. وهنا، في معرض الأنشطة الأرضية، رسم المصريون خطأً. إذ قال صدقي محمود لعبد الناصر لدى عودته: «كل ما قلته للسوريين هو أنه في حال قيام إسرائيل بحشد قواتها على حدودهم، فإني سأرفع جاهزية الطيران ومستوى نشاطه في سيناء وجنوب إسرائيل لتقييد حرية الجزء الأكبر من سلاح الجو الإسرائيلي.. لم نتحدث أبداً عن تحريك قوات مصرية إلى داخل سيناء». (٣٥)

كان تأثير القتال في السابع من نيسان مماثلاً لتأثير غارة السموع على الصراع العربي - العربي إذ سارع الأردن لاستغلال الخزي الذي أحاق بعبد الناصر وادعى أن الطيران الإسرائيلي لم يهاجم سوريا فحسب، بل حلق على ارتفاعات منخفضة فوق القواعد الجوية المصرية في سيناء، ومع ذلك ظل المصريون ناكصين. وقال راديو عمان موبّخا: «إن عدونا.. يعرف لسوء الحظ.. كيف كان عبد الناصر جاداً عندما قال في خطابه الأخير إن الجمهورية العربية المتحدة سوف تشترك في المعركة في اللحظة التي تتعرض فيها سورية للهجوم».

وكل العرب يعرفون أن العدوان الإسرائيلي الأخير على الأخت سوريا قد استمر ساعات عديدة. وقعت ثلاث طائرات سورية من التي أسقطت في الأراضي الأردنية، وتبين أنها كانت مزوّدة بصواريخ خشبية، لأن الأسد كان يخشى تزويدها بصواريخ حقيقية. «ورد عليهم المصريون بلهجة لا تقل قدحاً وذمّاً عن لهجة الإذاعة الأردنية، متهمين الحسين بالتواطؤ مع إسرائيل في ذلك الهجوم. قال رئيس الوزراء المصري، سليمان: «لقد أصبحت الأردن حصنا للإمبريالية، ومعسكر تدريب للعصابات المرتزقة، وموقعاً متقدماً رجعياً لحماية إسرائيل». قال عبد الناصر في خطبة له: «كان الملك كجده متحالفاً مع الصهيونية ولدا عميلين وتربَّيا على الخيانة». (٣٦)

كان الحسين أكثر تلطخا بالدم بسبب هذه المشادة الكلامية العنيفة. لأن موقعه أكثر عرضة للخطر من موقع عبد الناصر وعلى إثر إبعاد الأردن عن مصر وسورية



والعراق، وبسبب عدم حمايتها من السعودية والدول العربية المحافظة الأخرى، كانت الأردن على وشك الخروج من الجامعة العربية حيث اتهم الشقيري الحسين بثلاث وثلاين تهمة خيانة. لا يوجد أي حليف عربي يحمي الأردن من إسرائيل. التي، كما أثبتت غارة السمّوع، ربما تحتل الضفة الغربية بدلاً من مهاجمة سورية مباشرة. لدى إدراك الحسين أنه حشر في زاوية، قاتل من أجل الخروج من العزلة التي أخذت تزداد عمقاً. فأقال رئيس وزرائه وصفي التل المناهض بعنف للناصرية، وأمر بوقف الدعاية المعادية لمصر. (٣٧)

ثم قام بتحرك استثنائي في ٢٨ إبريل إذ دعى وزير الخارجية المصرية محمود رياض الذي كانت تربطهما معرفة قديمة إلى القصر الملكي. أخذ عبد الناصر على حين غرة بهذا التغيير المفاجئ، فلم يجد بُداً من قبول الدعوة: فطار رياض إلى الأردن.

كانت رسالة الملك بسيطة: كانت سورية تنصب فخاً بتسخين الحدود لدرجة تدفع فيها مصر إلى التدخل. وأن حرباً كانت قادمة يسقط فيها عبد الناصر وتُدَمَّر الأردن. وكان جواب رياض مختصراً كذلك: إذن على الأردن أن تقبل نشر قوات سعودية وعراقية على أراضيها وفقا لخطة القيادة العربية المشتركة. ولكن الحسين قال لا. ليس قبل أن يخلص عبد الناصر مصر من قوات الطوارئ الدولية، ويعيد جيشه إلى سيناء. وانتهى الاجتماع، إذن، دون تغيير في موقف أي من الطرفين. عاد راديو عمان بعد أربعة أيام إلى نقد عبد الناصر نقداً لاذعا وشجبه بعنف ووصف بأنه «القائد العربي الوحيد.. الذي يعيش بسلام وهدوء مع إسرائيل. لم يطلق أي عيار ناري من أراضيه تجاه إسرائيل.. ونأمل أن يكتفي بذلك.. ياللعار.. لم تكن القرى اليمنية بالتأكيد، خارج المدى، عندما قصفت بالغاز السام». (٣٨)

استمرت العلاقات بين الحكام العرب بالتدهور، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالوضع على حدود إسرائيل. وبدلاً من أن تؤدي أحداث السابع من إبريل إلى تخفيف حدة

التوتر، فقد أسفرت عن مزيد من التصعيد. فقد نفذت فتح خلال الشهر التالي ما لا يقل عن أربع عشرة عملية. إذ زرعت الألغام والعبوات الناسفة ليس فقط على الجانب الإسرائيلي المحاذي للحدود السورية والأردنية، بل عبر الحدود اللبنانية كذلك.

وبلغت الهجمات من لبنان ذروتها في الخامس من مايو (آيار) عندما أطلق الفلسطينيون وابلاً من قذائف الهاون من المناطق اللبنانية على كيبوتز المنارة (Kibbutz Manara) وإسرائيل من جهتها تابعت حرث الأراضي المنزوعة السلاح مستفزة بذلك سوريا التي كانت تقصف الحراثين. ومثل هذه الصلّية من المدفعية أطلقت في الحادي عشر من إبريل جعلت مئتي سائح أمريكي يهرعون متدافعين إلى ملاجئ إحدى الكيبوتزات تحت مرتفعات الجولان. ولكن النار السورية لم تكن دائماً رداً على تحركات إسرائيلية.

فقد تعرض مزارعون في كيبوتز جونين (Kibbutz Gonen) في وادي الحولة للنار في الثاني عشر من إبريل بينما كانوا يصلحون سياجاً وأصيب أحدهم في رأسه. (٣٩)

أصبح حساب الهجمات السورية سواء بصورة مباشرة أو من خلال مجموعات فدائية فلسطينية غامراً جداً بالنسبة للإسرائيليين. وأخذ الرأي العام، وخصوصاً في المناطق الحدودية، يطالب بالانتقام لإهراق الدماء هذا، ليس من الأردن، بل من الفاعل الحقيقي، سوريا. وكان البريطانيون والأمريكيون يدفعون في الاتجاه نفسه سواء كان ذلك خوفاً من عرش الحسين أو استياء من سورية. وكان الدبلوماسيون الإسرائيليون في الخارج يهيئون الأجواء للقيام بالانتقام. فقد قال السفير الإسرائيلي إلى واشنطن أفراهام (أبي) هارمان (Avraham (Abe) Harman) إلى باتل (Battle) الذي أصبح في ذلك الوقت مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى: «بالتأكيد لا يساور السوريين أي وهم بأنهم محصنون ضد الهجمات الإسرائيلية إذا ما استمرت الحوادث الإرهابية». حتى في الأحاديث العامة، كشكوى إيبان (Eban) إلى مجلس الأمن، كان يجري التأكيد على شرعية الانتقام، حيث قال:



«إن افتراض السوريين بأنه لن يكون هناك رد على الاستفزاز، افتراض مثلوم أساساً فما من أحد ذي ضمير عالمي سليم إلا وسوف يتعاطف مع عجز إسرائيل عن ترويض نفسها على إرسال الإرهابيين من سوريا». (٤٠)

كان لا بد من قرار مهما كان شاقاً ومرهقا. وهناك اثنان يتحملان وطأته العظمى، مختلفان عمراً وخلفية، ومع ذلك متكاملان في الشخصية، مثل العلاقة بينهما كمثل العلاقة المتناقضة بين ناصر وعامر وكمثل الاختلاف بين آلياتهما السياسية: هما رئيس الوزراء الإسرائيلي ورئيس هيئة الأركان اللذان يشكلان فريقاً نشيطاً متناغماً بصورة سلسلة.

ثنائي مستحيل

ولد قرب كييف (Kiev) لأسرة اسمها الأصلي شكولنيك (Shkolnik) في العام ١٨٩٥، وعندما شاعت البرامج القيصرية، كان إشكول (Eskhol) قد شبَّ في بيئة من العنف والتعصب الديني، والصهيونية. انتقل إلى فلسطين في سن التاسعة عشر إلى أول كيبوتز اسمها ديغانيا (Degania) قرب بحر الجليل (بحيرة طبريا). فأثبت هناك أنه عامل قوي نجا من نوبات ملاريا وهجمات البدو الرُّحل. ولكن بعد أن أحب الأرض واعتبر نفسه دائماً أنه حرَّاثها، اكتشف إشكول أن تفوقه يكمن في السياسة: أولاً كممثل لحركة الكيبوتزات، ومن ثم كممثل لاتحاد العمال الرئيسي. وخلافاً لابن غوريون (Ben Gurion) الخيالي الحالم، كان إشكول براغماتيا، واقعيا.

إذ أسفرت سنوات خدمته في الحقل العام عن إنجازات راسخة خالدة، من بينها بناء البنية التحتية للبلاد، وتحرير العرب الإسرائيليين من الإدارة العسكرية التي فرضت عليهم في العام ١٩٤٨. ومن أكثر مآثره فخراً، تأسيس مصلحة المياه القومية «ميكوروت، Mekorot (مصادر)».إذ كان حلم إشكول أن يقطع البلاد طولاً وعرضاً بأنابيب الري «كالشرايين في جسم الإنسان» وأن يرى كل بوصة من الأرض مفلوحة.



كان إشكول، كعبد الناصر، بسيط الأذواق. فكانت زوجته الثالثة مريم (Miriam) هي مصدر توهجه (طلق الأولى، أما الثانية فماتت) لما كانت تتمتع به من شباب وجاذبية، ولكن في حين كان عبد الناصر يتمتع بجاذبية شعبية قوية، كان إشكول خالياً منها كليا.

كان يبدو بوجهه الباهت الخالي من الملامح، وبنظارتيه البسيطتين وأدائه الرتيب، كبيروقراطي كلاسي - وشخصية من شخصيات قلعة كافكا (Cafka) ومع ذلك كان ذلك المظهر الخارجي الرمادي الباهت يخفي وراءه شخصية دافئة متحمسة، ومولعة بالحكم والأقوال المأثورة الهزلية. قال ذات مرَّة: «أتريدون أن تكوّنوا ثروة صغيرة في إسرائيل؟ أحضروا ثروة كبيرة». وكان متحمساً للغة اليديشية (Yiddish).

يذكره عيزر وايزمن (Ezer Weisman) بأنه «الرجل المحبوب.. الهادئ المستهتر.. المنفتح.. المتحدث البارع.» حتى منافسه السياسي مثل شمعون بيريز (Shimon Peres) يمتدحه قائلاً: «إنه حازم ولكن ليس عنيداً، مرن ولكنه غير مستسلم.. يعلم بأن الحياة دون توفيق مستحيلة» «كان مشهوراً ببراعته في التملص من التزاماته». فمن أقواله المشهورة: «نعم لقد وعدت بالتأكيد، ولكن هل وعدت أن ألتزم بوعدي؟» بيد أن هذه المراوغة كانت تظهره أحياناً بأنه غير حازم. ومن فكاهاته الشائعة أن أجاب على سؤال نادلة فيما إذا كان يريد قهوة أو شاياً، بقوله: «نصف من كل نوع».

لم تكن سمعة إشكول أضعف مما هي في الشؤون العسكرية، وذلك عيب مُقعدٌ في بلد تتمركز فيها سلطتا رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع في يد شخص واحد. كان ذلك الرجل هو بن غوريون، الذي كان يعزف من عرزاله في كيبوتز سدى بوكر (Sde Baker) الصحراوي على وتر عجز خَلَفِهِ في ميدان الدفاع، وخصوصاً إهماله للتحالف الفرنسي الإسرائيلي، وخضوعه للقيود الأمريكية المفروضة على ديمونة. «بيد أن مثل هذه الاتهامات كانت ظالمة جداً. إذ كان إشكول عنصراً فعالاً في بناء قوات الدفاع الإسرائيلية وتحويلها إلى قوة حديثة تعتمد على القوة المدرعة والطيران. وبوصفه رئيساً للوزراة، لم يحجم أبداً عن الموافقة على القيام بغارات

انتقامية -رغم إنها كانت قليلة في نظر بعض ذوي الذهنية التهديئية. إن ما كان يفتقر إليه إشكول هو الخبرة القتالية لأنه لم يخدم في الجيش سوى فترة وجيزة مع البريطانيين في الحرب العالمية الأولى. لقد لدغ بشدة وعمق بنقد بن غوريون -قالت مريم (Miriam) مثل ذلك كمثل أب يلقي بابنه خارج جنة عدن». (٤١)

ظلت سمة الضعف العسكري ملازمة إشكول من خلال اتهامه بأنه إما متسرع جداً أو متردد جداً في اتخاذ القرارات العسكرية. ولما كان تواقاً لتغيير هذه الصورة كان لا يضيع فرصة لارتداء قبعته العسكرية إلا اهتبلها، أو لزيارة الجنود في الميدان إلا اغتنمها، أو اللقاء برئيس أركانه وراء الأبواب المغلقة للتشاور معه إلا استغلّها.

وعندما يأتي الأمر إلى القتال نجد إسحق رابين أغنى خبرة. فقد شهد بعض أشد معارك حرب التحرير، وقاد نخبة من الجنود في المعارك حول القدس وداخلها. وخلافاً لزملائه الضباط الكيبوتزيين والمزارعين نشأ رابين في تل أبيب، ابنا لنشطاء من العمال الصهيونيين الذين كانوا يقضون معظم وقتهم خارج البيت. إنه من مواليد إسرائيل، معسول اللسان، مباشر، وخجول جداً. كان وإشكول صورتي مرآة متطابقتين - الأول جذاب ولكنه هادئ، والثاني رقيق الجسم لكنه حيوي نشيط. ولهذا السبب، وربما لأن كلا منهما بحاجة إلى الآخر كان الاثنان على وفاق تام: «ثرثاران، بسيطان للغاية ومرحان»، يصف رابين في مذكراته رئيس الوزارة قائلاً: «إداري لامع، براغماتي، وماهر جداً في تمثل أدق التفاصيل». طلب إشكول، مجاملاً، من رئيس الأركان أن يبقى في منصبه لفترة ثلاث سنوات أخرى عندما تنتهي ولايته الأولى. وانكب الاثنان على تنفيذ برنامج تسليح واسع النطاق يعطي الأولوية لسلاح الجو والمدرعات، ويركز استراتيجية دفاعية رادعة. (٤٢)

وفيما خلا بعض الاحتكاكات البسيطة التي كانت تقع بين رابين وإشكول من حين إلى حين -كان رابين مألوفاً لذوق إشكول وكان إشكول متطفلاً في الشؤون العسكرية- ظلت العلاقة بين رئيس الوزارة ورئيس الأركان رائعة خلال الشهور الأولى من العام ١٩٦٧. ولكن بعد ذلك لم تدخل علاقتهما اختباراً في محنة أبداً.



ففي مطلع مايو (أيار) تصاعدت الهجمات العربية على الحدود الشمالية، وخول مجلس الوزراء الإسرائيلي الجيش أن يشن حملة انتقامية محدودة ضد سوريا. كرر رابين طلبه بأن تكون الحملة واسعة حتى تفقد النظام البعثي ثقة الجماهير فيه أو تسقطه. ولكن إشكول عارض للمرَّة الثانية، مثل هذا الهجموم خشية ردة فعل السوفيات. لأن الكرملين كان قد أدان ثانية إسرائيل بتآمرها على الحكومة السورية بالتواطؤ مع شركات النفط الغربية.

وقال نائب وزير الخارجية السوفياتي فيكتور سيميونوف (Viktor Semyonov) موبخاً السفير الإسرائيلي كاتز: (Katz) «تشكل إسرائيل تهديداً خطيراً للسلام، كما أنها دمية تلعب بها عناصر أجنبية، وإذا ما حلت كارثة في الشرق الأوسط، فإن إسرائيل تتحمل مسؤوليتها». (٤٣)

ولدى رفض نصيحة رابين لجأ إشكول إلى واشنطن. وطلب منها أن تعلن على الملأ تأكيد التزام أمريكا بأمن إسرائيل، وخصوصاً من خلال تسريع صفقة بيع إسرائيل دبابات باتون (Patton) وطائرات سكاي هوك (Sky hawk). كتب باربر (Barbour) إلى مسؤوليه يدعم الصفقة قائلاً: «يجد إشكول نفسه في مأزق، ولسوف يقدر عاليا تماسك الأيدي قدر الإمكان». ولكن القيود التي كان يفرضها الكونغرس على نقل الأسلحة، والتي كانت شديدة في ضوء فيتنام حالت دون إتمام هذه الصفقة، إضافة إلى أن مقاومة إسرائيل لعمليات تفتيش مفاعل ديمونة قد أسهمت في إحباط هذه الصفقة. ومع ذلك لم يكن لدى جونسون مانع أن يدعم إسرائيل بالقول: أما الأسلحة فكانت خارج الموضوع تماماً. (٤٤)

ازداد موقف أمريكا المعارض للتورط العسكري مع إسرائيل وضوحاً عندما أخبر إشكول مجلة نيوز أندو ورلد ريبورت (News sand World Report) الأمريكية أن إسرائيل تتوقع مساعدة الأسطول السادس في حال نشوب حرب. رد العالم العربي بقسوة، فألغيت زيارات السفن الأمريكية لمينائي بيروت والإسكندرية، واصفة إياها

بأنها «قاعدة امبريالية تطفو فوق البحار»، كما قال الأتاسي، الرئيس السوري، واعداً بأن «البحار العربية ستبتلع أجسادهم (الأمريكيين) وتتغذى أسماكها عليها».

فسارعت وزارة الخارجية الأمريكية إلى الإعلان بأنه لا يوجد أي التزام كهذا من جانب القوات الأمريكية المسلحة، مُلَمّحة إلى أنه في حال وقوع قتال في الشرق الأوسط فإن الأسطول السادس سيظل محايداً. (٤٥)

بذل آخر جهد لإيجاد بديل عن العنف، ليس في الولايات المتحدة، بل في مكان لا تحبه إسرائيل وهو «الأمم المتحدة». ناشد سفير إسرائيل إلى الأمم المتحدة جدعون رفائيل (Gidoen Rafael)، يوثانت (Uthant) الأمين العام للأمم المتحدة أن يتحدث ضد الدعم السوري للإرهاب، وعلى الرغم من أن يوثانت نادراً ما ينتقد العرب، فإنه لم يستطع تجاهل الأدلة على تورط سوريا في الهجمات الفدائية. فأدان في مؤتمر صحفي عقد في ١١ مايو (آيار) تلك الهجمات واصفاً إياها بأنها «تبعث على الأسى»، وخيبة أمل، وتشكل تهديداً للسلام، ومخالفة لنص اتفاقية الهدنة وروحها. «مبدياً ملاحظة» أن الغارات تدل على أن الأفراد الذين يقومون بها مدربون تدريباً خاصاً أعلى من مستوى التدريب المألوف، الذي كان يظهر في عمليات فتح السابقة». ودعا يوثانت جميع «الحكومات» المسؤولة إلى وقف هذه الأعمال.

إن هذا اللوم غير المسبوق لدولة عربية صادر عن أعلى مسؤول رسمي في الأمم المتحدة، والذي بدا وكأنه انتصار لإسرائيل، لم يسفر عن شيء يذكر. كما لم ينعقد مجلس الأمن لمناقشة القضية أبداً بسبب معارضة السوفيات، ولعدم اعتراف ثلث أعضاء المجلس برئيسه الحالي التايواني. أدانت سوريا تصريح يوثانت، إذا ادعى سفير سوريا إلى مجلس الأمن جورج طعمة (George Tomeh) أن تصريحه يعد صفحاً عن استخدام إسرائيل للقوة» (٦) وبسبب شل مجلس الأمن، ومداهنة العرب ومسايرتهم، أحجم الأمين العام عن اتخاذ أية مبادرة: وهكذا أسقط الأمر.



ولدى فشل رابين في الولايات المتحدة والأمم المتحدة لجأ إلى خطاب التحدي في حديث له إلى مجلة جيش الدفاع الإسرائيلي باما هين (Bamahane) قائلاً: «إن الرد الإسرائيلي على الأردن ولبنان يكون مناسبا فقط لدول غير مهتمة بالهجمات الإرهابية التي تشن ضد رغبتها وإرادتها، أما بالنسبة لسورية فالأمر مختلف، لأن النظام يرعى الارهابيين: ولهذا سيكون جوهر الرد على سوريا مختلفاً».

اعتقد إشكول، والعديد من أعضاء الحكومة، أن رابين كان مغاليا في تهديده، وانتقدوه على ذلك: ولكن خرج رئيس الوزراء بعد ذلك بصيغ من التهديد خاصة به، إذ قال مخاطبا منتدى لحزب المباي (Mapai) في ١٢ مايو: «ليس لدينا خيار. إذ ربما نضطر إلى العمل ضد مراكز العدوان وأولئك الذين يشجعونهم، بوسائل لا تقل خطراً عن تلك التي استخدمناها في السابع من إبريل. وصرح في اليوم التالي عبر الإذاعة الاسرائيلية: «لا حصانة لدولة تشجع عمليات التخريب ضدنا، وسوريا هي رأس حربة مثل هذه العمليات». وصدرت بيانات أكثر التهابا، ليس عن إشكول ورابين فحسب، بل أيضاً عن جنرالات مثل ديفيد إلعازر (David Elazar) قائد الجبهة الشمالية، وعن رئيس المخابرات العسكرية أهارون ياريف (Aharon Yariv)، فالتقطت الصحافة الأجنبية معظمها وضخّمتها. يذكر عيزرا وايزمن في مذكراته بعد سنوات: «كانت سمة تلك الأيام الخطابات الطنانة (لا، بل أكثر من طنانة رنّانة».(٤٧)

لقد أصابت التعليقات الإسرائيلية اللاذعة السوريين في مفصل حساس، عندما كانت المعارضة الإسلامية اليقظة وتجار الطبقة الوسطى تشكل تهديداً متزايداً للبعث. وحذر الرئيس الأتاسي إسرائيل إذا شنت هجوماً على سوريا، بقوله: «ستشن سوريا حربا شعبية تشارك فيها كل الجماهير العربية» وأخبر إبراهيم ماخوس، وزير الخارجية السوري، السفير سميت (Smythe) بوجود مؤامرة إمبريالية ضد دمشق، و«بوجود احتمال قيام إسرائيل بعدوان كبير في المستقبل القريب». فالجنود الإسرائيليون يحتشدون في المناطق المنزوعة السلاح، كما ادعى.

وعندما اقترح عليه سميث أن يكبحوا جماح الفدائيين، رد عليه قائلاً: «إن سوريا ترفض تحمل مسؤولية قتال الفلسطينين من أجل وطنهم المسلوب. القضية الفلسطينية مقدسة وينبغي ألا تموت أبداً».

وبدلاً من أن تردع تصريحات إشكول ورابين دمشق عن القيام بمزيد من الاعتداءات، فإنها حثتها على مضاعفة الدعم لفتح.

نفذت هذه المنظمة غارة في ٩ مايو عبر الحدود السورية، وأخرى في ١٣ مايو عبر الحدود الأردنية - تسلل شاب أسمر يتكلم العبرية عالي التدريب ويحمل جواز سفر بريطاني، بعد أن عبر بحر الجليل (بحيرة طبريا) على قارب أقلع من منطقة ساحلية تقع تحت سيطرة الجيش السوري. ولدى اعتقاله وجد معه كمية كبيرة من المتفجرات، وأجهزة تفجير كان ينوي استخدامها، حسب اعترافه، لاغتيال زعماء إسرائيليين. (٤٨)

يمكن أن تنجح إسرائيل في استباق مواجهة كبرى مع سوريا بمضاعفة الفرص لمواجهة واحدة. يمكن تكرار ذلك النموذج نفسه بجدل يدور في ذلك الشهر (مايو) حول العرض الذي يقام في عيد استقلال إسرائيل.

وبما أن هذه الاستعراضات تقام في مدن مختلفة بصورة دورية فإن استعراض العام ١٩٦٧ كان مقرراً أن يتم في القدس الغربية الإسرائيلية في ١٥مايو، وهي المرَّة الأولى منذ تسعة عشر عاماً من تاريخ البلاد يتطابق التأريخان العبري والغريغوري ليوم الاستقلال.

لقد أثار وجود أعداد هائلة من الجنود الإسرائيليين في المدينة المقدسة احتجاجات في طول البلاد العربية وعرضها وخصوصاً في الأردن، رغم أن ذلك لا يعد خرقاً لاتفاقيات الهدنة. كما أن الأمم المتحدة عارضت الاستعراض، وكذلك القوى الغربية التي منعت سفراءها من حضور الاستعراض.

نبذ إشكول هذه المعارضة مشيراً إلى أن الأردن التي حرمت اليهود من الوصول إلى الجدار الغربي وإلى جبل الزيتون انتهاكاً منها لاتفاقيات الهدنة لا يحق لها أن



تعترض على ما تفعله إسرائيل في الجانب الخاص بها من المدينة. ومع ذلك، حذف إشكول، في محاولة منه لتخفيف حدة التوتر، بعض الأبيات الشعرية العسكرية من قصيدة كان المقرر ألقاؤها في تلك المناسبة من الشاعر الإسرائيلي ناتان ألترمان (Natan Alterman) ووافق على عدم عرض أسلحة ثقيلة في القدس (٤٩) وعلى الرغم من احتجاج رابين على هذه القرارات، إلاَّ أنه وافق أخيراً. فلم تشارك قطع مدفعية أو مدرعات في العرض العسكري.

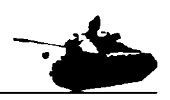
وبعد فترة من عدم التناغم في ردود الفعل على التهديد السوري، تجنب رئيس الوزراء ورئيس الأركان معاً حدوث أزمة صغيرة في القدس.

فلم يكن أيّ من الرجلين مدركا، على أية حال، مدى ما يمكن أن يثيره ذلك التلافي للأزمة من هيجان أوسع وأكثر دموية.

فعل ورد فعل

لم يساور القادة المصريون أدنى شك من أن كارثة وشيكة سوف تقع. غادر أحدهم، وهو أنور السادات، البلاد في ٢٩ إبريل في مهمة لا علاقة لها بالصراع العربي الإسرائيلي. كانت مهمته مجرد زيارة مجاملة إلى بعض الشخصيات السياسية في منغوليا وكوريا الشمالية، ويعود عن طريق موسكو. تنبأت السفارة الأمريكية في القاهرة قائلة: «لا نتوقع أن تسفر هذه الزيارات عن أي شيء ذي أهمية».

يعزى افتقار الأمريكيين لأية توقعات من هذه الزيارات إلى السادات نفسه، ذلك الشخص العادي جداً الذي لم يتسلم قط أي منصب عسكري خطير، يعمل كناطق باسم الجمعية الوطنية لا ضرر منه بيد أن مظهر السادات الخارجي -طويل، شديد السمرة، صموت- كان يخفي وراءه سجلاً يحتوي على دخوله السجن مرتين لكونه عميلاً لألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية وبتهمة اغتيال مسؤول مصري موال لبريطانيا. وبوصفه أحد المشاركين في ثورة يوليو ١٩٥٢، احتفظ فيما بعد بروابط مع



الإخوان المسلمين وعارض الاتصالات السرية مع إسرائيل. ربما بفضل هذه القاعدة الأيديولوجية الراسخة، وولائه الثابت للنظام، وثق به عبد الناصر. وإن لم تكن ثقته نابعة من تَيْنِكَ الصفتين، فربما تكون نابعة من كون السادات مطيعاً جداً للرئيس.

أمّنهم السوفيات ذلك، وأكدو أن رحلته سوف تشمل لقاءات مع رئيس الوزراء كوسيغن (Kosygin) والرئيس بودغورني (Podgony) ووزير الخارجية أندرية غروميكو (Andrei Gromyko) ونائبه سيميونوف (Semyonoav) تبين أن المحادثات أكثر من مجرد تبادل التحية والتمنيات الطيبة. إذ أخبر الزعماء السوفيات السادات بعبارات تحذيرية بوشوك غزو إسرائيلي لسوريا يهدف إلى الإحاطة بالبعث. وعلى الرغم من أن الكرملين قد وجه إنذاراً صارماً للسفير الإسرائيلي، فقد احتشد ١٢ لواء إسرئيلياً على الحدود السورية جاهزة للتقدم في أي وقت بين ١٦و ٢٢ مايو. وقال بودغورني للسادات: «يجب ألاَّ تفاجؤوا ستكون الأيام القليلة القادمة مصيرية، وسوريا سوف تواجه وضعاً صعبا ولسوف نساعد سورية في ذلك الوضع الصعب». ولتأكيد معلوماتهم وتعزيزها استشهد السوفيات بغياب المدرعات والمدفعية من العرض العسكري في القدس يوم عيد الاستقلال - وادعوا أن ذلك يعد دليلاً ملموساً على أن هذه الأسلحة قد حركت إلى الشمال. (٥٠)

يظل سبب التحذير الروسي هذا غامضاً تاركاً المجال لسلسلة طويلة من النظريات تتعلق بالسبب الذي دعا السوفيات إلى تقديم هذا التحذير في مثل هذا الوقت المفصلي بالذات، وما هو المكسب الذي كانوا يسعون إلى الحصول عليه. فكر البعض أن موسكو قد اخترعت الأزمة لدعم هيبة عبد الناصر وتصليب التحالف السوري السوفياتي. وتقول بعض الفرضيات أن السوفيات كانوا يسعون لإغراء عبد الناصر ليخوض حرباً ضد إسرائيل وتدميره وبالتالي إخلاء الساحة للهيمنة السورية ودخول الكوادر الشيوعية. وكان الوقت مناسبا لاستغلال انشغال أمريكا في فيتنام، كما قال بعض الخبراء، للحد من نفوذ الصين المتزايد في المنطقة، وتوجيه ضربة ساحقة للصهيونية، وذهب بعضهم إلى القول إن أمريكا هي التي سربت المعلومات



حول خطط إسرائيل للهجوم، من أجل تخفيف الضغط المصري على بلدان الخليج، أو أن إسرائيل نفسها كانت هي مصدر هذه المعلومات سعياً وراء إشعال حرب برية واسعة. فقد لام بعض المسؤولين السوفيات فيما بعد سوء فهم المخابرات التي تم تلقيها من عملاء الـ KGB داخل إسرائيل فيما يتعلق بقيام إسرائيل بعمل انتقامي ضد سوريا. قال أحد أعضاء مجلس السوفيات الأعلى، كارين بروتنز (Carin Bru-tenz) «إن المعلومات لم تكن مؤكدة وكانت بحاجة إلى مزيد من التقصي؛ ولكن سيميونوف لم يتمالك نفسه فمرر المعلومة إلى المصريين». (٥١)

في خضم هذه التخمينات ضاعت حقيقة أنه لم يكن في هذا التحذير السوفياتي للسادات أي جديد، فمثل هذه التقارير التي تشير إلى عدوان إسرائيلي على سوريا مازالت تتكرر خلال السنة المنصرمة.

لقد لوحظ أن تلك التحذيرات كانت تعكس انقسامات عميقة في قيادة الكرملين، والمفاهيم المختلفة للمصالح السوفياتية في الشرق الأوسط - في منتصف الطريق بين تلافي جميع الصدامات في المنطقة أو إغراقها في حرب. كان السوفيات الذين توقعوا تماماً قيام إسرائيل بعمل انتقامي ضد سوريا، يسعون لمنع نشوب حرب من نتائجها المحتملة هزيمة العرب، وحدوث مواجهة بين القوى العظمى. ومع ذلك كانوا يسعون في الوقت نفسه إبقاء المنطقة في حالة توتر لتذكير العرب بحاجتهم إلى مساعدة السوفيات. ومن هنا كان التأكيد على دور مصر في ردع الاسرائيليين، ومن هنا كان ذكر عشرة ألوية أو اثني عشر لواء اسرائيلياً محتشدة على الحدود. كما أن ميل أصحاب القرار الشيوعيين السوفيات للتأثر بدعايتهم هم المتعلقة بخيانة الإمبرالية وغدر الصهيونية، تلك السمة التي يسميها مجلس الوزراء البريطاني بـ «الانحراف الأيديولوجي» قد لعب دوراً في تضخيم التهديد الذي كانت تشكله إسرائيل لسوريا. (٥٢)

وأخيراً ثبت أن السبب الذي من أجله تصرف السوفيات بتلك الطريقة أقل أهمية من الطريقة التي رد فيها المصريون. إذ عاد السّادات إلى القاهرة بعد

منتصف ليلة الرابع عشر من مايو وأسرع على الفور إلى بيت عبد الناصر. فوجد هناك الرئيس والمشير عامر يبحثان التقرير السوفياتي. وكانت تفاصيل أخرى عن الحشد الإسرائيلي قد وصلت وزارة الخارجية المصرية عن طريق السفير السوفياتي ديمتري بوجيدايف (Dimitri Pojidaev)، ووصلت إلى رئيس المخابرات المصرية صلاح نصر عن طريق عميل محلي للمخابرات السوفياتية (KGB). ثم وصلت رسالة مماثلة -قبل غيرها- من دمشق، تقول:

«لقد علمنا من مصدر موثوق أن أولاً: إسرائيل قد حشدت معظم احتياطيها. وثانيا: ركزت معظم قواتها على الحدود السورية، وتقدر بـ ١٥ لواء. وثالثاً: يخطط الإسرائيليون بهجوم واسع النطاق على سورية بما في ذلك إنزال مظلي، وذلك فيما بين ١٥ و٢٢ مايو (آيار).»

كذلك ادعى عامر باعتزاز انه رأى صوراً فوتوغرافية تؤكد الحشودات الإسرائيلية. (٥٣)

لقد شاعت في الأشهر الأخيرة ادعاءات سورية بتوقع حدوث غزو وشيك وأن عبد الناصر تجاهلها على الفور. ولكنه لم يعد بإمكان تجاهل مثل هذه التحذيرات النوعية من مصادر سوفياتية عديدة بما فيها الكرملين نفسه. ولدى النظر إلى هذه المعلومات على ضوء بيانات إشكول ورابين التهديدية، وعدم وجود أسلحة ثقيلة في الاستعراض العسكري الإسرائيلي، اعتبرت المخابرات أنها أمسكت بحلقة الحقيقة. فقضى ناصر وعامر الجزء الأعظم مما تبقى من تلك الليلة يبحثان تشعبات هجوم إسرائيلي على سوريا، واحتمالات الرد المصري، بما في ذلك إخراج قوات الطوارئ الدولية من سيناء. وفي الساعة السابعة والنصف صباحاً قررا دعوة هيئة الأركان العامة في غضون أربع ساعات واتخذا القرار اللازم بشأن تصرف الجيش. (٥٤)

ما كان للقرار أن يتخذ من منطلق الشهامة والعزة. فقد بدأت الأزمة الاقتصادية تظهر على الجيش الذين استمرت رتبهم بالتضخم رغم العجز في الميزانية «وظهر

هذا العجز في الصيانة المتدنية -كان يتوافر ثمانية طيارين لكل طائرة عاملة- وفي إيقاف جميع التدريبات تقريباً. بيد أن العيب العسكري لم يكن ماليا فقط. إذ كانت المناصب العليا توزع على أساس القرابة الأسروية أو الروابط السياسية، وليس على أساس الاستحقاق والميزات، في حين كان يتم اختيار المرؤوسين عن عمد ممن هم غير أكفاء كيلا يشكلوا تهديداً لقادتهم. لم يكن الولاء بين الضباط قوياً، وكان الولاء بينهم وبين الجنود أكثر ضعفاً.

قال الجنرال ريكهاي (Rikhye) من قوات الطوارئ الدولية: «كنت دائما أشعر بالأسى تجاه المصريين الذين تم التخلي عنهم في سيناء، عندما أخذ عدد كبير من ضباطهم إجازات طويلة في نهاية الأسبوع في القاهرة».

وعلى الصعيد البنيوي لم يكن هناك إطار للتعاون أو نظام اتصالات بين القوات الجوية والبرية والبحرية. وكانت الأوامر تسلك طرقاً دائرية واسعة قبل أن تصل إلى الجنود في الميدان، حيث تنعدم المبادرة. كان معيار النجاح يتمثل في الأيدلويوجية وليس في الأداء.

شكى الجنرال عبد المنعم خليل قائد سلاح المظلين المصريين قائلاً: «لدينا أكداس من الكتب والبروشورات حول أمجاد ثورة ٢٣ يوليو. ووصفت الكتب بحالة جيدة وكانت تُفَتَّشَ باستمرار، وكانت هي أساس تحديد المقدرة القتالية للوحدة. وكان الضباط يسخرون منها، ومع ذلك أخذوها معهم إلى اليمن ليظهروا ولاءهم». (٥٥)

اطلع عبد الناصر على عيوب الجيش بطرق تعزز معارضته الثابتة منذ زمن لخوض أي حرب ضد إسرائيل. فعلى الرغم من أن خطابه ظل ناريا كما هو، إذ طمأن طلاب كلية الحقوق في جامعة الإسكندرية في العاشر من مايو، قائلاً: «نريد أن نقاتل من أجل تحرير فلسطين واستردادها» فإنه لم يتخذ أية خطوة ملموسة رداً على المعارك الجوية التي جرت في السابع من نيسان. كما كان سفير مصر إلى واشنطن مصطفى كامل يحيط الأمريكان علما بالاستمرار بالتزام عبد الناصر

بإبقاء قضية إسرائيل «في الثلاجة» إلى أن تصبح واشنطن راغبة في إعادة النظر في سياستها المتعلقة بمساعدات مصر. كتب وولت روستو (Walt Rostow) في مذكرة داخلية إلى الرئيس، يقول فيها: «في حين أن ما من أحد يحب فكرة الدفع لاحتواء شخص ما، فإن عبد الناصر يظل أقوى شخصية في الشرق الأوسط.. وقد كبح جماح العرب الأكثر شراسة الذين يدفعون باتجاه معركة إسرائيلية - عربية كارثية حاسمة». (٥٦)

ما لم يكن يعرفه الأمريكيون هو وجود قوة عسكرية موازية في مصر تضغط باستمرار من أجل شن حرب ضد إسرائيل. إذا كان العديد من الجنرالات يعتقدون أنه، بغض النظر عن العيوب الموجودة، فإن لدى الجيش المصري أضعاف أضعاف ما تملكه إسرائيل من الطائرات والدبابات والمدافع، وأن التفوق العددي وحده كاف لضمان النصر العربي. أما إسرائيل التي يعمها الفساد الأخلاقي والركود الاقتصادي، لم تعد تلك القوة الساحقة التي كان يخشاها المصريون ذات يوم؛ لذلك لا بد من ضربها قبل أن تبدأ هي هجومها ضد سوريا والأردن. وقال صدقي محمود بإعجاب: «إن نظام الإنذار والدفاع الجوي لدينا قادر على اكتشاف أي هجوم جوي معاد وتدميره مهما كان عدد الطائرات المشتركة فيه، ومهما كان الاتجاه الذي تأتي منه. وبفضل مظلة الصواريخ الروسية فإن المدرعات المصرية تستطيع التقدم دون إعاقة. كان عامر بصورة خاصة صريحاً في ثقته. إذ كتب المشير إلى عبد الناصر في مطلع مايو قائلاً: «ليست قواتنا المسلحة بقادرة على صد إسرائيل فحسب، بل هي قادرة أيضاً على التوجه شرقاً، وتستطيع مصر أن توطد موقعاً تفرض منه شروطها السياسية وتجبر إسرائيل على احترام الحقوق العربية والفلسطينية». (٥٧)

لم يغو مثل هذا المديح للقوات المصرية عبد الناصر الذي كان يذكر مستشاريه دائماً بأن مصر لن تحارب إسرائيل وحدها، بل سوف تحارب الولايات المتحدة كذلك.



ولكن السؤال الجوهري لم يعد ما إذا كان الجيش المصري قادراً على السيطرة على إسرائيل، بل ما إذا كان حكم عبد الناصر سيصمد إذا ما فشل في الدفاع عن سوريا مَرَّة أخرى. إن الإحاطة بالبعث سيضمن انهيار جميع الأنظمة التقدمية في المنطقة كلها -على طريقة الدمينو- بدءاً من العراق ومروراً باليمن وربما انتهاء بمصر نفسها.

لقد ثبت أن معاهدة الدفاع المشترك بين سوريا ومصر لا فائدة منها، وأن هيبة عبد الناصر قد تقلصت لدى السوفيات. قال عبد الناصر لهيكل عبر الخط المشفّر بين مكتبهما: «يمكن أن تنهار الجبهة الشرقية. وسوف تجد مصر نفسها تواجه إسرائيل وحدها». لأنه بعد السموع وبعد السابع من إبريل لم يعد بإمكان عبد الناصر أن يجلس جانبا يتفرّج على المشهد». (٥٨)

ومع ذلك لا يستطيع أن يعهد لعامر بقيادة المعركة. فالتوتر بين الرئيس ومشيره كان مازال عاليا. وبما أن خشية عبد الناصر من الفتنة والعصيان كانت تتعاظم فقد عيَّن ضباطاً متقاعدين ليكونوا مصدر معلومات حول مدى نفوذ عامر في الجيش. ولكن عبد الحكيم عامر كبح هذه الحركة، ثم رفض عرض عبد الناصر تعيينه رئيس وزراء مقابل تخليه عن قيادة الجيش. وبدلا من ذلك ازداد نفوذ عامر في الجيش لدرجة أن وزير الدفاع شمس بدران، ورئيس أركان القوات الجوية صدقي محمود، صنيعتي عبد الحكيم عامر، استطاعا تحييد رئيس هيئة الأركان العامة، فوزي، الموالي لعبد الناصر. أبدى عامر إشارات تفيد بأنه يريد استغلال تصاعد الأزمة في الشمال لرفع مكانته أكثر بفضل قيادته للجيش في معركة مظفرة مجيدة. (٥٩) سعى عبد الناصر منع ذلك، واستعادة امتيازاته في الوطن، وزمام المبادرة في المنطقة ليثبت للعرب أنه هو -وليس عامر ولا سوريا- خير مدافع عنهم ضد إسرائيل.

اجتمعت هيئة الأركان العامة المصرية، كما هو مقرر، في مقر القيادة العليا في الساعة ١١.٣٠ برعاية المشير عامر. أجرى رئيس المخابرات العسكرية اللواء

محمد أحمد صادق مسحاً للمعلومات التي تلقوها من مصادر سوفياتية وسورية ولبنانية فيما يتعلق بالحشود الإسرائيلية على الحدود السورية واحتمال قيام إسرائيل بهجوم عليها في وقت ما بين١٧ و٢١ مايو. ثم أخذ عامر بزمام الاجتماع، وأمر بوضع سلاح الجو كله والجنود على الجبهة في حالة تأهب قصوى، واستدعي الاحتياط للالتحاق بالخدمة الفعلية. وقال: إنه ينبغي أن يتقدم الجيش خلال فترة تتراوح بين ثمان وأربعين إلى اثنتين وسبعين ساعة في سيناء ويأخذ مواقع على ثلاثة خطوط من خطة «القاهر». وينبغي أن يكون الانتشار دفاعيا، أما العمليات الهجومية فلا تستبعد. وفي هذه الأثناء كان الجنرال فوزي يطير على جناح السرعة إلى دمشق ليطمئن القادة السوريين أن مصر جاهزة للقتال بكل ما لديها من إمكانات، «لتدمير سلاح الجو الإسرائيلي واحتلال أراضي إسرائيل». (٦٠)

وفي حين كانت هيئة الأركان تدرس الوضع، كان عبد الناصر في ميدان التحرير، في مكتب الدكتور محمد فوزي رئيس مستشاريه في الشؤون الخارجية. كان فوزي كالسادات، يتمتع بإمكانية الوصول إلى الرئيس في أي وقت. ووصفه مكتب وزارة الخارجية البريطانية بـ «العميل الموثوق (لعبد الناصر)، والمفاوض القدير والدبلوماسي الداهية.. يتقن صياغة سياسات من هم أكثر فظاظة بأكثر العبارات اعتدالاً. كان الموضوع الذي يبحثونه حساساً جداً، وهو احتمال إجلاء قوات الطوارئ الدولية من سيناء. إذ على الرغم من تشدد عامر وإصراره على إخراجها بأكملها من سيناء كلها، كان عبد الناصر أقل صراحة في هذا الموضوع وأقل حماسة له. وربما انطلاقاً من عدم رغبة عبد الناصر في الدفاع عن غزة -التي تعد أكثر أهداف إسرائيل احتمالاً في حال نشوب حرب- أو من عدم رغبته الاستعاضة عن الأزمة في سوريا بأزمة في سيناء، كان عبد الناصر لا يريد إعادة قواته إلى شرم الشيخ.



ذلك لأن الجنود المصريين إذا عادوا إلى تلك المنطقة فإنهم لن يقبلوا رؤية السفن الإسرائيلية تعبر تيران أمام أعينهم. وهذا يعني أنه لا بد من إغلاق المضائق ثانية، وبالتالي فإن إسرائيل سترد على ذلك بتوجيه ضربة إلى مصر.

كان فوزي مستعداً بما لديه من وثائق تؤكد أن عبد الناصر يملك السلطة المطلقة لطرد قوات الطوارئ الدولية دون الحاجة إلى مراجعة سابقة للأمر من قبل الجمعية العمومية للأمم المتحدة أو من مجلس الأمن. فضلاً عن ذلك، قدم فوزي اقتراحاً بأن يصدر عبد الناصر أمراً لقوات الطوارئ الدولية بالرجوع عن حدود مصر إلى غزة وشرم الشيخ، ويمكن أن توجه التعليمات بهذا الشأن إلى الجنرال ريكهاي (Rikhye) بدلاً من توجيهها إلى يوثانت، وبهذا تكون مصر قد أكدت على طبيعة قوات الطوارئ الدولية العملية بدلاً من التوكيد على طبيعتها القانونية. أحدثت هذه المناقشات انطباعاً حسناً لدى عبد الناصر، وكان واثقاً من النجاح. وقد دلّت اتصالاته المسبقة مع الهند ويوغوسلافيا أكبر دولتين مشاركتين في قوات الطوارئ الدولية، ومع يوثانت أنهم سوف يوافقون على إعادة توضيع القوات. (٦١)

في حين أعد فوزي رسالة إلى ريكهاي (Rikhye)، قام عبد الناصر بمراجعة قرارات هيئة الأركان العامة وإجراء مشاورات مع عدد من المسؤولين الكبار ومن بينهم نائب رئيس الجمهورية، زكريا محيي الدين (Zakariya Muhieddin). وما إن حل العصر حتى كانت الخطة قد أخذت طريقها إلى التنفيذ. إذ أعلنت حالة طوارئ قومية؛ وألغيت إجازات الجنود والشرطة، وعُطّلت تأشيرات الخروج الممنوحة إلى الطلاب. وضوعفت الحراسة على الجسور والمباني العامة، بيد أن هذه الإجراءات التي عُلِلت بـ «بالتوتر على خطوط الهدنة السورية - الإسرائيلية، والحشود العسكرية الإسرائيلية الهائلة، وتهديدات إسرائيل ومطالبها العلنية لمهاجمة سوريا»، لم تكن سوى عرضٍ ثانوي لموكب الجيش الذي كان يعبر القاهرة. إذ سار آلاف الجنود في موكب عبر مركز المدينة بدءاً من الساعة ٢،٣٠ بعد الظهر، مارّين بالسفارة الأمريكية، تحت إشراف عامر شخصياً. وكان المشير قد أصدر تعليمات

في غاية السرية لقادة الجيش يحثهم على أن يكونوا يقظين لكل التطورات السياسية منها والاستراتيجية من أجل أن يقرر المكان المناسب والزمان الملائم للبدء بعمليات عسكرية ناجحة».

قال محمد أحمد خميس، ضابط الاتصالات في الفرقة السادسة والضابط المتمرس في حرب اليمن والحاصل على أوسمة: «تجمعت قواتنا على عجل، واتجهت نحو الجبهة. تحركنا بدون إعداد، وبدون اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمناورة عسكرية، وشهد الفريق أنور القاضي، رئيس عمليات هيئة الأركان بقوله: «لم تعلم قيادتنا بالأوامر التي صدرت إلى الجيش مباشرة من القائد الأعلى، عامر. سعى الزعماء السياسيون المصريون إلى تصعيد الوضع -دون أن نعرف السبب- في حين دفعت أوامر متناقضة ومستمرة بفرق كاملة إلى سيناء، دون تخطيط أو أهداف استراتيجية». (٦٢)

وأخيراً وصلت تلك الفرق إلى قناة السويس بعد أن قطعت طريقين ضيقين، وتبللوا بوابل من مطر أواخر فصل الربيع. وهناك صادر الجنود قوارب العبور التي كانت تستخدم لتزويد قوات الطوارئ الدولية بالمؤن، وعبرو القناة وانتشروا في سيناء.

فلو كانت مصر تنوي مهاجمة إسرائيل على الفور، لتم تقدم الجيش المصري بهدوء وتحت جنح الليل. ولكن، بدلاً من ذلك، كان التحرك علنياً، واعتبراه رسالة مزدوجة من عبد الناصر إلى إسرائيل تعني: «أن ليس لمصر نوايا عدوانية، ولكنها في الوقت نفسه لن تتحمل أي اعتداء إسرائيلي على سوريا. ولكن هذه الرسالة نفسها حَيَّرت القيادات المصرية لأنهم تركوا بدون تعليمات محددة بشأن ما ينبغي أن يفعلوه في سيناء. قال الجنرال فوزي: «سحبت قواتنا من القاهرة ودفعت إلى سيناء إلى مواقع تجمع لم تكن قد أنشئت من قبل أبداً. ثم برز سؤال هو: «ما هي مهمتنا؟» أسئلة مماثلة طرحت في وزارة الخارجية المصرية حيث لم تكن معلومات محمود رياض بأكثر من المعلومات المتوافرة لدى أقرانه العسكريين، بل أقل. لم تكن هناك مذكرات، ولا تقييمات سوى ما قرأه الدبلوماسيون في الصحف.



فإذا كان عبد الناصر مدركا لهذه الفوضى، فإنه يكون قد بدا عليه عدم الانزعاج. إذ إن الهدف المتمثل بإعلان مصر أنها ما زالت قوة هائلة، رغم وجود أكثر من ٥٠.٠٠٠ جندي في اليمن قد تحقق بصورة مذهلة. شهد علي صبري، أحد الشخصيات القوية في حاشية عبد الناصر، بقوله: «إن القوات الموجودة في اليمن ليست مهمة بصورة خاصة. فوحداتنا المدرعة الرئيسة كلها في مصر، وكذلك سلاحنا الجوي». إن سير الجيش في وضح النهار ربما يردع الإسرائيليين ويسترد كبرياء مصر .إذ سوف يفوز عبد الناصر في حرب الدعاية دون أن يضطر إلى إطلاق عيار ناري واحد. (٦٣)

حدث ذلك كله ولم يكن لدى إسرائيل أي دليل. إذ لم يكن لدى إشكول ورابين وقت -بسبب انشغالهما باحتفالات عيد الاستقلال- للتعامل مع ادعاء آخر من ادعاء السوفيات بوجود تهديات ضد سوريا. التقى رئيس الوزراء بيتشو فاخين (Chuvakhin) وأكد له، كما أكد له في السابق، أن جيش الدفاع الإسرائيلي لا يخطط لاحتلال دمشق، ودعاه ليقوم بجولة تفتيشية في الحدود الشمالية بنفسه، فإذا كان يحتشد هناك ١٢ لواء - أي حوالي ٤٠.٠٠٠ جندي، ٣.٠٠٠ عربة - فإن السفير سوف يراها بلا شك. ولكن تشوفاخين الأشقر ذا الصدر المكور، الفكه اللطيف، أجاب ببساطة قائلاً: إن وظيفته هي إيصال الحقائق السوفياتية وليس التدقيق فيها. ودعي السفير السوفياتي مرتين لزيارة الشمال، وطلب منه التدخل لكبح سوريا، ولكنه رفض في المرتين. ومع ذلك قلة في إسرائيل هم الذين شعروا باقتراب الأزمة. وعندما قال تشوفاخين في حديث له مع أرييه ليفافي (Arye Le-vavi) المدير العام لوزارة الخارجية: «عليكم أن تنالوا عقاباً على تحالفكم مع الإمبريالية، وإنكم سوف تفقدون الوصول على البحر الأحمر»، لم يشعر أحد في القدس بأي ذعر. (٦٤)

ولم يكف الإسرائيليون عن التفكير فيما إذا كانت هذه التحذيرات السوفياتية ذاتها قد وصلت إلى مصر، وإن كان كذلك، هل سيتصرف عبد الناصر بناء على



ذلك أم لا. وبناء على جميع التقارير التي تلقتها إسرائيل من الأمريكيين، وبموجب تقارير أجهزتها المخابراتية؟ لم يكن عبد الناصر مهتما بإراقة الدماء، وحتى إنه لم يغلق الباب أمام تسوية سلمية في المستقبل. بل أكثر من ذلك ظل الزعيم المصري يدعم وجود قوات الطوارئ الدولية غير آبه بالدعاية العربية -وخصوصاً الأردنية- الموجهة ضد هذا الدعم. بدأت إسرائيل تقيّم رغبة مصر في القتال منذ أيام العام ١٩٦٥ القاتمة واجتماعات القمم العربية. وبما أن الاقتصاد المصري كان مضطربا وفي هبوط، والوحدة العربية قد سحقت، فإن عبد الناصر سيكون أحمقاً إذا ما أقدم على تحدي إسرائيل التي تدعمها فرنسا والأسطول السادس الأمريكي. وفي نظر الإسرائيليين، يمكن للحرب أن تنشب، فقط إذا شعر عبد الناصر أنه قد حقق تفوقه العسكري على جيش الدفاع الإسرائيلي، وإذا ما ألمت بإسرائيل أزمة اقتصادية، وعزلت عن العالم، وهما أمران لن يلتقيا أبداً. (٦٥)

ومع ذلك، بقي إشكول، غير متأكد. كان مدركا للبيئة العربية - العربية، وتنافس القوى العظمى المحيطة بإسرائيل، وكان يرد عليها بالمزيج من الثقة بالنفس والخوف والتهور والجبن الذي جعل تلك البيئة متفجرة. وهكذا فقد قال في خطابه الذي ألقاه في الاحتفال بيوم الذكرى في ١٣ مايو، متبجحاً: «الحزم، والموقف الثابت.. هما اللذان عززا إدراك جيراننا بأنهم لن يقدروا على الصمود أمامنا في قتال مكشوف «إنهم يتراجعون اليوم عن أي صدام وجهاً لوجه.. ويرجئون تاريخ مثل هذه المواجهة إلى المستقبل البعيد». ولكنه بعد ذلك في خطاب إلى قيادة حزب المابام حذرهم هو نفسه قائلاً: «إننا محاطون بعداوة، إن لم تنجح حتى اليوم، فإنها ربما تنجح غداً أو بعد غد. إننا نعلم أن العالم العربي مشطور الآن إلى شطرين.. ولكن الأمور يمكن أن تتغير». (٦٦)



الأزمة

أسبوعان في آيار (مايو)

في مواجهة إدانات الأمم المتحدة والدول العربية ومقاطعة السفراء الغربيين، أكدت إسرائيل على استقلاليتها. فقد خُفِّضَ العرض العسكري إلى ست وعشرين دقيقة فقط، ومشاركة ١٦٠٠ جندي، وعدد قليل من المركبات. ووصفه الكولونيل ليور (Lior) ساخراً بأنه «مسيرة كشافة» لقد أثار قرار إشكول تخفيض الاحتفالات أكثر قدر ممكن نقداً مريراً من خصومه، وعلى الأخص من بن غوريون الذي اتهمه بالانصياع إلى الضغط العالمي. ومع ذلك خرج ٢٠٠,٠٠٠ متفرج احتشدوا تحت نجمة داود المضاءة المتألقة من على قمة جبل المكبر (سكوبس «Scopus»)، ولم يكن يدري بوجود آلاف من الجنود المصريين يتدفقون إلى سيناء جنوب البلاد سوى قلة من المحتفلين.

وصلت تقارير مختارة عن الحشد من وكالات أنباء غربية إلى رابين في مساء اليوم السابق في مكتب رئيس الوزراء حيث كان وإشكول وزوجتاهما يُعدان لحضور مهرجان في استاد الجامعة العبرية المجاور.

كان رد فعل إشكول الأولي منضبطاً. إذ ذكر رابين بأن عبد الناصر كان مغرماً بالاستعراضات، وأنه في أسوأ الأحوال، يعيد الآن عملية ريتاما (Retama)، مبادرة مصر المفاجئة في إعادة تسليح سيناء في العام ١٩٦٠. وافق رابين على هذا المفهوم وأصدر أوامره بمنع جميع التحركات الاستفزازية على الحدود الشمالية، وتصعيد دوريات الاستطلاع في الجنوب، ثم أسقط الموضوع. وذهب رابين وإشكول إلى استاد

الجامعة العبرية ليستمعا إلى قصيدة ناتان ألترمان التي خضعت للرقابة، وإلى أغنية جديدة ألفها نعومي تشيمر (Naomi shemer)، عنوانها «قدس الرب» التي غدت نشيداً وطنياً.

بيد أن رئيس الوزراء كان قلقاً، رغم كل الهدوء الظاهر عليه.

استمر وصول التقارير المتعلقة بالجنوب طيلة المساء أثناء حفل استقبال في بيت المليونير الفنزويللي مايلز شيروفر (Miles sherover). كانت القوات المصرية تأخذ مواقعها وفق خطة «القاهر» المعروفة تماماً لدى الإسرائيليين، وطار فوزي إلى دمشق. كانت قوات الدفاع الإسرائيلي منتشرة على طول خطوط السندان (Anvil) جاهزة لاجتثاث أي غزو من أية جبهة -وكانت الخطة تفترض وجود إنذار مسبق قبل ٤٨ ساعة- ذلك ما لم يكن إشكول واثقاً من حدوثه. وعندما سألته زوجته ميريم (Miriam) عن سبب قلقه الشديد، أجابها «ألا ترين أن حرباً ستنشب؟».

تصاعد قلقه في اليوم التالي. إذ استمع إشكول إلى رابين وهما في فندق الملك داود بانتظار العرض، وهو يقترح تعزيز الوحدات الإسرائيلية المدرعة الصغيرة في النقب، وتلغيم منطقة الحدود، واستدعاء لواء أو لواءين من الاحتياط.

كان رابين مدركا لدقة الموقف، وحذراً جداً من عبد الناصر. فقد التقاه مرَّة في نهاية حرب العام ١٩٤٨ عندما ساعد رابين في التفاوض على انسحاب الجنود المصريين المحاصرين من النقب. قال له رئيس مصر المستقبلي: «عدونا الرئيسي هو بريطانيا .. فينبغي أن نقاتل القوة الاستعمارية بدلاً من مقاتلتكم»، وأثر في الضابط الإسرائيلي الشاب. ومع ذلك عندما استلم عبد الناصر السلطة تبين أنه شخص عنيد لا يمكن التنبؤ بسلوكه. فكان على رابين أن يستعد للأسوأ.

قال رابين فيما بعد: «إن لم نقم بالرد -محدثين بذلك انطباعاً لدى المصريين بأننا لا نعلم بتحركاتهم أو راضين عنها- نكون قد أتحنا فرصة للهجوم على أسس من الهزيمة، ومن جهة أخرى، إذا ما قمنا برد مبالغ فيه فإننا نثير مخاوف العرب

من كوننا عدوانيين وبالتالي نشعل حرباً شاملة لا نريدها». شعر إشكول أن السيناريو الثاني يبدو أكثر خداعاً. ففي حين أنه وافق على استنفار من الدرجة الأولى للجيش، وعلى نقل عدد من المجموعات المدرعة إلى الجنوب، فإنه رفض استنفار الاحتياط وحشده.

ظلت الأنباء ترد من سيناء طوال بقية ذلك اليوم في أثناء إجراء مسابقة توراتية قومية، وحضور احتفال لسلاح الجو. أخبر رابين إشكول قائلاً: «تحركت فرقتان مصريتان إلى منطقتين محصّنتين في جبل لبني (Jabal Libni) وبير حسانه (Bir Hasana): وكان التقدم جيد التخطيط ومنظماً». والنبأ الحسن الوحيد هو أن الفرقة المدرعة الرابعة، أفضل الفرق المصرية، كانت لم تغادر القاهرة بعد. كان رابين متاكداً من أن مناورة مصر كانت استعراضية فقط -وأكدت واشنطن هذا التقييم- ونصحت بالحذر. وافق إشكول على ذلك، ولكنه ظل قلقاً . فتساءل ماذا لو شجع تحرك عبد الناصر هذا السوريين على إطلاق المزيد من الإرهابيين؟! ماذا لو دفع السوريون عبد الناصر إلى إغلاق مضائق تيران؟. (١)

كان رئيس الوزراء يفكر في هذه الأسئلة في حين كان الدبلوماسيون الإسرائيليون يعملون على قدم وساق. إذ لم يتركوا قناة إلى عبد الناصر إلا وطرقوا أبوابها -وزارة الخارجية الأمريكية، ووزراة الخارجية البريطانية، وحتى يوتانت- لطمأنة عبد الناصر أن ليس لإسرائيل أية نية لخوض حرب، ولتحذيره من خدعة سورية. ودعي رئيس هيئة المراقبين الدوليين التابعين للأمم المتحدة -أود بول (Odd Bull)- ليقوم بجولة في الشمال ويتأكد من عدم وجود حشود لجيش الدفاع الإسرائيلي، وفي الوقت نفسه أعطيت تعليمات للبعثات الإسرائيلية في الخارج أن توضح خطورة التحركات المصرية للبلدان المضيفة. حاول رئيس الموساد مئير أميت (Mair Amit) تجديد الاتصالات مع الجنرال عزم الدين محمود خليل، الذي كان ذات يوم ضابط ارتباط في لجنة الهدنة المصرية - الإسرائيلية المشتركة. كما جرى الاتصال سراً باللبنانين وأحيطوا علما بخطورة الانفجار الرهيب المحتمل إذا استمرت هجمات الفدائيين. (٢)



أوضح رابين بأن أياً من هذه الخطوات لا يمكن أن تكون بديلاً عن استدعاء بعض الاحتياط على الأقل. قالت الإذاعة المصرية مبتهجة في أثناء تقدم المشاة المصريين بأعداد متزايدة: «قواتنا على أتم استعداد للحرب». وحث عبد الناصر في بيان حول يوم فلسطين - وهو يوم حزن في جميع أنحاء البلاد العربية، راثيا استقلال إسرائيل، قائلاً: «أيها الإخوة، من واجبنا أن نُعِدَّ أنفسنا للمعركة النهائية في فلسطين». في حين أن رابين لم يصدق أن عبد الناصر كان يريد الحرب، وكان الزخم يتعاظم بحيث يحطم قوة الردع الإسرائيلية إلى الحد الذي يشعر فيه العرب بأنهم أحرار في شن الهجوم. (٣)

بدا أن ذلك الخطر قد أخذ يتعاظم بسرعة بين ليلتين ١٥و ١٦ مايو. كانت تقديرات جيش الدفاع الإسرائيلي الأولية للحشد المصري هي حشد الفرقة الخامسة بالإضافة إلى ٣٠،٠٠٠ جندي مصري تمركزوا في سيناء و ١٠،٠٠٠ رجل من جيش التحرير الفلسطيني الموجودين في غزة. ثم قفزت الأعداد ثلاثة أضعاف . إذ عبرت الفرقتان الثانية والسابعة، مشاة، القناة، ولم تكن الفرقة المدرعة السادسة بعيدة عنها وراءها. ومن أبرز التحركات عبور الفرقة الرابعة بقيادة اللواء صدقي الغول القناة وتمركزها في بير الثمادا (Bir al- thamada). كل وحدة من هذه الوحدات كانت تتألف من ١٥،٠٠٠ جندي، وحوالي ١٠٠ دبابة من طراز T-٥٥، T-٥٤، و١٠٠ ناقلة جنود مصفحة، وسلسلة من المدفعية الروسية: هاوتزرات، هاونات ثقيلة، صواريخ كاتيوشا، مدافع مضادة للدرع من طراز SU-١٠٠ بالإضافة إلى كميات هائلة من الذخيرة وطائرات ميغ ١٧-ميغ ٢١ المقاتلة وقذائف غازات سامة- كما يعتقد جيش الدفاع الإسرائيلي. (٤)

احتار رابين. إذ إن الانتشار المصري، رغم أنه مازال دفاعيا مع تمركز المدرعات والجنود، قد فاق حدود مجرد قوة استعراضية. كما أن تحرك الفرقة الرابعة، ونقل قاذفات القنابل الثقيلة إلى الأمام، إلى قاعدة بيرالثا مادا، يعني أن العدو يستعد لغزو النقب أو لقصف مفاعل ديمونة النووي، كان توجه القاهرة العام توجهاً

عدوانياً. إذا ما حاولت إسرائيل الآن أن تشعل المنطقة ناراً فإن إسرائيل نفسها ستدمر كليا في هذه النار، جالبة نهاية هذه القاعدة العدوانية العنصرية. «ومثل هذه النغمة ترددت في دمشق»: «لن تنتهي حرب التحرير إلا بإزالة إسرائيل» وذكرت التقارير أن جنوداً سوريين كانوا يتقدمون كذلك، ولو أن إسرائيل لا تستطيع مضاهاة حشدهم بدون إثبات أهليتها لمضاهاة الحشد المصري. كانت أيدي جيش الدفاع الإسرائيلي مقيدة: ففتح تستطيع شن هجوم في أي وقت تشاء.

قال رابين لهيئة أركان الجيش الإسرائيلي في ١٧ مايو: «تواجه إسرائيل وضعاً جديداً، فعبد الناصر لا يبادر بشيء أبداً - بل يقوم بردود أفعال تورطه في إشكالات، كما حدث له في اليمن». كان لا بد من نقل قوات إلى الحدود الجنوبية وتعزيز الدفاعات الجوية حول مفاعل ديمونة، ولكن يجب أن يتم ذلك بهدوء وتحت جنح ظلام الليل، إن أمكن. ورجا رابين إشكول فيما بعد عندما التقاه في حفل استقبال لشخصية إفريقية رفيعة المستوى، أن يستدعي لواءين على الأقل، أي حوالي ١٨٠٠٠ رجل. وافق إشكول على مضض، ونصح رابين بضرورة الإحجام عن أي تصرف استفزازي، قائلاً: «هذا الأسبوع مفعم بالتهديدات والتحذيرات» لأن اللحظة كانت حاسمة، كما كتب الكولونيل ليور في مذكراته قائلاً: «كان واضحاً لنا جميعاً أننا وصلنا إلى نقطة لا رجعة فيها. فقد ألقيت القرعة». (٥)

مصر تفكر ملياً

كان السوريون في صراعهم مع مصر يهددون بإشعال حرب على إسرائيل. ومن ثم، عندما تردد إسرائيل بتأكيد وجودها في المناطق المنزوعة السلاح يطلق السوريون العنان لهجمات الفدائيين التي تستفز إسرائيل للقيام بعمل انتقامي. وهذا يعني، كما قال السوفيات لمصر: غزواً. وهكذا كان الحشد الغريب الذي جلب القوات المصرية إلى سيناء. ومع ذلك فإن تلك النتيجة ستولد بدورها سلسلة من الأحداث طالما أن القادة المصريين يفكرون في ما سيفعلونه بهذه القوات: أين يوضّعونها وكيف يسيطرون عليها، وهل ستبقى في سيناء إلى الأبد.

كان الجنرال محمد فوزي الصارم، المتزمت قانونيا، على رأس الأكاديمية العسكرية المصرية لمدة ١٧ عاما قبل أن يعينه عبد الناصر الذي كان زميله في الدراسة رئيساً لهيئة الأركان العامة. لم يكن هذا التعيين مستنداً إلى براعته بقدر ما كان له علاقة بولائه الثابت للرئيس الذي رأى فيه وسيلة -ولو أنها ضعيفة- للحد من سلطة عامر.

حفَّزت هذه الثقة نفسها عبد الناصر ليرسل فوزي إلى دمشق التي وصلها في ١٤ مايو. فوجد العاصمة في حالة هيجان شديد - ليس بسبب الإسرائيليين، بل بسبب مقالة مناهضة للإسلام نشرت في مجلة «جيش الشعب» العسكرية قال فيها كاتبها: «ليس الله سوى دمية محنَّطة في متحف التاريخ». وعلى الرغم من مسارعة النظام إلى استنكار ذلك ووصف الأمر بأنه مؤامرة إمبريالية، وحكم على كاتبها بالسجن مدى الحياة، فإن ٢٠،٠٠٠ محتج خرجوا إلى الشوارع.

ومما فاقم هذا الغليان التوترات المتجددة بين الأجنحة المتنافسة في مجموعة السلطة، وتعاظم استياء التجار من مصادرة الحكومة لممتلكاتهم.

وكان السفير الأمريكي سميثي (Smythe) يراقب الأحداث ساخراً وعلّق قائلاً: «إن استمرار مثل هذه الآليات في حين تتعرض البلاد، حسب زعم القادة، إلى خطر خارجي، يُعد سمة من سمات المجتمع في سوريا الحالية». (٦)

هناك أمر واحد لم يجده فوزي هو دليل على تحركات غير عادية للجيش الإسرائيلي. التقى مع رئيس الأركان السوري أحمد سويداني ودرسا بصورة دقيقة الصور الجوية التي التقطت لمنطقة الحدود في اليوم السابق. ثم قام بمسح المنطقة بنفسه على متن طائرة خاصة.

لم يشاهد ما يدل على وجود حشود لجيش الدفاع الإسرائيلي في أي مكان. حتى إن الجيش السوري لم يكن مستنفراً.



قدم فوري تقريراً بما وجده إلى الرئيس عبد الناصر: «لا شيء هناك، لا حشود عسكرية، لا شيء». «ووصل للرئيس تقرير مماثل من رئيس المخابرات العسكرية المصرية، الفريق محمد أحمد صادق الذي أرسل عدداً من العرب الإسرائيلين لاستشكاف الجليل الشمالي. واستخلص صادق قائلاً: «لا توجد حشود عسكرية هناك. وليس هناك أيٌّ تعليل تكتيكي او استراتيجي لمثل هذه الحشود».

أبدت السفارة الأمريكية في القاهرة والمخابرات المركزية الأمريكية (CIA) هذه النتائج. ومن بين المراقبين الأجانب لم يصدق أحد أن إسرائيل كانت على وشك القيام بغزو سوى الجنرال بل (Bull) الذي قال: «ليس لدينا تقارير حتى الآن عن أية حشود»، ولكنه أردف محذراً»: بيد أن إسرائيل لا تحشد كل قواتها في منطقة واحدة لكي تقوم بهجوم». (٧)

لم يكن يعني تقرير فوزي سوى أن الإنذار السوفياتي كان كاذبا، ومع ذلك فضل الرئيس المصري أن يغض النظر عن هذه التقارير التي تنفي وجود الحشود، ويتابع الأمور وكأن الأسرائيليين كانوا، حقاً، على وشك الهجوم. (٨) لم يكن من الصعب اكتشاف الأسباب. أولاً: كان قسم كبير من الجيش قد أصبح في سيناء، واستدعاؤه للعودة سوف يكون إهانة وإذلالاً لعبد الناصر في وقت لا يستطيع تحمل مزيد من الإهانات. والاستمرار في حشد قواته، من ناحية أخرى، يعزز وضعه. إذ كانت ردود الفعل على ذلك التحرك في الوطن العربي تتسم بالحماس والنشوة. مضت سنوات لم يُحيَّا عبد الناصر مثلما حُيِّي في ذلك الوقت، وأخيراً يعد غياب أي دليل على وجود تهديد لسوريا، نبأ ساراً يُرحَّب به، ومصر تستطيع إعادة، عسكرة سيناء وتجني ثمار ذلك، دونما حاجة إلى المجازفة بخوض حرب.

يبدو أن الوضع لم يكن عبثاً ولم يذهب سدى، ليس فقط لدى عبد الناصر بل أثار عامر كذلك. إذ عندما تلقى صورة الوضع الحقيقي من فوزي، لم يبد أي رد فعل ولهذا كتب فوزي في مذاكراته قائلاً: «بدأت أعتقد أن مسألة الحشود الإسرائيلية، من وجهة نظر عامر، لم تكن هي السبب الوحيد الرئيسي لاستنفار القوات المصرية ونشرها بهذه السرعة».



كان السبب كذلك، هو إيجاد فرصة اخرى لتوسيع نطاق سلطة المشير. إذ سرعان ما انتهز الفرصة لتعيين صنائعه في مواقع عملياته جوهرية. في طليعة هؤلاء كان اللواء عبد المحسن كامل ومرتجى البالغ من العمر ٥٩ عاماً الذي عينه رئيساً لهيئة أركان القوات البرية وهو منصب ابتكره عامر في العام ١٩٦٤ ليتجاوز بفضله فوزي رئيس هيئة الأركان العامة.

فأصبح مرتجى الذي كان مفوضاً سياسيا في اليمن ولا يتمتع بأية خبرة عملياتية ميدانية، رئيساً لجميع القوات البرية في سيناء. وعين تحت إمرته الجنرال أحمد إسماعيل علي قائد الجبهة الشرقية، الذي يعمل بإمرته ١٢ قائد فرقة ولواء. وبتعيين صدقي محمود قائداً لسلاح الجو، والاميرال عزت قائداً لسلاح البحرية منذ العام ١٩٥٣ اللذين كانا مسؤولين شخصياً أمامه، أحكم عامر قبضته على الجيش كله. قال لمرتجى: «يمكنك أن تكون رئيس هيئة أركاني ولا علاقة لنا بالقيادات العليا». (٩)

لتحقيق أهداف عامر السياسية لا يكفي تعيين إمّعات له في المواقع الحساسة الجوهرية، بل يتطلب الأمر محو عار ال ١٩٥٦ وذلك بفضل قيادة مصر إلى النصر. ولكن المشير لا يستطيع المبادرة بالهجوم على إسرائيل طالما أن الجيش يلتزم بخطة «القاهرة». إذ كانت هذه الخطة التي ابتكرها السوفيات في العام ١٩٦٦ تشترط وجود ثلاثة خطوط عميقة من الاستحقاقات (الخنادق) على المحور الشمالي الجنوبي لسيناء، الخط الأول من رفح إلى «أبو عجليه» كان خطاً دفاعياً ضعيفاً يستخدم لإغراء الإسرائيلين كي يتقدموا للقيام بهجوم أمامي: ولدى تقدمهم سوف يجدون أنفسهم في أعماق الصحراء، مقطوعين عن خطوط الإمداد وفي مواجهة الخط الثاني -الستار- المحصَّن تحصيناً كثيفاً ويمتد عبر مثلث العريش، جبل لبني، وبير حسَّان. ولدى تحطم المدرعات والمشاة الإسرائيلية تصبح فريسة لهجوم معاكس من الخط الثاني بدعم من قوات الخط الثالث الموجودة في ممري المتلا والجدي حيث مهمتها حماية التقدم نحو القنال. تبلغ استراتيجية «الدرع والسيف» هذه ذروتها في الهجوم الشامل اعتماداً على الاحتياط التكتيكي والاستراتيجي الذي سوف ينقل المعركة إلى أرض العدو ويضرب المناطق الحيوية فيها». (١٠)

كان من المقرر إنجاز منشآت خطة «القاهرة» وبنيتها التحتية بحلول العام ١٩٦٧، وكان عامر قد استبدل بالضباط المطلعين على الخطة ضباطاً آخرين مدينين له بالفضل. إضافة إلى أن أحد التقارير العسكرية، في ديسمبر من العام ١٩٦٦، قد نبَّه إلى أن خطة القاهرة لا يمكن تنفيذها مادامت أعداد كبيرة من قوات المجابهة المصرية موجودة في اليمن. وفي النصف الأول من العام ١٩٦٧ شكت هيئة الأركان العامة من عجز الميزانية اللازمة للدفاع عن سيناء، ونصحت بقوة التوقف عن المزيد من الحشودات العسكرية. وصرح الجنرال فوزي قائلاً: «لن تكون هناك حرب مع إسرائيل: فالميزانية، ببساطة، لا تسمح بذلك».

كل هذه التحذيرات والنصائح لم تردع المشير عامر إذ كان يعتقد أن الجيش المصري، ليس قادراً على صد الضربة الأولى الإسرائيلية فحسب، بل هو قادر على شن هجوم. فبموجب خطته «الأسد» تقوم وحدات مشتركة من المشاة والمدرعات والفدائيين باختراق إسرائيل وتعبر النقب إلى الحدود الأردنيبة فاصلة رأس إيلات بأكمله. ويقوم الأسطول المصري بمهاجمة الميناء من الجنوب ويحول دون وصول أية تعزيزات من البحر. وكانت هناك خطط تقوم بموجبها المدرعات بالاندفاع شرقاً على طول الساحل الإسرائيلي ويقوم سلاح الجو بموجب خطتي «الفهد» و«السهم» بقصف المستوطنات الإسرائيلية المواجهة لغزة. (١١)

صدر أمر ميداني في ١٤ مايو، رقم ٦٧-٥ نقل القواعد الجوية إلى خطوط متقدمة في سيناء. وكانت أهدافها النوعية هي قصف -منشآت المطارات والموانئ، ومحطات الطاقة، ومحطات الرادار- في غضون، ١٦ ساعة منذ لحظة تلقي كلمة السر «أسد». كما وزعت صور جوية للمنطقة، معظمها التقط أثناء الحرب العالمية الثانية. وصف هشام مصطفى حسين، أحد الطيارين ضغطه على قائده ليجيبه فيما إذا كان الهدف هو مجرد الهجوم لتدمير إيلات أو الدولة اليهودية بصورة عامة، على النحو التالي: «بدت على وجه قائد السرب نظرة انزعاج وقلق».



وقال: علينا أن ننفذ المطلوب بدون أسئلة، وقال: إنه من المهم أن نثق بالقيادة العليا لديها خطة عملياتية واضحة، وأنه لا يستطيع الإيضاح أكثر لأسباب أمنية ولضرورات السرية». (١٢)

كان ضم أراضي النقب كجسر إلى مصر، وإزالة ميناء إيلات يشكلان هدفين مصريين قديمين. دعا هيكل في افتتاحيته الأهرام «إلى احتلال إيلات كخطوة نحو تدمير إسرائيل» ولكن قوات الطوارئ الدولية كانت تحبط كل محاولة لاحتلال أجزاء جنوبية من إسرائيل.

وتابع القول: «وللسبب نفسه أراد عامر حل قوة الطوارئ الدولية وتفكيكها وليس فقط إبعادها عن الحدود، كما كان عبد الناصر يفضل. فقد خطط عامر لتوضيع قوات هجومية في غزة، وأخرى على شواطئ تيران. ووفقاً لذلك أمر المشير قائد المظليين الجنرال عبد المنعم خليل لنقل وحداته بهدوء إلى شرم الشيخ ويستعد لاستلام قيادة المنطقة بحلول ٢٠ مايو. ناقش الجنرالات الكبار -فوزي ومرتجى وصدقي محمود- الأمر قائلين إن مثل هذه التحركات سوف تضطر مصر إلى إغلاق مضائق تيران واستفزاز إسرائيل لتخوض حرباً ضدنا، ولكن عامر أهمل هذه النصيحة وقال بإصرار: لقد قررت القيادة العليا احتلال شرم الشيخ، ومن الواجب تطبيق هذا القرار». (١٣)

وفي صبيحة يوم ١٦ مايو، أثناء قيام عامر بتفقد المدرعات المتدحرجة إلى سيناء، قدم الدكتور محمود فوزي مسوّدة كتابه إلى ريكهاي (Rikhye) التالية:

«أحيطكم علما، بأنني أصدرت تعليماتي لقوات الجمهورية العربية المتحدة المسلحة لتكون على استعداد للقيام بعمل ضد إسرائيل في حال نفذت إسرائيل أي عمل عدواني ضد أي قطر عربي. وبموجب هذه التعليمات تقوم قواتنا الآن بالاحتشاد في سيناء على طول حدودنا الشرقية. وحرصاً على السلامة التامة لقوات الطوارئ الدولية التي تقيم مراكز مراقبة على طول حدودنا، فإني أطلب إليكم إصدار الأوامر بسحب جميع هذه القوات على الفور».



ووفقاً لما أورده هيكل، وجد الرئيس فروقاً بين النصين العربي والانكليزي للرسالة، واستعاض عن كلمة «سحب» كلمة أخرى هي «إعادة انتشار» وشطب كلمة «جميع» الواردة قبل عبارة «هذه القوات». وشرح محرر الأهرام ذلك بقوله: «كانت غاية عبد الناصر إزالة أي سوء فهم يتعلق باستمرار وجود قوات الطوارئ الدولية في غزة وفي شرم الشيخ». وطلب عبد الناصر متعمداً من المشير عامر أن يدخل هذه التغيرات على الرسالة النهائية، ولكن عبد الحكيم عامر أخبر ناصر بأن الرسالة قد أرسلت، وأن جهوداً سوف تبذل لاعتراض ناقل الرسالة. أزعج جواب عامر عبد الناصر، رغم أن انزعاجه لم يكن مفرطاً لأن الغموض في النص يمكن توضيحه دائماً إلى يوتانت. (١٤)

طرد

كان يشغل ٤١ موقع مراقبة على طول الحدود الدولية في شرم الشيخ وغزة قوة الطوارئ الدولية التابعة للأمم المتحدة والتي يبلغ تعداد أفرادها ٤٥٠٠ رجل -نصفهم تقريباً من الهنود والكنديين، واليوغسلافيين، والسويديين، والبرازيليين، والنروجيين، والدانماركيين. كانت قوات الطوارئ الدولية تعاني منذ العام ١٩٥٧ من عجز حاد في الميزانية والأفراد إضافة إلى الشكوك المحيطة بها من قبل الدول الغربية بسبب سخطها من انحياز الأمم المتحدة المتزايد للموقف السوفياتي. وفي أعقاب فشل جهود قوات حفظ سلام أخرى، خصوصاً في الكونغو (Congo) فإن الثقة بقدرة قوات الطوارئ الدولية هذه على منع الاعتداءات المصرية- الإسرائيلية، كانت ضعيفة؛ والواقع أنها لم تستطع فعل شيء سوى مراقبة هذه الاعتدءات لدى وقوعها. ومع ذلك فإن مجرد وجود قوات طوارئ دولية تكفي لردع الحرب أثناء فترات الاحتكاك العربي الإسرائيلي الكثيف، ويكفي لمنع التسلل إلى غزة، ولتأمين الملاحة الحرة عبر مضائق تيران. (١٥)

MEDITERRANEAN SEA
WEST BANK
DEAD SEA
KASTELLET
ASGARD
GOETALEJON
GAZA
DELHI
KHAN YUNIS
RAFAH
BRAZIL
FORT WORTHINGTON
DAVIDS FIELD
FALKENBERG
VARBERG
JAIPUR
CALCUTTA
MADRAS
POONA
AL-'ARISH
FORT ROBINSON
FORT SAUNDERS
AL-AMR
AL-SABHA
AL-QUSAYMA
ISRAEL
JORDAN
KUNTILLA
AL-THAMAD
RAS AL-NAGB
EILAT
AQABA
RED SEA
SAUDI ARABIA
SINAI
N
W
E
S
SHARM AL-SHEIKH
TIRAN

كان وجود هذه القوات، على أية حال، معلقاً على تصور قانوني.

إذ إن اتفاق النوايا الحسنة، الذي صاغه داغ همر شولد (Dag Hammarsk-jold)، الأمين العام للأمم المتحدة، في العام ١٩٥٦ الذي تقوم بموجبه مصر باستشارة الجمعية العمومية للأمم المتحدة، والمجلس الاستشاري لقوات الطوارئ الدولية قبل إجراء أي تغيير في مهمة القوات التي انتديت لها، لم يكن ملزماً. فالمصريون، في واقع الأمر، يستطيعون طرد القوات متى شاؤوا. يمكن إعطاء مثل هذا الامتياز فقط عندما يقال: إن حالة الحرب / العداء التي تكبحها قوات الطوارئ الدولية، لم تختف أبداً. قال سفير الهند سابقاً إلى الأمم المتحدة: «يُعَدُّ طلب انسحاب القوة من أجل خوض معركة مع الخصم مناقضا بصورة مباشرة لإيجاد القوة نفسها ونشرها في المنطقة». بيد أنه لا يمكن توقع صمود هذا التحليل لو قرر عبد الناصر طرد القوة. كان يوتانت صريحاً في حديثه مع الزعماء المصريين والإسرائيليين، إذ قال: «الخيار هو خيار عبد الناصر فقط». (١٦)

كان هذا هو الوضع المفترض، عندما أخبر العميد إبراهيم شرقاوي ضابط الارتباط بين مصر وقوات الطوارئ الدولية، في الساعة العاشرة من تلك الليلة المثيرة، الجنرال ريكهاي (Rikhye) بأن ساعياً خاصاً قد وصل من القاهرة. كان ريكهاي (Rikhye) قد تلقى من توِّه تقارير عن تحركات غير عادية لجنود فوق قناة السويس، ولكنه لم يُلْقِ لها بالاً، قائلاً لنفسه: «هذا هو فصل تبادل التهديدات الشفهية، والمظاهرات، والاستعراضات.. والتوتر العالي».

ولدى دخول الزائر عرَّف نفسه بأنه العميد عز الدين مختار، وقدم على الفور الرسالة التي كتبها ووقعها الجنرال فوزي، قائلاً: «أود تلقي جوابك على الفور». وأوضح أن على قوات الطوارئ الدولية الرحيل عن الصبحه (Al-sabha) إحدى نقاط الوصل الحيوية على الحدود الإسرائيلية، وعن شرم الشيخ، تلك الليلة، منذراً إياه بأن القوات المصرية في طريقها إلى ذينك الموقعين، وأن محاولة قوات الطوارئ الدولية إيقافها ربما يؤدي إلى «صدامات».



كان لريكهاي (Rikhye) البالغ من العمر ٤٨ عاماً من أسرة براهميه (Brahmin) من لاهور (Lahore) سجل خدمات مُمَيَّز مع الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية، ومن ثم الأمم المتحدة في الكونغو، وغينيا الجديدة، وجمهورية الدومينيكان. كما قضى فترات طويلة في الشرق الأوسط، وكان يعلم أن انتداب قوات الطوارئ الدولية مهلهل في أحسن أحواله، وأن حرباً عربية - إسرائيلية ربما تنفجر بين لحظة وأخرى. لقد كتب إلي يوتانت قبل أسابيع فقط مذكرة مفصلة يحثه فيها على القيام بمهمة وساطة طارئة سريعة. ولكنه لم يتلق أيَّ جواب. ومع ذلك لم يكن هذا الصديق يوتانت بأشد صدمة من رسالة فوزي التي اعتبرها ريكهاي (Rikhye) ضربة شخصية ومهينة له. وسأل العميدين المصريين إن كانا يعرفان نتائج تصرفهما.

فأجابه شرقاوي مبتهجاً: «آوه: نعم سيدي. لقد توصلنا إلى ذلك القرار بعد دراسة متأنية طويلة، وأعددنا الأمر لكل الاحتمالات.فإن نشبت حرب فلسوف نلتقي في تل أبيب».

كان ريكهاي (Rikhye) في حيرة من أمره فيما يتعلق بطبيعة المطالب المصرية بالضبط، إذ لم يرد في الرسالة ذكر للصبحة ولا لشرم الشيخ. وبدا له وكأن مصر تريد بقاء قوات الطوارئ الدولية في غزة، والانسحاب بعيداً عن الحدود ومضائق تيران، فقرر أن يتلاعب بالزمن ويستغله، فأخبر ضيفه أنه لا يملك سلطة إصدار أمر بإزاحة قوات الطوارئ، لأن المسألة ليست عسكرية بين جنرالات، بل هي قانونية يجري الفصل فيها بين ناصر ويوتانت. ثم أرسل رئيس قوات الطوارئ الدولية برقية إلى يوتانت في مقر الأمم المتحدة في نيويورك، وهتف إلى قادة الكتائب في الصبحة وشرم الشيخ آمراً إياهم بالبقاء في مواقعهم أطول زمن ممكن، وأن يحجموا عن استخدام القوة، إذا ما أجبروا على الرحيل. (١٧)

مع التأخير، ومع فارق التوقيت بين مناطق العالم، وصلت رسالة فوزي إلى مكتب يوتانت عند المساء. كان معه رالف بنش (Ralph Bunche) الذي لم يعد وسيط أربعينيات القرن العشرين النشيط، بل الذي أصبح الآن يعاني من مرض السرطان

والسكري، ومع ذلك ظل خبيراً رائداً للمنظمة العالمية في شؤون الشرق الأوسط الدبوماسية، وكان رد فعله الأولي على الأزمة متفائلاً، مطمئناً غولد بيرغ بقوله: «هناك قدر كبير من الثقة والمناورة السياسية، فإذا ما عالجنا الأمر بعناية، يمكننا الحفاظ على الوضع وعلى دور قوات الطوارئ الدولية». ومع ذلك كان بنش (Bunche) متفقاً تماماً مع موقف الأمين العام للأمم المتحدة الذي يقول بأن لمصر حق السيادة في طرد قوات الطوارئ الدولية مهما بدا هذا القرار غير حكيم. ولسوء الحظ لم يكن اعتبار القرار غير حكيم متبادلاً بينه وبين المصريين الذين كانوا ينظرون إليه كتابع خاضع لواشنطن أو -عميل امبريالي- حسب تعبير عبد الناصر.

استدعى يوثانت وبنش السفير المصري في الساعة ٦.٤٥ إلى مكتب الأمين العام للأمم المتحدة. كان محمد عوض القوني «صارماً وقاسياً»، نحيل الجسم أصلع الرأس، وقد عمل دبلوماسياً مدة أربعين عاماً من عمره البالغ حينذاك ستين عاماً، وكان مؤيداً قويا لعبد الناصر منذ قيام الثورة المصرية، كما وصفه أحد المراقبين. أما سفير سورية طعمة فقد وصف زميله المصري بأنه «نبيل من أسرة نبيلة، ذو شخصية بارزة يكره فكرة الحرب». ولكن القوني لم يخف كرهه لبنش (Bunche) فوجَّه كل انتباهه إلى ما قاله يوثانت فقط.

قال يوثانت: إن مصر قد أخطأت في معاملة قوات الطوارئ الدولية بوصفها قضية عسكرية بدلاً من كونها قضية دبلوماسية، وأن تسويتها تتم بين عبد الناصر والسكرتير العام للأمم المتحدة. ولا يمكن لانتداب القوات أن يُغيَّر أو يخفض على عجل.

قال موضحاً: «لا يمكن أن يُطلب إلى قوات الطوارئ الدولية أن تقف جانباً ليتمكن الطرفان من الاقتتال. إذ إن الطلب إليها بالانسحاب مؤقتا يرقى إلى اعتباره طلباً بانسحابها كليا من غزة وسيناء لأن ذلك سيجعل القوة بلا أية فاعلية».

ذكر اتفاق «النوايا الحسنة» مراراً وتكراراً إلى جانب مخاطر تفكيك هذه القوة وحلها. وأكد يوثانت أنه لا توجد أية مخاطر تفكيك هذه القوة وحلها. وأكد يوثانت أنه لا توجد أية أدلة عل هجوم إسرائيلي وشيك. وبعد أن أدرج الأمين العام للأمم



المتحدة كل هذ التوضيحات والتحذيرات وصل إلى نقطة الحسم فقال: «إذا كانت حكومة الجمهورية العربية المتحدة راغبة في سحب قواتها التي أعطتها الموافقة في العام ١٩٥٦ على توضيع قوات الطوارئ الدولية في أراضي الجهورية العربية المتحدة وغزة، فإن ذلك من حقها بالطبع». (١٨)

ورغم إصرار الأمين العام على أن فكرة طرد قوات الطوارئ الدولية ليست جيدة، فإنه كان متمسكاً برأيه في أن لمصر الحق في طردها نهائياً: وكان عبد الناصر سريعاً في ممارسة هذا الحق. إذ بعث بقراره إلى المارشال تيتو، الرئيس اليوغسلافي، وإنديرا غاندي، رئيسة وزراء الهند، اللذين وافقا، كما هو متوقع، على سحب فصائلهما من سيناء.

في فجر اليوم التالي ١٧ مايو، كانت مجموعة مؤلفة من ثلاثين جندياً مصريا وثلاث عربات مدرعة قد أحاطت بموقع مراقبة في «الصحبة» (Sabha) يشغله يوغسلافيون، وتقدموا إلى الحدود. احتج ريكهاي (Rikhye) على هذا التطور إلى شرقاوي، وجواباً على احتجاجه تلقى رسالة أخرى من الجنرال فوزي ينصحه فيها بإخراج جميع عناصر قوات الطوارئ الدولية من الصبحة في غضون ٢٤ ساعة، ومن شرم الشيخ في غضون ٤٨ ساعة. ومازال المصريون يأتون. وما إن دقت الساعة الواحدة بعد الظهر حتى بلغ عدد الفصيل المصري في الصبحة ١٠٠ رجل، وثلاثين عربة، في حين وصل عنصر متقدم إلى كونتيلا (Kuntilla) في الجنوب، كذلك. (١٩)

لقد حوصرت قوات الطوارئ الدولية -ولم تعد عند النقاط الجوهرية بقادرة على مراقبة الحدود بل أصبحت تشاهد تعزيزات الجنود المصريين -ومن ثم شلّت فاعليتها بفضل انسحاب جنود دولتين مشاركتين فيها. ولدى تقييم يوتانت لهذه التطورات أصبح أكثر عزوفاً عن مقاومة قرار عبد الناصر. إذ شعر أنه لا يستطيع اللجوء إلى الجمعية العمومية حيث ستؤيد الكتل الشيوعية والإفريقية- الآسيوية مصر بالتأكيد، ولا إلى مجلس الأمن الذي يشله الفيتو الأمريكي والفيتو السوفياتي.

وخشي أن تسفر أية محاولة منه لإعاقة الجيش المصري عن تعريض عناصر قوات الطوارئ الدولية للخطر، وتهدد عمليات حفظ السلام في أمكنة أخرى. وعلى الرغم من أن مستشاره القانوني نصحه بعدم اتخاذ «خطوة راديكالية» في الخضوع إلى إنذار مصر النهائي قبل الرجوع إلى الهيئات التابعة للأمم المتحدة ذات الصلة، فإن يوثانت كان قد حزم أمره. فقد كتب فيما بعد قائلاً: «لا يمكن أن أفهم أن قيام الجمهورية العربية المتحدة بسحب موافقتها على وجود قوات الطوارئ الدولية أن يواجه بأي قرار سوى الموافقة على طلبها.. والواقع أنه لا أهمية لمسألة الإذعان طالما أن الموافقة قد ألغيت». وبدا كأن الأمين العام للأمم المتحدة كان أكبر عقبة في سبيل بقاء قوات الطوارئ الدولية. (٢٠)

وفي اجتماع عقد بعد الظهر وضم اللجنة الاستشارية لقوات الطوارئ الدولية والأمين العام للأمم المتحدة، أيد الوفدان الهندي والباكستاني حق مصر في طرد قوات الطوارئ من طرف واحد، رغم أن السفراء الغربيين كانوا يجادلون بعنف من أجل تأجيل اتخاذ قرار نهائي. إذ قال يوتانت للجنة: «كان من المفروض عموماً في العام ١٩٥٧ أن تتوضع قوات الطوارئ الدولية هناك لبضعة شهور فقط». مدعيا أن اتفاق «النوايا الحسنة» كان يتعلق فقط بإخراج القوات من سيناء- وهو هدف قد تحقق منذ زمن. وأصر قائلاً: إذا لم تعد موافقة الجمهورية العربية المتحدة موجودة، فإن على قوات الطوارئ أن تنسحب، ليس هناك أي بديل وتضمنت المذكرة التي بعثها الأمين العام لعبد الناصر في ذلك المساء تعليلاً مماثلاً حيث كرر اعترافه بحقوق مصر، وتذكيره لريكهاي (Rikhye) بأن قوات الطوارئ في سيناء خاضعة لتصرف مصر». (٢١)

كان لمصر حق لا يهاجم بإخراج قوات الطوارئ الدولية رغم أنها بطرد هذه القوات تخاطر بتفجير حرب إقليمية، إن لم تكن عالمية - كان ذلك هو الموقف المتناقض ظاهريا لرجل مسؤول عن صيانة السلم العالمي. كان يوتانت البالغ من العمر ٥٨ عاماً، الذي شغل منصب مدير مدرسة ثم اشتغل في الصحافة، وسكرتير



الحكومة الصحافي، وأصبح في العام ١٩٥٧ ممثل بورما (Burma) الدائم في الأمم المتحدة، المولع بفكاهات تلاميذ المدارس ومع ذلك يتسم بالرصانة والهدوء، كان هذا الرجل من وجهة نظر أحد أقرب مستشاريه «بلا عاطفة، قمري الوجه.. بسيط التفكير.. «وكما قال جورج طعمة»: كان بوذيا بكل ما في الكلمة من معنى، لا يمكن التنبؤ بردود فعله».

وكان يوتانت خاليا من العيوب سوى السيجار (من شيروت) الذي كان يدخنه وطعامه البورمي المبهَّر كثيراً. وبعد أربع سنوات، إثر وفاة همرشولد لدى تحطم طائرته في الكونغو، اختير يوتانت الذي كان حينذاك يشغل منصب رئيس لجنة التوفيق الكونغولية التابعة للأمم المتحدة، لإتمام مدة الأمين العام المرحوم. ثم أعاد مجلس الأمن تعيينه في ديسمبر من العام ١٩٦٦، واشتهر بالصبر، وإن كان رجل دولة محدود.

قال عنه بريان أوركوهارت (Brin Urquhart)، نائب أمين عام الأمم المتحدة: «يتمتع يوتانت برؤية قوية للصواب والخطأ، ويفوق حسه الأخلاقي حسه السياسي، ويجعله ذلك يفعل ما يراه صحيحاً، حتى ولو كان مسيئاً له سياسياً. وكان ما يعتقده صحيحاً، يعد في نظر المسؤولين الأمريكيين، مناهضاً للغرب، وبالتالي مؤيداً للسوفيات. وهكذا، كما وصفه هـ. يوجيني مور أندرسون (Eujeni Moor e An-.H derson) ممثل الولايات المتحدة في الأمم المتحدة. «ورث يوتانت سيكولوجية الآسيوي.. ولديه نزعة متأصلة ضد الرجل الأبيض». (٢٢)

ورغم أن يوثانت لم يكن ذا ميول معادية للصهيونية، فقد أظهر مشاعر متناقضة تجاه الدولة اليهودية التي لم تكن مناسبة في بيئة الانقسام بين الشرق والغرب، وبين الآسيوي والقوقازي.

في حين كان لمصر ميول معادية للصهيونية، رغم أن معارضتها لقوات الطوارئ الدولية كانت مصدر قلق. وكانت الفوضى الناجمة التي نشأت في ذهن يوتانت واضحة عندما قال معللاً: في رسالة شخصية بعث بها إلى سفير الولايات المتحدة

غـولد بيـرغ: (Gold berg) «من الـواضح أنه لا يمكن المجـادلة في أن إسـهـام قـوات الطوارئ الدولية في حفظ الهدوء في المنطقـة فترة طويلة الذي ما كان ينجز لولا تعاون الجمهورية العربيـة المتحدة، يجعلنا نقول لحكومة الجمهوريـة العربية المتحدة: إنه لا يحق لك إخراج هذه القوات من طرف واحد، وبالتالي نعاقب هذه الحكومة على تعاونها لفترة طويلة مع المجتمع الدولي لصالح السلام. وبعبارة أخرى، إن إسهامات مصر السابقة في السلام يؤهلها لأن تهدد ذلك السلام في المستقبل. (٢٣)

ومع ذلك كان يوتـانت يعتقد أن حل أحجيـة قوة الطوارئ الدوليـة بسيط، وقدم ذلك الحل صبيحة اليوم التالي في ١٨ مايو إلى السفير الإسرائيلي. الحل هو أن تعبر قوات الطوارئ الدولية الحدود وتعيد انتشارها في الأراضي الإسرائيلية. لم تكن الفكرة جديدة، إذ إن همر شولد كان قد طرقها لدى تشكيل قوات الطوارئ الدولية بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية. رفضت إسرائيل الفكرة حينذاك على أساس أن مصر، وليس إسرائيل، التي تحتفظ بحالة الحرب، وترسل الفدائيين من غزة، وتغلق مضائق تيران. وبما أن قوات الطوارئ الدولية تتألف من كتائب من دول مختلفة غير متعاطفة مع إسرائيل، فإنها ستكون أقل صداً لعدوان مصري من تقييد ردود الفعل الإسرائيلية على ذلك العدوان.

كانت جميع ههذ المناقشات والتعليلات معروفة تماماً لدى جدعون رافائيل (Gideon Rafael) سفير إسرائيل إلى الأمم المتحدة.

ورغم أن تعيينه سفيراً كان حديث العهد إلا أنه يعد من مؤسسي وزارة الخارجية الإسرائيلية، وكان حاضراً عند التصويت في الأمم المتحدة على قرار التقسيم، وأثناء المناقشات المراتونية حول أزمة السويس ،إذ كان جدعون قد بلغ الخامسة والأربعين من العمر. وبما أنه مزّود بتعليمات بوجوب منع إخراج قوات الطوارئ الدولية مهما كلف الثمن، فقد رفض التفاوض على وجود هذه القوات على التراب الإسرائيلي، وانتقد سلبية الأمم المتحدة في مواجه القوات المصرية –وقال موبخاً يوتانت: «كان



بإمكانك أن تصرخ في وجوههم، على الأقل، قبل أن تطلق النار عليهم». وذكر رفائيل الأمين العام بالوعود التي تلقتها إسرائيل من سلفه، بأن أي طلب لإخراج قوات الطوارئ الدولية يجب أن يعرض على الجمعية العمومية التابعة للأمم المتحدة. ادعى يوتانت أنه يجهل تلك الوعود، فوصفه رافائيل بأنه «مذهول.. مرتبك» -وأكد للإسرائيليين أنه سوف يبعث إلى عبد الناصر مناشدة ملزمة. (٢٤)

كان تسارع الأحداث في سيناء يفوق تسارعها في نيويورك. فلم يعد بإمكان طائرات قوة الطوارئ الهبوط في مطار العريش، تاركة الطعام يتعفن في حجرات الشحن فيها، وأفراد القوة يتضورون جوعاً. واستولى المصريون تماماً على جميع مواقع المراقبة في الصبحة والكونتيلا، وأطلقت نيران المدفعية على مقربة من المواقع في القسيمة (al-Qusayma) وفي شرم الشيخ قام مظليون محمولون على متن مروحيات يعززهم قاربان مسلحان على مقربة الشاطئ، طلبوا من حامية قوة الطوارئ المؤلفة من ٣١ يوغسلافيا الرحيل على الفور. ومع ذلك لم يحدث الاحتكاك من الجانب المصري وحده. إذ لوحقت طائرة كاريبو (Caribou) التي كانت نقل الجنرال ريكهاي (Rikhye) قرب الحدود الإسرائيلية، مع طلقات تحذيرية من طائرات الميستير (Mysteres) الإسرائيلية. (٢٥)

وعلى الرغم من اعتذار رابين فيما بعد عن هذا الحادث، إلا أن هذا الحادث قد عزز الإحساس بقرب حصول أزمة لدى ريكهاي (Rikhye).

بلغت تقلبات ذلك اليوم ذروتها في برقية بعث بها وزير الخارجية المصري، رياض، إلى يوتانت: كانت تتضمن الرسالة التي طلبها الأمين العام للأمم المتحدة من القوني (EL-Kony)، فحصل عليها الآن: «تتشرف حكومة الجمهورية العربية المتحدة بأن تحيط سموكم بأنها قررت إنهاء وجود قوات الطوارئ الدولية التابعة للأم المتحدة من أراضي الجمهورية العربية المتحدة وقطاع غزة: لذا يرجى اتخاذ الخطوات اللازمة لانسحاب القوات بأسرع ما يمكن».

يدل النص على تحول حاسم في التفكير المصري الرسمي فخلال اليومين السابقين، ومنذ أن أحيط ريكهاي (Rikhye) علماً بنوايا مصر، والغموض تلف مسألة ما إذا كانت قوات الطوارئ الدولية قد أمرت بمغادرة بعض المناطق في سيناء أم بمغادرة الشرق الأوسط كلياً.

إذ يمكن تفسير رسالة فوزي الأصلية بأنها طلب إلى الـ UNEF بمغادرة الحدود فقط، وفق رغبة عبد الناصر: ولكن رغبة عامر هي التي نفذت، على ما يبدو، من قبل الجنرال مختار الذي طلب إلى الـ UNEF بالرحيل عن شرم الشيخ، وبنزول القوات المصرية هناك. والآن بَيَّن رياض المسألة بوضوح: على جميع قوات الطوارئ الدولية (UNEF) أن تغادر».

شك عبد الناصر بأن بنش (Bunche) حاول خداعه بالتهديد بحل قوات الطوارئ الدولية إذا ما طلبت مصر نقلها بعيداً عن الحدود. أما الآن، فقد ادعى الرئيس المصري أنه طلب ذلك بصراحة وطرد قوات حفظ السلام كليا ورغم الجدل الذي ربما يثار فيما بعد حول ما إذا كان عبد الناصر قد سعى حقاً إلى الاحتفاظ بقوات الطوارئ الدولية في غزة وشرم الشيخ -وهو أمر نفاه بنش (Bunche) بشدة- فإن نهاية مطاف القوة لم يكن له علاقة بيوتانت (Uthant). فهو يرى أن أي طلب بتغيير مواقع القوة يرقى إلى طلب سحبها كليا. لقد نصب عبد الناصر فخّاً لنفسه، اعتقاداً منه أن بنش (Bunche) كان قد أعد له فخّاً. (٢٦)

تلقى الأمين العام للأمم المتحدة رسالة فوزي بإذعان تام، إن لم يكن بأسف. إذ أجاب على سؤال بجفاف: «إنني سأصدر تعليمات بدون تأخير بانسحاب القوة»، وأضاف قائلاً: «ولدي هواجس خطيرة من أن انسحابها سيسفر عن أزمات خطيرة للسلام. وفكر في مناشدة عبد الناصر، وطلب من بريان أوركوهارت (Brian Urqu-hart) أن يصوغ مسودة الرسالة، وكان القوني (EL-Kony) يميل أيضاً إلى النصح باتباع الحكمة، متأكداً من أنَّ مسألة قوات الطوارئ الدولية سوف تناقش في



الجمعية العومية لـلأمم المتحدة، لا محالة، بيد أن عبد الناصر لم يكن يرى ذلك أبداً. فجوابه الذي حمله رياض كان جامعاً محكماً: «انصحه (يوتانت) ألا يرسل أية مناشدة تتعلق بقوات الطوارئ الدولية لتجنب رفض القاهرة الذي ربما يريكه، وهو أمر لا نريده له أبداً». لم يكن الأمين العام بحاجة إلى مزيد من الحث، فغض النظر نهائياً عن الفكرة كلها. (٢٧)

وصلت نسخ من المراسلات بين رياض ويوتانت إلى ريكهاي (Rikhye) في الساعة ٤,٣٠ من صبيحة يوم ١٩ مايو (آيار). فأصيب بإحباط مرير-إذ كان يرى أن بإمكان الأمم المتحدة أن تجرب عدداً من تكتيكات التأخير كإرسال بعثة تقصّي حقائق إلى المنطقة، مثلاً- ولكنه لم يفاجأ بالأمر.

قال متذكراً: «وقفت وقلت لصبياني، هيا انهضوا، لقد حان أوان الرحيل». وتم استيلاء المصريين على مواقع المراقبة الواحد تلو الآخر بعد ظهر ذلك اليوم. ولم تعد سلامة عناصر قوات الطوارئ الدولية مضمونة في تلك المنطقة، كما قالوا. وفي الساعة الخامسة بعد الظهر، كانت وحدات من جيش التحرير الفلسطيني قد شغلت نقاط التفتيش عند حاجز إرتيز (Erez) فاصلة بذلك غزة عن إسرائيل. وصف ريكهاي (Rikhye) المشهد على النحو التالي: «قَدَّم حارس الشرف السلاح، وعزفت الموسيقى السلام، وأنزل علم الأمم المتحدة جنديٌّ سويدي شاب طواه ثم سلمه إلى الليفتنانت الذي سلمه بدوره إلى قائده. سار الكولونيل ليندزكوغ (Lindskog) إليَّ وسلمني العلم والحزن يغمر وجهه».

رأى ريكهاي (Rikhye) تعابير مختلفة على الوجوه «ابتسامة عريضة من الأذن إلى الأذن» ارتسمت على وجه الجندي الفلسطيني الذي كان يحرس البوابة. حيَّاه الجنرال، قائلاً لنفسه: «كل شيء لك الآن». وشاعراً بالحزن عليه. ثم تقدم عبر الحواجز إلى مكتب ضابط الارتباط في جيش الدفاع الاسرائيلي ليقدم تقريراً بأن انسحاب قوات الطوارئ الدولية من غزة قد استكمل. وبحلول منتصف الليل كان

المصريون قد أعلموا الأمم المتحدة بأن الجمهورية العربية المتحدة قد بسطت سيادتها على سيناء، وينبغي ألا يسمح لأي عنصر من القوات الدولية التابعة للأمم المتحدة بالبقاء في سيناء حتى إشعار آخر واقترح عبد الناصر أن يقلد قوة الطوارئ الدولية وساماً تقديراً لخدماتها ومكافأة لها على قبولها الرحيل سلمياً، بيد أن ريكهاي (Rikhye) اعتذر بأدب عن قبول هذا التكريم. إذ كان يعتقد أن مهمة القوة لم تنجز أبداً، كما تبين الأمر في ذلك المساء مع أول تبادل إطلاق نار عبر الحدود. (٢٨)

عُممت التقارير المتعلقة بقرار الـ UNEF على الجمعية العمومية ومجلس الأمن في ١٩ مايو. وسعى يوثانت أن يعلل في هذه التقارير إذعانه لإملاءات ناصر، مع إبداء أسفه لما ستنجم عنه هذه الإملاءات من مخاطر. وأوجز خلفية الجدل الدائر - الصراع على المناطق المنزوعة السلاح الشمالية، وهجمات فتح، والتقارير الكثيرة عن حشود إسرائيلية. وانتقد بوجه خاص إسرائيل بسبب بيانات المسؤولين الاسرائيليين «الملهبة»، ورفض إسرائيل الاعتراف بلجنة الهدنة المشتركة في غزة التي كان بالإمكان أن تكون بديلاً جزئياً لقوات الطوارئ الدولية، برأيه. وكان هم الأمين العام الوحيد هو أن طرد الـ UNEF لم يكن بسبب أدائها إذ أنها قامت بواجبها «بفعالية ملحوظة وتميُّز كبير».

كانت هذه العبارة رثاء «لقوات الطوارئ الدولية (UNEF)».

سارع منتقدو يوثانت إلى الإشارة بأنه تصرف بسرعة لا سابقة لها -وهو أمر يؤسف له- في قبول مطالب مصر المتزايدة. إذ لم يستشر رسمياً الدول المشاركة بهذه القوات، قبل اتخاذ قراره، وبالتأكيد لم يستشر إسرائيل، ولم يناشد عبد الناصر. أدان الغرب تصرفه- فوصفه أحد الكتاب في صحفية نيوزويك، هو جوزيف ألسوب (Joseph Alsop) «بأنه رعديد» ووصفه س. ل. سولز بيرغر (C.L. Sulz-berger) محرر نيويورك تايمز بأنه يتمتع «بموضوعية المحب المنبوذ، وبدينامية المغفل». ومع ذلك لم يحدث أي شيء فيما يتعلق بالأمر. خوفاً من الوحدة

الأفريقية- الآسيوية، والفيتو السوفياتي، لم تجرؤ الدول الغربية على طرح الموضوع في الجمعية العمومية أو مجلس الأمن. وبعد شهر تقريباً في ١٧ يونيو (حزيران) عندما غادر أخر جندي تابع للأمم المتحدة سيناء، لم يذكر هذا الحادث إلا نادراً. ولكن منذئذ، وسيناء، بل والشرق الوسط كله في واقع الأمر، أصبح مكاناً مختلفاً جداً.

لم تعد المسألة، الآن في نظر يوتانت، كيف يمكن إحياء قوات الطوارئ الدولية، بل كيف يمنع نشوب حرب. اقترح أبا إيبان (Abba Eban) أن يقوم الأمين العام للأمم المتحدة، وأركوهارت (Urqohart) وبنش (Bunche)، على الفور بمهمة وساطة إلى القاهرة ودمشق والقدس. عرض الاقتراح على يوتانت، ولكن بصورة جزئية. إذ يتوقف فقط في القاهرة بناء على ما يسمى بـ «زيارة منتظمة مقررة سلفاً»، دون أن يصطحب معه أركوهارت ولا بنش المكروهين عند المصريين، ودون أن يغادر على الفور، بل يبقى ثلاثة أيام أخرى، عندما يخبره طالعه بأن الوقت مناسب لرحلته. (٢٩)

إسرائيل تنتظر

«الانتظار» أو «الهاهامتانا (Ha- Hamtana) كما يسميه الاسرائيليون. هذا الوصف أطلق على الفترة التي تبدأ في ١٤ مايو (آيار) مع التقارير الأولى عن دخول القوات المصرية سيناء والتصاعد الجنوني للتوترات وما بعدها. بدأت هذه في ١٧ مايو عندما أحاط الاسرائيليين «مصدر بالغ السرية» علماً بقرار يوتانت بشأن قوات الطوارئ الدولية. فأبرقت وزارة الخارجية إلى ممثلها في رانغوان: (Rangoon) «مازال من غير الواضح أية اعتبارات دبلوماسية أو عيب في شخصية يوتانت جعلته يتخذ مثل هذا القرار الكارثي: «فإن استطعت أن تسجل أية تفسيرات يمكن أن تلقي ضوءاً على دوافعه أخبرنا على الفور». وفيما عدا خيبة أمل إسرائيل بالأمين العام للأمم المتحدة، كان على إسرائيل أن تتلمس طريقاً كيلا تخسر الانجاز الذي حققته

منذ العام ١٩٥٦، وهو تأمين حرية الملاحة عبر مضائق تيران، وتأمين الهدوء على الحدود الجنوبية. إذ انتهى فجأة عقد من الأمن وفّرته قوات الطوارئ الدولية، وحل محله طيف من الحرب مشفوعاً بسؤال: «ماذا سيفعل عبد الناصر بعد ذلك؟».

جاء الجواب، على ما يبدو من سلاح الجو المصري الذي قام لأول مرَّة بجولة استطلاع لمفاعل ديمونة النووي، في الساعة الرابعة من بعد ظهر السابع عشر من مايو (آيار). إذ اخترقت طائرتا ميغ ٢١ الأجواء الأردنية، ودخلتا إسرائيل من الشرق، وحلقتا على ارتفاع منخفض فوق الموقع السري جداً. وغادرتا إلى الحدود داخل سينا قبل أن تتمكن قوات الدفاع الإسرائيلية القيام بأي رد فعل.

لامس الحدث أحد أهم مصادر قلق إسرائيل هو أن استمرارها في إنتاج الطاقة النووية ربما يجبر مصر على شن حرب تقليدية ما دامت الفرصة مواتية.

وبالعودة إلى العام ١٩٦٤ نجد أن عبد الناصر كان قد حذر الأمريكيين أن استمرار إسرائيل بتطوير مقدرتها النووية ربما يكون سبباً للحرب.

حتى ولو كانت حرباً انتحارية. فطمأنت الولايات المتحدة عبد الناصر أن إسرائيل لا تطور أسلحة استراتيجية، ولكن ناصر لم يكرر مثل هذا الإنذار بعد ذلك أبداً، ولكن ذكرى هذا الإنذار التصق في أذهان الإسرائيليين. فهم لم ينسوا أبداً قرب المفاعل من الحدود، وإمكانية تعرضه لقصف جوي. وهكذا، رغم أن عبد الناصر لم يشر إلى ديمونة كدافع لاتخاذه قرارات مايو، فإن القيادات العسكرية الإسرائيلية، توصلوا إلى ضرورة قيامهم هم بالضربة الأولى. إذ كان خوف إسرائيل على المفاعل -وليس خوف مصر منه- هو الحافز الأكبر لشن الحرب. (٣٠)

فما إن حلقت طائرات الميغ حتى ارتفعت درجة الاستنفار إلى الدرجة الثانية، واستنفار السلاح الجوي إلى الدرجة القصوى. وطبقت عملية بلوبيرد (Bluehird) لحماية مطارات إسرائيل والمواقع الاستراتيجية الأخرى.



وقعت مسوؤلية هذه المراجعة على رجل صغير الحجم لطيف المعالم، هو الجنرال أهارون، «أهاريل» ياريف (Aharon Aharale yariv)، رئيس المخابرات العسكرية. قام ياريف وهو في سن السابعة والأربعين بمهات ميدانية في (الهاغناه) (Haganah)، والجيش البريطاني، وأخيراً في جيش الدفاع الإسرائيلي، قبل أن يصبح ملحقاً عسكرياً في واشنطن.

ولدى عودته إلى إسرائيل، عُيِّن رئيساً لفرع المخابرات «أمان (AMAN) في العام ١٩٦٤ في زمن القمم العربية وخطة عبد الناصر للإعداد المرحلي للحرب. وفي حين كلف بقية أعضاء هيئة الأركان بالتعامل مع الاستفزازات اليومية على الحدود، كانت مهمة ياريف المحتومة هي تقدير متى يكون العالم العربي في وضعية تؤهله لشن حرب كاملة على جميع الجبهات. واستخلص أن تلك اللحظة ربما تأتي في وقت ما بين عامي ١٩٦٧و ١٩٧٠ مرجحاً التاريخ الأخير. ولكن التقدير كان مبنياً على الاعتقاد بأن مصر ستظل مكبلة اقتصاديا لسبب انغماسها في حرب اليمن - وهو افتراض سرعان ما نحي جانباً. أما وأن القوات المصرية تتدفق الآن إلى سيناء، فإن على ياريف أن يطرح سيناريوهات بديلة.

قال يا ريف في تقرير رفعه إلى رؤسائه في١٩ مايو: «ليس من الواضح إذا كانت نوايا مصر من البداية هي المواجهة العسكرية أم لمجرد كسب محدود للهيبة والكرامة. على أية حال نحن مستعدون للمواجهة سواء كان ذلك نتيجة لاستفزاز مقصود أو غير مقصود».

وعرض صوراً جوية للقوات المصرية التي كان عددها حينذاك (٨٠,٠٠٠) ثمانين ألف رجل و(٥٥٠) وخمسئة وخمسين دبابة و(١٠٠٠) وألف مدفع، وأجرى مسحاً لمسارات عملياتها المحتملة. قال ياريف: «ربما يقصف المصريون المفاعل النووي» رغم أنه يرى أن المصريين يقومون بمجرد حشد للقوة في سيناء. وبذلك يمكنهم إبقاء الاسرائيليين في حالة استنفار دائم غير محدود، واستنزاف اقتصادي ،أو استفزاز إسرائيل لتقوم بالضربة الأولى التي يستطيع العرب تحويلها إلى هزيمة ساحقة لإسرائيل.

كان ياريف يرى أن ناصر لم يعد يعتقد بأن مصر أضعف من إسرائيل عسكريا، بل إنه يعتقد أن بإمكانه المقامرة بهجمات قصيرة مركزة للاستيلاء على أجزاء من النقب ويسحق جيش الدفاع الإسرائيلي بين كثبان سيناء الرملية. قال ياريف موصيا بتفعيل غالبية الاحتياطي الاسرائيلي البالغ عددهم ١٤٠.٠٠٠ جندي وموضحاً لهم بصراحة أنهم استدعوا استعداداً للحرب: «سيضربكم المصريون بشيء محدود سوف تردون على الضربة، ومن ثم يقصفون مفاعل ديمونة.. وقواتهم في بير حسان (Hasana) وجبل لبني (Jabal Libni) مستعدة للمناورة». ونصح ياريف بضرورة إحاطة المدنيين علماً بالحقيقة. (٣١)

افترضت جيمع تحليلات الجيش أن ناصر قد تصرف وفق دوافع منطقية محسوبة- ولم يرد ذكر لعلاقته المضطربة مع عامر، مثلاً، ومع ذلك ظلت تحركاته التالية سرية. وقال إشكول مؤكداً لمجلس وزرائه في مساء يوم التاسع عشر موضحاً لهم أن ناصر يريد الحرب، قائلاً: «لن يكون هناك حرب طالما أن المصريين يجلسون في سيناء ولا يتحركون. وعندما نصل إلى ذلك النهر سوف نبحث عَمًّا يصون الحياة». وهَدَّأ من روع رابين عندما حذر من أن ناصر سوف يغلق المضائق على الأغلب. ومع ذلك، قال رئيس الوزراء في تلك الليلة ذاتها إلى زعماء حزب الماباي: «الأمور أسوأ ما تبدو». ووجه الكلام إلى معاون وزير الدفاع زفي دينشتاين (Zvi Dinstein) محذراً: «ستنشب حرب.، أقول لك، ستنشب حرب». فأمر إشكول باستدعاء أضعاف من الاحتياطي إلى الخدمة العسكرية، ورفع عدد الدبابات في الجنوب إلى ٣٠٠ دبابة.

وطلب إعداد خطط للعمليات لإعادة فتح المضائق بالقوة ولتدمير المطارات المصرية إن هم هاجموا مفاعل ديمونة.

ومع ذلك، تابع إشكول، برغم كل شكوكه، النصح بضرورة التصرف بذكاء وحصافة، فطلب من وزرائه الأحجام عن إصدار بيانات عامة حول حقوق إسرائيل في الملاحة الحرة، وطلب إلى الدبلوماسيين تلافي خوض نقاش في مجلس الأمن لأن ذلك سيسفر عن لا شيء، في أحسن الأحوال، وعن وضع حقوق إسرائيل في الملاحة الحرة موضع تساؤل، في أسوأ الأحوال.



وسواء كان الأمر هو استرداد الوضع الراهن في سيناء، وتأكيد حق إسرائيل في الدفاع عن النفس، فإن رد إسرائيل على الأزمة يجب أن يكون غير ملفت للنظر، وأن تركز جهودها على العامل الأكثر فاعلية ألا وهو الولايات المتحدة الأمريكية. (٣٢)

ولكن هل كانت أمريكا تفكر في الأزمة كما تفكر فيها إسرائيل؟

لقد سمع السفير هارمان (Harman) لأول مرَّة في لقائه مع معاون وزير الخارجية الأمريكي يوجين روستو (Eugene Rostow) في ١٧ مايو، أن إسرائيل «لن تقف وحدها» شريطة ألا تتصرف عسكريا وحدها. كانت الولايات المتحدة راغبة في التحدث مع الروس، أما تأثيرها على المصريين فكان محدوداً. وأخيراً أشار روستو إلى أن ناصر كان يتصرف ضمن حقوقه في توضيع قواته على أراضيه وفي مناطق سيادته. وبالتالي فإن قيام إسرائيل بتوجيه ضربة استباقية يعد «خطأ فادحاً».

كان صدى كلمات روستو مقلقاً لكل إسرائيلي مازال يتذكر أزمة السويس، وإثارة التهديدات بالعقوبات الاقتصادية والضغط الأمريكي القاسي على إسرائيل. تعزز ذلك الإحساس بالقلق في ذلك المساء لدى تلقي إشكول رسالة من جونسون (Johnson) استبعد فيها رغم اعترافه «بأن صبر إسرائيل قد بلغ حده» بسبب الهجمات الحدودية، أي عمل عسكري وقائي استباقي محذراً: «أود التأكيد بقوة على ضرورة الإحجام عن اتخاذ أية خطوة من شأنها تزيد من التوتر والعنف في المنطقة. ولسوف تفهمون أن الولايات المتحدة لا تستطيع قبول أية مسؤولية عن أية أوضاع ربما تحدث نتيجة لأعمال لم يؤخذ فيها رأينا». (٣٣)

كان الاسرائيليون يرغبون في الالتزام، وإحاطة واشنطن علماً بأن استدعاء الاحتياط كان لأغراض دفاعية فقط، والطلب من أمريكا أن تطمئن القاهرة ودمشق بذلك. قال أبا إيبان للسفير الأمريكي باربر: (Barbour) «ليست هناك مفاتيح آلية مفتوحة»، لم يكن هناك عمل مخطط له طالما كانت مضائق تيران مفتوحة للملاحة الحرة. ولكن مقابل إحجام إسرائيل المطلوب، فإن لإسرائيل أن تحصل على مطالب:

وهي ضمانات أمريكية لصيانة أمنها. وقال إيبان موضحاً: «إن إسرائيل، إما أن تطلق النار أو تطلق الصرخات، ولكن من المستحيل سياسياً أن تبقى هادئة تجاه الإرهاب. وإذا كانت الولايات المتحدة تعتقد بأن إسرائيل الهادئة تستحق الصيانة فعليها أن تتخذ خطوات لتصدق أنها ملتزمة حقاً.

انعكس هذا الطلب في جواب إشكول إلى جونسون، إذ قال: «أفهم أنك لا ترغب في الالتزام بدون تشاور. بيد أن وجود حشد كبير على حدودنا الجنوبية مرتبطة بحملة إرهابية من الشمال ودعم الاتحاد السوفياتي للحكومات المسؤولة عن التوتر، يجعل من الضروري جداً إعادة تأكيد التزام أمريكا بأمن إسرائيل عملياً إذا مادعت الحاجة إلى ذلك». فكان لإسرائيل طلبات أخرى، كذلك، منها طائرات نفاثة ودبابات وزيارة مدمرة أمريكية لميناء إيلات للتزود بالمؤن وغير ذلك.

لم يُلَبَّ أيٌّ من هذه التوسلات. وفي حين وعد المسؤولون الأمريكيون بدراسة صفقة معونات «تلبي طلبات إسرائيل بصورة كبيرة» فإنهم لم يعدُّوا أية أسلحة لتسليمها إلى إسرائيل. وكان حصان الدعاية الذي امتطاه العرب «هو كيف استبعد وزير الخارجية الأمريكية فكرة زيارة مدمرة إلى ميناء إيلات؟ «راية حمراء لمصر» حتى إن باربر (Barbour) زوّد بتعليمات بضرورة تجنب التباحث المباشر مع إشكول خشية أن يحدث ذلك انطباعاً بوجود تواطؤ. وكتب هارمان (Harman) حتى عن احتمالات أسوأ-احتمال قيام الولايات المتحدة بممارسة الضغط على إسرائيل لتقبل قوات الطوارئ الدولية على أراضيها، والاعتراف بالأمر الواقع في سيناء. وأكد السفير إلى إيبان قائلاً: «هذه السياسات متصدعة وكارثية أساساً. إذ يقع الجزء الأكبر من المسؤولية تجاه الأزمة الحالية على عاتق حكومة الولايات المتحدة. وبالتالي فإن تحركاً أمريكياً جريئاً من طرف واحد سوف يسفر عن نتائج مرضية لكلينا». (٣٤)



تحول إشكول إلى ديغول عندما خاب أمله في جواب جونسون. علنياً قال رئيس الوزراء متوسلاً: «إن تصريحاً فرنسيا علنياً مفاده دعم أمن إسرائيل وسلامة أراضيها وحفظ السلام في الشرق الأوسط سيكون أهم رصيد ساسي ونفسي لنا في الموقف الحساس الدقيق الذي نجد أنفسنا فيه». وأرسلت مناشدة مماثلة إلى حكومة هارولد ويلسون (Harald Wilson) البريطانية، رغم أن أياً من حلفاء إسرائيل السابقين منذ العام ١٩٥٦ كان راغباً في إصدار مثل هذا البيان. وفي هذه الأثناء استدعى السفير السوفياتي شوفاخين (Chuva Khin) ثانية إلى وزارة الخارجية الإسرائيلية حيث أكد له أبا إيبان اهتمام إسرائيل بالسلام. فكان جواب السفير السوفياتي دفاعاً عن حق مصر في إخراج قوات الطوارئ الدولية وإدانة للعدوان الإسرائيلي قولاً وعملاً عسكريا ضد سوريا. ونفى شوفاخين تورط سوريا في الهجمات الإرهابية التي عزاها إلى عملاء أمريكيين إذ لقَّن إبان قائلاً: «لقد حُذِّرتم. وأنتم مسؤولون. إنكم تردون على الاستفزاز بالمخابرات المركزية الأمريكية (CIA)». (٣٥)

سعت إسرائيل للحصول على ما يطمئنها عبثاً، واستمر الحشد المصري. إذ كانت ست فرق كاملة قد اتخذت مواقعها في سيناء بحلول العشرين من مايو. وقال عامر: «من هذه المواقع يمكن القيام برد انتقامي كبير ضد أي عدوان إسرائيلي.» وأشيع أن أسطولاً مصرياً كبيراً من السفن الحربية قد دخل البحر الأحمر في طريقه إلى إيلات، وأن وزير الشؤون الدينية المصري قد أعلن الجهاد لتحرير فلسطين. وتنبأ الشقيري، رئيس م.ت.ف. بدمار إسرائيل في الحرب القادمة.

في حين قال حافظ الأسد في دمشق: «لقد آن الأوان لأخذ زمام المبادرة في تدمير الوجود الصهيوني في الوطن العربي». وفجأة تحركت وفود عربية عسكرية- عراقية إلى سورية، ووفود سورية إلى العراق.

كما صرح ماخوس (Makhous)، وزير خارجية سوريا، لدى عودته من القاهرة: «لقد تحولت بلادنا الشقيقة إلى قوة محتشدة واحدة. إن انسحاب قوات الأمم المتحدة يعني فتح الطريق لقواتنا المتقدمة إلى المعركة».

لقد دفعت أعمال عبد الناصر بالشارع العربي إلى حماس لم يسبق له مثيل منذ مطلع خمسينيات القرن العشرين. ولم يكن للقادة العرب المحافظين خيار سوى الانضمام إلى هذا الموكب حتى مع استمرار تآمر سوريا ومصر للإحاطة بهم. وهكذا دعت الرياض في ٢١ مايو العرب إلى التوحد والالتفاف حول مصر وسورية رغم أن سوريا طردت دبلوماسيين سعوديين بتهمة التعاون مع الرجعيين، وأن مصر قد عاودت قصف قواعد سعودية بالغاز. وفي اليوم نفسه انفجرت سيارة مفخخة سورية في مدينة الرمثا (Ramtha) الحدودية الأردنية وقتلت ٢١ شخصاً. وكتب الحسين لدى صرفه السفير السوري من عمان قائلاً: «لم نعد ندري أي الطرفين أقل موثوقية... إسرائيل أم حلفاؤنا العرب؟!» ومع ذلك فقد أعلن القصر الملكي «استعداد الأردن للوقوف إلى جانب شقيقاتها الدول العربية ضد العدو المشترك بكل عزم وتصميم». وقد أوجزت افتتاحية في صحيفة الزمان (al-Zaman) اللبنانية المعتدلة الموقف خير إيجاز بقولها: «إننا في مقدمة أولئك الراغبين في انهيار النظام الماركسي-الملحد في دمشق. ولكن إن كان ذلك الانهيار سيتم على يد إسرائيل، فإننا عندئذ نتمى له الخلود». (٣٦)

لم يعد بالإمكان إخفاء شدة هذا الاضطراب وصخب هذه الجلبة عن الجمهور الإسرائيلي، وإخفاء استدعاء حوالي ٨٠،٠٠٠ جندي احتياط. كان ثمن الاستنفار مذهلاً وبدأ الرأي العام يتحول إلى نقد عجز الحكومة عن اتخاذ مزيد من الخطوات المحددة الحاسمة.

ولكن سرعان ما أمسك بن غوريون بهذا الاتجاه. فقد أنّب إشكول بقسوة على فشله في الحصول على ضمانات دولية للدفاع عن إسرائيل، وعلى بياناته العدوانية التي لم تفعل سوى استعداد السوفيات، حسب زعم بن غوريون.

لقد كان الضغط على إشكول قويا لدرجة أن ليور بدأ يخشى عليه من انهيار عاطفي أو صحي أو كليهما.



ومع ذلك كان يقع على كاهل رابين ما هو أشد وطأة إذ بتقدم القوات المصرية في سيناء استطاع الجيش المصري أخذ زمام المبادرة من إسرائيل، والمبادرة كانت هي حجر الزاوية في سياسة رابين، وضرورية لإبقاء العرب في حالة عدم توازن. وكان رابين يخشى أنه بعدم التصدي لتحدي ناصر على الفور تضحي إسرائيل بكثير من قوتها الرادعة. وعلى الرغم من بقاء انتشار العدو دفاعياً، فإن الموقف كان قابلاً للاشتعال، فأية رصاصة يطلقها قناص يمكن أن تشعل حرباً كاملة.

أسرَّ رابين إلى إشكول أثناء زيارة القوات الإسرائيلية في الجنوب قائلاً: «ستكون حرباً ضروساً تقع فيها إصابات كثيرة، ولكننا سوف نهزم العدو المصري». لم يبد رئيس الوزراء اعتراضاً، ولكن جوابه الوحيد عندما سأله رابين عن الخطوات التي سوف ستتخذها إسرائيل بعد ذلك، كان: «سنتابع خياراتنا الدبلوماسية إلى النهاية».

بدأ رابين يشعر على الرغم من عمله المتزامن مع إشكول، بالافتقار إلى القيادة في رأس هرم الدولة، خصوصاً في ما يتعلق الأمر بإعداد الجيش للحرب.

بدأ يدرك أكثر بأنه يطلب إليه صياغة سياسة بدلاً من تنفيذ أوامر الحكومة.

قال رئيس الأركان لجنرالاته في ١٩ مايو مشيراً إلى عزلة إسرائيل دبلوماسيا وعكسرياً: «لقد حان الوقت لندرك أن ما من أحد سيهب لإنقاذنا، فالسياسيون مقتنعون بأنهم قادرون على حل المشكلات دبلوماسيا. وعلينا أن نمكنهم من استنفاد أي بديل للحرب، رغم أنني أرى أنه ما من سبيل لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه. فإذا ما حاصر المصريون المضائق - فلن يكون هناك بديل عن الحرب. وإذا نشبت الحرب - لابد لنا من القتال على جبهتين». وأشار إلى أن إسرائيل لا تملك وسائل دفاع عن سواحلها المأهولة بكثافة، أو عن نفسها ضد أسلحة كيماوية.

كان رابين يفكر في ضربة استباقية، خصوصاً بهجوم يدمر فيه القواعد الجوية المصرية. كانت قوات الدفاع الإسرائيلي قد أعدَّت خطة كهذه اسمها الرمزي «موكيد» (Moked) منذ سنين، وكان رابين واثقاً من نجاحها. في حين أن الثقة

بنجاح الحملة البرية كانت أقل. تساءل رابين عن الزمن الذي تستطيع إسرائيل تحمله في القتال إلى أن يتدخل مجلس الأمن ويفرض وقفاً لإطلاق النار، قدَّر إيبان الزمن بأربع وعشرين ساعة أو اثنتين وعشرين. وهو وقت غير كاف لإخراج الجيش المصري من سيناء. فتوسل رابين قائلاً: «أعطني وقتاً، وقتاً، وقتاً. نحن بحاجة إلى وقت». فالدولة لا تستطيع أن تطلب من مواطنيها الموت من أجل هدف تعلم أنه لا يمكن الحصول عليه. (٣٧)

لم يمض أسبوع على الأزمة حتى كان رابين يدخن بكثرة ويشرب القهوة السادة. ووجده المراسلون الصحفيون الذين قابلوه في ٢١ مايو متلعثماً في كلامه، غير متماسك، وعلى وشك الانهيار العصبي. وأسَرَّ إيبان إلى باربر قائلاً: «رابين مصاب بالدوار» استدعي رئيس الأركان في ذلك اليوم نفسه إلى بيت بن غوريون الريفي في سدي بوكر (Sde Boker)، حيث كان والد إسرائيل المؤسس البالغ من العمر ٨١ سنة في ذلك الوقت، الغاضب، قد عقد اجتماعاً للموالين له وتآمروا على إسقاط إشكول.

قال رابين فيما بعد إلى مريم إشكول: «عندما يدعوك بن غوريون، فلا بد أن تذهب». وذهب فعلاً، ولكن بدون إعلام إشكول. وكان يراوده أمل في الحصول على دعم بن غوريون ومباركته. بيد أن ما حصل عليه هو جَلْد باللسان.

فقد هاجم بن غوريون رابين حالما دخل الباب، بقوله: «لقد حُشِرت في وضع صعب جداً. إني أشك كثيراً في أن ناصر يريد خوض حرب، والآن نحن في مأزق خطير». وعنَّفه على بياناته الاستفزازية إلى الصحافة، ولاستدعائه هذا الكم الهائل من الاحتياط – التي زادت من فرص الحرب في حين أن إسرائيل مازالت معزولة. وقال متهماً: «لقد ارتكبت أنت أو من أعطاك الأوامر باستدعاء الاحتياط وبالاستنفار خطأً فادحاً». إن التحدث مع ناصر بدون حليف من القوى الكبرى، ربما يكون مدمراً لإسرائيل في أحسن الأحوال، ومهدداً لكل منجزاتها الأمنية التي حققتها خلال العشرين سنة المنصرمة، بل ربما يكون انتحاراً.

وتلقى إشكول، بالطبع شجباً قوياً خاصًا. «رئيس الوزراء ومجلس الوزراء هم الذين يتحملون مسؤولية اتخاذ قرار بخوض حرب أو عدم خوض حرب: إذ ليس من شأن الجيش أن يقرر. ولا تتخلى الحكومة عن واجباتها. ليس هكذا تُسَيَّرُ الأمور».

كانت الاتهامات، في نظر رابين، مدمّرة. فعلى الرغم من خيبة أمله في بن غوريون الذي لم يدرك القوة الحديثة التي وصل إليها جيش الدفاع الإسرائيلي وإنه لم يعد بحاجة لحماية بريطانية أو فرنسية، فإنه طعن طعنة عميقة بفضل النقد الذي وجهه إليه معلمه السابق بقوله: «لقد وصلت الدولة إلى وضع خطير، ينبغي ألاَّ نذهب إلى الحرب. نحن معزولون. إنك تتحمل المسؤولية».

ظلت الكلمات ترن في أذنيه بعد خروجه من البيت الريفي. «مطأطئ الرأس، خفيض الكتفين، وسيجارته تتدلى من بين شفتيه». كما وصفه أحد الشهود. (٣٨).

قال أحد مساعدي رابين نقلاً عنه وهما يدردشان في طريقهما بالسيارة من سدى بوكر: (Sde Boker) «كلما صعدت أكثر كان الجدار أعلى. ومع ذلك كان رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي في طريقه إلى جدار أعلى. إذ التقى بعد ذلك موشي دايان (Moshe Dayan)».

منذ أن استقال رئيس الأركان السابق من منصبه كوزير للزراعة في العام ١٩٦٤ عندما انشق بن غوريون آخر مرَّة عن حزب ماباي، وهو ينتقد بلا هوادة حكومة إشكول، خصوصاً سياستها فيما يتعلق بالحدود الشمالية. وهكذا قال للكنيست في أكتوبر من العام ١٩٦٦ أنه: «لم يعد هناك موجة كبيرة من المتسللين اليوم. وأن على إسرائيل ألا تقع في حُمَّى التصعيد لمجرد عبور عشرات من عصابات فتح الحدود. سوف تنضم الدول العربية إلى سوريا في نضالها السياسي ولكنها لن تتورط في أية مغامرة عسكرية يمكن أن تبادر بها سورية». وانتقد غارة السموع، والمعركة الجوية في السابع من نيسان مع سوريا، وتهديدات رابين بالانتقام. وأضاف متنبئاً: «سينتهي ذلك إلى الحرب. فمن يرسل إشارات من دخان عليه أن يفهم أن الجانب الآخر ربما

يظن أن هناك ناراً حقاً... وادعى في ١٧ مايو أن تصرف الحكومة الأخرق ربما يمكن عبد الناصر من تحقيق نصر سياسي أبيض، أو من قصف ديمونة أو من إغلاق مضائق تيران، دون إراقة دماء.

فأي دعم إذن يمكن لرابين أن يحصل عليه من ديان؟ يبدو أن رئيس هيئة الأركان كان يريد تغذية راجعة من أسلافه لخطة جديدة كان قد وضعها في حال قيام ناصر بإغلاق مضائق تيران. فبدلاً من القيام بالدفاع عن الحدود فقط، يقوم الجيش الإسرائيلي باحتلال غزة ثم المقايضة عليها لقاء حرية الملاحة عبر المضائق. قدم رابين فكرته التي أطلق عليها الاسم الرمزي أتزمون (Atzmon) إلى دايان ذلك المساء، ولكن دايان رفضها قائلاً بحزم: «هناك لاجئون كثر، وسوف يكون ناصر سعيداً بإلقاء هذا العبء عن كاهله ليلقيه على كاهل إسرائيل. فليس هناك جواب إقليمي على الإغلاق، بل جواب عسكري ونفسي. إذ لا بد من تدمير الجيش المصري وإذلال عبد الناصر كلياً».

كان لدى رابين جوابه على خطة أتزمون، ولكنه كان يريد المزيد- يريد أُذناً صاغية متعاطفة لشكواه من الحكومة. قال: إن عجز الحكومة عن اتخاذ قرار بالحرب أو بعدم خوض حرب، يضطره إلى أن يتخذ القرار بنفسه الأمر الذي يضعه في موقف لا يمكن الدفاع عنه. شكى لمضيفه ولكن مضيفه لم يحر جواباً سوى الصمت.

ويذكر دايان أن رابين انصرف من عنده «غير واثق من نفسه، مرتبكاً يدخن بعصبية بصورة غير متقطعة...» وكأنه ليس قائداً يعد العدّة لخوض معركة. (٣٩)

بدت المعركة وشيكة إذا ما تصرف ناصر في تيران. قطعت بضع قوارب إسرائيلية طلائعية المضائق، ومع ذلك كانت القناة الضيقة (سبعة أميال) بين سيناء وشبه الجريزة العربية خط الحياة للدولة الإسرائيلية حيث كانت تشكل القناة التي تستورد عبرها إسرائيل النفط من إيران بهدوء. وللعبور من المضائق قيمة رمزية



للإسرائيليين، إذ يرمز إلى انتصارهم على المصريين في العام ١٩٥٦. وبعد أن ناضلت إسرائيل للحصول على اعتراف دولي بحقها في الدفاع عن نفسها إذا ما أغلقت المضائق، فإنّ تنازلها عن هذا الحق يعني فقدانها لقدرتها الرادعة كليا.

لقد أدى السؤال: «هل يغلق ناصر المضائق؟» إلى انقسام في صفوف القيادة الإسرائيلية، حتى عندما نزل المظليون المصريون في شرم الشيخ. كان رأي مئير أميت (Meir Amit)، رئيس الموساد أن ناصر لن يغلق المضائق. إذ قال موضحاً رأيه: «إن مثل هذا العمل سوف يسفر عن مَحْقِ عبد الناصر، لأن ذلك التصرف مناف للمنطق العسكري والدبلوماسي.» اتفق رأيه هذا مع رأي المخابرات العسكرية الإسرائيلية، التي كانت ترى أن حصار المضائق يعني الحرب، وعبد الناصر لا يريد الحرب، بل يريد المجد والشهرة فقط. بيد أن إشكول ورابين لم يوافقا على هذا الرأي. خاطب رئيس الوزراء مجلس الوزراء في ٢١ مايو قائلاً: إن «خطة المصريين في إغلاق المضائق أو قصف المفاعل النووي في ديمونة، ستتبع بهجوم عام». وسوف تنشب حرب «تكون فيها الدقائق الخمس الأولى حاسمة. والمسألة من يهاجم مطارات الآخر أولاً».

ومع أن إشكول كان متأكداً من نشوب الحرب، لكنه لم يشأ دفع يد عبد الناصر. فقد رفض اقتراحاً بإرسال سفينة إسرائيلية طليعية عبر المضائق للتأكد من وجود احتياطيين متمركزين قرب الحدود الجنوبية وتدبر أمرهم. وطلب إلى الصحفيين ألا يذكروا شيئاً عن السفن المغادرة أو الراسية في إيلات. وطلب إشكول من الملك حسين عبر قنوات بريطانية وأمريكية أن يكف عن وصف عبد الناصر بالجبن لفشله في فرض الحصار. أدان إشكول في خطابه الافتتاحي لدورة الكنيست الصيفية الإرهاب الفلسطيني ورعاته السوريين، ولكنه وبخ عبد الناصر بلطف لتمسكه بإشاعات كاذبة. وأكد على الطبيعة المحدودة للاستنفار الإسرائيلي، ودعا إلى الاحترام المتبادل لحقوق السيادة وسلامة الأراضي، وللحقوق الدولية لكل دول الشرق الأوسط. وإذا كان لا بد من تحذير عبد الناصر، فإن ذلك ينبغي أن يتم

سرياً، برسالة يحملها الأمين لعام للأمم المتحدة تنص على أن حركة الملاحة عبر مضائق تيران تعد من أهم المصالح والحقوق القومية التي تؤكدها إسرائيل وتدافع عنها مهما كانت التضحيات». (٤٠)

الإغلاق

لم يظهر عبد الناصر أبداً ما إذا كان غير راض عن سحب قوات الطوارئ الدولية كلياً أو جزئياً. كما أن الفورة العربية الداعمة لذلك الحدث والتي دبت الهلع في قلوب الإسرائيلين، ترفع الزعيم المصري العظيم على رأسها. وفي حين أن من أهداف هذه الحركة إزالة قوات الطوارئ الدولية، كان لها جانب آخر خطير هو إغلاق مضائق تيران. صنع الهدف الأول نصراً سياسياً، أما الآخر فيمكن أن يقود إلى حرب. قال خبير الشؤون المصرية في وزارة الخارجية البريطانية معلقاً فيما بعد: «هنا تظهر شخصية عبد الناصر. فالمرء يستطيع الرد على الفشل بتقليل الخسائر أو بمضاعفة الرهان: أضف إلى النجاح بالحصول على ما تربح، أو بمحاولة مضاعفة أرباحك.. وناصر كان دائماً مقامراً في لعبة النجاح والفشل». (٤١)

في هذه المقامرة، بوجه خاص، كان الرهان عالياً جداً. فعلى الرغم من أن المصريّ العادي لم يكن يعلم بأن السفن الإسرائيلية كانت تبحر عبر المضائق منذ العام ١٩٥٦ -لأن ناصر لم يعترف بذلك علنا قط- ولا يعلم حتى أين تقع تيران، فإن المماحكة الأردنية والسعودية كانت بغيضة عند القادة المصريين. فهي تذكرهم بفشلهم في إنجاز المهمة التي أخذتها مصر على عاتقها في العام ١٩٤٩ وهي «أن تبقي اليهود خارج الخليج» والاحتفاظ بالعقبة كبحيرة عربية. وأسفر ذلك الفشل عن ظهور إيلات كميناء مزدهر. فبفضل متاخمته للبحر الحمر، أنشأت إسرائيل مواطئ قدم لها في التجارة مع آسيا وإفريقيا، المجالين التقليدين للمصالح المصرية، واستوردت النفط من شاه إيران، المنافس الشخصي لناصر. فقد دخل الميناء خلال السنتين السابقتين وحدهما حوالي ٥٤٠٠٠ طن من المحمولات، وخرجت منه حوالي ٢٠٧٠٠٠ طنا، ورست فيه حوالي ٥٠٠ سفينة.



وللانتقام من هذه الإهانة، رفضت مصر التوقيع على معاهدة جنيف للعام ١٩٥٨ التي تضمن عالميّة مضائق تيران وحرية الملاحة الدولية فيها. وسبب عدم التوقيع، كما قالت القاهرة، هو أن إسرائيل احتلت إيلات بصورة غير شرعية، بعد توقيع الهدنة الدائمة، وحصلت على حرية الملاحة فيها عن طريق حرب عدوانية. لم يكن مسموحاً لإسرائيل شحن مواد حربية عبر المناطق المصرية، ولم تكن الأمم المتحدة قادرة على حماية مكاسب إسرائيل غير الشرعية. (٤٢)

كان ناصر تواقاً لحصار المضائق، ومنذ السابع عشر من مايو (آيار) حين كانت قوات الطوارئ الدولية مازالت تحرس المضائق، قرر أن يعيدها إلى وضعها السابق. بيد أن تنفيذ ذلك القرار يعد أمراً مختلفاً تماماً. لم ينس عبد الناصر ذكريات العام ١٩٥٦ عندما اخترقت قوات جيش الدفاع الإسرائيلي الخطوط المصرية في سيناء وهي في طريقها إلى شرم الشيخ.

والآن، بعد ورود تقارير عسكرية تفيد بأن إسرائيل قد استكملت حشدها تقريباً، لم يعد بالإمكان التغاضي عن احتمال غزو آخر. قال عبد الناصر لكبار قادته العسكريين والمدنيين في لقاء معهم في بيته منتصف الليل في ٢١ مايو (آيار): «إذا كان طرد قوات الطوارئ الدولية زاد من فرصة نشوب الحرب إلى ٢٠٪ فإن إغلاق مضائق تيران سوف يرفع ذلك الاحتمال إلى أكثر من ٥٠٪. والسؤال هو هل الجيش مستعد؟!».

وجاء الرد بدون تردد من عامر الذي قال: «برقبتي، الجيش مستعد للوضع دفاعياً وهجومياً». فطالما أن إسرائيل ستهاجم المضائق على أية حال، فإن مصر لا تخسر شيئاً بإغلاقها: هكذا شرح المشير الأمر. أما الفشل في إغلاقها، من جهة أخرى، فيعد عاراً على مصر. ووبخ عامر رئيس الوزراء سليمان، المهندس بالتدريب، عندما قال: إن منع المرور عبر المضائق ربما لا يكون في صالح مصر قائلاً باستغراب: «كيف يمكن لقواتي المتمركزة هناك (في شرم الشيخ) رؤية العلم



الإسرائيلي يمر من أمامهم؟» وبعد أن أرسل عامر تلك القوات إلى هناك مهملاً نصيحة هيئة أركانه، قال: «الأمر الآن.. يستلزم إغلاق المضائق». وبسبب سلطته، وليس بسبب حجته، منطقه لم يستطع أحد المسؤولين الحاضرين معارضته. (٤٣)

ولم يعترض عبد الناصر رغم أنه هو الوحيد الذي يستطيع المعارضة. لم يعثر على أي تسجيل يذكر تحفظاً للزعيم المصري على الإغلاق، ولا حتى في كتابات المدافع عنه، محمد حسنين هيكل. والواقع أن هيكل وعامر وبدران (Badaran) ومحيي الدين (Muhieddin) كانوا موجودين في اليوم التالي في قاعدة أبو سوير (Abu Suweir) الجوية حيث حيا عبد الناصر مجموعة من الطيارين المتحمسين. وأخبرهم بتلقي «معلومات دقيقة» بقرب غزو إسرائيل لسورية، وبقراره طرد الـ UNEF، القوة التي تخدم الاستعمار، من سيناء. كتأكيد لحقوقنا (حقوق مصر وسيادتنا على خليج العقبة» ثم جاءت خلاصة القول: «يشكل خليج العقبة مياهاً إقليمية مصرية. وسوف لن تسمح تحت أية ظروف للعلم الإسرائيلي المرور في خليج العقبة. هدد اليهود بالحرب. ونحن نقول لهم: أهلاً وسهلاً، نحن مستعدون للحرب. قواتنا المسلحة وشعبنا كله مستعد للحرب، ولكننا لن نتنازل عن حقوقنا تحت أية ظروف. هذا الماء لنا».

ما إن نطق عبد الناصر هذه الكلمات حتى طارت البرقيات إلى الحكومات العربية تخبرها بقرار مصر، وتطلب مساعدتها في إحباط شحنات النفط إلى إسرائيل.

وأعلن راديو القاهرة «أن ألغاماً بحرية بُثَّت في مناطق معينة في المياه الإقليمية المصرية». ورفعت درجة الاستنفار إلى الحد الأقصى. وأرسلت بناء على أوامر من عبد الحكيم عامر تعليمات إلى الأسطول كي يرسل مدمرة وعبَّارة من قوارب الطوربيد لسد مضائق تيران أمام السفن الإسرائيلية الطليعية أو أمام ناقلات النفط الآتية إلى إيلات. وقال في تعليماته: «تطلق على هذه السفن طلقتين تحذيريتين، فإن لم يستجب، تطلق عليها عيارات تصيبها بأضرار، وإن لم تستجب،



تغرق». يقول محمد عبد الحافظ، أحد قادة المظليين في شرم الشيخ، متذكراً: «صدرت إلينا أوامر إغلاق مضائق تيران. التحق بنا مئة مدفع مؤلل من طراز SU، وأربعة مدافع بحرية ثقيلة.. ومدمرة، وستة زوارق طوربيد، وغواصة، انتشرت على الشواطئ بالإضافة إلى سرب من طائرات ميغ -٢١ من لواء الهرغادة (Harghada)..

وأمرنا أن نطلق عيارات تحذيرية، فإن يتوقفوا، نرميهم بطلقات أقرب إليهم وهكذا..» كان حافظ فخوراً بهذا العمل، رغم أنه لم يكن يعلم أبداً بوجود قوات الطوارئ الدولية في المنطقة أو بأن إسرائيل كانت تتمتع بحرية الملاحة عبر المضائق. ويتابع القول: «كان إغلاق المضائق، بالطبع، إعلاناً للحرب.. لكننا لم نكن نعلم ذلك في تلك اللحظة، بل نفذنا الأوامر بدون أي تساؤل». (٤٤)

ساد الابتهاج الوطن العربي كله حيث ترددت عبارة «أهلاً وسهلاً». غمرت شوارع القدس والخليل وبغداد وبيروت وطرابلس مظاهرات جماهيرية مهللة لعمل مصر. وفُعِّلت القوات المسلحة في كل من لبنان والكويت والسعودية. وذكر أن أرتالاً عراقية مسلحة تحركت نحو الحدود السورية والأردنية «لتشارك في معركة الشرق». لبس الملك حسين زيا عسكريا واستعرض وحدات من الفيلق العربي ومن بينها دبابات أمريكية، من المفروض ألا تعبر نهر الأردن، وهي تشير في اتجاه الضفة الغربية. (٤٥)

لم يشارك يوتانت العرب بهجتهم. إذ علم بإغلاق المضائق أثناء توقفه في باريس في طريقه إلى القاهرة، شعر بإهانة كبيرة، وفكر أن يلغي رحلته، ولكنه صمم في النهاية على متابعتها عساه يثني عبد الناصر عن قراره أو يجعله يَعدُ بألا يكون أول من يطلق النار.

حطت طائرة يوتانت في مطار القاهرة الدولي بعد ظهر يوم الثلاثاء في ٢١ مايو، أي بعد أسبوع تماماً من تلقي ريكهاي (Rikhye) أوامر الإخلاء.

كان في استقبال يوتانت مئات من الناس يهتفون «عاش عبد الناصر» و«نريد الحرب» أثناء نزوله على أرض المطار، من بين المستقبلين كان محمود رياض الذي كان مستعداً لبدء محادثات على الفور. ولأن يوتانت، كان مرهقاً، أرجأ اللقاء مع وزير الخارجية حتى الساعة ٩.٤٥ صباح اليوم التالي.

كان الصباح بارداً صافيا عندما عبرت سيارة يوتانت، الليموزين -التي تحمل لوحة UNEFI- نهر النيل عند جسر الجامعة، مارة بالسفارة السوفياتية ،إلى أن وصلت إلى فندق سميرا ميس حيث المقر المؤقت لوزارة الخارجية. ومع ذلك لم يكن رياض متفائلاً، أبداً. لقد رفض تطمينات أمريكية بعدم وجود أية حشود إسرائيلية في الشمال، معتبراً إياها لا قيمة لها، وأصر على أن هناك مؤامرة لاحتلال جنوب سوريا وفرض قوات طوارئ دولية هناك كذلك. إن إعادة عسكرة سيناء تهدف لجعل إسرائيل تفكر مرتين قبل القيام بأي عدوان، كما قال رياض. ولكن تصرف مصر قد خدم أيضاً غاية أخرى، هي: «إسدال آخر ستار على العدوان الإسرائيلي في العام ١٩٥٦ ». لن تتم إعادة ذلك الستار حتى ولو كلف الأمر خوض حرب. سوف تطرد قوات الطوارئ الدولية من التراب المصري «بالقوة، إذا لزم الأمر»، وسوف تمنع السفن الإسرائيلية من الإبحار إلى إيلات. لم يترك رياض مجالاً كبيراً للدبلوماسية. فعلى الرغم من أن مصر كانت راغبة في بحث احتمال إنعاش اتفاقية الهدنة وآليتها، فإنها رفضت أي إجراء -كترسيم الحدود، مثلاً- يمنح إسرائيل اعترافاً بها أو يقلل من حالة الحرب.

أتاح يوتانت، الذي كان يدخن سيجاراً، لرياض أن يكمل حديثه قبل أن يعرض فكرته بتجميد الأوضاع لمدة أسبوعين أو ثلاثة: لا تغلق مصر المضائق ولا تحاول إسرائيل عبورها. سوف يوفر هذا التعليق- على غرار أزمة الصواريخ الكوبية- وقتاً لتعيين وسيط دولي من أجل التوصل إلى حل سلمي.

كان رد فعل رياض مشوباً بالشك. إذ أكد القول بأن على الحكومة ألا تبدي تردداً أمام شعبها، وخصوصاً أمام الجيش الذي كان مصمما على الدفاع عن القضية العربية. ولم يكن للرسالة التي حملها يوتانت من إشكول والتي مفادها أن إسرائيل سوف تفتح المضائق عسكرياً، أي أثر على وزير الخارجية.



تناول يوتانت طعام الغداء مع مضيفه الدكتور محمد فوزي في نادي التحرير حيث أبلغه فوزي بأن لقاءه مع عبد الناصر سيكون في المساء بعد العشاء. فإن كان الأمين العام للأمم المتحدة قد استاء من هذا التأخير، فإنه لم يصدر عنه ما يدل على ذلك.

كان مولعاً بعبد الناصر، يجده «بسيطا جداً، ساحراً، مؤدباً.. قائداً حقيقياً لشعبه»، ولم ينس قط لقاءهما الأول في رانغون (Rangoon) حيث قبل المصري ارتداء الزي البورمي التقليدي، وأن يتبلّل بالماء أثناء حضوره احتفالاً مائيا. كان ذلك الولع بادياً عندما بدأت المحادثات في بيت الرئيس الساعة العاشرة. قبل يوتانت، على الفور، تعليلات ناصر بأنه كان قد قرر إعلان إغلاق المضائق من قبل زيارة الأمين العام للأمم المتحدة، وليس قبلها كي يجنب ضيفه الإرباك والإحراج. فلو طلب يوتانت من عبد الناصر أن يحجم عن إغلاق المضائق، لَصَدَّه.

كرر عبد الناصر كثيراً مما قاله رياض من قبل، أي أن الحشد في سيناء استلزمته مخططات إسرئيل ضد سورية، والكرامة العربية والشرف العربي. واعترف أنه يحلم بأخذ زمام المبادرة وتوجيه سؤال إلى جنرالاته إن كانوا مستعدين لمهاجمة إسرائيل. وكان جوابهم كما يذكر عبد الناصر «لم نكن في حال أفضل مما نحن عليه الآن. قواتنا جيدة التسليح والتدريب. وسوف نفوز بكل منافع البدء بالهجوم أولاً.

نحن متأكدون من النصر» سأل ناصر، وقد هزّ كتفيه، يوتانت، قائلاً: «يقول جنرالاتي بأنهم سوف يكسبون الحرب- فماذا تقول لهم؟» ولكن يوتانت أجاب بابتسامة.

ثم ألقى عبد الناصر خطبة مسهبة قرَّع فيها الولايات المتحدة التي اتهمها بشن «حرب تجويع» ضد مصر، وبمحاولة الإحاطة به وبالحلف الإسلامي، وبأنها وراء الحشود الإسرائيلية. وفيما يتعلق بإسرائيل، فليس لها أي حق شرعي بإيلات وليس لها أية حاجة بالبحر الأحمر. فالنفط تستطيع استيرداه عبر ميناء حيفا.

وأكد أن إبعاد الـUNEF عن الحدود يعني إخراجها من شرم الشيخ كذلك -ولم يأت على ذكر طلب بإعادة انتشار هذه القوة فحسب- وهذا بدوره يعني الحرب. وكرر وعده بأنه لن يكون من يطلق النار أولاً. «ليس لدينا نية في الهجوم ما لم نهاجم، وعندئذ سوف ندافع عن أنفسنا.. لن نهاجم أولاً. ووافق فيما بعد أن يعطي تعليمات لقواته في تيران أن يكونوا طيبين ويراعوا التوقيف شريطة أن تراعيه إسرائيل كذلك».

وانتهى الاجتماع بطريقة غريبة، إذ عرض ناصر ثانية تقليد قوات الطوارئ الدولية أعلى وسام مصري على خدماتها المتميّزة، وطلب السماح له بشراء معداتها الفائضة. دهش يوتانت بهذا العرض، ولكنه ظل متفائلاً.

وبين لريكهاي (Rikhye) الذي كان قد استنتج مما جرى من بحث، بأن، «عبدالناصر ووزير خارجيته وغيره من قادة الجمهورية العربية المتحدة قد أكدوا له احترامهم الكبير لمنصب الأمين العام للأمم المتحدة الذي يتمتع باحترامهم البالغ له شخصياً وبشعبية واسعة في العالم العربي.»

ولم يبق إلا أن تقبل إسرائيل ذلك. ولكن ريكهاي لم يشاركه هذا الأمل.

إذ كان قائد الـ UNEF السابق يرى أن عبد الناصر ضعيف ومشتت، وكأن الجيش، وليس الرئيس، هو صاحب السيادة. ولدى سؤاله حول انطباعه عن اللقاء قال ريكهاي: «أعتقد أنك ستشهد حرباً شرق أوسطية كبرى، وأعتقد أننا سنقضي خمسين عاماً من الآن حتى نتخلص من نتائجها الوخيمة». (٤٦)

رابين ينتظر

وافق إسحق رابين بصورة أكيدة بأن هناك آفاقاً للحرب، على الأقل. وصلت أنباء إغلاق المضائق إلى المخابرات العسكرية لجيش الدفاع الإسرائيلي في الساعة ٢.٣٠ بعد ظهر الثالث والعشرين من مايو، إضافة إلى تقارير مفادها: أن غواصة مصرية



عبرت المضائق، وأن مدافع ثقيلة قد نصبت في شرم الشيخ. وفي مرتفعات الجولان، كانت القوات السورية في أقصى درجات قوتها ورسوخها الحربي. وكانت حركة المراقبين الدوليين قد قُلِّصت تقليصاً شديداً. وقال رئيس الأركان: «إن القطعة الأساسية في أحجية الشرق الأوسط وهي، إعطاء عبد الناصر ذريعة للحرب - قد وضعت في مكانها. وعمليا أصبحت الكرة في ملعبنا..» وكان في الرهان، كما يعلم، أكثر من مجرد قضية حرية المرور اوزدهار إيلات. «بل المسألة الآن هي مسألة وجودنا القومي: نكون أو لا نكون». كما قال لجنرالاته تلك الليلة. (٤٧)

ومازال إشكول يرفض الموافقة على القيام بضربة استباقية. ولدى إيقاظه قبل الفجر من قبل الكولونيل ليور الذي قال له: «سيدي، لقد أغلق المصريون المضائق». هرع رئيس الوزارة إلى الحفرة (بالعبرية: بور) تحت مقر قيادة جيش الدفاع الإسرائيلي في تل أبيب. وكان بانتظاره هناك رابين وهيئة الأركان العامة وجو متوتر مشحون بالتوقعات.

بدأ الحديث رئيس المخابرات، ياريف (YARIV) قائلاً: «لقد انتهت فترة حملة ما بعد سيناء.. فإذا لم تتصرف إسرائيل رداً على حصار المضائق فإنها سوف تخسر مصداقيتها ويفقد جيش الدفاع الإسرائيلي مقدرته الرادعة. وسوف تفسر الدول العربية ضعف إسرائيل بأنه فرصة رائعة لتهديد أمنها ووجودها بالذات». ثم تكلم وايزمن (Weizman) فقال: «يجب أن نضرب الآن وبسرعة.. يجب أن نوجه للعدو ضربة قاضية، وإلا فإن قوى أخرى سوف تلتحق به» واخيراً تكلم رابين، قائلاً: «يعتمد الموقف السوري والأردني على نجاح تحرك مصر». ثم وجه الكلام إلى إشكول قائلاً: «يمكن لجيش الدفاع الإسرائيلي إما أن يحتل غزة، ويساوم عليها، أو يدمر الجيش المصري. وفي الحالتين يجب أن يفتتح المعركة بهجوم مفاجئ على القوة الجوية المصرية. وعلينا أن نعترف بالحقيقة. سوف نضرب مصر أولاً، ثم نقاتل سوريا والأردن كذلك».

فهم إشكول الآن أن الوقت لم يعد لصالح إسرائيل وأن الجيش ينصح بالقيام بضربة استباقية. ولكن المنظور أربكه بصورة جديّة وخطيرة.

ففي حين تقوم الطائرات الإسرائيلية بضرب مصر، يكون شمال إسرائيل معرضاً للنار السورية، ويمكنها إزالة مستوطنات بأكملها. والذي كان يقلقه أكثر هو أن جونسون مازال يعارض أي نوع من العنف. وهكذا بعد قبوله لنصيحة الجنرالات، قرر الانتظار مرَّة أخرى. إذ كان من المتوقع أن يصل صهريج من النفط إلى إيلات في غضون أسبوع، وعندها يتحدى الحصار إذا لزم الأمر. وفي هذه الأثناء يقدم التماساً إلى واشنطن مرَّة أخرى. (٤٨)

والواقع أن واشنطن كانت قد ناشدت إشكول. إذ وصلت أثناء الليل رسالة أخرة من جونسون تحث إسرائيل على إظهار أعصاب ثابتة، مذكراً إياه بالتزامه ومن سبقه من رؤساء بأمن إسرائيل. ورغم أن جونسون أبدى أسفه لقرار يوتانت بشأن قوات الطوارئ الدولية فقد ذكر أن السوفيات يبدون تعاوناً، وأن الولايات المتحدة تسعى إلى إيجاد حل سلمي للأزمة، «داخل الأمم المتحدة أو خارجها» وإلى أن يتم التوصل إلى حل رغبت الولايات المتحدة في تزويد إسرائيل ببعض المعدات –١٠٠نصف مجنزرة ودبابة باتون، وصواريخ هوك وغذاء ومساعدات اقتصادية تبلغ قيمتها ٤٧,٣ مليون دولار بالإضافة إلى قرض بقيمة ٢٠ مليون دولار– لمساعدة إسرائيل في محنتها. جاءت هذه الصفقة بمشكلة صعبة، على أية حال: فإسرائيل لا تستطيع تحدي الحصار بسفينة اختبار أو لا تستطيع تحت أية ظروف أن تسرع نشوب الحرب.

«فأي عمل إسرائيلي انفرادي لا يسوَّغ إلا بعد استنفاد كل الإجراءات السلمية»، وحذر روستو (Rostow)، معاون وزير خارجية الولايات المتحدة إبي إيفرون (Eppy Evron) قائلاً: «إن مثل هذا التبرير لا بد وأن يعرض أمام شعب الولايات المتحدة وشعوب العالم». (٤٩)

لقد ألقت الرسالة ضوءاً على التزام إشكول: بإقناع العالم بأنه لا بد من العمل، وأن يقنع الإسرائيليين بأسباب عدم قيامه بعمل. كانت تلك الأزمة المؤلمة واضحة في الاجتماع الثاني للجنة الدفاع الوزارية. كانت حكومات إسرائيل منذ العام ١٩٤٨ حكومات ائتلافية، ولم تكن حكومة إشكول استثناءً. فإلى جانب الوزراء من الحزب الاشتراكي الوسطي، حزب ماباي -أكبر عدد له في الوزارة- كان هناك أعضاء من حزب مابام الاشتراكي الراديكالي (حزب العمال المتحدين) ومن الحزب الاشتراكي العسكري أحودات ها-أفودا (Ahdut Ha- Avoda) (اتحاد العمال)، والحزب الديني المراقب، المعتدل سياسيا، حزب المفدال (Mafdal) (الحزب الديني القومي). كانت هذه الفصائل ممثلة في لجنة الدفاع، ولكن وبسبب وجود الأزمة، حضر ممثلون عن المعارضة كذلك -مناحم بيغن- (Menachem Begin) من الحزب اليميني غاحال (Gahal) بالإضافة إلى موشي دايان وشمعون بيريز وكلاهما من حزب رافي (Rafi) وهكذا كان في مجلس الوزراء طيف واسع من الآراء، وكانت الانقسامات بينها عميقة.

افتتح رابين الجلسة. وأخبر اللجنة، مقطباً، أن المضائق سوف تغلق رسميا الساعة ١٢,٠٠ في ذلك اليوم. وبما أن قوة إسرائيل الرادعة ضعيفة فبإمكان عبد الناصر أن يفرض زمان ومكان أية مواجهة ويحول وضعية قواته من الوضعية الدفاعية إلى الوضعية الهجومية في غضون ساعات. وهكذا، إذا ما حاول جيش الدفاع الإسرائيلي الاستيلاء على المضائق، فإن المصريين -وربما السوريين والأردنيين- سيضربون إسرائيل ذاتها. الوضع الآن بعكس ما كان عليه في العام ١٩٥٦:

إذ حينذاك، كانت مصر وحدها تواجه إسرائيل المتحالفة مع بريطانية وفرنسا، أما الآن فإسرائيل المعزولة وحدها تواجه مصر ودولاً عربية عديدة. وهناك احتمال تدخل السوفيات أيضاً. واختتم رابين حديثه بقوله: «إننا لا نتحدث عن نزهة في متنزه. «ولكن يبدو ألا خيار لنا سوى أن ندمر القوة الجوية المصرية بضربة مفاجئة نتبعها بتقدم قواتنا البرية إلى سيناء».



وانهال على رابين وابل سريع من الأسئلة. لنفرض أن إسرائيل هاجمت سوريا فما هو الضرر الذي يمكن أن تلحقه سوريا بإسرائيل في حين أن الطيران الإسرائيلي مشغول بقصف مصر؟ كيف تستطيع إسرائيل التصرف وحدها بدون حليف من إحدى القوى العظمى؟ ثم أبرز وزير التعليم، زلمان أران (Zalman Aran) من حزب ماباي أكثر المشاهد رعباً: «هل من المحتمل أن تباد قوتنا الجوية التي بدونها تصبح البلد مكشوفة لا يمكن الدفاع عنها؟».

بذل رابين المنهك جهده ليجيب على هذه التساؤلات. فقال: «لا. إسرائيل لن تهاجم سوريا رغم توقعنا بأن سوريا تقوم بقصف مدفعي مكثف، نعم، سيكون الضرر بالغاً إلى أن تستطيع القوة الجوية الالتفات إلى الشمال. وفيما يتعلق باحتمال إسقاط الطائرات الإسرائيلية بدلاً من قيامها بتدمير القوة الجوية المصرية، فقد أحال التساؤل إلى وايزمن. رغم أن وايزمن البالغ من العمر ٤١ عاماً الذي يشغل الآن منصب رئيس العمليات في جيش الدفاع الإسرائيلي كان يعمل سابقاً طياراً في سلاح الجو الملكي، وقاد سلاح الطيران الإسرائيلي معظم العقد المنصرم، وكان المهندس الرئيسي لخطة فوكس (Focus). استبعد وايزمن هذا الخليع المتهور اللامتواضع مخاوف أران، قائلاً: «سيخسر سلاح الجو الإسرائيلي ٢٠ طائرة من أصل ٦٠٠»، ثم أردف قائلاً: ليست هناك دولة تستطيع إغلاق أجوائها عملياً، وبالتالي فإن موجة الطيران الإسرائيلي الأولى سوف تخترق الأجواء من غير أن تكشف.

لم يفلح تبجح وايزمن في إقناع حايم موشي شابيرا (Haim Moshe Shapira) وزير الداخلية. كان شابير البالغ من العمر ٦٥ عاماً من الحمائم الصريحين الذين يعارضون سياسات إشكول الدفاعية النشطة تجاه سوريا. فذكر رابين كيف أنه اعتقد ذات يوم بأن سوريا تقف وحدها ويمكن تلقينها درساً بسهولة، أما الآن فسوريا لم تعد وحدها وأن درساً كهذا ربما يقود إلى الحرب، وأردف قائلاً: «أنا مستعد للقتال، ولكن لست مستعداً للانتحار».

كـان إلى جـانب الجـيش كل من مـوشي كـارمل (Moshe Garmel)، وزير النقل، وإسرائيل غاليلي (Israel Galile) الوزير بلا حقيبة.

ودعـا كـلاهمـا إلى إعـلان الحـرب ضـد مـصـر. أمـا بيـغن الصـريح في آرائه العسكرية، فقد عبر عن دعمه لضربة استباقية، وكذلك شمعون بيريز أيد الفكرة.

كان إشكول أثناء هذا الحوار يجلس شاحب الوجه متوتر الأعصاب قلقاً، قلقاً قلقاً» كما قال ليور، مدركاً أن مستقبله الشخصي وربما مستقبل البلاد على شفا هاوية. انقلب الرأي العام ضده وطالبه الشعب بالاستقالة من منصب وزير الدفاع إن لم يكن من منصب رئيس الوزارة أيضاً لصالح بن غوريون. ولكيّ يسترد إشكول ثقة الجمهور به حَذَّر الكنسيت بأن «أي تدخل في حرية الملاحة عبر المضائق يشكل خرقاً فاضحاً للقانون الدولي وضربة لحقوق سيادة الدول الأخرى، وعملاً عدوانياً ضد إسرائيل.» ولكن خلف هذا الوعيد العاصف كان يكمن الخوف من الحرب.

قال مذكراً مجلس الوزراء إن العرب يتفوقون على إسرائيل في المدرعات والطيران بنسبة ثلاثة -إلى- واحد: «ما الذي يوقف مصر عن احتلال الجنوب؟ والسوريين عن مهاجمة مستوطناتنا؟» بدا رئيس الوزراء وكأنه يحدث صدوعاً في نفوس حكومته. إذ أكد ضرورة إفهام العرب بأن «اليهود لا يقفون هنا يثغون (كالغنم) بل يجادلون استشكاف كل الخيارات الدبلوماسية. واعترف أنه عازف عن إثارة صدام أو عن الاعتماد على الوعود الدولية. فقد قال: «لا نريد الحرب، ولكن إن قصفنا العرب -ولا يهم عندئذ ماذا يقصفون- علينا أن نرد بسرعة وبغزارة. «ثم تساءل عما إذا كان بالإمكان تأجيل الانتقام إلى أن تحصل إسرائيل على مزيد من السلاح».

بدا إشكول وكـأنه غـارق في ورطة، ثم أنقـذه منهـا أبا أيبـان. إذ وافق وزير الخارجية على أن القضية ليست إيلات بل الردع. وأكد في مذاكراته قائلاً: «إن أمة لا تستطيع حماية مصالحها البحرية ربما تجد سبباً لعدم صد هجمات أخرى على

حقوقها. وما لم يتخذ موقف هنا، فإن أحداً من العرب لن يؤمن أبداً بقدرة إسرائيل على المقاومة» ومع ذلك عارض إيبان القيام بعمل عسكري يحتمل ألاَّ تدعمه الولايات المتحدة، مع احتمال مقاومة السوفيات له - أي أنه عارض إعادة أزمة السويس.

وأخبر مجلس الوزراء بالطلب الذي تلقاه من واشنطن: ستقبل إسرائيل فترة ٤٨ ساعة للتشاور تدرس خلالها الولايات المتحدة حشد أسطول متعدد الجنسيات لمرافقة السفن الإسرائيلية أثناء عبورها مضائق تيران. وأشار قائلاً: إن الخطة هذه أكثر من وعد إيزنهاور بدعم إسرائيل في دفاعها عن نفسها. واختتم إيبان كلامه بفصاحته المتميزة قائلاً: «إن الثقل التاريخي لهذه اللحظة -وربما لا تأتي لحظة مثلها في التاريخ اليهودي- تتطلب منا أن نتخذ هذه الخطوة؛ وإلاَّ لن نقدر لأجيال عديدة قادمة، أن نفسر لأنفسنا ولغيرنا فشلنا في وضع «الإغلاق» على المحك».

كان الاقتراح الأمريكي سيطرح على التصويت ولكن ليس قبل أن يقول دايان كلمته. تكلم دايان بفظاظة ومازال يرتدي الزي العسكري الذي كان يرتديه في رحلته إلى الجبهة الجنوبية حيث وجدته الشرطة العسكرية واصطحبته إلى القدس. لقد عارض «الطرق على أبواب القوى العظمى» ومنح المصريين مزيداً من الوقت ليرسخوا أقدامهم» وقال ساخراً: «نحن لسنا انكلتر بتراثها المليء بخسارة معارك كبرى أولاً». ومع ذلك أيد فترة التأخير لمدة ٤٨ ساعة، إذا كان ذلك يرضي الأمريكيين، على أن يشن هجوم جوي وبري بعدها على مصر. واقترح قائلاً: «علينا أن ندمر مئات الدبابات في معركة تدوم يومين إلى ثلاثة أيام» وأن نكون مستعدين للهجمات المضادة من الأردن وحتى من العرب الإسرائيليين».

انفض الاجتماع بعد أن أخذ قرار بتأجيل العمل العسكري لإعطاء إيبان فرصة للحصول على دعم العواصم الغربية وفي مقدمتها واشنطن لموقف إسرائيل. وفي هذه الأثناء، أخذت الحكومة تعمل على التقليل من حدة الأزمة -فأوقفت مناقشات الكنيست، وتابعت الاحتفالات الرسمية- في حين كانت تستكشف إمكانية إيجاد



مجلس وزراء يمثل الوحدة الوطنية ويضم المعارضة. وسوف يجري الإعداد لعملية «أتزمون (Atzmon) (احتلال غزة والمقايضة عليها لقاء حرية الملاحة)»: واستدعاء ٣٥٠٠٠ جندي احتياط، وما عدا ذلك «يستمر الانتظار».

فقط عندما تبدأ مصر بالهجوم بقصف المطارات الإسرائيلية أو أهداف استراتيجية ترد إسرائيل عليها بكل قواتها. (٥٠)

سلك إشكول مساراً وسطاً بين الحرب والدبلوماسية، ولكن سلوكه هذا لم يرض أحداً. فهناك عدد من وزراء الماباي، ومن بينهم أران (Aran) لم يوافقوا على اختيار إشكول إيبان كمبعوث خاص له معتقدين أنه غير كفوء وغير جدير بالثقة. وفي غرفة العمليات كان الجنرالات، في تلك الأثناء، يشكون من عدم حسمية الحكومة. لقد أنجزت الخطط للشروع بعملية فوكس (Focus) والتقدم في سيناء، وعلى الجبهات الأخرى إن لزم الأمر- وإلى منابع الأردن في الشمال وممر اللطرون المؤدي إلى القدس. نجاح كل هذه العمليات معلق على كسب عنصر المفاجأة المعلق بدوره على كلمة إشكول الذي ما زال متردداً في إعطائها.

ولرابين (Rabin) أيضاً هواجسه- هواجسه العميقة. ففي حين يعلم أن إسرائيل لا تستطيع تجاهل مناشدة مباشرة من الرئيس الأمريكي، كان متيقنا من أن الثماني والأربعين ساعة ستنقضي قبل أن يتم إيبان مهمته. وكانت الأخبار في غضون ذلك مرعبة. لقد أتمت الفرقة الرابعة المصرية انتشارها في سيناء، وزرعت المضائق بالألغام. وكان القادة العرب ينظمون تطويع جيوشهم «ليغسلوا بدمائهم تسعة عشر عاماً من العار في فلسطين» حسب تعبير رجال الدين المصريين في مواعظهم.

أصبح عبء اتخاذ القرار ثقيلاً جداً على رابين. إذ أيقظ إشكول من قيلولته بعد الظهر، بعد ساعات قليلة من انفضاض اجتماع وزاري، ليقول له: إنه قد غيَّر رأيه: «يجب أن تشن إسرائيل الحرب». فسأله رئيس الوزراء: «أليس من مخرج آخر؟» فأجابه رابين مقطباً: «سوف نمنى بخسائر فادحة ولكن ليس أمامنا خيار آخر». لكن إشكول لم يقتنع بعد، فقال رداً عليه:

«سوف لا يقوم سلاح الجو الإسرائيلي بهجومه قبل استنفاد الخيارات السياسية» ولم يمنحه الموافقة على القيام بالضربة. انهارت دفاعات موقف رابين بسرعة.

وانتشرت أغنية تحريضية معنوية في شوارع إسرائيل مع ترديد لازمتها: «ناصر بانتظار رابين»، ولكن الحقيقة كانت غير ذلك تماماً، كما قال رابين في مذكراته: «إذا كان ناصر بانتظار رابين، فإن رابين كان بانتظار إشكول وإشكول بانتظار مجلس وزرائه، ومجلس الوزراء بانتظار إيبان وإيبان بانتظار الرئيس جونسون..». (٥١)

كانت الساعة القادمة محمومة. قال ليور: «تصاعد التوتر، وتصاعد وتصاعد. وانهالت الرسائل من مختلف أنحاء العالم. ولم ينقطع رنين الهواتف.. وتسارعت عقارب الساعة». اجتمعت هذه الكتلة الهائلة من الضغوط على رابين، إضافة إلى عبء اللوم الذي وجهه إليه بن غوريون أولاً.

وذكَّره حايم موشي شابيرا قائلاً: «سوف تقاتل مصر على جبهة واحدة، أما نحن فسوف نقاتل على جبهتين أو ثلاثة. وسنكون الآن معزولين تماماً، ولن نتلقى إمدادات من السلاح إذا نقص السلاح عندنا أثناء القتال.. فهل تتحمل مسؤولية تعريض إسرائيل إلى الخطر؟ سأقاوم ذلك ما دمت أتنفس». (٥٢)

ما إن حل ليل الثالث والعشرين من مايو حتى انهار رابين، سواء بفعل كلمات شابيرا أو بفعل التقارير حول تعاظم التهديد المصري لإيلات. قال فيما بعد لصحفي إسرائيلي يصف حالته: «غرقت في محنة عميقة حلت عليَّ بفضل خطيئتي.. أني قدت بلادي إلى حرب في أصعب الظروف.. كل شيء كان على عاتقي، خطأ كان ذلك أم صواباً. لم أتناول شيئاً من الطعام منذ تسعة أيام. وكنت أدخن بلا انقطاع، وكنت منهكا جسميا» وعندما رأت زوجته ليه (Leah) حالته، منعته من قيامه بجولة في الجبهة الجنوبية، واستدعت رئيس أطباء الجيش الدكتور إلياهو جيلون (Eliyaho Gilon) الذي شخص حالته بالقلق المطبق، فوصف له مهدئاً.



أخفي أمر انهيار رابين عن الجمهور الإسرائيلي، ولم يشكف النقاب عنه إلا بعد سنين عديدة، وعزي إلى تسمم بالنيكوتين». استدعي وايزمن في تلك الليلة إلى بيت رئيس هيئة الأركان حيث وجد قائده «صامتاً ساكناً» مكتئباً. تماماً. تمتم رابين قائلاً: «لقد عرضت الدولة إلى الخطر.. إنها خطيئتي. أكبر حرب وأكثرها وحشية حتى الآن».

وفي تقرير جرى تصنيفه بعد ستة شهور، ادعى وايزمن أن رابين عرض عليه منصبه. لكن رئيس العمليات رفض، رغم أنه أشار إلى ضرورة الحفاظ على معنويات الأمة وإرشاد الحكومة إلى اتخاذ قرار شجاع لا مفر منه. أنكر رابين فيما بعد أن مثل هذا الحديث قد دار بينهما، ولكن حقيقة تقول: إن رئيس هيئة الأركان قد ضَعُفَ وأن رئيس عملياته كان هو المسؤول واقعياً. (٥٣)

حرر وايزمن رابين من تردده إذ وسع نطاق خطط هجوم الجيش. فبالإضافة إلى تدمير السلاح الجوي المصري واحتلال غزة، توسعت الخطة الآن لتشمل تقدم القوات الإسرائيلية غرباً إلى العريش، وإذا سمح الوقت، إلى ما بعدها باتجاه القناة. واستعدت القيادات الوسطى والشمالية لمواجهة تدخل الأردن أو سوريا. سوف تنطلق عملية الفأس (كردوم «Kardom») كما أطلق عليها في السادس والعشرين من مايو على الأكثر.

قال وايزمن إلى هيئة الأركان: «بحلول يوم غد ستكون قوات الدفاع الإسرائيلية جاهزة ومستعدة للحرب». وعبر عن ثقته التامة بأن الحكومة ستوافق على هذه الخطة. وقبيل منتصف ليل الخامس والعشرين كانت المدرعات الإسرائيلية تتدحرج نحو الحدود. (٥٤)

«فجر» عامر

سيصاب وايزمن بخيبة أمل مريرة لأن إشكول لا ينوي الموافقة على خطة أكس (AXE). كما انزعج كثيراً بسبب انهيار رابين، وساوره الخوف من نشوب الحرب في وسط مهمة إيبان ومحادثاته، إضافة إلى أن رئيس الوزارة قد أمر بتقليص نشاط سلاح الجو الإسرائيلي في الجنوب، حتى إنه قيد طلعات الاستطلاع فوق سيناء.

في حين كتم إشكول الأمور، كان الضغط في القاهرة يتزايد من أجل الحسم. فقد علق محمود الجيار (Mahmud al-Jiyyar) أحد المسؤولين المقربين إلى عبد الناصر قائلاً: «بدت شوارع القاهرة كأنها كرنفال وليست مدينة تتهيأ للحرب». كانت المدينة مزينة بلوحات جدارية مثيرة تبين الجنود العرب وهم يطلقون النار على اليهود الملتحين ذوي الأنوف المعقوفة ويسحقونهم ويخنقونهم ويقطعون أوصالهم. وكان راديو القاهرة يردد بتفاخر: «خليج العقبة عربي تاريخيا، عربي بحماية جنودنا، عربي، عربي، عربي. كما استهدف الولايات المتحدة، قائلاً: «ملايين العرب.. يعدون لضرب جميع المصالح الأمريكية، والمنشآت الأمريكية. ووجودك ذاته يا أمريكا».

وبفضل حمى الحماس هذه، والتشجيع الناجم عن عدم وجود رد إسرائيلي أو امريكي على إغلاق مضائق تيران، تابع عامر خطة هجومه. فأسَرَّ إلى الجنرال مرتجى (Murtaga) أثناء جولة في التحصينات المتقدمة: «هذه المرَّة، سوف نبدأ نحن بحرب». بالإضافة إلى توجيه ضربات جوية إلى أهداف استراتيجية إسرائيلية وعزل إيلات، وسع عامر أهدافه لتشمل النقب بأسرها. وكانت الأوامر بالبدء بتنفيذ العملية الجديدة التي أطلق عليها الاسم الرمزي «الفجر» سوف تصدر من بيت عامر متجاوزاً بذلك مقر القيادة العليا. قال الجيَّار: «أفهم الآن أن شوارع القاهرة تعكس المفهوم الذي سيطر على القيادة، وهو أن تدمير إسرائيل ليس سوى لعبة أطفال ولا تتطلب إلاَّ إقامة مجموعة خطوط هاتفية في بيت القائد، وإبراق شعارات النصر». (٥٥)

كانت خطة عامر «الفجر» خرقاً لاستراتيجية ناصر في جر إسرائيل إلى أن تكون هي البادئة في الحرب. فلم لم يعترض عليها ناصر، إذن؟ انقسمت المصادر المصرية حول هذا السؤال - بل في واقع الأمر، حول معرفة عبد الناصر بالخطة أساساً. فالموالون لعبد الناصر، مثل هيكل، يصرون على أن عبد الناصر أراد مخططاً وبرنامجاً للهجوم، لم يشارك في وضعه مباشرة، بل وافق عليه ضمناً. أما الكتاب الذين ينتقدون عبد الناصر يؤكدون، على أية حال، أن عامر وحده ابتكر العملية كمعارضة صريحة لإرادة ناصر.

أما الحقيقة فتكمن في مكان ما بين الرأيين: لقد أحيط ناصر علماً بعملية «الفجر» ولكنه كان يفتقر إلى القوة السياسية لكي يتجاوز أوامر عامر. كما أن للإعداد لغزو مصر لإسرائيل منافع معينة لعبد الناصر، كما سنرى.

في المرحلة الأولى، ظهرت الاعتراضات الوحيدة على «الفجر» من الضباط الكبار الذين كان الكثير منهم يعتقدون أن إعادة عسكرة سيناء لم تكن سوى مناورة وتدريب عسكري، ولكنهم اكتشفوا الآن أن غاية ذلك كانت شن حرب.

إنَّ رئيس هيئة الأركان «فوزي» الذي عارض إعادة احتلال شرم الشيخ لكونه استفزازاً لا لزوم له، اعتبر عملية «الفجر» كارثية. إذ سأل نفسه مسترجعاً الأحداث في ذهنه، «هل للخطة أهداف سياسية؟» ثم أجاب نفسه بنفسه: «كيف يمكن أن يكون لها أهداف سياسية والصلة بين النسق السياسي والعسكري مقطوعة؟». (٥٦)

يعد تطبيق خطة «الفجر» تدميراً لخطة «القاهر» التي هي في الواقع استراتيجية مصر الدفاعية ذات المراحل الثلاثة. كان الجيش، الذي يفتقر إلى العدد اللازم من الجنود لإشغال جميع التحصينات والخنادق، يوجه ألوية بأكملها إلى مواقع هجومية متقدمة. و في اللحظة الأخيرة أدت أوامر متناقضة إلى تعميق الفوض التي دبت بسبب تدفق عشرات الآلاف من الرجال -الاحتياطيين، الذين أعيدو من اليمن حديثاً- وصل الكثير منهم في شاحنات أبقار، لا يحملون بنادق ولا يلبسون زيا عسكريا، ثيابهم مرقعة، وبطونهم خاوية. وعند ملتقى الطرق الحديدية في القنطرة شاهد الجنرال عبد الفتاح أبو الفضل نائب رئيس المخابرات العسكرية المصرية «أكواماً من الرجال والصبيان الضائعين بسبب إهمال قيادة القوات المسلحة ولا مبالاتها»، وتساءل مستغرباً: «أهذه هي حال قواتنا التي سنواجه بها عدونا إسرائيل؟».

كان حوالي ٢٠٪ من الدبابات المصرية، وربع قطع المدفعية، وثلث طائراتها غير صالحة للعمل، وأقل من نصف جنودها وصلوا إلى المواقع المعينة لهم. ومن هؤلاء، كُلِّف كثيرون بمهام لم تدرس، إلى مناطق غير مألوفة لديهم إطلاقاً. وقال فوزي في

مذكراته: «لم يكن هناك ترتيبات مسبقة للاتصالات، ولم تكن هناك تعلميات عسكرية للمدفعية أو لإدارة (المناطق التي يستولى عليها)، ولا خطة متعددة المراحل». ومع ذلك عندما احتج لدى عامر بأن «قواتنا لا تعلم شيئاً عن هذه الخطة»، صاح في وجهه قائلاً: «دَرِّبهم إذن». (٥٧)

كانت الفوضى واسعة جداً بحيث بدأ شخص مأجور مثل مرتجى بالتساؤل عن حكمة عملية «الفجر». إذ ظن، كفوزي أيضاً، أن غاية الجيش سياسية أكثر مما هي استراتيجية، وصدم عندما سمع بالهجوم المنوي شنُّه. فبين النقص في الطاقة البشرية، وقلة الإعدادات. ويذكر الجنرال أن «المشير عامر دهش لسماع جوابي» ولكن المشير ظل متمسكاً بخطته. كما أن صدقي محمود شكك في مقدرة طياريه على تنفيذ جميع الهجمات الجوية المحددة لهم، شاكياً إلى عامر:

«هجوم على إيلات.. هجوم على مفاعل ديمونة النووي.. على مصافي النفط في حيفا.. هل تظنني قائد سلاح الجو الأمريكي؟ فأنا لا أستطيع مهاجمة إيلات وقصف الساحل الإسرائيلي (بموجب عملية «الفجر») بآن واحد». (٥٨) ولم يتلق جواباً سوى الصمت.

مازال ناصر يرفض التدخل. إذ كان الرئيس مشغولاً جداً خلال الأيام التالية لقرار الإغلاق. فهناك وفود من البلاد العربية- رئيس وزراء سوريا، ووزير خارجية الكويت، ونائب الرئيس العراقي- لابد من استقبالهم وهناك رسائل دعم من الصين وفيتنام الشمالية وكوريا الشمالية لابد من الرد عليها. وكانت هناك اجتماعات يومية في مقر القيادة، وكلمات طنانة لا بد من إذاعتها .أباح القول إلى مؤتمر عمالي عربي: «كنا نعلم أن إغلاق خليج العقبة يعني الحرب مع إسرائيل. وإن نشبت الحرب فستكون شاملة وهدفها تدمير إسرائيل.. هذه قوة العرب». كما عزف ناصر على وتر «لصوصية» أمريكا، وعلى ما اعتبره هوس أمريكا بحقوق إسرائيل.

وتساءل تساؤلاً استنكارياً: «من هي إسرائيل؟» وأجاب بنفسه: «إسرائيل اليوم هي الولايات المتحدة». (٥٩)



لقد ازداد لوم ناصر لأمريكا حدَّة، وإن لم يكن ذلك جديداً، بسبب خطاب الرئيس جونسون المذاع في ٢٣ مايو، وصف فيه الحصار بأنه غير شرعي وأن تيران ممر مائي دولي، وكرر التزام أمريكا بالاستقلال السياسي والسلامة الإقليمية لكل دول المنطقة» وأرسل البيت الأبيض إشارات شفهية أشد من ذلك، مفادها أن «مصر قد ارتكبت عدواناً» في المضائق، الأمر الذي ألحق ضرراً بالمصالح الحيوية للولايات المتحدة، وبالتالي سوف تواجه «أوخم العواقب الدولية إذا بدأت بالعنف بصورة علنية، أو سرية... باستخدام قوات عسكرية نظامية أو مجوعات غير نظامية». وانتشرت شائعات بأن أمريكا تخطط لكسر الحصار بالقوة، وأنها تدرب المارينز على إنزال برمائي في تيران. واستنفر الأسطول السادس الموجود في شرقي البحر المتوسط.

لم تهدأ مخاوف ناصر من تدخل عسكري أمريكي رغم تلقيه رسالة خاصة من البيت الأبيض ينفي فيها جونسون وجود أية مشاعر عدوانية تجاه مصر أو رئيسها شخصياًَ. إذ كتب جونسون يقول: «مهمتك ومهمتي ليست النظر إلى الوراء، بل لإنقاذ الشرق الأوسط -والمجتمع الإنساني- من حرب أعتقد أن أحداً لا يريدها». واقترح إرسال نائبه هيوبرت هـ همفري (Hubert H. Humphrey) بمهمة وساطة إلى القاهرة. لم يتأثر ناصر بذلك. لأن همفري هو ذاته الذي صرح ذلك الأسبوع نفسه بأن «إسرائيل منارة كل الشعوب في الشرق الأوسط وغيره». وعلى الرغم من محاولة رياض تهدئة مخاوف ناصر إذ أبرز عبارات جونسون التي يدعم فيها اتفاقات الهدنة وعدم وجود أية عبارة تؤكد التزام الولايات المتحدة الصارم بإسرائيل، ظل ناصر غير واثق بنوايا واشنطن، وخائفاً من المؤامرات الأمريكية- الإسرائيلية. (٦٠)

كانت مخاوف عبد الناصر انعكاساً، في جزء منها، للحالة العامة التي تتصف بها العلاقات المصرية- الأمريكية التي كادت أن تكون مدمّرة قبل الأزمة. إن قنوات الدبلوماسية الهادئة التي ساعدت على تصريف بعض السم من تلك العلاقات في الماضي، قد سُدَّت الآن نتيجة تغيير بعض الشخصيات في واشنطن والقاهرة. «إذ كان الدكتور مصطفى كامل الأعزب البالغ من العمر ٥٨ عاماً، أستاذ القانون سابقاً،

وسفير مصر إلى الهند، على وشك الإحالة إلى المعاش في غضون أيام. كان كامل، المهذب، المحب لأمريكا، يعتقد أن مستقبل مصر يكمن في التنمية الاقتصادية وليس في حكم العالم العربي. وبذل جهداً شاقاً لإبقاء الخطوط مفتوحة مع البيت الأبيض مطمئناً أعضاء الهيئة أن ناصراً معجب بالولايات المتحدة ومصمم على إبقاء القضية الفلسطينية «في الثلاجة» حتى بعد فرض الحصار على تيران، ظل كامل يصر على أن الوضع ليس بلا رجعة، وأن هناك فرصة للتفاوض.

سبق رحيل كامل من واشنطن، رحيل لوشيوس باتل (Lucious Battle) من القاهرة في مارس (آذار). وصل بديله، ريتشارد هـ نولت (Richard H. Nolte) في ٢١ مايو قبل إغلاق ناصر للمضائق بيوم واحد. كان نولت سفيراً مثالياً، على الورق على الأقل، فهو ملاح بحري في الحرب العالمية الثانية، من علماء رودس (Rhodcs)، حصل على درجة جامعية من اكسفورد وييل، مُلِمٌّ بالعربية، ومدير جميعة دراسات الشرق الأوسط. وكان يعتقد أن لعبد الناصر اليد العليا في سيناء، الأمر الذي يمكنه من ادعاء نصر معنوي أو لتصنيف إسرائيل بأنها معتدية إذا ما هاجمت مصر. ومع ذلك لم تُهيئه بتدريباته هذه للضبط والدبلوماسية العالية التي يتطلبها الوضع الآن. فعندما سئل عن رد فعله على الأزمة، أجاب متسائلاً: «أية أزمة؟». (٦١)

وبسبب عدم خبرة نولت قررت وزارة الخارجية الأمريكية، تعزيز السفارة في القاهرة بتشارلز يوست (Charles yost) سفير أميركا إلى دمشق سابقاً وذي معرفة وثيقة بمحمود رياض. ظل نولت، مع ذلك، حتى بدون تقديم أوراق اعتماده إلى أن وصل يوست. وسرعان ما واجهه رياض بحقيقة أن مصر ستوقف كل السفن والشحنات المتجهة إلى إسرائيل وستدافع عن نفسها ضد أية قوة تحاول الدفاع عن تلك السفن والشحنات. وجاء في تقرير نولت أن عبد الناصر قد قرر النصر فيها. وقال محذراً: «إن حالة العقلية العربية الآن أشبه بحالتها عام ١٩٤٨ أكثر من شبهها بحالة العام ١٩٥٦. إذ يعتقد العرب أن النصر ليس محتملاً، بل مؤكداً». (٦٢)

أدرك نولت ما كان واضحاً لدى كثير من الدبلوماسيين الغربيين، من أن الشكوك التي تحيط بمقدرة قهر مصر لإسرائيل قد تبددت برفض الغرب الدفاع عن إسرائيل، وبعزوف إسرائيل عن الدفاع عن نفسها. كتب هيكل في الأهرام، مبّيناً كيف أن الحصار الذي يُقوّض قوة إسرائيل الرادعة سوف يضطرها إلى خوض الحرب: «إن الصدام المسلح بين إسرائيل حتمي لا مفر منه، ولتبدأ إسرائيل. ولتكن ضربتنا الثانية جاهزة. ولتكن ضربة قاضية».

كانت ثقة المصريين بأنفسهم تتعاظم، ومع ذلك لم يستطع عبد الناصر تحرير نفسه من خشية التعاون العسكري بين الولايات المتحدة وإسرائيل وأسَرَّ إلى فوزي واصفاً سيناريو إرسال إسرائيل سفينة عبر المضائق بحراسة أمريكية، فيقوم المصريون في شرم الشيخ بإطلاق النار عليها. وفي أثناء انشغال العرب بمحاربة أمريكا تقوم إسرائيل باحتلال سيناء. اعترف فوزي بأن مثل هذه المناورة محتملة. إن سلوك أمريكا في الأزمة أشبه بجبل جليدي طاف. معظمه خافٍ تحت السطح». (٦٣)

رأى عبد الناصر في صراعه مع معضلة أمريكا بعض الميزات في خطة «الفجر». إذا ما أرسل جونوسون سفناً حربية إلى المضائق، فإن الجيش المصري سيتابع غزوه لجنوب إسرائيل. فتمكّن هذه العملية عبد الناصر من تقليص فرص الخسارة أو الفشل بتوافر عدة خيارات -الحفاظ على وضعية الدفاع بينما هو يعد لخيار الهجوم: ويحث العرب على الحرب بينما يمنع نشوبها بهدوء. وتباهى ناصر بأن المضائق مزروعة بالألغام وأن مصر وقفت وراء غارات الفدائيين الفلسطينين. والحقيقة هي أن المضائق لم تكن ملغّمة عندما كانت القاهرة تحاول كبح فتح بشدة. وذكّر ناصر الأمريكيين عبر قنوات خلفية، بأنه مازال مهتما بالسلام. وفي حديث لعبد الناصر مع السيد صديقي (Siddiqui) صاحب منتجات ألكو (Alco) في ٢٩ مايو، قال: إن هدفه الوحيد هو إظهار قيادته للعالم العربي وليست لديه أية نوايا في قتال أحد. ونقل صديقي إلى وزارة الخارجية الأمريكية قوله: «إن طلبه (عبد الناصر) الملح هو ألا تقوم الولايات المتحدة بأي عمل عسكري مباشر كالإنزالات وتنقلات الأسطول البحري أو غير ذلك». (٦٤)

ومع ذلك كان خطر التدخل الأمريكي يشكل نصف مصادر قلق عبد الناصر، والنصف الثاني كان: هل سيرد الاتحاد السوفياتي على ذلك التدخل وكيف؟.

كانت ثقة المصريين بالدعم السوفياتي قوية،على الأقل في بداية الأزمة. وكان ذلك إثر محادثات حول التعاون الاستراتيجي جرت مع وزير الخارجية غروميكو (Gromyko) في القاهرة في مارس، ومن ثَمَّ، وإثر زيارة دولة قام بها رئيس الوزراء كوسيجن (Kosygin) في إبريل وعدت خلالها مصر بمساعدة سوفياتية قدرها ٥٠٠ مليون دولار «لتقوية الجبهة المناهضة للامبريالية» بموجب اتفاق بين الاتحاد السوفياتي ومصر. عَبَّرت أوامر عامر إلى قادته في ١٥ مايو عن التأكد من أن «الكتلة الشرقية لن تقف بعيدة عن الأحداث مُفسحة المجال للقوات الأمبريالية الغربية تعيث في المناطق العربية بوحشية». وبدا أن هذا الافتراض قد تعزَّز بثناء الصحافة السوفياتية على إعادة عسكرة سيناء وطرد قوات الطوارئ الدولية وامتداحها. وقال بيان موسكو المشترك محذراً: «لا يساورنَّ أحداً شك أبداً بأنه إذا ما حاول أحد أن يباشر العدوان في الشرق الأوسط، لن يواجه القوة الموحَّدة للدول العربية وحدها بل فسيواجه معارضة قوية من الاتحاد السوفياتي وكل الشعوب المحبة للسلام».

وتلقت مصر وعوداً بمساعدة اقتصادية، في حين أوضح الوفد السوفياتي في الأمم المتحدة أنه لا يمكن تحمُّل أي تدخل لمجلس الأمن في سيناء». (٦٥)

كل ذلك تغير مع إغلاق المضائق. فعلى الرغم من إعلام السفير السوفياتي بوجيداييف (Pojidaev) بقرار الإغلاق قبل إعلانه، فإن وجهة الكرملين في الحصار لم تبحث مسبقاً. فخيم صمت غريب على العلاقات المصرية السوفياتية تماماً كالصمت الذي خيمَّ على العلاقات بين القاهرة وواشنطن. أفادت مصادر دبلوماسية أن السوفيات أخذوا يغيرون نغمتهم. فبدلاً من تحذير الغرب من التدخل في تصرف مصر في سيناء والتأكيد على دعم ناصر، أكد الاتحاد السوفياتي على الحاجة إلى



تسوية بالتفاوض وعبروا عن رغبتهم في المساعدة على تحقيقها. وعلى الرغم من تَوَجُّه السفير المصري، مراد غالب، إلى الاتحاد السوفياتي باستمرار لبيان موقف موسكو بالضبط في حال نشوب حرب، ولكنه لم يتلق أي جواب.

استدعى عبد الناصر ذو المزاج المعكَّر بوجيدابيف ثانية في ٢٣ مايو إلى مكتبه ليعنفه هذه المرة: «أريدك أن تخبر زعماءك في موسكو أن الاتحاد السوفياتي هو العامل الوحيد المؤثر في كل شيء يحدث الآن.» وذكَّره عبد الناصر بإنذار الاتحاد السوفياتي وتحذيره من هجوم إسرائيلي على سورية وأنه هو الذي دفع بمصر إلى سيناء، والنتيجة هي أن إسرائيل تحشد قواتها في الجنوب وليس في الشمال، بل في الجنوب ضد مصر. ولا يمكن للاتحاد السوفياتي أن يترك مصر في موقف حرج، بل يجب تزويدها بمعدات حربية إضافية -وخصوصاً بصواريخ جو- أرض التي تفتقر إليها مصر- وبدعم سياسي ضد الولايات المتحدة. فكان جواب بوجيدابيف قياسيا نمطياً: «ينبغي أن تعلموا أنتم والعالم العربي أن الاتحاد السوفياتي يقف بحسم وراء الدول العربية المستقلة، وإذا ما تطور الوضع إلى عدوان من الامبريالية و«طفلها الضئيل» إسرائيل، فإننا سوف نتخذ الإجراءات الضرورية». لكن هذا القول لم يهدئ من روع عبد الناصر. فقال موبخاً: «لا أريدكم أن ترسلوا إنذاراً إلى إسرائيل، فإن ذلك سيكون بمثابة اعتراف بها لا تستحقه، وبجعلها تجني منافع الضعيف. بل ينبغي أن يوجه إنذاركم إلى القوة الامبريالية». (٦٦)

توصل ناصر من خلال هذا الحديث بألاَّ بد من توضيح الموقف السوفياتي أولاً بغض النظر عما إذا بدأت مصر الحرب، أو انتظرت حتى تتحدى الولايات المتحدة الحصار. ولهذه الغاية سافر وفد إلى موسكو في ٢٥ مايو. كان على رأس الوفد وزير الدفاع شمس الدين بدران، رَجُل عامر، رغم أن ناصر قد تأكد من وجود موالين له ضمن الوفد كذلك، بمن فيهم صلاح بسيوني وأحمد حسن الفقي، وكلاهما من وزارة الخارجية. ورغم إعلان السوفيات بأن الزيارة تهدف إلى الحصول على «أنماط من الأسلحة لا تملكها مصر»، فإن المهمة الحقيقية للزيارة هو التأكد من المدى الذي تستطيع مصر أن تصل إليه، ويظل الاتحاد السوفياتي وراءها. (٦٧)

وعلى الرغم من فوضى الحشد المصري، وعدم التأكد من نوايا أمريكا والاتحاد السوفياتي، استمرت الإعدادات لعملية «الفجر» بتسارع، فقد حركت القوة الضاربة I، وهي فرقة خاصة- و٩٠٠٠ رجل و٢٠٠ دبابة ومدفع بقيادة الجنرال سعد الدين شاذلي، بالإضافة إلى اللواء الرابع عشر، إلى رفح استعداداً لغزو النقب الشمالي. وصدرت أوامر المعركة من ١-٦ محدّدة الأهداف التي ينبغي إبادتها بما فيها المطارات، ومواقع الصواريخ والرادارات، ومحطات تحلية المياه.

ورحلت أسر الضباط المصريين من غزة، في حين نقل إليها عشرات المدراء والمهندسين وحتى الأطباء استعداداً لاحتلال النقب. وذكر أمين طنطاوي، قائد سرية في الفرقة الرابعة أنه «كان واثقاً من النصر». «وقال: «منحتني خطابات عبد الناصر الثقة.» واعتقدت أن يوم التحرير قد أتى وأننا نستيطع أن نكون البادئين بالهجوم». وأن ندمر إسرائيل في غضون ساعات. وخطرت ببالي أفكار عديدة حول ما سنفعله بإسرائيل لدى هزيمتها ومحوها».

كان الجميع مستعدين في صباح الخامس والعشرين من مايو. في ذلك اليوم، جمع الفريق صلاح محسن، قائد القوات البرية، ضباط المشاة الكبار وأخبرهم بأن الجيش الآن بأكمل قوته، ويملك من الدبابات والمدفعية والجنود ثلاثة أضعاف ما يملكه العدو. وستبدأ تلك القوات هجومها في غضون يومين تماماً- مع أول خيوط الفجر. (٦٨)

كل تأخير مقامرة

كان الناس في إسرائيل يرقبون مدى الحشد المصري وكثافته، وحشد كل جيش عربي تقريباً بهلع. وقال يوسي بيليد (Yossi Peled) الناجي من الهولوكوست، وجنرال المستقبل متذكراً أسابيع الانتظار في النقب: «لقد رأينا صور ضحايا هجمات الغاز المصرية في اليمن. فبدأنا نفكر بالإبادة قومياً وفردياً».



وبدأ الجنرال ياريف (Yariv) يقتنع الآن أنّ الهجوم المصري سيحصل في غضون ساعات لا أكثر. وقال لإشكول: «هناك ما يدعو ناصراً ألا ينتظر: فكل الدلائل تشير إلى أنه سيشرع بالاستفزاز» وأشار إلى تقدم الفرقة الرابعة المستمر في سيناء، ونقل أربعة ألوية من اليمن إلى سيناء، وإلى أن القوات السعودية تتحرك، وكذلك العراقية التي كانت تستعد للدخول إلى سوريا. وأشارت عمليات اعتراض الاتصالات بين السفارات العربية إلى أن «انفجاراً مفاجئاً» على وشك الوقوع.

تصور هود (Hod) قائد السلاح الجو الاسرائيلي غارة جوية كبيرة ضد القواعد الإسرائيلية والمدن الإسرائيلية، في حين «أشارت تقارير مئير أميت (Meir Amit) من الموساد إلى خطط مصرية للهجوم على النقب. وقالت التقارير القادمة من الميدان: إن معنويات الجيش في هبوط كبير. إذ كتب يوني نيتانيا هو (Yoni Netanyahu) قائد فصيل مظليين إلى صديقته العائدة إلى الوطن: «إننا نجلس وننتظر». ووافق رؤساؤه على ما كتبه كلياً بتساؤلهم: «لماذا ننتظر؟» كل يوم يمر بدون معركة يكلف البلاد ما يقدر بـ ٢٠ مليون دولار، في حين يرسخ المصريون أقدامهم، وقررت هيئة الأركان العامة أن «كل تأخير يعد مقامرة على مصير إسرائيل». (٦٩)

هل ينبغي أن تستبق إسرائيل الهجوم المصري؟ وإن كان كذلك؟ كيف؟ «كانت هذه الأسئلة مطروحة على طاولة رئيس الوزراء في مكتبه مساء ٢٥ مايو. وكان كل من ياريف وأميت وليور ووايزمن والموظف ليفافي (Levavi)، والدكتور ياكوف هيرتزوغ (Yaakov Hertzug). أمين سر مجلس الوزراء في مكتب رئيس الوزارة أيضاً. ولكن أبرز الحاضرين كان إسحق رابين (Yitzhak Rabin). إذ كان رئيس الأركان قد عاد إلى نشاطه بعد غياب ثلاثين ساعة. ويقول حاييم بارليف (Haim Barlev) أحد الضباط الكبار واصفاً حالته: «لم يكن -لست أدري كيف أصفه- مكتمل الهيئة. بالطبع جرى إطلاعه على التطورات، ولكنه كان يفتقر إلى قوته العادية». والواقع أن أول عمل قام به رابين لدى دخوله الغرفة هو تقديم استقالته. ولم يتجاوز جواب إشكول عبارة «انس الموضوع». ونحّاه جانباً. كتب رابين بعد سنوات عديدة يقول: كان



إشكول دافئاً، حكيماً. ربما كان يعلم منذ زمن -ما اضطررت لمواجهته حديثا- الأعماق المخيفة لسقوط الرجل» (٧٠) كان هذا السقوط، في واقع الأمر، هو الموضوع - ليس سقوط رابين، بل سقوط إسرائيل. لم تكن واشنطن راغبة في إعلان أي التزام بأمن إسرائيل، سواء ماديا أو شفوياً؛ وكانت تؤخر شحن المعدات العسكرية التي اشتراها جيش الدفاع الاسرائيلي. أصغى إشكول بعد أن أبدى أسفه لقبوله مهلة الثماني والأربعين ساعة. استمع إلى اقتراحات باستدعاء إيبان قبل لقائه جونسون كي لا يشعر الأمريكيون بضربة بيرل هاربر (Perl Harbar) أخرى إذا ما قامت إسرائيل بهجوم مفاجئ، أو إذا أرسلت سفينة إسرائيلية عبر المضائق. رفض هذه الاقتراحات خشية أن تكشف نوايا إسرائيل وتذاع، وبالتالي تُمكِّن مصر من توجيه الضربة الأولى. ومع ذلك دعم رئيس الوزراء استدعاء بقية الاحتياط، وتوضيع لواء فانتوم مقابل الكونتيلاً لردع قوة الشاذلي. ولكن لم يتم التوصل إلى قرار بتوجيه ضربة استباقية.

سأل إشكول اليائس رئيس أركانه: «ماذا تريدني أن أقول لمجلس الوزراء؟» فأجاب رابين بفظاظة -ربما لم يكن قد شفي تماماً بعد- «لقد وصلنا إلى نقطة الانفجار. السؤال الوحيد: لماذا ننتظر وإلى متى؟ فإن وافق الأمريكيون أن يعلنوا أن أي هجوم على إسرائيل يعد هجوماً على الولايات المتحدة، يمكن أن يكون ذلك سبباً للانتظار. وإذا لم تفعل، فلا».

سرعان ما دعم المشاركون في الاجتماع فكرة رابين. واقترح ياريف تزويد الأمريكيين بتقديرات المخابرات الاسرائيلية، واقترح ليفافي إخبار جونسون بأن إسرائيل على وشك أن تغزى بجيوش عربية مجتمعة.

وهدف الرسالة سيكون ثلاثياً: منع صدور اتهامات أمريكية لإسرائيل بعدم الوفاء إن هي وجهت الضربة الأولى؛ ولخلق قاعدة أخلاقية للتصرف الاسرائيلي، إن رُفضِ؛ ولحث أمريكا للتدخل في الأزمة بقوة أكثر. وأضاف إشكول إلى هذه الدوافع الحاجة إلى منع إيبان من الموافقة على أية إجراءات يمكن أن تكبل يدي إسرائيل.



والوحيد الذي أبدى تحفظاً هو الدكتور هيترتزوغ، ابن رئيس أحبار إيرلندا سابقاً، والذي يعد عبقريا في الشؤون الخارجية. وتابع الكلام محذراً بصوت أجش: «لا يستطيع الرئيس جونسون إصدار مثل هذا الإعلان الذي تريدون». بسبب قيود الكونغرس. ومع ذلك عندما طلب من هيرتزوغ إيجاد بديل، كتب مسودة رسالة إلى إيبان ليسلمها إلى القادة الأمريكيين. اختتم إشكول البحث قائلاً: «أريد أن تسجل هذه الرسالة للتاريخ بأننا، قبل أن نهاجم، بذلنا ما بوسعنا لإيجاد حل دبلوماسي».

اختارت القيادة الاسرائيلية الانتظار، مرّة أخرى، بيد أن هذا الخيار واجه تحديا في الاجتماع التالي للجنة الدفاع الوزارية. استمع الوزراء إلى إيجاز من رابين، وياريف اللذين كررا التهديدات التي يواجهها أمن إسرائيل، إن لم يكن وجودها نفسه. وكان رد الفعل، مختلفاً، على أية حال.

سأل زوراخ وورها فتنغ (Zorach Warhafting) وزير الشؤون المدنية، الذي كبقية زملائه في الحزب الديني القومي (NRP)، يعارض أي تحرك نحو الحرب: «طالما فقدنا المفاجأة الاستراتيجة، فما أهمية من يضرب أولاً؟ «وحذر زالمان أران من «قوة الاتحاد السوفياتي العالمية» ومن «جدار من الفولاذ والنار» يهلك مدن إسرائيل. وأضاف حايم موشي شابيرا إلى هذه الجماعة بمطالبة بن غوريون ليستلم منصب وزير الدفاع؟

كان إشكول قد بدأ يجيب شابيرا قائلاً: «لن أشكل حكومة وأذهب إلى الحرب برجل اتهمنا بالكذب والخيانة» عندما وصل خبر تحليق طائرات مصرية فوق ديمونة. مَرَّت أربع طائرات ميغ-٢١ فوق المفاعل على ارتفاع ٥٥٠٠٠ قدم وصورته. تحرك الطيارون الإسرائيليون وأطلقوا صواريخ هوك (Hawk)، ولكن أياً منها لم يستطع اعتراض طائرات الميغ.

فصاح إشكول قائلاً: «المقاتلات المصرية تحلق فوق ديمونة ونحن هنا نتجادل بشأن بن غوريون!» وخرج من الاجتماع غاضبا ليلتقي رابين ووايزمن وسألهما بصراحة مباشرة: «هل أفهم أنكما تريدان الهجوم اليوم؟».

أجاب وايزمن: «كل الدلائل تشير إلى أن المصريين جاهزين لتويجه ضربة. فليس أمامنا خيار سوى الهجوم فوراً».

وكشف رابين أن إشارات غريبة صدرت عن طائرات الميغ، وربما إلى قاذفات استراتيجية. الأخطار واضحة، ومع ذلك لا بد من استنفاد الاحتمالات الدبلوماسية. «ننتظر إلى ما بعد اجتماع إيبان مع جونسون». (٧١)

إيبان في الخارج

لم يكن مصير إسرائيل بأيدٍ أفضل من يدي وزير خارجيتها، كما يرى الكثيرون من المراقبين الخارجيين. تخرج إبا إيبان من جامعة كمبردج (Cambridge) وهو متعدد اللغات، ومؤلف غزير، وخطيب مصقع، ورافق عن كثب المسرحية المحيطة بولادة إسرائيل - في الأمم المتحدة حيث كان سفيراً من العام ١٩٤٧ إلى العام ١٩٤٩، وفي واشطن حيث قام بأعمال سفير منذ العام ١٩٥٠. فلقد نسب إليه بعض الأقوال البارعة، مثل قوله في دعم العرب للتقسيم بعد العام ١٩٤٨ «كالطفل الذي يقتل والديه ثم يطلب لنفسه الرحمة بوصفه يتيماً»، أو قوله في إزالة قوة الطورائ الدولية «ما نفع فرقة الإطفاء التي تختفي عن المكان حالما يتصاعد الدخان واللهب؟». احتفى به رسميون شعبيون في الولايات المتحدة، واستشهدت الصحافة بأقواله على نطاق واسع، وكان يعد معبود اليهود الأمريكيين.

ولدى عودته إلى إسرائيل في العام ١٩٥٩ رشح نفسه للكنيست وفاز وعُيّن على الفور وزيراً للتربية أولاً في عهد بن غوريون، ثم نائب رئيس وزراء في حكومة إشكول. وعلى الرغم من مضي سنة فقط على إشغاله منصب وزير الخارجية، كانت خبرته في الدبلوماسية الدولية موضع تقدير عال واحترام - مَرَّة أخرى، خارج إسرائيل.

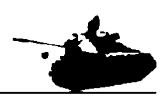
أما في إسرائيل، فكان في نظر الكثيرين، مثل أو بري سولومون (Aubrey Solo-mon) الأخرق من كيب تاون (Capetown)، غريباً لا ينسجم أبداً مع الأساليب الإسرائيلية ولا يتفق مع عقليتها، بليد، يعاني من عسر التنفس منذ زمن طويل. قال

إشكول ذات مَـرَّة: «إنه في الواقع ليس حـيـاً. لم يقدم بحياته حـلاً صحيحاً قط، بل يقدم الكلام الصحيح». - «الأبله العلامة». وكان الذين يحطون من قدره لا يثقون به إضافة إلى سخريتهم منه. وكان الكثيرون يعتقدون أنه هو الذي ضلل الحكومة في العام ١٩٥٦ بفضل مبالغته بالضمانات التي كانت ترغب الأمم المتحدة والولايات المتحدة بإعطائها إلى إسرائيل لقاء خروجها من شرم الشيخ وغزة. والآن بعد أن انكشفت ضآلة تلك الوعود، قال منتقدوه، ومصير البلاد على كف عفريت: إن إيبان هو آخر من يمكن الاعتماد عليه. وفضل كثيرون من وزراء المابأي بمن فيهم إشكول نفسه إرسال غوالدا مائير إلى واشنطن، والتي كانت سترسل فعلاً، لولا مرضها. (٧٢)

سلك إيبان طريقاً دائرية إلى واشنطن، كانت باريس فيها محطته الأولى في ٢٤ مايو. إذ كانت العلاقات مع فرنسا تشكل مصدراً كبيراً من القلق لإسرائيل. حتى إن طلبات إسرائيل أن تعيد فرنسا التزامها بأمن إسرائيل، والتوسط لدى السوفيات، وإدانة موقف ناصر، لم تستحق الرد من فرنسا. وفي حين كانت الذخيرة الفرنسية مازالت تصل إلى إسرائيل- من غير علم الحكومة على ما يبدو- كانت الدبلوماسية الفرنسية تسلك سبيلاً غير ودي لإسرائيل. (٧٣)

قال ديغول لأبا إيبان بعد المصافحة الروتينية: «لا تشنوا حرباً ولا تكونوا أول من يطلق النار». بعد أن فوجئ بهذه الفظاظة وبمظهر الرئيس العجوز الخادع، بدأ إيبان القول: إن ناصر قد أطلق الرصاصة الأولى فعلاً بإغلاقه المضائق، الأمر الذي يعد عملاً حربياً واضحاً. وذكَّر مضيفه كذلك بأن إسرائيل وافقت على الانسحاب من شرم الشيخ في العام ١٩٥٧، بناء على قوة التزامات فرنسا بحرية الملاحة الإسرائيلية. فرد عليه ديغول: «كان ذلك في العام ١٩٥٧. ونحن اليوم في العام ١٩٦٧».

مهما كانت الإشارة مكررة فهي رسالة واضحة إلى إيبان مفادها ان فرنسا لم تعد تحترم تلك الالتزامات «إذ كان ديغول في ذلك الوقت إثر تحرره من الأعباء الاستعمارية يُعد فرنسا لتكون وسيطا بين الشرق والغرب، بين الشيوعية والرأسمالية».



وكان فخوراً بالجسور التي أقامها مع العالم العربي، ولم يكن مستعداً لنسفها لمجرد تعاطف الرأي العام تعاطفاً مصطنعاً مع إسرائيل بوصفها دولة صغيرة ذات تاريخ بائس. «كان ديغول يسعى إلى عقد لقاء بين الزعماء الأمريكيين والسوفيات والبريطانيين معاً لحل قضية المضائق كما فعلوا في «قضية الدردنيل (Dardanelles)». قال إيبان: «كان يتكلم وكأن ذلك كان حقيقة راسخة لا بد لي من معرفتها».

عبَّر إيبان عن شكه فيما إذا كان السوفيات سيتعاونون مع اقتراح القوى الأربع، أو ما إذا كانت إسرائيل ستنتظر فترة غير محدودة من الدبلوماسية. وقال بلغة فرنسية لفظها بعناية: «إذا كان الخيار بين أن نستسلم او نقاوم، فإننا سوف نقاوم. لقد اتخذ القرار.. ولا أعتقد أن إسرائيل ستقبل الوضع الجديد الذي أوجده عبد الناصر لفترة طويلة من الزمن». (٧٤)

انتهت المحادثة كما بدأت بتحذير ديغول: «لا تشنوا حرباً» وقال ديغول فيما بعد لوزير خارجيته موريس كوف دي مورفيل (Maurice Couve deMunville) في لقاء ثنائي بينهما: إن إسرائيل ذاهبة إلى الحرب في النهاية. ومع ذلك قال للصحافة فيما بعد: «إذا هوجمت إسرائيل، فلن نتركها تُدَمَّر، ولكن إذا ما هاجمتم (أيها الإسرائيليون)، فلسوف ندين مبادرتهم هذه». وقال ناطق باسم الرئيس ما هو أبعد من ذلك: «لن تطلق إسرائيل الطلقة الأولى كيلا توصف بالمعتدي، بل سوف ترسل سفينة عبر تيران». (٧٥)

كان استقبال إيبان في لندن دافئاً بالمقارنة مع استقباله في باريس، كان لقاؤه في لندن أخوياً. جلس إيبان في (١٠ دوانينغ ستريت) إلى مائدة يستنشق «دخان الغليون غير اللذيذ جداً» الذي كان يدخنه رئيس الوزراء هارولد ويلسون محملقاً في وزير الخارجية جورج براون –«المستعرب المتقلب، الكالح الوجه، الضخم الجسم، المفتقر للباقة».– الذي كان جالساً أمامه. كان إيبان مستعداً لسماع كلام مثبط أكثر مما سمعه من ديغول؛ ولكن العكس قد حصل.



كان ويلسون (Wilson) معجباً منذ زمن طويل بإسرائيل، والتي وَجَّه إهداء أحد كتبه لها، وحيث تطوع أحد أبنائه في إحدى كيبوتساتها وكان يعتقد أن «انقلاب» عبد الناصر قد غير ميزان الشرق الأوسط لصالح السوفيات، وأن عدم الرد عليه سيكون «مثل العام ١٩٣٨».

أكد لإيبان التزامه بإعادة فتح مضائق تيران بالقوة سواء «داخل الأمم المتحدة أو خارجها» وأرسل من أجل ذلك وزير الدولة جورج تومسون (George Thom-son) لإجراء محادثات سرية في واشنطن. أما وزير الخارجية فسوف يسافر إلى موسكو ليستكشف وجهة نظر السوفيات. قال ويلوسن: سوف تفي بريطانيا بوعودها التي قدمتها منذ العام ١٩٥٧ وعرض إرسال ذخيرة دبابات وفرقاطة HMS Leviathan إلى إسرائيل.

كان ويلسون مدركاً أن بريطانيا «ستكون في طليعة» أية مبادرة دولية لإرسال سفن أو أية صدامات محتملة مع مصر. وكان قد قال للأميركيين: «نعتقد أن الاهتمام يجب أن يتركز على حرية العبور وليس على المواقع الساحلية». كان لدى عالم الاقتصاد المتخرج في جامعة أكسفورد مخاوف من فرض العرب حظراً على تصدير نفطهم للغرب. الأمر الذي سوف يؤثر على سياسة الإصلاح المالي التي كان قد بدأ بها. والغريب، مع ذلك، أن ويلسون لم يقدم أية نصيحة لإيبان - ولا تحذيراً، خصوصاً فيما يتعلق بمسألة «أن تبدأ إسرائيل بالطلقة الأولى أم لا تبدأ».

وذكر أن العمَّالي اليساري الذي قال ذات يوم: «يسمح لكل كلب بعضة واحدة، ولكن النظرة تختلف إلى الكلب الذي يستمر بالعض» ظل صامتاً بشأن قضية الحرب. (٧٦)

لابد وأن محادثات لندن قد رفعت من معنويات إيبان، ولكنه بفضل الإرهاق الذي لحق به، ولإحساسه بمسؤوليته تجاه ضمانات العام ١٩٥٧ «كان الإسرائيليون أقل ثقة بي خلال عقد من الاستقرار من لومي على انتهاء هذا العقد»، ظل قلقاً بشأن

اللقاءات المقبلة في واشنطن. فأبرق إلى هارمان (Harman) يقول: «علينا أن نكون واضحين مع الولايات المتحدة بأن إسرائيل قد قررت عدم عقد سلام إذا ما أغلقت المضائق. فنحن لا نرضى بتصريح أمريكي يبقي المضائق في يدي ناصر».

كانت مهمة إيبان أسهل وصفاً من الإنجاز. ومع أن جونسون قد أدان علناً الحصار، إلا أنه مازال ينبغي أن يلزم نفسه بمقاومة الحصار، ودعم إسرائيل إذا ما قررت مقاومة الحصار، وهذا ما كان يتوق إيبان إلى الحصول عليه.

ولكن بدلاً من ذلك، أبدى المسؤولون في الإدارة الأمريكية رغبة مخيفة لتحمُّل استفزازات ناصر بتقبل فكرة يوثانت، أولاً، بنقل قوات الطوارئ الدولية إلى إسرائيل ثم عدم الاعتراف بأن استفزازاً قد حصل ما لم يجر إطلاق النار. وقالوا: «ينبغي ألا تسير إسرائيل في القضية وحدها تحت أية ظروف». (٧٧)

ومع ذلك كان التهديد بأن إسرائيل سوف تسير وحدها فعلاً في إخراج الأمريكيين من حالة الفتور تجاه إسرائيل ولدى سماع السفير باربر إيجاز وزير الخارجية الاسرائيلي حول الحالة المتقدمة من الانتشار المصري في سيناء، سأله قائلاً: «هل يعني ذلك أنكم سوف تتصرفون على الفور دون تفكير ملائم في الأمر؟» فجاءه الرد القاسي الذي يسمح بالمناقشة: «هذا كل ما خولنا أن نذيعه». وفي هذه الأثناء أخذ الدبلوماسيون الاسرائيليون في أمريكا يعملون لحشد التأييد في مجلس الكونغرس، ولدى نشطاء الحزب الديمقراطي، وحتى لدى أصدقاء الرئيس، ودفع الإدارة الأمريكية للعمل.

فسارع هارفان إلى غتيزبيرغ (Gettysburg) وبنسلفاينا (Pennsylvania) ليحث دوايت إيزنهاور على الإعلان عن الوعود التي قطعها ودالاس إلى إسرائيل في العام ١٩٥٧. وافق الرئيس السابق، المتوعك، مضيفاً: «لا أظن أن إسرائيل سوف تترك وحدها».

بدا وكأن ذلك كله لم يثن البيت الأبيض عن موقفه. إذ قيل للإسرائيلين إن جونسون مقيد بفيتنام والقيود البرلمانية، وأنه يكره أن يُضغط عليه من إسرائيل. وذكَّر رستو إيفران قائلاً: «إن أي عمل إسرائيلي من طرف واحد يمكن تعليله فقط



بعد استنفاد جميع الاجراءات السلمية. ولا بد من عرض هذا التعليل أمام شعب الولايات المتحدة والعالم. «إذ لا بد من خضوع أية خطوة يتخذها جونسون في الشرق الأوسط إلى الأمم المتحدة ودراسة دستورية». (٧٨)

هذه هي المملكة الضبابية التي دخلها إيبان صباح يوم الخامس والعشرين من مايو، هابطاً بطائرته في مطار كينيدي في نيويورك. وعلى الرغم من بعض ومضات السطوع المبدئية - إذ قام ٨٧ عضواً من الكونغرس بزيارة جونسون لدعم موقف إسرائيل، كما ذكر أيفرون ورفائيل، وحصل تقدم في التخطيط الأنكلوا -أمريكي لإرسال سفن بحرية- فإن الأخبار قد اكتأبت بسرعة. إذ زوّد السفير هارمان وزير الخارجية إيبان في فندقه بخبر قال عنه «إنه أشد صدمة يتلقاها في حياته».

كانت الرسالة الموقعة من إشكول يحذر فيها من هجوم وشيك صدمة كبيرة، فقد بدأت الرسالة بعبارة «العرب يخططون إلى عدوان واسع، ولم تعد مضائق تيران هي القضية، بل وجود إسرائيل بالذات».

وذكر الفرق المصرية الست الموجودة في سيناء، وزوارق الصواريخ. التي دخلت خليج العقبة، والألوية المدرعة التي نُقلت من اليمن. وسوريا والعراق مستعدتان للهجوم كذلك.

وتدهور الموقف الغربي يشجع العرب ويزيد من شهيتهم ساعة بساعة. وعليك أن تضغط على جونسون ليبين أية إجراءات ملموسة -أكرر إجراءات ملموسة- يرغب في اتخاذها لتفادي الانفجار الوشيك».

كان إيبان شاحباً. إنه ليس مقتنعاً بأن ناصر كان مصمماً او حتى قادرا على الهجوم، ويرى أن إسرائيل ضخمت التهديد المصري -ويعرضون ضعفهم متباهين به- من أجل انتزاع وعد لا يستطيع الرئيس المقيد بالكونغرس إعطاءه.

وكانت الكلمات التي اختارها لبرقيته التي كتبها «إنه لتصرف شاذ... ينطوي على عدم مسؤولية خطير... يفتقر إلى الحكمة والصدق والثقة والفهم التكتيكي. فليس فيه شيء صحيح».

إن إيبان الذي لم يكن يوماً نصيراً لرابين، والذي يكره تدخل الهواة في تعقيدات العلاقة الأمريكية - الإسرائيلية، قد عزى المبادرة فيما بعد إلى حالة رئيس هيئة الأركان الفعلية غير المستقرة.

ومع ذلك اعترف بتعليماته الجديدة، وطلب تأجيل اجتماعه الأول بالأمريكيين ساعتين، إلى الساعة ٣,٥٠ بعد الظهر. (٧٩)

تركزت عين الأزمة الآن على تلك المباحثات، أولاً في وزارة الخارجية الأمريكية، ثم في البنتاغون، وأخيراً في البيت الأبيض. حذر هارولدو يلسون الرئيس جونسون، بعد أن أطلعه على انطباعه الذي حصل لديه من محادثاته مع إيبان، أن إسرائيل ستخوض حربا ما لم يتلق وزير خارجيتها التزامات مادية ملموسة بأمنها. وعزز والي باربر (Wally Barb¡our) في تل أبيب تقييم ويلسون تماماً، إذ قال: «التاريخ وحده سوف يكشف ما إذا كان تصرف إسرائيل منفردة أصبح وشيكا في غضون ساعات، ولكن انطباعي أن ذلك قد أُرجِئَ بضعة أيام، على الرغم من إدراكي بأن احتمال التأجيل مرغوب فيه من ناحيتي».

كان ويلسون وباربر كلاهما يعلمان أن تقرير إيبان حول محادثاته، الذي سيقدم إلى مجلس الوزراء الإسرائيلي في ذلك الأحد، سوف يقلب الميزان إما لصالح القيام بضربة استباقية أم لا.

ولدى سؤال السفير إلى موشي بيتان، رئيس شعبة الولايات المتحدة في وزارة الخارجية «ماذا سوف يحدث لو تلقيت تعاطفاً بدلاً من الدعم لعمل معين؟» أجاب موشي قائلاً: «حسناً سيكون ذلك، عندئذ، نهاية الخط بالنسبة لنا». (٨٠)

في الطريق إلى سباق زوارق

نادراً ما كان في حوليات السياسة الخارجية الأمريكية أزمات دولية دفعت بالإدارة الأمريكية كلها إلى حالة عدم التيقظ المطبقة. إذ إن البيت الأبيض كان يدرس، في اليوم الذي دخلت فيه القوات المصرية إلى سيناء، إرسال نائب الرئيس الأمريكي همفري (Humphrey) إلى القاهرة ليرقع ما انخرق في العلاقات الأمريكية المصرية. وكان مصدر الأمل في النجاح هو استمرار عبد الناصر في موقفه المعتدل تجاه القضية الفلسطينية. كتب هارولد سوندرز (Harold Saunders) خبير الأمن القومي في الشرق الأوسط، في ١٥ مايو يقول: «لا يوجد في أي مكان من العالم العربي حسابات أكثر برودة من هنا مفادها بأن هذا الوقت ليس مناسبا للهجوم على إسرائيل». وإذا كان هناك أية مشاكل في الأمن فمصدرها سوريا وخصوصاً دعمها للإرهاب الفلسطيني. وكان الحل، كما رأى سوندرز، «غارة يقوم بها جيش الدفاع الاسرائيلي على سوريا ثم يخرج منها»، ناصحاً الاسرائيليين بقوله: افعلوا ما ينبغي فعله، ولكن أكدوا على سرعة العمل ومحدوديته. «قبل وولتر روستو» (Walter Rostow) مستشار الأمن القومي الاقتراح وحوَّله إلى الرئيس: «نحن نتعاطف مع حاجة إشكول إلى وقف هذه الغارات (غارات الفلسطينين)، ولا نميل إلى القبول بأن هجوماً محدوداً على سورية يمكن أن يكون جوابه الوحيد». وعندما علم مسؤولون أمريكيون أخيراً بالحشد المصري في سيناء اعتبروه مجرد حشد رمزي، لأن ناصر لا يمكن أن يجعل السوريين يوقعونه في شرك الحرب. (٨١)

ثم جاء خبر إزالة قوات الطوارئ الدولية و«ضعف إرادة» يوثانت، حسب تعبير غولد بيرغ (Golderg) الذي استجاب لناصر.

وفجأة انتزعت سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط من حالة اللا مبالاة ودخلت في حالة الطوارئ.. فشكلت مجموعة مراقبة للشرق الأوسط وضبط الأمور فيه من وزارة الخارجية، ووزارة الدفاع، ووكالة الأمن القومي (NSA) ووكالة

المخابرات المركزية (CIA)، بالإضافة إلى مجموعة من المحنكين في الشؤون الخارجية مثل ماك جورج بندي (Mc Gorge Bundy) ودبليو. أفريل هاريمان (W. Averell Harrima). وكان الهدف حسب تقديرات وولت روستو المنقحة، هو (آ) الحيلولة دون تدمير إسرائيل، (ب) وقف العدوان، (ج) وإبقاء يوثانت في الواجهة وتجميده». دون الاعلان عن أية التزامات أمريكية في تلك الفترة كلها.

وفجأة بعث الرئيس جونسون برسائل شخصية إلى عبد الناصر والأتاسي يحثهما على ممارسة ضبط النفس، وإلى كوسيجن يطالبه بممارسة نفوذه على العرب، محذراً إياه بقوله: «إن روابطكم وروابطنا بدول المنطقة ربما توقعنا في مصاعب، أنا واثق أن كلينا لا يسعى إليها». أُرسلت طلباتٌ إلى فرنسا وبريطانيا حول إمكانية «بعث الروح» في الإعلان الثلاثي، وتجميع قطع حربية غربية في شرق البحر المتوسط. وطرحت أسئلة حول استخدام المصريين للغاز السام. (٨٢)

وأكثر القضايا إلحاحاً، كانت إسرائيل وكيف ستتصرف. فهذا البلد الخاضع لأكبر نفوذ أمريكي في هذه المحنة ظل مصدر قلق عميق للمسؤولين الأردنيين. وكان الخطر يكمن في أن إسرائيل العاجزة عن الانتقام من سوريا لدعمها الارهاب، لا بد وأن تقوم بضربة استباقية أولى في سيناء بدون استفزاز مصر للقيام بهجوم كبير على إسرائيل. والنتيجة هي ضربة أخرى للموقف الأمريكي في العالم العربي، إن لم تكن أسوأ من ذلك: أي تدخل الاتحاد السوفياتي وربما نشوب حرب عالمية. وعندما طلب من وزارة الخارجية أن ترسل ما يطمئن ناصر أن إسرائيل لن تقوم بمثل هذا الهجوم، رفضت. إذ كان رأي المسؤولين فيها أنه إذا ما ضربت إسرائيل، فلسوف تبدو أمريكا متواطئة معها.

ومفتاح تجنب مثل هذه الكوارث، في رأي وولت روستو، يكمن في إقناع إشكول «ألا يصب الزيت على النار» فخير لإسرائيل أن تمتص الضربة الأولى، وتحرم السوفيات من أي أساس أخلاقي للتدخل، وعندها تقوم بهجوم معاكس. وعلى الرغم



من أنه سيلحق بإسرائيل إصابات كثيرة لكنها كانت واثقة من النصر، حسب تقديرات المخابرات الأمريكية. وبالتالي كان هدف واشنطن هو إيجاد السبل لتأخير الرد الإسرائيلي، وذلك من خلال شراء الزمن بفضل صفقات السلاح والمساعدات الاقتصادية، ومع ذلك، ثبت أن هذه المهدئات لم تكن فعالة عندما أغلق ناصر المضائق في ٢٢ مايو. (٨٣)

أخذ هذا الإعلان، الذي تم تلقيه أولاً من وكالة الأنباء الفرنسية، الإدارة الأمريكية على حين غرة، مرَّة أخرى. إذا كان جونسون قد شرع بكتابة رسائل إلى ناصر وإشكول يدعوهما إلى مزيد من ضبط النفس. وتبين أن مستشاري الرئيس في اجتماع لمجلس الأمن القومي عقد على عجل يجهلون تماماً درجة معرفة السوفيات المسبقة بتحرك ناصر أو حتى الدوافع الكامنة وراء ذلك. وقال لوشيوس باتل: «إما أن يكون ناصر قد تلقى أسلحة من السوفيات أكثر مما نعلم بها وإما أنه أصيب بمس من الجنون». عبر المسؤولون في البنتاغون عن قلقهم بشأن مقدرة الأسطول السادس على إعادة فتح المضائق عسكريا -لأنه يفتقر إلى قوات الإنزال البري، وإلى وحدات مضادة للغواصات- في حين ذكر راسك (Rusk) وجود معارضة قوية في مجلس الشيوخ لأي تحرك أمريكي من طرف واحد. وفي الوقت نفسه كان البيت الأبيض ووزارة الخارجية منهمكان في البحث عن نص الوعود التي قطعها دالاس (Dallas) إلى غولدا مائير، وعن التزامات الولايات المتحدة إلى إسرائيل: وعُثر على بعضها. والخطوة الملموسة التي اتخذت بالفعل هي إصدار أوامر للموظفين غير الحيويين في سفارات الولايات المتحدة في تل أبيب والقاهرة ودمشق بالرحيل إلى أمريكا. (٨٤)

وكما هو الحال في فرنسا، لم يكن العام ١٩٥٧في الولايات المتحدة كالعام ١٩٦٧. فهي لا تستطيع خوض حرب خارجية أخرى، ومازالت قواتها غارقة في مستنقع فيتنام، ومخيماتها وغيتواتها الريفية تشتعل. والجواب الواضح هو استباق ضربة إسرائيل الاستباقية بفضل رفع الحصار وإعادة حقوق العبور في المضائق. ولكن



كيف؟ فالفرنسيون معارضون لعمل ثلاثي، والأمريكيون يقاومون عقد قمة رباعية لخشيتهم أن يستخدمها السوفيات منبراً لدعايته. ومجلس الأمن في طريق مسدود. ومع ذلك برز، في خضم هذا الجو الخالي من أي حل، مفهوم الاسطول الدولي.

لم يكن هذا المفهوم جديداً: إذ دعت إليه إسرائيل أثناء أزمة السويس كوسيلة لإعادة ادعاء حقها في القناة، لولا أن قضى عليه دالاس. ولكن أعاد جورج تومبسون (George Thompson) البريطاني، بعد ذلك، إحياء الفكرة في ٢٤ مايو واستجاب لها الأمريكيون بحماس.

تدعو الخطة، بوجه خاص، إلى إصدار إعلان عن الدول البحرية تؤكد فيه حق حرية المرور في المضائق. فإن رفضت مصر الإعلان، يبحر أسطول دولي من الناقلات تحت حماية مدمرات الأسطول السادس ومعززاً بسفن حربية بريطانية، HMS Herms، HMS Victorious.

سوف تردع «قوة السبر» هذه الجهد المصري عن مواجهة هذه القافلة ومنعها من العبور، وإذا لزم الأمر تستدعي تعزيزات من «قوات تغطية» أكبر من تلك الموجودة في البحر المتوسط والمحيط الهندي. وتقوم القاذفات البريطانية والأمريكية بتحييد المطارات والقواعد والأهداف الاستراتيجية الأخرى في مصر، وتردع السوفيات عن التدخل. وفي حال اشتراك إسرائيل في هذه القافلة، فإن أية فائدة تجنيها تكون «عرضية» لأن القضية هي قضية حركة العبور، وليست الحقوق الإسرائيلية. وكما قال يوجين روستو إن «أوامر المسير» سوف يجري إعدادها في غضون أسبوعين، ثم يصدقها شخصياً من الرئيس. وكان اسم الخطة الرمزي «عملية سباق الزوراق في البحر الأحمر» أو اختصاراً «سباق الزوراق». (٨٥)

كانت ردود الفعل المبدئية على «سباق الزوارق» مشجعة. اجتمع جونسون في كندا لدى قيامه بزيارة قصيرة- غايتها الظاهرية رحلة «Expo ٦٧» - مع رئيس الوزراء بيرسون (Pearson) المهندس الأساسي لقوات الطوارئ الدولية، وقال له:



«مايك جاهز للالتحاق بالفريق.» ثم أردف قائلاً: «فهذا المسار سيحافظ على إسرائيل ثابتة.» فكان جواب ويلسون متفائلاً مثله، إذ قال: «أعتقد أن هناك بلدانا كثيرة في العالم لديها إحساس بأن السلم العالمي أهم من محاولة العمل من خلال أمم متحدة عاجزة و الاستمرار في رفع الأيدي وحدها... فمن يدري، حتى فرنسا ربما توافق ؟»

لقد دعم بعض العرب هذه الخطة، ولو سراً. ففي محادثات سرية جداً بين المخابرات المركزية الأمريكية والأمير محمد بن الملك فيصل السعودي، وعمر عزام ابن الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية، وُصفت القافلة بأنها الوسيلة الوحيدة التي تنقذ الدول العربية المعتدلة. فعلى الرغم من أن قادة تلك الدول كانوا يقدمون خدمات كلامية لعبد الناصر، فهم يرحبون بجهد دولي يقلل من حجمه أو يدمره، كما قال محمد وعزام.

وبعد ذلك دخل مفهوم القافلة في صعوبات قبل انقضاء ٤٨ ساعة على ولادتها فقد أظهرت الاتصالات المبدئية مع الحلفاء الأوربيين عدم حماسهم للعملية التي ربما تعرض إمدادها بالنفط العربي إلى الخطر، فضلاً عن خطر انجرافها في الحرب.عارض شاه إيران الكشف عن تجارته مع إسرائيل، وكان أصحاب السفن غير راغبين في تعريض سفنهم للخطر. حتى في الولايات المتحدة نفسها، في وزارة الخارجية وفي البنتاغون، أثيرت شكوك حول الحكمة من «خروج الولايات في مقدمة القافلة وطليعة خطة «سباق الزوارق» الأمر الذي يستعدي العرب ويجعل العبء اللوجستي ثقيلاً جداً على كاهل أمريكا زمن الحرب. كما ظهرت علائم تشير إلى احتمال عدم موافقة الكونغرس على الخطة – تلك الموافقة التي تعد شرطاً لازما مسبقاً للتنفيذ ومع ذلك، ينبغي عدم تمرير أية معلومة من هذه المعطيات إلى إسرائيل بل بالعكس، كان البيت الأبيض، أثناء محادثاته مع الممثلين الاسرائيليين يتفاخر باستمرار بالتقدم الحاصل في خطة «سباق الزوارق»، وبعدد الدول الراغبة في المشاركة فيها، وبالتزام الإدارة برؤيتها قيد التنفيذ. أخذ الاسرائيليون هذه

التقديرات والتكهنات مأخذ الأهمية - مبدئيا على الأقل إذ قال هارمان إلى روستو: «طالما أن الولايات المتحدة قد ألزمت نفسها بالقيام بعمل محدد،فإن مسألة التوقيت تغدو ثانوية». (٨٦)

بيد أن البرقية التي تلقاها إيبان من إشكول دلت على أن خطة «سباق الزوارق» بغض النظر عن توقيتها وفرص نجاحها، لم يعد لهاصلة. لأن حرية العبور، حتى ولو استعيدت، لا تستطيع ضمان بقاء إسرائيل حيّة.

وحدنا أم لا ؟

لم يكن دين راسك (Dean Rusk) غريباً على سياسات الشرق الأوسط. فبوصفه رئيساً لشعبة الأمم المتحدة في وزارة الخارجية الأمريكية في العام ١٩٤٧-١٩٤٨، كان منغمساً شخصياً في الحركة الأدبية الألمانية المناهضة لحركة التنوير الفرنسية (Sturm and Drang) المحيطة بمسألة إيجاد إسرائيل التي كان يعارضها مفضلاً إيجاد دولة ثنائية القوميات، يهودية - عربية، بدلاً منها. ثم، بوصفه رئيس مؤسسة روكفلر (Rockefeller) طرح عدة خطط للسلام قائمة على أساس الاعتراف المتبادل والتقسيم الوظيفي للقدس - رفضها العرب كلها. واستخلص من ذلك «أن ما من أحد يعمل من أجل السلام في الشرق الأوسط إلا ويضرب أو يهزم هزيمة نكراء من كلا الطرفين». ومع ذلك لم تحبط هذه النتيجة رجلاً نشأ من فقر ريفي وصعد إلى منحة رودس، إلى خدمة متميزة في الصين أثناء الحرب العالمية الثانية، ومن ثم أصبح وزير خارجية الولايات المتحدة في عهد رئيسين. ففي سن الثامنة والخمسين، أنقذ راسك المتحفظ والجنى الغامض بلاده من أزمات عملاقة هي - أزمة برلين، وأزمة كوبا، وأزمة تونكين (Tonkin) - بنجاح أكبر من سواه. وقرر، أثناء هذا الوضع الملتهب الأخير في الشرق الأوسط، أن يستشير التعددية، واللا تدخلية، والأهم من ذلك كله الحصانة.



ولم يكن راسك غريباً عن أبا إيبان. وعلى الرغم من أن إيبان لا يعتبره «من بين الأمريكيين الذين أثير حماسهم القوي لدولة إسرائيل، «فإن راسك كان يشارك وزير الخارجية الإسرائيلي الحس العالمي، والرأي. كان لقاؤهما السابق في فندق وولدورف أستوريا(Waldorf-Astoria) في نيويورك في أكتوبر من العام ١٩٦٦، جزءاً من مهمة استكشافية للشؤون الدولية، بدءاً من الحرب في فيتنام إلى الوضع في جنوب أفريقيا، من جنون العظمة لدى ديغول الذي قال فيه راسك: («نحن لا نتعامل مع صليب لورين، بل مع روح بيتان (Petain) في العام١٩٤٠») إلى عجز يوتانت الذي قال فيه راسك بطرافة («لا يتوافر من هو أفضل منه»). وأظهر البروتوكول أن حوارهما كان مضحكاً:

راسك: هل لديكم تمثيل في كمبوديا؟

إيبان: سنرسل رجلاً إلى هناك الشهر المقبل.

راسك: كل ما أستطيع قوله هو أن ترسلوا طبيباً نفسانيا.

إيبان: سوف نرسل عضو كيبوتس.

راسك: ما هو ميزان مدفوعاتكم؟

إيبان: لدينا احتياط يقدر بحوالي ٦٠٠ مليون دولار.

راسك: ربما يكون بإمكانكم إقراضنا بعض المال. (٨٧)

لم تكن روح المرح سائدة، على أية حال، يوم الخميس في ٢٥ مايو عندما تضافر عقل راسك مع عقل إيبان في مسألة فوجي بوتوم (Foggy Bottom) هذه المرة. وصف وزير الخارجية الاسرائيلي مهمته بأنها «مصيرية» ووصف حالة إسرائيل بأنها شبيهة «بسفر الرؤيا». إذ قال: «منذ بدء الأزمة مازالت الحقيقة تزداد سوءاً أكثر من الاحتمالات، ولا تستطيع إسرائيل الآن أن تحصل على المزيد إن هي خُيرت بين الاستسلام والعمل.» وتابع القول: «إما أن أعود بضمانات أكيدة أو أن إسرائيل

ستشعر بأنها وحيدة. «ثم قال إيبان، بطريقة وصفها راسك بأنها«مرسلة على سجيتها» محدثة إحساساً بوجود حالة طوارئ، مقتبساً عبارة من رسالة آتية من القدس تقول: «هناك هجوم سوري - مصري شامل وشيك، يمكن أن يقع في أية لحظة «ثم أضاف قائلاً» يجب ألا يؤخذ الطلب بحرفيته. إنما المطلوب هو صدور بيان أمريكي «تحذيري رادع» إلى مصر.

لم يكن التحذير خبراً بالنسبة لراسك. فلقد تلقى باربر تقييماً مماثلاً صبيحة ذلك اليوم من وزارة الخارجية الإسرائيلية. قال سفير راسك: «أنا واثق من أن مخاوف إسرائيل حقيقية، «واصفاً معلومته هذه بأنها» نتيجة تحريات مخابراتية صعبة. «طلب وزير الخارجية الأمريكي من ضيفه وهما يشربان الخمر، أن يقرأ النص الكامل للرسالة بصوت مرتفع وببطء، وأن تعطى واشنطن مزيداً من الوقت لتحقق في مدى صحتها.

وبينما كان إيبان ينتظر، كانت وكالات المخابرات الأمريكية «تتحرى» التحذير الإسرائيلي، وكانت النتيجة التي أيدتها المخابرات البريطانية والأمم المتحدة هي أن الانتشار المصري مازال دفاعي. ولا توجد هناك أية علامة على حدوث هجوم وشيك. وقال السفير نولت في القاهرة: إن تحذير إسرائيل ليس سوى ستار دخاني لتغطية هجومها الوشيك. أما راسك فكان أكثر تحفظاً إذ قال لمدير المخابرات المركزية (CIA) ريتشارد هيلمز: (Richard Helms) إذا كانت هذه المعلومة خطأ، فهي كما يقول فيوريللو لاغارديا (Fiorello La Guardia) «رائعة».

وعندما التقى راسك ثانية مع إيبان ،قال له: «من غير المنطقي أن يشن عبد الناصر حرباً في هذه المرحلة.» وفيما يتعلق بالضمانات إلى إسرائيل، لا تستطيع الولايات المتحدة أن تصدر بياناً على غرار بيانات حلف الناتو مفاده أن أي عدوان على إسرائيل هو عدوان علينا «بدون موافقة الكونغرس. فقد عارض ٤١ عضواً الكونغرس تصرف الولايات المتحدة بمفردها في المضائق، كما قال راسك: وهناك



آخرون كثر يعارضون أي التزام عسكري في الشرق الأوسط في حين مازالت أمريكا تقاتل في فيتنام. وبالتالي ينبغي إسداء نصيحة إلى إسرائيل بأن تضع ثقتها بالأمم المتحدة، وبالاقتراح البريطاني المتعلق بإرسال قافلة سفن من الدول البحرية، وإصدار بيان عنها. وأعلن وزير الخارجية الأمريكية عن ضرورة إعادة بحث مسألة توضيع قوات الطوارئ الدولية في الأراضي الإسرائيلية. إذ ما هو حيوي أكثر ألا تبدأ إسرائيل بالأعمال العدوانية. قال راسك محذراً إيبان: «لا أريد الافتراض بأن معلومتكم هذه تعني إشعارنا مقدماً بضربة إسرائيلية مسبقة مخططة سلفا فذلك خطأ رهيب.»

استمرت المباحثات بصورة متقطعة وغير ممنهجة، عبر فيها إيبان عن رغبة إسرائيل في «التوافق» مع المبادرة الدولية وحث البيت الأبيض على إرسال كتاب إلى إشكول مفاده «أننا سنفتح المضائق.» اختتم راسك المباحثات بإبداء اهتمام «بموقف مدى الذراع» الذي أطلعت عليه إسرائيل السفارة الأمريكية في تل أبيب، وبمزيد من تبادل المعلومات المفتوح. وهكذا كان: لا ضمانات، ولا التزامات، سواء معلنة أو سرية. لم يكن إيبان قلقاً، برغم ذلك كله، مدركاً أن راسك عرف بحدسه الديناميكية السياسية الكامنة وراء إنذار إشكول، ومدركاً كذلك أن البحث الحقيقي مازال قادماً، مع جونسون. وقال بصورة عفوية: «لم يحدث لدي انطباع بأن الولايات قد قررت الدخول في تحالف دفاعي جديد معقد بين تشكيلة متنوعة وأن تكون الوجبة الأولى في حفل عشاء». (٨٨)

أقيم حفل العشاء ذلك المساء على سطح وزارة الخارجية بدعوة من يوجين روستو. وخلافاً لأخيه، مستشار الأمن القومي، الذي اندمج تماماً في الحياة الأمريكية، فإن نائب وزير الخارجية، روستو، كان مغرقاً بالتأكيد دائماً على جذوره اليهودية، بتبهير أحاديثه بكلام يديشي. كان حماسه لإسرائيل واضحاً. ومع ذلك، لدى افتتاحه المباحثات، كرر ما قاله راسك من قبل: لا يستطيع الرئيس ضمان أمن إسرائيل بدون موافقة الكونغرس، التي من غير المحتمل الحصول عليها في الظروف الراهنة. وبدلاً من ذلك على إسرائيل أن تثق بمنهج يبدأ بمراجعة الأمم المتحدة لقضية المضائق، ويتلو ذلك بيان من الدول البحرية، وتسيير قافلة سفن.

لخص إيبان في جوابه وعود دالاس التي قطعها في العام ١٩٥٧ إلى إسرائيل وأكد على الحصول على أية قرارت من الأمم المتحدة بأسرع ما يمكن - في غضون أربعة أيام على الأكثر. وإلا أصبح الإغلاق أمراً واقعاً، وتفقد إسرائيل ثقتها بقافلة السفن التي سترسلها الدول البحرية. وفيما خلا هذه التأكيدات، لم يكن هناك، على ما يبدو، فجوات كبيرة بين موقفي الولايات المتحدة وإسرائيل.

ويذكر موشي رافيف (Moshe Raviv)، مساعد إيبان قائلاً: «لا يمكن أن أنسى الموقف الهادئ الواقعي الذي حُلل فيه الوضع ونحن نرتشف الخمرة.» وصف وزير الخارجية «هادئاً... جاداً، معتدلاً «سياسة واشنطن بأنها» أفضل فرصة للسلام إذا ما تبين أن معلومات المخابرات الأمريكية بشأن نوايا المصريين غير صحيحة. «ثم تابع الكلام مؤكداً أنه يعلم بأن الرئيس يفتقر إلى سلطات إصدار الضمانات التي يطلبها إشكول، وأن «الرسالة لن تصاغ بتلك الطريقة لو أنني كنت في تل أبيب .» ولدى إحاطته علماً بأن الولايات المتحدة سوف توصل إلى سفارتها في القاهرة، «رسالة تحذيرية»، اكتفى إيبان بهذه الخطوة كرد على مطلب إسرائيل» كما قال روستو. (٨٩)

قام إيبان، في محاولة له لبث الهدوء، وتهدئة روع إشكول البادي في رسالته، بتخفيف إحساس واشنطن بحالة الطوارئ.وكتب روستو إلى السفير البريطاني باتريك دين (Patrick Dean) يقول: «لقد توقعنا إعلامنا بأنهم سيضربون، ولكن بدلاً من ذلك طلبوا فقط توضيحاً بشأن خطة الدول البحرية المقترحة.» ونصح راسك الرئيس جونسون، استعداداً للقاء إيبان، أن «تطلق» الولايات المتحدة يد إسرائيل وتتركها تدافع عن نفسها أو تعلن موقفاً إيجابياً، بدون أي التزام، من فكرة القافلة. وفضل وزير الخارجية الأمريكية الموقف الثاني الذي يُمكّنُ الولايات المتحدة من تأخير ضربة إسرائيل الاستباقية. عندئذ يمكن أن تأخذ مباحثات الأمم المتحدة مجراها، وتستطيع الولايات المتحدة، بالتالي، أن تبحث عن إجراءات بديلة من بينها توضيع قوات الطوارئ الدولية في الأراضي الإسرائيلية.



كتب راسك يقول لا يتوقع أن يضغط إيبان في محادثاته مع الرئيس باتجاه مطلب ضمانات أمنية رسمية لإسرائيل. (٩٠)

يمكن الحصول على صورة أدق لتفكير إسرائيل من هارمان الذي حضر حفل عشاء روستو وخرج منه غاضباً. وأرسل هذا المحامي المدرب في اكسفورد سابقاً والسفير منذ عام ١٩٥٩، برقية ساخنة إلى القدس يتهم فيها الإدارة الأمريكية بأنها تعطي إسرائيل «بضاعة لا تباع» وأنها تتصرف بسوء نيّة:

«مازالت الولايات المتحدة تأخذ على عاتقها، خلال ال ١٢ يوماً المنصرمة، كبحنا عن حماية حقوقنا وأمننا... إنهم (الأمريكيين) يصدوننا بإعطائنا انطباعاً بأنهم متورطون معنا وأنهم سوف يقفون إلى جانبنا. وهم يعلمون أننا سوف نقاتل في النهاية لحماية مصلحتنا الحيوية، ولكن نتيجة لتدخلهم وطمأناتهم لنا، ربما نقاتل الآن في ظروف عسكرية صعبة... والواقع أن ما قالوه لإيبان هذا المساء لا يتضمن شيئاً محدداً ومعيناً، ولا يحتوي على جدول زمني محدد ملزم، وفوق ذلك كله، لا يحتوي على أي التزام محدد يحمل الولايات المتحدة مسؤولية ملزمة تجاه العقبة.»

كان الانطباع في القدس، مهتزاً. فإذا كان جونسون غير راغب في الالتزام تجاه إسرائيل، فإن إيبان لا يكون قد نفذ شروط مرجعيته. فأعيد بيان هذه الشروط بلغة لا تقبل التأويل حتى لدى وزير الخارجية نفسه، على النحو التالي: «تواجه إسرائيل خطر هجوم شامل من قبل مصر وسورية. وفي هذه الحالة يعد تطبيق الالتزام الأمريكي حيويا -إعلاناً وعملاً- على الفور، أكرر، إصدار إعلان في الحال، عن حكومة الولايات المتحدة مفاده أن أي هجوم على إسرائيل هو بمثابة هجوم على الولايات المتحدة والتعبير الملحوظ عن هذا الإعلان هو: إصدار أوامر إلى قوات الولايات المتحدة الموجودة في المنطقة بالاشتراك في العمليات مع جيش الدفاع الإسرائيلي ضد أي هجوم عربي محتمل على إسرائيل. ومهما كان الجواب الذي تتلقاه من الولايات المتحدة لا تخرج عن قولك إنك ستكتب إلى حكومتك. وبالنظر

لخطورة الوضع، يجب إيصال هذه الملاحظة إلى أعلى سلطة أمريكية بدون تأخير. وفي حال غياب الرئيس تُسَلَّم إلى وزير الخارجية راسك... نؤكد على السرية التامة لكل ما ينجم عن هذه البرقية. وإياك أن تهتف لنا بشأن هذه المسألة مهما كانت الظروف». (٩١)

لم يخف الاستياء وعدم الثقة الباديان في هذه الأوامر على إيبان. فأبرق غاضباً إلى القدس يطلب تفاصيل الإعدادات المصرية المزعومة. ولكنه، بقدر ما كانت حكومته قد أربكته، قد فقد الصبر أيضاً مع الأمريكيين.

وعندما هتف له راسك فيما بعد طالباً منه تأجيل اللقاء بالرئيس -أجاب إيبان بمظهر عدائي قائلاً- إنه يريد وقتاً كافياً لقراءة التقرير الصادر حديثاً جداً حول محادثات يوتانت وناصر. وأخبر راسك محذراً من النتائج النفسية المدمرة «لتأخير عودته، بأن مجلس الوزراء الإسرائيلي سينعقد يوم الأحد وسوف يكون» من أكثر الاجتماعات حسماً في تاريخنا «ولذلك لا يستطيع التغيب عنه. «وأقول لك بصراحة بأني أرى أننا سندخل في مواقف معادية الأسبوع القادم.إن ما يجري هو حصار لا بد من مقاومته وأشك أن أمراً ما في هذه المرحلة يمكن أن يغير تلك الحال الظاهرة. والشيء الوحيد الذي يمكن أن يكون ذا أثر هو تأكيد رئيسك بأنه قرر بلا تحفظ فتح المضائق.»

كانت لهجة راسك الغاضبة مسموعة، ولكنه لم يجب سوى «لقد فهمت.» وأغلق سماعة الهاتف.

ومع ذلك، حاول إيبان أن يقلل من أهمية تعليمات حكومته في الجولة الثانية من المحادثات مع وزير الدفاع الأمريكي روبرت ماكنمارا (Robert Mcnamara) والجنرال إيرل ج. ويلر (Earle G.Wheeler) رئيس هيئة الأركان المشتركة. قال: «شعرت أني قمت بواجبي بإيصال هذه، الفكرة، إلى الرئيس وأني لم أعد بحاجة لإضاعة الوقت في وساوس لا قيمة لها.» وبدلاً من التأكيد على المخاطر التي



تواجهها إسرائيل، أصاخ السمع إلى ويلر وماكنمارا وهما يشرحان كيف أن جيش الدفاع الإسرائيلي سيربح المعركة في أسبوعين حتى ولو هوجمت إسرائيل، من جبهات ثلاث معاً - وفي أسبوع واحد إن بدأت إسرائيل بالهجوم. لأن إسرائيل كانت متفوقة على أعدائها تدريباً، وأنظمة اتصالات، وحوافز تفوقاً كبيراً، وبالتالي ليس هناك ما تخشاه. وقال الأمريكيون إذا كان لدى المخابرات الإسرائيلية معلومات حول خطط الهجوم المصرية فليكشفوا عن مصدرها، وإلاّ لا يكون لها أساس لتبرير قيامها بضربة استباقية. (٩٢)

ارتبك الأمريكيون، وكان ارتباكهم مفهوماً وله ما يسوّغه. ففي حين تتنبأ الحكومة الإسرائيلية بالحرب، فإن المصادر الأمريكية والبريطانية ومصادر الأمم المتحدة كلها متفقة على أنه لا تغيير في المواقع المصرية، حتى إن إيبان بدا وكأنه يتنصل من ذلك الادعاء. ومع ذلك لم يكن البيت الأبيض راغباً في المخاطرة.

وفي أحد آخر أعمال مصطفى كامل في منصبه، التقى وولت روستو كان الجو حميماً ولكنه متوتر.لقد تضايق مستشار الأمن القومي من آخر الدعايات المصرية، خصوصاً تلك التي تزعم وجود مؤامرة سرية بين الموسادوال CIA للإطاحة بحزب البعث في سوريا ووضع قوات طوارئ دولية في الأراضي السورية. قال روستو إلى السفير المصري: «يعتقد أعداؤكم أن هجوماً مصرياً وسورياً أصبح وشيكاً. ونحن نعلم أن ذلك ليس بالبال. ولا يمكن أن تصدق أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة لا مبالية إلى هذا الحد. ومثل هذا المسار سيسفر بالطبع عن أخطر النتائج المحتملة». وسعى روستو في اختتام حديثه أن يلطف من تحذيره بوصفه أنه «ودي» وبالإشارة إلى أن مثل هذا التحذير قد وجه إلى إسرائيل. وكان جواب كامل الوحيد هو إنكار حقيقة هذه الإشاعة -ربما كان ترحيل الأمريكيين من المنطقة هو الذي أطلق العنان لمثل هذه الإشاعات- والاستشهاد بالتقارير المصرية المتعلقة بخطط إسرائيل للحرب. ووعد أن «عبد الناصر سوف يتعاون إلى آخر مدى مع الأمم المتحدة». (٩٣)

وكمزيد من التحذير، أبرق البيت الأبيض تلك الليلة إلى موسكو بفحوى التحذير الإسرائيلي. وكان جونسون صريحاً في إعلام القادة السوفيات بأنه لا يصدق التحذير، ومع ذلك يتوقع من السوفيات أن يدققوا في الأمر مع المصريين ولا يشجعوهم على أي عمل حربي.

وأحيط المصريون والسوفيات علماً بأن أمريكا لا تشجع الحرب ولا تؤيدها ولكن ما هو حال الإسرائيليين؟ بدت الرسائل المثقلة بالاحتمالات والنذر الواردة من القدس متضاربة مع ما يطرحه إيبان: استعداداً للضربة وانفتاحاً على الدبلوماسية. ألقيت مهمة معرفة أي هذه الرسائل أكثر دقة وصحة، وتحديد المسار الحاسم الذي ستتخذه الولايات المتحدة، على عاتق شخص واحد، هو آخر المتحادثين مع إيبان.

لقد وصف وصفاً متبايناً جداً بحيث كان يبدو أحياناً رجلين آخرين.فمثلاً كان في نظر ريتشارد هيلمز الذي كان يعمل معه عن كثب: «رجلاً لطيفاً يستمتع المرء بالعمل معه، رجلاً عند كلمته، رجلاً ذا فهم كبير بالمشاكل الانسانية.» أما روستو فيقول: «كان دائماً خاسراً، وضحية الظلم.» وقال عنه يوجين، شقيق روستو: «كان رجلاً رائعاً ذا قلب كبير.» ووجد دفئه وعطفه تعبيراً عنهما في دفاعه عن الحقوق المدنية وفي حربه ضد الفقر، وفي رؤيته للمجتمع العظيم.

بيد أن مراقبين آخرين كانوا يرون فيه جانباً آخر: «عديم الضمير، متعطشاً للسلطة، مناوراً». كل هذه العيوب بالإضافة إلى تورطه في فيتنام جعل الكثيرين ممن يؤرخون لحياته يدينونه بأنه نرجسي تراوده الشكوك دائماً، طاغية يدفعه «جوع قوي بحيث لا يقف أمامه أي اعتبار أخلاقي ولا تهمه الفضيلة». (٩٤)

كان موقف ليندن جونسون (Lyndon Johnson) تجاه اليهود ودولة إسرائيل يتَّسِم بالازدواجية.كانت له روابط حميمة مع النشاط اليهودي في الحزب الديمقراطي، وخاصة برئيسه، أحد أعلام هوليود، أرثر كريم (Arthur Krim) وزوجته ماتيلد (Matilde) الإسرائيلية الأصل، ومع أبي فينبيرغ (Abe Feinberg)

ضابط الارتباط بينه وبين الجالية اليهودية. إنه لمن غير المألوف لجونسون القادم من منطقة هيل (Hill Country) الريفية في اتكساس، أن يختار اليهود - الأخوان روستو، وكاتب خطاباته بن واتنبرغ (Ben Wattenberg)، ومساعده في الشؤون الداخلية لاري ليفينسون (Larry Levinson) - ليكونوا كبار مستشاريه، كما عين أرثر غولدبيرغ (Arthur Goldbery) رئيس محكمة العدل العليا سفيراً للولايات المتحدة في الأمم المتحدة، وكان وثيق الصلة جداً بقاض يهودي آخر هو أبي فورتاس (Abe Fortas). وكان مستشار البيت الأبيض، هاري س. ماك فيرسون الصغير(Jr،Harry C.Mcpherson.) منحازاً إلى إسرائيل علناً، مثله في ذلك كمثل أحد مساعدي الرئاسة جون.ب.روش (John P.Roche) الذي قال ذات يوم: «إنني أنظر للإسرائيليين وكأنهم تكساسيون، وأنظر إلى عبد الناصر وكأنه سانتا أنا (Santa Ana) وكان من أسباب اختياره ليكون معاوناً لكينيدي في العام١٩٦٠، انتقاده لإدارة أيزنهاور في تعاملها مع أزمة السويس، وكونه مؤيداً للمساعدات الهائلة لإسرائيل، وقدرة جونسون على اجتذاب أصوات اليهود».

ثم جاءت فيتنام والدور غير المتجانس الذي لعبه اليهود في الحركة المناهضة للحرب.أظهر استفتاء أُجري في العام١٩٦٧ أن حوالي نصف يهود أمريكا ضد سياسة جونسون في فيتنام. كتب على يافطة شعبية: «ليس بالضرورة أن تكون يهودياً لتكون مناهضاً للحرب في فيتنام». وعندما أكد فينبيرغ (Feinberg) لجونسون قائلاً إن دفاع أمريكا عن سايغون (Saigon) يعد دليلاً على أن أمريكا ستحمي إسرائيل، أجاب بقوله: «إذن لماذا لا يصدّق يهود أمريكا ذلك؟» كان يهود أمريكا، في رأي جونسون، جاحدين لدفاعه عن إسرائيل، ومنافقين لعدم دعمهم حرباً تخوضها أمريكا ضد أعدائها - الفيتكونج (Vietcong) مثلهم في ذلك كمثل الفدائيين الفلسطينيين.وتحول غضبه إلى إسرائيل، كذلك، لرفضها الوقوف علناً إلى جانب الحرب وممارسة الضغط على أصدقاء أمريكا لدعم سياساتها الآسيوية. مثل هذه الضغائن عززّت اشمئزازه من سياسة الانتقام الإسرائيلية ومن

مقاومتها قيام أمريكا بتفتيش مفاعل ديمونة. وشكى ذات يوم إلى فينبرغ قائلاً: «إسرائيل تحصل على أكثر مما ترغب أن تعطي. إنها طريق في اتجاه واحد.» (٩٥) ومع ذلك ظل جونسون مؤيداً لإسرائيل بقوة، إذ قال مرّة إلى إيبان: «إسرائيل دولة صديقة بكل ما تعنيه الكلمة من حقيقة.» وعلى الرغم من تحالفه الوثيق مع شركات النفط، فإنه لم يسع قط ليفوز بالحظوة عند العرب. وكان يتجاوز بصورة روتينية معارضة وزارة الخارجية والبنتاغون، فيوافق شخصياً على صفقات معونات إلى إسرائيل. (٩٦)

ذلك التنافر والازدواج - الاشمئزاز من إسرائيل والإعجاب بها - كان موجوداً في المكتب البيضاوي يوم الجمعة السادس والعشرين من مايو. كتب جونسون إلى هارولد ويلسون يقول: سأرى إيبان، وأشعر أنه لا بد من مقابلته. «كان أمامه ملف الوعود الرئاسية بضمان أمن إسرائيل، التي استطاعت وزارة الخارجية أخيراً جمعها بمساعدة إيفرون. وكان في الملف شهادة خطية من أيزنهاور، مضمونة من قبل وولدروسوتو الذي سافر أيضاً إلى غيتيسبيرغ (Gettysburg) بشأن التزامات العام١٩٥٧ . كان عبء هذه الالتزامات ثقيلاً على كاهله، تماماً كما كانت تقديرات المخابرات التي تفيد بأن إسرائيل سوف تحقق نصراً سريعاً، لأنه رأى تقديرات مماثلة لمقدرة أمريكا في فيتنام.كان مصمماً ألا يدع إسرائيل أن تدمر .ومع ذلك كان LBJ غاضباً أيضاً «لأنه جرى الالتفاف عليه» من قبل اليهود الأمريكيين الذين أمطروا البيت الأبيض بوابل من البرقيات والوفود تطلب تدخله لصالح إسرائيل. فأي انطباع سيتولد إذا ما استقبل وزير الخارجية الاسرائيلية، ثم شنت إسرائيل الحرب في اليوم التالي؟». (٩٧)

سأل الرئيس في لقاء مع كبار المسؤولين في البيت الأبيض الساعة الواحدة والنصف: «ماذا ينبغي أن أقول إلى إيبان؟ فلسوف أعلق الجرس في عنق القط عند المغيب. فأنا بحاجة لأعرف ما سأقول» لخص لوشيوس باتل الموقف الأمريكي



تجاه العرب بقوله: «مهما فعلنا سنقع في أشكال. إذا لم نقف إلى جانب إسرائيل فإن الراديكاليين العرب سيصفوننا بأننا نمر من ورق. وإذا ما وقفنا إلى جانب إسرائيل، فإننا سنؤذي صورتنا إيذاء خطيراً عند العرب.» وقال جوسيسكو (Joe Sisco) من وزارة الخارجية: «إن الإسرائيليين يخشون من أن تجد الأمم المتحدة وسيلة ما لإضفاء الشرعية على الأمر الواقع.» وأضاف همفري (Humphrey) نائب الرئيس: «وجود إسرائيل في خطر» مستشهداً بالطلعات الجوية المصرية فوق مفاعل ديمونة ولخص الجنرال ويبلر خطة «ريجاتا -سباق الزوارق-». ولكن ماكنمارا كان ضد وعد إسرائيل بأي شئ ملموس. وقال القاضي فورتاس(Judge Fortas): ولا تستطيع الولايات المتحدة ترك إسرائيل وحدها.» فاعترض راسك قائلاً: «إذا بدأت إسرائيل بإطلاق النار فعليها أن تنسى الولايات المتحدة.» وهكذا انتهى الاجتماع بدون نتيجة حاسمة. وبدلاً من أن يقدم مستشارو جونسون له أجوبة، تركوه بقليل من الأسئلة. «لو كنتُ مكان إيبان وقلنا لك إننا نعتمد على الأمم المتحدة ومجموعة القوى البحرية فهل يرضيك ذلك؟» «هل سأبدي ندماً يوم الاثنين لأنني لم أعط إيبان المزيد اليوم؟». (٩٨)

لم يبد لجونسون أي حل سوى استغلال الوقت. رأى أن باستغلال عطلة عيد الذكرى الطويلة في نهاية الأسبوع كذريعة لتأخير إيبان يوماً أو يومين واثقاً من أن الحكومة الإسرائيلية لن تتخذ قراراً في غيابه، يعطي البيت الأبيض وقتاً لمراجعة خياراته في حين تأخذ التغطية الصحفية المكثفة لزيارة إيبان -التي تديرها إسرائيل حسب اعتقاد جونسون- بالتضاؤل.فقد صمم على تأخير إيبان إلى أجل غير مسمى، ربما إلى أن يتواسط إيبي إيفرون.

قال جونسون إلى إيفرون عندما عرَّفه به ماتيلد كريم (Matilde Krim) قبل سنة: «سمعت عنك كل طيب من صديقي هاري ماكفيرسون (Herry Mcpherson) وأبي فينبيرغ (Abe Feinberg). ومنذئذ نشأت صداقة فريدة وترعرت بين الرئيس

والوزير الإسرائيلي المطلق الصلاحية: كانت صداقة وثيقة جداً بحيث أن رسائل إيفرون كانت تسلم للرئيس باليد في اليوم نفسه. ومهما كانت مودة جونسون هذه، التي شك فيها هاري واصفاً إياها بأنها خطة أو لعبة من جونسون ليكسب ود يهود أمريكا، فإن كل من يعرف إيفرون وافق على أنه -البيروقراطي الحكومي والاتحادي- يتمتع بمقدرة غير عادية لحبك الأمور. يقول أحد زملائه السابقين، مردخاي غازيت: (Mordechai Gazit) «إنه يستطيع مقابلة أي مسؤول رفيع الساعة الثانية بعد الظهر». (٩٩)

كانت الساعة ٥:٣٠ مساء عندما هرع إيفرون إلى البيت الأبيض لدى معرفته أن جونسون قد رفض تحديد موعد للمحادثات مع إيبان. وطلب أن يقابل وولت روستو وقال له بفظاظة: إن عدم الاجتماع، مع وجود الهيئات الصحفية مجتمعة في الخارج، سينشر خبر عن الصدع الخطير الذي حدث في العلاقات الأمريكية - الإسرائيلية. وسوف يصل العرب والسوفيات إلى استخلاص واضح. كان روستو قد شرع يشرح كيف أن الرئيس بحاجة إلى وقت لدراسة القضايا، وكيف أنه اشمأز من تكتيكات إسرائيل الضاغطة. عندما وصلت رسالة من المكتب البيضاوي كان إيفرون على وشك الدخول.

حياه جونسون، ويبدو على وجهه الغضب، قائلاً: «أنا أفهم خطورة وضع إسرائيل، ولكني لا أستطيع أن أفعل أكثر مما قاله لك راسك وروستو». كان يرغب في متابعة خطة القافلة مدعياً أن إيطاليا والأرجنتين قد وافقتا على دعم الفكرة، ولكن عندما تتحقق بعض الشروط. وعلى الرغم من أن الأمم المتحدة كانت «صفراً» وأن الولايات المتحدة لا تدين ليوثانت بشيء فإن الإدارة الأمريكية كانت مصممة على استنفاد جهود كل المنظمات الدولية لإيجاد حل سلمي. وعندما تفشل الأمم المتحدة -وكان جونسون متأكداً من فشلها- يسعى الرئيس إلى الحصول على موافقة الكونغرس لاتخاذ عمل ملموس في الخليج.



وقال: «بدون ذلك، فما أنا إلا صديق أعرج لإسرائيل». مستذكراً كيف أن الكونغرس لم يغفر لترومان ما قام به في كوريا. وطمأن إيفرون أن الولايات المتحدة عند وعدها بفرض حرية المرور، ولكنه لا يجازف بحرب مع السوفيات فقط لأن إسرائيل حددت يوم الأحد موعداً نهائياً. وإذا ما فجّرت إسرائيل الحرب فسوف يكون ذلك على مسؤوليتها وتتحمل نتائجها .تحدث جونسون لمدة أكثر من ساعة وإيفرون صامتاً، قال: «ليست إسرائيل تابعة لأمريكا ولا أمريكا تابعة لإسرائيل. ولكن وافق الرئيس في النهاية على لقاء إيفرون شريطة ألاّ يتسرب شيء إلى الصحافة. (١٠٠)

تلى ذلك فترة من الفوضى، انطلق خلالها إيفرون إلى إيبان، ودخل وزير الخارجية الإسرائيلي وهارمان إلى البيت الأبيض من باب جانبي. وقال أحد الحراس: «هناك فتى يقول: إن اسمه إيبان يريد مقابلة الرئيس». وكانت الصحافة على أهبة الاستعداد لنشر الخبر مستنتجة أن جونسون جعل الإسرائيليين ينتظرون قبل السماح لهم بالدخول.

بدا المكتب البيضاوي الأصفر، ظاهرياً، وكأنه غرفة حربية. إذ كان فيها بالإضافة إلى الـLBJ، ماكنمارا، وويلير، والأخوان روستو وسيسكو، مع السكرتير الصحفي للرئاسة جورج كريستيان (George Christian) ومع ذلك أعطي الكلام أولاً إلى إيبان، فبدأ بصورة مسرحية، قائلاً: «إننا على حافة القبر بتوقعات قلقة». ثم لخص تاريخ التزامات الولايات المتحدة بأمن إسرائيل واستشهد بآخر البرقيات الآتية من القدس، ملقياً بظلال قاتمة من الشك، ليس على رفاه الدولة، بل على وجودها ذاته. وعلى الولايات المتحدة أن تصدر بياناً تقول فيه إنها كانت تنسق مع إسرائيل استراتيجيتها العسكرية ولسوف ترد على أي هجوم عربي على إسرائيل. واختتم كلامه بقوله: «أن السؤال الذي أريد الحصول على جواب له هو هل لديكم الإرادة والعزم لفتح المضائق؟» ثم تساءل: «هل سنقاتل وحدنا أم أنتم معنا؟».

تردد جونسون لحظة قبل أن يجيب متكئا بقرب إيبان الذي اعتقد أنه رأى في عينيه نظرة عذاب». ثم تكلم الرئيس بصورة حازمة: «أنتم ضحية عدوان.» ثم وصف. «بعبارات فخمة»، وبدقة رأيه في يوثانت وقراره بسحب قوة الطوارئ الدولية من سيناء ولكنه يريد رغم ذلك أن يستنفد أولاً كل آفاق الأمم المتحدة. وتابع القول: «لست ملكاً في هذا البلد... ولا أنفعك ولا أنفع رئيس وزرائكم إذا كان ما أستطيع قيادته هو أنا نفسي.. وأعلم أن دمكم وحياتكم في خطر. دمنا وحياتنا في خطر في أمكنة عديدة وربما تكون كذلك في أمكنة أخرى... لا أملك صوتاً واحداً ودولاراً واحداً لكي أتصرف قبل دراسة هذا الأمر في الأمم المتحدة».

وعندئذ فقط أكد جونسون أنه يمكن إرسال قافلة في غضون أسبوعين، وأردف قائلاً: «أنا لست فأراً ضعيفاً أو جباناً، إننا سنحاول. وما نحتاجه هو مجموعة من الدول البحرية خمسة أو أربعة أو أقل، أو حتى نحن وحدنا. وأن ما تستطيع قوله لمجلس وزرائك هو أن الرئيس والكونغرس والبلد كله سوف يدعمون خطة لاستخدام أية وسيلة أو كل الإجراءات لفتح المضائق». وقال: «لقد كشفت مباحثات برلمانية مع بعض الشيوخ دعماً حذراً للخطة، ولكن إسرائيل تستطيع الإسهام كذلك مستخدمة علاقاتها في الخارج.فلديكم في إسرائيل أفضل المخابرات وأفضل السفارات، لذلك دعوها تعمل لحشد جميع المهتمين لدعم إبقاء المضائق مفتوحة».

ثم انتقل جونسون إلى أعوص القضايا وأكثرها شوكاً: وهي خطورة بدء إسرائيل بالضربة الأولى. وقال مستشهداً بما توصلت إليه كل فروع المخابرات الأمريكية: «ليست هناك أية نية مصرية لشن هجوم... وإذا كانت لديهم نية فإن النصر حليف إسرائيل حتماً». وحذر جونسون إسرائيل من المخاطر التي يمكن أن تواجهها إسرائيل إذا ما تصرفت وحدها: «إذا قرر مجلس وزرائكم ذلك فإنما يكون على مسؤوليته. أنا لا أتراجع، ولا أغير موقفي، ولا أنسى شيئاً مما قلته... بل أقول من الضروري ألا تظهر إسرائيل نفسها مسؤولة في نظر الأمريكيين والعالم عن نشوب حرب. لن تكون إسرائيل وحدها ما لم تقرر هي أن تتصرف وحدها».



هناك تأكيد على هذه العبارة في النص الأصلي

لقد كرر السطر الأخير ثلاث مرات ثم قدم لإيبان رسالة مكتوبة باليد من راسك -«يجب أن أؤكد على ضرورة ألا تكون إسرائيل مسؤولة عن بدء الأعمال العدوانية... ولا نتصور أن إسرائيل سوف تأخذ مثل هذا القرار»- مؤكداً موقفه مرَّة أخرى. ثم قال: «يعرف مجلس وزرائنا سياستكم، إن ما يريدون معرفته هو ما تنوون فعله.»

لم يقدم إيبان جواباً. بل حذر فقط من التورط في مناقشات طويلة في الأمم المتحدة، واقترح تشكيل لجنة ارتباط إسرائيلية - أمريكية للإعداد لأية أعمال عدوانية وبإشارة من الرئيس. وافق ماكنمارا على بحث الأمر شريطة أن يظل سرياً للغاية. (١٠١)

عند تلك الملاحظة الملتبسة، انتهى الاجتماع الذي كان اهتمام العالم كله منصباً عليه، والذي كان يمثل ذروة الجهود لتلافي حرب عربية - إسرائيلية ثالثة. طرح إيبان، قبل خروجه، سؤالاً آخر: «ألا أكون مخطئاً إن أبلغت رئيس الوزراء أنكم تنزعون إلى بذل كل جهد ممكن لضمان بقاء المضائق والخليج مفتوحة للملاحة الحرة والبريئة؟» فأجابه جونسون: «نعم لن تكون مخطئاً» مختتماً اللقاء بمصافحة قوية مع إيبان بحيث شك إيبان بأن «يحصل على مثل هذه المصافحة ثانية». ثم تبع الرئيس ضيفه إلى القاعة ليذكرّه، مرّة أخرى، بأن «إسرائيل لن تكون وحيدة ما لم تقرر هي أن تتصرف وحدها».

هناك خلاف في تفسير فهم جونسون للحديث.فالرئيس نفسه كتب في مذكراته: «جاؤوا مفعمين بالصبر، وكذلك كنت أنا... قال ماكنمارا إنه أراد فقط إلقاء قبعته في الهواء، وقال جورج كريستيان إنه كان أفضل اجتماع من نوعه يحضره.» ولكن مصدراً آخر وصف جونسون قابعاً في كرسيه يتنهد قائلاً: «لقد فشلت.إنهم سيخوضون الحرب.» ومع ذلك ذكر شخص آخر هو جون بي روش (John P.Roche) أن جونسون

كان يتحدث مع وولت روستو بدون أي تكلف ويشربان الشراب الصحي د.بيبر (DR.Pepper) ويقلدان إيبان، «صورة مصغرة عن وينستون تشرشل». ثم سأل روستو ماذا تظن الإسرائيليين فاعلين؟ فأجاب مستشار الأمن القومي زاعماً: «سوف يضربون» ووافق LBJ على ذلك. «نعم سيضربون ولن نستطيع أن نفعل شيئاً». (١٠٢)

خرج إيبان من اللقاء مصعوقاً بـ«منطق العجز» لدى جونسون: وبصورة «الرئيس المشلول» الذي تكلم «بعبارات المهزوم» وفي حين شعر أن الأمريكيين تجاوزوا التزامهم الذي قطعوه على أنفسهم في العام ١٩٥٧ بحرية العبور، فإن عدم صدور بيان مشترك قد نسف ذلك الوعد تماماً. وقد تعززت تعابير إيبان في نيويورك في اليوم التالي عندما حذره غولد بيرغ بشأن الاعتماد كلياً على الإشارات «المشهورة» التي أبداها الأخوان روستو وغيرهما من المستشارين.كان السفير المقتنع بأن ما من دولة أخرى سوف تلتحق «بسباق الزوارق» (خطة ريجاتا) فظاً في نصيحته، إذ قال: «بما أن الأرواح سوف تزهق، وأن أمنكم مهدد، أصبح لزاماً عليك أن تخبر مجلس وزرائكم بأن بيان الرئيس يعني الحصول على قرار مشترك من الكونغرس، وأن الرئيس لا يستطيع الحصول على مثل ذلك القرار بسبب الحرب الفيتنامية».

ومع ذلك لم تثبط همة إيبان. إذ أخذ يفكر وهو في طريقه إلى المطار مع جدعون رافائيل (Gideon Rafael) أنه طالما كانت الولايات المتحدة راغبة في «إتخاذ أي إجراء أو حتى كل الإجراءات التي تقدر عليها لفتح المضائق «فمن الصعب أن تُخَيِّب إسرائيل إذا ما قامت بكل الإجراءات التي تقدر عليها». وربما يفقد الوعد قيمته عندما يحين الوقت في النهاية -وعلى إسرائيل- من وجهة نظر إيبان - أن تتصرف وحدها في الحال. (١٠٣)

يدخل كوسيغن (Kosygin).

في الوقت نفسه تقريباً الذي أقلع فيه إيبان من مطار كينيدي كان وزير الدفاع المصري قد وصل إلى الكرملين لإجراء محادثات. وكانت القضية متماثلة تماماً ولا تقل أهمية وحسماً: إنها تقتضي المواقف التي ستتخذها القوى العظمى في حالة نشوب حرب. وسعى شمس بدران، مثله في ذلك كمثل إيبان، إلى الحصول على

جواب محدد من السوفيات على هذه المسألة، ومع ذلك سيتبين أن الإجابات السوفياتية مراوغة كالإجابات الأمريكية تماماً. قال أحد المراقبين لشؤون الكرملين في وزارة الخارجية واصفاً الموقف السوفياتي على النحو الآتي: «بما أنه يبدو أن السوفيات يحددون عتبة الخطر في الشرق الأوسط على مستوى أعلى مما نحدده نحن، فإن السياسة السوفياتية تفوح بنكهة التظاهر بالرغبة في عمل شيء خطير.» أما مابدا للمراقبين الخارجيين فكان أكثر من مجرد محاولة لتغطية الانقسامات بين القيادة السوفياتية حول كيفية التعامل مع الشرق الأوسط.

وكانت تلك الصدوع بادية في إشارات الصراع الصادرة عن موسكو. ففي حين استمرت الصحافة الرسمية في كشف مؤامرات إسرائيل لاحتلال سوريا -بالتزامن مع قصف أمريكا لهانوي (Hanoi) -كان الدبلوماسيون السوفيات يؤكدون على التزامهم بتجنب العنف. وهكذا قام القائم بالأعمال السوفياتي في واشنطن، تشارنياكوف (Tcharniakov)، بطمأنة وولت روستو بأن الاتحاد السوفياتي لا يرغب في مواجهة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وأنه يحث العرب على كبح الجماح وقال ميخائيل فرولوف (Mikhail Frolov) الملحق التجاري السوفياتي في تل أبيب إلى نظيره الأمريكي: «إننا نستطيع أن نمنع مصر من إطلاق النار، فهل تستطيعون منع إسرائيل من تسيير سفينة عبر مضائق تيران؟» وقال السفير أناتولي دوبرينين (Anatoly Dobrynin) لدى عودته إلى وطنه إلى موسكو من واشنطن، في إجازة، إلى السفير الأمريكي، ليولين تومبسون (Llewellyn Thom-nin) : «أعتقد أن بإمكاننا منافستكم في بذل قصارى جهودنا لتلافي الحرب.» وأقسم نيكولاي تروفيموتش فيديرينكو (Nikolai Trofimovich Federenko) سفير الاتحاد السوفياتي إلى الأمم المتحدة، إلى غولد بيرغ (Goldberg) بأن «الاتحاد السوفياتي هو آخر بلد على الكرة الأرضية يرغب في إثارة حرب في الشرق الأوسط.». (١٠٤)

ومع ذلك، لم يحذر الاتحاد السوفياتي عملياً مصر وسوريا من مغبة الحرب، وفي الوقت نفسه ظهرت مقالات في البرافدا (Pravda) وغيرها من الصحف التي تسيطر عليها الدولة، تحثها على المضي قدماً. كتب تومبسون يقول: «لم ترافق هذه

البيانات بتحذيرات خاصة ونصائح بكبح الجماح، فإن القادة العرب سيفهمون هذه البيانات بأنها تسويغ ودعم للمسار الذي هم عليه. «واختتم قوله بأن السوفيات كانوا راضين عن ترك أمريكا تتعامل مع الأزمة وحدها الأمر الذي يثير غضب العرب، مطمئنين إلى أنهم سيخرجون (السوفيات) منتصرين مهما كانت النتائج.» حتى ولو هزم الإسرائيليون جيرانهم العرب، فإن السوفيات يرون أن ذلك سيولد كراهية في نفوس العرب للغرب الأمر الذي يمكّنهم من إعادة توطيد مركزهم في العالم العربي». (١٠٥)

بدت الأزمة، في الواقع، تلعب بخفة ومهارة في أيدي الكرملين حتى ٢٢ مايو وإعلان ناصر الحصار. لم يتلق السوفيات إنذاراً مسبقاً بهذه الخطوة، وتجنبوا امتداحها. إن التشكيك بحق دولة أخرى في الملاحة الحرة يعد مشكلة عند الروس الذين مازالوا منذ قرون يناضلون للحصول على حرية المرور عبر مضيق الدردنيل، إضافة إلى أنهم من الموقعين على اتفاقية جنيف للعام ١٩٥٨ حول المضائق الدولية. ولكن طالما أن الإغلاق لم يطلق شرارة الفرح في موسكو -«فإنه لم يكن مسموحاً البدء في حرب ببساطة، لأن بضعة سفن لن تكون قادرة على الإبحار من العقبة إلى السويس»، كم قال أحد العلماء السوفيات- ولا يمكن أن يدان عبد الناصر. والجواب الوحيد عند السوفيات هو دعم العرب بالمعنى العام دون الدخول بالتفاصيل. لذلك مَيَّز تشوفاخين (Chuvakhin) في محادثاته مع القادة الإسرائيليين، بين «مبدأ» حرية العبور، وبين سيادة مصر التي لا يطعن فيها على مضائق تيران. وهكذا حذرت البرافدا قائلة: «إذا ما حاول أحدهم الاعتداء في الشرق الأدنى فإنه لن يواجه قوة البلدان العربية الموحّدة فحسب، بل سيواجه أيضاً قوة المعارضة من الاتحاد السوفياتي والشعوب المحبة للسلام».

إن غموض التهديد ترك الباب مفتوحاً للتأويل. فهل يعني أن الاتحاد السوفياتي سيساعد مصر إذا ما هوجمت، كما فهم الكثيرون من العرب؟ أم أنه، كما اعتقد الأمريكيون، دليل على عزوف السوفيات عن الالتزام بأي عمل معين وابتعادهم عن ناصر؟. (١٠٦)

هذه هي الأسئلة التي سعى بدران وحاشيته المؤلفة من عشرة أشخاص الحصول على إجابات عنها، كان مضيفهم الأساسي كوسيغن، رئيس الوزراء البالغ من العمر ٦٣ سنة، وتكنوقراطي لينيغرادي سابق رُفّع بعد الإطاحة بخروتشيف (khrushchev) إلى موقع يأتي في المرتبة الثانية بعد بريجنيف (Brechnev). كان كوسيغين الذي يصفه زملاؤه بأنه عالي الذكاء وزعيم لا لون له، يحتكم دائماً إلى الحكمة، ولم يقتنع في يوم من الأيام بقيمة العرب الحقيقية كحلفاء.

ولم يكن متأكداً من أن الأمريكيين سيراقبون الأحداث بسلبية إذا ما هوجمت إسرائيل. وبما أن قواتهم التقليدية مقيّدة في فيتنام فإن رد الولايات المتحدة على التهديد في الشرق الأوسط ربما يكون بما تبقى لديها من وسائل - وهي الأسلحة النووية.

حذر رئيس الوزراء السوفياتي بدران، بعد أن نحى جانباً ادعاءه بأن الجيش المصري جاهز وقادر على هزيمة إسرائيل، من تدخل بريطاني وأمريكي في المضائق ونصح ضيفه بالتوصل إلى تسوية. إذ افتتح كلامه قائلاً: «إننا سندعمكم، ولكنكم قد حددتم هدفكم وحققتم نصراً سياسياً. فمن الأفضل الجلوس إلى مائدة المفاوضات بدلاً من أن تخوضوا حرباً بالسيف.» ووافق على تلبية طلبات مصر الحالية من السلاح، ولكن بعد ثلاثة أشهر، ومن ثم «يدرس» طلبات إضافية. أما الأسلحة إلى منظمة التحرير الفلسطينية فهي خارج الموضوع. فقد قال كوسيغن لضيفه: «نحن لا نريد أي جزء من منظمة التحرير الفلسطينية أو جيشها. أنتم أحرار في أن تقدموا لهم ما تشاؤون، ولكن فكروا ملياً فيما تفعلونه كيلا يجروكم إلى الحرب». (١٠٧)

لقد انعكس خط كوسيغن المتمثل في مقولة «زغ عندما تكون في المقدمة». في موقف وزير الخارجية وأليكسي شيبورين (Alexei Shiborin) رئيس دائرة الشرق الأوسط، ومعاون وزير الخارجية سيميونوف(Semyonov). قال للمصريين في لقاء دام ليلة كاملة في منتجع سيميونوف الصيفي إن «الاتحاد السوفياتي ليس جاهزاً ولا راغباً في الدخول في أية مواجهات. فقد عانوا بما فيه الكفاية في الحرب العالمية الثانية... وأنه آن الأوان كي تخفف مصر حدة التوتر».



بيد أن تباينا ًحاداً اظهر بين الموقف الذي يدعمه كوسيغن والدبلوماسيون والموقف الذي عرضه الجنرالات اتباع بريجنيف، مثل وزير الدفاع غريشكو (Grechko) المتمرس في معارك الحرب العالمية الثانية في القوقاس (Caucasus) الذي كان يرى في الشرق الأوسط مصلحة استراتيجية عليا للسوفيات.

لقد أبدى إعجابه بجاهزية مصر العسكرية التي شلت الغرب، حسب ادعائه. وعلى الرغم من أنه أحجم عن نصيحة مصر ببدء الحرب، حتى وإن هوجمت. وصف غريشكو بيان صحيفة البرافدا بأنه مجرد بيان من عدة بيانات تعزز دعم موسكو لعبد الناصر وقضيته، قائلاً: «ما من شك أبداً في التزام الاتحاد السوفياتي بتقديم العون السياسي والمادي إلى العرب... حتى ودعمهم روحياً».

تركت ملاحظات غريشكو انطباعاً مذهلاً عند بدران الذي لم يتول قيادة زمرة، رغم أنه برتبة لواء. حقق بدران الصغير نسبياً، إذ كان عمره حينذاك ٣٨ عاماً، ذو الوجه المدوَّر الخالي من علائم المهابة، نحيل الجسم، طويل ضامر، ذو سلطة واسعة فقط من خلال خدمته للمشير عامر مؤكداً سيطرته على الجيش. كان بدران مصمماً على أن ينتزع من السوفيات ما يريد سماعه المشير، وهو صياغة مكررة للوعد الذي سعى إيبان للحصول عليه من الولايات المتحدة «أي إن الحرب ضد مصر تعني حرباً ضد الاتحاد السوفياتي». فكانت عبارات غريشكو قريبة من هذه المعادلة، وكان بدران ميالاً إلى استيعابها متجاهلاً كلام كوسيغن. قال بدران بعد عقد من الزمن متذكراً: كانت الرحلة من وجهة نظر عسكرية فاشلة، أما سياسياً فقد حققت الأثر الإعلامي الدعائي المطلوب. «أبرق نائب وزير الخارجية المصري، الفقي (al-Feki) والسفير غالب (Ghaleb) الحذران من مثل هذا النجاح على وجه الدقة، نسخة من بروتوكول المباحثات مباشرة إلى ناصر وكانت الرسالة ستصل في ١٣ يونيو، أي في وقت متأخر لا يكون فيه لها أي أثر». (١٠٨)



كان بدران ما زال في موسكو عندما وصلت برقية في الساعات الأولى من ٢٧ما يو من واشنطن تتضمن إنذاراً بهجوم عربي وشيك. كانت هذه الرسالة، في نظر كوسيغن، تأكيداً لما أعلنه بدران من أن مصر كانت تُعِدُّ للضربة الأولى. ومما صدمه أكثر معرفته بأن الإسرائيليين علموا بخطط مصر وأنهم ينوون، بلا شك، القيام بضربة استباقية. فسارع رئيس الوزراء السوفياتي إلى تطيير برقيات إلى جونسون وويلسون يحذرهم من أن «إسرائيل منهمكة بنشاط في إعدادات عسكرية تهدف بوضوح إلى القيام بعدوان على البلدان العربية المجاورة». وزعم أن مثل هذا الهجوم لا يمكن أن يُشن بدون دعم أنكلو أمريكي «فلا يختلف اثنان في ذلك»، وهدد أن يتدخل لوقفه.

وقال في هذه البرقيات: «إذا ما اقترفت إسرائيل عدواناً وبدأت عملاً عسكرياً فإننا سنقدم العون إلى البلدان التي ستكون ضحية العدوان». أما أكثر الكلمات حدة فقد احتفظ بها كوسيغن لإشكول، إذ قال: «من السهل إشعال نار ولكن إطفاء الحريق لن يكون أبداً سهلاً كما يتصور اولئك الذين يدفعون إسرائيل إلى حافة الحرب». (١٠٩)

لم يكتف كوسيغن بالرسائل المكتوبة، بل أصدر تعليماته إلى سفيريه في القاهرة وتل أبيب للاتصال بقادة البلدين ويوقظهما من نومهما إذ لزم الأمر ويحذرهما من خطر الحرب.

وهكذا اندفع تشوفاخين (Chuvakhin) في الساعة ٢,١٥ صبيحة يوم السبت إلى فندق دان (Dan) في تل أبيب حيث كان إشكول يقضي ليلته، وأقنع الحراس بضرورة إزعاجه. وقرأ رسالة كوسيغن بصوت مرتفع وطلب أن يعرف فيما إذا كانت إسرائيل تنوي إطلاق الرصاصة الأولى. فأجابه إشكول ومازال يرتدي بيجامته قائلاً: «المصريون، ياسيدي، قد أطلقوا الرصاصة الأولى في هذه الحرب». وسكب للسفير بعض عصير البرتقال الدافئ مما تبقى من الاجتماع السابق في كوب



الحمَّام. ثم قال مازحاً: «على الرغم من أننا لسنا بلداً متقدماً ذا حقوق تاريخية كسوريا، ألا يصغي مبعوث سام إلى وجهة نظرنا؟ ألا أدعى إلى موسكو؟» ولكن السفير ظل يطرح الأسئلة حول خطط إسرائيل وظل إشكول يتحاشى الإجابة. ورشقه بسؤال ممهداً له بقوله: «من المقبول في العالم أنه عندما يقدم السفراء أوراق اعتمادهم إلى الرئيس فإنهم يلزمون أنفسهم بحفظ السلام - فكيف حافظت على وعدك؟ والآن لم تطلق الرصاصة الأولى فحسب، بل قذائف وألغام في كل مكان». فاقترح السفير أنه مازال بالإمكان التوصل إلى حل سلمي، فانفجر إشكول لدى سماعه هذا الاقتراح، قائلاً: «من فضلك... من فضلك!! أعطنا قشة نتعلق بها. طريقة واحدة. اقتراحاً واحداً، قل لي. طالما هناك سلام وهدوء». (١١٠)

غادر تشوفاخين فندق دان الساعة الرابعة صباحاً مرتبكاً ومقتنعاً بأن مهمته لم تحقق شيئاً. ولا يمكن أن يقول ديمتري بوجيدابيف (Dmitri Pojidaev) الشيء نفسه في القاهرة، على أية حال، عندما طرق باب عبد الناصر في تلك الليلة ذاتها.

غروب في الفجر

قرأ بوجيدابيف، السفير السوفياتي في القاهرة، رسالة كوسيغن إلى عبد الناصر، مضيفاً أن رسالة أشد لهجة من هذه قد أرسلت إلى إشكول، وجاء نص الرسالة على النحو التالي: «قبل ساعة أخبرني الرئيس جونسون ان القوات المصرية تُعدُّ لهجوم على مواقع إسرائيلية، وأن ذلك الهجوم على وشك الوقوع. فإن حدث مثل هذا فإن الولايات المتحدة ستعتبر نفسها متحررة من التزاماتها للاتحاد السوفياتي بممارسة الكبح». وكان رد عبد الناصر متماسكاً هادئاً: «لا بد للجميع أن يعرفوا أن مصر لا تريد الحرب وأنها لا تسير في ذلك الاتجاه، بل ستدافع عن نفسها إن هوجمت».

ولكن الذي أدركه عبد الناصر، ولم يدركه السفير السوفياتي، هو أن عملية «الفجر» قد اعدت لتنطلق في غضون ساعات عند شروق الشمس.



إذ صدرت الأوامر النهائية إلى العناصر المشمولة فيها -أسراب الطائرات، والقوات البحرية، والقوات البرية- التي كانت كما يبدو جاهزة للبدء في الهجوم على إسرائيل.وكان عامر يتفاخر بالطلعات الجوية فوق ديمونة، وكيف أنها بفضل آلات تصوير محمولة باليد، أوقعت طائرات الميغ إسرائيل في هلع. ومما لا شك فيه أن الصهيونيين سيهربون من أول طلقة.

فهل اشترك عبد الناصر في هذه المفاخرة أم لا، لم يكن معروفاً، بيد أن مزاجه تعكر جداً وبسرعة هائلة لدى تسلمه رسالة كوسيغن. إذ تبين له أن زبدة الرسالة ليس احتمال إخفاق السوفيات في مساعدة مصر، ولا حتى تدخل الأمريكيين، بل إنها كانت دليلاً على أن إسرائيل قد حصلت على الأسرار المصرية وأفسدتها. (١١١)

هرع عبد الناصر إلى مقر القيادة العليا ودعا إلى اجتماع طارئ مع عامر. وأخبره الرئيس بانكشاف خطة ((الفجر)) وأنه لا بد من إلغائها على الفور.

عارض عامر ذلك متذرعاً بقوله: «تخسر مصر بالانتظار الحرب قبل أن تبدأ». ولكن ناصر، حاول، بما يرقى إلى إصدار الأمر، أن يبين له سبب تغيير رأيه بشأن توجيه الضربة الأولى، وكيف أنه خير لمصر أن تحجم. «وتساءل أي عمل نقوم به الآن لا يعطي جونسون وإسرائيل فرصة أخرى يتطلعان إليها ويبحثان عنها؟».

وعلى الرغم من أن العالم يعتبر الحشد الإسرائيلي مجرد روتين فإنه ينظر إلى المصريين كمعتدين، خصوصاً بعد اتخاذ القرارات المتعلقة بقوات الطوارئ الدولية وتيران. وقال عبد الناصر: «ستجد بلدان عديدة أن إصدار جونسون أمره للأسطول السادس للبدء بعمليات ضدنا أمراً عادلاً. إذا ما كانت مصر البادئة بالهجوم». وعلى الرغم من اعتقاده بأن الحرب مازالت محتملة، لكنه كان يرى أيضاً أن بالإمكان التوصل إلى حل سلمي، ربما من خلال مهام يوثانت وصلاحياته.

يعود تغيير عبد الناصر المفاجئ لرأيه بشأن عملية «الفجر» إلى اعتبارات أمنية منطلقة من خوفه من تدخل الأمريكيين في وقت لم يعرف فيه بعد موقف الاتحاد السوفياتي، ومن حساسيته تجاه الرأي العام العالمي. ولكن يكمن خلف هذه الاعتبارات العلاقة البيزنطية القائمة بينه وبين مشيره عامر، والتي بموجبها يستطيع عامر تأخير تنفيذ طلب ناصر بقوله: «سأفكر في الأمر».

وقد فعل ذلك، لدى عودته إلى مقر قيادته الخاص في بيته، حيث أبرق إلى بدران في موسكو يقول: «يا شمس، يبدو أن هناك تسربا للمعلومات» ثم أبرق إلى صدقي محمود يسأله: متى تستطيع تطبيق خطة إيلات؟.

كان قائد سلاح الجو المصري، البالغ من العمر ٤٣ عاماً، تواقاً لتلقي إشارة الهجوم.

لأنه كان يعتقد أن إسرائيل لن تسمح بإغلاق مينائها الجنوبي ولذلك لابد أن توجه الضربة الأولى ما لم تقم بها مصر أولاً. فأجاب الآن بحماس: «سنكون جاهزين في غضون ساعة على الأكثر».

صدرت الأوامر على الفور، وصعد الطيارون على طائراتهم بانتظار إشارة الانطلاق. ولكن بعد ٤٥ دقيقة، تلقى صدقي برقية أخرى تقول: «ألغ الخطة» أصيب القائد باليأس: «ليست تلك هي النقطة». ثم تحدث عن ضغط سوفياتي. لقد جلب ذلك بعض العزاء لصدقي محمود، فقال: «عندما تحدثت إلى الطيارين ظننت أنهم سيقفزون سعادة. فهم يريدون أن يفعلوا شيئاً».

لقد مات الهجوم المصري تقريباً، إذ ضرب بالصدفة بتدخل حصل قبل ساعة الذروة. وجاءت الرصاصة القاتلة فيما بعد ذلك الصباح بأسر خمسة ضباط مصريين، اعتقد الجميع بأنهم مساهمون في الخطة، كانوا قد تعثروا على الحدود الإسرائيلية. ثم وردت تقارير من سيناء تقول إن قوة من (٥٠٠) عربة إسرائيلية شوهدت تعبر إيلات متجهة نحو الغرب. ويبدو أن هدفها كان الصحراء المقابلة لقلعة الكونتيلا المصرية - وبصورة محددة إلى حيث اخترق جيش الدفاع الإسرائيلي



الجبهة المصرية في العام ١٩٥٦. فأمر عامر بإرسال تعزيزات على وجه السرعة لمواجهة هذا التهديد الإسرائيلي. وعندما حل المساء، انطلقت مدرعات الجنرال شاذلي من رفح في رحلتها المضنية إلى الكونتيلا دافنة في غبارها ما تبقى من عملية «الفجر». (١١٢)

وقف تنفيذ مؤقت

انسحب الشاذلي، وحط أبا إيبان في المطار، ليلاً كذلك، ونقل على وجه السرعة من المطار إلى الاجتماع الطارئ لمجلس الوزراء. كان المزاج هناك نكداً متفجراً. فكثير من الوزراء لم يصدق التقارير المتفائلة التي أرسلها إيبان حول محادثاته في لندن وباريس وواشنطن. ونشرت صحيفة دافار اليومية عنوانا رئيسيا مفاده أن «الولايات المتحدة لم تقترح عملاً فعّالاً لفتح المضائق» من الملاحظ أنه لم يرسل أي محضر للمباحثات المصيرية التي جرت في البيت الأبيض. أصر إيبان على عرض محتوياته بنفسه شخصياً.

وهكذا بحث المسؤولون الإسرائيليون، الذين حجبت عنهم المعلومات، عن أية معلومة تلقاها والي باربر (Wally Barbar) من وزارة الخارجية. حث السفير الأمريكي، المذعور من يأس الاسرائيليين، واشنطن على تلبية طلب إسرائيل بتشكيل لجنة ارتباط عسكرية، على الأقل لتبعد الضغط باتجاه الحرب، قائلاً: «يمكن أن يقدر إيبان على تقديم صوت العقل لدى وصوله، ولكني مقتنع أن وضع حكومة إسرائيل متوازن بصعوبة الأمر الذي يجعل مثل هذه الممارسة الإضافية جديرة بالاهتمام». ولكن لجنة الارتباط لم تصل، إنما الذي وصل هو إيبان فقط الذي يواجه الآن ثمانية عشر وزيراً في «أطول ليلة» كما قال الكولونيل ليور (Lior).

انعقد الاجتماع على خلفية مظلمة من تهديدات الحزب القومي الديني بالخروج من الحكومة إن هي صوتت لصالح الحرب، وتحذيرات الجيش من وقوع كارثة إن لم تصوت لصالح الحرب، وفي الشارع، خارج مكتب إشكول، كانت أمهات الجنود



المستفرين وزوجاتهم يتظاهرن لصالح تعيين دايان Dayan وزيراً للدفاع. وكان خطاب ناصر في اتحادات العمال قد نشر في إسرائيل على نطاق واسع، بالإضافة إلى افتتاحية هيكل التي رحب فيها بالحرب. ودوّى راديو القاهرة في ذلك اليوم قائلاً: «إننا نتحداك يا إشكول، أن تجرب كل أسلحتك. اختبرها، وسوف تجد أنها تجلب الموت والفناء لإسرائيل». وكانت المدرعات والقوات العراقية التابعة للوائين الأول والثامن في طريقها إلى دمشق، في حين كانت جيوش الأردن ولبنان وحتى الكويت البعيدة على أهبة الاستعداد للقتال. (١١٣)

بدأ الاجتماع بإيجازات قدمها ياريف ووايزمن حول حال الاستعدادات العربية للحرب ومخاطر الهجوم الوشيك. وكشف رابين عن قلقه من تدهور معنويات الجيش ومن احتمال أن تشرع الولايات المتحدة قريباً في استرضاء ناصر وتهدئته. وكان يقول: «الأنشوطة تضيق حول أعناقنا»، عندما دخل إيبان متعباً من السفر ولم يحلق لحيته بعد.

بدأ إيبان بالبرقيات التي أرسلت إليه في واشنطن وأدانها بوصفها «خدعة رخيصة» صممت لتبرير هجوم إسرائيلي، وإرباك جونسون. ومع ذلك لم يطل الحديث في هذا الموضوع، إذ تحول بسرعة على الخطة الأمريكية.

وصف مراحلها -إجراءات الأمم المتحدة، إعلان دول بحرية، ثم إرسال القافلة، والفوائد التي تجنيها إسرائيل بفضل الانخراط في المبادرة الدولية. كان جونسون «حازماً كالصخرة» بشأن حق حرية المرور، وأنه سيؤمنها بالأسطول السادس إن لزم الأمر، ولكنه لن يؤيد ضربة استباقية». فإذا ما هاجمت إسرائيل أولاً. قال إيبان محذراً «فإن ذلك سيكون على مسؤوليتها وحدها».

تبع حديثه نقاش صاخب، جرى خلاله فحص محضر إيبان جونسون بنظرة تلمودية. قال أحد الوزراء: «نصيحة إسرائيل بألاّ تتصرف وحدها ليست كإصدار أوامر لإسرائيل ألا تتصرف أبداً». في حين أشار آخر إلى خلو النص



من تهديدات بفرض عقوبات كما حصل في العام ١٩٥٦. فهل يمكن أن تكون واشنطن تلمّح عن عجزها في مساعدة إسرائيل في دفاعها عن نفسها بدون حرمانها علنا من ذلك الحق؟

حذّر إيبان من المبالغة في التعمق في كلمات جونسون. لم يذكر تحذير غولد بيرغ له بأن وعد الرئيس كان مشروطاً بما سيتم في كابيتول هيل (Capitol Hill)، مع أن القافلة ستكون جاهزة للانطلاق في غضون «أسابيع قليلة». وليست هذه الفترة طويلة، إذ يمكن الانتظار خلالها، إذا ظل الجيش مستنفراً، وظلت إسرائيل مركزة اهتمامها على القضايا الجوهرية، أكثر من تركيزها على هيبتها. وقال: «لا يوجد هناك أرامل وأيتام بسبب الهيبة».

وقال إيغال ألون (Yigal Allon)، وزير العمل، الذي كان في زيارة دولة إلى الاتحاد السوفياتي، المعارضة ضد إيبان. بذل في موسكو قصارى جهده لإقناع المسؤولين في الكرملين بصدق إسرائيل فيما يتعلق بضبط النفس، ولكن، لدى عودته إلى تل أبيب، طرح سؤالاً: «هل من أحد يجلس على هذه المائدة يعتقد حقاً بأن علينا ترك العدو يقوم بالضربة الأولى لمجرد إقناع العالم بأنهم هم الذين بدؤوا الحرب؟».

وتنبأ ألون بتجديد سوريا لعمليات الأرهاب لأن يدي إسرائيل مقيدة الآن، وتنبأ بأن مصر سوف تضرب ديمونة في اللحظة التي تتحدى فيها أمريكا الحصار. وسوف يُصوّر عبد الناصر نفسه البطل الذي أنقذ الشرق الأوسط من الأسلحة النووية. «وأكد ألون أن إسرائيل لا تسعى لمكاسب إقليمية، بل للمقايضة على حرية المرور، ولكسرعظام العدو».

وعبر عن ثقته الكاملة بمقدرة جيش الدفاع الإسرائيلي على هزيمة المصريين «سينزل مستوطنو الجليل إلى الملاجئ، ومن ثم نتدبر السوريين».وسوف تفوز إسرائيل باحترام العالم عندما تفعل ذلك.



أبدى عدد من الوزراء إثر بعضهم بعضاً موقف ألون. أم حاييم غيفعاتي (Haim Givati) المسؤول عن الزراعة فقد حذر من تحول إسرائيل إلى محميمة أمريكية، ومن الضرر الذي سيلحق بمعنويات الأمة.

وتحدث زفي دينشتاين (Zvi Dinstein) وإسرائيل جاليلي (Israel Galili) عن عامل ثوب الامبراطور الجديد «كشف ناصر عدم رغبة إسرائيل في القتال -وعن سقوط الأردن المحتمل. وأكد موشي كارمل (Moshe Carmel) أن «إنقاذ إسرائيل يتم فقط بتدمير قوة مصر. وكل من يقول إننا لا نستطيع العيش هنا» كما أن الجنرالان رابين ووايزمن قد ألقيا بثقلهما مع ألون. واحتج وايزمان على اتهام جيش الدفاع الاسرائيلي بالافتقار إلى الإيمان، واعتبر ذلك إهانة شخصية، وتبجج قائلاً: «سنهزم العرب لأننا ببساطة، أفضل منهم» أما رابين فكان مكبوتاً أكثر، عندما قال: «إذا ما ظنت دولة إسرائيل أن وجودها معلق على التزام أمريكي، ولا يعتمد على قوتها الذاتية- فإنه ليس لدي ما أقوله».

ومع ذلك، كان يهب بعد كل معارض، من يؤيد إيبان. فكان هناك حايم موشي شابيرا الذي صرح في الماضي: «إنني أثق بالوعود الأمريكية أكثر من ثقتي بمقدرة جيش الدفاع الإسرائيلي على تحطيم الجيش المصري». كما عبر أران (Aran) وارها فتنغ (Warha fting) عن إيمانه بـ (LBJ)، وأبدى إسرائيل بارزيلاي (yisrael Bar-zilai) من الجناح اليساري في حزب مابام (Mapam) قلقة من أن الدعم الأمريكي لإسرائيل أقل من الدعم السوفياتي للعرب. في حين حَذَّر موشي كول (Mosh kol) وزير السياحة من مخاطر استبعاد واشنطن، وعبر وزير المالية بنحاس سابير (Pinchas Sapir) عن شكه، بصورة غير متوقعة، بمقدرة إسرائيل على تحمل الإصابات فيها كما يتحمل العرب. وأختتم كلامه بقوله: «من الصعب خلق دولة ولكن من السهل فقدانها».

وقع ليفي إشكول بين فكي هذين المعسكرين، وتنازعته أراؤهما ثانية. راجع رئيس الوزراء منافع ومساؤى الموقف -خسارة إسرائيل لقوة الردع مقابل فترة من الزمن للحصول فيها على مزيد من السلاح والمال: عزوفه عن الثقة بجونسون لمعارضته



حاجة إسرائيل لإظهار نفسها بمظهر الفتيان الطيبين» وكان يعلم أن الخطة الأمريكية لم تقدم أي حل للتهديد المصري او للإرهاب الفلسطيني، وأنها قيدت كثيراً مقدرة إسرائيل على المناورة. ومع ذلك كان مشهد تحدي القوة العالمية الأعظم المتعاطفة الوحيدة مع إسرائيل، يبدو مروّعاً.

كانت هذه الانقسامات في أفكار إشكول تعكس الانقسامات الحاصلة في مجلس الوزراء. وكما قال رابين: «دعا إشكول المرهق الواهن» إلى استراحة في الساعة الرابعة صباحاً ليمنح الوزراء بضعة ساعات ينامون فيها قبل أن يبدؤوا الاقتراع. وحثهم قائلاً: «يجب أن نقرر بأيدي من سنضع هذا الجيل، في يد القدر، أم في يد أمريكا، أم في يد تشوفاخين». انفض الاجتماع، في حين وردت خلال الساعات القليلة التالية برقيتان بالغتا السرية من واشنطن.

البرقية الأولى عزّزت مصداقية إيبان في تأكيده المتكرر بأن جونسون يدعم خطة «سباق الزوارق» وأنه راغب في متابعة «أية إجراءات، بل كل الإجراءات التي يقدر عليها لإعادة فتح المضائق. وورد من راسك ملحق يشير إلى أن كندا والأرض المنخفضة كانتا ميالتين للانضمام إلى العملية».

أما البرقية الثانية التي سلمها باربر باليد، فكانت تتضمن رد فعل الرئيس على تأكيد موسكو بأن إسرائيل، وليست مصر، هي التي تعد لتوجيه ضربة.

وكان رده على النحو التالي: «من الضروري ألا تقوم إسرائيل بأي عمل عسكري استباقي فتجعل بذلك نفسها مسؤولة عن البدء بالعدوان، وحذر من احتمال تدخل سوفياتي مباشر. «وأن أي عمل استباقي تقوم به إسرائيل سيجعل من المستحيل أن يقف أصدقاء إسرائيل إلى جانبكم».

أسهمت المراسلات هذه بإمالة الميزان في مجلس الوزراء عندما التأم ثانية مبكراً بعد ظهر يوم الأحد. فبدلاً من أن يسفر الاقتراع عن أكثرية ضئيلة لصالح الحرب، فإن الاقتراع غير الرسمي كشف عن طريق مسدود.



إذ صوت تسعة وزراء من حزبي NRP و Mapam على الأغلب، مع عضو من الحزب الليبرالي المستقل، وعضوين من المباي (Mapai) ضد القيام بضربة استباقية، وتسعة وزراء بمن فيهم رئيس الوزراء دعموا الضربة الاستباقية، فنصح جميع الحاضرين، ما عدا كارمل، بمتابعة المحادثات مع الأمريكيين.

أنهت الحكومة دورتها باتخاذ قرار بالانتظار لمدة ثلاثة أسابيع لإتاحة الفرصة للولايات المتحدة بأن تعمل على تنفيذ وعدها، وللإفادة من الوقت لكسب تعاطف دولي مع إسرائيل، وجمع مزيد من المال، وشراء أسلحة: وفي غضون ذلك لا يقدم أي طلب بإعادة بناء قوات الطوارئ الدولية، ولا تقوم إسرائيل بإعادة دراسة إحياء الهدنة حتى يعود الوضع القائم في سيناء إلى ما كان عليه وتوقف مصر جميع أنواع الحصار. وينبغي إصدار بلاغ رسمي يؤكد أن إسرائيل تنظر إلى إغلاق المضائق بوصفه عملاً عدوانياً، وسوف تدافع إسرائيل عن نفسها ضده، في الوقت المناسب، في ممارسة لحقها في الدفاع عن النفس كبقية دول العالم».

أما رابين فقد أحبط بمرارة. وعبر عن ذلك بقوله: «أنا متأكد أننا سنجد أنفسنا بعد ثلاثة أسابيع نواجه المشكلة ذاتها، بل تحت ظروف أقسى. يواجه جيش الدفاع الإسرائيلي الآن أكبر تحد: البقاء مستنفراً بدون عمل». كذلك ألون كان يعتقد أن إسرائيل قد فوَّتت الفرصة عسكرياً وسياسيا». بيد أن نصف مجلس الوزراء كان يرى غير ذلك. ويبدو أن زالمان أران قد تحدث باسم هذا النصف عندما قال: «لم أكن متأكداً من أن الدبلوماسية ستمنع حرباً ليس لدي أية أوهام. ولكن إن كانت هناك فرصة واحدة فعلينا أن نجدها. لن تهرب الحرب والنشاط الدبلوماسي مستمر. وليس عبد الناصر هو الشخص الوحيد الذي يستطيع استثمار الوقت». (١١٤)

لقد تم تلافي الحرب في أضيق الهوامش - فإن حرباً، سواء بدأتها مصر أم إسرائيل في تلك المرحلة سوف تغير جذريا تاريخ منطقة الشرق الأوسط التالي لها. لقد بدا أن الأزمة قد بلغت ذروتها بقرار عبد الناصر ألا يبدأ الضربة الأولى، وباتباع إسرائيل له على الفور. إذ التزم الطرفان، بدرجات مختلفة، باستكشاف الحلول غير العنيفة.



وجاءت الخطوة الأولى في اتجاه حل كهذا بتقرير يوتانت في ٢٧ مايو بعد طول انتظار. وعلى الرغم من أن أكثر من نصف تقريره كان مكرساً لتسويغ تصرفه بشأن قوات الطوارئ الدولية (كان لدي أسباب وجيهة لأقتنع بأن الجمهورية العربية المتحدة كانت جادة في طلبها سحب القوات ومصممة على ذلك. «كما تضمن التقرير تأكيداً طويلاً على إحياء آلية الهدنة، فإن الأمين العام للأمم المتحدة قد وضع مفهومه لوقف الأنشطة العسكرية. إذ دعا جميع الفرقاء إلى ممارسة ضبط خاص ويمتنع عن العدوانية» وأشار إلى «خطوات محتملة.. لتخفيف حدة التوتر» وعنى بها تعيين وسيط للأمم المتحدة. قرر إشكول في إسرائيل تسريح ٤٠,٠٠٠ عسكري احتياط. وقال عبد الناصر إن لديه الآن «فرصة للتنفس» تمتد أسبوعين على الأقل يستطيع خلالها دراسة خياراته. (١١٥)

بيد أن الانطباع بوجود تخفيف للتوتر كان خادعاً. تجاهل قادة جيش الدفاع الإسرائيلي أوامر إشكول واستمروا في استدعاء الاحتياط، غضباً من قرار مجلس الوزراء بتأخير الضربة الاستباقية، ولعدم ثقتهم بالتزام أمريكا بمساعدة إسرائيل. شاعت في صفوف المراتب العسكرية العليا قناعة بأن الحكومة عاجزة عن معالجة حالة الطوارئ، ولا بد من إفاقتها من سباتها.

كما أن موقف رئيس الوزراء، المهزوز أصلاً، قد نسف عندما تلقى تحذيراً من واشنطن، أثناء استعداده لمخاطبة الكنيست. كانت ملاحظاته خالية من أية إشارة إلى اقتراح القافلة، ولا إلى موقف الولايات المتحدة الواضح وتصميمها القوي على إعادة فتح المضائق. حتى الطلب المتعلق بتشكيل لجنة ارتباط مع الولايات المتحدة، لم يحظ بالموافقة. (١١٦)

ومن جهة أخرى، عاد شمس بدران من موسكو منتصراً. إذ جذبه المارشال غريشكو (Grechko)، قبيل مغادرته، جانبا وقال له: «إذا دخلت أمريكا الحرب، فإننا سوف ندخلها إلى جانبكم». وقال إن الاتحاد السوفياتي قد أرسل مدمرات وغواصات إلى المياه قرب مصر، بعضها مسلح بالصواريخ وبعضها مزوّد «بأسلحة



سرية». وأردف قائلاً: «أريد أن أؤكد أنه إذا ما حصل أمر ما وكنتم بحاجتنا، أرسلوا لنا إشارة فقط. إذ سوف نسارع إلى مساعدتكم على الفور في بور سعيد وغيرها. «رغم أن هذا الإعلان كان من وجهة نظر الدبلوماسي صلاح بسيوني -مجرد تعبيرات روسية عادية صدرت أثناء احتساء الفودكا وتوديع بدران»- فقد زخرف كثيراً في راديو القاهرة عند إذاعته، ولم تفعل موسكو شيئاً لإنكاره أو التنصل منه، قال راديو القاهرة:

«إن الاتحاد السوفياتي، حكومة وجيشاً، سيقف إلى جانب العرب ويتابع دعمه وتشجيعه لهم بالقول إننا أصدقاؤكم الأوفياء، وسنظل كذلك. وسوف نتابع، نحن القوات المسلحة مساعدتكم لأن هذه هي سياسة الشعب السوفياتي وحزبه. باسم وزارة الدفاع وباسم الشعب السوفياتي نتمنى لكم النجاح والنصر ضد الصهونية الامبريالية. نحن معكم ونرغب في مساعدتكم في كل لحظة».

كان بدران، الذي أخَّر أعضاء وفد آخر عن تقديم تقرير حول حث كوسيغن للمصريين بالتزام الحذر، مقتنعاً أن مصر الآن لن تهزم. وقال متفاخراً إلى العديد من وزراء الحكومة: «إذا ما تدخل الأسطول السادس في صراعنا مع إسرائيل، فإن قاذفاتنا وزوارقنا. الصاروخية سوف تدمر أكبر ناقلاته. لدينا القوة لتحويله إلى علب سردين» وجاءت تأكديات لهذه التقديرات من الرئيس السوري، الأتاسي، الذي كان قد عاد من توه من زيارة خاصة إلى موسكو. وعلى الرغم من طلب السوفيات له بأن يمارس ضبط النفس، وأن يوقف غارات فتح في إسرائيل، فقد صرح بأن «الاتحاد السوفياتي وعد بالوقوف حازماً ضد أي عدوان إسرائيلي يتعرض له العرب».

لم يكن عبد الناصر بحاجة إلى مزيد من الإغراء. وقال سراً لزملائه من الضباط الأحرار:

«إن الرسالة التي وردت من كوسيغن تفيد بدعم الاتحاد السوفياتي لنا في هذه المعركة ولن يسمح لأية قوة بالتدخل إلى أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه في العام ١٩٥٦». (١١٧)

تعززت ثقة مصر بالدعم السوفياتي بفضل الأحداث التي جرت في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. لقد تلقى فيديرينكو (Federenko) المندوب السوفياتي، الذي وصفه زملاؤه بأنه «لامع» و«خطيب حماسي»، من مواليد منشوريا،خبير بشؤون الشرق الأوسط، مولع بربطات العنق الفراشية، والغلايين، أوامر مشددة لمنع قبول أي قرار يمس مصر بأي أذى. وكان قبل ذلك قد سد الطريق على محاولات الدانمارك وكندا لإجراء مناقشات في الأمم المتحدة حول الشرق الأوسط منتهزاً تلك الفرصة ليهاجم رئيس مجلس الأمن التايواني، ليوتشي (Liu chieh).كما أجرى مقارنة سريعة بين إسرائيل والنازية.

كان أعضاء مجلس الأمن معتادين على مثل هذه الخطب النارية من فيديرينكو بيد أنهم لم يكونوا مستعدين لرفضه فكرة «إيقاف الأعمال العسكرية» التي طرحها يوتانت. قال فيديرينكو شارحاً الأمر: «لقد اصطنعت الأزمة برمتها من أجل الإساءة إلى العرب، وتبرير العدوان. إن الاتحاد السوفياتي لا يرى أسساً كافية لمثل هذا الاجتماع المتسرع لمجلس الأمن ولا إلى هذا الجو الدرامي الذي تغذيه القوى الغربية» وأبدى فيديرينكو أسباباً منطقية أخرى لرفض اقتراح فرنسا بعقد قمة رباعية للقوى الكبرى، وهو ما وافقت عليه بريطانيا والولايات المتحدة بحذر. ولدى بدء اجتماع لمجلس الأمن في ٢٨ مايو، غَيَّب فيديرينكو نفسه للتشاور. (١١٨)

ربما تهاجم فكرة تعليق الأعمال العسكرية من جهات أخرى كذلك - من إسرائيل مثلاً، الذي تراه موافقة من الأمم المتحدة على إثارة الحرب بصراحة، ومن الولايات المتحدة التي، ترفض فرض أي حظر على الشحنات المحظورة» عبر المضائق، رغم أنها تدعم إيقاف إرسال سفن إسرائيلية عبر المضائق. حتى إن المصريين أحبطوا في النهاية. إذ هرع محمد القوني بصورة هستيرية إلى مكتب يوثانت ليقول له: إن عبد الناصر لن يوافق أبداً على مرور النفط أو مواد استراتيجية أخرى عبر المضائق إلى إسرائيل حتى ولو على سفن أجنبية. وكان الأمين العام للأمم المتحدة قد انتهى من تسليم مذكرة إلى جدعون رفائيل، يطلب فيها من إشكول التأكد من «عدم عبور

أية سفينة ترفع العلم الإسرائيلي من مضائق تيران خلال الأسبوعين القادمين» ومع ذلك، عندما علم بالموقف المصري، أصدر تعليماته إلى بنش (Bunche) باسترجاع البرقية من رفائيل. ولم يقدم أي تفسير لذلك. (١١٩)

وهكذا، بدلاً من أن تمثل الأحداث التي جرت في اليوم الأخير من مايو انحسار التوتر، فإنها كانت مجرد إرجاء مؤقت للتوتر. إذ كانت الأزمة قد بدأت في واقع الأمر، وليس في ذروتها، كما سيبدو، بعد قليل، في الأردن البلد الذي انفجرت الأزمة حوله والذي نادراً ما سُمع منذ ذلك الحين.



العد التنازلي

٣١ آيار (مايو) إلى ٤ حزيران (يونيو)

كان موقف الحسين غير قابل للدفاع عنه أبداً، إذ يهاجمه الراديكاليون العرب ولا يستطيع الاستعانة بالمعتدلين منهم، وكان يواجه أزمة يبدو أن لكل طرف فيها حليف قوي يدعمه. إلا الأردن فقد وقف وحيداً، فإن نشبت الحرب، فلربما تكلفه مملكته، وتاجه، وليس بعيداً، حياته.

كان الحسين، منذ حادثة السمّوع، يسعى جاهداً لتجنُّب صدمات أخرى. وكان يتبادل سراً المعلومات الاستخبارية مع تل أبيب حول إرهابيي الضفة الغربية المشتبه بهم. وكان يأمل أن يركز غضب إسرائيل على دمشق، ومع ذلك عندما تم تداول تقارير حول غزو إسرائيلي وشيك على سورية، لم يصدقها الملك. إذ إن محطة الرادار الأردنية القوية في جبل عجلون لم تلتقط أية إشارة لأي حشد لجيش الدفاع الإسرائيلي في الشمال. ومع ذلك طلب إشكول من الأردن أن تكف عن تبجيل عبد الناصر بوصفه «الزعيم العربي الوحيد... كي يعيش بسلام مع إسرائيل» فوافق الحسين على الفور. فقد رأى أن الوضع يخرج عن السيطرة بسرعة. إذ لم تكن الضفة الغربية وحدها فقط، بل الضفة الشرقية أيضاً، تفور هائجة بامتداح عبد الناصر والدعوة إلى إزالة إسرائيل. (١)

شكى وزير الخارجية أحمد طوقان إلى السفير بيرنز (Burns) قائلاً: «تستطيع إسرائيل مهاجمة الأردن دون أن تعاقب، مُقَدّراً أن سوريا لن تنجد الأردن. «ولكن الأردن الآن يواجه خطراً محتملاً أكبر: ألا وهو قيام مصر بتوجيه الضربة



الأولى.فإذا ما صُدَّ العدوان، سيجعل عبد الناصر من الأردن كبش فداء. وربما يتمرد الفلسطينيون، وربما يتمرد الجيش كذلك ويطيحون بالحكومة ويضعون منظمة التحرير الفلسطينية مكانها. ومن ناحية أخرى، إذا ما نجحت مصر فإن قواتها ستقطع النقب وتتابع سيرها نحو عمّان. والواقع أن الحسين كان مقتنعاً بأن قصف الرمثة في ٢١ مايو كان خدعة لجر الجيش الأردني إلى الحدود السورية تاركاً الضفة الغربية مكشوفة. والخاسر في أي من الاحتمالين هو الأردن. كانت الورطة كما وصفها زيد الرفاعي أحد الموثوقين لدى الملك، مربكة للعقل: «حتى وإن لم تشارك الأردن في الحرب مباشرة... فسوف يقع اللوم عليها في خسارة الحرب، ثم يأتي دورنا بعد ذلك. وإذا ما عزلنا عن التيار الرئيسي للسياسة العربية، فسوف نكون هدفاً سهلاً». (٢)

كان تحدي الحسين هو الإبحار عبر السيلّة* المصرية والشاريبديس الإسرائيلية (وتعني العبارة أن التحدي الذي يواجه الحسين هو اختبار أحد أمرين أحلاهما مر)، بيد أن آفاق النجاح كانت ضئيلة. فقد ناشد الولايات المتحدة مراراً أو تكراراً لتصدر بياناً واضحاً يؤكد سلامة الأراضي الأردنية في حالة نشوب حرب، ولكن عبثاً. وطلب من القاهرة إحياء بنود معاهدة الدفاع المشترك للقيادة العربية الموحدة، ولكن دون جدوى. فالأمريكيون أعادوا تأكيدهم بالتزامهم باستقلال الأردن، ولكن لدى الرجوع إلى الكونغرس رفض ضمان ذلك علناً. وفي مصر، قيل للجنرال عامر خماش، رئيس هيئة الأركان الأردنية، إن القيادة العربية المشتركة قد قامت، وإن على الأردن أن يهتم بالدفاع عن نفسه وأن لا «يخلق إشكالات للآخرين. حتى السعودية والعراق اللتان تطوعتا ذات يوم لمساعدة الأردن في الدفاع عن نفسه، قد تراجعتا الآن عن هذا الموعد، وعرضتا المساعدة على سورية بدلاً من ذلك.

وكان رد الحسين الوحيد هو أن ينأى بنفسه عن الحرب بين سوريا وإسرائيل، أما إذا تورطت مصر فيها فإنه يشارك رمزياً وبصورة غير مباشرة بإرسال بضعة أفواج إلى سيناء. وفي كلا الحالتين، سوف تسعى إسرائيل للانتقام من الأردن - أو هكذا قال الملك في اجتماع طارئ ضم الوزراء وهيئة الأركان في ٢٢ مايو. ولاحظ برنز



(Burnz) أن الحسين كان مهيّأ لكسب شعبية عن طريق التظاهر بأنه سيقوم بعمل باهر، وأنه سوف يتصرف كشمشون (Samson) في الهيكل... مجازفاً بإبادة شعبية على يد الإسرائيلين بدلاً من أن يبادر بتمرد داخلي.» (٣) ارتدى الحسين فيما بعد من ذلك اليوم بزة عسكرية واستعرض لواءين مدرعين، اللواء الأربعين واللواء الستين، في شوارع عمان. وكانت غايته إظهار القوة أملاً في ألا يستخدمها. ولكنه حرم من ذلك بفضل قرار ناصر بشأن تيران.

قال الحسين: «لقد صعقت، لاتخاذ مثل هذا الإجراء الذي يفتقر إلى العقل والدراسة اللازمة، إذ سيقود إلى كارثة، لأن العرب لم يكونوا مستعدين للحرب. لم يكن هناك تنسيق، ولا تعاون، ولا خطة مشتركة فيما بينهم.» وشكا إلى دبلومسيين غربيين «أن ناصر يتصرف كالمجنون، غير مدرك للمخاطر البالغة التي ستنجم عن هذه الخطوة ويلعب بدعم سوفياتي لم يعلن عنه أبداً.» لم تمنع حدة هذه التحفظات الناطق باسمه أن يمتدح الحصار ويعد بدعم مطلق لهذا الحصار. لم يعد بالإمكان الاحتجاج على عودة شحنة من الذخيرة الحية إلى الجيش الأردني أقلتها (Uss Green Island) قبل أن تصل المضائق. إذ خشي أصحاب السفينة أن تكون المياه ملغّمة.

كان الحسين غاضباً من عبد الناصر، ويشعر بالمرارة تجاه البيت الأبيض، الذي كان يديره الصهيونيان الأخوان روستو، حسب ادعائه، ومحكوماً بخطة ريفاتا (سباق الزوارق) التي كانت بنظره خدعة لتعزيز إسرائيل. وحذر بيرنز قائلاً: «أهداف ناصر ليست حرباً عسكرية مع إسرائيل، بل هي حرب سياسية مع الولايات المتحدة.» واقترح عليه أن يرفع الرئيس الأمريكي يده ويدع إسرائيل تهاجم تيران حتى يستطيع فيما بعد التدخل كصانع سلام. وأردف قائلاً: «إنه مما يرثى له أن تضحي الولايات المتحدة بأصدقائها العرب، وتأثيرها العالمي الحر في الشرق الأوسط مقابل الحيلولة دون فرض قيود على حقوق الملاحة الإسرائيلية».



ومع ذلك، بما أن واشنطن متمسكة بما يسميه العرب الخط المؤيد لإسرائيل، وأن مصر ظلت في قبضة سوريا تتجه بسرعة نحو الحرب، لم يبق أمام الحسين خيار سوى رص الصفوف مع ناصر. وكان عليه أن يقنع العرب بأنه ليس دمية في يد الغرب، بل هو لشعبه - الذي كان الفلسطينيون يشكلون ثلثه حسب تقديراته هو، وأنه راغب في الدفاع عن وطنهم. وتنبأ بيرنز بأنه «ليس غريباً أن تتخذ الحكومة الأردنية قراراً ببعض التحركات في الأسابيع المقبلة للتقليل من تعرضه إلى الخطر، كما يرى النظام.» ورأى أنه ربما يُسمح للقوات السعودية والعراقية بدخول الأراضي الأردنية. (٤)

والواقع أن الحسين قد شرع في اتخاذ هذه الخطوات، ولم يضع الوقت. إذ أمر اللواء الأربعين ودباباته المئة بعبور نهر الأردن قرب أريحا، منتهكا بذلك القيود التي فرضتها أمريكا على انتشار قواته. ثم، أبعد وصفي التل، رئيس الديوان الملكي، عن بقعة الضوء إرضاء لعبد الناصر. وأسرَّ طوقان إلى بيرنز قائلاً: «سنراقبه كصاروخ هوك ونجلس عليه عندما يدخل في مداره». وفي هذه الأثناء، أرسل رئيس الأركان الأردني، خماش، إلى القاهرة ليجتمع بقائد القيادة العربية الموحدة، علي علي عامر للبحث في دور الأردن في النزاع القادم - ولكن عبد الناصر لم يستقبله.

حتى والحسين يستعد للحرب، أكد للأمريكيين أنه ليس لديه نوايا عدوانية تجاه إسرائيل، وطلب منهم أن يطمئنوا الإسرائيليين كذلك. ولكنه حذر واشنطن أيضاً من خطورة مواجهة المعتدلين العرب، إذا ما كان تحالف أمريكا مع إسرائيل وثيقاً جداً: «فإذا ما نجح عبد الناصر في إظهار أمريكا أنها متطابقة مع إسرائيل فلسوف تنفضح أمريكا تماماً.» كما قال في رسالة شفوية إلى جونسون، وتابع القول: «إن عبد الناصر يبذل جهوداً مضنية لتحقيق هذا الهدف وهو على وشك تحقيقه.» (٥)

لم تكن محاولات الحسين لكسب رضا عبد الناصر بدون معارضة، على أية حال. فقد حذره العديد من مستشاريه بزعامة التل من النتائج الكارثية لمثل هذا المسار، ولكنه لم يلق بالاً لنصيحتهم. كان الملك مصمماً على صنع تحالف. فلدى سماعه أن

دمشق مازالت تصفه بالخائن، أقسم لمساعديه: «أن السوريين سيجدون على الفور من هو المخلص للقضية العربية ومن هو الخائن». (٦)

وأول من سيكتشف، ليس السفير السوري إلى عمان، بل السفير المصري، عثمان نوري. ولدى استدعائه إلى بيت رئيس الوزراء «سعد جمعة» في صبيحة يوم ٢٨ مايو، صدم السفير لاكتشافه وجود الملك هناك وسماعه منه رغبته في القيام بزيارة سرية للغاية إلى القاهرة في غضون الثماني والأربعين ساعة القادمة. هرع السفير للاتصال بمرؤوسيه، وعاد بعد منتصف الليل بالجواب. كان الجواب على التالي: إذا وعد الحسين بمقاومة أية محاولة إسرائيلية لمهاجمة سوريا من خلال الأراضي الأردنية، وإذا ما سمح للقوات العراقية دخول الضفة الغربية، وإذا ما اعترفت عمان بالشقيري وبمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل للفلسطينيين، وينضم إلى العرب في مقاطعة ألمانيا الغربية، عندها يُرحِّبُ بالملك في القاهرة. كانت الشروط قاسية وثقيلة ولكن الحسين قبلها. وكان سيطير إلى مصر في فجر اليوم التالي الثلاثين من مايو.

وكان في انتظاره على الطريق المعبد بالإسفلت في المطار في ذلك اليوم طوقان وجمعة وخماش وقائد سلاح الجو الملكي اللواء صلاح الكردي. مازال الحسين مرتدياً الزي العسكري برتبة مشير، حاملاً مسدس ماغنوم (Magnum) عيار (٣٥٧). وبما أنه كان متأخراً، لم يكن لديه وقت لتوقيع إرادة ملكية بتسليم سلطاته إلى أخيه الأصغر، الحسن، قبل أن يقود طائرته من طراز كارافيل (Caravel) إلى مطار ألماظة (Al-Maza) العسكري قرب القاهرة. وكان في استقباله هناك ما لا يقل عن أربعة نواب رئيس مصريين: ورياض وزير الخارجية، والجنرال عبد المنعم رياض رئيس هيئة أركان القيادة العربية الموحدة، وأمين عام مكتب الرئيس عبد المجيد فريد. وكان على رأس هذا الوفد الكبير، عبد الناصر نفسه الذي سأل عندما أخذ يد الأردني «طالما أن زيارتك سرية، ماذا سيحدث لو اعتقلناك؟» ابتسم الملك دون أدنى انزعاج وقال: «لم يخطر ببالي قط مثل هذا الاحتمال.»



سارت الحاشية إلى قصر القبة حيث التحق بها عامر. ثم التأم اجتماع ضم الرئيس والملك والمشير في غرفة مستقلة استمر أكثر مما كان مخططاً له حتى طعام الغداء بعد الظهر. افتتح الملك حسين قائلاً: «أعتقد أن أمتنا تواجه مسؤولية مصيرية، وأن مشاعري هذه هي مشاعر كل عربي. وأعلم أن الأردن في خطر وأعلم أن الحرب مع إسرائيل قائمة لا محالة». ووضع اللوم في تدهور العلاقات المصرية - الأردنية على سوريا، ومع ذلك قال: إن قواته جاهزة للدفاع عن السوريين كجزء من جهد يبذله كل العرب أيضاً لحماية الأردن. كان جواب ناصر عريضاً: «من الضروري التوصل إلى موقف سياسي وعسكري يجعل الناس جميعهم يفهمون أن العرب قادرون على التوحد في مواجهة الأزمات. إن تقديراتي الأصلية هي أننا بحاجة إلى ثلاث سنوات أو أربع قبل أن نخوض حرباً ضد إسرائيل ولكن الأحداث باغتتنا».

لكن الحسين لم يأت من أجل بيانات عامة، بل جاء لعقد صفقة. قال لعبد الناصر إنه يريد توقيع نسخة طبق الأصل من معاهدة الدفاع السورية - المصرية، وأنه يقبل كل الفرق العربية -عراقية وسعودية وسورية وحتى مصرية- في أراضيه.

لم يناقش عبد الناصر الأمر، بل أصدر تعليماته إلى وزير خارجيته، رياض، إلى الذهاب فوراً إلى سوريا والعراق ليتفاوض على إرسال هذه القوات على وجه السرعة بما في ذلك المقاتلات النفاثة لحماية الأجواء الأردنية. كما بعث دعوة رسمية إلى عارف في بغداد، طالباً منه التعاون، وبعث إلى غزة بتعليمات لإرسال الشقيري إلى القاهرة على الفور. بيد أن الحسين، علم فيما بعد بقليل، أن لهذه الإجراءات ثمناً كبيراً، أكبر مما قد دفعه لدى مجيئه إلى القاهرة. إذ بالإضافة إلى إعادة فتح مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في عمان، فإنه سيضع (الفيلق العربي) مفخرة الأردن، تحت قيادة الجنرال رياض الذي كان تابعاً للمشير عامر مباشرة.

لقد جرى توقيع معاهدة مصرية أردنية مفادها «أن أي هجوم مسلح على أي من الدولتين أو قواتهما هو هجوم على كليهما، وأنه يجب اتخاذ كل الوسائل المتاحة لصده.» في مطلع بعد الظهر ذلك اليوم. وانقضى بقية النهار والسرور يغمر الجميع،

مع القيام بجولة إلى مهابط الطائرات وإلى مقر القيادة الجديد في هيليوبوليس (Heliopolis). جرى الاطلاع على الخرائط، والاستماع إلى إيجازات حول الوضع العسكري الراهن. وحذر الحسين مضيفيه من مخاطر هجوم إسرائيلي جوي مفاجئ: ولكن عبد الناصر لم يبد أي اهتمام لهذا التحذير، مصراً على أن اليهود غير قادرين على القيام بمثل هذه العملية.إن القوات العربية المشتركة سوف تنتصر في غضون أيام، كما تنبأ، مضيفاً «أنه في حال تدخل الولايات المتحدة، فإني مستعد تماماً لطلب مساعدة السوفيات».

وأخيراً، قُبيل مغادرة الملك، كان الشقيري قد دخل مرتدياً زيا ماويا مجعَّداً وعلى وجهه علامات الارتباك. إن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الذي كان وعد بقيادة جيش يدخل فيه عمان غير آبه بالحسين، يتجه الآن نحو الملك معلناً أنه رئيس الفلسطينيين»، وعبر عن رغبته في زيارة الأردن في المستقبل القريب. فضحك عبد الناصر قائلاً: «لن تذهب في المستقبل القريب، بل على الفور. «ثم التفت إلى الحسين قائلاً: «إن سبب لك أية مشكلة، ألق به في أحد بروجك وخلصني منه». (٧)

بعد أن أزاح الحسين، كما قال إلى بيرز، عبء المشكلة الفلسطينية عن كاهله وألقاه على عاتق عبد الناصر، عاد إلى مملكته. كان استقباله صاخباً. إن لقاء القمة بينه وبين عبد الناصر، المفروض أنه سري للغاية، قد أذيع في كل المنطقة ودوّى راديو القاهرة قائلاً: «سيعلم العالم أن العرب مستعدون للمعركة عندما تحين الساعة المصيرية». واستقبل الحسين بإعجاب جذل مدهش.

إذ رفعت السيارة التي كانت تقل الحسين والشقيري على الأيدي في الهواء. كان الملك منهكاً تماماً. ومع ذلك قال جمعة معلقاً: «لم أره قط سعيداً ومشرقاً كما كان في تلك الساعة. اعتقد الحسين أنه اشترى في القاهرة (وثيقة تأمين سياسية

وعسكرية) للأردن في وقت رفضت فيه الولايات المتحدة ضمان سلامة أراضيها، وأخذت تسلح إسرائيل بدلاً من ذلك.

وكان يعتقد أنه في حين أن مصر لن تتراجع عن حصار المضائق، فهي لن تبدأ الحرب، بل ستنتظر حتى تبدأها إسرائيل وعندها تقوم بتدميرها. وعلى الأقل حرم عبد الناصر من لوم الأردن لعدم انضمامه إلى التحالف العربي بغض النظر عن نصيبها في المعركة. (٨)

لم يحتفل الأردنيون كلهم بانقلاب الحسين هذا. إذ خرج التل ثانية ينتقد سياسة الملك قائلاً له: «إني مستعد لأن أقتل ألفي متمرد لأحميك من فقدان الضفة الغربية». حتى بين الفلسطينيين، كان هناك زعماء مثل رئيس بلدية القدس، أنور الخطيب، وزميله في الخليل محمد علي الجعبري قد عبرا عن خشيتهما من أن تقوم مصر بجر الأردن إلى حرب تتوسع فيها إسرائيل بالتأكيد نحو الشرق. وسرعان ما أبرز الذين انتقدوا المعاهدة أن الفيلق العربي قد وضع تحت قيادة مصرية، بينما من المفروض أن تتخذ القرارات الاستراتيجية من قبل مجلس الدفاع المشترك حتى تنشب الحرب فعلاً. حتى إنه ليس للجيش ضابط ارتباط في القاهرة. إضافة إلى أن المعاهدة ألغت الاتفاق السري الذي كان يحمل الاسم الرمزي» كوليج رن (College Run) الذي تمد بموجبه الولايات المتحدة الأردن باثنتي عشرة طائرة مقاتلة من طراز F-١٠٤ ومدافع مضادة للطيران، وبنادق عديمة الارتداد، وذخيرة. وخشية أن تصل الأسلحة إلى أيدي المصريين، أوقفت الولايات المتحدة شحن الأسلحة إلى عمان، أما الطائرات فحولّت إلى تركيا. لاحظ فيندلي بيرنز أن الملك حسين قد فتح «علبة باندورا» (sbox،Pandora) أكثر مما توقع. وأن الأحداث في الأردن كانت تذكر، بصورة مخيفة، بأغسطس (أب) من العام١٩١٤». (٩)



جاءت تلك الحقيقة إلى عمان في الأول من يونيو (حزيران) عندما حطّ الجنرال رياض في عمان وشرع على الفور بتفقد دفاعات الضفة الغربية. لم يكن هدفه إعداد المنطقة لمواجهة حدوث غزو إسرائيلي، فحسب، بل أراد أيضاً أن يجر أكبر عدد ممكن من قوات العدو من الجنوب لتخفيف الضغط عن مصر. وسوف يأتي عون آخر من كتيبتين مصريتين فدائيتين، الكتيبة ٥٣، والكتيبة ٣٣ اللتين ستنقلان إلى الأردن مزوّدتين بأوامر للتسلل إلى داخل إسرائيل وتدمير سلسة من الأهداف الاستراتيجية.

لقد ألهب وصول رياض والفدائيين عواطف الجماهير في الأردن، خصوصاً بين الفلسطينيين - تلك العواطف التي كان الشقيري تواقاً لاستغلالها. إذ غادر عمان إلى القدس، متجاهلاً أوامر الحسين بألا يغادر عمان، وألقى هناك خطبة جمعة نارية. قال، في هذه الخطبة: «إن م. ت. ف قد استعدت لتأخذ مكانها في مواقع متقدمة على الجبهة الأردنية لتقف وجهاً إلى وجه ضد العصابات الصهيونية». وإن المنظمة تملك الآن أسلحة متطورة جداً وإنه هو نفسه سيوجهها. هبت موجة من الحماس الجنوني في الجماهير التي احتشدت لتسمعه: فقام مشاغبون بمهاجمة القنصليات الغربية واصطدموا بالجنود الذين حاولوا تهدئتهم. وتابع القول، ومازال الهياج مسيطراً عليه: «سوف ندمر إسرائيل وسكانها، أما من يبقى منهم حيا -إن بقي أحد- فإن القوارب جاهزة لترحيلهم». (١٠)

خسوف إشكول:

إن تحالف الحسين مع ناصر نتيجة قرار إسرائيل الانتظار وعدم شن حرب، ربما يزيد من الضغط على إسرائيل كي تحارب. كان الضغط قد انفجر فعلاً مساء يوم ٢٨ مايو، إذ أعد إشكول، بعد اجتماع مجلس الوزراء، للقاء مع هيئة الأركان. وفي طريقه إلى ذلك الاجتماع، عَرَّج على محطة إذاعة إسرائيل ليخاطب أمته القلقة.



كانت غاية إشكول إعلام البلد بأن الحكومة، على الرغم من استعدادها لصد العدوان العربي، إلا أنها تعمل مع الولايات المتحدة لإيجاد حل سلمي للأزمة. كان بحاجة ماسة إلى النوم، ويعاني من رشح في الصدر مزعج، ومن عدسة اصطناعية في إحدى عينيه -نتيجة لعملية جراحية لإزالة الماء الأسود- تتحرك من موضعها باستمرار. ومما ضاعف حالته الجسمية سوءاً حالة الورقة المخطوطة التي تلقاها لدى دخول استوديو الإذاعة - مشطّبة بتصحيحات وإضافات دقيقة أخيرة - التي كان سيقرؤها مباشرة. فكانت النتيجة قراءة متلعثمة غير مفهومة بحيث فسرها المستمعون بأنها علامة على الانهاك والهلع. وليست كلمة إشكول وحدها وإلقاءها بهذه الطريقة هي التي أربكت الإسرائيليين ، بل الأنباء التي تفيد بأن إسرائيل قد وضعت مصيرها بيد دولة أخرى بدلاً من الاعتماد على مصادرها الخاصة. كتب زئيف شيف (Schiff e'Ze) كاتب زاوية في صحيفة ها أرتز (Ha'aretz) اليومية يقول: «من المحيّر أن شعباً عانى من الهولوكوست يرغب أن يصدق نفسه، ويعرض مصيره للخطر مرّةً أخرى». ويقال: إن الجنود الذين كانوا يتحلقون حول راديوات الترانزيستور في النقب قد انفجروا بكاء. (١١)

وفيما يتعلق بإشكول، فإن كوارث المساء لم تنته. إذ كان الجنرالات في انتظاره في غرفة العمليات ليسمعوا نتائج دراسة مجلس الوزراء للوضع. فمنذ إغلاق المضائق، ومخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي تتوقع هجوماً مصرياً مفاجئاً على ديمونة والمطارات الإسرائيلية، وهجوماً بالصواريخ والغازات السامة وحتى بمواد مشعة بدائية. وكان من المؤكد أن تنضم سوريا إلى هذا الهجوم، وربما الأردن، كذلك. وكان جيش الدفاع الإسرائيلي يعتقد أن أمريكا لن تتدخل وأنها ليست جادة في خطة «ريغاتا» وبالتالي أعاد الجيش إحياء بعض الخطط وعدّل عدداً من خطط الطوارئ لإبادة الجيش المصري وأخذ زمام المبادرة على الجبهات الأخرى كذلك. وكل ما كانوا بحاجته هو أمر الحكومة بالاستمرار، ولكن القوات الإسرائيلية أوقفت إلى أجل غير مسمى. دبت فوضى تعكس ذلك الوضع في سيناء. قال الجنرال أرئيل أريك شارون



(Ariel “Arik” Sharon) الضابط المظلي السابق وقائد فرقة الآن في الجنوب: «كانت الوحدات تتحرك من هنا إلى هناك تقطع مسارات بعضها البعض، وتأخذ مواقع فقط من أجل انتزاع ضجر اليوم من نفوسهم، ويدخلوا في يوم آخر. لم يكن يبدو على الجيش أنه يعلم ما كان يفعل».

كانوا يتوقعون الخلاص من الفوضى بعودة إيبان إلى إسرائيل واتخاذ الحكومة قراراً بالعمل. وبما أن رابين لا يستطيع بنفسه أن يخبر الجنرالات بأن الوضع ليس كذلك، فقد طلب من إشكول أن يقوم بهذه المهمة.

دخل إشكول غرفة العمليات، يشد ألون أزره، وخاطب كبار الضباط دون أية مقدمات. استعرض لهم أحداث الأيام القليلة المنصرمة- والرسائل من جونسون وكوسيغن، وخطة القافلة البحرية. وقال: «ليس من السياسة ولا الدبلوماسية وربما ليس من المنطق الأخلاقي أن نبدأ الحرب. علينا بضبط أنفسنا وصيانة قواتنا لأسبوع أو أسبوعين. أو ربما أطول من ذلك». وعبر عن ثقته بالتزام واشنطن بإعادة فتح المضائق، وحث الجنرالات على التفكير بدلالة الخسائر في السلاح، وفقدان العون الخارجي، والخسارة في الأرواح التي ستتكبدها إسرائيل في الحرب. وتابع قائلاً: «أنا أفهم أنكم أُحبطتم أيها القادة، ولكن النضوج والوعي يتطلب منا أن نصمد للاختبار. حتى وإن دُمّر الجيش المصري كلياً، فلسوف ينهض من جديد. ربما بعد خمسة عشر عاماً سيأتي جيل عربي آخر ويقبّلنا، ولكن ليس الآن».

أصغى القادة، ثم انفجروا ضاحكين. وبدأ يشاياهو «شايك» غافيش (Ya- shayahu ‘Shaike Gavish) رئيس القيادة الجنوبية، الكلام، قائلاً: «ستظل المضائق مغلقة أسبوعين، ووضعنا يزداد سوءاً. سيموت المزيد من رجالنا». وأضاف نظيره في ا لجبهة الوسطى، يوزي ناركيز (Narkis Uzi) قائلاً: «المشكلة لا تكمن فينا بل في الجيل الأصغر الذي لن يفهم أبداً لماذا لم يبدأ جيش الدفاع الإسرائيلي بالهجوم». وأردف قائلاً: «إن التهديد الروسي خادع، وإن القوات



العربية كفقاعة الصابون تفجرها نخسة دبوس واحدة». وعلق أحد قادة الفرق أفراهام يوفي (Avraham Yoffe) مقيّماً الوضع قائلاً: «لقد أوجدت مصر بمساعدة الاتحاد السوفياتي جيشاً هدفه الوحيد هو تدمير إسرائيل. أما جيش الدفاع الإسرائيلي فقد أنشئ للدفاع عن الدولة، ولكن الحكومة لا تدع الجيش يقوم بمهمته - تلك المهمة التي يريدها الشعب».

استمر سيل التعليقات. ووافق كل من نائب رئيس العمليات ريهافام زئيفي (Rehavam Ze'eve) أسمر اللون، نحيل الجسم، يعرف شعبياً باسم غاندي، وأصبح فيما بعد زعيم اليمين الإسرائيلي المتطرف، وجنرالاً مسؤولاً عن الإمدادات والتموين في الجيش؛ والجنرال ماتيتياهو بيلد (Mattityahu Peled) الذي أصبح فيما بعد زعيم اليسار المتطرف، على أنه لا بد من إبادة التهديد المصري على الفور إن كان لإسرائيل أن تعيش. وصرح الجنرال ياريف: (Yariv) «نستطيع وحدنا تحطيم الطوق الذي يطبق على أعناقنا». ولكن أكثر الكلمات تأثيراً كانت كلمات شارون:

«لقد أزلنا اليوم بأيدينا أقوى ما لدينا من سلاح -خوف العدو منا. لدينا القوة الكافية لتدمير الجيش المصري، ولكن إذا استسلمنا في قضية حرية المرور، فإننا نفتح الباب لتدمير إسرائيل. سندفع في المستقبل ثمناً أعلى بكثير لقاء شيء يجب علينا فعله الآن بأي حال من الأحوال... الشعب الإسرائيلي مستعد لخوض حرب، وللقتال، ولدفع الثمن. فالمسألة ليست مسألة حرية المرور، بل مسألة وجود شعب إسرائيل».

بذل إشكول قصارى جهده ليحرف هذه التعليقات اللاذعة ويبعدها. فقال: إن جيش الدفاع الإسرائيلي لم ينشأ ليخوض حروباً يختارها، وإن مقدرته على خوض حرب لا يمكن أن يكون تسويغاً لخوضه الحرب. وإن مجرد وجود الجيش المصري في سيناء لا يعد أساساً للقيام بهجوم استباقي. وأردف قائلاً: إن الردع يتطلب الصبر والتحمل. لم تحدث هذه المناقشات أي أثر على الجنرالات الذين كانت إهاناتهم سوف تستمر لولا ألون الذي تدخل وأنهى النقاش. لم يدافع ألون ولا رابين عن رئيس الوزراء؛ لذلك هرب إشكول من غرفة العمليات مصاباً بالأذى والوهن.

قالت ميريام إشكول: (Miriam Eshkol) «كان عصياناً حقيقياً. الجميع قلقون، ولم يأبه أحد بالنهج الديمقراطي. إن الانقسام في صورة إسرائيل بين «كونها ضعيفة» قد أصبح في الواجهة وشق قيادة إسرائيل. قال رافائيل إيتان أحد قادة المظليين: «إن شرف الجيش الإسرائيلي قد لطخ وديس بالأقدام، ولم يعد بإمكان الجنرالات الذين قادوا الجيش والذين جعلوه شغلهم الشاغل في الحياة، أن يكظموا غيظهم». ومع ذلك، لم يحاول هؤلاء الجنرالات، مهما بلغ غضبهم الإطاحة بإشكول ولم يحاولوا قط تهديد سيادة القانون. على أية حال، بقي الجنرالات في غرفة العمليات بعد مغادرة رئيس الوزراء يبحثون سبل رفع معنويات الجيش، بما في ذلك تسريح ٣٠,٠٠٠ من الاحتياط. (١٢)

لم يكن الجمهور متسامحاً مثلهم. إذ حفلت صحف اليوم التالي بتقارير عن خطاب إشكول المتلعثم والمثير للرثاء. وادعت هاأريتز «أن الحكومة بتشكيلتها الحالية لا تستطيع قيادة الدولة في زمن الخطر». وطالبت إشكول بالاستقالة لصالح بن غوريون أو دايان، وأن يركز بصورة حصرية على «الشؤون المدنية». وأيد إعلان مأجور نشرته مجموعة «مواطنون من أجل إشكول» تشكلت في انتخابات العام ١٩٦٥، تشكيل حكومة وحدة وطنية تضم جميع الأحزاب الرئيسة. كتب تيدي كوليك (Teddy Kollek) عمدة القدس الغربية يقول: «يبدو أن تردد إشكول في موضوع الهجوم ناجم عن ضعف، وليس عن حكمة». مستبعداً فكرة القافلة الدولية، واصفاً إياها بأنه «لا معنى لها: لأنه حتى بعد عبور السفن الأمريكية والبريطانية، فإنه يمكن إغلاق المضائق ثانية». (١٣)

كانت الأنشطة خلف المشاهد محمومة أكثر. فقد كتب بن غوريون في يومياته: «طالما بقي إشكول في رئاسة الوزارة فإننا سنهوي إلى الهاوية». ومع ذلك أقنعه مناحم بيغن منافسه السياسي القديم أن يعود إلى رئاسة مجلس حرب خاص ويكون إشكول فيه نائباً له. فرفض إشكول الفكرة ساخراً بقوله: «هذان الحصانان لا يربطان إلى عربة واحدة». كما التقت غولدا مائير بيغن وشمعون بيرز من حزب رافي (Rafi) واقترحوا أن يعين دايان في منصب جديد مبتكر كنائب لرئيس الوزارة



لشؤون الدفاع. أما دايان فقد رفض حتى التفكير في العرض وأصر على استلام حقيبة الدفاع. وما إن يحصل على هذه الحقيبة، كما قال، فإنه لن يجلس في مكتبه فقط، بل سيدير الحرب بنفسه.

ودون أن يحشد لنفسه دعماً، ترك دايان السياسيين الآخرين بمهارة أن يناقشوا قضيته، وبذلك بذّ يغال ألون بوصفه المرشح المفضل لوزارة الدفاع. وكان رئيس الأركان السابق، البطل في نظر الجمهور، ذو الشعبية الواسعة خصوصاً بين النساء، كان يُحَيَّا أينما ذهب. إضافة إلى أن نشر كتابه «يوميات حملة سيناء» في الوقت المناسب ممجداً فيه تحقيق «حرية الملاحة... في خليج العقبة، وإنهاء الفدائيين، وتحييد القيادة العسكرية المصرية -السورية- الأردنية المشتركة» عَزّزَ من هيبته ومكانته. ولتحييد دايان بدأ إشكول يعوّم فكرة إدراجه في الخدمة الفعلية. كان رابين راغباً في عرض منصب رئيس هيئة الأركان عليه، ولكن دايان عزف عن ذلك، إذ كان يريد منصباً واحداً: رئيس القيادة الجنوبية. (١٤)

كما تصاعد الاضطراب في الأوساط الشعبية والسياسية، كذلك تصاعد في أوساط الجيش. لقد استدعى رابين حاييم بارليف (Haim Bar-Lev) إلى الخدمة نائباً له، أملاً في أن يخفف الأعباء عن كاهله. إن بارليف المولود في سراجيفو (Sarajevo) وكولومبي الثقافة والذي رفع إلى قائد مشاة وقائد مدرعات في العام ١٩٤٨ والعام ١٩٥٦، كان يدرس التكتيك في فرنسا عندما وصله الاستدعاء من رابين. أثار هذا التعين الشائع في هيئة الأركان العامة، غضب وايزمن الذي كان من المفروض أن يكون هو نفسه، وليس بارليف، خليفة لرابين. قال في مذكراته: «لقد نسفت مكانتي. إذ كنت بالنسبة إليهما (رابين وإشكول) رجلاً وحشياً... يدعي بأن لنا الحق في الخليل ونابلس وكل القدس وأن علينا أن نطبق هذا الحق بقوة السلاح.... «متهور وطني طائش».

هدد وايزمن، في خضم هذا الاضطراب الوطني، بالاستقالة. ودخل مكتب رئيس الوزارة ضارباً الأرض بقدميه مقاطعاً طعام الغداء مع وزير المالية بنحاس سابير، وقال مزمجراً: «الدولة تتدمر، يا إشكول. لماذا تضيع وقتك مع موشي دايان؟ من ذا الذي يريد ييغال ألون؟ أصدر الأمر وسوف نكسب الحرب... وستكون رئيس وزراء النصر!» ثم نزع الشارات والكتفيات وألقى بها عمداً على مكتب إشكول، وانفجر عاصفاً مرَّة أخرى.

فيما يتعلق بالجمهور الإسرائيلي الذي لم يتورط في لعبة السلطة تلك، كانت المحنة تستهلكهم جميعاً. إذ كان الآلاف في طول البلاد وعرضها يسارعون إلى حفر الخنادق، وبناء الملاجئ وملء أكياس الرمل. وفي القدس، بوجه خاص، حُوِّلت المدارس إلى ملاذات من القنابل وأُعِدَّت لذلك، وكانوا يتدربون يومياً على الغارات الجوية. حشدت جميع حافلات الركاب الكبيرة والتكسيات، وأطلقت حملة طوارئ للتبرع بالدم. وَوُجِّه طلب عاجل إلى الجراحين - ليكونوا، بالنظر إلى الظروف القاسية، على استعداد جسمياً، وطبياً، وخبرة» - وذلك عن طريق الصليب الأحمر، كما طلبت وحدات إضافية من البلازما من الخارج. وشكلت لجان خاصة مسؤولة عن جمع الأطعمة الأساسية، ولأخذ مكان العمال الذي يستدعون إلى الجبهة، ولإجلاء الأطفال إلى أوربا. وأعِدَّ أكثر من ١٤٠٠٠ سرير مشفى، وكدِّست مضادات السموم لمعالجة ضحايا الغازات السامة. وكان متوقعاً أن تصل على دفعات كل منها٢٠٠ وحدة. كما حفر حوالي ١٠,٠٠٠ قبر. (١٥)

إن النقطة المضيئة الوحيدة في خضم هذه الاستعدادات المميتة كانت ذلك الدعم والتعاطف المنصب من يهود العالم. تدفق متطوعون بأعداد لا تستطيع إسرائيل استيعابهم -وكان يفضل بينهم الشباب والمهرة والعلماء اليهود- وفاقت التبرعات كل التنبؤات والتقديرات. وخرجت مظاهرات جماهيرية في نيويورك، ولندن، وشنت حملة لجمع المال إلى «صندوق الطوارئ» في جميع أنحاء العالم. «ولأول مرَّة تصرف يهود أوربا كرجل واحد لصالح إسرائيل».



«وحشد الدعم الأخلاقي والسياسي والاقتصادي كله». وكتب زعيم اليهود في الفرنسيين إدموندي روتشيلد (Edmond de Rothschild) إلى سابير. وكتب السفير الإسرائيلي من باريس وولتر إيتان (Walter Eytan) تقريراً يشير إلى «ثورة شاملة» لدى اليهود الراغبين في التبرع بالدم، وإيواء الأطفال المرحلين، حتى إنهم يبيعون أعمالهم الفنية لجمع المال إلى إسرائيل. كما وردت التبرعات والإسهامات من غير اليهود كذلك. ومن سخرية القدر أن تبرعت ألمانيا بوجه خاص بعشرين ألف قناع غاز أمريكي. (١٦)

وإن كل هذه المظاهر لم تخفف الإحساس بقدوم كارثة، وبأن اليهود على أبواب هولوكوست آخر. وهاجم حنازيمر (Hanna Zemer) نائب محرر صحيفة دافار اليومية قائلاً: «ماذا تنتظر؟» ووصف عزلة إسرائيل العالمية والإصابات الهائلة التي ستحل بها. واختتم مقالته بقوله: «سيجري الدم كالماء». باللغة البديشية (Blut vet sich giessen vie vasser) وكتب رابين فيما بعد واصفاً الحالة: «كانت الأيام تجر نفسها مثقلة بعبء الاجتماعات والمشاورات التي يسودها التوتر العصبي.... لقد قيمنا الوضع مراراً وتكراراً، وتنبأنا بالخيارات، وحددنا مواضع الوحدات، ووضعنا الخطط - في حين ظل قادتنا السياسيون أسرى آمال خادعة في إمكانية تلافي نشوب حرب». كان هناك حديث عن قصف واسع للمدن الإسرائيلية، وعن إبادة جيل كامل من الجنود. وانتشرت نكتة شعبية عن يافطة عُلّقت في مطار اللد الدولي تنصح آخر شخص يغادر البلاد بأن يطفئ النور. (١٧)

ويبدو أن سفر الرؤيا قد وصل عندما جرى تبادل إطلاق نار على حدود سيناء لأول مرَّة. إذ كان قد نصب كمين من المظليين الإسرائيليين لدورية مصرية كانت داخلة إلى الأراضي الإسرائيلية قرب كيبوتس بيئيري (Be'eri) جنوب شرق غزة. ثم أطلقت قذائف مدفعية على بيئيري وناحال أوز (Nahal Oz) المجاورة وأشعلت النيران في المحاصيل. وعلى الرغم من أن المظليين ظلوا ثابتين في مواقعهم ساعات فقد تردد الجنرال إسرائيل تل (Israel Tal) قائد الفرقة المحلي، في إرسال

تعزيزات. إذ كان يعلم أن أدنى تصعيد ربما يثير حرباً. مرَّ الحادث على أية حال، ليلقي حادث آخر بظلاله عليه عندما اخترقت طائرات ميغ المصرية الأجواء الإسرائيلية واستطلعت مواقع جيش الدفاع الإسرائيلي. واستخلص بعض النقاد والمحللين أن العرب بدؤوا يقلقون، ويكسبون الثقة. إذ قال إشكول إلى الكنيست في ٢٩مايو: «لقد خلق الكولونيل عبد الناصر وضعاً مشحوناً بخطر الحرب. ومن المحتمل أن ينشب حريق هائل». (١٨)

لم يكن ذلك الحريق الهائل أقرب إلى النشوب منه عندما قام الحسين برحلته إلى القاهرة. إذ صرح الحسين لدى عودته قائلاً: «كل الجيوش العربية الآن محيطة بإسرائيل. الجمهورية العربية المتحدة، والعراق، وسوريا، والأردن، واليمن، ولبنان، والجزائر، والسودان، والكويت... لا فرق بين شعب عربي وآخر، ولا فرق بين جيش عربي وآخر.» طار الجنرال خماش إلى بغداد ليطلب أربعة ألوية إضافة إلى ١٨ طائرة مقاتلة للالتحاق بالأربع والعشرين طائرة هو كرهنتر (Hawher Hunter) الأردنية. كل هذه القوات مع أحد عشر لواء أردنياً -تضم ٥٦،٠٠٠ رجل و٢٧٠ دبابة حديثة من طراز سنتوريون (Centurion) وباتون (Patton)- ستهدد إسرائيل من أضيق نقطة يبلغ عرضها تسعة أميال بين الضفة الغربيّة والبحر. وعلى مرتفعات الجولان كان حوالي٥٠،٠٠٠ جندي و٢٦٠ دبابة ومدافع ميدانية كثيرة قد أخذت مواقعها، وسوف تعزز في الحال بدبابات عراقية. كل هذه القوات كانت تنسق مع ١٣٠،٠٠٠ جندي مصري و٩٠٠ دبابة و١١٠٠ مدفع جاهزة لما أسماه عبد الناصر: «العملية التي سوف تفاجئ العالم». (١٩)

إن توقيع المعاهدة المصرية - الأردنية قطعت كل أمل لإشكول في الاحتفاظ بوزارة الدفاع. وفي محاولة يائسة أخيرة قبل بطلب دايان ليكون قائد المنطقة الجنوبية. استدعى رابين، إلى غرفة العمليات، غافيش (Gavish) وأخبره هناك بالقرار عارضاً عليه منصب نائب القائد.



كان غافيش، قوي البنية صارم الوجه، قد شفي من جرح حاد أصيب به في ساقه في العام ١٩٤٨، فعين رئيس عمليات في العام ١٩٥٦، والآن بعد أن بلغ من العمر ٤٢ عاماً قد أصبح جنرالاً بكامل الرتبة. قضى الأسبوعين المنصرمين يعمل جاداً بلا كلل ولا ملل لإعداد رجاله لما كان يعتقد أنه الحسم المحتوم لمصر. وبموجب عملية اللسان الأحمر (Lasbon Aduma /عبري) «استخدم بضع دبابات وسيارات جيب وعدة ياردات من الشبك المموه لتشكيل» فرقة الشبح» - الفرقة ٤٩ - ونشرها في المنطقة بين كونتيلا والقسيمة، حيث حدث الخرق الإسرائيلي في العام ١٩٥٦. مخدوعة بهذه الحيلة، انتقلت قوة الجنرال الشاذلي من رفح باتجاه الجنوب، وانتقلت الفرقة الرابعة إلى موقعها الاحتياطي كاشفة دفاعات سيناء الشمالية للدبابات الإسرائيلية. وكانت المكافأة الآن هي إزاحة غافيش. وبما أنه سُحق يقرّ إشكول وخاب أمله برابين الذي التزم بالقرار، قدم غافيش استقالته، قائلاً: «إنني أحيي دايان، ولكن لن أبقى دقيقة واحدة».

بدا دايان مذعناً للتعيين، إذ قال للصحافة: «إنني مستعد، كجندي، أن أقود نصف مجنزرة». ولكن التيارات السياسية اجتمعت لتدفع به إلى مكان آخر. كان الحزب الديني القومي (NRP) مستعداً للانسحاب من الحكومة إذا لم تحقق الوحدة الوطنية، ولكن رافي (Rafi) وغاحال (Gahal) رفضتا الانضمام إليها دون دايان. كانت غولدا مائير تريد ألون وزيراً للدفاع -واقترح ألون أن يحل دايان محل إيبان- ولكن حزب ماباي رفض هذه الحركة. وهكذا استمرت المكائد، في حين كان صبر الأمة ينفد وخطط للخروج بمظاهرة جماهيرية يوم السبت في ٣ يونيو تطالب بحكومة وحدة.

سأل إشكول الساخط، حاييم موشي سابيرا: «دعني أفهم، أنت تريد دايان ولا تريد الحرب؟» ولكن إشكول كان يعرف الجواب: لقد فقد مجلس الوزراء إيمانه بكفاءته كوزير دفاع. هذا الافتقار إلى الثقة بنفسه هو الذي جعل مناحم بيغن يدعم بن غوريون رغم معارضته للحرب. لم يعد هناك بديل عن الاستسلام. «فوزراء

كثيرون، وأعضاء كينست كثيرون جداً، والعديد من الجنرالات، والشارع -ودائما الشارع- كلهم كانوا يدعمون دايان». كما قال الكولونيل ليور نادباً واردف قائلاً: «منذ تلك اللحظة حتى موته لم يعد ليفي إشكول هو نفسه». (٢٠)

في الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر الأول من يونيو (حزيران) أقسم، أخيراً، دايان اليمين في تل أبيب. كانت القيود على منصبه هائلة. فاستجابة لإصرار إشكول، وافق دايان ألا يصدر أمراً بأي هجوم بدون موافقة رئيس الوزراء ولا يقر أية عملية تخالف خطة الحرب العامة. ولا أن تقصف مدن عربية ما لم تقصف مدن إسرائيلية أولاً. ولمزيد من كبح سلطات دايان، أتى إشكول بيغال يادين (Yigal yadin) عالم الآثار البارز، ورئيس أركان ثاني، وعينه مستشاراً خاصاً في شؤون الدفاع.

كان رابين، مزدوج الموقف بشأن التعيين. قال ريهافام زئيفي: (RehavamZeevi) «لم يكم رابين متحمساً للتعيين، ولكنه يعرف كيف يقبل الحقائق».

فقد قرظ إسهام دايان لرفع معنويات الأمة، واعترف أن خوض الحرب مع دايان، أفضل من خوضها مع إشكول، كوزير دفاع. ولكن بسبب عجزه عن رؤية نتائج تلك الحرب، أراد ان يشارك في عبئها ومسؤوليتها».

ولدى لقائه مسؤوله الجديد الذي فاقت سمعته العسكرية سمعة رابين نفسه سأله رابين: «هل أنت مستعد لتقبُّل مسؤوليتي في الأمور العملياتية؟» فأجابه دايان بأنه سيحترم رئيس الأركان كما كان الجنرال ماكسويل تايلور (Makwell Taylor) قائد القوات الأمريكية في فيتنام يحترم هيئة الأركان المشتركة. وبهذا، تابع وزير الدفاع الجديد طريقه إلى غرفة العمليات، ليوجه هناك إهانة إلى الجنرالات بأن طلب منهم بفظاظة: «أطلعوني على خطتكم - إن كان لديكم خطة. فلدي خطتي». (٢١)

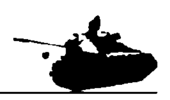
توقف أهاريل ياريف (AharaleYarih) في آخر ذلك المساء في السفارة البريطانية «ليشرب» ليله لطويل مع السفير ميخائيل هاداو (Michael Hadow). وفي أنخابه، شكى ياريف أن إشكول عاجز عن اتخاذ قرار بسبب خوفه من الروس، وملامة السمّوع (الخطيئة المروّعة).

وشكى من أن إيبان قد عصى الأوامر، وركز في مباحثاته في واشنطن على الحصار، وليس على أمن إسرائيل. فكانت النتيجة أن حُمّلت مسؤولية إسرائيل إلى دايان -الكريه الأناني المغرور- والذي سيحارب على ثلاث جبهات، ويفوز في الحرب، في يومين، ولكن بخسائر مخيفة. كان هاداو، الخبير في شؤون إسرائيل والشرق الأوسط منذ مطلع خمسينيات القرن العشرين، هادئاً. كان يراقب الوضع في تيران «ككلب صيد صغير يراقب جحر جرذان»، ولم يكن يعتقد أن الحرب حتمية. كتب يقول: «إنها تدفع لإسرائيل لجعلها ترتعد خوفاً من حين إلى حين» وأكد «لياريف الصغير» أنه لا يوجد ما يقلقه أو يزعجه، وطمأنه بأن «المجتمع الدولي لن يدع إسرائيل تحارب ساعتين، لا تهتم ٤٨ ساعة». وطلب منه أن يثق بالولايات المتحدة. (٢٢)

كان لنصيحة هاداو صدى متناقضاً في إسرائيل، على أية حال، لدى دخول الأزمة أسبوعها الثالث الأكثر حسماً. إذ ما كاد جونسون أن يعد ببذل كل جهد ممكن لإعادة فتح المضائق وأنه لا يتخلى عن إسرائيل-حتى تراجع عن ذلك. فالبيت الأبيض استمر في تأخير الاستجابة لطلبات السلاح المقدمة من إسرائيل، كانت القائمة تتضمن ١٠٠ صاروخ هوك، و١٤٠ دبابة باتون، و٢٤ طائرة سكاي هوك نفاثة، بل اتسعت أكثر لتشمل تعيين ضابط ارتباط مع القوات الأمريكية. سمع جين روستو (Gene Rostow) هارمان (Harman هاداو) يشكو قائلاً: «إذا نشبت الحرب، لن يكون لدينا رقم هاتف نتصل به، ولا شيفرة لتمييز الطائرات، ولا وسيلة للاتصال بالأسطول السادس».

كما أن اقتراحاً إسرائيلياً بتخفيض متبادل للقوات في سيناء والنقب يتم بوساطة الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، قد أُهمل كذلك. إذ كانت الإدارة الأمريكية راغبة، في الغالب، أن تمارس ضغطاً اقتصادياً على مصر- كما أخبرت الإسرائيليين.

حفّز هذا الافتقار إلى عمل حاسم إشكول على إرسال رسالة حماسية إلى جونسون. قال له فيها مذكراً إياه بأن «وعده في اتخاذ كل الإجراءات لإعادة فتح



المضائق» قد جعل الحكومة ألا تصوت لصالح الحرب. وحذره إشكول بأن إسرائيل كانت «تقترب من نقطة تصبح فيها النصائح بضبط النفس مفتقرة للأساس المنطقي والأخلاقي». وكان المسار الوحيد هو إجبار يوثانت على العمل من أجل إعادة الوضع الراهن إلى ما كان عليه في سيناء، وعلى الموافقة على لجنة ارتباط أمريكية-إسرائيلية، وإرسال القافلة، في غضون أسبوع أو أسبوعين. واختتم إشكول رسالته بالتأكيد على أن إسرائيل كانت تمر في أصعب أيام في تاريخها، ولكن الرسالة لم تحدث أي تغيير في موقف أمريكا. بل أنكر جونسون أنه قال «جميع الإجراءات» بل قال: «كل إجراء ضمن سلطاته الدستورية». وطلب من وولت روستو أن يوضح تلك النقطة تماماً للإسرائيلين على الفور. (٢٣)

كان جواب إفرايم إيفرون (Ephraim Evron) على النحو التالي: «هل أنا مخطئ في تقييم تصميم الرئيس شخصيّاً، كما فعلت؟» فأجابه روستو بغموض: «إنك تعرف الرئيس جونسون منذ زمن طويل، ولك الحق أن يكون لك تقييمك الخاص بك.» فقال والدمع يترقرق في عينيه: «يتوقف الشيء الكثير على ذلك الرجل». اندفع إيفرون ليرسل تقريره حول المحادثات، فكانت خلاصة: كصفعة على وجه القدس «كما قال رابين». لم يكن هناك سبيل لسوء فهم البرقية: لا يمكن أن نتوقع أي عمل من جانب الولايات المتحدة... كان لها مظهر القشة التي قصمت ظهر البعير وإحساسها.

وكانت هنا أزمة أخرى تنشأ بين الولايات المتحدة وإسرائيل، إنها أزمة ثقة. ولدى سؤال روستو لإيفرون: «كم ستنتظر إسرائيل الآن؟» أجاب إيفرون بعد تأمل: «حوالي عشرة أيام». أما السفير باربر فقد تنبأ بفترة أقصر بقوله: «إذا تصاعدت العمليات الإرهابية الكبرى من سيناء أو قطاع غزة، فإن إسرائيل ستضطر للحرب في النهاية. يشعر الإسرائيليون بأنهم يستطيعون إنهاء عبد الناصر تماماً، وإذا لم تكن هناك وسيلة أخرى لوقف الإرهاب فإنهم سيخوضون الحرب». ومع أن إشكول قد صدم بتقرير إيفرون، كان راغباً في بذل جهد أخير واحد. سوف يرسل مائير أميت (Meir Amit) إلى واشنطن لينجح حيث فشل إيبان في تأكيد ما إذا كانت الإدارة الأمريكية

تنوي حقاً أن تقف إلى جانب إسرائيل، وإذا كان الأمر غير ذلك، هل تستطيع إسرائيل التصرف وحدها. (٢٤)

كل جهد ممكن:

ما بدا للإسرائيلين تراجعاً عن عهد، كان يُرى عند الأمريكيين بأنه نتاج إحباطات مزعجة. قال وولت سترو: «منذ اللحظة التي كان إيزنهاور واضحاً في أن وعداً قد قُطع، لم يساور جونسون شك بأنه سيعيد فتح المضائق». لقد دعا إلى تبنى موقف قوي بشأن الأزمة محذراً جونسون أن سياستها قد تجاوزت «الرقم القياسي» ولم تكن عملاً كافياً. ولكن الرئيس، واجه في تعامله مع الشرق الأوسط عقبات كأداء. إذ كانت خطة ريغاتا (سباق الزوارق) قد تجمدت في المؤسسة الدفاعية، وفي الـCIA، وفي هيئة الأركان المشتركة التي أخذ الشك يساورها في ما إذا كانت للولايات المتحدة قوات كافية لتطبيقها. جاء في تحليل أجرته مجموعة مراقبة للشرق الأوسط أن «التهديد بالقوة يمكن أن يبقي عبد الناصر في مساره الحالي فقط، ولابد من اللجوء إلى إثارة الغرور والطمع عنده». عندما سأل باتل الجنرال ويلر عما يمكن حدوثه إذا ما أطلقت النار على سفينة حربية أمريكية أرسلت إلى تيران، صرخ في وجهه وضرب بقبضته على الطاولة، قائلاً: «ذلك يعني الحرب بالوك».

بدت المعارضة العسكرية لخطة ريغاتا باهتة بالمقارنة مع المعارضات التي أثارها الكونغرس عندما رفع مسؤولون كبار من البيت الأبيض -راسك وماكنمارا وهمفري- قضيتهم إلى هيل (Hil).

وجاؤوا بمسوَّدة قرار مشترك يخول الرئيس «اتخاذ العمل المناسب بما في ذلك استخدام قوات الولايات المتحدة المسلحة لتأمين مراعاة هذا الحق (حق حرية المرور) بالتنسيق مع الدول الأخرى». لم يتأثر الكونغرس بذلك. إن لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ التي ساءها ما أسماه راسك «Tonkin Gulfitis» لم تبد أي تعاطف مع خطة ريغاتا. فكان أعضاء مجلس الشيوخ مايك مانسفيلد (Mike Mans-

field)، ووليـام ج. فـولبـرايت (William J.Fulbright) وألبـرت غـور (Albert Gore) متشـددين بوجه خاص بألاّ تقود الإدارة الأمـة إلى حـرب فيتنامـيـة ثانيـة، وأن مـشكلة الشــرق الأوسط يجب أن تحل ضـمن إطار الأمم المتـحـدة. حـتى الشـيـوخ المؤيـدين لإسـرائيل -روبرت كنيدي ويعقوب جافيش (Jacob Javits)- عبّرا عن تحفظات بشأن فكرة القـافلة. وبعـد مناقـشـة حـوالي تسـعين من أعـضـاء الكونغـرس، كـتب راسك وماكنمارا المُثبَّطين، إلى الرئيس: «في حين أنه احتمال تحول حمائم فيتنام من أعضاء الكونغرس يتحولون إلى صقور (إسـرائيليين). صـحيح أنّ هناك جهداً يبذل للحصول على حل ذي معنى من الكونغرس يتعرض إلى خطر أن يتحول إلى نزاع قاس». (٢٥)

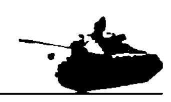
ويعد الحصـول على موافقة الكونغـرس مـشكلة واحـدة من مـشكلتي ريغاتا. أما المشكلة الأخـرى فـهي الحصـول على مـوافقـة دول أخـرى للانضـمام إلى هذه الخطة. كان جونسون يفترض أن أربع عشرة دولة، على الأقل، من الدول الثماني عشرة التي عـرضت عليـهـا الفكرة سـتنضم إلى المبـادرة، ولكن أربع دول فـقط هي أيسـلان (Iceland)، نيوزيلاند (New Zealand)، واسـتراليا (Australia) والبلاد المنخفضة (Netherlands)- سـوف توقع تصـريحـاً يدعم حـرية المرور في تيـران، ولم يوافق على إرسـال سـفن سـوى الأسـتـراليين والهـولنديين. أمـا إيطاليـا وألمانيـا والبـرازيل فـقـد أحـجمت عن الالتـزام، مـهمـا كان غـامضـاً، بأي عـمل عسكري. وفـرنسـا مازالت تصـر على عـقـد قـمـة رباعـيـة للدول الكبـرى. فـي حين نفت الأرجنتين أنهـا دولة بحـرية أساسـاً. وكتب البلجيكيون إلى دبلومـاسـي أمـريكي يقولون: «إنهم لا يسـتطيعـون اتخاذ قـرار بهـذا الشـأن». أمـا خـيـبـة الأمل الكبـرى فكانت كندا إحـدى رعـاة خطة ريغـاتا. فخوفـاً من حـركة عـربيـة عنيفـة ضـد كندا -إذ أُمـرت كتيـبـتهـا الموجـودة في قـوات الطوارئ الدوليـة أن تغـادر سينـاء خـلال ثمـان وأربعين سـاعـة بسـبب اتهـامهـا بمحـاباة إسـرائيل- تخلت كندا عن فكرة القـافلة لصـالح إحيـاء اتفـاقيـة الهدنة وتوضيع قـوات الطوارئ الدولية في إسـرائيل.

كتب الرئيس في يومياته: «لا يريد الكنديون والأوربيون تحمل المسؤولية، ويقولون إنها ليست مشكلتهم، ولن يدخلوا الشرق الأوسط على الفور». لقد كان تهديد عبد الناصر بإطلاق النار على أية سفينة تحاول كسر الحصار وبتعليق تدفق النفط العربي إلى من يملكون تلك السفينة، مخيفاً بوجه خاص. وفي مذكرة بعث بها سوندرز (Saunders) إلى وولت روستو أثار احتمال قيام الولايات المتحدة بإرسال قافلة وحدها دون أن يتبعها أحد. (٢٦)

حاول رئيس الوزراء ويلسون تشجيع LBJ الذي أخذت شكوكه تتعاظم بقوله: «ربما لا ننجح» ومن المحتمل ألا ننجح. ولكن الرأي العام عندنا لن يفهم، على ما أعتقد، أو يدعم ما سنفعله بعد ذلك إذا لم نستطع إقناعه بأننا حاولنا. «إن التحالف الأنكلو-أمريكي الذي كان يتمزق خلال حرب العام ١٩٥٦ قد تماسك أثناء الأزمة الحالية إذ تقاسمت الولايات المتحدة وبريطانيا الرأي في فكرة «ريغاتا» ولكن بدأت تلك العلاقة تتآكل تحت ضغط الرأي العام المحلي والدولي. ادعت ورقة سياسية أُعِدَّت لمجلس الوزراء البريطاني «أن العمل الدولي (بشأن المضائق) سوف يفهم على أنه عمل أنكلو-أمريكي متنكر، تدعمه في أحسن الأحوال دولة أوربية أو دولتان، وربما أكثر قليلاً، ولكنه سيكسب عداوة بقية العالم». ووافقت استنتاجات مجلس الوزراء على:

«تمثل النزعة العسكرية لدى الدول العربية، وخصوصاً الجمهورية العربية المتحدة تغيراً دائماً في ميزان القوى في الشرق الأوسط لغير صالح إسرائيل، ولابد لها وللقوى الغربية من قبوله... فمن المشكوك فيه أن نفرض احترام حقوق خليج العقبة التي فشلنا في تأكيدها في قناة السويس خلال مدة طويلة. وليست استعادة حق المرور البريء في مضائق خليج العقبة بأمر جوهري للمصالح البريطانية».

كانت بريطانيا تزداد ليناً فيما يتعلق بخطة ريغاتا، ولكنها تتمسك بها عساها تستعيد وجود قوة أمم متحدة رمزية توضع في المضائق تحت السيطرة المصرية. وتحجز كل الشحنات الاستراتيجية الذاهبة إلى إسرائيل ما عدا النفط. وتبذل جهوداً في الوقت نفسه لردع إسرائيل عن خوض حرب وتوريط العالم في مواجهة



بين القوى العظمى. لقد بدأ ويلسون المنزعج من محاولات أمريكا تصوير القافلة بأنها مبادرة بريطانية «وقرنها بالمصالح الإسرائيلية وليس بالمصالح العالمية، يشك بأن جونسون قد وعد إيبان أكثر مما أُعلن عنه. رفض رئيس الوزراء التوقيع على الإعلان وقيَّد انخراط بريطانيا في تخطيط بحري مشترك. (٢٧)

ومع ذلك. استمر التخطيط البحري، خشية إثارة شكوك الكونغرس. جُمعت تقارير ودراسات تفحص وضع أمريكا في مياه تيران الزئبقية القانونية، وأجريت تقديرات للأضرار المحتملة التي يمكن أن تنجم عن تطبيق خطة ريغاتا - بليون بالعملة الأجنبية، وبلايين بموجودات رأس المال. وضع جدول للعملية. بحيث تبدأ بسفينة إسرائيلية ترفع علماً أجنبياً وتحمل شحنة غير استراتيجية، يتبعها عدد من السفن المماثلة تحمل نفطاً. فإذا ما أعيقت أي من هذه السفن في المضائق، تقوم مدمرتان أمريكيتان وسفينة قيادة تكتيكية بتحدي الحصار. وإذا ما هوجمت هذه الكتيبة-وهو احتمال غير وارد حسب رأي المخططين العسكريين -تقوم قوة عسكرية متمركزة في البحر المتوسط. «بتحييد قدرات العدو الجوية»، وإذا لزم الأمر تقوم بإنزال بحري-بري. وأخيراً، إذا ما نشبت الحرب بين إسرائيل ومصر تقدم إلى إسرائيل، بغض النظر عمن بدأ القتال، معونات تشمل الطعام والمساعدات الإنسانية والذخيرة. (٢٨)

كان من المفروض أن ينجز تخطيط الطوارئ المتعلق بخطة ريغاتا في الخامس من يونيو (حزيران) رغم أن البدء في العملية ربما يستغرق شهراً أو أكثر - وهو وقت غير متوافر لدى جونسون. وبسبب الافتراض بأن الإسرائيليين لن يؤخروا قيامهم بعمل عسكري أكثر من الأسبوعين المذكورين في رسالة إشكول، بدأت هيئة الأركان المشتركة الأمريكية بإرسال حوالي ٦٥سفينة إلى شرق البحر المتوسط. والتحقت سفينة إنتربيد (Intrepid) العائدة من فيتنام والتي عبرت بنجاح قناة السويس بأختيها حاملتي الطائرات أمريكا(America) وستراتوغا (Stratoga) من الأسطول السادس. وبقي الأسطول خارج قوس نصف قطره (٢٤٠) ميلاً عن بورسعيد -بحيث لا يستثير المصريين، ولكن ضمن مدى ضرباته.(٢٩)

رغم عدم إدراج سفينة البحوث الفنية المساعدة العامة «Ussliberty» التي يبلغ طولها ٤٥٥ قدماً وتحمل ٢٩٤ رجلاً في قائمة هذه السفن إلاَّ أنها تلقت تعليمات بالإبحار من ساحل العاج إلى روتا(Rota) في إسبانيا. وعلى الرغم من أن السفينة لم تكن مسلحة إلا بمدافع رشاشة عيار ٥٠، فقد كانت مزوَّدة بأجهزة تنصت وفك تشفير عالية التقنية، ويضم طاقمها عدداً من أعضاء مجموعة الأمن البحرية. كانت السفينة ليبرتي (Liberty) سفينة تجسّس اسمها الرمزي روكستر (Rockstar) وتعمل بإمرة وكالة الأمن القومي. في روتا، صعد إليها ثلاثة مترجمين من الهيئة البحرية العربية، حيث انضموا إلى ثلاثة خبراء روس. وبعد إجراء بعض الإصلاحات أقلعت في الثاني من يونيو (حزيران) متجاوزة أوامر قيادة الأسطول الأمريكي بالبقاء في روتا حتى «تلقّي توجيهات أخرى»، مبحرة بأقصى سرعتها إلى الشرق الأوسط لتقوم هناك بدور الدورية خارج المياه الإقليمية المصرية و الإسرائيلية. (٣٠)

لم تكن مهمتها الحقيقية معروفة حتى لقائدها ويليام ل.ماك غوناغل (William L.Mc Gonagle)، التي ربما كانت تتبع تحركات القوات المصرية والمستشارين السوفيات في سيناء.

كان جونسون ملتزماً بخطة ريغاتا، ومع ذلك لم يمتعه ذلك الالتزام من اللجوء إلى بدائل دبلوماسية. نجمت الحاجة إلى هذا الخيار عن معارضة الكونغرس والدول البحرية للخطة وعن التنبؤات السوداوية التي صدرت عن الدبلوماسيين الأمريكيين في الشرق الأوسط.

جاء في تقرير السفير بورتر (Porter) في بيروت أن ما من أحد في العالم العربي يؤمن بأن القضية هي قضية المضائق -إذ يتساءلون: هل ستهتم الولايات المتحدة بهذا الشكل لو كانت المسألة تتعلق بميناء العقبة الأردني؟- وحذر من الوقوع في فخ السوفيات. وكتب هيو سميث (Hugh Smythe) من دمشق يقول: «لدينا في الميزان، إسرائيل، دولة عميلة لنا غير قابلة للحياة، قيمتها عند الولايات المتحدة قيمة

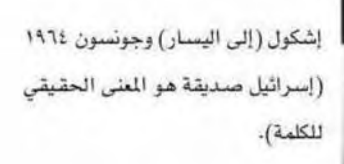
عـاطفيـة، ومـقـابلهـا في الكلفـة الأخـرى من الميـزان سلسـة مـتكاملة من المصـالح الإستراتيجية والسياسية والتجارية / الاقتصادية الحيوية المتمثلة في البلاد العربية.» ونصح بيـرنز في عمـان الولايات المتحدة، مستشـهداً بالمتطلبات الأمنيـة القوميـة بألاّ تفي بالتزامـاتها تجـاه إسـرائيل». وأوضح قائلاً: «إنه فـي حال قيام إسـرائيل بالعدوان فإننـا لن نستطيـع إقناع العـرب بأننا لم نشـجـعها على فعل ذلك. وسوف يـدمـر هذا جميع مصالحنا في شمال إفريقيا والشرق الأوسط... لسنوات قادمة».

وأخيـراً ذكَّر نولتَ (Nolte) من القـاهرة بـأن عبـد النـاصر قد فعل بإسـرائيل مـا فعلته إسـرائيل بمصـر في العـام ١٩٥٦-واحدة بواحدة- وأن الولايات المتحدة ليست ملزمة بإنقاذ الدولة اليهودية - التي أقيمت بالقوة». ثم حذر من أن المصـريين سوف يطلقـون النـار على القـافلة، قـائلاً: «ليس هناك مـا يقنعنـا بأن الجمـهورية العـربيـة المتحدة التي يدعمها السوفيات دعماً كاملاً، لن -«وكرر كلمة «لن»- تواجه عسكرياً أية سفينة أو قوة أخرى تحاول فرض حرية المرور، بالقوة». (٣١)





بن غـوريون (إلى اليـسـار) وإشكول "كـأب يطرده من عدن"
(فـريتـزكـوهين، المكتب الصـحـفـي لحكومـة إسـرائيل).



إشكول (إلى اليسار) وجونسون ١٩٦٤
(إسرائيل صديقة هو المعنى الحقيقي للكلمة).



ناصر وعرفات. (الأهرام)





موشي دايان: "كذاب، متبجج، متآمر، المغنية الأولى في أوبرا، وموضع إعجاب عميق".
(فريتز كوهين، المكتب الصحفي لحكومة إسرائيل).



من اليسار إلى اليمين: بارليف، رابين، وايزمن. (المكتب الصحفي لحكومة إسرائيل).





من اليسار إلى اليمين: شارون، بيغن، يوفي (Yoffe) (موشي ميلفر، المكتب الصحفي لحكومة إسرائيل).



- خروج قوات الطوارئ الدولية. الجنرال إندارجيت ريكهاي (Indar jit Rhkhye).



- مضائق تيران: سأل عامر: «كيف تستطيع قواتنا أن تشاهد ببساطة العلم الإسرائيلي يمر بهم؟»

المكتب الصحفي لحكومة إسرائيل





عبد الناصر إلى اليمين يخبر يوثانت: «يقول لي جنرالاتي بأننا سنربح الحرب، فماذا تقول لهم؟» (الاسوشيتيدبرس)



"في الانتظار" يقوم المدنيون الإسرائيليون بحفر الخنادق.
(إيلان بيرنز، المكتب الصحفي لحكومة سرائيل)





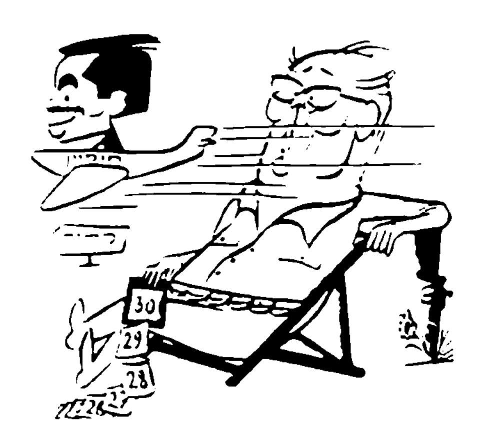
إيبان (في الوسط) في البيت الأبيض مع جونسون (إلى اليمين): «لن تكون إسرائيل وحدها ما لم تقرر هي ذلك».



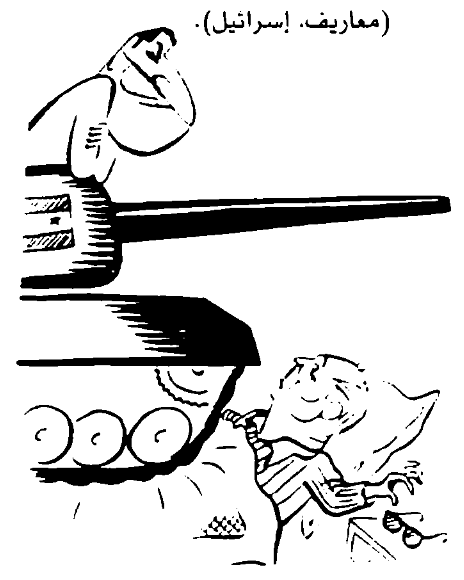
إلى اليمين، الحسين بن طلال بن عبدالله، ملك الأردن. (سليمان مرزوق).



من اليسار إلى اليمن: إشكول، آلون، تل، غافيش (المكتب الصحفي لحكومة إسرائيل).



الحسين يحلق فوق إشكول في طريقه إلى القاهرة (معاريف. إسرائيل).

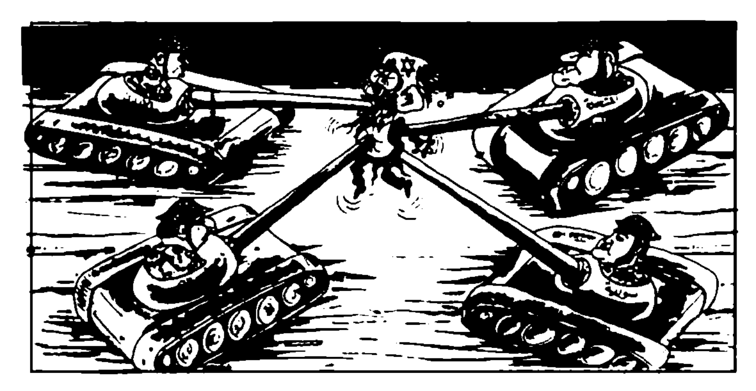


ناصر يسحق إشكول في السرير (معاريف. إسرائيل).

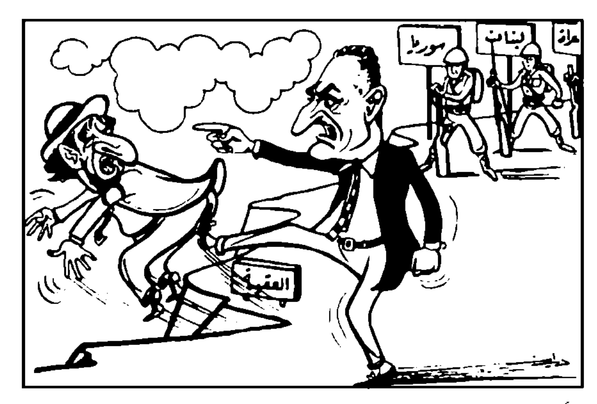


إشكول ينزع بتلات الزهرة قائلاً: «نعم. لا.. نعم. لا..» (معاريف. إسرائيل).

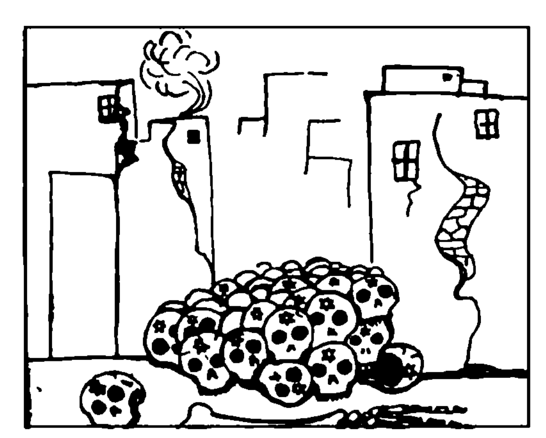




- دبابات مصرية. وسورية وأردنية ولبنانية تخترق إسرائيل (الحياة اللبنانية).



- ناصر مدعوماً من الدول العربية يركل إسرائيل بقدمه إلى خليج العقبة. (الجريدة اللبنانية).



-جماجم إسرائيلية في حطام تل أبيب. (الجندي العربي. سوريا).





الوحدة العربية: رئيس الوزارة المصري صدقي سليمان (يلبس نظارات شمس) يحي الوفد السوري (من اليمين إلى اليسار) الجندي، رئيس الأمن؛ وسويداني رئيس الأركان؛ وزعين، رئيس الوزراء؛ وماخوس، وزير الخارجية.
(بإذن من البرفسور إتياما رابينوفيتش)



خير الأصدقاء، أعداء ألداء: عامر (إلى اليسار) وناصر. (الأهرام، مصر).

كان لهذه التحذيرات- التي أكدتها تفجيرات في سفارتي أمريكا في بيروت وجدة- أثر قوي على راسك. وعلى الرغم من أنه مازال مصمماً على «المضي قُدماً بكل قوته» في خطة ريغاتا، فقد زال لديه كل وهم بشأن الثمن المترتب عليها. فقد أسر إلى وزير خارجية بلجيكا، هارمل (Harmel) قائلاً: «ما لم نبين للإسرائيلين أننا مستعدون في التحليل الأخير للمسألة لاستخدام القوة لإبقاء المضائق مفتوحة، فإننا لن نقدر على إقناعهم بالامتناع عن أخذ القانون بأيديهم. ومن جهة أخرى، إذا ما ألزمنا أنفسنا بذلك الآن وبهذه الطريقة فإننا لن نفقد مرونتنا في البحث عن حل سلمي فحسب، بل إن ذلك يضعنا في مواجهة عسكرية مباشرة مع ناصر».

ونتيجة لذلك، ضاعف راسك جهوده الدبلوماسية في مجلس الأمن مؤيداً لقرار دانماركي بدعم فكرة إيقاف السلوك العدائي التي طرحها يوتانت والبحث عن حل سلمي. وعمل غولدبيرغ جاهداً لحشد التأييد لهذه المبادرة، وبدا له أنه حقق تقدماً عندما سلمت مصر مسوّدتها التي تندد بالعدوان الإسرائيلي وتدعو إلى إحياء الهدنة. والفرصة الوحيدة لتحقيق اختراق إيجابي تكمن في التوصل إلى تفاهم ضمني مع السوفيات. عبر فيديرينكو (Federnko) شخصياً وبصورة سرية عن اهتمامه في منع الأعمال العدوانية. كانت السفن السوفياتية الموجودة في البحر المتوسط تقوم (بعرض عسكري)، كما قال. ومع ذلك ظل كلامه قاسياً يهاجم الأمريكيين لتنكرهم لحق مصر في فرض الحصار في حين أنهم هم أنفسهم يفرضون الحصار على كوبا و«يغرقون فيتنام بالدم». (٣٢)

تجاوزت الإدارة الأمريكية، لدى خيبة أملها في الأمم المتحدة، فيديرينكو وتوجهت مباشرة إلى رؤسائه في الكرملين. فأكدت رسالتان، أرسل الأولى منهما الرئيس جونسون إلى الرئيس كوسيجن، وأرسل الثانية راسك إلى غروميكو، تكمن المصلحة المشتركة بين البلدين في تأمين حرية المرور وتجنب نشوب حرب، ولكنهما وضعتا اللوم على عبد الناصر في فرض الحصار على المضائق وتعريض السلم العالمي للمخاطر. استخدم الأمريكيون سياسة «العصاة والجزرة». فكان تهديد إسرائيل

بالقيام بضربة استباقية هي العصا: إذ قالوا: «لا نظن أن إسرائيل سوف تتراجع... ولا ينبغي أن نطلب منها ذلك». ثم قدموا جزرتهم وهي: عقد اتفاق بشأن وقف الأعمال العدوانية، يتبعه مؤتمر قمة للقوى العظمى إما في نيويورك أو في موسكو.(٣٣) كان البيت الأبيض مازال ينتظر جواباً على مبادرته هذه عندما علّق مجلس الأمن اجتماعاته بعد جلسة وصفت «بأنها حارة أكثر مما هي مضيئة». ولن يعود إلى الاجتماع إلا بعد ٤٨ ساعة، يوم الإثنين في الخامس من يونيو (حزيران).

ومهما كانت المتابعات الدبلوماسية في الأمم المتحدة ومع السوفيات قاسية فهي محدودة القيمة بالمقارنة مع المباحثات المباشرة مع الخصمين نفسيهما. إذ يمكن تحقيق مكاسب أكبر بإعادة فتح قنوات مباشرة مع مصر. فجرت أول محاولة في هذا الاتجاه في الأول من يونيو (حزيران) قام بها تشارلز يوست (Charles Yost) خبير شؤون الشرق الأوسط في وزارة الخارجية، الذي وصل القاهرة لمساعدة نولت (Nolte). أجرى يوست اتصالاً مع معرفته القديمة، محمود رياض، الذي وافق على لقائه في بيته.

تكلم وزير الخارجية أكثر من تسعين دقيقة «بعاطفة جياشة ومرارة شديدة غير مألوفين عنه»، شاجباً بقسوة سياسة الولايات المتحدة (المؤيدة لإسرائيل تأييداً منقطع النظير) وشاجباً إسرائيل نفسها «ومعاملة الصهاينة للاجئين الفلسطينيين التي تُدرَّس لكل طفل في المدارس، الأمر الذي يجعل القضية حية أبداً».

وأوضح قائلاً: إن عبد الناصر لا يستطيع أن يفقد ماء وجهه بالتراجع عن الحصار، وسوف يقاتل كل من يحاول كسر الحصار. وعلى الرغم من أن جنرالاته يضغطون عليه للبدء بالهجوم، إلا أنه يفضل الانتظار حتى تقوم إسرائيل بالضربة الأولى، ومن ثم يقوم بتدميرها في الصحراء. وطرح رياض فكرة هي أن حرباً قصيرة يتبعها وقف إطلاق نار تفرضه الأمم المتحدة، يمكن أن يفتح الطريق المسدود. ثم يتقدّم الطرفان إلى تسوية واقعية، يعود بموجبها اللاجئون، وتجد إسرائيل مصادر نفطية بديلة. وقال: «ليست المسألة اقتصادية، بل نفسية محضة».

لم تبشر المحادثات بالخير بحيث يستمر الحوار مع القاهرة. إذ كتب يوست في تقريره يقول: إنه لا توجد هناك أية علامة على «أن العرب منهكون من المعركة ولا يوجد لديهم أي استعداد للتوصل إلى تسوية بشأن تيران». وتابع القول: «وبما أن الأفق المحصور بين قيام إسرائيل بالهجوم أو استخدام الغرب للقوة في المضائق يبدو قريباً جداً، فإن هياج العرب ووحدتهم سوف تتصاعد بدلاً من أن تخبو». وحذر من أن المصريين سوف يدافعون عن الحصار بالقوة. ولذلك رأى يوست أن تؤقلم الولايات المتحدة نفسها مع وضع عبد الناصر الجديد. وسوف تتعلم إسرائيل كيف تعيش دون إيلات كما كانت قبل العام ١٩٥٦ . (٣٤)

بيد أن لقاء يوست ورياض لم يكن سوى بداية لجهود واشنطن للوصول إلى عبد الناصر. وقد تضاعفت هذه الجهود على مستوى سري مختلف عن طريق روبرت ب. أندرسون (Robert B.Anderson) نفسه الذي حاول التوسط لعقد سلام مصري - إسرائيلي سري في العام ١٩٥٦ . كان صاحب النفط التكساسي الأصل على اتصال هاتفي مع الرئيس منذ نشوب الأزمة. وأثناء لقاء الوداع مع السفير المصري كامل في ٢٤ مايو، اقترح جونسون أن يقوم أندرسون برحلة سرية إلى القاهرة. وكان الجواب إيجابياً، وانطلق أندرسون برحلته واثقاً بالاعتقاد القائل إن الأزمة حدثت في الغالب بسبب الإشكالات المالية التي تعانيها مصر، وأن حلها يكمن في دعوة عامر إلى الولايات المتحدة. حيث يمكن التوصل إلى اتفاق تقدم بموجبه الولايات المتحدة القمح لمصر مقابل اعتدال مصر.

وصل أندرسون إلى القاهرة مساء ٣٠ مايو ليجد عبد الناصر مسترخياً واثقاً من نفسه، مدعوماً بزيارة الملك حسين. أصر عبد الناصر أن إسرائيل قد حشدت ١٣ لواء على الحدود السورية وسوف تهاجم في النهاية، ولكن لدى مصر «خططاً محكمة» للرد. والخوف الأساسي هو أن تكون سوريا مستاءة من المعاهدة المصرية - الأردنية الجديدة، أو أن تقوم إحدى المنظمات الفلسطينية بإشعال الحرب التي تجد مصر نفسها ملزمة للتدخل فيها. ولدى امتداح أندرسون لعبد الناصر بقوله: إن



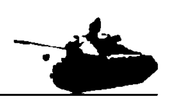
جميع المفكرين في مختلف أنحاء العالم العربي ملتزمون بعبد الناصر بقدر ما هم معارضون إلى مفهوم السلام، قال عبد الناصر مازحاً: «إني متأثر بنوعية الناس الذين يؤكدون هذا الالتزام أكثر من تأثري بالالتزام نفسه».

اتجه البحث في النهاية إلى تخفيف حدة الأزمة الحالية. قلل عبد الناصر من أهمية فرص نجاح تحكيم تقوم به الأمم المتحدة أو محكمة العدل الدولية، ورفض الوساطة الأمريكية المباشرة. واقترح، بدلاً من ذلك، وسيطاً محايداً، ولكنه لم يرغب بتحديد هوية هذا الوسيط. وفيما يتعلق بدعوة عامر إلى واشنطن، اقترح ناصر إرسال نائب الرئيس زكريا محيي الدين الذي سمي حديثاً، «قائداً لقوى المقاومة الشعبية» بدلاً منه. وافق أندرسون، واقترح زيارة متبادلة يقوم بها همفري، نائب الرئيس الأمريكي، إلى مصر.

نتج عن المحادثات رسالة من عبد الناصر أجاب فيها أخيراً على طلب جونسون الذي قدمه قبل أحد عشر يوماً. ولكن لهجة الكتاب لم تكن معتدلة إذ كرر الزعيم المصري اتهام إسرائيل بالتخطيط لغزو سوريا، وبانتهاكها الدائم لقرارات الأمم المتحدة، وبارتكابها العدوان. وبالمقابل، أكد أن الإجراءات التي اتخذتها مصر في المضائق كانت «شرعية»، وأنه لم يكن معقولاً أن تعبرها الشحنات الإسرائيلية. ومع ذلك، وبرغم كل هذا العناد، اختتم الرسالة بقبول دعوة محيي الدين إلى واشنطن والترحيب بنائب الرئيس الأمريكي إلى القاهرة.

هذا ما كان يسعى إليه البيت الأبيض، فتح الباب أمام الحوار. فسارعت مجموعة مراقبة الشرق الأوسط إلى البدء بالإعداد للقاء محيي الدين، بما في ذلك إعداد أفكار لتسوية إسرائيلية – عربية شاملة، مع بعض «اللمسات الشرقية» ترضي الأناس عند عبد الناصر. اتخذت احتياطات لوصول الفريق المصري المبكر في ٥ يونيو (حزيران). (٣٥)

كانت السياسة الأمريكية تسجل تقدماً –في التخطيط لخطة ريغاتا، وفي حث مجلس الأمن، وتجديد الروابط مع ناصر، برغم وجود بعض العقبات الهائلة. إذ ما زالت هناك أسئلة وأجوبة كثيرة حول أعقد القضايا– وهي إسرائيل.



رحبت واشنطن بتسلم موشي دايان منصب وزير الدفاع ترحيباً متناقضاً. ففي حين أنها لم تكن «متفائلة كثيراً» كان باربر يعتقد أن تعيين الجنرال السابق في هذا المنصب ربما يدعم إحساس بلاده بالأمن: «إذا ما استطعنا الحفاظ على الزخم الدبلوماسي... فإن فرص النجاح مع الإسرائيلين تتحسن أكثر من ذي قبل». وأشار راسك بحذر أكثر إلى أن دايان لم يكن ملتزماً سياسياً بإشكول ولا ببن غوريون، وبالتالي يتوقع أن يختط لنفسه طريقاً مستقلة. وقال لسفرائه ناصحاً: لا يوجد هناك دلائل -وكرر كلمة «لا»- على انفجار الأعمال العدوانية وشيكاً أثناء تقدم المناورات السياسية، «بيد أن الآخرين كانوا أقل تفاؤلاً. فقد تنبأ لوشيس باتل (Lucious Battle) قائلاً: «إن تعيين دايان هذا يزيد من احتمال اتخاذ قرار نهائي باللجوء إلى العمل العسكري».

ويظل السؤال الهام: «كم سينتظر الإسرائيليون؟ فهل يرجئون إطلاق النار إلى الشهر الذي يقدر مخططو ريغاتا تنفيذ الخطة فيه، أو أنهم كما تعتقد المخابرات الأمريكية، سيبدؤون الحرب في غضون أسبوعين؟

ورغم أن جونسون ما زال محتفظاً بإحساس أكيد بأن الإسرائيلين سوف يتصرفون من تلقاء أنفسهم، ظل مصمماً على كسب أكبر وقت ممكن للدبلوماسية. وكخطوة مناظرة لزيارة محيي الدين إلى واشنطن، طلب إلى هاري ماكفيرسون (Harry Mcpherson) مستشار البيت الأبيض، الذي كان في فيتنام التوجه إلى إسرائيل في ٥ يونيو (حزيران). وخوله بعقد لقاءات صريحة عالية المستوى مع مبعوث إشكول، مئير أميت (Meir Amit). (٣٦)

إن أميت هذا المكتنز الجسم المفعم بالنشاط (والذي كان مازال بعد خمسة وثلاثين عاماً مديراً لبرنامج السواتل الإسرائيلية) البالغ من العمر ٤٤ عاماً والذي كان قد خدم كرئيس عمليات في الهاغناه في العام ١٩٥٦ ، تحول أخيراً من الميدان إلى التجسس.



في العام ١٩٦١، عُين بعد حصوله على الدرجة الجامعية الأولى من كلية الأعمال في جامعة كولومبيا رئيساً لمخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي، وبعد سنتين عين مديراً للموساد. لقد أبعد جهاز الموساد عن تصيد النازيين، ووجهه إلى تعقب برنامج الصواريخ المصرية، وكلف إيلي كوهين بمهمة التجسس الشهيرة -وخسره- وحقق أجرأ إنجاز له في أغسطس (آب) من العام ١٩٦٦ بانشقاق طيار ميغ -٢١ عراقي وهربه بطائرته إلى إسرائيل. وكان قد أقام روابط مع الجنرال المصري عزم الدين محمود خليل - أملاً في تخفيف حدة الأزمة في سيناء - ولكن دون جدوى. وبعد ذلك ساعد رابين وياكوف هيرتزوغ (يعقوب) (Yaakov Herzog) في صياغة التحذيرات الموجهة إلى إيبان وهو في واشنطن، مقتنعاً بأن على إسرائيل أن تتصرف على الفور وما إن تخوض الحرب حتى تربحها. وطمأن إشكول بثقة قائلاً: «إذا بدأ عبد الناصر بالضربة الأولى، فهذا يعني أنه انتهى».

كان أميت معروفاً تماماً في واشنطن حيث لم يكن لشهرته هناك أي معنى. قال وولت روستو للرئيس الأمريكي واصفاً أميت: «من مواليد إسرائيل... وهو أكثر تراخياً، وأقرب للطبيعة العادية من هارمان وإيبان اللذين كانا يثبتان باستمرار مصداقيتهما». وأضاف قائلاً أيضاً: «ومن الصعب إمساك هؤلاء الأولاد إسبوعاً آخر من الآن». وكانت اتصالاته واسعة في ال CIA وخصوصاً مع جون هادن (Jahn Hadden) رئيس مكتب تل أبيب في وكالة المخابرات المركزية. وكان هادن قد أيقظ أميث في بداية الأزمة الساعة ٢،٣٠ صباحاً ليحذره قائلاً: «إن أطلقتم الرصاصة الأولى، فذلك شأنكم وأنتم المسؤولون وحدكم».

كانت مهمة أميث الأولى هي التأكيد على التمسك بذلك التحذير. ومهمته الثانية هي إقناع الأمريكيين بأنه «لو سمح لإسرائيل أن تقوم بالعمل القذر قبل عشرة أيام لما كان هناك خطر من تورط الولايات المتحدة، أما الآن، إذا لم تشن إسرائيل الحرب، فإن الولايات المتحدة هي التي ستشنها لإنقاذ ما يتبقى من الشرق الأوسط.» وسيقول أميث: «إسرائيل لا تريد أن يحارب الأمريكييون عنها.



فهنا ليست فيتنام، بل تريد فقط منع السوفيات من التدخل، وتقديم الدعم السياسي لإسرائيل في الأمم المتحدة، وإرسال شحنات أسلحة على وجه السرعة. حاول إشكول من التقليل من أهمية مهمة أميت واصفاً إياها باليديشية «فانتوفلاش (Fantoflash)» (أي شبشب منزلي)، ولكن الرسالة التي حملتها مهمته كانت خطيرة: «دم إسرائيل في ضمير أمريكا».

استاء أميت، لدى مغادرته إسرائيل متخفّياً في ٣١ مايو (أيار)، إذ وجد على متن طائرته عدداً من الشخصيات الإسرائيلية البارزة الذين كانوا هاربين، على ما يبدو. التقى في واشنطن بجيمس عيسى أنغلتون (James Jesus Angleyon) ضابط الارتباط مع الموساد منذ زمن طويل بحيث صار يعرف بـ «أعظم صهيوني في الـ CIA».

كان أنغلتون في نظر أميت أكثر رغبة في القتال من معظم الجنرالات الإسرائيليين، إذ أصر أن السوفيات مازالوا يخططون لهذه الأزمة منذ سنين وأن على جونسون أن يرحب سراً بمبادرة إسرائيلية لإحباط السوفيات وخططهم. وقال: «إن خطة ريغاتا لن تغادر مكانها». وطرح ريتشارد هيلمز، أحد معارف أميت، آراءً مماثلة، إذ قال: «الكلمة الأخيرة ينبغي أن تأتي من جونسون، أو راسك أو ماكنمارا».

بقي اجتماع واحد في مقر الـ CIA مع ثلاثين خبيراً في شؤون الشرق الأوسط الذين فتحوا دفاترهم على تقديراتهم للقوات العربية، وتبين أنها تتفق كلياً مع تقديرات إسرائيل. علق أميت قائلاً: «الجو متفجر جداً ولكنه مفعم بالإرادة الطيبة»، مقتبساً عبارة جاك سميث، رئيس الدائرة الذي قال له: «إنك تعض المرتدين». أما النقاش الجوهري، فمازال هناك، مباشرة مع ماكنمارا.

يعرف ماكنمارا الأستاذ السابق في كلية الأعمال في جامعة هارفارد ورئيس شركة فورد ومهندس الكثير من تورط أمريكا في فيتنام، بسلوكه البارد وتصرفه المنهجي. استقبل ماكنمارا أميت بقميصه، دون ربطة عنق ودون معطف استقبالاً حاراً.

وأرسل بتحياته إلى موشي دايان قائلاً: «ستنتهي الحرب في يومين: وستكون خسائر إسرائيل فادحة ولكنها أقل من خسائرها في العام ١٩٤٨». ثم عرض طلب إسرائيل دعماً سياسياً وعسكريا أمريكاً، ثم قال أميت، محاولاً صرف انتباه مضيفه عن مسألة الضربة الاستباقية، إنه عائد بتوصيات بشأن الحرب. «أقرؤها لك بصوت مرتفع وواضح». وكان جواب ماكنمارا ببساطة: «كان ذلك مساعداً لنا تماماً».

تبين سجلات أميت أن الرئيس جونسون جاء إلى الاجتماع مرتين، وكان في كل مرة يحاط علماً بما جرى فيه. واستنتج رئيس الموساد أن الرئيس الأمريكي ووزير دفاعه لم يقولا لإسرائيل بصراحة: «لا تذهبي إلى الحرب». ولكن ماكنمارا اعترض فيما بعد على هذا الاستنتاج قائلاً: «لا أصدق أنه كان يعتقد ذلك فنحن ضد الضربة الاستباقية بصورة مطلقة كنا نخشى أن الضربة الاستباقية، ربما تؤدي بالضرورة، بتحريض السوفيات على التدخل، إلى التدخل الأمريكي لإنقاذ إسرائيل». ولكن أميت قد لحظ انقساماً بشأن خطة ريغاتا في البيت الأبيض، وأن البيت الأبيض يرفض مساعدة إسرائيل عسكرياً، فيما عدا تزويدها بأقنعة الغاز والأدوية. فإذا ما كانت غاية جونسون من مجاملة أميت أن يهدئ من مخاوف إسرائيل ويشتري مزيداً من الوقت للدبلوماسية، فإن هذه الغاية قد أحبطت.

إذ سيعود أميت مقتنعاً أن إسرائيل لم تكسب شيئاً من الانتظار ما خلا مضاعفة خسائرها. (٣٧)

وتوصل أبي هيرمان (Abe Herman) إلى النتيجة ذاتها، على مضض، بعد حوالي ثلاثة أسابيع من الجهد المكثف للتوصل إلى طريقة عمل مع الولايات المتحدة.

استدعي السفير إلى القدس للتشاور، وليطرح وجهة نظره إلى جانب وجهة نظر أميت.ومع ذلك توجه إلى راسك، قبل مغادرته واشنطن، للمرة الأخيرة عساه يحصل على ضمانات ملموسة للعمل العسكري. اعتذر وزير الخارجية الأمريكي قائلاً: إنه لا يستطيع تقديم ضمانات أكثر من التي تلقتها إسرائيل، وحذر مرة أخرى من القيام

بضربة استباقية. واغتنم الفرصة ليعلن عن حقيقة زيارة محيي الدين المقبلة إلى واشنطن، ووعده بأن يبقي إسرائيل «في الصورة». كان هارمان مكتئباً حزيناً لسماعه هذا النبأ. فالإدارة سوف تفتح مفاوضات مطولة مع مصر، وسوف يؤجل تنفيذ خطة القافلة بالتأكيد. وسأل قائلاً: «هل على إسرائيل أن تتحمل عشرة آلاف إصابة قبل أن تعترف الولايات المتحدة أن العدوان قد حصل؟» ثم قال: «هل ستقوم مصر بالهجوم أولاً؟ لقد قامت به إسرائيل». (٣٨)

قوة الدفع الدايانية:

ربما يعود أميث إلى بلد مختلف اختلافاً كبيراً عن تلك التي غادرها قبل ثمان وأربعين ساعة. إذ بدأ جو الهلع يتبدد ويحل محله إحساس متنام بالاتزان ورباطة الجأش، إن لم يكن إحساساً بالثقة. ففي الجيش، بدأ الجنرالات يعتبرون فترة الانتظار (بالعبرية Ha-Hamatan) مزيجاً من البركات، إذ أتاحت للمصريين فرصة توضيع قواتهم في خطوط متقدمة التي - في حال اختراقها - ستترك معظم سيناء مكشوفة لا يمكن الدفاع عنها. كما أن نسبة كبيرة من سلاح الجو المصري قد أخذ مواقع متقدمة شرقاً بحيث أصبح ضمن مرمى القاذفات الإسرائيلية. وفي هذه الأثناء، استخدم جيش الدفاع الإسرائيلي الزمن لاستكمال استراتيجيته الهجومية وتدريب عناصره وتوضيعهم في المواقع المناسبة. والتنقلات الاضطرارية للجنود التي شكى منها شارون قد انتهت. وقال شلومو ميروم (Shlomo Merom) أحد ضباط المخابرات: «لقد ثبت الجيش وأقفل عليه ولم يبق إلاّ ضغط الزناد».

ومن الناحية السياسيّة، استقر الوضع في إسرائيل: فالمناورات والصفقات المضنية التي كانت نشطة في الأسابيع السابقة قد مضت وأسفرت عن حكومة وحدة وطنية ضمت الأحزاب المعارضة الكبرى. وعقدت أول اجتماع لها يوم الخميس ليلاً في الأول من يونيو (حزيران). وكان مناحم بيغن يشغل فيها منصب وزير بلا حقيبة وألقى في ذلك الاجتماع خطبة أرجوانية منمقة حول الأمة اليهودية والمحن القاسية التي تنتظرها. وكان رد إشكول عليها: «آمين.آمين». (٣٩)



ثم اتخذت الحكومة أول قرار واقعي لها يدعو إلى عقد لقاء مشترك مع هيئة الأركان العامة ولجنة الدفاع الوزارية في الساعة ٩.٢٥ صباحاً في غرفة العمليات.

كانت هذه التحولات نتيجة لعوامل عديدة - الضغط الجماهيري الشعبي، التعبئة المحسَّنة، والإدراك الغريب بأن إسرائيل تقف وحدها. ومع ذلك لم يتمحور اهتمام الشعب حول أحد مثلما تمحور حول صعود فرد واحد هو وزير الدفاع الجديد، موشي دايان.

كتب ميشيل هاداو (Michael Hadow) عن محادثاته الكثيرة مع دايان: «إنه يستمتع بطرق أفكار جديدة للنقاش، ومع ذلك يجده المرء يجادل في اتجاهات متناقضة يوماً بعد يوم». والواقع أن دايان كان رجل تناقضات كلاسيكي: مشهور كمحارب، واعترف باحترامه العميق للعرب بمن فيهم أولئك الذين هاجموا قريته ناحال (Nahal) في مطلع ثلاثينيات القرن العشرين، والذين ضربوه وتركوه أقرب إلى الموت منه إلى الحياة. وهو شاعر، وكاتب قصص للأطفال، واعترف علناً بأنه رُزق بأطفال، وكان مغازلاً مشهوراً، كذلك. محباً للأرض وجعل من نهبها هواية، وجمع مجموعة آثار شخصية هائلة، شديد الانضباط بالنظام العسكري، نزّاعاً إلى احتقار القانون.

وقال عنه أحد زملائه في الصف: «كان كاذباً، مدبراً للمكائد، مغروراً يحب إبداء الإعجاب به - ورغم ذلك كله كان موضع إعجاب عميق».

كذلك الآراء فيه متناقضة. فالمعجبون به مثل مئير أميث يرونه: «أصيلاً، جريئاً، ذا عزم وتصميم. قائد يُشع سلطة وقيادة، ذو غرائز رائعة تقوده دائماً إلى التوفيق والنجاح». وهناك آخرون كثر يرون فيه العكس تماماً، من بينهم جدعون رافائيل (Gideon Rafael) «إنه يهز القارب بتكتيك محبب ليس ليقلبه، بل ليحرفه بحيث يجعل الربان يفقد سيطرته عليه، ويجعل الركاب غير المرغوب فيهم يقعون من القارب إلى البحر». وأشار إشكول إلى دايان في جلسة خاصة واصفاً إياه بـ «أبو جلدة «لص عربي أعور سفيه».

ومع ذلك لا يستطيع أحد، سواه من المتعصبين له أو ضده أن يطعن في ثراء خبرته. بدأت خبرته بخدمته كقائد وحدة الفدائيين البريطانية الأسطورية «أورد وينغيت (Orde Wingate)، ومن ثم كقائد في الهاغناه، أدخل في سجن بريطاني، بسبب ذلك لمدة سنتين. وأطلق سراحه في العام١٩٤١ . كما خدم كعنصر استطلاع لهجوم الحلفاء ضد الفيشيين الفرنسيين في سوريا ولبنان حيث فقد عينه اليسرى في الحرب واكتسب علامته المميّزة «الرقعة السوداء على عينه». وقاد فيما بعد أثناء حرب ال ٤٨ وحدات الخط الأمامي في اللد والقدس ووادي الأردن. لوحظت فطنته السياسية إلى جانب مواهبه العسكرية، في وقت مبكر بحيث عين، بعد الحرب، مندوباً لمفاوضات الهدنة في رودس (Rhodes). وبعد أربع سنوات، في الثامنة والثلاثين من عمره أصبح دايان رئيساً لهيئة أركان جيش الدفاع الإسرائيلي، وأخذ يتابع سياسة الانتقام التي أدانها معظم العالم، ولكنها جعلت شعبيته في إسرائيل تتصاعد -ثم تعززت أكثر بفضل أدائه المتألق في حملة السويس. وبعد ذلك انضم إلى حزب ماباي أولاً، ثم إلى حزب رافي. كان سياسياً ذكياً غامضاً- قريباً من بن غوريون ولكنه لا يدين له، معارض لإشكول ولكنه لا يحقد عليه ولا يعانده.

كان فريد الأداء الفردي (كما قال عنه رفائيل) يحترم من جهة، ويخشى من جهة ثانية لبراعته السياسية وأعماله المثيرة. (٤٠)

كان لعودته إلى العمل العام نتائج فريدة في تهدئة العسكريين والمدنيين على حد سواء وفي تعزيز مجلس الوزراء في ما ينتظره من قرارات عالية الأهمية. قال فيه غيداليا غال (Gedalia Gal) نائب قائد كتيبة مظليين: «كان تعيين دايان متنفساً للهواء الطازج... لأنه يمثل التغيير... ولأن الشعب كان قلقاً ليس لأننا لم ندخل الحرب، بل لأن الحكومة كانت، على ما يبدو، تخشى الحرب».

كان أثر قوة الدفاع الدايانية هذه جليّاً في الاجتماع الأول للحكومة الائتلافية، يوم الجمعة ليلاً، حيث كانت الهيمنة لوزير الدفاع. وقال شارحاً الموقف: «أمام إسرائيل خياران، إما القبول بالحصار كأمر واقع، ونتخذ مواقع دفاعية دائمة -



وهذا خيار غير قابل للبقاء، وإما أن نضرب المصريين على الفور». وأكد أن «فرصة البلاد الوحيدة لكسب الحرب هي بأخذ زمام المبادرة والقتال وفق تصاميمنا نحن». ثم أردف يقول متفائلاً: «إذا ما افتتحنا نحن الحرب وعبرنا سيناء بدباباتنا، فإنهم سيقاتلون وفق حربنا. بل أكثر من ذلك، تظل لدينا فرصة الاحتفاظ بقوات محدودة على الجبهات الأخرى». ثم خفض صوته، وشحب وجهه، لدى قوله: «ومع ذلك، ليكن الله في عوننا،إذا ما قاموا هم بالضربة الأولى. عندها لن نخسر قدرة الضربة الأولى فحسب، بل يتوجب علينا أن نقاتل حربهم ووفق خططهم... وعلى أرض حيوية بالنسبة لنا». (٤١)

كان دايان يتحدث وكأن الحرب أمر مفروغ منه، ولكن إشكول كان مازال بحاجة إلى إقناع. إذ كان يعتقد أنه لو كان هناك حل دبلوماسي، فإن الخوف يظل يساور إسرائيل من السوفيات. وكان أحد الخبراء الإسرائيليين في سياسة موسكو الخارجية، وشيوعي متمرس نفاه ستالين إلى سيبيريا، هو بيرغر بازريلاي قد قال لمخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي، بأن الاتحاد السوفياتي سيستخدم كل نفوذه وقوته للاحتفاظ بموقع له في الشرق الأوسط. ولدى سؤاله بصورة محددة حول إمكانية تدخل السوفيات في الحرب، أجاب بيرغر بارزيلاي (Bergen Barzilai) «طبعاً سيتدخلون». ويبدو أن تقييم بيرغر قد تعزز ببرقية أخرى وصلت من كوسيغن إلى إشكول يحذره فيها من «أنه إذا ما أصرت حكومة إسرائيل أن تتحمل مسؤولية نشوب مواجهة مسلحة فإن عليها أن تدفع الثمن كاملاً لمثل هذا التصرف».

مازالت آمال إشكول مركزة على الأمريكيين، وعلى رغبتهم في دعم إسرائيل لدى محاولتها كسر الحصار، إن لم يكسروه بأنفسهم. ثم التفت إلى المخابرات العسكرية وطلب منهم أن يلتقطوا أية إشارة تفيد بأن البيت الأبيض سيدعم قيام إسرائيل بعمل عسكري من طرف واحد ومنفردة - ما يسمى «بالضوء الأخضر». من بين الأدلة التي جمعت إشارات صدرت عن جوزيف ألسوب (Joseph Alsop) محرر زاوية في مجلة النيوزويك، وعن تاونسندهوبيز (Townsend Hoopes) تنفي وجود

أية نية جادة لدى الولايات المتحدة لإعادة فتح المضائق، وتحث إسرائيل على فعل ذلك وحدها. ووفق ما ذكره أبي فينبيرغ (Abe Feinberg) فإن غولد بيرغ (Goldberg) قد أقنع جونسون بأن قيام إسرائيل بضربة استباقية هو السبيل الوحيد الممكن. وجاء في الملف أيضاً اتصالات جرى التقاطها تفيد بأن الزعماء العرب لم يعودوا يرون في فكرة «القافلة» تهديداً خطيراً. وبعد زيارة محيي الدين إلى واشنطن حذرت المخابرات من احتمال دعم الولايات المتحدة لإعادة إحياء نظام الهدنة ووضع قوات أمم متحدة في الأراضي الإسرائيلية.

حفزت هذه المعطيات مبادرة إسرائيلية هادئة أخرى في واشنطن. إذ أطلع إيفرون (Evron) الإدارة الأمريكية على سيناريو تقوم بموجبه سفينة شحن إسرائيلية باختبار الحصار. عندها تقوم مصر بإطلاق النار على الباخرة، فترد إسرائيل بمهاجمة شرم الشيخ، مسرّعة بذلك نشوب الحرب. وسأل: «هل ستنفذ الولايات المتحدة التزاماتها التي قطعتها على نفسها لإسرائيل في العام ١٩٥٧: هل ستصد السوفيات؟ «قال الوزير: إن خطة كهذه ربما تخدم أكثر المصالح الأمريكية مقابل المصالح العربية والروسية، وفي الوقت نفسه تلبي مصالح إسرائيل أيضاً. وإذا لم تطلق مصر النار على القافلة الدولية، كما تنبأت المخابرات الإسرائيلية، فإن قضية الحصار لن تُسوى. ومما أدهش إيفرون وإشكول أن روستو لم يرفض الاقتراح ولكنه مرّره إلى الرئيس، مع ملاحظة شخصية تقول: «أيا كان الرابح (في هذه الأزمة) فنحن الخاسرون بالتأكيد». (٤٢)

عززت هذه التطورات عزم إشكول على تنسيق تحركات إسرائيل مع الولايات المتحدة على أوثق مستوى ممكن. فسأل دايان وإيبان في آخر ليلة الخميس: «ما الذي ينبغي أن نفعله كي لا يقول لنا الأمريكيون، «ولكنكم وعدتم بالانتظار،؟» لم يعد لدى وزير الخارجية جواب لأنه هو أيضاً قد يئس من الخيارات الدبلوماسية. ولدى سؤاله من قبل مراسلي الصحف عن طول المدة التي ستنتظرها إسرائيل، أجاب قائلاً: «يمكنكم حذف السنوات والشهور من مفرداتكم... فإسرائيل ستفتح المضائق

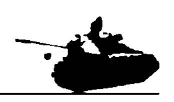


وحدها إن لزم الأمر، ومع الآخرين إن استطعنا». وقد قال لدايان الآن «إن هناك ساعتين، واحدة في واشنطن تتك باتجاه القافلة، والثانية في إسرائيل تتك باتجاه الحرب. ودقاتهما غير متناسقة». لم تثر هذه الملاحظة أي نقاش لدى دايان الذي كان منذ زمن يفرّق بين القضية السياسية المتعلقة بإعادة فتح المضائق والضرورة الإستراتيجية لتأكيد دفاع إسرائيل وضمانه. والسؤال الوحيد الذي كان يؤكده هو: «ماذا تنوي الولايات المتحدة فعله بشأن التهديد العسكري العربي؟».

واجه هذا السؤال نفسه أعضاء هيئة الأركان العامة ولجنة الدفاع الوزارية صباح اليوم التالي في غرفة العمليات. إذ افتتح بارليف الاجتماع بقوله: «هذه ساعة مصر الكبرى. متنبئاً بأن الجيوش العربية المجتمعة تستطيع دحر إسرائيل إلى خطوط التقسيم بموجب قرار الأمم المتحدة، وربما أكثر وكان موضوعه الرئيس هو الأمريكيون، قائلاً: «إننا نرى أن الولايات المتحدة لا تنوي فتح المضائق بالقوة ولا أن تتخذ خطوات ملموسة في المستقبل القريب لحل المشكلة بين مصر وإسرائيل. ومع ذلك، نحن نعتقد أن الولايات تتفهم حاجتنا لشن حرب، وأعتقد أنه لا بد لنا من أن نحارب».

التقط رابين الإشارة، فقال: «لقد دخلنا وضعاً لا رجعة فيه. وهدفنا هو توجيه ضربة قاضية لعبد الناصر وأعتقد أن ذلك سيغير النظام كله في الشرق الأوسط. والأكثر من ذلك، إذا ما قمنا بالضربة وحدنا -أي عدم تلقينا مساعدة من أحد- سيكون لهذه الضربة انطباع أكبر من الانطباع الذي أحدثته حرب العام ١٩٥٦». وشرح فكرته قائلاً: إن ما من أحد في هيئة الأركان يريد الحرب، ولكن تدمير عبد الناصر هو خيار إسرائيل الوحيد لتبقى على قيد الحياة».

ثم اندفع الجنرالات يقدم كل منهم خطته للحرب، بدءاً من قائد سلاح الجو موتي هود (Motti Hod) الذي ادعى أن سلاح الجو الإسرائيلي يعرف مرابض جميع الطائرات النفاثة المصرية، وأنه يستطيع القضاء على معظمها وهي على الأرض،



وذلك بفضل القيام بألف غارة يومياً. ومع ذلك لفت الانتباه إلى طلعات العدو الاستطلاعية فوق إسرائيل، وحذر من مخاطر التواني قائلاً: «نحن جاهزون للبدء بالعمليات العسكرية فوراً». واختتم كلامه بقوله: «لا حاجة لنا بالانتظار حتى ٢٤ ساعة».

تلاه في الحديث شايكي غافيش (Shaike Gavish) طارحاً ما لديه من خرائط لمواقع انتشار المصريين في سيناء، متتبعاً الحشد من فرقتين إلى ستة كلها قد أخذت مواضعها تماماً. وقال: «إذا ما هاجمنا شرم الشيخ مباشرة بعد الإغلاق، فإنها ستكون نزهة».

أما أريك شارون (Arik Sharon) فقد صرح قائلاً إن: «الجيش مستعد وجاهز أكثر من أي زمن مضى لصد الهجوم المصري و.... إبادة الجيش المصري ومسحه عن وجه الأرض. وسوف تمر الأجيال قبل أن تهددنا مصر ثانية».

انتهت الإيجازات، وجاء دور الوزراء. فسأل حايم موشي شابيرا «ماذا بشأن قصف مدننا؟» وأيده زالمان أران بطرح هذا السؤال. قائلاً: «وماذا بشأن خسارتنا في الطائرات؟» وتساءل العديد من الوزراء قائلين طالما أن القوات المصرية موجودة في سيناء الآن فلماذا لا ننتظر أسبوعاً أو اثنين؟».

فرد هود قائلاً: «خير دفاع عن مدننا هو تدمير سلاح الجو المصري». وطمأن الوزراء بأن خسائر الطيران الأمريكي في فيتنام بلغت ١٤٪، أما خسائرنا ستكون أقل».

طرحت أسئلة أخرى وأجيب عنها كلها في حينه إلا سؤالاً واحداً، طرحه وزير الصحة إسرائيل بارزيلاي، هو: «ولكن إذا ما كانت الضربة الأولى ناجحة جداً بحيث تضطر الاتحاد السوفياتي إلى التدخل ما هو موقفنا؟».

وقف هود، ولم ينبس ببنت شفه. حاول رابين إنقاذه قائلاً لبارزيلاي إنه ليس من المحتمل أن يتورط السوفيات عسكرياً، وبدلاً من ذلك سوف يسعون بالتعاون مع الولايات المتحدة إلى وقف القتال.



كان الجو في غرفة العمليات -حاراً، مشبعاً بدخان السجائر- قد أصبح لا يطاق، كما أن صبر الجنرالات قد نفد. هب أفراهام (Avraham) واقفاً على قدميه صائحاً: «مازلت في النقب مع جنود الاحتياط منذ أربعة عشر يوماً؛ والشعور السائد هناك هو شعور بفشلنا في اتخاذ زمام المبادرة. ناصر يزداد قوة ونحن نجلس هنا لا نفعل شيئاً. علينا بأخذ زمام المبادرة من ناصر!».

وتكلم في أعقابه ماتي بيلد (Matti Peled) أمين الإمداد والتموين في الجيش، بحماس أكثر: «العدو يرسخ أقدامه ويزداد قوة في حين أن اقتصادنا يزداد ضعفاً، وكل ذلك لغاية لم يشرحها لنا أحد حتى الآن».

ثم تكلم أرئيل شارون (Ariel Sharon) قائلاً: «كل هذا التودد للقوى الكبرى، والتوسل إليها كي تساعدنا، ينسف قضيتنا. فإذا ما كنا نريد البقاء هنا فعلينا أن ندافع عن حقوقنا».

نشب عراك صاخب. كانت «حرب استنزاف» كما وصفه الكولونيل ليور (Lior) الذي كان مقتنعاً أن الجنرالات قد خططوا لها سلفاً. «إذ ظلوا يقرعون رؤوس الوزراء. ولا أدري هل كان هدفهم إركاع الوزراء أو دفعهم إلى البكاء».

انخرط إشكول في هذه المشاجرة. ولم يكن أمامه، بعد الانهاك الذي لحق به، والتعب الذي حل به في الوطن واليأس الذي غمره من الأمريكان أينما حل وأينما رحل، سوى أن يتواءم مع صيحة الحرب في غضون ثمانٍ وأربعين ساعة. ولكن ظل يناقش موضوع الزمن أملاً في أن تخول واشنطن القافلة الدولية بالانطلاق، أو أن تعطي إسرائيل «ضوءاً أخضر». فأفهم الجنرالات قائلاً: «ما زلنا بحاجة إلى مساعدة جونسون ودعمه. وآمل ألا نحتاج ذلك في أثناء الحرب ولكننا سنحتاج عونه ودعمه بالتأكيد إذا ما انتصرنا من أجل حماية مكاسبنا.

وأود أن أوضح للرئيس، دون أدنى شك، أننا لم نضلله؛ وأننا منحنا العمل السياسي المصمم لمنع الحرب الزمن اللازم. ويوم أو يومين زيادة أو نقصاناً لن يغير النتيجة. ثم تابع إشكول، غاضباً، ومذكراً شارون بأن «التودد إلى القوى الكبرى» هو

الذي أتى لك بالسلاح الذي يمكّن إسرائيل من الدفاع عن نفسها، ويحرر البلد من الحاجة إلى الأصدقاء عندما تتوقف الحرب. وأردف قائلاً: «علينا أن نسأل أنفسنا إذا ما كان بإمكاننا نحن البلد ذي المليوني نسمة أن نخوض حرباً كل عشر سنين، وهل نستطيع تحدي الولايات المتحدة والعالم؟» ثم اختتم قوله أخيراً، بقوله بصوت رصين: «لا شيء يسوّى بالنصر العسكري. فالعرب سيظلون هنا». (٤٣)

من الواضح أن موشيه دايان كان صامتاً أثناء المشاجرة. كان مشمئزاً، وهو صامت يفكر، مما اعتبره تدخلاً من قبل الحكومة في رؤيته كوزير للدفاع، وأخبر ليور قائلاً: «إنني أعارض القرارات التي تتخذ بالأكثرية بشأن قضايا الأمن».

ومع ذلك ما إن انفض اجتماع غرفة العمليات حتى التقى، على انفراد، مع إشكول وإيبان وألون؛ وانضم إليهم فيما بعد رابين وهيرتزوك، كذلك. وقال لهم دايان إن على الحكومة أن تجتمع غداً الأحد وتخول الجيش بالتصرف، والحرب ستبدأ في اليوم الثاني عند شروق الشمس. واقترح ألون الاستيلاء على القناة واستخدامها ورقة للمساومة لقاء مضائق تيران، ولكن دايان رفض هذا الاقتراح معللاً ذلك بأن المصالح الأجنبية الهامة مرتبطة بالقناة، ولا تستطيع إسرائيل إبعادها. كما رفض اقتراح ألون في احتلال غزة معللاً رفضه بأن قطاع غزة الذي يبلغ طوله ٢٠ ميلاً سوف يستسلم دون أية طلقة في اللحظة التي تسقط فيها سيناء.

لم يعد إشكول يقاوم إملاءات دايان، وحتى إيبان بدا راغباً في الانصياع. لقد حدث التحول في قلب وزير الخارجية بالتدريج متأثراً أولاً بالتقارير التي تشير إلى عجز جونسون عن إطلاق خطة ريغاتا (القافلة الدولية / سباق الزوارق)، ومن ثم بالأدلة التي توحي بأن واشنطن لم تعد تنظر شزراً إلى ضربة استباقية إسرائيلية. وكان للإشارة العفوية التي صدرت عن وزير الخارجية الأمريكي، راسك، عندما سئل فيما إذا كانت الولايات المتحدة تتابع كبحها لإسرائيل، فأجاب: «لا أعتقد أن مهمتنا هي كبح أحد». ثم تلقى إيبان رسالة من أبي فورتاس (Abe Fortas) عبر مصدر



سري موثوق، مفادها أن وزارة العدل غاضبة من راسك لأنه يضيع الوقت وإسرائيل تحترق، «فبدت هذه الرسالة وكأنها إشارة إلى إسرائيل بالمضي قدماً: «لو تصرفت إسرائيل وحدها دون استنفاد العوامل السياسية فإنها تكون قد ارتكبت خطأ كارثياً. ولكان من المستحيل أن تهب الولايات المتحدة لمساعدة إسرائيل، وأن العلاقات مع إسرائيل الناشئة عن هذا السلوك ستكون متوترة. وإذا ما نشبت الحرب فربما تكون طويلة ومكلفة. وعلى الإسرائيليين أن يتيقنوا من أن الإجراءات المدروسة جيداً والمنضبطة سيكون لها أثر حاسم عندما تشرع الولايات المتحدة بدراسة إجراء انخراطها في الأزمة».

أما الضوء الذي أعطاه أرثر غولد بيرغ فكان على ما يبدو «أكثر اخضراراً»، إذ قال: «عليكم أن تفهموا أنكم تقفون وحدكم، وعليكم أن تعرفوا النتائج، «ثم أفضى إلى جدعون رفائيل موضحاً أن خطة ريغاتا قد ماتت وأن إسرائيل وحدها هي القادرة على مواجهة تهديد ناصر القائم حالياً. واختتم كلامه قائلاً: إن الرأي العام الأمريكي والعالمي سيكون في صالح إسرائيل، خصوصاً إذا ما بدأ العرب بإطلاق النار». إنني أفهم أنكم إن تصرفتم فلسوف تعرفون كيف تتصرفون». (٤٤)

كان لمثل هذه الإشارات، انطباع حاسم لدى إيبان: أما دايان، فلم يكن لديه سوى وقت قليل لتحليل هذه الإشارات، على أية حال. فلقد كان مُستغرقاً بعمق في استراتيجية الحرب ذاتها، وبلقاءاته مع الجنرالات الذين قال لهم في غرفة العمليات: يوم السبت ليلاً: «علينا ألا ننتظر أكثر من ٧٢ ساعة حتى نقوم بضربتنا. وبالتالي سوف يقيم النجاح ليس بعدد الدبابات المصرية التي ندمرها. بل بمساحة الأرض التي نستولي عليها». وينبغي أن تشمل هذه الأرض شبه جزيرة سيناء بأكملها فيما عدا قطاع غزة والقناة. وكان رابين، أيضاً، يعارض الاستيلاء على شرم الشيخ معللاً ذلك بأنها بعيدة، ومعقدة تعبوياً - بيد أن دايان أصر على احتوائها في الأراضي المنوي احتلالها قائلاً: إن مضائق تيران، مثلها كمثل غزة، سوف تسقط بيد إسرائيل عند انهيار الجيش المصري. وسوف تسحق خرافة العام ١٩٥٦ القائلة إن الجيش المصري لم يهزم، بل انسحب من الميدان فقط.

سوف يتخذ غزو سيناء الذي سيبدأ مباشرة بعد الهجوم الجوي، ثلاثة محاور: الأوّل، اندفاع في شمال سيناء، من منطقة رفح، والمحوران الآخران يتجهان إلى وسط سيناء. وإعداداً لهذه الحملة، ينشغل الجيش في عدد من الأعمال الخادعة، فيقوم سلاح الجو الإسرائيلي بطلعات استطلاعية في عمق خليج العقبة، ويقوم سلاح البحرية بنقل عدد من سفن الإنزال من البحر المتوسط إلى إيلات عبر البر، الأمر الذي يجعل المصريين يعتقدون بأن هجوم إسرائيل سيأتي من جنوب سيناء بدلاً من الشمال والوسط. وتسحب تشكيلات مدرعة وجنود من الحدود إلى الخلف -على أن تعود فيما بعد سراً- ونشر صور لآلاف الإجازات الممنوحة للجنود الاحتياطيين. وأكد السفير البريطاني، ميشيل هاداو، أن الشواطئ كانت غاصة كشواطئ بلاك بول (Blackpool) في فصل العطل». وأخبر دايان الصحفيين ذلك اليوم، عن خبث، «بأنه مستعد للتفاوض على حل، وبأنه ينبغي منح السلام كل فرصة، فإن يوم الهياج والفتنة في إسرائيل قد ولّى». وأضاف هاداو قائلاً: «إنهم يعدون اليوم لنقلة طويلة». (٤٥)

يجب ألا يوفر جهد لضمان نجاح العملية، ولكن النجاح لم يكن متعلقاً فقط بالجبهة المصرية، بل بالجبهتين السورية والأردنية، كذلك. فحذر دايان الجنرالات قائلاً: «إذا هاجم الأردنيون إيلات، فإن ذلك ينسف جميع خططنا في منطقتي القدس وتل أبيب، إذ لن نتمكن من الوصول إلى العريش إذا كنا نقاتل في القدس». عندئذ سوف تتبنى إسرائيل «موقفاً سلبياً تماماً» في الجبهتين الشرقية والشمالية حتى ولو قصفت. المستوطنات. الحدودية:

كانت الرسالة التي طبعها دايان في أذهان قادته وهو يغادر اجتماع هيئة الأركان في رحلة تفقدية إلى ميدان المعركة، هي: «لا قتال مع سوريا والأردن. وقال إلى ديفيد «دادو» إلعازر- (Elazar . Dado . David)، رئيس القيادة الشمالية: «تعوَّدوا على فكرة أن هذه الحرب هي ضد مصر».

كلا الرجلين كانا يراقبان الجبهة السورية من كيبوتز دان (Dan) على بعد ١٨ ميلاً عن كفارها ناسي (Kfar HaNassi) حيث قتل إسرائيليان وفدائي فلسطيني في صدام وقع في اليوم السابق. وكانت مخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي قد حذرت مما هو أسوأ: «سوف يقوم السوريون، في غضون ساعة من بدأ الهجوم الإسرائيلي على مصر، بدفع قوات المشاة والمدرعات السورية في الجليل الشمالي وبقصف المدن والمستوطنات الإسرائيلية. ولتحقيق هذه الغاية احتشدت القوات السورية في هضبة الجولان واتخذت مواقع هجومية. وهناك شحنات ضخمة من الذخيرة السوفياتية تصل إلى الموانئ السورية، كما ذكر الجواسيس».

كان إلعازار (Elazar) قد وضع منظومة من خطط الطوارئ للتعامل مع سوريا، بدءاً من هجوم محدود على هضبة الجولان - وأطلق عليها اسم «عملية مارملاد (Marmalade) وبالعبرية (ميركاباتMerkabat) - مروراً بعملية (بنسرزPincers (الكماشة) وبالعبرية ميلكا بابيم (Melkabeyim) الهادئة إلى احتلال المرتفعات بأكملها: إلى خطة (همر Hammer -المطرقة) وبالعبرية ماكيفيت (Makevet) التي تمثل خطة تجمع بين الخطتين السابقتين».

تتظاهر إسرائيل بأنها سوف تهاجم وسط الجولان، في حين تتقدم الأرتال الإسرائيلية عبر الحافة الشمالية والحافة الجنوبية لمرتفعات الجولان وتستولي على منابع نهر الأردن وتدمر الجيش السوري.

أما خطة المطرقة فتنفذ بالتزامن مع خطة فوكس (Focus) الهادفة إلى استباق هجوم سوري وإحباطه وردع الأردنيين - هكذا كانت نصيحة العازار وعلل الأمر قائلاً: «إذا كانت هناك حرب ضد مصر، فيجب أن يكون هنا حرب كذلك. إذ إن سوريا سوف تقفز في غضون خمس ساعات أو ست بعد بدء القتال. فلا حاجة لنا باستثارتهم». وافق رابين على الخطة من حيث المبدأ، ولكنه رفض فرز القوات اللازمة للتنفيذ، وخصوصاً طائرات الهيليكوبتر التي احتفظ بها كلها من أجل معركة

الجنوب. كما رفض تحليل إلعازار بأن السوريين مصممين على القتال تحت أية ظروف. فكان رابين يعتقد أنه إذا ما هزمت مصر بسرعة فإن السوريين سوف يتراجعون على الفور.

لم يبق لألعازار أمل إلا في دايان. فقال له في أثناء زيارته: «علينا أن نضمن أنه في حال نشوب حرب ألا تنتهي عند الخط الأخضر (خط الهدنة)، فإذا ما دافعنا عن أنفسنا من الوادي في الأسفل فإن وضعنا سيكون مروِّعاً». ثم أشار إلى القرية السورية المحصنة «زعورة» موضحاً أن احتلالها سيشكل لنا منطقة عازلة بين الجولان والمستوطنات، ونقطة انطلاق لاختراق هضبة الجولان.

وكان رد دايان سلبياً تماماً، وأمر العازار قائلاً: «عليكم أنتم الموجودون هنا أن تجلسوا ثابتين وتصمدوا. إذ كان دايان يرفض أية عملية ربما تؤدي إلى تسريع نشوب الحرب مع سوريا، في حين أنه كان يرغب في أن تتقدم القوات بسرعة إلى المناطق المنزوعة السلاح.

أعيد تمثيل المشهد في مقر القيادة الوسطى مع الجنرال عوزي ناركيس (Uzi Narkiss). فعبر ناركيس، مثله كمثل الجنود من أبناء جيله، عن أسفه لعدم تمكنّ إسرائيل من الاستيلاء على الضفة الغربية والقدس في العام ١٩٤٨.

وقال ريهافام زئيفي (Rehavam Ze'evi) أحد الأصدقاء المعاصرين لناركيس متذكراً «كيف أننا جميعاً كنا نحلم بإنجاز حرب الاستقلال، وتحرير أرض إسرائيل باتجاه الشرق. فلو استولينا فقط على المرتفعات التي كان يسيطر عليها الأردن، لضمنا بقاء السهول الغربية. وكان ذلك الحلم يوجهنا جميعاً، بمن فيهم رابين، في وضع خططنا العسكرية».

كانت «دروج» القيادة الوسطى مليئة بمثل هذه الخطط، تدعو كلها إلى القيام بهجمات مضادة لمنع العرب من اختراق إسرائيل في أضيق منطقة فيها وتقسم البلد إلى قسمين، أو تعزل مدينة القدس الغربية.



من أشهر هذه الخطط تلك التي كان يرمز لها باسم «ويب (السوط Whip) وبالعبرية (بارغول Pargol) وتتضمن القيام بعملية تدوم ثمان وأربعين ساعة لضرب مواقع تمركز المدفعية الأردنية في الضفة الغربية وطردهم منها والاستيلاء على القدس الشرقية. أعطى رابين عملية «السوط» أولوية عليا، حتى وإن كان ذلك يعني سقوط المستوطنات الشمالية، وقال: «علينا أن ندافع عن أنفسنا ضد هجوم يأتي من الضفة الغربية».

ومع ذلك، عندما التقى ناركيس دايان في تلال القدس رفض دايان خطة ويب (السوط) وما هو أقل منها طموحاً، وأمر ناركيس قائلاً: «عليك ألا تفعل شيئاً يشبك إسرائيل مع الأردن، وعليك ألا تزعج هيئة الأركان بطلبات العون». فسأله ناركيس: «وإذا هاجمنا الأردنيون دون إثارة واستولوا على جبل المكبر؟» فأجابه دايان: «عندئذ اصبر واصمد في موقعك. ففي غضون أسبوع نصل إلى القناة وشرم الشيخ، وبعدها سيأتي جيش الدفاع بأسره إخراجك من ورطتك.» (٤٦)

كان ذلك السبت طويلاً وشاقاً على دايان، ومع ذلك كان أمامه مزيد من المهام وكأن النهار لن ينتهي. كان أمامه لقاء مع إشكول في شقته الخاصة في القدس.

كان رئيس الوزراء قد تلقى نبأ بأن الجيش الإسرائيلي يفتقر إلى ست طائرات كي يكتمل العدد اللازم المثالي للحرب، أما بقية الأسلحة -الدبابات، والمدافع، وأنصاف المجنزرات- فكانت مجهزة تماماً للمعركة. جلب له هذا التقرير عزاءاً محدوداً، برغم الأنباء الكئيبة الآتية من باريس التي مفادها أن ديغول الذي هدد من قبل بفرض حظر على بيع الأسلحة إلى الدولة التي تبدأ بالعدوان في الشرق الأوسط، قد فرض حظراً على جميع الأسلحة إلى إسرائيل. واعترض سفير إسرائيل إلى باريس «إيتان»، قائلاً: «لقد أدنتمونا وكأننا قد بدأنا بإطلاق النار. كيف تفرضون حظراً على إسرائيل دون أن تعرفوا من سيبدأ الحرب؟» ولكن احتجاجه ذهب أدراج الرياح. إن ديغول الذي كان يشك في مقدرة إسرائيل على هزيمة العرب،

وكان تواقاً لإعادة الروابط التاريخية بين فرنسا والعالم الإسلامي، قد اتخذ قراره، وصد إيتان بفظاظة قائلاً: « سيدي العزيز، أنا أعرف شيئاً واحداً فقط - هو أنك أنت نفسك أيضاً لا تعرف ماذا ستقرر حكومتك». (٤٧)

كان إشكول ينتظر في بيته، الآن في أواخر يوم السبت ليلاً، كلاً من دايان وإيبان، وليفافي (Levavi) وهيرزوغ ويادين - اجتمعوا، كلهم، ليستمعوا إلى الكلمة الأخيرة من أميث وهارمان، العائدين من توهما من واشنطن. قال إشكول لزوجته مريم متسائلاً بصوت مسموع: «من يدري، ربما يأتي هؤلاء الفتيان (بالعبرية جنغرمن «Jungermen») بأنباء غير متوقعة؟ من المهم أن يعرف العالم أننا انتظرنا بما فيه الكفاية. إنني متأكد من فوزنا، ولكنها حرب باهظة التكاليف. كم سيدعوننا نحارب؟ فإذا ما سارت الأمور لصالحنا، فإن الروس وديغول وغيرهم سوف يطالبون بوقف إطلاق النار ويضغطون من أجل ذلك».

كتب الكولونيل ليور الذي استدعي كذلك ليسجل وقائع الاجتماع يقول: «كان التوتر لا يطاق». إذا ما أوصى أميث وهارمان بالحرب، فلن تكون هناك أية اعتبارات أخرى -لا المقاطعة الفرنسية، ولا الإنذارات السوفياتية- يمكن أن توقف إسرائيل عن العمل العسكري. دخل الاثنان حوالي منتصف الليل وسلما رسالة موحدة، مفادها أن الولايات المتحدة لا تستطيع دعم عملية القافلة -ولن تبادر أو تشارك - ولن تتعاون مع إسرائيل عسكرياً. وتابع أميث نصائحه: «إذا بدأنا الحرب وربحناها - سيكون الجميع معنا. وإن لم نربحها سيكون ذلك وبالاً علينا». ثم أردف على الفور قائلاً: «لدي انطباع بأن الأمريكيين سيباركون أي عمل ينجح في إلصاقه بعبد الناصر». وبدا أنه وهارمان يدعوان إلى القيام بضربة استباقية على الفور، ولكنهما فاجأ المستمعين إليهما باقتراحهما «أن تنتظر إسرائيل أسبوعاً آخر، ومن ثم ترسل سفينة إلى تيران». وكان في ذهنهما الباخرة دلفين (Dolphin) الناقلة الإسرائيلية الراسية في ماساوا (Massawa) في أثيوبيا ومحملة بما قيمته تسعة ملايين دولار نفطاً.



أمـا دايان، الـذي ظل صـامتـاً حـتى هذه اللحظة، فـقـد انفـجـر فـجـأة: «في اللحظة التي نرسل فيها سفينة عبر مضائق تيران سيعلم المصريون أننا على وشك الهجوم. وبالتالي سوف يهاجموننا أولاً... ونخسر أرض إسرائيل. من الجنون المطبق أن ننتظر!!».

تراجع أميث هارمان عن اقتراحهما عندما صَمَّ آذانهما هذا الانفجار الداياني. ومنذ تلك اللحظة حتى نهاية الاجتماع قبيل الفجر، أخذ دايان زمام إدارة الحديث يوجهه حيث يشاء، نحو عقد اجتماع لمجلس الوزراء صباح اليوم التالي، ونحو ضمان الموافقة على القيام بالهجوم. وقدر للمجتمعين أنه «في غضون ساعة أو ساعتين يكون سلاح الجو الإسرائيلي قد حقق أهدافه الكبرى؛ وكذلك القوات البرية تكون قد حققت أهدافها الكبرى في اليوم الأول. وفي اليوم التالي سنكون في طريقنا إلى القناة. ولن يكون لدى مصر سلاح طيران إلى ما بعد نصف سنة على الأقل». (٤٨)

في غضون يومين من التحاق دايان بالحكومة وزيراً للدفاع، استطاع أن يسيطر على القرار الإسرائيلي ويوجهه نحو الحرب بصورة حتمية. ومع ذلك كان وزير الدفاع مخطئاً في ظنه أن مجلس الوزراء سوف يوافق على ما توصل إليه بصورة روتينية. لدى انعقاد مجلس الوزراء في الساعة ١٥:٨ صبيحة يوم الأحد، استمع الوزراء أولاً إلى تحليل للوضع العسكري، ولكنه أكد على إصرار الرئيس الأمريكي على ضرورة أن يطلق ناصر الرصاصة الأولى، ويفضل أن تكون على سفينة إسرائيلية. ولكن التقرير غَيَّبَ مساعي الإدارة الأمريكية الضاغطة باتجاه مشروع القافلة على الرغم من ردود فعل أعضاء الكونغرس والدول البحرية المحيطة.

لم يكد ينتهي إيبان من استعراض السياسة الأمريكية حتى وردت رسالة أخرى من جونسون. أكدت هذه الرسالة، أيضاً، على التزام أمريكا بأمن إسرائيل وبحرية البحار - بغض النظر عن المشكلات المتعلقة بالقافلة. وأشار في هذه الرسالة إلى أنه تبادل وجهات النظر الكاملة مع الجنرال أميث، ملمحاً إلى انفتاحه على العمل



العسكري الاستباقي. بيد أن خاتمة الرسالة قد مَحت هذا الانطباع فوراً، إذ قال الرئيس: «لا بد لي من التأكيد على ضرورة ألاَّ تجعل إسرائيل نفسها مسؤولة عن مبادرة العدوان. إن إسرائيل لن تكون وحدها إلا إذا قررت هي أن تكون وحدها. ونحن لا نتصور أبداً أنها سوف تتخذ مثل هذا القرار».

إن مهمة إقناع الوزراء بأن على إسرائيل أن تتصرف فوراً، رغم تحذيرات جونسون، قد وقعت الآن على عاتق بارليف. كانت صورة الوضع الأمني الإسرائيلي ممتقعة مخيفة: فالقوات الأردنية متمركزة في القدس عند خاصرة إسرائيل الدقيقة، والتشكيلات المصرية منتشرة للاستيلاء على إيلات، محصنة بكثافة عند رفح، وتتمركز الآن في الضفة الغربية كذلك، والسوريون متمركزون في مرتفعات الجولان ويستعدون بنشاط للنزول عنها نحو إسرائيل. وتتجمع القوات والدبابات والطائرات من البلدان العربية لتقوم بهجوم موحد على وجود إسرائيل مطمئنين إلى دعم السوفيات.

تكلم دايان بعده مؤكداً على الحاجة إلى التحرك فوراً قبل أن تتعاظم القوات العربية وتزداد قوة، ومع ذلك ظل هناك ما يشبه المفاجأة، إذ قال: «يجب أن يكمل ناصر المنهج الذي بدأه، وعلينا أن نفعل ما يريدنا أن نفعله». وتنبأ بتدمير مئات الطائرات المعادية - «إنها فرصتنا الوحيدة لنخوض هذه الحرب بطريقتنا ونفوز فيها». - على أن تتبع بمعركة دبلوماسية مريرة.

ثم جاء دور إشكول الذي قاوم ضغوطاً هائلة خلال الأسابيع الثلاثة المنصرمة، وعُنفَ وعزل واحتُقِر، ولكنه في النهاية هو صاحب الكلمة الأخيرة. فقال: «إنني مقتنع اليوم بأن علينا أن نترك الأمر إلى جيش الدفاع الإسرائيلي: زمن القيام بعمل عسكري وأسلوب تنفيذه».

مازالت هناك اعتراضات. إذ استشهد حاييم موشي شابيرا بقول بن غوريون إن إسرائيل لن تذهب إلى الحرب دون حليف. «فليذهب بن غوريون، إذن، وليجد لنا حليفاً». قاطعه دايان قائلاً: «لست متأكداً من أننا سنظل أحياء!!» وانبرى



وزير الشؤون الدينية، زوراخ وارها فتيغ (Zorach Warhaftig) للدفاع عن شابيرا. كان زوراخ قصير القامة جداً يكاد يكون قزماً، ولكنه موهوب بعقل قانوني كبير وقناعة أخلاقية جعلته يتجاوز اهتمامه بأولاده الثلاثة الذين يخدمون في الجيش وقلقه عليهم. طالب زوراخ بضرورة إرسال سفينة عبر المضائق لإيجاد سبب للحرب. وعلل طلبه هذا بقوله: «خير أن يقتل بحار أو اثنين من أن يلقى باللوم على إسرائيل في شن الحرب. ليس لدي أي شك في النصر. بل أنا قلق بشأن اليوم الذي يلي النصر».

ولكن التهديد الدولي بالإدانة لم يؤثر فيما أصبحوا يشكلون الأكثرية في مجلس الوزراء. ثم قال إيغال ألون بعد أن نحّى مخاوف وارها نتيغ جانبا: «سوف يدينوننا، ولكننا سنبقى على قيد الحياة.»

ولم يبق بعد ذلك سوى التصويت. صوت اثنا عشر لصالح الحرب، وعارض اثنان فقط. كتب دايان مسودة القرار. كان قصيراً، بسيط اللهجة خالياً من العواطف:

«بعد سماع التقارير حول الوضع العسكري والدبلوماسي من رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس الأركان ورئيس مخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي، انتهى مجلس الوزراء إلى أن جيوش مصر وسوريا والأردن قد انتشرت للهجوم على إسرائيل من جبهات عديدة الأمر الذي يهدد وجود إسرائيل. لذلك قرر مجلس الوزراء القيام بضربة استباقية تهدف إلى تحرير إسرائيل من الطوق المحيط بها ومنع وقوع الهجوم الوشيك الذي ستشنه القيادة العربية الموحدة. (٤٩)

ترك توقيت العملية إلى دايان ورابين. وكلاهما كانا تواقين لبدء الهجوم بأسرع ما يمكن وقبل أن تدخل القوات العراقية الأردن وقبل أن يعبر الفدائيون المصريون الضفة الغربية. وهكذا تقرر أن تكون ساعة الذروة في صبيحة اليوم التالي الإثنين في الخامس من يونيو (حزيران)، ١٩٦٧بين الساعة السابعة والساعة السابعة والنصف.

العالم العربي يستعيد نشاطه:

قال عبد الناصر للضباط المجتمعين في مقر القيادة العليا في الثاني من يونيو (حزيران): «علينا أن نتوقع أن العدو سيضرب في غضون ٤٨ ساعة إلى ٧٢ ساعة بحلول الخامس من يونيو (حزيران) على أبعد تقدير. تكلم في الاجتماع أولاً رئيس المخابرات العسكرية، صادق، الذي بين أن جيش الدفاع الإسرائيلي قد أنجز حشده وانتشاره. إن تعيين دايان وزيراً للدفاع بالإضافة إلى تقارير تشير إلى قيام الطائرات الإسرائيلية بطلعات استطلاعية عميقة فوق سيناء، يدل على نشاط جديد. وأشار إلى أن أمام إسرائيل خيارين: إما قبول الأمر الواقع أو الهجوم. والخيار الآخر هو الأكثر احتمالاً على ما يبدو بسبب دخول القوات العراقية إلى الأردن. فإسرائيل تعتبر دائماً وجود مثل هذه القوات ذريعة للحرب، وسوف تتصرف، بالتأكيد، على الفور. فهل على مصر، إذن، أن تضرب أولاً؟.

نشب جدال بصوت عال أحياناً بين صادق وصدقي محمود. إذ أوصى الأول بسحب الطائرات المصرية من القواعد المتقدمة في سيناء حيث هي معرضة لهجوم مفاجئ. بيد أن قائد الطيران صَدَّ الفكرة صائحاً في وجهه: «أنا أعرف عملي، يا صادق!! إن التخلي عن القواعد المتقدمة يحطم معنويات الطيارين!!» ومازال يعارض الانتظار حتى تقوم إسرائيل بالضربة الأولى. وقال متوقعاً: «سوف نخسر ما بين ١٥٪ إلى ٢٠٪ من طائراتنا، فنصاب بالشلل». جاء الآن دور عبد الناصر ليعترض على أن تكون مصر هي البادئة بالهجوم موضحاً بأن مصر لا تستطيع إهمال الرأي العام العالمي بهجومها على إسرائيل أو تجازف بصلاتها الجديدة بفرنسا. كما أن هناك بداية محادثات مع الولايات المتحدة، وزيارة محيي الدين المقررة إلى واشنطن. لقد عانت إسرائيل من هزيمة استراتيجية خطيرة، ولكن ذلك يمكن أن يضيع إذا ما بدأت مصر الهجوم». ثم طمأن صدقي محمود بقوله: «يبقى لديك ٨٠٪ إلى ٩٠٪ من طائراتك. فكم من الخسائر تستطيع أن تنزل بالعدو بهذا العدد المتبقي لديك من الطائرات؟ «فأجاب قائد الطيران: «من٦٠٪ إلى٧٠٪». (٥٠)



يبدو أن ناصر كان ذا رأيين متنافرين بشأن الأزمة. الأولى يرى أن إسرائيل، بفضل حشرها في زاوية، ستقوم في غضون أيام بضرب سلاح الجو المصري أو مصافي النفط في السويس. ومع ذلك كان يشعر بأنه يمكن تجنب الحرب والتوصل إلى حل دبلوماسي تكون فيه مصر هي المستفيد الرئيسي. إذ سيتم الاعتراف بالأمر الواقع في سيناء كما سيتم الحصول على مساعدات كبيرة من الولايات المتحدة والدول العربية. ورداً على سؤال أحد أعضاء جماعة الضباط الأحرار عن الزمن الذي ستقوم إسرائيل فيه بالهجوم، أجاب عبد الناصر باختيال: «ستة شهور إلى ثمانية»، هذا إن هاجمت أصلاً. وزعم أن الإسرائيليين لن يتحركوا دون إذن من الأمريكيين والأمريكيون محرجون من السوفيات، فلا يمنحون إسرائيل ذلك الإذن. ظهر تباين الرأيين لدى عبد الناصر في مقالتين صحفيتين منفصلتين أجراهما مع الصحافة البريطانية في الثالث من يونيو. ادعى في واحدة منهما أن الحرب وشيكة: وفي الأخرى أن الأزمة قد عبرت وانتهت. (٥١)

لم يكن ناصر وحده الذي كان يعتقد أن إسرائيل قد هزمت، وأن نصراً لا دموياً قد أحرز. فسفير كندا إلى القاهرة ر.م.تيش(Tesh. M. R) قال: «لم يحبذ فكرة وجود خطر قيام إسرائيل بهجوم يائس سوى قلة من المراقبين الدبلوماسيين، وبدا أنهم كانوا يحبذون مراقبة ما يجري في إسرائيل أو فهمه. هناك قبول بأن ناصر قد نجح في توجيه ضربة موفقة، وأن الروس قد عادلوا الأمريكيين وحيّدوهم.» وعلى الرغم من استمرار عمليات التعتيم والغارات الجوية التدريبية، وحجز أسرة المشافي، وتشكيل نوادٍ عسكرية شبابية، كانت الحالة في مصر تعود بثبات إلى الوضع الطبيعي. فخففت إجراءات الطوارئ، والقيود المفروضة على السفر الداخلية. حتى إن السياحة قد بدأت تنشط. احتج سفير مصر إلى الأمم المتحدة، القوني (El - Kony) على «سياسات القرن التاسع عشر الاستعمارية القائمة على دبلوماسية السفن الحربية». وهدَّد «باتخاذ كل الإجراءات الضرورية لإيقاف العدوان ضد المياه الإقليمية المصرية». ومع ذلك تابعت سفينة انتربيد (Interpid) الأمريكية إبحارها

عبر قناة السويس دون إعاقة تواكبها سفن مصرية، ويحييها آلاف القرويين. وقال عبد الناصر مبتهجاً أمام الجمعية الوطنية: «نحن الآن مستعدون لمواجهة إسرائيل... فلم تعد القضية الآن هي قضية خليج العقبة أو مضائق تيران أو انسحاب قوات الطوارئ الدولية، بل هي قضية العدوان الحاصل في فلسطين... الذي تم بتواطؤ بريطانيا والولايات المتحدة». (٥٢)

هل كانت الحرب وشيكة أم أنها حسمت بالنصر؟ ظهور هذا السؤال عَمَّق الفوضى المنتشرة الآن في الجبهة المصرية. إذ استمر وصول آلاف الاحتياطيين دون تجهيزات أو طعام أو إحساس بالمكان أو الغاية. واستنتج تقرير وضعه جناح التخطيط في الجيش أن مصر تحتاج إلى ستة شهور أخرى لتدعيم دفاعاتها في سيناء بحيث تصبح جاهزة للمعركة، ولكن هذه التوصية أهملت، بل ربما لم يقرأها أحد. وبدلاً من الأخذ بها عمت الفوضى. وعندما وصل الجنرال توفيق عبد النبي، الملحق العسكري المصري السابق في كراتشي. إلى سيناء ليستلم قيادة لواء المدفعية المضادة للدرع، وجد أن ليس لديه مدفعية، ولا مدافع هاون، وأن ليس لديه سوى سبع دبابات استعيرت من وحدة أخرى. فضلاً عن أن جنوده لم يكونوا يعرفون شيئاً عن الحرب المضادة للدبابات.

انهكت عشرات الوحدات، وبليت مركباتها وهي تنتقل في الصحراء إلى الأمام وإلى الخلف. إذ تحركت إلى غزة بأمر شخصي من عبد الناصر. نظر الجنرالات الأكثر خبرة إلى هذه التنقلات بهلع، لأنها لا تبدد فقط قوة الجيش، بل إن الانتشار المبني على أساس خطة «الفاتح» قد تفككت، أيضاً. ومع ذلك كان عامر هو الوحيد الذي احتج لدى عبد الناصر مذكراً إياه بأن «ذلك هو ابتعاد كبير عن خطتنا». فأجابه الرئيس قائلاً: «لغزة قيمة سياسية ودعائية عليا. فماذا يقول العرب عني إذا وعدتهم باستعادة فلسطين، وخسرت غزة والعريش؟» ولكن عامر اعترض متسائلاً: «وماذا سيقولون إن خسرنا الحرب بأكملها؟» ثم خرج متظاهراً بالغضب والتأفف. (٥٣)



إذا كان عبد الناصر مشتت الرأي بين احتمال قيام إسرائيل بهجوم أو عدم قيامها بهجوم، فإن عامراً ظل ملتزماً بالقيام بهجوم مصري على خطوط «خطة الأسد»: إذ مازال يأمل بشن هجوم جوي وأرضي في النقب، وعهد إلى قوات الشاذلي بصد أي تحرك إسرائيلي مضاد في سيناء. وقال للجنرال مرتجى -Murta gi) بيني وبين موشي دايان نزاع يعود إلى الحرب الثلاثية.

وهذه فرصتي لألقنه درساً لن ينساه ولأدمر الجيش الإسرائيلي. وصرح إلى صدقي محمود: «إنس خساراتك المقدرة ب٢٠٪ وحارب إسرائيل». واستعداداً لذلك القتال تابع عامر بتحريك الجنود هنا وهناك -فمثلاً انتقل اللواءان الاحتياط ١٢٤و١٢٥، أربع مرات في عشرة أيام- متجاهلاً تقارير المخابرات التي تبين أن القوات الإسرائيلية تحتشد في شمال سيناء ووسطها، وليس في الجنوب كما هو مفترض. (٥٤)

ولكن عامر كان متشبثاً جداً بخططه للقتال القادم، ومستغرقاً في محاولاته توسيع سلطته أكثر. فقد غير بنية الجيش في سيناء خلال الأيام الأولى من يونيو (حزيران) مقسماً شبه جزيرة سيناء إلى القيادة الشرقية والغربية، وقيادة القناة، والقيادة الأمامية، وقيادة الميدان. وكان لا بد للأوامر الصادرة عن القيادة العليا إلى الميدان أن تمر عبر ما لا يقل عن ستة ضباط كبار قبل وصولها.

وملئت هذه المواقع باتباع عامر، وبيروقراطيين عسكريين ذوي خبرة قتالية قليلة، هذا إن كان لديهم خبرة أصلاً، وكانوا مسؤولين مباشرة أمام عامر. ارتعد الإسرائيليون لدى مراقبتهم هذه التغييرات. قال شايكي غافيش: (Shaike Gavish) «لقد أوجد خمس مستويات جديدة من القيادة بأناس لم يحاربهم قط. ويجب أن نقطع نصف الطريق إلى السويس حتى قبل أن يتلقوا أمراً». لكن عامراً تجاهل كل هذه المزالق، على ما يبدو. إذ ظل واثقاً من جيشه وبقوته، بوجه خاص. وقال في إيجاز له للطيارين في سيناء: «ربما تكون هذه الحرب فرصة اليهود، لإسرائيل



ورابين، ليجربوا قوتهم ضدنا وليكتشفوا أن كل ما كتبوه حول حرب ١٩٥٦ واحتلال سيناء لم يكن سوى مجموعة من الهذيان والهراء». وفي مكالمة هاتفية مع الشقيري في الرابع من يونيو (حزيران)، عَبَّر عامر عن أمله في «أننا سنكون قريباً قادرين على أخذ زمام المبادرة وتخليص أنفسنا من إسرائيل إلى الأبد».

خطط المشير للقيام بجولة تفقدية للمواقع المتقدمة في سيناء في اليوم التالي: واستعداداً لذلك أصدر أمره الحربي الثاني. لخَّص أحداث الأسبوع -الحلف المصري- الأردني، وإرسال قوات عراقية إلى الأردن، وإحباط السوفيات لجهود إسرائيل للحصول على دعم أمريكا لعدوانها. وبما أن إسرائيل تعاني من ضغط تكاليف الاستنفار الباهظة، وتواجه تهديدات من الجبهة الشرقية، فإنها سوف تشن هجوماً في غضون أسبوعين. هكذا قرر عامر، وعلى هذا الأساس أصدر أوامره: «هدفنا تدمير قوات العدو المسلحة الرئيسة. وجيشنا يستطيع إنجاز ذلك بما لديه من قدرات تحت تصرفه». ثم دعا الجيش ليبدي انضباطاً وشجاعة، و«ليقاتل بأقصى ما لديه من قوة». واختتم أوامره بقوله «إن المعركة ليست من أجل مصر، بل من أجل الأمة العربية بأسرها: بأيديكم شرف القوات المسلحة وشرف الأمة العربية. إنني واثق من النصر. قواكم الله وحفظكم». (٥٥)

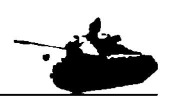
لم يكن لدى ناصر ولا عامر أي شك في مقدرة الجيش على الدفاع عن البلد ضد إسرائيل. أما هزيمتها، على أية حال، ربما تتطلب جهد كل العرب. بقدر ما كانت استراتيجية دايان معتمدة على إبقاء سوريا والأردن خارج الحرب، فإن استراتيجية مصر كانت معتمدة على وجودهما في المعركة.

كانت الآفاق بالنسبة للأردن متفائلة. إذ استمرت الحياة هناك، كما في مصر عادية برغم حملات الطوارئ للتبرع بالدم، والمظاهرات الناصرية، واستعدادات الجيش المحمومة للحرب. وكان الجنرال عبد المنعم رياض، الذي تولى الآن قيادة الفيلق العربي والفدائيين المصريين في الأردن، يعمل بسرعة على إتمام مسحه

لدفاعات الضفة الغربية. لم تكن هذه النشاطات بسبب تعرض الحدود البالغ طولها ٣٠٠ ميل للخطر فحسب، بل بدافع تهدئة الفلسطينيين. فقد ورد في تاريخ رسمي للجيش الهاشمي أن «ضياع أية قرية فلسطينية واحدة ووقوعها بيد الإسرائيليين سيثير ردات فعل عنيفة وخطيرة، ليس في الأردن فحسب، بل في جميع أنحاء البلاد العربية». وهكذا بدلاً من تركيز القوات في مناطق استراتيجية، نشرت تسعة ألوية من أصل أحد عشر لواء أردنياً في القرى والمدن حيث يراهم الناس. وإذا ما نشبت الحرب تتجمع هذه الوحدات المبعثرة في محاور حيوية لتفادي اختراقات إسرائيلية: أما إذا فشلت في ذلك، فإنها تتراجع إلى المرتفعات المطلة على وادي الأردن.

وافق الحسين بنفسه على خطط رياض، ولم يعترض أي من جنرالات الفيلق العربي. الوحيد الذي عارض هو قائد اللواء «عاطف المجالي» رئيس عمليات الجيش الذي يحظى باحترام واسع النطاق. إذ ألح على ضرورة نشر جميع القوات الأردنية في القدس، «لأن من يسيطر على القدس يسيطر على الضفة الغربية» كما قال ولكن رياض تجاوزه. فلم ينقل إلى القدس إلا لواء مشاة هو لواء الإمام علي، معززاً لواء الملك طلال السابع والعشرين الموجود هناك، مع ذخيرة تكفي شهراً. أما اللواءين المدرعين الأربعين والستين فقد تمركزا في مواقع في وادي الأردن، حيث يستطيعان التقدم فيها إما في الضفة الغربية أو إلى القدس، كما تتطلب مقتضيات القتال. كان من المتوقع أن يصمد الفيلق العربي، بما له من قيادة متفوقة، وبما حصل عليه من تدريب عال، في خطوطه، على الأقل، إلى أن تصل التعزيزات من البلدان العربية الأخرى، وخصوصاً من العراق. (٥٦)

ولكن الجيش لم يكن مقتنعاً بالصمود في خطه فقط، بل قام المخططون العسكريون الذين يتوقعون النصر سلفاً بإحياء خطة «طارق» (باسم الجنرال العربي في القرن الثامن، طارق بن زياد الذي سمي جبل طارق باسمه)، وهي خطة قديمة تهدف إلى عزل القدس اليهودية واستخدامها كقوة نفوذ ضد أي احتلالات إسرائيلية في الضفة الغربية. ولدى بدء المعركة يُشنُّ هجوم ذو أربع شُعب على



المواقع الإسرائيلية في شمال القدس وجنوبها - على جبل المكبر، وهضبة مبنى الحكومة، وحول ممر اللطرون. وكان على القوات الأردنية أن «تدمر جميع المباني وتقتل كل شخص» في تلك المناطق بمن فيهم المدنيين. وتقوم الطائرات والمدفعية الأردنية بقصف المطارات الإسرائيلية، كذلك. حتى الحسين، المعروف بالاعتدال وضبط النفس، لم يعارض هذه الحمى. وفي الربع من يونيو (حزيران)، بعد أن تلقى الحسين كلمة من ناصر مفادها أن إسرائيل ربما تضرب في غضون ٤٨ ساعة، استدعى السفراء غير العرب وحذرهم من التورط في القتال. إذ قال لهم: «اتركونا وحدنا مع الإسرائيليين. ولن ننسى من يقف بجانبنا، ومن يقف إلى جانب إسرائيل فهم أعداؤنا، ويمكنهم أن ينسوا أية صداقة كانت لهم هنا». (٥٧)

في حين كان التعاون بين مصر والأردن وثيقاً في الاستعداد للحرب، سلكت سوريا طريقها الغامض. إذ تجاهل الزعماء السوريون معاهدة الدفاع مع مصر، ورفضوا تنسيق سياساتهم مع القاهرة. فوافقوا على استضافة قوات عراقية - الفرقة الأولى المؤلفة من خمسين دبابة وصلت حلب في الأول من يونيو - ولكنهم عزفوا عن قبول عرض بإرسال طائرات مصرية. وهكذا ازدادت العلاقات المصرية - السورية الباردة جموداً عندما دبت الحرارة في العلاقة بين عبد الناصر والحسين. فقد صرح الجنرال مصطفى طلاس: «لن نغير موقفنا من الأردن وملكه الحسين طالما يتقاضى راتبه من أسياده في واشنطن». ونشرت صحيفة البعث الرسمية صوراً للحسين وناصر والشقيري، تحتهم علم كتب عليه «العملاء الخونة الثلاث». أرسل أولاً محمود رياض ومن بعده زكريا محيي الدين إلى دمشق بمهمات تهدئة واسترضاء، ولكنهما فشلا. شكا عامر إلى هيئة أركانه قائلاً: «الموقف السوري ليس مشجعاً، وتوضح ذلك لدى عقدنا معاهدة مع الأردن... استقبلوا محيي الدين بفتور، ورفضوا طلباتنا العسكرية». (٥٨)

خلافاً لمصر والأردن، بدت سوريا وكأنها بلد على حافة الحرب. إذ فرضت أنظمة طوارئ وطبقت بصرامة، وأخذت مفارز مسلحة تسليحاً ثقيلاً تحرس الجسور والمباني والمؤسسات العامة، وأخذ رجال المقاومة يجوبون الشوارع. وكان الاحتراس

أكثر من مجرد استعراض، إذ كان الجيش يستعد للتحرك في اللحظة التي يبدأ فيها أي من الطرفين، المصريون أو الإسرائيليون، الهجوم. استعد السوريون لتطبيق خطة «نصر» بتزويد طائراتهم وإعدادها للدفاع عن مرتفعات الجولان-عملية الجهاد «الهجومية». وبموجب الخطة التي وضعها السوفيات باسم «نصر» يشن هجوم خاطف سريع على جبهة طولها أربعون ميلاً تقوم به ثلاث فرق موسعة. وبعد اختراق الدفاعات الإسرائيلية في كيبوتز. مشمارها يردن، تستولي هذه القوات على مدينتي طبريا وصفد مع مستوطنات منطقة دان (Dan)، ثم يعاد تجميع هذه القوات لاحتلال العفولة وحيفا والناصرة.

بدأت الوحدات المهيأة للاشتراك بخطة «نصر» تتجمع ليلة الرابع والعشرين من مايو (أيار). فقامت قوات من الفرقة الخامسة والثلاثين بتعزيز المواقع في بانياس وتل عزيزيات فوق جرف الجولان. وبدأت الوحدات المطلوبة لحماية الجولان التجمع في القنيطرة أكبر مدن الجولان - ثلاثة ألوية مشاة، لواءان مدفعية، ولواءان مدرعات. ويقود الهجوم لواءان مدربان تدريباً عالياً هما اللواء ١٢٣، واللواء ٨٠، وأخيراً بدأ الجنود المشاة يحفرون خنادق متقدمة في الثالث من يونيو استعداداً للخرق. وأزيلت العقبات ضد الأفراد على طول منابع الأردن، ونقلت إلى المنطقة قوارب مطاطية لتيسير العبور. وكان من المقرر أن تنهى العملية في ستة أيام. (٥٩)

لم يطرح أبداً سؤال حول ما إذا كان الجيش قادراً على تنفيذ هذه الخطة أم لا. كانت هيئة الضباط تظهر باستمرار، إذ حل محل الذين سُرحوا حوالي ألفي «معلم» عقائدي بعثي. ويقول إبراهيم اسماعيل خاحيا Khahya الذي أصبح قائداً للواء المشاة الثامن في العام ١٩٦٦، مستذكراً: «كنت أعمل معلماً في كلية الأركان، ومعظم ضباطي من المعلمين أيضاً، غير جاهزين للحرب». كما سُرح رئيس مخابرات الجولان الكولونيل نشأت حبش، وعين مكانه أحد الضباط برتبة نقيب، وهو أخ لأحد المسؤولين الكبار في حزب البعث. إنه أحمد سويداني، الملحق العسكري السابق في بكين، الذي رُفع من رتبة نقيب إلى فريق، وعين رئيساً لهيئة الأركان. وعلى الرغم

من أن الـ ٢٥٠ دبابة والـ ٢٥٠ مدفعاً التي تملكتها سوريا هي أحدث صنعاً ونوعاً من الدبابات والمدافع الإسرائيلية إلا أن صيانتها كانت في الحد الأدنى. كما أن الإمداد لم يكن سويّاً، إذ كان جنود الخط الأول يتركون مواقعهم بحثاً عن الطعام لعدم توفره لديهم أحياناً. وكان سلاح الجو دون المستوى المطلوب. وورد في تقرير داخلي أن ٤٥٪ من الطيارين السوريين جيدون، و٣٢٪ متوسطون، والبقية (٢٣٪) دون الوسط. كان فقط ٣٤ طائرة نفاثة من أصل ٤٢ في قاعدة الضمير وصيقل جاهزة للعمل.

ومع ذلك لم تكن المعنويات في صفوف الجيش بأعلى مما كانت عليه حينذاك ويذكر النقيب محمد عمار، ضابط مشاة، في قلعة تل فخار: «ظننا بأننا كنا أقوى، وأننا قادرون على التمسك بأرضنا، وأن الجولان لا يمكن اختراقها. واشتدت عزائمنا خصوصاً بالوحدة بين سوريا ومصر والأردن». كما سمع نقيب آخر اسمه مروان حمدان الخولي يقول «إننا كنا أقوى بكثير ولسوف نهزم العدو بسهولة. وكنا بانتظار يوم التحرير». ولم يكن أعضاء هيئة الأركان بأقل ثقة من هؤلاء الضباط. إذ قال طلاس: «إذا ما بدأت المعارك فإن الجمهورية العربية المتحدة وسوريا تستطيعان تدمير إسرائيل في أربعة أيام على الأكثر». (٦٠)

على الرغم من الخلافات المريرة، وانقسام الرأي، فيما بين الدول العربية فقد توحدت الآن كما لم تتوحد من قبل في تاريخها ما بعد المرحلة الاستعمارية. لم يكن هناك أدنى شك بأن العالم العربي موجود وقادر على الفعل. وكانت تلك هي اللحظة التي كان ينتظرها الكثيرون بشوق منذ ما قبل العام ١٩٤٨. إذ سيتم الانتقام ليس من إسرائيل وحدها، بل من الغرب الذي أوجدها لتكريس اضطهاد المنطقة وشعوبها منذ قرون. قال رئيس وزراء الجزائر. هواري بومدين متفاخراً: «سيتم تحرير الوطن بتدمير الكيان الصهيوني وطرد الأمريكيين والبريطانيين من المنطقة». وقال وزير خارجية اليمن، سلام، موافقاً على ذلك: «إننا نريد الحرب. فالحرب هي الوسيلة الوحيدة لتسوية مشكلة إسرائيل. والعرب مستعدون». حتى أكثر الناس اعتدالاً تحولوا إلى متطرفين. فقد قال رئيس الوزراء الأردني، جمعة، إلى بيرنز في عمان:



«لا بد وأنك جننت، فما من عربي، مهما كان في سره يريد انهيار عبد الناصر، يرغب في أن يرى ذلك الانهيار يتم بسبب مضائق تيران». وأوضح رشيد كرامي. أحد الزعماء اللبنانيين الوطنيين إلى بورتر: (Porter) «كيف أن العرب لم يعودوا يتحملون عار إسرائيل، فتوحدوا حول هذه القضية... وسوف ينتصر العرب في النهاية».

تجمعت في سيناء فرق عسكرية تمثل بلداناً كانت قبل أيام تعتبر مصر عدواً مميتاً، مثل المغرب وليبيا والعربية السعودية وتونس. حتى السوريون لانوا أخيراً ووافقوا على إرسال لواء ليقاتل جنباً إلى جنب مع العراقيين في الأردن. واستطاعت الجيوش العربية مجتمعة أن تحشد للميدان ٩٠٠ طائرة مقاتلة، وأكثر من ٥٠٠٠ (خمسة آلاف) دبابة، ونصف مليون جندي؛ بالإضافة إلى القوة السياسية الهائلة. فالبلدان العربية المنتجة للنفط وعدت بمقاطعة البلدان التي تساعد إسرائيل، وتأميم مصافي النفط، وحتى تدمير أنابيب النفط. وحذر ناصر من احتمال إغلاق قناة السويس. وشعر العرب كلهم، في شمال إفريقيا والهلال الخصيب والخليج بأنهم ملتزمون بجهد مجيد واحد عبر عنه الرئيس العراقي «عارف» بقوله: «هدفنا واضح - هو مسح إسرائيل من الخارطة. وسوف نلتقي، بمشيئة الله، في تل أبيب وحيفا». (٦١)

أقصر ليلة:

شهدت ليلة ٣-٤ يونيو رئيس الولايات المتحدة يحضر اجتماعاً في نيويورك لجمع المال للحزب الديمقراطي. وكان الرئيس، الذي ينافسه روبرت كينيدي على رئاسة الحزب، مشغولاً بالسياسات المحلية وقضى معظم الأسبوع السابق في مزرعته في تكساس مجتمعاً مع كبار مستشاريه. ولكن، لم تستطع حتى مسألة مصيره السياسي الطويل التعتيم على الكارثة الدولية التي تلوح في الأفق أمامه مباشرة.

بدت فرص تلافي تلك الكارثة بعيدة جداً. فقبل يومين اعترف راسك وماكنمارا في لقاء ضم مسؤولين بريطانيين كباراً في واشنطن بأن خطة «ريغاتا» قد ماتت. فقد قالا: إن عزوف الكونغرس الانفعالي عن قبول فكرة الخطة مقترناً برفض

الدول البحرية الانضمام إليها حال دون تنفيذها في المستقبل القريب. وكان هناك سبب لإيقاف التخطيط لحالة الطوارئ خشية تسرب هذه الخطط. وحتى لو أصدرت الولايات المتحدة الإعلان، فليس هناك من وسيلة لجعله فعَّالاً وقابلاً للتنفيذ. وبموجب تقديرات الـ CIA، كان من المؤكد أن يطلق المصريون النار على أية سفينة أمريكية تمر عبر المضائق، في حين ذكرت تقارير هيئة الأركان المشتركة أن القوات الأمريكية الموجودة شرق السويس، تفتقر إلى القوة النارية اللازمة لصد أي هجوم مصري كبير. كل هذه النتائج تبدو قائمة في ضوء عبور عشرة سفن حربية سوفياتية مضيق الدردنيل إلى شرق البحر المتوسط. فكانت السفن السوفياتية تتعقب الأسطول السادس الأمريكي سراً، بانتظار الظهور كمنقذ لعبد الناصر من الغرب العدواني الخسيس. (٦٢)

ومع ذلك، وبرغم ما أسماه سوندرز (Saunders) «عرض المكاره الرهيبة» المحيطة بخطة ريغاتا، كان هناك مسؤولون كبار من أصحاب القرار يدعمون الخطة، مثل الأخوين روستو بوجه خاص. ظل وولتر ينظر إلى حرية المرور بوصفه «مبدأ مجرداً» على الولايات المتحدة أن تتمسك به، في حين كان يوجين يعتقد أن القافلة يمكن أن تفيد «شريطة أن نستعد لإظهار بعض العضلات»، وأن عبد الناصر يمكن أن يهزم بفضل «استعراض القوة الدبلوماسية، والتلميح بالفولاذ». كانوا تواقين لمتابعة الضغط على الدول البحرية لتوقيع الإعلان بفضل تخفيف حدة النص. بحيث يخلو من أي ربط بين قضية المضائق وإسرائيل. فشرعوا بدراسة هل بالإمكان شحن النفط إلى إسرائيل تحت رايات أجنبية، أم هل سيطبق الحصار على جميع المضائق أو فقط على القناة - التي يسمونها «المشروع الرئيسي».

وفي حين كان الأخوان روستو يفكران، كان الرئيس جونسون يبتعد عن مفهوم القافلة. وأخذ يركز، بدلاً من ذلك، على احتمال قيام إسرائيل منفردة بشن حرب من النوع الموصوف في «سيناريو إيفرون». فقد حبذ مسؤولون في وزارة الدفاع بقوة خيار «وضع إسرائيل في الواجهة»، كما أسموه، واثقين من أنها سوف تهزم عبد



الناصر وتنقذ أمريكا من المواجهة المباشرة مع العرب والسوفيات. بدا السيناريو، على أية حال، وشيك التطبيق. لقد علمت الـ CIA بناقلة النفط الإسرائيلية الراسية في ميناء ماساو والجاهزة للإبحار في غضون ٧٢ ساعة بحمولتها من النفط وعليها طاقم من رجال جيش الدفاع الإسرائيلي المتنكّرين. وكان من المؤكد أن تطلق النار على السفينة عند عبورها المضائق، الأمر الذي يعطي إسرائيل ذريعة لتوجيه ضربتها. وكانت فرص حاجة إسرائيل إلى عون أمريكي في القتال الذي سينشب نتيجة لذلك، ضعيفة، حسب تقديرات وكالة المخابرات المركزية (CIA). (٦٣)

كانت مخاطر مثل هذه المغامرة واضحة، ولكن منافعها لم تكن أقل وضوحاً. إذ تلخصت تخمينات مصادر المخابرات على النحو التالي: «إذا ما ربحت إسرائيل المعركة فإن الإفريقيين والآسيويين المتعاطفين مع إسرائيل... سوف يستخلصون ببساطة أن عبد الناصر قد خدع نفسه. أما في حال قيام الغرب بعمل مشترك فإن تعاطفهم هذا، سينقلب اشمئزازاً من القوى الغربية التي أخذت تقرر مصير الآخرين ثانية»: فضلاً عن أن تدخل الاتحاد السوفياتي يكون أقل احتمالاً في حال تصرف إسرائيل وحدها، مما لو تدخلت الولايات المتحدة لصالح إسرائيل. وأشار هارولد سوندرز في مجلس الأمن القومي (NSC) إلى أن «دعم إسرائيل» يستدعي الالتزام الطويل الأجل بأمن إسرائيل، في حين أن فك الحصار بالقوة يعني قلب الإنصاف الأمريكي رأساً على عقب، والتطابق مع الصهيونية وتسليم المعتدلين العرب إلى عبد الناصر. واختتم كلامه قائلاً: «فالخيار الوحيد الآخر هو جعل الإسرائيليين يقومون بالمهمة بأنفسهم، وعلينا أن نقبل أننا فشلنا ونترك القتال ينشب».

اعتقد جونسون أن إسرائيل سوف تتحرك في غضون يومين أو ثلاثة وسوف تنجز الحرب في عشرة أيام على الأكثر. وينبغي ألا يكون هناك تواطؤ معها كالذي كان بينها وبين الحملة الأنكلو - فرنسية، في حين تقوم الولايات المتحدة بدعمها دبلوماسياً. وبدلاً من ذلك، كما قال وولت روستو، تتحرك إسرائيل «كالشريف (العمدة) في ليلة مقمرة» وحدها مستخدمة القوة» اللازمة لتحقيق احترام المنطقة.

«وكان جونسون قد نصح قبل قليل هيئته بالبدء بالتفكير في تسويةٍ بعد الحرب. ومرّة أخرى قال روستو إنه لابد من التفكير فيما إذا كان ناصر» مثل هتلر قد صمم على سحق إسرائيل كلياً وإلى الأبد... أو أنه داهية ذكي يحاول عقد صفقة» -أو إذا كان بالإمكان التوصل إلى تسوية بشأن الحدود وإعادة توطين اللاجئين.

وتوصل دين راسك إلى النتيجة ذاتها، رغم أنه أقل تفاؤلاً وأعمق إحساساً بالهزيمة. كان يظن أن إسرائيل تعلم بأن خطة ريغاتا قد فشلت، وقال: «لو أن بلداً أخرى اخترقت الحكومة الأمريكية بالطريقة التي اخترقها بها الإسرائيليون لقطعنا معهم العلاقات» وصممنا أن يتصرفوا وحدهم. واعترف إلى سفرائه في العواصم العربية قائلاً: «لن يجدي أن أطلب من إسرائيل القبول ببساطة بالأمر الواقع الحالي في المضائق: لأن إسرائيل سوف تحارب ونحن لا نستطيع كبحها». وفي الوقت نفسه كتب يقول: «لا نستطيع أن نتخلى عن مهمتنا، ونقول: دعهم يتقاتلون ونحاول أن نظل على الحياد». لخص وزير الخارجية تاريخ سياسة أمريكا في الشرق الأوسط - دعمها لاستقلال كل بلد فيه ولسلامته الإقليمية، وحمايتها لمصر من إسرائيل وبريطانيا وفرنسا، وحمايتها للدول الموالية للغرب من مصر. ومع ذلك انكشف احتمال الحفاظ على هذا السلوك المتوازن بصورة وحشية الآن». فسيكولوجية الحرب المقدسة (الجهاد) عند العرب تماثل سيكولوجية سفر الرؤيا في إسرائيل... إذ يبدو أن كل طرف ينظر إلى الآخر بنفس القدر من العداوات الكبرى وكل منهما واثق بالنجاح... فلا بد وأن أحد الطرفين قد ارتكب خطأ فادحاً في حساباته».

رافقت مخاوف خطأ الحساب ذاك -وما ينجم عنه- جونسون إلى قاعة استقباله في نيويورك. لقد أُحبطت رغبته الصادقة في مساعدة إسرائيل بدعواها، ومساعدة حلفاء أمريكا في العالم العربي، وفي منع حرب يمكن أن تتعاظم ككرة الثلج في الأبعاد الدولية، بفضل حرب أخرى في جنوب شرق آسيا، وبفضل عدم رغبة العالم الغربي في العمل. شعر جونسون، بسبب هذه المعيقات، أنه قد بذل قصارى جهده، واستنفد كل الخيارات الممكنة. وتلقى بالحزن والأسى، وليس بالاستغراب والدهشة



معلومة همسها بأذنه أبي فينبرغ (Abe Feinberg) أثناء العشاء: «سيدي الرئيس، لم يعد بالإمكان ضبط الأمور أكثر من ذلك. فلسوف تنشب الحرب في غضون الأربع والعشرين الساعة القادمة». (٦٤)

وفي القاهرة، تحدث ناصر في احتفال انضمام العراق إلى المعاهدة المصرية- الأردنية- وهو حدث «أحيا يوم أحد هادئ حكيم آخر» حسب تعبير راسك. وقد انبعث الحماس. في الواقع، عندما اغتنم الرئيس الفرصة ليعيد ادعاء مصر بحقها في تيران: ورفض أية محاولة لإعلان المضائق دولية، وأقسم أن يستخدم القوة ضد أية سفينة أو سفن تجرؤ على تحدي الحصار.

وفي الوقت نفسه، طلب الجنرال مرتجى عقد لقاء مع عامر في صبيحة اليوم التالي لبحث ما تبقى من مشكلات النقص الحرج في الإمدادات والضباط. وكان الجنرال نفسه، قد أصدر أمره الخاص إلى المقاتلين المصريين يحثهم على «إعادة احتلال الأرض المغتصبة... بقوة سلاحهم وإيمانهم الموحد» مذكراً إياهم بأن «عيون العالم كله تنظر إليكم في حربكم المجيدة ضد العدوان الإسرائيلي». ولكن مرتجى نفسه كان في إجازة في الإسماعيلية ذلك المساء، في حين كان عامر يحضر حفلاً طوال الليل في القاهرة. أما مكان ناصر فلم يكن معروفاً. وكان صدقي محمود يحضر حفل زفاف ابنته: وكان عليه أن يلتحق بعامر وبوفد عراقي رفيع المستوى، عند الفجر، للقيام بجولة تفقدية للجبهة. واتجه الكثيرون من هيئة الأركان إلى مطار بير التمادا (Bir al-Thamada) بانتظار هبوط طائرة المشير.

شكا اللواء عبد الحميد الدُغيدي، رئيس القوة الجوية في سيناء، والألم يعتصره قائلاً: «لم يكن قائد جبهة سيناء في مكانه، ولم يكن قائد الجيش في مكانه ولا من هم دونهم من الضباط. إنها الحرب الأولى من نوعها يكون قادتها جميعاً بعيدين عن مواقع قياداتهم». لم يكن أي قائد بالتأكيد موجوداً عندما وصلت التقارير الأولى بعد منتصف الليل بشأن نشاط إسرائيلي مكثف حول غزة ورفح، وبشأن تجمع المدرعات الإسرائيلية في القطاع الأوسط من سيناء. (٦٥)

وبالمقابل، كان الجنرال ريكهاي (Rikhye) مقتنعاً أن الحرب ستنشب في اليوم التالي. إذ قرأ أثناء وجوده في القاهرة لإعداد الترتيبات لإجلاء قوات الطوارئ الدولية، أمر مرتجى «بوق الدعوة للقتال» فأمر بطائرته وغادر عائداً إلى غزة. رأى تحته عدواً لا يحصى من الجنود والدبابات المنتشرة «بطريقة يلجأ إليها عادة للدفاع عن آخر خندق». فكتب تقريراً إلى الأمم المتحدة في نيويورك يفيد بأن «انتشار جيش الجمهورية العربية المتحدة على نطاق واسع كهذا، بما فيه الدبابات والمدفعية، لا يمكن أن إلاَّ يكون انتشاراً هجومياً إذ لا يوجد بين هذه النقاط مواقع مناسبة يمكن الدفاع عنها... إن مضامين رسالة مرتجى (هكذا) واضحة». كان ريكهاي ينوي إرسال التقرير في الصباح، رغم احتمال عدم وجود يوثانت في مقر الأمم المتحدة ليتسلمه. إذ كان من المقرر أن تُجرى للأمين العام عملية جراحية في ذلك الوقت لسن له التهبت أثناء وجوده في مصر. (٦٦)

كان لدى الملك حسين هاجس مماثل. إذ جاءه السفير التركي بمعلومة مفادها أن الحرب ربما تنشب في اليوم التالي بضربة إسرائيلية للقواعد المصرية. وادعى الحسين فيما بعد أنه أنذر المصريين باحتمال قيام إسرائيل بهجوم في اليوم التالي. وضع قواته الجوية في أعلى درجات الاستنفار، وتحدث مع جنرالاته، وذهب إلى النوم في الساعة الواحدة صباحاً، نوماً قصيراً متقطعاً. (٦٧)

استدعي كاترييل كاتز (Katriel Katz) ثانية إلى الكرملين حيث وبخه غروميكو للمرة الثانية على «حمى الحرب» في إسرائيل. لأول مَرَّة يفقد السفير الإسرائيلي إلى موسكو أعصابه، فقال غاضباً: «في القاهرة ودمشق يدعون لتدمير بلد مجاور. ويطالب الزعماء العرب بإبادة الجنس وأنا أستدعى إلى وزارة خارجية بلد محب للسلام لأسلم إنذاراً لإسرائيل؟» أصغى غروميكو بصمت، ثم أوضح أنه ينبغي ألا تتوقع إسرائيل من العرب أن ينسوا العام ١٩٥٦-«فلديهم عواطفهم، أيضاً»- ولا يمكن للاتحاد السوفياتي أن يقبل العدوان الصهيوني ويلتزم به. وقال وزير الخارجية «إن أضمن طريقة للمجازفة بمستقبلكم هي اختياركم طريق الحرب». ثم كرر عدة مرات: «لا تدعوا عواطفكم تنتصر عليكم». (٦٨)



يقول إسحق رابين متذكراً ليلة ما قبل الحرب: «لقد لُوي جيش الدفاع الإسرائيلي كنابض جبار. إذ خضعت خططنا العملياتية خلال أسابيع الانتظار إلى مراجعات متكررة حسب تقلب الظروف في الجبهة الجنوبية. لقد راجعنا عملية الشوكة (Fork) وعملية الفأس (Hoe) -الأمر الذي بدأ وكأنه فناء مزرعة كامل من الخطط- على الورق، وعلى الخرائط، وبعصيّ نخطط فيها على الرمل. أما الآن فعلينا أن ننفذ خطتنا الأخيرة بالدبابات وأنصاف المجنزرات والشاحنات».

استدعي رابين، عندما كان في جولة في القيادة الجنوبية، إلى تل أبيب ليستمع إلى إيجاز دايان الأخير. كان الايجاز قصيراً، يتألف من سلسلة من التوجيهات. يجب تعزيز القوات المحيطة بالقدس ولكن دون إدخال دبابات إلى المدينة. ويجب ألا نهاجم الأردن، حتى ولا نستولي على قطع صغيرة من الأرض، ما لم يهاجم الأردنيون أولاً. ويجري مفعول هذا الأمر على الجبهة الشمالية: لا حرب مع سورية إذا لم يشترك السوريون في الحرب. أما فيما يتعلق بالجبهة الجنوبية فقد استعرض دايان عملية نخشون (Nachshon) الأولى (نخشون بن أمينداف (Nachshen Ben Amindav) هو أول عبري يضع قدمه على أرض البحر الأحمر الذي شقه موسى بعصاه، كما جاء في الكتاب المقدس)، الهادفة إلى احتلال جبهة سيناء حتى جبل العريش خط لبني وفتح محور أبو عجيلة -رفح- العريش، وتدمير الجيش المصري في هذا القطاع». وسوف تندفع القوات الإسرائيلية بأسرع ما يمكن وبدون توقف. ومع أن شرم الشيخ لم تكن مشمولة بأهداف هذه العملية -لأن الوصول إليها يستغرق زمناً طويلاً- فإن المناطق التي يتم الاستيلاء عليها في سيناء يمكن استخدامها فيما بعد للمقايضة عليها بحرية المرور في تيران. وأخيراً تحدث دايان عن خطة فوكس (البؤرة «Focus») وتتمثل ببذل كل جهد لإبادة سلاح الجو المصري قبل أن يبدأ القتال البري. وسوف تنفذ هذه العملية في الساعة ٧.٤٥ من صبيحة يوم الإثنين حيث تدوي كلمة السر (الملاءة الحمراء) (بالعبرية Sadin Adom)، وعندها تبدأ الحرب البرية.

كان ٢٧٥٠٠٠ جندي إسرائيلي و١١٠٠ دبابة و٢٠٠ طائرة جاهزة لشن أكبر هجوم في تاريخ الشرق الأوسط. الآن فقط، فيما تبقى من ساعات قبيل الفجر، وجد دايان وقتاً للتأمل. فقد كتب فيما بعد يقول: «كنت مدركاً طوال الوقت بالعبء الثقيل الذي ألقي على كاهلي». وعلى الرغم من قناعته أن إسرائيل ستبقى في النهاية، كان مدركاً للثمن الباهظ الذي لا بد لإسرائيل أن تدفعه. قال: «لم أستطع طرد كلمات بن غوريون من ذاكرتي بسهولة، التي حذرني بها من شن هذه الحرب، ولم أستطع تجاهل موقف ديغول ونصيحة دين راسك التحذيرية، ولا تهديدات الروس، بوجه خاص.» وكانت تقديرات دايان أن رد فعل الروس سيكون بطيئاً إن حققت إسرائيل نصراً سريعاً. أما إذا أعيق التقدم أو حتى أوقف فإن خطر التدخل يتعاظم.

ساورت بن غوريون الذي أحاطه دايان بآخر المعطيات، مخاوف مماثلة، تلك الليلة. لقد كتب في يومياته: «اضطرب قلبي لما سيجري غداً... فأنا قلق جداً بشأن الخطوة التي سنتخذها... إن التسرع الحاصل هنا هو خارج نطاق فهمي. ألم يكن من الأحكم أن نتشاور (مع الزعماء الأمريكيين) أولاً؟».

وقد راود رابين كذلك هاجس الافتقار إلى التنسيق الكامل مع الأمريكيين. كتب متذكراً: «لقد جرت الحكومة وهيئة الأركان العامة دولة إسرائيل إلى حرب في أسوأ ظروف استراتيجية ممكنة». ومع ذلك، كان اتخاذ القرار أخيراً بعد مراوغات كثيرة يشكل مصدر عزاء لرئيس هيئة الأركان. ترك الإيجاز وأسرع إلى البيت لينال ما وصفه (بأول ليلة راحة في الأسبوع).

وكان هدف الكولونيل ليور الفوز بنوم قصير أخير، فغادر مكتب رئيس الوزراء بعد منتصف الليل. كانت الأسابيع الثلاثة المنصرمة منذ دخول القوات المصرية إلى سيناء في نظر مساعد إشكول «أشبه بقصة من كوكب آخر». والآن يسيطر عليه الذعر لعدم تيقنه من مقدرة إسرائيل على الصمود أمام هجوم عربي مشترك إذا ما فشلت الضربة الاستباقية. هرع ليور إلى البيت واندس في فراشه إلى جانب زوجه زُهارا (Zuhara) وضبط جرس الساعة على السادسة صباحاً. إذ سيوقظها في تلك الساعة ويطلب إليها النزول إلى الملجأ.



ظل رجل واحد، على أية حال، لم تغمض عيناه. إنه ليفي إشكول الذي ظل جالساً إلى مكتبه يؤلف حزمة من رسائل. الرسالة الأولى إلى كوسيغن، فحواها، أساساً، رجاؤه ألا تتدخل القوات السوفياتية ضد إسرائيل. فكتب له يقول: «إننا محاطون بالأعداء من كل جانب، ونخوض صراع موت أو حياة دفاعاً عن وجودنا ومنعاً لتكرار جرائم هتلر التي ارتكبت ضد الشعب اليهودي. إننا متأكدون بأن دور الاتحاد السوفياتي في التاريخ سيتقرر ثانية بفهم وضع اليهود، وبمشاعر الأخوة تجاه الشعب اليهودي في زمن محنته الكبرى».

وكانت الرسالة الثانية إلى الرئيس جونسون. فقد جرى في وقت متأخر من ذلك المساء حوار مكثف حول ما إذا كان ينبغي الادعاء بأن مصر هي التي بدأت الحرب.

عارض دايان الفكرة، ولكن ألون، مدعوماً من إيبان وهيرتزوغ كانوا يعتقدون أن إسرائيل لا تخسر شيئاً إن ادعت ذلك، بل ربما تكسب شيئاً إن ألقت باللوم على عبد الناصر. وهكذا، كتب إشكول في رسالته إلى جونسون يقول: إن المدافع المصرية قد فتحت نيرانها على المستوطنات الإسرائيلية، وشوهدت تشكيلات من الطيران المصري تحلق باتجاه الحدود. ثم تابع يصف سلسلة الأحداث التي قادت إلى المواجهة الحالية: دعوة ناصر لإزالة إسرائيل، وترحيل قوات الطوارئ الدولية، وإغلاق مضائق تيران، والتحالفات بين مصر وسورية، وبين مصر والأردن ومراوغات السوفيات التي لا رحمة فيها.

وتضمنت هذه الخلاصة مفهوماً يفيد بأن مستنقع الشرق الأوسط قد نشأ من بيئة يمكن أن يشتعل فيها صراع عربي -إسرائيلي بسبب التنافس العربي- العربي والتنافس بين القوى العظمى، وبسبب السياسات الداخلية لكل ذي صلة بالموضوع. شُحن الوضع بمحفزات -هجمات الإرهابيين، صدامات حدودية، غارات انتقامية- فأنتجت تلك البيئة أزمة ستتحول إلى حرب بمجرد إشعالها.

كتب إشكول يقول: «لم ينته الصراع أمامنا». وطلب «دعماً فعالاً» من «أكبر أصدقاء» إسرائيل، خصوصاً لكبح السوفيات. أما فيما يتعلق بأهداف الحرب، ظل رئيس الوزراء متواضعاً». لا نفكر في تغيير هذا السياق جوهرياً، أو في إلغاء احتمالات نشوب حروب مماثلة في المستقبل. بل كل ما تسعى إليه إسرائيل هو وضع نهاية للتهديد المباشر، وإرساء فترة غير محدودة من الهدوء بعد ذلك. إننا لا نريد شيئاً سوى العيش بسلام في أرضنا ونتمتع بحقوقنا البحرية المشروعة». (٦٩)



(الحرب: اليوم الأول: ٥ يونيو حزيران)

يقوم سلاح الجو الإسرائيلي بضربته.

وتبدأ الحرب البرية.

الهجوم الأردني-السوري المضاد

بدأت الحرب في الساعة ٧.١٠ صباحاً بتوقيت إسرائيل، عندما أقلعت ست عشرة طائرة نفاثة من طراز ماجيستير فوغا (Magister Fouga) -فرنسية الصنع، طائرات تدريب من عهد خمسينيات القرن العشرين زُوِّدت حديثاً بالصواريخ، من مطار حتزور (Hatzor). كانت هذه الطائرات تبث على ترددات تستخدمها طائرات الميستير (Mystere) والميراج (Mirage) النفاثة؛ وانطلقت محاكية ذلك الطراز من الطائرات طلعة من نمط الدوريات الروتينية. وبعد أربع دقائق، أقلعت المقاتلات الحقيقية - قاذفات أوراغان (Ouragan)- من مطار حتزور، وتبعها بعد ذلك بخمس دقائق سرب من طائرات الميراج من مطار رامات ديفيد (Ramat David)، وخمس عشرة طائرة ذات محركين من طراز فاتورز (Vatours) من مطار هاتزريم (Hatzerim). وما إن حلت الساعة السابعة والنصف حتى كان في الجو ما يقارب ٢٠٠ طائرة مزودة بأوامر قائد سلاح الجو موتي هود(Motti Hod) التي أصدرها صبيحة ذلك اليوم، على النحو التالي: «إن روح أبطال إسرائيل ترافقنا إلى المعركة... وعلينا أن نستمد قوتنا وشجاعتنا من يشوع بن نون، والملك داوود، والمكابين، ومقاتلي ١٩٤٨ و١٩٥٦ لنضرب المصريين الذين يهددون سلامتنا، واستقلالنا، ومستقبلنا. طيروا، وحلّقوا نحو العدو، ودمروه وبعثروه في طول الصحراء وعرضها حتى تعيش إسرائيل آمنة في أرضها لأجيال».



انطلقت الطائرات على ارتفاع منخفض لا يزيد على خمسة عشر متراً لتتلافى اكتشافها من مواقع الرادارات المصرية البالغ عددها ٨٢ موقعاً. انعطفت غالبية الطائرات نحو الغرب باتجاه البحر الأبيض المتوسط، قبل أن تستدير عائدة في اتجاه مصر. وانطلقت طائرات أخرى باتجاه البحر الأحمر نحو أهداف في عمق الداخل المصري. روعي صمت أجهزة اللاسلكي مراعاة صارمة. وحصرت الاتصالات بإشارات الأيدي حتى عند عبور ممرات الطيران. قال الكولونيل رافي هارليف (Rafi Harlev)، رئيس عمليات سلاح الجو الإسرائيلي، لطياريه: «إن اسم الخطة في طريقه إلى السواحل المصرية دون أن يكتشف». وحذرهم أنه إذا ما حصل عطل ميكانيكي فينبغي ألا ترسل إشارات طلباً للمساعدة. بل على الطائرة المعطلة أن تسقط في البحر.

ومع ذلك كان لأولئك الطيارين ميزات كبرى. فقد كانوا أفضل تدريباً من أعدائهم المصريين، وحققوا أزمنة طيران أطول، وكانت غالبية طائراتهم ال ٢٥٠ (٦٥ ميراج، و٣٥ سوبر ميستر، و٣٥ ميستر مارك IV، و٥٠ أوراغان، و٢٠ قاذفة خفيفة من طراز فاتور، و٤٥ فوغاس) كلها تعمل. وقد قامت بتدريبات على عملية فوكس (Focus) بصورة متكررة، تنفذها على خرائط تحاكي المطارات المصرية، تحت ظروف سرية تماماً تقريباً. إذ لم يكن يعلم بالخطة سوى بضعة وزراء، في حين أن معظم أعضاء هيئة الأركان العامة لم يتسلموا سوى موجز من صفحة واحدة فقط. ومن جهة أخرى كانوا يعرفون الكثير عن الأهداف الإسرائيلية - مربض كل طائرة نفاثة مصرية، مع اسم ملاّحها ورتبته وحتى صوته.

تم الحصول على معظم هذه المعلومات بفضل أجهزة إلكترونية، ولكن بعضها تم الحصول عليه عن طريق الجواسيس. فقد حصل وولف غانغ لوتز (Wolfgang Lotz) ألماني المولد الضابط في SS سابقاً، على تفاصيل حيوية من القادة المصريين الذين صادقهم حتى إلقاء القبض عليه في العام ١٩٦٤وهناك مصادر من مقامات رفيعة، من بينهم ضابط المخابرات أنور إفريم (Anwar Ifrim)، وعلي الألفي -Ali

Alfi، ومدلّك عبد الناصر شخصياً، أسهمت في ما أسماه هود فيما بعد بـ (مخابرات الزمن الحقيقي لإسرائيل) على الطيران المصري. أما المصريون، فلم يكن لديهم سوى حماية قليلة لطائراتهم، التي كانت متمركزة حسب نموذجها -ميغ (Migs)، وإليوشن (Illyushins)، وتوبولوف (Topolov)- كل طراز في قاعدته، الأمر الذي أتاح لإسرائيل وضع أولويات لأهدافها. وعلى الرغم من أن اقتراحات بإنشاء هنغارات من الإسمنت المسلح قد قُدِّمت وتمَّت الموافقة عليها، إلاَّ أن أياً منها لم ينفذ. فكانت الطائرات النفاثة المصرية رابضة على ساحات مكشوفة في المطارات، حتى بدون أكياس رمل كثيرة حولها. كان هود مغرماً بالقول: « تعد الطائرة النفاثة أكثر سلاح فتكاً في الوجود - ما دامت في الجو، أما وهي على الأرض فهي عاجزة كلياً عن الدفاع عن نفسها». (١)

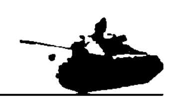
معظم الطائرات المصرية تقريباً كانت على الأرض في تلك اللحظة، وكان طياروها يتناولون طعام الإفطار. ومع الافتراض بأن الهجوم الإسرائيلي سيبدأ عند الفجر، فإن طائرات الميغ كانت قد أنجزت دورياتها عند شروق الشمس وعادت إلى قواعدها في الساعة ٨.١٥ بتوقيت مصر، أي ٧.١٥ بتوقيت إسرائيل. ولم يكن في الجو سوى أربع طائرات تدريب غير مسلحة. وأقلعت من قاعدة الماظة طائرتا نقل من طراز إليوشن -١٤. كان على متن إحداهما المتجهة إلى قاعدة بير التمادا (Bir al-Thamada)، المشير عامر وقائد سلاح الجو صدقي محمود، وكان على متن الأخرى المتجهة إلى أبو سوير (Abu Suwir) رئيس المخابرات الداخلية حسين الشافعي، ورئيس وزراء العراق، ومستشار عسكري سوفياتي رفيع المستوى. وبقية قيادات الجيش جميعاً إما كانوا على متن هاتين الطائرتين أو على أرض القواعد بانتظار هبوطهما. فعندما لاحظت الطائرات الإسرائيلية على شاشات الرادارات وجود طائرات إليوشن ساورهم خوف من اكتشاف أسرابهم المقتربة. فصدر إنذار بوجود طائرات إسرائيلية في الجو، ولكن ليس من القاذفتين اللتين أخذتا تعلوان إلى ارتفاعات تطوافية استكشافية بهدوء، بل جاء الإنذار من عجلون (Ajlun).



كانت محطات الرادار الأردنية المقدمة من بريطانيا، المنشأة على جبل عجلون من أكثر المحطات تقدماً في الشرق الأوسط. في الساعة ٨,١٥ رُصعت شاشات الرادار فجأة بصور طائرات. وعلى الرغم من أن الأردنيين يألفون وجود أعداد كبيرة من الطائرات الإسرائيلية المتجهة إلى البحر، إلا أن عدد الطائرات اليوم قد فاق التوقعات، ولم يسبق له مثيل. فأرسل الضابط المناوب إشارة لاسلكية مرمزة «عنب» وهي كلمة تعني «الحرب» بالشيفرة المتفق عليها، إلى مقر قيادة الجنرال رياض في عمان. فحول رياض هذه الإشارة بدوره إلى وزير الدفاع شمس بدران في القاهرة، وبقيت هناك بدون فك شيفرتها. إذ كان المصريون قد غيروا ترددات شيفرتهم في اليوم السابق ولكن دون أن يعلموا الأردنيين. والإسرائيليون كذلك غيروا شيفرتهم بحيث جعلوا المراصد في عجلون تتساءل هل هذه الصورة التي ظهرت على شاشاتها هي طائرات سلاح الجو الإسرائيلي أم هي طائرات في البحر. وكانوا يراقبون، عندما أظهر الرادار فجأة أن الطائرات قد تحولت إلى الشرق باتجاه سيناء، فأبرقوا بالكلمة المرمّزة مراراً وتكراراً.

حتى وإن وصلت تلك الرسائل وأمكن قراءتها، فإن بدران لم يكن موجوداً ليقرأها. إذ كان وزير الدفاع قد ذهب إلى النوم قبل بضعة ساعات وقد أصدر أوامر صارمة بألاّ يزعجه أحد. وكذلك الكولونيل مسعود الجنيدي (Mas'ud al-Junaydi) المسؤول عن فك رموز الشيفرات، والجنرال جمال عفيفي (Gamal ;Afifi) رئيس عمليات سلاح الجو، كلاهما لم يكونا موجودين. ادعى عفيفي، أثناء محاكمته فيما بعد بتهمة عدم الكفاءة: «كنت خارج الجيش مدة عشر سنوات قبل ذلك، ولم يكن لي في تلك الوظيفة سوى ستة شهور. والحمد لله أني لم أكن موجوداً، لأن الرجل الذي كان موجوداً يعرف بمن يتصل وماذا يفعل. فلو كنت هناك لكان الحال أسوأ بكثير».

أرسلت المخابرات الجوية تقارير مكثفة أيضاً حول الهجوم الإسرائيلي، ولكن الضباط الموجودين في مقر القيادة العليا، الموالين لعامر، ولا يثقون بمن يوالون عبد الناصر في سلاح الجو، أهملوا هذه التقارير. (٢)



أما فيما يتعلق بالإسرائيليين، كانت تلك الدقائق محورية بالغة الأهمية. وعلق عزار وايزمن قائلاً: «كان القلقُ لا يُصَدَّق». فلم يقدم استقالته في النهاية، وابتلع كبرياءه وظل رئيساً للعمليات. ولكن وايزمن لا يأبه كثيراً بالمعارك الأرضية، إذ كان اهتمامه الأساسي سلاح الجو وخطة فوكس التي ساعد في وضعها. وقال بشأنها: «منذ خمس سنين وأنا أتحدث عن هذه العملية، وأشرحها، وأبرزها للوجود، وأحلم بها، وأصنعها حلقةً حلقة، وأدرب الرجال على تنفيذها والآن، في غضون ربع ساعة، سنعرف ما إذا كانت مجرد حلم أو أنها حقيقة واقعة».

كانت الخطة، التي تتطلب عشرات الأسراب تنطلق من قواعد مختلفة لتلتقي بصمت على أحد عشر هدفاً في غضون ٤٥ دقيقة طيران، أشبه بمتاهة في تعقيداتها، وفائقة الخطورة. فقد زُجَّ في الهجوم جميع سلاح الجو الإسرائيلي ما خلا اثنتي عشرة طائرة نفاثة - أسماها أنصار كرة القدم الأمريكيون «السلام المريخي» (Hail Mary) تاركة أجواء البلد بلا دفاعات عملياً. اقتنع قادة سلاح الجو الإسرائيلي، بعد تدريبات لا حصر لها، أنه يمكن تدمير القوة الجوية المصرية، حتى وإن أفلحت في الإقلاع من على مدارجها، في غضون ثلاث ساعات. ومع ذلك ظلت الشكوك تساور رابين، حتى إنه أصدر أوامره لوحدات فدائيين كي يستعدوا للقيام بهجمات ليلية على المطارات المصرية في حال فشل خطة فوكس. (٣)

كان رابين ودايان ينتظران مع وايزمن وقائد سلاح الجو القلق، في مقر قيادة سلاح الجو الإسرائيلي. قال هود الذي تقع على عاتقه المسؤولية المباشرة عن الهجوم: «شعر بالخمس والأربعين دقيقة الأولى وكأنها يوم كامل». كان هود، ذلك الرجل النحيل الصَّموت، من سكان الكيبوتسات سابقاً، فقد هَرَّب ناجين من الهولوكوست إلى فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية، ومن ثم هَرَّب، قبل حرب الاستقلال، طائرة من طراز «سبت فاير» (Spit Fire) بريطانية، كذلك. واكتسب في معارك ١٩٤٨، ١٩٥٦ شهرة بأنه طيار ماهر ورابط الجأش. وكان مشهوراً بدهائه وسعة حيلته وعزمه أكثر من شهرته بالذكاء والألمعية، وكانت رغبته الجامحة، كأي



سينسيناتي (Cincinnatus-Like) أن يعود للزراعة، ولكن وايزمن أصر على أن يحل محله كرئيس لسلاح الجو منذ أوائل العام ١٩٦٦. ومنذ ذلك الحين وهو منهمك في تنقيح خطة فوكس، مقلصاً زمن العودة لتزويد الطائرات بالوقود والسلاح، إلى أقل من ثماني دقائق. في حين كانت تلك العملية تستغرق عند المصريين ثماني ساعات قال وايزمن إلى هود: «إنه لا يستطيع الاستشهاد بالشاعر العبري بياليك (Bialik) أو بشكسبير، ولكنه سوف «يخوزق» العرب بالعبري الفصيح».



خارطة الحرب الجوية ٥ يونيو ١٩٦٧

THE AIR WAR
JUNE 5, 1967
Israeli Air Force
Arab Air Forces
N
W E
S

T-4
BEIRUT
LEBANON
SAIQAL
DMAIR
DAMASCUS
MARJ RIAL
QUNEITRA
SAFED
H-3
HAIFA
TIBERIAS
SYRIA
IRAQ
NAHALAL
MEGIDDO
DEGANIA
NETANYA
KFAR SABA
MAFRAQ
MEDITERRANEAN SEA
KFAR SIRKIN
TEL AVIV
AMMAN
JERUSALEM
GAZA
KHAN YUNIS
PORT SAID
AL-MANSURA
AL-'ARISH
BEERSHEVA
JORDAN
QANTARA
JABAL LIBNI
NITZANA
BIR GAFGAFA
ISMA'ILIYA
AL-QUSAYMA
ABU SUWEIR
ISRAEL
FA'ID
BIR AL-THAMADA
BIR HASANA
KIBRIT
CAIRO
SUEZ
KUNTILLA
AL-MAZA
NAKHL
AL-THAMAD
EILAT
AQABA
HELWAN
SINAI
RAS AL-SUDR
BENI SUWEIF
GULF OF SUEZ
RED SEA
SAUDI ARABIA
AL-MINYA
SHARM AL-SHEIKH
TIRAN
RED SEA
LUXOR



كان وايزمن يرقب، والعرق بتصبب منه، ويفرغ أباريق من الماء في جوفه كأنه مشع هائل، وكان هود ينتظر أخبار الموجة الأولى من الهجوم. لقد عبرت التشكيلات الرائدة البحر، وقد نجحت بفضل استخدام أجهزة تشويش إلكترونية، بالإفلات من اكتشاف السفن السوفياتية لها.

وفي الساعة السابعة والنصف بتوقيت إسرائيل شوهدت الأهداف الأولى. كانت الطائرات رابضة في ساحاتها في صفوف ضمن سواتر دائرية في قاعدتي فايد (Faid) وكيبرت (Kibrit)، مثلاً، حيث قدرت المخابرات المصرية خطأ أنها خارج مدى الطيران الإسرائيلي. وكان لا يوجد في كثير من المطارات سوى مدرج واحد - إن أغلق فإن الطائرات التي من المفروض أن تستخدمه تكون قد حكم عليها بالفناء. (٤)

أما في الجو، فكانت الرؤية رائعة، وكان عامل الريح يقارب الصفر وكانت الظروف مثالية للهجوم. حلقت الطائرات الإسرائيلية الآن بسرعة هائلة إلى ارتفاعات بلغت ٩٠٠٠ قدم كاشفة نفسها للرادار المصري، الأمر الذي جعل الطيارين المصريين يهرعون إلى مدارج الطائرات متزاحمين بالمناكب. ولكن قلة منهم سيصلون طائراتهم.

انقضَّت الطائرات. واقتربت من أهدافها بتشكيلات رباعية، وهاجمت بتشكيلات ثنائية، تنجز كل منها ثلاث جولات -أو أربع إن سمح الوقت بذلك- الأولى للقصف والبقية للهجوم. وأعطيت الأولوية الأولى لقصف المدارج، ثم قصف القاذفات بعيدة المدى التي تهدد المدن الإسرائيلية، ومن ثم قصف المقاتلات النفاثة من طراز ميج. وآخر ما يُقصف هو الصواريخ والرادارات ومنشآت الدعم، ينبغي أن تستغرق كل هجمة من سبع دقائق إلى عشر: وتستغرق رحلة العودة عشرين دقيقة، والتزود بالوقود ثماني دقائق، واستراحة الطيار عشر دقائق: وبالتالي تعود الطائرة للعمل ثانية بعد ساعة. وأثناء هذه الساعة يجب أن يستمر قصف القواعد المصرية دون انقطاع.



قال أفيهوبن نون، قائد أحد تشكيلات الميستير فوق فايد (Faid) متذكراً: «أخذت السماء تصفو تدريجياً كلما اقتربنا من الهدف. وعندما انقضضت وأطلقت قذائفي، رأيت أربع طائرات ميغ - ٢١ عند نهاية المدرج مستعدة للإقلاع. فسحبت ذراع إطلاق القنابل، وبدأت أطلق النار فأصبت اثنتين من أربعة، واشتعلت النيران فيهما».

أما القنابل التي أسقطها بن نون فكانت من نوع دوريندال (Durendal) وهو نوع سري جداً تم تطويره بالاشتراك مع الفرنسيين وسمّيت باسم سيف رولاند (Roland). ولدى إطلاق القنبلة التي تزن ١٨٠ رطلاً كانت توازن بصاروخ ارتجاعي ومظلة إلى أن تصبح فوق الهدف مباشرة ومقدمتها نحو الأسفل بدرجة ٦٠، عندئذ يقوم صاروخ محرض يدفعها إلى أعماق الممر كانت قنابل الدروريندال تترك حفراً عمقها ١.٦ متراً وعرضها ٥ أمتار جاعلة المدارج غير صالحة للاستعمال. ولا يمكن إصلاحها لأن الفتائل المتأخرة الموجودة على القنابل تستمر بالانفجار. ألقي أكثر من مئة قنبلة من هذا النوع على قاعدة أبو سوير وحدها في أقل من ساعة. ويتابع بن نون القول: «لقد دمرنا ست عشرة طائرة ميغ مبعثرة في المطار، وشللنا بطارية سام -٢ في طريق عودتنا. كنا نشاهد ألسنة اللهب تتصاعد في جميع المطارات المصرية الأخرى».

على الأرض، كان الطيارون المصريون في حالة صدمة، غير مصدقين بأن إسرائيل استطاعت اختراق دفاعاتهم، وأخذهم جميعاً على حين غرة. قال الجنرال تحسين زكي قائد قاعدة ماليس (Malis) متذكراً: «كنت واقفاً على المدرج في تمام الساعة التاسعة صباحاً، جاهزاً للقيام بهجمات تدريبية. سمعت هدير طائرات نفاثة في تلك اللحظة تماماً. فنظرت باتجاه الهدير فرأيت طائرتي سوبر ميستير رماديتين. ألقتا قنبلتين في أول المدرج وكان وراءهما طائرتان أخريان وأسقطتا قنبلتين في وسط المدرج؛ وقامت الطائرتان الأخيرتان بإلقاء قنبلتين في آخر المدرج، وهكذا بعد دقيقتين كان المدرج كله قد قُصف. كانت مفاجأة تامة». (٥)



وقعت الطائرات المصرية في مصيدة لا خلاص منها وأصبحت فريسة سهلة للمدافع من عيار ٣٠مم، وللصواريخ المتبعة للحرارة التي كشطتها بعد ذلك. في مطاري بني سويف والأقصر غرب القناة تفجرت طائرات توبولون - ١٦ وحمولتها المقدرة بـ عشرة أطنان من الشحنات المتفجرة بقوة هائلة حتى إن إحدى الطائرات المهاجمة قذفت في الجو. أما في سيناء فقامت تشكيلات مختلطة من طائرات الميراج والميستير المقاتلة بضرب القواعد المتقدمة في جبل لبني، وبير التمادا، وبير جفجافة فقصفت العشرات من طائرات الميغ التي كانت رابضة، وحولت بضع طائرات كانت تحاول الإقلاع إلى رماد. ولم ينج إلاّ مدرج العريش، لأنه كان من المفروض استخدامه فيما بعد للتنقلات الإسرائيلية.

بنهاية الموجة الأولى في الساعة الثامنة بتوقيت إسرائيل التاسعة بتوقيت مصر كان قد نفذ حوالي ٢٥ غارة جوية ضد قواعد غرب القاهرة، وفايد، وأبو سوير، لقد دمرت أربع مطارات في سيناء واثنان في مصر تدميراً كاملاً. كما قطع كابل الاتصالات الذي يربط القوات المصرية في سيناء بالقيادة العليا. أما الدمار الأكبر فقد حل بسلاح الجو نفسه. ففي أكثر من نصف ساعة بقليل خسر المصريون ٢٠٤ طائرات -نصف سلاحهم الجوي- كلها دمرت على الأرض، فيما خلا تسع طائرات فقط.

صُعِق الإسرائيليون أنفسهم. إذ لم يكن أحد يتخيل أن سرباً واحداً استطاع تحييد قاعدة بأكملها، وأن معدل قتلى خطة فوكس فاق التوقعات بمقدار مئة بالمئة. وأخذت توقعات الإسرائيليين بالحسبان احتمال تغلب المصريين على الصدمة الأولى واستجماع قواهم وإسقاط حوالي ربع الطيران الإسرائيلي والواقع أنه صدرت أوامر للطيارين الإسرائيليين بالاحتفاظ بوقود يكفي لطيران خمس دقائق، وبثلث ذخيرتهم احتساباً لنشوب معارك جوية. لم تحدث أية معركة جوية، ولم يكن هناك إطلاق نيران أرضية ذات قيمة على الطيران الإسرائيلي. فجميع البطاريات المصرية المضادة للطيران البالغ عددها مئة، ومواقع صواريخ سام - ٢ المضادة للطيران والبالغ عددها ٢٧، لم تتلق أية أوامر بإطلاق النار من المشير عامر خشية أن تخطئ طائرته التي تقله فتظنها إسرائيلية وتسقطها.

وشهد سعيد أحمد ربيع آمر المدفعية بقوله: «كنا على أتم استعداد ويقظة، ولدينا من الذخيرة ما يكفي وأكثر، ولكننا لم نتلق أوامر بإطلاق النار. وأخيراً، أطلقت النار من تلقاء نفسي، واعتقدت أني سأحاكم عسكرياً على ذلك. ولكن بدلاً من ذلك تلقيت ميدالية لشجاعتي، واحتفظت بعملي من ذلك الحين».

ادعى ربيع أنه أسقط عدة طائرات إسرائيلية. كانت خسائر سلاح الجو الإسرائيلي إجمالاً ثماني طائرات وخمس طيارين في الموجة الأولى. إحدى الطائرات أصيبت ولكنها لم تستطع استخدام اللاسلكي فدمرها صاروخ هوك إسرائيلي بعد أن ضلَّت فوق ديمونة.

الآن فقط، بعد إنجاز الضربة الأولى، أصبح بإمكان القيادة معرفة النتائج. فبدت لهم خيالية لا تُصدق، ولم يكن ذلك حتى استخلص هو نفسه النتائج لطياريه وأكد لهم نجاحهم الباهر. كتب دايان يقول: «حجر -واحد فقط، ولكنه ذو وزن مميت- خرج من القلب» ومع ذلك ظل ذلك الحجر في قلوب الجمهور الإسرائيلي. إذ كان ينبغي إبقاء مدى النجاح الذي أحرزه سلاح الجو الإسرائيلي سراً أطول زمن ممكن لتأخير فرض الأمم المتحدة وقفاً لإطلاق النار، ريثما تكون الدبابات الإسرائيلية قد توغلت في سيناء. وفي الساعة ٨,١٥ أصدر دايان كلمة السر «الملاءة الحمراء». وكانت الحرب البرية على وشك الحدوث.

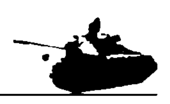
وصلت الموجة الثانية من المقاتلات أهدافها: وهي ١٤ قاعدة معادية نصفها تقريباً غربي القناة، وجميع مواقع الرادارات المصرية.. ومع أن الإسرائيليين لم يعودوا يأبهون بعنصر المفاجأة، ولا بمراعاة صمت اللاسلكي، فإن المقاومة التي صدرت عن هذه المنشآت كانت مُعتدلة ومحصورة إلى حد كبير في النيران المضادة للطيران. نفذ سلاح الجو الإسرائيلي ١٦٤ غارة في أكثر من مئة دقيقة بقليل ودمر ١٠٧ طائرات مصرية أخرى، وخسر تسع طائرات، فقد دمر ٢٨٦ طائرة من ترسانة

الطائرات المصرية البالغ عددها ٤٢٠ طائرة - ٣٠ منها من طراز توبولوف - ١٦ الاعتراضية، و٢٠ من طراز ميغ - ١٩، و٧٥ - ١٧، ٣٢ طائرة نقل وحوامات - وقتل حوالي ثلث طياريها - عطلت ١٣ قاعدة عن العمل، ودمرت ٢٣ محطة رادار ومواقع مضادة للطائرات. التفت هود في الساعة ١٠,٣٥ إلى رابين وقال له: «لم يعد يوجد سلاح جو مصري». (٦)

بقدر ما كانت صورة المعركة واضحة في إسرائيل، كانت في مصر وبقية البلاد العربية مشوشة وتزداد تعتيماً. كان الضباط الموجودون في القواعد الجوية قد أدركوا أن مأساة مروّعة قد حلّت. وصف الطيار هاشم مصطفى حسن، الذي كان في بير التمادا، المشاعر على النحو التالي:

«بعد حوالي ٣٠ ثانية من انتهاء الهجوم الأول، وصلت موجة ثانية من الطائرات.. فركضنا في الصحراء نبحث عن غطاء، ولكن الطائرات لم تطلق علينا النار. بل حومت فوق رؤوسنا، ودهش طياروها إذ رأوا أن القاعدة قد دُمرت نهائياً وأنه لم يبق أمامهم أي هدف. كنا نحن فقط الأهداف الوحيدة المتبقية.. كائنات بشرية تعدو في ا لصحراء ليس لديها سوى بنادق يدوية كوسيلة للدفاع عن النفس. كانت مهزلة حزينة.. طيارون وطائرات نفاثة من أحدث الطرز وأفضلها تجهيزاً يقاتلون ببنادق يدوية. بعد خمس دقائق من بدء الهجوم اختفت الطائرات الإسرائيلية وساد صمت لف الصحراء وأخمد صوت النيران التي دمرت طائراتنا والقاعدة الجوية وسريتنا. لقد أنجزوا مهمتهم بأفضل طريقة ممكنة بخسائر بلغت عندنا مئة بالمئة، وعندهم صفر بالمئة».

شهد اللواء زكي تجربة مماثلة. إذ رأى، واليأس يلفه، طائرة حسين الشافعي تتعرض لقصف من طائرات الميراج المعادية، بعد أن نجحت في الهبوط على مدرج ثانوي، أفلح الطاقم والركاب في النجاة، أما من كانوا في الطائرة المرافقة فقد كانوا أقل حظاً، إذ ماتوا جميعاً على المدرج. وأدلى بشهادة فيما بعد قال فيها: «قضت



إسرائيل سنوات في الإعداد لهذه الحرب، أما نحن فكنا نعد للاستعراضات. إذ كانت تستمر التدريبات للاستعراض في عيد الثورة السنوي أربعة أسابيع.. ولكن لم تكن هناك إعدادات للحرب».

أما طائرة عامر التي أحيطت بما أسماه صدقي محمود «غابة من النفاثات الإسرائيلية» فلم تستطع الهبوط إطلاقاً. إذ أخذت تحوم من مطار مشتعل إلى مطار مشتعل آخر لمدة تسعين دقيقة تقريباً قبل أن تتمكن من الهبوط في مطار القاهرة الدولي. وكان هناك بانتظاره الكولونيل محمد أيوب، ضابط الارتباط لسلاح الجو التابع لعامر، وقد استل مسدساً بيده ظاناً أن انقلاباً قد وقع ضد زعيمه. وصاح في الضباط الموجودين عندما سحبوا مسدساتهم أيضاً قائلاً: «أتريدون قتلة أيها الكلاب!؟ «تدخل صدقي محمود بين الطرفين وحال دون صدام مسلح، وصاح فيهم موبخاً»: «أيها البلهاء، أبعدوا مسدساتكم!! إسرائيل تهاجمنا!!».

ولعدم وجود نقل عسكري، أخذ عامر سيارة تكسي وانطلق إلى مقر القيادة العليا. لم يبق من طائراته الميغ سوى ٣٧ طائرة صالحة للعمل وكان هو نفسه قد تعرض للإسقاط، ومع ذلك ظل مبتهجاً، متباهياً. فقال: «وأخيراً بدأت الحرب» ثم أمر صدقي محمود على الفور لتأمين غطاء جوي لاحتلال الساحل الإسرائيلي (عملية التمساح) ونشر طائرات سوخوي (Sukhoi) النفاثة بطياريها المرشدين الروس إن لزم ذلك، واتصل بدمشق وبغداد وطلب منهما تنفيذ عملية رشيد (Rashid) وهي قصف المطارات الإسرائيلية على الفور. وافق العراقيون ولكنهم شكوا من «تأخيرات فنية». أما السوريون فادعوا أن طائراتهم مشغولة حالياً في مناورات تدريبية.

لم تثبط هذه الإحباطات من عزيمة القيادات العليا المصرية الذين بدوا في نظر الملحن السوفياتي س. تارا سينكو (Tarasenko. S) «هادئين، غير مبالين، يصغون إلى المذياع ويشربون القهوة». أما العاصمة فكان المواطنون يحتفلون في جميع أنحاء



القاهرة. قال إريك رولو (Eric Rouleau) مراسل صحيفة لوموند (LeMonde) الفرنسية في الشرق الأوسط، متذكراً: «كانت الشوارع غاصة بالمتظاهرين: وكانت المدافع المضادة للطيران تطلق نيرانها: آلاف الناس كانوا ينشدون «تسقط إسرائيل، سوف نربح الحرب» ولكن رولو وغيره من الصحفيين الأجانب منعوا من الاقتراب من خط الجبهة. وقطعت جميع خطوط الهواتف. وكان المصدر الوحيد للمعلومات هو بيان الحكومة الذي مفاده: «بدأت إسرائيل هجومها اليوم الساعة التاسعة صباحاً بضربة جوية ضد القاهرة وجميع أنحاء الجمهورية العربية المتحدة. تصدت لها طائراتنا وصدَّت الهجوم».

وكانت حسابات الضربة المضادة واعدة إذ ذكرت التقارير أن ٨٦ طائرة معادية قد أسقطت بما فيها قاذفة أمريكية. أما خسائر مصر فكانت طائرتان. وقال السفير الأمريكي نولت: «كانت تقابل هذه الأنباء بهياج وتصفيق. وكانت الإذاعة تبث أغان وطنية، تقاطعها نداءات ودعوات إلى العودة إلى فلسطين واللقاء في تل أبيب». أبرق عامر إلى رياض في عمان خبراً مفاده أنه برغم المفاجأة الأولية، فإن الإسرائيليين قد خسروا ٧٥٪ من قوتهم الجوية، وأن الجيش المصري يرد على الهجوم ويقوم بهجوم من سيناء. (٧)

أما عبد الناصر، الذي لم يكن موجوداً في مقر القيادة العليا عندما وردت أنباء الضربات الجوية الإسرائيلية، فقد رحب ببدء الحرب، إذ كان يعتقد أن التيار سينعكس في الحال. ومع ذلك، بدأ الشك يساور عبد الناصر في الساعة العاشرة - ساعة ذروة الموجة الثانية من الهجوم الإسرائيلي الجوي- عندما ادعت القوات الجوية المصرية أنها أسقطت /٦٠/ قاذفات إسرائيلية حاول الاتصال بعامر، ولكنه لم يتلق جواباً: ولم يستطع الوصول إلى صدقي محمود كذلك. والشخص الوحيد الذي يمكن أن يخبره بالحقيقة هو أنور السادات الذي عزل نفسه في البيت. ولدى دخول السادات مقر القيادة في الساعة الحادية عشرة، سمع من السفير السوفياتي بوجيدايف (Pojidaev) ومن مسؤولين كبار آخرين شرحاً كاملاً عن مدى الكارثة

التي ألمت بمصر. كتب فيما بعد يقول: «ذهبت إلى البيت وبقيت فيه أياماً، لأنني لم أستطع سماع الجماهير تنشد وترقص وتهلل لدى سماعها التقارير المزيفة عن النصر الكاذب التي تبثها وسائل الإعلام ساعة بساعة».

ظل ناصر يجهل الحقيقة: لأنه على الأقل لم يجرؤ أحد في الجيش أو في الحكومة على إطلاعه على الحقيقة. كل شيء كان يسير وفق النسخة التي يذيعها راديو القاهرة التي تقول: «تقوم طائراتنا وصواريخنا في هذه اللحظة بقصف المدن والقرى الإسرائيلية» والتي تدعو «كل عربي للانتقام لكرامته التي ضاعت في العام ١٩٤٨، ولعبور خط الهدنة إلى وكر العصابة نفسه، إلى تل أبيب». (٨)

الملاءة الحمراء فوق سيناء:

شاهدت القوات الإسرائيلية الموجودة على الحدود المصرية، أثناء تقدمها سراً في الليل مموَّهة، ومراعية الصمت اللاسلكي، موجات متعاقبة من الطيران الإسرائيلي تحلق فوق رؤوسها. ثم في الساعة ٧,٥٠ صباحاً وصلت كلمة السر «الملاءة الحمراء (Red Sheet) فشرعت الأرتال تتحرك. وأخذت فرقة أوغداه (Ugdah) –التي تشكلت للقيام بمهام خاصة– والمؤلفة من ٢٥٠ دبابة، و٥٠ مدفعاً، ولواء مظليين، ووحدة استطلاع، تعبر بقيادة الجنرال تل (Tal)، عند نقطتين، مقابل ناحال أوز (Nahal Oz) وجنوب خان يونس (Khan Yunis) وكان أمامها شِعْبُ رفح، وفيه أقصر طريق رئيس من بين ثلاثة طرق عبر سيناء إلى القنطرة والسويس طوله سبعة أميال. ولهذا السبب وَضَّعت مصر أربع فرق كاملة في المنطقة، معززة بحقول ألغام، ومعاقل مدفعية مموهة، وتحصينات، ومرابض مدفعية مخفية، وخنادق، ولم يكن أمام الإسرائيليين خيار سوى اختراق هذه الدفاعات: لأن الأرض على جانبي الطريق كانت رملية ووهاداً ضيقة شديدة الانحدار من الصعب المرور فيها.

ومع ذلك كانت تلك هي باختصار الخطة الإسرائيلية: ضرب العدو في نقاط جوهرية مختارة وبالتهديد بقوة مدرعات مركزة. تسلَّم تل (Tal) المحنك الصلب الذي خاض الحرب العالمية الثانية وحربين سابقتين بين العرب وإسرائيل، قيادة



الفيالق المدرعة منذ العام ١٩٤٩ وحولها إلى قوة متحركة عالية التدريب شديدة الانضباط، وكان تل نفسه قد جرح أثناء مناوشات سابقة مع السوريين حيث اكتسبت تشكيلاته المدرعة خبرة استخدمها الآن في إحداث شرخ في أقوى الدفاعات المصرية وبث الفوضى، وانهيار المعنويات، محدثاً في صفوفهم تراجعاً وتهاوياً كحجارة الدومينو.

وبعد إتمام إيجازه السابق للمعركة، ذكَّر تل ضباطه بأن خوض الحروب نادراً ما يكون وفق خطة. بل عليهم أن يتبعوا مبدأ واحداً: كل واحد يهاجم كل واحد يخترق دون النظر حوله أو وراءه. كانت الفيالق المدرعة قد اخترقت المنطقة ذاتها في العام ١٩٥٦ في ٣٦ ساعة أو أكثر قليلاً. أما هذه المرَّة فلديهم ٢٤ ساعة. (٩)

فيما يتعلق بفرقة تل كان الانطلاق سهلاً بادئ الامر. كان في طليعة الاندفاع أفضل لواء مدرع هو اللواء السابع بقيادة الكولونيل شموئيل غونين (Shmuel Gonen). ولدى قدومه من جنوب غزة، كان الجنود المصريون يحيون أرتاله ظناً منهم أنها أرتال مصرية. وبالمثل سمح قادة اللواء الحادي عشر المصري المسلح بدبابات ستالين -أضخم دبابات في الشرق الأوسط- للمظليين الإسرائيليين التابعين للواء الخامس والثلاثين أن يتقدموا دون إزعاج نسبياً عبر التلال الرملية أثناء في قيامهم بالهجوم المباشر. قال رفائيل (رافول) إيثان (Rafael (Raful) Eytan) بعد الحرب: «يبدو أن أحداً ما في السماء كان يحرسنا. فما من عمل غير مقصود قاموا به، وما من عمل غير مقصود قمنا به إلاَّ وانقلب لصالحنا». ولكن تقدم الإسرائيليين لم يكن نتاج الحظ وحده. فقد كانت المخابرات المصرية قد استنتجت أن تحركات العدو في ذلك القطاع كانت مجرد تضليل لصرف النظر عن محور الهجوم مقابل رفح وخان يونس.

غونين (غورودیش Gorodish) هذا، هو ابن لمنجّد أثاث، عمره ٣٧ سنة، ترك دراسته الدينية في سن الثالثة عشر ليلتحق بالهاغناه (Haganah)، كان ضابطاً قوياً وفياً عنيداً. وطمأن رجاله في اليوم السابق للهجوم قائلاً: «سوف نسحق

(المصريين) كما سحقناهم في العام ١٩٤٨ وفي العام ١٩٥٦، وأن الإسرائيليين سوف يغسلون أقدامهم في القناة، ويطيحوا بعبد الناصر في القاهرة». ولكنه ذكَّرهم بقوله: «أما إذا لم ننتصر، فلن نجد مكاناً نعود إليه». وحذرهم بضرورة صيانة الذخيرة. لم يكن الهدف مهاجمة رفح مباشرة -فتلك هي مهمة المظليين- بل سنلتف حولها من خان يونس في الشمال. ثم اختيار ذلك المحور أبعد ما يكون عن مرمى المدفعية المصرية، وليكون مع اتجاه الريح تفادياً للغازات السامة. وسوف يقوم اللواء ٦٠ بقيادة الكولونيل ميناحم أفيرام (Menachem Aviram) المزوَّدة بـ ٨٦ دبابة شيرمان (Sherman) وأ. م. أكس (AMX) بالإطباق على خان يونس إطباقة ملزمة حديدية.

وعلى الرغم من أن غونين قد أنزل إلى الميدان ترسانة رهيبة، بما في ذلك ٥٨ دبابة سنتوريون (Centurion) و٦٦ دبابة باتون (Patton)، فقد عهد إلى كتيبة واحدة فقط لاختراق خان يونس. تقدمت هذه الكتيبة إلى المدينة، ولم تواجه سوى مقاومة بسيطة. ثم «انفتحت أبواب جهنم فجأة» كما ذكر أوري أور (Ori Orr) أحد ضباط وحدة استطلاع، الذي أصيب نصف رجاله. «إذا انهالت علينا قذائف المدفعية والرشاشات والمدفعية المضادة للدرع - كل شيء كان يصب نيرانه علينا.. إذ أخذت الدبابات المصرية من طراز T-٣٤ مواقعها وفتحت نيرانها. أصيبت نصف مجنزرة إسرائيلية قبل أن تصعد إلى الطريق، وقتل الجنود الثمانية الذين كانوا فيها». فاستدعيت كتيبة دبابات أخرى، ولكنها ضربت هي الأخرى، أما أعنف مقاومة واجهت الإسرائيلية فجاءت من الفرقة الفلسطينية العشرين التي لم تكن تُعدُّ وحدة من المرتبة الأولى، وكان يقودها الجنرال محمد عبد المنعم حسني، حاكم غزة العسكري.

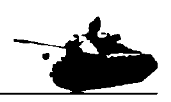
سرعان ما دمرت ست دبابات طليعية من دبابات غونين وقتل ٣٥ ضابطاً من ضباطه. وغاصت قوة أفيرام في الرمل، وشكلت الكثبان الرملية كابوساً ملاحياً للمظليين.



قال تل لرجاله: هذه معركة حياة أو موت، يجب أن نتابع الهجوم طوال الوقت، مهما كانت الخسائر. أصيب الإسرائيليون، في واقع الأمر، بخسائر فادحة وهم يقاتلون لشق طريقهم عبر مرابض المدفعية المضادة للدرع، والكائن على جانبي الطريق، والتراسات الحجرية التي أجبرتهم على الخروج عن المحور الرئيس إلى متاهة من الممرات الضيقة، ومع ذلك كان تقدمهم كبيراً. ففي غضون أربع ساعات أو أكثر قليلاً كان لواء غونين قد وصل نقطة تقاطع سكة حديد رفح، واستطاع تغطية بقية الطريق، وهي أميال معدودة، إلى رفح برتلين من لوائه.

كان لا بد من الالتفاف حول رفح حيث تنتشر المعسكرات؛ لأن الهدف الرئيس هو الدفاعات المصرية في الشيخ زويّد التي تبعد ثمانية أميال إلى الجنوب الغربي من رفح، كان يقوم على هذه الدفاعات لواءان من الفرقة السابعة، وهي وحدة شكلت قبل ثلاثة أسابيع كمقدمة لعملية (الفجر) واحتلال مصر للنقب. كان اللواءان بقيادة آمر مدرسة المشاة التابعة للجيش، الميجر جنرال عبد العزيز سليمان، وكان معظم ضباط الفرقة مدرسين، فهم بالتالي غير مهيئين جداً لمواجهة قدوم إسرائيل غير التقليدي من البحر وعبر الرمال، ولم تكن كذلك مدافعهم العشرين، ودباباتهم إلى ٦٦ العتيقة، لتقارن بالقوة الإسرائيلية الأكبر ودباباتهم الأحدث من طراز سينتوريون وباتون. قال قائد الكتيبة عزت عرفة (Izzat 'Arafa) «تعرضنا لهجوم المدرعات الثقيلة على محاور عديدة، وقصف مدفعي وجوي مستمر، ولم يكن وراءنا سوى البحر. لم يكن بيننا وبين القيادات الأخرى في القطاع أية اتصالات، وليس لدينا علم بما كان يجري في ساحة المعركة».

تخندقنا في خنادق عميقة، وتموَّهنا، ودفع المدافعون ثمناً مؤلماً، قال غونين فيما بعد للمراسلين: «كانت المدفعية المصرية رابضة في حفر عميقة، وكانت تطلق عشر رشقات دفعة واحدة وفي كل رشقة كانت تشتعل إحدى الدبابات ناراً. تركنا الكثير من جنودنا القتلى في رفح ودبابات محترقة تماماً». فكان لا بد من استدعاء مدفعية



ثقيلة وضربات جوية لتمكن العناصر الإسرائيلية الطليعية من الاختراق. قتل سليمان وعدد من هيئته. ولدى فقدان المصريين قيادتهم، تخلو عن مواقعهم تاركين أربعين دبابة وألفي قتيل وجريح.

تحولت المعركة إلى هزيمة منكرة، كاملة لولا كتيبة أفيرام التي أساءت تقدير جناح العدو، التي وجدت نفسها محصورة بين موقعين محصّنين. استغرق إنقاذ القوة عدة ساعات، ومع ذلك استطاع الإسرائيليون تطهير المنطقة تماماً بحلول منتصف الليل. آلاف الجنود المصريين، ومئات سيارات الجيب والشاحنات كانت تمر بالمهاجمين وهم يعيدون تجميع أنفسهم على الطريق إلى العريش.

أصبحت تلك الطريق مفتوحة الآن لجيش الدفاع الإسرائيلي. وفي آخر النهار قامت عناصر من الكتيبة المدرعة ٧٩ من جيش الدفاع الإسرائيلي بشن هجوم عبر شعب جيرادي (Jiradi)، وهو ممر ضيق بين الكثبان الرملية المتحركة. ظن المدافعون عن ذلك الممر المتمرسون جيداً من جنود لواء المشاة الـ ١١٢ الدبابات الإسرائيلية أنها دباباتهم. ويصف النتيجة فيما بعد تقرير داخلي من تقارير جيش الدفاع الإسرائيلي، وصفاً مخيفاً:

«على جانبي الطريق كانت مكامن الدبابات، والمدافع المضادة للدرع، ومدافع الهاون، وأعشاش الرشاشات، وكلها مرتبطة بخنادق محاطة بالألغام. وأطول مسافة بين موقعين كانت خمسين متراً. فوجئ المصريون بالرتل الإسرائيلي الذي لم يطلقوا عليه النار. ظن القائد الإسرائيلي أن المصريين قد هربوا فأمر رجاله بالكف عن إطلاق النار. ولم يكتشف أن المصريين لم يهربوا إلا بعد أن وصل الرتل منتصف الطريق».

تناوبت السيطرة على الممرين المصريين والإسرائيليين عدة مرات قبل أن يُنَظّفَهُ الإسرائيليون وخرجوا عند طرفه الغربي، حيث كانوا قد تقدموا عشرين ميلاً في أمسية واحدة. وبعد ذلك تقع ضواحي العريش التي يبلغ سكانها ٤٠,٠٠٠ نسمة حيث توجد القيادة الإدارية للجيش المصري في سيناء. كتب الليفتنانت يوسي بيلد



(Yossi Peled) يقول: «وصلنا هدفنا الساعة العاشرة ليلاً تحت جنح الظلام. كانت الدبابات المصرية مشتعلة أمامنا بقدر ما تتيح لنا الرؤية. وكان الجنود المصريون على الأرض يستلقون بينها. وكذلك بعض دباباتنا قد اشتعلت، ولم يعد الجنود الإسرائيليون الذين كانوا يستلقون بينها أحياء». فقد الإسرائيليون، إجمالاً، ٢٨ دبابة، و ٩٣ جندياً جريحاً، و٦٦ جندياً قتيلاً. (١٠)

برغم ارتفاع الخسائر الإسرائيلية، استمر الهجوم الإسرائيلي بأسرع مما هو مخطط له - بحيث ألغي هجوم مشترك من البحر مع مظليين من الجو، كان مقرراً في اليوم التالي على العريش، وحول المظليون الذين كانوا سيشتركون فيه إلى القدس. ورغم أن المعركة لم تحسم بعد، فقد ربح الإسرائيليون، معركة حاسمة في ظروف كان العدو فيها نداً قوياً بحيث لم تستطع القوة الجوية -المشغولة بخطة فوكس- أن تلعب دوراً كبيراً فيها.

وفي منطقة أم قطيف (Umm Qatef) التي طولها ستة أميال وعرضها ميلان، جنوباً، تحقق توازن مماثل بين الإسرائيليين والمصريين، إذ كانت المنطقة محصنة تحصيناً قوياً. فهي الخط الأول من إستراتيجية «الفاتح» المصرية وكانت دفاعاتها نسخة مصغرة عن عالم سيناء ودفاعاته: ثلاثة «تنظيمات خطية» أنظمة خنادق، حقول ألغام، مواقع مدافع مضادة للدرع ورشاشات، و٨٠ مدفعاً، و٩٠ دبابة، و١٦٠٠٠ (ستة عشر ألف جندي بحيث يسحق العدو فيما بينها. وكانت حامية مفرق أبو عجيله الحيوي المؤدي إلى قلب شبه جزيرة سيناء وإلى ممر متلا والإسماعيلية قد صمدت في وجه الهجمات الإسرائيلية في العام ١٩٥٦، ولم تستسلم إلا بعد أن نفذت ذخيرتها وإمداداتها، ومنذ ذلك الحين، يجري تحصين أم قطيف بمعاقل قوية عند سد روافا (Ruwafa) وقرب القسيمة (al-Qusayma)، ويشغل هذه التحصينات والمعاقل جنود من فرقة المشاة الثانية الذين -رغم استعدادهم للمعركة- يقودهم الميجر جنرال سعدي نجيب، الذي عين سياسياً، لما عرف عنه أنه أحسن رفيق كأس لعامر.

كان أريك شارون (Arik Sharon) في مواجهة نجيب. ظهر شارون وهو في سن التاسعة والثلاثين بمظهر الشخصية المندفعة والجدلية الذي عُنِّف، وأطري في أنّه واحد على دوره في الغارات الانتقامية في خمسينيات القرن العشرين، والمعركة الدموية في ممر متلا أثناء حملة سيناء. وعندما كان مدير التدريب في جيش الدفاع الإسرائيلي، درس دفاعات أم قطيف جيداً وصمم ألا يكرر أخطاء إسرائيل التي ارتكبتها في الحرب السابقة، فكانت خطة شارون تتمثل في عبور البوادي الصحراوية التي يعتقد المصريون أنها لا تُعبر، ويدفع بالمدرعات من الشمال، وفي الوقت نفسه، تقوم دباباته بالاشتباك غرباً مع المعاقل المصرية على مرتفعات أم قطيف، وسد الطريق على التعزيزات التي يمكن أن تصل إليها من جبل لبني أو من العريش، أما المشاة الإسرائيليون فيطهرون الخنادق الثلاثة بطول ثلاثة آلاف ياردة، وعلى بعد ميل خلفهم، يقوم المظليون المحمولون بالحوامات بإسكات رحبة المدفعية المصرية، وأخيراً يشن هجوم بالمدرعات عند القسيمة لإشغال حاميتها وعزلها. كان شارون يأمل أن تنجز الألوية الثلاثة من فرقته الـ ٣٨ كل هذه المهمات في وقت واحد لتنضم إلى فرقة الجنرال يوفي (Yoffi) الـ ٣١ في الهجوم على خط الدفاع المصري الثاني، جبل لبني، وبير لهفان (Bir lahfan) وبير حسنة.

في الساعة ٨،١٥ صباحاً غادرت دبابات السينتوروين الطليعية بقيادة الكولونيل ناتان ناتكة نير (Naten “Natke” Nir) نيتزانا (Nitzana) وعبرت الحدود عند العوجا مارة بمواقع قوات الطوارئ الدولية الخالية. ومع ذلك قام المصريون بأعمال إعاقة ناجحة عند طارة أم (Tarat Umm)، وأم طرفة (Umm Tarfa)، والتلة (Hill) ١٨٤. أسقطت نفاثة إسرائيلية كانت تحلق على ارتفاع منخفض بنيران مدفعية مضادة للطيران. ثم فتحت المدافع الموجودة في أم قطيف نيرانها. أخذت القوات الإسرائيلية تتقدم من الشمال والغرب بصعوبة تحت القصف الكثيف. كانت الخسائر عالية، والرؤية ساءت بفضل عاصفة غبار. ومع ذلك نجحت دبابات نير في اختراق الجناح الشمالي لأبو عجيلة - أوكلاند (Oakland) حسب شيفرة جيش



الدفاع الإسرائيلي - وما إن حل الغسق حتى كانت كل الوحدات قد أخذت مواقعها. نقل أكثر من تسعين مدفعاً لتمطر أم قطيف بستار ناري انتقامي، كما جلبت حافلات ركاب جنود المشاة الاحتياط بقيادة الكولونيل ييكوتييل «كوفي» آدم (Yekutiel Kufi Adam) إلى مسافة قريبة من خنادق العدو، يمكن قطعها مشياً على الأقدام. كما وصلت طائرات هيليكوبتر لنقل مظليي الكولونيل داني مات (Dani Matt). تحت هذه التحركات كلها دون أن يلحظها المصريون. كان المصريون المنشغلون بمحاولات العدو سبر المواقع المحيطة بهم، ينتظرون أوامر القيادة العليا للبدء بالهجوم المعاكس، التي دونها لا يستطيعون التحرك. (١١)

أشعلت القوات الإسرائيلية المهاجمة، عند منتصف الليل، مشاعلها بحيث يكون لون مشاعل كل كتيبة مختلفاً عن الآخرين كيلا يحدث تبادل إطلاق نيران صديقة. ولكن قبل إعطاء الإشارة الأخيرة، تلقى شارون هاتفاً من غافيش (Gavish)، رئيس القيادة الجنوبية، يوصيه بتأجيل الهجوم ٢٤ ساعة ليتيح لسلاح الجو، القادر الآن على دعم القوات البرية، إضعاف الهدف. لم يوافق شارون، ولكن جوابه تشوش بسبب تدخل إلكتروني، فقطعت المكالمة، ولكن غافيش تلقى مكالمة أخرى، مفادها: أن سلاح الجو قد ألغى تقديم مساعدته، لأن مكاناً آخر بحاجة إلى الطائرات. لقد انفتحت جبهة ثانية بصورة مفاجئة، هي جبهة الأردن.

السوط يفرقع:

حسب إيفان ويلسون، القنصل الأمريكي العام في القدس، قبل نشوب الحرب أنه «من المحتمل دائماً استثناء القدس في حال حدوث اعتداءات». فهي على ما يبدو محمية من الهيجان الذي شمل المنطقة، فظلت الحالة فيها هادئة نسبياً. وعلى امتداد الخط البالغ طوله ميلين والفاصل بين القطاع اليهودي من المدينة والقطاع العربي، كان الجنود الأردنيون، والإسرائيليون في مواجهة بعضهم بعضاً باليقظة المنهجية نفسها التي سلكها الطرفان من خلال التسع عشرة سنة الماضية، كان

تقسيم المدينة كاملاً بفضل جدران عالية لمنع انتقال النار، وأسلاك شائكة، وألغام على طول الخط الفاصل. وفي بعض الحالات، كانت البيوت التي تقع ضمن عرض خط قلم الرصاص الذي رسمت به خريطة الهدنة في العام ١٩٤٩، تقسم بين شرقية وغربية. وفي حين أن التحصينات ومواقع المراقبة لا يبعد بعضها عن بعض سوى أمتار، فإن الذين كانوا يشغلونها من الناس نادراً ما يُشاهدون، بل وأندر من ذلك أن يتصل بعضهم ببعض.

لم تنبئ ليلة الخامس من يونيو بأي تغيير في طريقة العيش الغريبة هذه ومع أن الأردنيين كانوا يطلقون عيارات نارية من حين إلى حين، فقد كانت لدى الإسرائيليين تعليمات صارمة بتجاهل ذلك. كما ألغى جيش الدفاع الإسرائيلي الموكب الأسبوعي إلى جبل المكبر، وعدد من التمارين التدريبية. وقال يورام غولان (Yoram Golan) الجندي الاحتياطي الذي يخدم في القدس مستذكراً: «عندما نكون في مهمة حراسة ننزع مخازن رشاشاتنا الأوزي (Uzi)، كيلا تنطلق رصاصة بالصدفة وتشعل الجبهة. لم يكن الإسرائيليون بقادرين على القتال. إذ نقلت معظم ذخائر القيادة الوسطى جنوباً إلى الحدود المصرية، ولم يبق سوى مجموعة من ٥٠ دبابة شيرمان، و٣٦ مدفعاً، و٢٧ هاوناً للدفاع عن منطقة تل أبيب الكبرى. أما في داخل العاصمة فقد أرسل العديد من الاحتياطيين إلى بيوتهم، ولم يبق سوى ٧١ رجلاً على الخط في مواجهة الفيلق الأردني. قال الجنرال ناركيس إلى هيئة المراجعة في جيش الدفاع الإسرائيلي بعد الحرب: «كان الأمن في القطاع الأوسط، على ما يبدو، يعتمد على المعجزات. وكنا نرغب في الاعتقاد أن العدو لن يشن هجوماً علينا». (١٢)

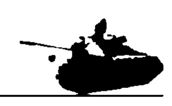
ومع ذلك لم يشارك ناركيس في هذا الاعتقاد. إذ كان الحسين في نظره لا يعتمد عليه فقد عقد معاهدة مع ناصر وسمح للفدائيين المصريين الدخول إلى أرضه، وإذا ما هاجم الأردنيون، فستكون فرصة كبيرة جيدة لتخسر إسرائيل مناطق حدودية عديدة بما في ذلك مستوطنات لا خيش (Lakhish) وضاحية القدس ميفاسيريت صهيون (Mevasseret Zion) وكان خوف ناركيس الأكبر يتركز على جبل المكبر، ذلك



الجيب الصغير الذي تبلغ مساحته ميلاً مربعاً واحداً. ظل جبل المكبر المهيمن على أعلى تلال القدس محيطاً بمباني مشفى هداسا والجامعة العبرية هاجعاً بحماية حامية تابعة للأمم المتحدة مؤلفة من ٨٥ شرطياً و١٣ مدنياً. وعلى الرغم من أن إسرائيل نجحت في تهريب بعض الأسلحة الثقيلة إلى ذلك الجيب إلا أنها ظلت عرضة للهجوم من جبل الزيتون في الشرق والشمال، ومن مدينة رام الله في الضفة الغربية. وسقوط جبل المكبر يعد ضربة قاصمة لهيبة إسرائيل، إذ مهما احتلت إسرائيل من سيناء، لن يعوض خسارته على حد تعبير ناركيس بيد أن سقوط جبل المكبر يمكّن الأردنيين بعزل ١٩٧٠٠٠ يهودي في القدس، بفضل اتصالهم بقواتهم الموحدة في جنوب القدس.

وكان وضع إسرائيل على حدود الضفة الغربية أفضل قليلاً. ورغم أن خطط الطوارئ التي أعدها جيش الدفاع الإسرائيلي تفيد بضرورة تعزيز دفاعات إسرائيل على طول خط الجبهة الشرقية زمن الحرب، فإن أياً من القوات المتخصصة لهذه الغاية لم تكن متوافرة في الخامس من يونيو. إذ لم يبق في تلك المنطقة سوى خمسة ألوية احتياط. اثنان في الشمال لحراسة وادي جزريل (Jezreel Valley) ولواء لحماية كل من القدس، ومطار اللد، والطرق المؤدية إلى تل أبيب. وفي حين أن القادة الإسرائيليين يتحدثون دائماً عن احتلال الأرض المحيطة باللطرون (Latron) - حسب خطة هاب (Hap) باليديشية - كانوا يعلمون أنه لا يمكن القيام بأي هجوم دون الخمسين دبابة شيرمان تلك. بيد أنه احتفظ بدبابات لواء هاريل (Harel) العاشر كاحتياط إستراتيجي في تل أبيب، لتصد أي هجوم مصري من الجنوب. قال ناركيس الذي قاتل في حرب الاستقلال، بهذا اللواء نفسه في محاولته الفاشلة لاحتلال مدينة القدس القديمة: لم تكن مهمتنا واضحة.

لم يكن لدينا أمر باحتلال الضفة الغربية أو وادي الأردن. ومع ذلك كنت متأكداً أن الحرب آتية لا ريب، وأنها ستنتهي في القدس». (١٤)



لم يفاجأ ناركيس عندما سمع صفارات الإنذار من غارات جوية في الساعة ٧.٥٥ صباحاً في عاصمة إسرائيل. واعتقد كثيرون من الإسرائيليين، عسكريين ومدنيين، أنها أطلقت خطأ، حتى عندما حملت نشرة أخبار الثامنة صباحاً النبأ (المختلق) بشأن تقدم الدبابات والطائرات المصرية نحو الحدود الإسرائيلية، ومع ذلك سُرِّعت استعدادات الطوارئ في المدينة. استنفرت المشافي بأعلى درجات الاستنفار وحفظت معروضات المتحف بما فيها لفائف البحر الميت في مكان آمن. وأخذت الإذاعة تبث رموز الاحتياط وتوجيههم إلى وحداتهم.

ما زال الأمل يراود الحكومة بأن الأردن سوف تطلق بضع قذائف، أي صلية تحية فقط للوفاء بالتزاماتها نحو الوحدة العربية كما قال ناركيس - ولكنها فيما عدا ذلك كانت مشاعرها سلبية، ولتعزيز هذه السلبية، رغبت الحكومة في إرسال مناشدات إلى الحسين تحثه على ضبط النفس، ولكن دايان عارض الفكرة متسائلاً: «ألا يعرف الحسين أنه من المفروض ألا يهاجمنا؟» أما لون فأصر على ضرورة تحذير الملك، تم اختيار قنوات ثلاث: وزارة الخارجية الأمريكية، ووزارة الخارجية البريطانية والجنرال أودبول (Odd Bull) في القدس. وهكذا قام آرثر لوري (Arthur Lourie) الاختصاصي الخبير في شؤون الأمم المتحدة في وزارة الخارجية، باستدعاء بول، وقال له: «في الساعة ٨.١٠ شوهدت طائرات مصرية تعبر أجواءنا، وردت عليها طائراتنا وأسلحتنا. وطلب لوري إلى بول أن يبلغ الملك حسين بأن إسرائيل لن (وأن يكرر كلمة لن) تهاجم الأردن إذا ظلت هادئة، أما إذا فتحت الاعتداءات فإن إسرائيل سترد بكل ما لديها من قوة.

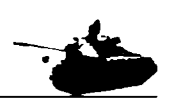
بيد أن بول، الطويل النحيل الضامر، صارم اللمحات، الطيار السابق ذا خبرة عشر سنوات في هيئة المراقبة التابعة للأمم المتحدة في الشرق الأوسط، لم يتأثر بهذه التلميحات. وبسبب موقفه غير الودي من إسرائيل -وكان يريد إهداء مذكراته وتكريسها لتقويم تحيُّز النروج لإسرائيل- فقد رفض الادعاء بأن مصر قد ابتدأت القتال، واشمأز من لهجة النص، قائلاً: هذا تهديد، واضح جلي، ولم تجر العادة أن



تقوم الأمم المتحدة بنقل تهديدات من حكومة إلى أخرى، وطلب ساعتين لاستشارة نيويورك. ولكن لوري أصر على وجوب إرسال الرسالة على الفور. وكل الدلائل الظاهرة تشير إلى أن الأردن كان يُعدُّ للحرب. (١٥).

لقد سُرِّعت هذه الاستعدادات خلال الأربع والعشرين ساعة المنصرمة عندما أخبرت القوات الأردنية بأن الوقت قد حان لخوض الحرب. وشهد الجنرال معن أبو نوار، قائد المواقع المتاخمة لجبل المكبر بقوله: «وزعت الذخيرة الاحتياطية، وملئت مخازن الرشاشات، ولقمت القذائف». لم يُبد الملك حسين أي خوف عندما قاطع معاونه الكولونيل غازي إفطاره في الساعة ٨.٥٠ قائلاً: «جلالة الملك، بدأ هجوم إسرائيل على مصر». ولدى استدعاء الملك للقيادات علِم بادعاء عامر بالإصابات التي شلت إسرائيل، وبالهجوم المصري المضاد السريع. ووردت تقارير من عجلون مفادها أن مئات الطائرات قادمة من جهة سيناء - إنها بالتأكيد الطائرات الإسرائيلية العائدة، رغم أن الأردنيين ظنوها طائرات مصرية. لم تهدئ هذه المعلومة من مخاوف الملك بشأن مُحاولات إسرائيل احتلال القدس الشرقية وسكانها البالغ عددهم ٨٠.٠٠٠ نسمة من العرب، أو احتلال جزء من الضفة الغربية أو كلها. يمكن للأردن أن يبدأ الهجوم.

ومع ذلك، لا يقرر مدى ذلك الهجوم سوى الحسين. دخل مقر القيادة بعد الساعة التاسعة، ووجد رياض قد أمر بعدد من العمليات البعيدة المنال بما فيها تدمير المطارات الإسرائيلية بنيران تشترك فيها المدفعية والقاذفات والهجمات الفدائية. وجاءت طلبات من عشر ألوية سورية للنزول من الجولان إلى وادي الأردن للالتقاء بمئة وخمسين دبابة عراقية هناك، ومن ثم عبور نهر الأردن على جسور هجومية كان رياض قد طلبها من مصر والمملكة العربية السعودية. كما أصدر تعليماته إلى لواء الإمام علي للاستيلاء على مرتفع تلة الحكومة جنوب القدس. وكان هدف هذه العمليات تغطية جناح الرتل المصري الذي اعتقد رياض أنه سينطلق على الفور من بير السبع وبيت لحم نحو الشمال.



ولتمنع إسرائيل أية مناورة التفافية - اندفعت قواتها إلى الضفة الغربية من النقب - فحوَّل رياض ألوية الدبابات الأردنية نحو الجنوب، فاتجة اللواء الستين إلى طريق القدس - أريحا، واتجه اللواء الأربعين إلى الخليل.

فإذا ما طُبقت هذه التعليمات فإنها ستورط الأردن تماماً في الحرب مع إسرائيل. وعلى الرغم من أن رياض كان محبوباً لدى الأردنيين -بل كان أحد أفضل الضباط العرب، ليس في البلاد العربية، بل في أي مكان آخر، كما قال عنه، مادحاً، أحد ضباط المشاة عوض بشير خالدي- فإن رياض لم يكن لديه الوقت الكافي لدراسة الدفاع عن المنطقة دراسة وافية. ولم يكن يفهم عقلية الفيلق الأردني حيث البنية القيادية فيه أشبه ما تكون بالروابط العائلية. وقال أحد ضباط المخابرات، شفيق عقيلات: «إنه لم يكن يعرف أرضنا، ولا كيف نتحادث ولا كيف نقاتل. وبإعطاء رياض الأولوية لحاجات مصر الفورية لتحييد مطارات العدو ودعم هجومها المفترض، تجاهل حرص الأردن على حماية الضفة الغربية والقدس الشرقية. أبرز هذه الحقيقة عدد من أعضاء هيئة الأركان، وكان أعلاهم صوتاً، عاطف المجالي الذي أكد أنه لم تكن المدفعية ولا الدبابات اللازمة لدعم الهجوم على تلة مبنى الحكومة، متوافرة. وناقش قائلاً: «من الأفضل احتلال جبل المكبر على الفور، وتنفيذ عملية طارق. وتم تراشق الكلمات القاسية -غضب المجالي وهاج- ولكن كلمة رياض هي التي أخذ بها في النهاية، ولم يفه الملك حسين، الذي كان هو وحده القادر على إلغاء الأوامر أو تغييرها، بأية كلمة. (١٦)

بل أخبر الحسين شعبه في كلمة ألقاها عبر راديو عمان في الساعة ٩,٣٠ أن الأردن قد تعرض للهجوم وأن «ساعة الانتقام قد حانت» وكان قد تلقى من توه مكالمة هاتفية مختصرة من عبد الناصر يؤكد فيها الرئيس المصري ادعاء عامر السابق بإيقاع خسائر مذهلة بإسرائيل وبتدمير مطاراتها. وحثه ناصر قائلاً: «أسرعوا في الاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الأرض لنطالب الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار، متوقعاً أن مجلس الأمن سوف ينعقد تلك الليلة. كما أكد العراقيون -كذباً- للملك حسين أن طائراتهم كانت في ذلك الوقت تقوم بمهماتها ضد إسرائيل.

لقد أثارت هذه الأنباء الحسين بصورة واضحة، وكان لا يثق بدوافع إسرائيل من وراء مطالبتها إياه بضبط النفس. وربما كان ما زال يعتقد أن قصفاً محدوداً لبعض القواعد واحتلال هضبة مبنى الحكومة -وهي منطقة الأمم المتحدة- لن تثير إسرائيل وتدفعها إلى القيام بهجوم مضاد شامل. وفي النهاية لم يكن أمام الحسين خيار سوى القبول بقرارات رياض. ولكي ينجو سياسياً ويبقى على قيد الحياة، كان لا بد له من أن يقاتل. لذلك، عندما وجده السفير بيرنز في موقع مراقبة متقدم وسلمه رسالة لوري أجابه الملك إجابة واقعية: «لقد بدؤوا المعركة: وسوف يتلقون الجواب جواً. لقد ألقي زهر النرد وانتهى الأمر». (١٧)

كان قصف إسرائيل من الأردن قد بدأ قبل ساعة، في الساعة العاشرة صباحاً. اشتغلت بطاريتا مدفعية بعيدة المدى عيار ١٥٥ مم من صنع أمريكا، إحداهما ركزت قصفها على ضواحي تل أبيب والثانية على رامات ديفيد (Ramat David) أكبر المطارات في شمال إسرائيل. أصدر قادة هاتين الوحدتين تعليماتهم بمتابعة القصف المستمر لمدة ساعتين لجميع مواقع العدو المدرجة في قوائمهم، التي تشمل قواعد عسكرية وحتى المستوطنات المدنية الموجودة في خاصرة إسرائيل الضيقة. أيقظ دوي الانفجارات هاري ماك فيرسون (Harry Mcpherson) الذي كان قد لجأ إلى بيت باربر (Barbour) شمال أبيب. وسرعان ما انضمت المدرعات إلى عمليات القصف الكثيف، وتبعتها الطائرات. ففي الساعة ١١,٥٠ صباحاً قامت ١٦ طائرة أردنية مقاتلة من طراز هوكرهنتر (Hawker Hunter) بغارات قرب مدن ناتانيا (Natanya) وكفارسيركين (Kfar Sirkin) وكفار سابا (Kfar Saba). ومع أن الهجمات لم تحدث أضراراً جسيمة -إذ قتل مدني واحد وجرح ١٧ ودمرت طائرة نقل واحدة- كان أثرها النفسي كبير جداً. فعندما حيا السفير السوفياتي السفير الأمريكي بيرنز (Burns) خارج قصر الملك حسين، قال له: إذا لم تتلق إسرائيل أسلحة، نعتقد حسب تقديراتنا أن العرب سيربحون الحرب إذا ما أتيح لهم أن يحاربوها حتى النهاية.

من نتائج الهجوم الأردني، جر القوات السورية والعراقية كليهما إلى الحرب. فسوريا فعّلت عملية رشيد بقصفها شمال إسرائيل. وما إن حلت الظهيرة حتى كانت طائراتها الميغ تقصف مستوطنات الجليل بما فيها كيبوتز ديغانيا (Kibbutz Degania) موطن إشكول وهود. أسقطت ثلاثة طائرات أما البقية فقد طردتها المقاتلات الإسرائيلية. وفي هذه الأثناء كانت ثلاث طائرات عراقية من طراز هنتر (Hunter) تقصف مستوطنات في وادي جزريل (Jezreel Valley) بما فيها قرية ديان نهلال (Nahalal). كما قامت قاذفة عراقية من طراز توبولوف - ١٦ (١٦-Topolov) بمهاجمة مدينة العفولة (Afula) في الجليل الأردني قبل أن يتم إسقاطها قرب مطار مجدو (Megiddo). ومرَّة أخرى كانت الخسائر المادية في حدودها الدنيا - ضربت عدة أقنان دجاج، وبيت أحد المواطنين رفيع المستوى - ولكن قتل ١٦ جندياً إسرائيلياً، راح معظمهم ضحية إسقاط طائرة التوبولوف. أخذ راديو دمشق يذيع على الفور بأن «سلاح الجو السوري قد بدأ يقصف المدن الإسرائيلية ويدمر مواقعها». وصلت الحرب إلى جبهة إسرائيل الشرقية وسوف تحيق بالقدس عما قريب أيضاً. (١٨)

كان في المدينة تبادل نيران الرشاشات متقطع منذ الساعة ٩,٣٠ صعّد الأردنيون القتال بالتدريج، فأدخلوا مدافع هاون عيار ٣ بوصة، وبنادق عديمة الارتداد عيار ١٠٦مم. أمر الجنرال ناركيس رجاله بالرد بأسلحة صغيرة فقط وبإطلاق النار في مسار أفقي مباشر كيلا يصيبوا المدنيين والأماكن المقدسة في المدينة القديمة. وقال الكولونيل اليزر أميتاي (Eliezer Amitai) قائد لواء القدس (Etzioni) السادس عشر، وهي وحدة احتياط مشكلة في معظمها من سكان المدن: «سيطلقون النار.. وسوف نتحمل بألم عدم الرد». قاتل أميتاي، مثله كمثل ناركيس، في القدس في العام ١٩٤٨ كقائد فصيل مع هاريل (Harel). «الدبابات لا تستطيع إطلاق النار، والبنادق عديمة الارتداد لا يمكن تحريكها هنا وهناك خشية إثارة الأردنيين. كنا نريدهم أن يظلوا هادئين. «وبرغم قلق ناركيس بشأن جبل المكبر،

فقد التزم بتعليمات دايان لتلافي إثارة الأردن. حتى عندما أعلن راديو الأردن في الساعة ١٠.٣٠ أن قوات الفيلق العربي قد استولت على هضبة مبنى الحكومة -وتبين أنه ادعاء كاذب- أحجم الإسرائيليون عن الرد.

حتى تلك اللحظة كانت ردود الفعل الأردنية كما توقع القادة الإسرائيليون، يظهرون تضامنهم العربي ولكن بطريقة محدودة لم تصل إلى الحرب الشاملة. ولكن الوضع تغير بعد ذلك في الساعة ١١.١٥ إذا أطلقت مدافع الفيلق العربي من طراز هاوتز (Howitzer) أول رشقة من ستة آلاف قذيفة على القدس اليهودية مبتدئة بكيبوتز رامات راشيل (Kibbntz Ramat Rashal) في الجنوب، وجبل المكبر في الشمال، قبل توجيهها إلى وسط المدينة وما يجاورها. استهدفت منشآت عسكرية إضافة إلى الكنيست (Knesset) ومبنى رئاسة الوزراء، ومع ذلك كان القصف عشوائياً، أيضاً، أصيب أكثر من ٩٠٠ مبنى بأضرار، من بينها مشفى هداسا في عين كارم حيث تحطم زجاجه الذي لونه الفنان مارك شاغال (Marc Chagall)، واشتغل سقف كنيسة المهد (The Dormition) في جبل صهيون. جرح أكثر من ألف مدني. بينهم ١٥٠ جروحهم خطيرة، وتوفي بينهم عشرون. وذكر القنصل البريطاني العام في حوالي الساعة ١١.٣٥ «يسود القدس قصف مستمر بنيران رشاشات ثقيلة وهاونات، وربما مدافع. يبدو أن نيراناً أردنية كثيفة كانت تنهمر على المدينة الجديدة. كانت الحرب قد لفَّت القدس بأكملها. وقبل قليل، أصابت رصاصة مبنى القنصلية وأخطأت قنصل جلالتها بأعجوبة». (١٩)

ترافقت المكاسب الأولى السريعة ضد مصر بأول نكسة إسرائيلية كبرى في الحرب عندما تدهورت الأوضاع على الحدود الأردنية بصورة حادة. كان دايان يرغب في تجنب فتح جبهة ثانية على الأقل حتى يؤمن الجنوب. كما أن فرنسا أعلنت حظر إرسال أسلحة إلى الشرق الأوسط -ومع ذلك ظلت الأسلحة الفرنسية تصل إلى إسرئيل سراً وبمعدل أبطأ- وكانت هناك حاجة للاحتفاظ بالذخيرة. ففي حين رفض إبان طلبات ناركيس المكررة السماح له بالقيام بعملية اختراق إلى جبل المكبر

بقوات مشاة، أجاز عندئذ عدداً من العمليات رداً على التهديد الشرقي الجديد. إذا أصدر أوامره بضرورة تحييد سلاح الجو الأردني والسوري والعراقي، بالإضافة إلى محطة الرادار الأردنية في عجلون. كما يجب تقليص مواقع العدو المتقدمة حول القدس القديمة. ويجب تنشيط لواء هاريل العاشر مع عدد من الوحدات من القيادة الشمالية من أجل تنفيذ عملية السوط ضد الأردن». (٢٠)

وقبيل الساعة ١٢,٣٠ قام سلاح الجو الإسرائيلي بضربة صاعقة ضد مطاري المفرق وعمان. كان وايزمن يحبذ، قبل الحرب، إبادة القوة الجوية الأردنية حتى دون استفزاز، كإجراء وقائي، ولكن رابين عارض الفكرة، أما الآن بعد هجمات طائرات الهوكر على نتانيا، أصبح لدى وايزمن ذريعته.

كانت طائرات الهوكر رابضة على الأرض تتزوّد بالوقود عندما نفذ الإسرائيليون ضربتهم. وفي غضون تسع دقائق أصبحت القاعدتان غير صالحتين للعمل إذا أحدثت القنابل في المدارج حفراً كبيرة بحيث لم يعد بإمكان الطائرات الإقلاع، إضافة إلى أن أبراج المراقبة قد دمرت، وجاءت الموجة الإسرائيلية الثانية في الساعة ١,١٥ بعد الظهر وأكملت تدمير جميع طائرات الهوكر الأردنية كلها. واشتعلت ثماني طائرات أخرى بما فيها طائرة الجنرال بول الخاصة. أفلحت طائرة هيركيوليز C –١٣ (Hercules ١٣– C) بالإقلاع بأربع عشرة طياراً إلى مطار H–٣ في غرب العراق، لتتابع المعركة هناك. فقدت إسرائيل طائرة ميستير واحدة بنيران أرضية.

كان الملك حسين يراقب الهجوم من باحة قصره حيث كان ابناه الصغيران عبدالله وفيصل يرتعشان لصوت انفجارات القنابل البعيدة. وشهد مصرع صديقه الميجر فراس عجلوني وهو يحاول الإقلاع بطائرته النفاثة. وادعى الملك فيما بعد أن وجوده في البيت قد نجاه من الموت، لأن مكتبه في قصر بسمان قد تعرض لنيران المدافع والصواريخ الإسرائيلية التي أحدثت فيه عدة ثقوب وفتحات.



ومن الذين كانوا يراقبون المذبحة، وصفي التل، المستشار الملكي الذي عارض التحالف مع مصر، وضع يديه على عينيه وبكى قائلاً: لقد أضعنا كل ما بناه جلالته طوال حكمه: ثم التفت إلى الشقيري يعنفه وكأنه يعنف عبد الناصر، متسائلاً: «أين سلاح الجو المصري؟ أين طائراتكم الميغ، وصواريخكم؟». (٢١)

فيما يتعلق بالأردن، كان تدمير القوة الجوية مجرد بداية فقط للانتقام الإسرائيلي، فقد هاجم سلاح الجو الإسرائيلي اللواء الأربعين، أثناء تحركه جنوباً من جسر دامية، قال الميجر أربيه بن أور (Arye Ben-Or) قائد سرب فوجا (Fouga) الذي قصف الأردنيين بصواريخ جو أرض، مستذكراً: «كانت تجربة استثنائية أن يطير المرء فوق بيت لحم والخليل وأريحا... إذ كان شعوري أننا كنا نقاتل الآن على أرض وطننا التاريخي». دمر سرب فوجا عشرات الدبابات وأشعل النار في قافلة ذخيرة مؤلفة من ٢٦ شاحنة. وتابع بن أور الذي قتل في غارة مماثلة بعد خمسة أيام في الشمال، قوله: «لم أكن أعلم أن القتال هناك سوف يطلق هذا الفيض القوي من العواطف التي كانت كامنة في داخلي».

أما في القدس فقد كان الرد الإسرائيلي على القصف الأردني، باستخدام سلاح سري اسمه الرمزي «L» على اسم مخترعه الكولونيل ديفيد لاسكوت (David Las-kov) من شعبة الهندسة في جيش الدفاع الإسرائيلي. كان هذا السلاح مخبّأ في المعاقل الأمامية ومصوباً سلفاً على مواقع العدو المقابلة: وكان هذا السلاح صاروخاً أشبه بالكفن يحدث تدميراً هائلاً بالهدف الذي يصيبه. وذكر أحد الشهود العيان أن أكياس الرمل والحجارة تطايرت في الهواء. وغطت جميع المعاقل الأردنية سحب من الدخان. وانهارت أجزاء من المباني عليها، وكذلك أعمدة الهواتف. كان لدى أحد جنود الفيلق الأردني الذي استسلم، اعتقاد بأن إسرائيل أسقطت قنبلة نووية. (٢٢)

ومع ذلك استمرت إسرائيل في السعي لاحتواء المعركة أو إنهائها، حتى عندما اتخذت موقفاً أكثر عدائية من الأردن. إذ قبلت إسرائيل محاولة قام بها الجنرال بول في الساعة ١١.٤٠ لترتيب وقف لإطلاق النار. التقى ممثل إسرائيل في لجنة

الهدنة الإسرائيلية الأردنية المشتركة (IJMAC) الكولونيل جيري بيبرمان (Jerry Bieberman) مع ممثل الأردن في اللجنة الكولونيل ستانووي (Stanowi) وأخبره أنه «بناء على مصادر موثوقة، قد أبيد سلاح الجو المصري» ولذلك ينبغي أن يوافق الأردن على وقف إطلاق النار فوراً. لم يكن لهذه المبادرة أي انطباع، على أية حال. إذ قال رئيس الوزراء الأردني في خطاب له موجه إلى الشعب عن طريق الإذاعة: «إننا نعيش اليوم أقدس أيام حياتنا، موحدين مع جميع جيوش الأمة العربية، إننا نخوض حرب البطولة والشرف ضد عدونا المشترك. لقد انتظرنا سنوات هذه المعركة لنمحو وصمة عار الماضي» وكانت مكبرات الصوت من على قبة مسجد الصخرة تحث المؤمنين على حمل السلاح واسترجاع البلاد التي اغتصبها اليهود»(٢٣) وبهذا التضرع، بدأ الفيلق هجومه.

كان الميجر بادي عوض قائد كتيبة (عصام بن زيد) يُصغي إلى تقارير الإذاعة من انتصارات مصر واستيلاء الأردنيين على مبنى الحكومة، عندما تلقى كلمة السر (صاحب السعادة) كانت هذه الكلمة الآتية مباشرة من رياض تعني أن يتابع عوض وسريتين أخريين تقدمهما إلى الهضبة. كان عوض، قصير القامة، ممتلئ الجسم، خشن المظهر، المتمرس منذ معركة القدس في العام ١٩٤٨، متأكداً من أن الإسرائيليين سيقومون بهجوم مضاد بالمدرعات. ومع ذلك كان واثقاً من مقدرته على الدفاع عن موقعه برجاله الأربع مئة، وبنادقه الأربعة عديمة الارتداد، بالإضافة إلى بعض الرشاشات الثقيلة والهاونات، من وراء جدران المجمّع.

كان مجمع مبنى الحكومة (قصر المندوب السامي) المعروف بالعبرية أرمون هاناتزيف (Armon Ha-Natziv) وبالعربية جبل المكبر، هو مقر حكومة الانتداب البريطاني، وأصبح بعد العام ١٩٤٨ مقراً لمراقبي الأمم المتحدة. يشغل المبنى الجهة الشرقية القصوى من هضبة تهيمن على المحور الحيوي إلى بيت لحم والخليل، ويمكن استخدامه كموقع لفصل القدس العربية أو القدس اليهودية. ولهذا كان لدى الإسرائيليين والأردنيين خطط طوارئ لاحتلال الهضبة في حال نشوب حرب.



وعلى الرغم من كون المنطقة منزوعة السلاح بموجب الهدنة، فقد كانت محاطة من جهة الجنوب والجنوب الشرقي بمواقع أردنية محصنة، ومن جهة الغرب بمزرعة تجريبية وبقاعدة اللنبي (Allenby). وكان جيش الدفاع الإسرائيلي يحتفظ بموقع مراقبة سري على المنحدر الشمالي للهضبة -المسمى بالبيت المعزول- ليعطي إنذاراً مبكراً حول أية تحركات أردنية هناك. ومع ذلك، خلافاً لجبل المكبر (Scopus) والمنطقة المنزوعة السلاح مع سوريا، نادراً ما كانت هذه الهضبة مصدر احتكاكات أردنية - إسرائيلية، ولكن كانت تحصل مشاجرات بسيطة بين إسرائيل والأمم المتحدة، مثل تلك التي حصلت في الحادي عشر من مايو (أيار) عندما شكا بول بأن علم الأمم المتحدة قد سُرق من أعلى المبنى الحكومي، ووضع مكانه بنطال منامة لونه أزرق فاتح. (٢٤)

تمركز رجال الميجر عوض حول المحيط الحراجي لمبنى الحكومة حيث كانوا يوجهون نيران هاوناتهم وبنادقهم عديمة الارتداد إلى رامات راحيل (Ramat Ra-chel) واللنبي والقطاع اليهودي من مناطقة أبو طور Abu Tor المختلطة، خرج بول غاضباً، ووصف نفسه في مذكراته، في تلك اللحظة، قائلاً: «لا أذكر أني كنت أكثر غضباً في حياتي». وأصر أن يعيد عوض تأكيد أوامره من رياض، واستجاب الميجر على الفور مقترحاً إخلاء المنطقة من جميع المدنيين. ورفض بول، وبدلاً من إخلاء المدنيين، تمترس وعماله داخل المجمع. وحاول الاتصال من هناك بوزارة الخارجية الإسرائيلية أملاً في تلافي حدوث هجوم مضاد.

كان الوقت الساعة ١.٣٥ بعد الظهر، عندما أرسل عوض دورية متقدمة لاستكشاف قوة إسرائيل في الطرف الغربي من الهضبة. ولدى اقتراب الدورية من المزرعة التجريبية، أطلقت عليها نيران من قبل راحيل كوفمان (Rachel Kaufman) زوجة مدير المزرعة وعمالها الثلاثة مستخدمين بنادق تشكيلية قديمة. أكدت التقارير الواردة من المزرعة ومن (البيت المعزول) العدوان الأردني.

وانتشـر الخبـر في القدس الشرقيـة حيث شـاهد مراسل مـجلة (لايف Life - الحيـاة) جـورج دي كـارفـالو (George de Carvalo) السكان العـرب يحتـفلون بسقوط هضبة مبنى الحكومة ويهتفون: (غداً سنحتل تل أبيب).

صُعق الإسـرائيليـون، بعـد أن أصـابهم الذعـر لما يجـري من الأحـداث، عندمـا سمعوا راديو عمان في السـاعة الثانيـة بعد الظهر يعلن سقوط جبل المكبر، ويتذكر ناركيس كيف أن الإعلان عن احـتـلال مبنى الحكومة قـد سبق الهجـوم الفـعلي، استخلص أن جيب إسـرائيل سيكون الهدف التـالي. إذ قال فيمـا بعد: «كانت تلك علامة تشير إلى أن لدى الأردنيين خطة، كشفها حماسهم المتوقد وإحساسهم بأن المشكلة قد حلّت أخيـراً، وكان تقديره أن تقـوم مئـات الدبابات الأردنيـة من طراز باثون بصعود وادي الأردن إلى رام الله، ومهاجمة جبل المكبر من الخلف. وسوف تستغرق الرحلة ثماني ساعات. (٢٥)

أصبـحت الظروف بالنسبـة للإسـرائيليين حـرجـة إذ تستطيع القـوات الأردنيـة الانطلاق مـن هضبـة مبنى الحكومـة عبـر المنطقـة المجاورة للقدس مـن الجنوب - تالبيوت (Talpiot)، وكاتامون (Katamon)، وسـان سيمون (San Simon)- وتلتقي مع القـوات والدبابات النازلة من جبل المكبـر في الشـمـال، ويمكن أن تضيـع المدينة بأكملها، أما في الضفة الغربية، فكان اللواء المؤلل الثامن، معززاً بكتيبة فلسطينية، يتقدم في تلك الأثناء إلى جسر داميه محتلاً مواقع كان يحتلها سابقاً اللواء المدرع الأربعين، وعندها يستطيع العـراقيـون مع الألوية الأردنيـة السـبـعـة أن يشكلوا رأس حربة تشق إسرائيل نصفين.

استدعت كل هذه الأحداث إعـادة تقييم الاستـراتيجيـة الإسـرائيلية في الشـرق بصـورة شـاملة. ولـدى اجتـمـاع دايان بإشكول ورابين وياريف في غـرفـة العـمليـات، تحـدث عن ضـرورة إسكات المدفـعيـة البـعـيـدة المدى التي تسـبـبت بأضـرار فادحـة لرامات ديفيد. بفضل قيام الدبابات الإسـرائيلية بمهاجمة البطاريات الموجودة قرب



مدينة جنين في الضفة الغربية، ويفضل ألا تدخل الدبابات الإسرائيلية المدينة نفسها. وينبغي أيضاً إيقاف القصف في القدس، وصد أي تقدم أردني. والأهم من ذلك كله هو استرجاع جبل المكبر. واستعداداً لذلك الجهد الحربي، كان دايان يرغب بدراسة الاستيلاء على ممر اللطرون، فقط، دون احتلالات أخرى. فقد قال «غايتنا ضرب مصر، ولا أحد غيرها، وأقترح ألا نقع في حربين».

وافق إشكوال على الخطة، ولكن رابين اعترض قائلاً: إننا نفتخر بما أوقعناه بقواتهم الجوية (القوات الأردنية) فلماذا نحتل أرضهم في هذه المرحلة؟ فوافقه ياريت بقوله: «لا بد وأن يهاجمنا الحسين، ولكن ما نفعله الآن يزوِّده بأساس يتذرع به ليشن الهجوم». سجل وزير الدفاع هذه النصيحة، وطلب أن نبذل مساع أخرى لإقناع الأردن بوقف إطلاق النار. وبدا دايان في نظر الكولونيل ليور الذي كان حاضراً ذلك الاجتماع، متناقضاً مع نفسه بقوله: إنه يريد تجنب الحرب مع الأردن، وفي الوقت نفسه يشن هجوماً عليه. وكتب يقول: «قال الرجل شيئاً للأجيال والبروتوكول ولكنه قام في الميدان بأمور مختلفة تماماً. اللعنة عليه، ماذا يريد دايان فعلاً؟».

ومع ذلك، لا يكتنف أوامر دايان في المعركة مثل هذا الغموض. فقد أعطى ضوءاً أخضر للقيادة الشمالية بإرسال لواءين مدرعين لبدء الهجوم على جنين، ثم أعطى تعليمات إلى ريهافام زيف (Rehavam Zeiv) نائب رئيس العمليات ليضع خطة للهجوم على القدس. تقوم بموجبها دبابات لواء هاريل بالتقدم على طول الهضبة التي يستولي عليها الأردنيون، المهيمنة على الطريق العام بين القدس وتل أبيب، وصد أية دبابة تهبط من الشمال وتحرير حامية جبل المكبر. وفي الوقت نفسه تقوم قوات المشاة بفتح ثغرة في المواقع الأردنية المحصنة عند الطرف السفلي الجنوبي للجيب. وينبغي إعادة احتلال مبنى الحكومة والهضبة المقام عليها على الفور. (٢٦)

وقعت المهمة الأخيرة على كاهل الكولونيل أشر دريزين (Asher Dreizin) البالغ من العمر ٣٤ سنة من كتيبة الاحتياط ١٦١ من لواء القدس. وقبيل بدء الهجوم قال رابين للوحدة: «لقد قاتلت هنا في العام ٤٨. وآمل، إذا ما كان علينا أن نخوض

المعـركـة هنا، أن تنجـزوا مـا عـجـزنا عن إنجـازه». كـان دريـزين يشـارك رابين هذه العاطفة. كان دريزين، مثله كمثل العديد من ضباط اللواء العاديين، تواقاً لتجنب الحرب، ولكنه في الوقت نفسه تواق لسحق أسطورة الفيلق العربي الذي لا يقهر. لقد أعدَّ خطة لاستعادة مبنى الحكومة، ولكن عندما وصل الأمر إلى الهجوم لم يكن لديه من الوقت إلا ما يتيح له رسم خريطة على التراب، وإيجاز رجاله بصورة مقتضبة جداً. وقال لزملائه الضباط فيما بعد: «بسبب سرعة كل شيء. كان لدي شعور بأننا سوف نفاجئ الأردنيين، مع أن العملية ما زالت معقدة مضطربة».

وانطلقت قوة دريزين المؤلفة من فصيلي مشاة وثماني دبابات شيرمان، من اللنبي الساعة ٢٫٢٤ تعطلت في الطريق عدة دبابات أو غرزت في وحل المزرعة التجريبية، ولم يبق من الدبابات سوى ثلاث لتقوم بالهجوم. كانت المقاومة شديدة العزم. إذ نجح رجال الفيلق بقيادة عوض، الكامنون وراء جدران المجمع في تدمير دبابتين وقتل إسرائيليين -قائد فصيل- وجرح سبعة آخرين من بينهم دريزين (Dreizin) نفسه. ولكن بتفوق المهاجمين بغزارة النيران وبالعدد، استطاعوا اختراق البوابة الغربية للمبنى، وشرعوا بتطهير المجمع بالقنابل اليدوية. كان بول يركض هنا وهناك كالمجنون يصرخ في الإسرائيليين مطالباً إياهم بوقف إطلاق النار: لأن الأردنيين قد هربوا. وافق دريزين، في الوقت المناسب تماماً: إذ كانت قنبلة يدوية قد أعدت للرمي على غرفة تبين فيما بعد أنها كانت تحوي ثلاثين من عمال الأمم المتحدة مع أزواجهم وأطفالهم.

نادراً ما كانت العلاقة بين إسرائيل والأمم المتحدة، التي لم تكن مثالية قط، تتعزز بالعمل. لم يوفر الإسرائيليون ذخيرتهم، بل أحدثوا أضراراً في المجمع ودمروا سيارة بول. طلب رئيس الأمم المتحدة إخلاء المبنى، ولكن الإسرائيليين الغاضبين بسبب دخول الأردنيين إليه بسهولة. رفضوا ذلك الطلب. لم يكن لدى دريزين وقت للمناقشة. فالمعركة كانت مستمرة. أولاً على المرتفع خلف مبنى الحكومة - أنتينا هيل (Antenna Hill) ومن ثم في سلسلة التحصينات غرباً وجنوباً، وكان كل منها يحمل اسماً مناسباً لشكلها: الجرس، النقانق، وبعدها تقع قرى سور باهر (Sur Baher) العربية وجبل المكبر.

استمر القتال -بالأيدي أحياناً- حوالي أربع ساعات. تراجع عوض ومن بقي من رجاله أحياء إلى الخنادق التي كانت تحتلها قوات لواء حطين، وطلب من هناك تعزيزات من الألوية المدرعة الموجودة في وادي الأردن. لم يصل أحد، فارتبك جنود الفيلق وقهروا. وما إن حلت الساعة ٦.٣٠ بعد الظهر حتى كانوا قد تراجعوا إلى بيت لحم مخلّفين وراءهم ما بقرب من مئة قتيل وجريح. ولم يكن دريزين، الذي جرح مرتين ولم يبق معه سوى عشرة رجال ومقدار ضئيل من الذخيرة بأحسن حال من عوض ورجاله. ومع ذلك فقد مزّق الإسرائيليون الذين تمركزوا ذلك المساء على هضبة مبنى الحكومة متوقعين هجوماً مضاداً، أسطورة الفيلق الذي لا يُقهر. كما سيطروا على القدس الجنوبية. (٢٧)

لم يكن الهجوم الأردني على مبنى الحكومة مفاجئاً لأوزي ناركيس، ولم يحبط رئيس القيادة الوسطى. كانت القدس اليهودية تتعرض للقصف، فأصبح لديه ذريعة للرد. وفي ذروة المعركة في الساعة ٣.١٠ بعد الظهر عرض ناركيس خدمة كتيبة المظليين الخامسة والخمسين بقيادة الكولونيل مردخاي «موتا» غور (Mordechai "Motta" Gur). كانت مهمة هذه الكتيبة الأصلية، إنزال مظلي مشترك وهجوم بحري بري على العريش، ولكنها ألغيت بسبب التقدم السريع الذي حققه هجوم سيناء، فوضع المظليون في حافلات ركاب ودفع بهم إلى القدس.

قال ناركيس لهيئة ضباطه بعد الحرب مبتهجاً: لقد نزلت علينا كتيبة المظليين ٥٥ من السماء. فلم تكن سماء الجنوب بحاجة إليهم. وكان ناركيس مصمماً على احتلال القدس القديمة رغم أن دايان رفض التفكير في هذا الاقتراح. أما الآن فقد حانت الفرصة أخيراً لتصحيح خطأ إسرائيل في العام ١٩٤٨، نعم لقد حانت الآن فرصة ثانية، عجيبة. قال ناركيس لضباطه: «كيفما بدأت الحرب في القدس، فأنا أعلم أنها ستنتهي في القدس القديمة». وما إن وصل غور إلى القيادة الوسطى، حتى قال له ناركيس: «استول على ما تستطيع الاستيلاء عليه طالما أن هناك ضوءاً. كان الكولونيل، أصغر قائد لواء في البلد. قاتل فترة وجيزة في العام ١٩٤٨، وفي النقب

فقط. ومع ذلك، فهو من مواليد القدس القديمة ويشاطر ناركيس رأيه في احتلالها. فوضَّع، على الفور، مظلييه من أجل التحريك إلى جبل المكبر والمدينة القديمة. وقال غور موضحاً: «سنحرر القدس».

بيد أن المهمة ليست بهذه السهولة. فغور وضباطه لا يعرفون إلا القليل عن موقع المدينة. ونادراً ما دُربوا على قتال المدن، كما أنهم كانوا يفتقرون إلى خرائط وصور جوية لميدان المعركة الذي دمر الكثير منه أثناء قصف القدس. كان أمام المظليين الذين مازالوا يحتفظون بالكثير من أسلحتهم الثقيلة وأجهزة الاتصالات المعدَّة للإنزال الجوي، خمس ساعات فقط ليضعوا الخطة، قال الكولونيل أريك أخمون (Arik Akhmon) ضابط مخابرات اللواء المظلي الخامس والخمسين: هدفنا هو تحويل اللواء إلى قوة مستعدة للقتال في القدس عند حلول منتصف الليل. والمشكلة ليست كيف نقوم بالمهمة بالطريقة الصحيحة، بل كيف نتجنب القيام بها بصورة مرعبة».

تبين أن مجرد جمع المظليين يعد عقبة كبيرة: لأن القصف الأردني أجبر حافلات الركاب على السير في طرق ملتوية غير معبدة مزدحمة بعربات لواء هاريل. كان اللواء، كالمظليين، غريباً عن المنطقة - إذ كانت كل مناوراتهم تجري في النقب - وكان عليه، رغم تجهيزه السيئ، أن يتعامل مع حقول ألغام كثيفة ومنحدرات ثلاث صخرية غير ملائمة للدبابات. قال الكولونيل أهارون غال (Aharon Gal) قائد كتيبة، بعد المعركة: «لقد واجهنا عدوين - الأردنيين والأرض، ولا أستطيع القول أيهما أسوأ».

ومن حظ اللواء العاشر أن عين لقيادته يوري بن أري (Uri-Ben-Ari) وهو شخصية ملونة مماحكة لا يرضيه شيء، والده فاز بالصليب الحديدي لإبلائه في القتال لصالح ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، ومات في داخاو (Dachau). وبعد هروب بن أري -المتميز بالفطرة- إلى فلسطين قاتل مع لواء هاريل في عام ١٩٤٩،



وقـاد أول دبابة تصل قناة السـويس في العـام ١٩٥٦، وعلى الرغم من أن حـيـاته العسكرية انتهت بسبب فضيحة مالية. فقد تابع دراسة تكتيكات بانزر الألمانية، وحصل على سوط الفروسية. فيتذكر أول أيام الحرب بقوله: «كنا جميعاً آسفين لوجودنا في القيادة الوسطى... قيل لنا: إنّ الحرب بدأت الساعة الثامنة، وحلت الساعة العاشرة والنصف ونحن جالسين هنا وهناك كالنساء الحوامل، نعلم أن شيئاً ما سيولد، ولكننا لا نعرف ما هو». (٢٨)

جاءت الأوامر أخيراً، بعد الظهر. وكان على اللواء، كما حدد دايان، أن يشن هجومه باتجاه الشمال إلى التلال المطلة على الطريق العام بين القدس وتل أبيب، ويحدث خرقاً في ثلاث نقاط، ثم يتقدم شرقاً مسافة أحد عشر ميلاً عبر القرى المحصنة: بيدو (Bidu) والنبي صموئيل (Nabi Samuil) وبيت إكسا (Beit Iksa) والشيخ عبد العزيز (Sheikh Abdul-Aziz) والهدف هو الوصول إلى الطريق العام بين القدس ورام الله قرب بيت حنينا (Beit Hanina) والاستيلاء على شعفاط (Shu'fat) العربية المجاورة، والالتقاء بالمظليين في جبل المكبر، وبحلول الساعة الرابعة كانت غالبية القوات قد أخذت مواقعها. وكان في مواجهتهم اللواء الهاشمي الأردني، والمشاة وكتائب الفدائيين المصريين.

وعلى الرغم من أنه كان لدى الإسرائيليين معلومات مخابراتية كثيرة، لم يكونوا مستعدين بسبب صعوبة الأرض وتعقيدات الأهداف. فعلى بعد ميلين شمال خط الهدنة واجهوا محطة رادر، بناها الإنكليز من قبل، محمية بتحصينات ومحاطة بثلاثمائة متر من الألغام. ويذكر الكولونيل غال: «ارتطمت الدبابات التي كانت من المفروض أن تغطي تقدمنا بالألغام. تبعثرت قواتنا. وكان على المشاة أن يهاجموا دون غطاء من المدرعات: لأنه لم يعد أمامها سوى ذلك الخيار... يقفزون من حجر إلى حجر، تحت القصف الأردني الكثيف، كي يتلافوا الألغام. كانت المعركة ضارية، بالسكاكين والحراب. وأسوأ مشكلة واجهت الإسرائيليين، حسبما قال بن أري هي الألغام التي كانت قديمة وحديثة ولا يمكن كشف مواقعها. إذ لم تكن لدينا أجهزة للكشف عن الألغام.. فخسرنا عشرات الأرجل». (٢٩)

قتل إسرائيليان ودمرت سبع دبابات شيرمان. وكذلك الخسائر الأردنية كانت طفيفة إذ قتل ثمانية فقط. ولكن بحلول منتصف الليل كان اللواء الهاشمي يتراجع إلى مواقع شمال الطريق إلى رام الله، تاركاً الطريق مفتوحة للدبابات الإسرائيلية. وأصبح بالإمكان تحرير جبل المكبر، والقدس العربية، المفصولة عن الضفة الغربية، كانت هي الأخرى تتعرض للهجوم.

وبما أن قصف المدافع الأردنية بعيدة المدى التي كانت بين برقين (Burqin) ويعبد، قد ازداد كثافة وشدة في آخر النهار تحركت فرقة (Ugdak) بقيادة البريغادير جنرال إيلاد بليد إلى موقعها. كان على قواته، التي انتشرت لتهاجم سوريا، أن تعيد تمركزها بسرعة تجاه الأردن، وتعيد التجمع بوسائط النقل. كان بليد جندي ابن الجندية، خدم أولاً وهو في العقد الأول من عمره كشافاً في الهاغناه (Haganah) ثم في سلسلة من قيادات المشاة والمدرعات، بلغت ذروتها في تعيينه مساعد رئيس العمليات في جيش الدفاع الإسرائيلي. كانت الأرض التي دخلها مثالية للدبابات، إذ كانت أقل وعورة من الأرض المحيطة بالقدس وعامرة بالطرق. خطط إيلاد لدى انطلاقه من وادي جزريل (Jezreel) الإسرائيلي -موقع معركة أرماجدون (Armageddon) الأسطورية- إلى وادي الأردن، أن يحيط بجنين ويجبرها على الاستسلام، كانت قوته مؤلفة من لواءين مدرعين استعارهما من القيادة الشمالية والقيادة الوسطى، ولواء مشاة مؤلل. يقول بليد واصفاً المعركة: «عبرنا الحدود في الساعة ١٧:٠٠ وتغلغلنا في عمق الأرض: وكان أمامنا بطاريات مدفعية مضادة للدرع، ولكن مدرعاتنا عبرت من بينها، وعندها فقط استيقظ الرماة الأردنيون ففتحوا علينا النيران من أسلحة خفيفة».

كُلفت ثلاثة ألوية مشاة أردنية ولواء مدرع مع ست كتائب دعم، بإيقاف إيلاد (Elad). استدرج جزء من هذه القوة بعيداً بهجوم إسرائيلي خادع في وادي الأردن قرب بيسان (Beit Shean)، في حين انتشرت بقية القوات في الريف. إن انتشار الدفاعات الأردنية على جبهة طولها ثلاثون ميلاً، جعل الكولونيل عوض بشير



خالدي قائد لواء خالد بن الوليد الـ ٢٥ مشاة يحتج لدى الملك حسين مباشرة قائلاً: «أقدر مشكلتك السياسية في التخلي عن القرى، ولكنك لا تستطيع الجمع بين السياسة والعسكرية في آن واحد» ولكن ما أفاده هو إقامة الخنادق والتحصينات حول جنين ومعرفته الدقيقة بالأرض، وكان بإمكانه الاعتماد على تعزيزات قوية تأتيه من اللواء المدرع ٤٠ .

إن أصغر الألوية في الفيلق العربي، هو اللواء الأربعين المؤلف من مدرعات باتون M-٤٧ و M48 وكتيبة مشاة مجهّزة بناقلات جنود مدرعة M-١١٣، يقوده البريغادير جنرال الركن الغازي (al-Ghazi) كانت هذه القوة قد وُجهت لتصل إلى منطقة جنين في اثنتي عشرة ساعة، ولكن عندما نشبت الحرب، حول اتجاهها جنوباً نحو القدس، فقصفها سلاح الجو الإسرائيلي والآن بعد أن تأكد التهديد الإسرائيلي لجنين، أمر رياض اللواء بالتوجه جنوباً مَرَّة أخرى في وضح النهار مكشوفاً تماماً للقوة الجوية الإسرائيلية. أزيلت عشرات العربات: وضرب كذلك اللواء الثامن العراقي المؤلل وهو في طريقة من المفرق ليحل محل اللواء ٤٠ في دامية. (٣٠)

بدأ الهجوم الإسرائيلي في الساعة ٤,٠٠ بعد الظهر، وشكل كماشة من لواءين مدرعين بقيادة الكولونيل يوري رام (Uri Ram) والليفتانت كولونيل موشي بار كوخفا (Moshe Barkokhva) -بريل (Brill)- متجهين إلى الجنوب والجنوب الغربي من جنين، على التوالي، في حين انحدر مشاة الكولونيل أهارون أفنون (Aharon Av-non) من الشمال. كان اللواء الخامس والعشرون بقيادة خالدي يغطي هذين المحورين المؤديين إلى الهدفين التاليين - طريقي مجدّو - جنين، والعفولة - جنين. وما كان الإسرائيليون يعبرون الحدود حتى حياهم أبناء الجيش (الفيلق) العربي بعاصفة من نيران المدفعية والدبابات والهاونات.

ولدى وقوع قوات خالدي تحت قصف شديد من الأرض والجو، ظن أنهم هم الوحيدون المعرضون للهجوم. لقد أبدى جنوده المموّهين جيداً والمسلحين بأسلحة مضادة للدرع وحوالي ثلاثين دبابة مقاومة شرسة، إذ استطاعوا أن يطوقوا وحدة

القوة الإسرائيلية الرائدة إلى أن طُوِّقوا هم بدورهم. كانت الدبابات الإسرائيلية قادرة على اختراق دبابات باتون الأردنية الأحدث، من مدى قريب، وأن تشعل خزانات الوقود الخارجية للدبابات. استولت سرايا الاستطلاع الإسرائيلية، في هذه الأثناء، على مفترق عرابه (Arabe) وسدت الطريق على تعزيزات العدو.

ومع ذلك ظل الأردنيون يقاتلون، واستدعى خالدي غطاء جوياً: فمرر طلبه من رياض في عمان إلى القاهرة ومن هناك حوله فوزي إلى السوريين. قال الجنرال إنه لم يعد الآن وقت لتعليق النار والأردن محاصر، والدبابات المصرية تعبر النقب. جاء رد فوزي في الساعة التاسعة والنصف تلك الليلة: «ستقوم الطائرات السورية بمهاجمة القوات الإسرائيلية في جنين مع خيوط فجر يوم غد». (٣١)

والواقع أنه لم يبق لدى سوريا من سلاح الجو إلا قليلاً. إذا أباد جيش الدفاع الإسرائيلي ثلثيه - طائرتي اليوشن، و٢٨ قاذفة، و٣٢ ميغ - ٢١، و٢٣ ميغ -١٧، و٣ حوامات - إثر ٨٢ غارة شنت في وسط النهار على القواعد الجوية السورية في الضمير، ودمشق، وصيقل (Saiqal)، ومرج ريال (Marj Rial)، وT-4. كما ضربت القاعدة الجوية العراقية في الـ H-3 ودمّرت فيها عشر طائرات. لم يفاجأ الإسرائيليون إذ خسروا عشر طائرات أيضاً معظمها بنيران أرضيه. وقتل ست طيارين، نجح اثنان منهما في الهبوط بالمظلة ليذبحهم القرويون السوريون.(٣٢).

صرح حافظ الأسد قائلاً: «نفذت قواتنا قصفاً كثيفاً على العدو في جميع أنحاء القطاع الشمالي. وفقد العدو معظم قوته الجوية». وادعى السوريون أنهم هم الذين بدؤوا الهجوم وليست إسرائيل، وأن ٦١ طائرة إسرائيلية، أسقطت وأن النيران اشتعلت في مصفاة النفط في حيفا، وأعلن الرئيس الأتاسي: لقد قررنا أن تكون هذه المعركة هي معركة التحرير النهائي من الإمبريالية والصهيونية.. ولسوف نلتقي في تل أبيب».

لقد كبت السوريون صدمتهم عندما أدركوا الضربة المدمرة التي تلقوها بعد أن علا صليل سيوفهم. فقائد الجبهة الوسطى مصطفى طلاس الذي نجا بأعجوبة في خيمته عندما أمطرتها النفاثات الإسرائيلية بوابل من نيران مدافعها، سارع إلى نقل مقر قيادته إلى المؤخرة. وقال: «لقد عرض علي الميجر توفيق الجهني (Tawfiq al Jahani) سيجارة ليهدئ أعصابي، ولكني رفضت وأقسمت أن أقلع عن التدخين منذ تلك اللحظة». ولكن ليس كل الضباط السوريين خُدّروا. فقد حث الأسد القيادة السياسيّة في اجتماع لها بعد ظهر ذلك اليوم قائلاً: «علينا أن نهاجم قبل أن تسبقنا إسرائيل وتفاجئنا بهجوم مشترك بالمدرعات والمشاة». وطرح الأتاسي احتمال ضرب إسرئيل من لبنان لتقليص خطر قيامها بهجوم مضاد على الأرض السورية. ولكن اللبنانيين قاوموا الفكرة، فصدرت الأوامر، بدلاً من ذلك، للبدء في تنفيذ عملية «نصر» في الساعة ٥.٤٥ من صباح اليوم التالي. واستعداداً للهجوم، كان لا بد من أن تفتح المدفعية السورية نيرانها على المستوطنات الإسرائيلية- التي استهدف منها بصفة خاصة مستوطنات روش بينا(Rosh Pina)، وعيليت هشاحر (Ayelet Hashaehar)، ومشمار هايردن(Mishmar Hayarden)-على طول الجبهة البالغ ثلاثين ميلاً. (٣٣)

بدأ القصف في الساعة ٢.٣٠ بعد الظهر، وأخذ يزداد شدة وكثافة طوال المساء. احتشد سكان المستوطنات بغضب مطالبين الحكومة بغزو مرتفعات الجولان وتحريرهم إلى الأبد من التهديد السوري. حذر ياريف من هجوم سوري يجري الاستعداد له في القطاع الأوسط من الجولان، مقابل كيبوتز غادوت (Gadot)، وقال إنه تم اعتراض الاتصالات الروسية في المنطقة. طلب رابين إذناً بالقيام بضربة استباقية، في المناطق المنزوعة السلاح، على الأقل، ولكن ذلك لم يقنع دايان. وعلل ذلك بأن لا حاجة لإسرائيل التي تخوض حربين أن تخوض حرباً ثالثة. ووافق، كارهاً، على أن تقوم مدفعية جيش الدفاع الإسرائيلي وطائراته بالرد على النيران السورية، وحذرهم من ضرب قرى مدنية. قرر دايان أنه لن تكون حرب في الشمال، طالما أن السوريين محجمين عن القيام بعمليات برية. (٣٤)

إن جهود دايان في تضييق حدود الصراع–صادقاً كان أم مخادعا، كما يعتقد ليور–لن تقلل من واقعة أن آلاف الرجال من العرب والإسرائيليين قد انخرطوا في القتال فعلاً. وعلى الرغم من أن مسار القتال، وخصوصاً القتال الجوي، كان في صالح إسرائيل، فليس هناك من سبيل للتكهن بالاتجاهات التي يمكن أن يتخذها مسار القتال في النهاية. كما أن الفوضى نفسها التي ميَّزت الأحداث السياسية في الشهور المنصرمة، ظلت سائدة في الحرب. كذلك ظلت البيئة فوَّارة–بيئة تشكلت ليس مما قامت به إسرائيل والدول العربية من أعمال فحسب، بل من سلوك الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي والأمم المتحدة أيضاً.

الدبلوماسية تتعثر:

بدأ الهاتف في غرفة نوم الرئيس يرن في الساعة ٤،٣٥ صباحاً. كان المتصل هو وولت روستو، ليخبر الرئيس بأن الحرب في الشرق الأوسط قد اندلعت.

قضى روستو الساعتين التاليتين في «غرفة المكتب» يصغي إلى التقارير الأولى عن النشاط العسكري. وما إن تأكد من هذه الأخبار حتى اتصل بالرئيس. فقال له جونسون: «شكراً»، ثم أجرى بهدوء عدة اتصالات بنفسه - مع راسك، وماكنمارا، وغولد بيرغ. وبعد تناول إفطار سريع، انضم الرئيس إلى روستو، وريتشارد هيلمز، وإيرل ويلر، في غرفة المكتب حيث سجل جهاز التقاط المخابرات «ياللجحيم، انفرط كل شيء».

كانت المشكلة مشكلة مخابرات أساساً. كان الأمريكيون يعلمون أن بضع مطارات في سيناء، قد عطلت وأن رحى الحرب البرية قد دارت. ادعت المصادر المصرية أن إسرائيل قد بدأت العدوان محاولة قصف القاهرة وإغلاق قناة السويس وأنها خسرت في هذه العملية ١٥٨ طائرة. ولكن المسؤولين الإسرائيليين -إيبان وإيفرون- قد أقسما أن مصر هي التي بدأت بإرسال موجات من الطائرات النفاثة باتجاه



الحدود، واختراق النقب بالدبابات. ومع ذلك استنتجت المخابرات الأمريكية أن «التقديرات المصرية مبالغ بها جداً «ويجب» تقليصها بنسبة عشرة أمثال»: وأن إسرائيل هي التي قامت بعمل استباقي وحققت تفوقاً سريعاً في الجو والبر.

لم تدخل هذه الأنباء سروراً كبيراً على الإدارة الأمريكية. وقال ماكنمارا متذكراً: «لم يحدث انفراج لدى ظهور الدلائل الأولى على نجاحات إسرائيل. إذ لم تكن لدينا أية فكرة عن كيف يمكن أن تسير الأمور، وعما إذا كان لا ينبغي أن نتدخل مباشرة بأنفسنا». وعلى الرغم من أن راسك قال ملطفاً الأمر: «لم يدفع بالإسرائيليين على الشواطئ». ظل يجيش غضباً منهم لنسفهم خطة ريغاتا وزيارة محيي الدين التي كان مازال يعتقد أنها ستتمخض عن نتائج ما. كما شعر جونسون بالحزن أيضاً لفشل جهوده الدبلوماسية، فكتب فيما بعد، يقول: «لم أخف أبداً أسفي لأن إسرائيل قررت أن تتحرك في الوقت الذي تحركت فيه» -ولا مخاوفي وقلقي بشأن مسار الحرب في المستقبل. (٣٥)

أشد تلك المخاوف تتعلق بالسوفيات ورغبتهم في التدخل. في الساعة ٧،٤٧، اتصل جنرال مناوب في غرفة الحرب «بماكنمارا وأخبره أن» الرئيس كوسيغن على الخط الساخن «ويطلب التحدث مع الرئيس». لقد رُكِّبَ الخط الساخن في البنتاغون بعد قضية الصواريخ الكوبية، ثم استخدم فيما بعد لإرسال التحيات أثناء العطل، ولكن ليس أثناء أزمات حقيقية أبداً. كان وزير الدفاع قد ألصق الخط الساخن في غرفة المكتب في البيت الأبيض.

سأل ماكنمارا: «ماذا نقول؟»

فأجاب جونسون: «ياإلهي!! ماذا نقول؟»

انتظر كوسيغن للتأكد من وجود جونسون بالفعل قبل أن يبعث برسالته: «من واجب جميع القوى العظمى أن تحقق على الفور وقفاً للصراع العسكري. لقد تصرفت الحكومة السوفياتية، وسوف تعمل في هذا الاتجاه. ونأمل أن تتصرف حكومة الولايات المتحدة بالأسلوب نفسه وتمارس نفوذها المناسب على...إسرائيل».

جاء الرد بعد نصف ساعة عندما عبَّر راسك لغروميكو(Gromyko) عن «هلعه» لدى سماعه أنباء القتال وأكد له أن واشنطن تعمل لمنعه.

«إننا نشعر بأهمية نجاح مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في إنهاء هذا القتال بأسرع ما يمكن، ونحن مستعدون للتعاون مع جميع الأعضاء... للوصول إلى هذه الغاية».

وأخيراً، كتب الرئيس نفسه برقية افتتحها بقوله: «عزيزي الرفيق كوسيغن» - جعلت هذه الافتتاحية بعض من هم في الكرملين يظنون أن هذه ليست سوى نكتة - أتفق تماماً مع مفهوم السوفيات لواجب القوى العظمى، وأكرر طلب راسك العمل بسرعة في مجلس الأمن. وقال واعداً كوسيغن: «اطمئنوا إننا سنمارس ضغطنا لإنهاء الأعمال العدوانية».

اتجهت الطبيعة «البناءة الودية» للرسائل المتبادلة هذه -والتي تبعها سبع عشرة رسالة أخرى- نحو تهدئة الأمريكيين وتخفيف قلقهم فيما يتعلق بما يفكر فيه السوفيات. ومع ذلك كان جونسون كارهاً لاستغلال الفرص. ولكي يتجنب إحداث انطباع بأن أمريكا متواطئة مع إسرائيل، أمر الأسطول السادس بما فيه حاملتي الطائرات «أمريكا» «وساراتوغا (Saratoga)» البقاء قرب كريت (Crete) وأن يستمر طاقم البحارة الموجودين على البر بقضاء إجازاتهم في مالطا. كما فرض حظراً على إرسال جميع الأسلحة الأمريكية إلى الشرق الأوسط بأكمله. وكان الاتصال الوحيد الذي جرى مع ليفي إشكول، اتصالاً غير مباشر، عن طريق هاري ماك فيرسون لدى وصوله إلى إسرائيل، وكانت الرسالة موجزة جداً. كتب جونسون يقول: «اللهم امنحنا القوة لحماية الحق». (٣٦)

كان جونسون يفكر بتبصُّر، حتى في أثناء بحثه لأمور استراتيجية مستعجلة، في احتمال تحقيق تسوية في الشرق الأوسط بعد الحرب. لم يكن يتصور أن الحرب يمكن أن تيسّر، لا أن تعطل، مثل هذه الانطلاقة نحو التسوية، جديداً على التفكير الأمريكي. فمنذ الخامس عشر من مايو (أيار) اقترح هارولد سوندرز (Harold

Saunders) أن يدرس البيت الأبيض، إذا ما نشبت حرب هل يكون تأخير رد أمريكا فترة تسمح بإنجاز النصر الإسرائيلي (مع الإفتراض بأن الإسرائيليين قادرون على ذلك) مفيداً... وهل هناك أية مكاسب من القيام بضربة دبلوماسية تسوي مسألة وحتى مسألة اللاجئين. وبعد أسبوعين جهز يوجين روستو حملة شرق أوسطية من مسؤولين عسكريين ومدنيين رفيعي المستوى ليقدموا «ألمع ما لديهم من أفكار» بشأن حل سلمي للصراع العربي - الإسرائيلي، مذكراً إياهم بقوله: «دعونا لا ننسى أبداً أن الأزمة يمكن أن تكون فرصة كذلك. فقد انحلت نماذج عديدة، وفتحت أبواب. فلتَجُبْ عقولكم تلك الآفاق».

والآن، وقد شارف اليوم الأول على الانتهاء، كتب وولت روستو إلى الرئيس موصياً: «علينا أن نبدأ ... التحدث مع الروس، وإن أمكن، مع آخرين بشأن شروط التسوية. إذ يمكن تحقيق ذلك بفضل مقايضة الأراضي التي اكتسبتها إسرائيل حديثاً بتنازلات عربية». إن وقف إطلاق النار لن يجيب عن الأسئلة الجوهرية الموجودة في أذهان الإسرائيليين حتى يكونوا قد اكتسبوا قدراً كبيراً من الأرض، وحطموا عدداً هائلاً من الطيران المصري بحيث يطمئنوا تماماً إلى موقفهم التساومي. وكخطوة أولى في هذا الاتجاه، أنذر السفراء الأوربيون في واشنطن بحقيقة أن الأحداث العسكرية في الأيام القليلة المقبلة سوف تقرر احتمال حل أوسع المشكلات. وطلب إلى الإسرائيليين أيضاً أن يطرحوا أفكارهم حول ترتيبات ما بعد الحرب. (٣٧)

مهاوي تلك الدبلوماسية، واضحة بمرارة، على أية حال، في الطور الافتتاحي للحرب.فخطة ريغاتا، قد ماتت عملياً، وهي حقيقية تأكدت ذلك الصباح برفض اليابان، ونيجيريا، وإثيوبيا، والبرتغال الاشتراك بهذه الخطة، حتى قبل أن يعلموا بنشوب القتال. وزيارة محيي الدين، التي لم تلغ رسمياً، قد أرجئت بالتأكيد. والسفراء العرب في واشنطن رفضوا التأكيدات الأمريكية بالحياد في هذا الصراع واتهموا الولايات المتحدة بتضليل مصر بخبث بفضل تشجيع إسرائيل على الهجوم. وأخذت الجماهير العربية الغاضبة تهاجم السفارات الأمريكية في جميع أنحاء



العالم العربي مبتدئين في بيروت. ولم يكن الوضع هادئاً محلياً. فعندما قال الناطق باسم وزارة الخارجية روبرت ماك كلوسكي: (Rober Mc Closkey) «موقفنا (تجاه الحرب) حيادي فكراً وقولاً وفعلاً». احتج اليهود الأمريكيون احتجاجاً عنيفاً. الأمر الذي اضطر راسك المرتبك إلى أن يوضح أن مفهوم (حيادي) العظيم في القانون الدولي لا يعني عدم المبالاة». وهكذا لم يعد أمام الإدارة، مُكرهةً، من خيار سوى الرد ردًا متعدد الأطراف، من خلال الأمم المتحدة، كما دل البيان الأول حول الصراع، وهذا نصه:

«لقد حزنّا حزنا عميقاً عندما علمنا أن قتالاً على نطاق واسع قد نشب في الشرق الأوسط، وهو احتمال سعينا لمنعه... ولسوف تكرس الولايات المتحدة كل طاقاتها لإنهاء القتال والبدء بإرسال السلام وتعزيز التنمية في المنطقة. وندعو جميع الأطراف لدعم الأمن للتوصل إلى وقف إطلاق نار فوري». (٣٨)

افترض جونسون أنه إذا ما ووجه مجلس الأمن بحرب فعليه فإنه سوف يعمل بسرعة وبفاعلية لإنهائها. أول كلمة عن الحرب وصلت إلى مقر الأمم المتحدة في الساعة ٢,٤٠ صباحاً من الجنرال ريكهاي. إذ أرسل تقريراً مفاده أن الطائرات الإسرائيلية قد قصفت مواقع مصرية في غزة وقصفت كذلك رتلاً من قوات الطوارئ الدولية التابعة للأمم المتحدة فقتلوا ثلاثة جنود هنود. كما أن بنش (Bunche) هتف إلى الأمين العام للأمم المتحدة في بيته وأيقظه من نومه بالكلمات التالية: «لقد نشبت الحرب!» بعد خمس دقائق، كان يوثانت في طريقه إلى مقر الأمم المتحدة، متخلياً عن تأملاته اليومية المعتادة. وفي الوقت نفسها تقريباً، هتف جدعون رفائيل إلى سفير الدنمارك هانس طابور (Hans Tabor)، رئيس مجلس الأمن في شهر يونيو ذاك، وأخبره أن إسرائيل كانت ترد على هجوم مصري «جبان وغادر».كان رفائيل قد تلقى تعليمات بأن يتلو بياناً بهذا المعنى أمام مجلس الأمن، ولكن هذه التعليمات تغيرت بحلول الساعة ٦,٣٠ إذ لدى تلقيه مغلفاً موسوماً بعبارة (عيناك فقط) علم بتدمير القوة الجوية المصرية. فأصبحت أوامره الآن في اتجاه تأخير تبني قرار بوقف إطلاق النار بأية وسيلة وأكثر ما يمكن من الوقت.



ومن المفارقات أن محمد القوني، سفير مصر، كان يسعى أيضاً لتأخير اتخاذ قرار بوقف إطلاق النار. فقد شكا، هو الآخر، من «عدوان استباقي غادر» على غزة، وسيناء والمطارات المصرية، وأعلن أن «مصر قد قررت الدفاع عن نفسها بكل الوسائل وفق ميثاق الأمم المتحدة.» ولكن القوني كان قد تحدث طويلاً مع القاهرة واعتقد أن هجوماً مضاداً ضخماً قد بدأ. فكان هو والسفراء العرب الآخرون- سفير سوريا، الفرا- مبتهجين وهم يصغون إلى التقارير الإذاعية عن الانتصارات العربية، وأخذوا يتلقون التهاني من الشيوعيين والوفود الصديقة الآخرين. وقال القوني متباهياً إلى فيديرينكو: (Federenko) «لقد خدعنا الإسرائيليين» مُصِراً على أن الطائرات المصرية التي دمرت ليست سوى نماذج خشبية «وسوف نرى من سيربح الحرب». (٣٩)

لدى انعقاد المجلس في الساعة ٩.٣٠ صباحاً بدعوة من الممثل البريطاني والممثل الروسي-تساءل الممثل الفرنسي، روجر سيدوكس (Roger Seydoux) «فيما إذا كان الاجتماع ضرورياً،» فانفض المجلس بسرعة. عارض المندوبون العرب فكرة وقف إطلاق النار، في حين أعلن جدعون رفائيل أن إسرائيل ستنظر إلى أية محاولة لإصدار أمر لقواتها بالعودة إلى الحدود نظرة استخفاف ولا مبالاة. أدان فيديرينكو «المغامرة الإسرائيلية... بتشجيع ظاهر وباطن من بعض الدوائر الامبريالية»، وهدد باستخدام الفيتو ضد أي قرار لا يدين إسرائيل بصراحة. انفض المجلس، بسبب هذا الركود، «لإجراء مشاورات مستعجلة» ولكن لم يكن ملتزماً بمتابعة المباحثات من المندوبين سوى غولد بيرغ. فمثلاً، عزل فيديرينكو نفسه داخل سفارته، لا يتصل بأحد، والعرب كانوا منتصرين، والإسرائيليون صامتون. فرأت واشنطن أن الظروف لم تكن مناسبة لإطلاق عملية السلام.

ومع ذلك، أصر غولد بيرغ على اعتبار الحرب فرصة طال انتظارها، دبلوماسياً وشخصياً. شق غولد بيرغ، الولد الأصغر من ثمانية أبناء خضري من شيكاغو توفي عندما كان في الثالثة من العمر، طريقه من فقر المدينة إلى أن أصبح محامياً

مشهوراً للعمال. عينه كينيدي سكرتيراً للعمال، تم رفض تعيينه عضواً في المحكمة العليا ليقبل عرض الرئيس بتعيينه سفير الولايات المتحدة إلى الأمم المتحدة - وهو قرار سرعان ما ندم على اتخاذه. لقد طغى عليه سلفه أدلاي ستيفنسون (Adlai Stevenson)، بسبب كونه طويل النفس متحفظاً، ورغم اتصاله اليومي بجونسون فإنه انقطع عن عملية اتخاذ القرار التي كان يأمل أن يكون له فيها أثر. وبسبب معارضة غولد بيرغ المتزايدة لحرب فيتنام اعتبر مستقيلاً.

كل ذلك تغير بنشوء أزمة الشرق الأوسط. بما أن غولد بيرغ صهيوني صريح، وكان يصطدم كثيراً مع وزارة الخارجية بسبب دعمه لإسرائيل، فقد استغل هذه الروابط الوثيقة مع تل أبيب والبيت الأبيض ليكون وسيطاً أساسياً. ففي ١٥ مايو عندما كان غولد بيرغ يكرم وفادة ضيوفه من زملائه سفراء الأمم المتحدة على ظهر سفينة (معدّيّة) سيركيل لاين (Circle Line) حول ما نهاتن، بعث إليه جونسون زورقاً من حرس السواحل ليذكّره بالأنباء القائلة -إن الجيش المصري قد دخل سيناء.

الآن، في الساعة ٤،٤٠ صباحاً في الخامس من يونيو، كان غولد بيرغ على الهاتف يتصل أولاً بغرفة المكتب ومن ثم ببنش (Bunche) ينسق لعقد الجلسة الطارئة لمحلس الأمن. كانت فكرته تأمين وقف إطلاق نار بسيط، مع بقاء القوات حيث هي. وفي منتصف النهار، سأل رفائيل عما تريد إسرائيل، فكان الجواب ببساطة: «الوقت». (٤٠)

أخذ الزمن يتضاءل، على أية حال، عندما أخذت الشائعات حول انتصارات إسرائيل تصل إلى نيويورك. وفي الساعة ٦،٣٠ مساء أصرت الهند على عقد مجلس الأمن لإعادة الوضع عما كان عليه قبل الحرب في الرابع من يونيو. لم يقبل غولد بيرغ مشروع القرار الذي أعدته الهند لأنه يضفي الشرعية، ضمناً، على الحصار وإخراج قوات الطوارئ الدولية. ونتيجة التنسيق الوثيق مع جونسون وولت



روستو، التأم لقاء بين غولد بيرغ وسفير بريطانيا اللورد كارادون (Lord Caradon) (واسمه سابقاً هيوفوت (Hugh Foot)، وكان آخر حاكم بريطاني لقبرص، وموظفاً في حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين) لوضع مشروع قرار بديل، يدعو المتحاربين إلى وقف إطلاق النار على الفور، وأن يتكفّلوا فصل القوات، ويحجموا عن استخدام القوة مهما كانت طبيعتها وتخفيف حدة التوتر في المنطقة. وصممت لغة مشروع القرار بحيث يجبر مصر على إعادة فتح تيران وسحب قواتها من سيناء.

قال غولد بيرغ، فيما بعد، «كان ينبغي أن نعمل بسرعة قبل أن يتجمد الوضع إذا ما أردنا اغتنام الفرصة لاستعادة السلام». ويبدو أن فيديرينكو قد أدرك هذه الحقيقة، عندما عرف الوضع في الميدان. ولكنه ظل يرفض الموافقة على قرار لا يشترط انسحاب القوات الإسرائيلية، ولا يعترف بحقوق مصر في تيران.

فاقترح التأجيل لمزيد من التباحث حتى اليوم التالي، ونصح غولد بيرغ أن يتشاور مع القوني في هذه الفترة. ذكر السفير الإسرائيلي القوني الذي كانت علاقته به حميمية بقوله: «إن العرب يقبلون دائماً صيغة الأمس، بعد فوات الآوان». ولكن العلاقة الحميمة لا مكان لها هنا، فرفض القوني النظر في مشروع القرار الأمريكي. (٤١)

بدت الجهود الأمريكية لتحويل الحرب العربية-الإسرائيلية الثالثة إلى سلام دائم - لتغيير السياق والبيئة - منحوسة الطالع. فلا العرب ولا الإسرائيليون كانوا مهتمين بوقف القتال، وكان اهتمامهم بالتوصل إلى تسوية أقل من ذلك. والإسرائيليون، من جهتهم، كانوا مصممين على منع وقف إطلاق النار لمدة ٤٨ ساعة على الأقل، وعلى ربط وقف القتال مع إعلان العرب إنهاء حالة الحرب. ومن ضمن تكتيكات رفائيل لتأخير اتخاذ قرار بوقف القتال أعلن أن أبا إيبان قادم إلى نيويورك وأنه سيتحدث في مجلس الأمن في اليوم التالي. وكان وزير الخارجية الإسرائيلي يأمل ألا يتخذ قرار قبل وصوله وشرح قضية إسرائيل. كتب إلى سفير الأمم المتحدة يقول: «لدى ذهابنا إلى المعركة لم نكن قد حددنا أهدافنا، ولكننا كنا نعرف ما هي أهدافنا ضمن شروط العيش الآمن والمستقر، واقتربنا أكثر من السلام». (٤٢)

«رماية الديوك الرومية» في اليوم الأول:

لم يكن تصور السلام بحد ذاته في نظر الجنود العرب والإسرائيليين على حد سواء أبعد منه منالاً مثلما كان في ذلك اليوم. إذ كانت الجيوش المتقابلة، بحلول مساء ذلك اليوم، قد غرقت في معركة ستحسم في وقت قريب مسار الحرب-بل مصير الشرق الأوسط برمته، في واقع الأمر.

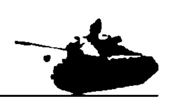
ففي سيناء، في الساعة العاشرة ليلاً كانت ست كتائب مدفعية عيار ١٠٥ مم، ١٥٥مم تطلق أكبر ستار ناري في تاريخ العسكرية الإسرائيلية بمعدل ٦٠٠٠(ستة آلاف) قذيفة في عشرين دقيقة على أم قطيف. وأعلن شارون قائلاً: «ليهتز كل شيء». وفي حين تابعت المدرعات الإسرائيلية قصف الدفاعات المصرية في أقصى الشمال، تدفق مشاة جيش الدفاع الإسرائيلي في ثلاثة خطوط من الخنادق في الشرق، وقام المظليون بتحييد المدفعية المصرية في الغرب. كان ذلك تطبيقاً لما أسماه شارون «كشف متواصل للمفاجآت» - ضرب العدو من اتجاهات عديدة غير متوقعة بآن واحد في الليل. ووافق ضابط مصري وقع في الأسر على وصف هذه الهجمات بأنها «كمن يشاهد أفعى من النار تفك نفسها».

لقد دُمِّر المصريون. كانوا يسمعون طيلة النهار تقارير إخبارية مبهجة عن انتصارات العرب. قال حسن بهجت أحد الضباط الكبار في جهاز المخابرات، المتمركز خلف أم قطيف : «كنا نسمع عن الحرب من المذياع. كان العالم كله يظن أن قواتنا أصبحت على مشارف تل أبيب». جاء في الأمر العسكري «٤» الصادر عن مقر قيادة عامر في الساعة ١١.٤٥ قبل الظهر «أن صداماً برياً قد وقع مع العدو الذي يحاول، أن يخترق خطوط دفاعاتنا الأمامية على الحدود في سيناء. ولكن الهجوم فشل». وتبع ذلك أمران عسكريان هما ١٢، و١٣ في الساعة ٤.٣٠ والساعة ٦.٠٠ ادعيا أن القوات الإسرائيلية التي تهاجم كونتيلا وأم قطيف إما أنها قد دحرت أو دُمِّرت. أما الجنرال مرتجى الذي لم يتوقع أبداً هجوماً إسرائيلياً مباشراً على أم

قطيف فقد أمر قواته الموجودة في جبل لبني وبير لهفان بشن هجوم مضاد. لم ينجح أي منهما، إذ حصرا على الطرق بسبب إغلاق الإسرائيليين لها بعوائق وتعرضوا لقصف جوي عنيف لا رحمة فيه. وعندما يئس القادة المصريون في أم قطيف من وصول أية تعزيزات أمروا مدفعيتهم بقصف مواقعهم هم أنفسهم. (٤٣)

ومع ذلك، لم تسر أمور الإسرائيليين سَلسةٍ. إذ ضَلَّت نصف طائرات الهيلوكوبتر التي تنقل مظليين داني مات (Danni Matt) طريقها ولم تهتد أبداً إلى ميدان المعركة، والطائرات الأخرى لم تتمكن من الهبوط بسبب نيران الهاونات. كما توقف لواء مدرع كامل بقيادة الكولونيل موردخاي زيبوري (Mordechai Zippori) الذي كان يهاجم الجبهة، بسبب حاجته لدبابة كاسحة للألغام واحدة: في حين أن الكولونيل نير (Nir) الذي اخترق دفاعات المؤخرة عند سد روافا (Ruwafa) قد أصيب بقذيفة دبابة وأصيب إصابة حادة في ساقيه. ومع ذلك، تم الحفاظ على الخطة إجمالاً، وكانت ناجحة ببعض الاعتبارات إذ استطاع الإسرائيليون بخسارة ٤٠ قتيلاً و١٤٠ جريحاً اختراق الدفاعات المصرية واتخاذ مواقع الهجوم على أم قطيف.

واجه جميع من في الخط الأمامي المصري في سيناء مصيراً مماثلاً، بالفعل في أقصى الجنوب حيث تمركز اللواء الإسرائيلي المدرع الثامن بقيادة الكولونيل أفراهام (ألبرت) مندلر (Avraham Albert Mendler) مبدئياً كخدعة لصرف أنظار القوات المصرية عن طرق الغزو الحقيقي، قام بضرب المعاقل المحصنة في كونتيلاً والاستيلاء عليها. وفي عملية خلدها فيما بعد التاريخ المصري، قامت بها قوات استطلاع أبدت فيها هذه القوات قتالاً باسلاً. قال أحد ضباط الاستطلاع، اسمه يحيى سعد باشا، واصفاً تلك العملية: «واجهوهم بلا خوف وضربوا عدداً من الدبابات الإسرائيلية. لم يبق من الدبابات المصرية سوى ثلاث، أصيبت إحداها بأضرار وقتل معظم الضباط والجنود. كنت أشاهد الكتيبة وهي تتفكك... رأيت جثث الجنود بعد أن هرستها الدبابات الإسرائيلية... ورأيت الجرحى ملقون على الأرض، وكنت عاجزاً تماماً عن مساعدتهم». وبحلول الليل، كان رجال مندلر قد حققوا موقعاً إستراتيجياً قيماً، استطاعوا بفضله أن يمنعوا قوة الشاذلي من مساعدة أم قطيف، وأن ينضموا في معركة شارون الكبرى القادمة في نخل (Nakhl).



وفي الشمال عززت فرقة تل (Tal) استيلاءها على رفح وخان يونس ووصلت مشارف العريش. استوجب تطهير المدينة قتالاً صعباً، حسبما ذكرت سجلات جيش الدفاع الإسرائيلي». إذ كان المصريون يطلقون النار من على أسطح المنازل والشرفات والنوافذ. وكانوا يلقون قنابل يدوية على أنصاف مجنزراتنا، وسدوا الشوارع بالسيارات الشاحنة. وكان رجالنا يعيدون إلقاء القنابل اليدوية، وسحقوا السيارات الشاحنة بدباباتهم».

مرت الفرقة الثالثة من فرق الجيش الإسرائيلي الجنوبي - بقيادة الجنرال يوفي (Yoffe) حوالي منتصف الليل، مع الأضواء المتوهجة، من بين قوات تل وقوات شارون، في طريقها إلى بير لهفان وجبل لبني. وتقدمت الدبابات الطليعية من طراز سنتوريون بقيادة الكولونيل إلحنان سيلا (Elhanan Sela) بمحاذاة أبو عجيلة شمالاً متخللة ميدان شارون، وقد تبادلت نيران صديقة مع بعض دباباته، ثم انعطفت نحو الجنوب الغربي. واندفع اللواء ٢٠٠ بقيادة الكولونيل يساحار «يسكا» شادمي (Yissa char Shadmi Yiska) مسافة أبعد شمالاً في بوادي وادي هاريدين (Wadi Hari-din) الرملية. ومع أن المصريين يعتقدون أن هذا الوادي لا يمكن اجتيازه، فقد درسه جيش الدفاع الإسرائيلي في العام ١٩٥٦ ووجدوا أنه ملائم للدبابات. ورغم تعرض قوات سيلا شادمي لقصف مدفعي، وانفجارات ألغام أرضية، فقد أفلحت قواته في قطع جميع مفارق الطرق الرئيسية -إلى جبل لبني، وأبو عجيلة، والعريش- وبإيقاف لواءين مصريين مدرعين كانا يحاولان تطويق شارون.

كان حظ الإسرائيليين من النجاح في التقدم، أقل، في معركة حاولوا تفاديها في غزة. كان دايان قد منع صراحة دخول القطاع الذي يبلغ طوله ٢٥ ميلاً معللاً ذلك بأنه لا حاجة لإسرائيل أن تثقل نفسها بـ ٢٥٠٫٠٠٠ لاجئ فلسطيني وتورط نفسها بقتال شوراع داخل المدن. ومع ذلك، بعد أن تَمَّ إصدار أمر «الملاءة الحمراء» بوقت قصير فتحت المواقع الفلسطينية في غزة النار على مستوطنتي نيريم (Nirim) وكيسوفيم (Kisufim) المجاورتين. فتجاوز رابين أوامر دايان وأصدر تعليماته إلى

لواء مؤلل معزز هو اللواء الحادي عشر بقيادة الكولونيل يهودا ريشيف (Yehuda Reshef) بدخول القطاع. وسرعان ما واجهت هذه القوة نيران مدفعية مدمّرة، ومقاومة باسلة من الجنود الفلسطينيين وبقايا الفرقة السابعة من رفح. ولاحظ رفائيل إيتان قائد المظليين «أن الجندي المصري، بطبيعته، أفضل في الدفاع الثابت منه في الدفاع المتحرك. أما الجنود الفلسطينيون، فعلى العكس كانوا أكثر رغبة بتقديم تضحيات».

قتل سبعون إسرائيلياً في بعض أعنف معارك الحرب قتالاً. كما قتل بن ويزيرمان (Ben Oyserman) من محطة CBC، وبول شوتزر (Paul Schutzer) من مجلة لايف (Life) الذي ظهرت صوره الأخيرة في طبعة خاصة عن الحرب، واثنا عشر جندياً آخرين من قوات الطوارئ الدولية. ومع غروب الشمس كان جيش الدفاع الإسرائيلي قد استولى على هضبة علي منطار (Ali Muntar) الحيوية المطلة على مدينة غزة، ولكنه هزم وصدّ من المدينة نفسها. (٤٤)

واستمرت المعارك غير المتوقعة تزداد شراسة على طول الجبهة الشرقية حيث لم تكن المقاومة التي واجهها الإسرائيليون أقل عنفاً ولم تكن الخسائر التي لحقت بالإسرائيليين أقل فداحة. فحول جنين، صدت الكتيبة ١٢من الفيلق العربي محاولات متكررة قام رتل بار كوخفا (Bar Kokhva) -وهي قوة كبيرة- لاختراق أحراش برقين القريبة من مفترق طرق قباطيا. أصدر نائب قائد الكتيبة الميجر محمد سعيد عجلوني أوامر بالتمسك بالأحراش حتى «آخر رجل وآخر قذيفة «وادعى أنه دمر ١٨ دبابة إسرائيلية. وكتب قائد عجلوني، الميجر صلاح علايان (Salah Alayyan) واصفاً المعركة: «كان الإسرائيليون المضطربون المذعورون يركضون حول مركباتهم المشتعلة كالنمل المذعور.» ولكن غارات سلاح الجو الإسرائيلي بدأت تحدث آثارها المدمرة على الأردنيين. كما أن دباباتهم الباتون M-48 المجهزة بخزانات وقود خارجية ثبت أنها عرضة للتدمير عن قرب حتى من قبل الدبابات الإسرائيلية شيرمان الأقدم منها. دمرت ١٢ دبابة من لواء عجلوني ولم

يبق سوى دبابات صالحة للعمل. وبعد الغسق بقليل شاهد عجلوني أنواراً تقترب من الجنوب فظنها تعزيزات له آتية من اللواء المدرع ٤٠ والواقع أنها كانت الدبابات الإسرائيلية التي فتحت نيرانها عندما أصبح العدو ضمن مدى مدافعها.

اعترف تاريخ إسرائيلي رسمي للمعركة أن «الأردنيين قاتلوا بشجاعة وفاعلية. وكان لا بد من تدمير دباباتهم وأسلحتهم المضادة للدرع قبل أن تتمكن فرقة أوغدا Ugdah بقيادة بيلد (Peled) من التقدم إلى أرض أكثر ارتفاعاً وإلى مواقع مشاة العدو». وصف إفرايم رينر(Ephraim Reiner)، قائد اللواء الإسرائيلي المدرع ٣٧، كيف أن قواته لم تستطع التقدم قبل أن يأتيه الدعم من نيران المدفعية والضربات الجوية ضد العدو». جاءت طائرة ودارت على محورها في الجو ثم انقضت مباشرة على دبابة القائد الأردني فجرحته وقتلت مشغل اللاسلكي وضابط المخابرات. عندها فقط أخبرت الفرقة بأني أهاجم.. هجوماً ليلياً كلاسيكياً، جميلاً جداً». ولدى إصابة عجلوني بجرح، أصدر أوامر لما تبقى من الدبابات بالتراجع إلى جنين حيث وجدوا أنفسهم مع بقايا لواء المشاة ٢٥ بقيادة خالدي محاصرين تماماً. (٤٥)

انعكس الاختراق الذي حققه جيش الدفاع الإسرائيلي في شمال الضفة الغربية في منطقة القدس. حيث كان اللواء العاشر بقيادة بن أري (Ben Ari) يقترب من بيدو (Bidu) ومفرق بيت إكسا -بيت حانينا الحاسم. كما شكل من وحدات مشاة مختلفة متعددة لواء آخر هو اللواء الرابع بقيادة موشي يوتفات (Moshe Yotvat) وأرسل ليفتح ممر اللطرون. إن موقع قلعة الشرطة الأردنية عند المدخل الغربي للممر- باب الواد، بالعربية، وشعرهاغاي (Shaar' Hagai) بالعبرية -الذي صمد لعدة هجمات إسرائيلية متوالية في العام ١٩٤٨، لم يبد مقاومة تذكر الآن وسقط في مطلع مساء الخامس من يونيو. وكذلك قرى يالو (Yalu) وعمواس (Imwas) وبيت نوبا(Beit Nuba) المجاورة.

كانت هذه القرى تؤوي فدائيين مصريين من كتيبتي الصاعقة ٣٣، و٥٣ المهيأتين للهجوم على المطارات الإسرائيلية. تحركت الدوريات بقيادة أدلاء من المخابرات الأردنية باتجاه الرملة وحزور (Hatzor) في الساعة السابعة مساء. كما أكد الضابط الفدائي علي عبد المنعم مرسي، «بدأنا نتسلل عبر المستوطنات الإسرائيلية..لم يكن لدينا فكرة عن مهمتنا سوى صورة للقاعدة التقطت بآلة تصوير بحجم الكف». وسرعان ما اكتشف رجال مرسي، فلجؤوا إلى الحقول المجاورة التي أشعل الإسرائيليون النار فيها بعدئذ. ولم ينج من القوة الأصلية المؤلفة من ٦٠٠ فدائي سوى ١٥٠ هربوا إلى الأردن.

قال لنائب رئيس هيئة الأركان حاييم بارليف (Haim Barlev) مبتهجاً إلى الحكومة في ذلك المساء: «ستدخل دبابات لواء هاريل المدينة في غضون ساعتين».

كانت المواجهة في قلب المدينة قد بلغت أوجها. ففي الساعة ٧.٤٥ بدأت المدفعية والهاونات تمطر المواقع الأردنية بوابل مندلبوم (Madlebaun Gate). وأضاءت المنطقة قذائف ضوئية، وأضواء كاشفة. انفرج المشاة الإسرائيليون المتمركزون على طول ذلك الخط لأول مرَّة من قذائف الأردنيين ونيران أسلحتهم الصغيرة التي لم تنقطع طوال اليوم. وفيما يتعلق بمظليي موتاغور كانت الاجراءات المضادة التي ينبغي اتخاذها هي مجرد الإعداد للاندفاع عبر حي الشيخ جراح العربي المجاور والاتصال بجبل المكبر. وكانت المقاومة التي واجهها هذا الهجوم مؤلفة من شبكة من العقبات - تحصينات وأسلاك شائكة وألغام.

حاول رابين إقناع غور بتأجيل الهجوم حتى الفجر حيث يمكن تقديم غطاء جوي؛ لكن العرض رُفض على الفور. وعلل غور رفضه بأن الطيران لا يجدي في قتال الشوارع، في حين أن المظليين يفضلون القتال في الظلام. كما أنه إذا ما اشتد القتال في سيناء، أو نشب مع سوريا، فإن الجيش ربما يؤجل عملية القدس إلى أجل غير مسمى. كان غور يأمل أن يتحرك في منتصف الليل، بيد أن صعوبات لوجستية (تعبوية) أرجأت ساعة الذروة حتى ٢.١٥ صباحاً، قبل تسعين دقيقة من الفجر.



خريطة: الحرب البرية في سيناء

THE GROUND WAR IN SINAI

		Israeli Advance:
Egyptian Forces	○	June 5, 1967
Egyptian Advance		June 6, 1967
Israeli Forces	□	June 7, 1967
		June 8-9, 1967

N W E S

MEDITERRANEAN SEA

PORT SAID
SUEZ CANAL
ROMANI
QANTARA
FIRDAN BRIDGE
ISMA'ILIYA
ABU SUWEIR
GREAT BITTER LAKE
FA'ID
KIBRIT
SUEZ CANAL
SUEZ
GIDDI PASS
MITLA PASS
BIR GAFGAFA
BIR HAMMA
JABAL LIBNI
BIR AL-THAMADA
BIR HASANA
NAKHL
AL-THAMAD
AL-'ARISH
BIR LAHFAN
WADI HARIDIN
RAFAH
KHAN YUNIS
GAZA
'ALI MUNTAR
EREZ CHECKPOINT
NAHAL OZ
BE'ERI
KISUFIM
NIRIM
SHEIKH ZUWEID
JIRADI PASS
AL-'AWJA
ABU 'AGEILA
RUWAFA DAM
UMM QATEF
UMM TARFA
AL-SABHA
AL-QUSAYMA
KUNTILLA
NITZANA
NEGEV
ISRAEL
LAHAV
BEERSHEVA
HATZERIM
DIMONA
DEAD SEA
JORDAN
EILAT
AQABA
SINAI
RAS AL-SUDR
GULF OF SUEZ
RED SEA/GULF OF AQABA
SAUDI ARABIA
EGYPT
AL-TUR
SHARM AL-SHEIKH
STRAITS OF TIRAN
TIRAN
Div.
Arm. Div.
Arm. Brig.
Brig.
Inf. Brig.
Phantom Brig.
Mech. Brig.

خريطة: معركة الضفة الغربية

THE BATTLE FOR THE WEST BANK

Israeli Forces
Jordanian Forces
Jordanian Advance
Israeli Advance:
June 5, 1967
June 6, 1967
June 7, 1967

NAHALAL
RAMAT DAVID
AFULA
JEZREEL VALLEY
MEGIDDO
JENIN
BEIT SHEAN
BURQIN
YA'BAD
'ARABE
KABATIYA
TULKARM
NETANYA
TUBAS
SEBASTIA
NABLUS
KFAR SABA
QALQILYA
MEDITERRANEAN SEA
KFAR SIRKIN
TEL AVIV
LOD
RAMLA
RAMALLAH
JERICHO
LATRUN
SHA'AR HAGAI
JERUSALEM
BETHLEHEM
ETZION BLOC
KIRYAT GAT
LACHISH
HEBRON
DEAD SEA
YATA
SAMU'
RUJM AL-MADF'

NABI SAMWIL
BEIT HANINA
SHEIKH 'ABD AL-'AZIZ
TEL AL-FUL
SHU'AFAT
MEVASSERET
JERUSALEM
OLD CITY
AL-AZARIYA
ABU DIS
SUR BAHER
MAR ELIAS MONASTERY
RAMAT RACHEL
BETHLEHEM

ظل الكولونيل واثقاً، كما كتب فيما بعد، من «أننا نعرف أن الفيلق العربي سيدافع عن القدس من مواقع ثابتة.. وأنهم لم يبنوا أبداً خط دفاع ثان. فإذا ما اخترقنا (الخط الأول) سيكون تقدمنا سهلاً». (٤٦)

كانت الألوية الأردنية في منطقة القدس - لواء الملك طلال، ولواء حطين، ولواء الإمام علي- ثابتة في واقع الأمر ليس بينها تنسيق أو اتصالات إلا قليلاً. ومع ذلك، عندما اشتدت الهجمات الإسرائيلية بعد الظهر، عهد إلى قائد لواء الملك طلال، الجنرال عطا علي هزاع بحكم المدينة. كان علي هذا البالغ من العمر٤٤ عاماً، لطيف الأخلاق، رشيقاً، وجندياً منذ الخامسة عشرة من عمره، حائزاً على ميداليات الشجاعة في القتال قرب بوابة مندلبوم في العام ١٩٤٨. وبوصفه خريج كلية كمبرلي (Camberley) في إنجلترا، لم يكن ضابطاً تافهاً، جاهلاً: بل كان وطنياً جداً يكره المتطرفين العرب. وقال ذات يوم: «لم أكن أخشى، قبل العام١٩٦٧، أن تبدأ إسرائيل الحرب، ولكن منذ العام ١٩٥٦، كنت أخشى أن يبدأ عبد الناصر الحرب». وفي حين أنه استنكر تورط الأردن في (حرب ناصر)، إلا أنه صمم أن يبقى في القدس حتى وقف إطلاق النار على الأقل.

أمر عطا علي قواته أن ترص صفوفها في خط يمتد من أبو طور (Abutor) في الجنوب حتى المدينة القديمة، والشيخ جراح وتل الفول، شمالاً حاصراً جبل المكبر بين ضلعيه. كان تحت تصرفه ٥٠٠٠ جندي من الفيلق العربي، و١٠٠٠ مقاوم فلسطيني، مسلحين بالهاونات، والرشاشات والهاوتزرات. ولكن لم تكن لديه دبابات، وبما أنه كان يعتقد أن العدو يفوقه عدداً، فقد أرسل، رغم تعطل جهاز الإرسال لديه، برسالة إلى الميجر جنرال محمد أحمد سالم، قائد الجبهة الغربية، يحثه فيها أن يرسل دبابات وجنوداً، على الفور.

استجاب سالم وبعث كتيبة باتون من اللواء المدرع الستين. كان اللواء الستين، كاللواء الأربعين، من الأولوية النخبة في الفيلق العربي يقوده ابن عم الملك حسين، الشريف زيد بن شاكر خريج كلية أركان جيش الولايات المتحدة. كانت أوامره



الأصلية هي صد القوات الإسرائيلية عن ممر اللطرون، ولكن بسبب ازدياد الوضع سوءاً في القدس نفسها وَجَّه اللواء الآن إلى التقدم نحو الضواحي العربية للمدينة، ومهاجمة جبل المكبر من هناك. تقدمت الدبابات ببطء تحت جنح الظلام وصعدت طريقاً طوله عشرين ميلاً إلى ارتفاع ٢٧٠٠ قدم عن أريحا. وفي موازاتهم جاء رجال المشاة من لواء الإمام علي، يشقون طريقهم بصعوبة صاعدين ممراً جبلياً من وادي قِلط (Wadi Qelt) إلى العيسوية (Isawiya). وقبل أن يصلوا إلى غايتهم، اكتشفتهم الطائرات الإسرائيلية جميعاً، وقصفتهم بالصواريخ، إضافة إلى القصف المدفعي، فأبيد عشرهم.

في الساعة التاسعة من تلك الليله، بعد أن أنجز الإسرائيليون استيلاءهم على القدس الجنوبية، وكانوا يستعدون لمهاجمة الخط الشمالي، رأى عطا علي أن السماء قد أضاءت فوق جبل الزيتون. أدرك بغريزته ما حدث. رُفضت مناشدات أخرى لإرسال قوات من رام الله والخليل، المدينتين اللتين عززتا لمواجهة أي هجوم. ولن تتلقى القدس أية تعزيزات. (٤٧)

كان القادة الإسرائيليون يراقبون عن كثب تعاظم المأزق الأردني سوءاً. فلم تعد المسألة بالنسبة لهم ما إذا كان جيش الدفاع الإسرائيلي سيحتل القدس الشرقية، بل هل احتلالها حكيم سياسياً. كان عدد من أعضاء الحكومة، من أبرزهم ميناحم بيغن وإيغال ألون يرون أن من الحكمة السياسية احتلال القدس الشرقية، وتابعوا ضغطهم طوال النهار على إشكول كي يوافق على مهاجمة القدس. ضرب إشكول بكفه على جبينه وقال «تلك هي فكرة». كان رئيس الوزراء يوماً ممزقاً بين الثقة المطلقة بمقدرة إسرائيل القتالية، وخوفه على سلامة إسرائيل في المستقبل. والآن، يواجه الإسرائيليون، بالإضافة إلى التدخل السوفياتي، خطر لوم العالم المسيحي، بل حتى خطر مقاطعته لإسرائيل، إن هي استولت على المدينة القديمة وأماكنها المقدسة.

لم يكن إشكول وحيداً، إذ كان يشاركه وزراء آخرون من أبرزهم وزراء الحزب الديني القومي، مخاوفه من ردة فعل عالمية. وكانت هناك ضغوط موازية تمارس، ابتداءً من الأردن. إذ على الرغم من الطلبات الإسرائيلية التي أرسلت إلى الأردن عبر قنوات دبلوماسية لوقف إطلاق النار، فقد استمر قصف مشارف تل أبيب وقلب مدينة القدس. وصل دايان إلى الكنيست ليقسم يمين تسلمه منصب وزير الدفاع، فوجد المبنى مهجوراً وعاد إلى تل أبيب. ولم يتمكن عدد من الوزراء من الوصول حتى المساء بناء على طلب بيغن ليجتمعوا في ملجأ تحت الأرض.

غاية بيغن من الاجتماع هي بحث مسألة المدينة القديمة - هل ستدخلها القوات الإسرائيلية وما هي سياسة إسرائيل إن فعلت. وبالإضافة إلى الضرورة العسكرية لإجبار الحسين على وقف القصف، وللدفاع عن جبل المكبر، كانت تسيطر على الوزراء الرؤية الألفية للعاصمة اليهودية الموحدة. كتب الكولونيل ليور متذكراً نشوته: «ربما كان ذلك الاجتماع أهم اجتماع وزاري شهدته القدس. وبوصفي ابن لأسرة مرموقة أبيدت في معسكرات الاعتقال، وبوصفي سليلاً للشعب اليهودي، ومواطنا لدولة إسرائيل، لم أستطع كبح جماح مشاعري المحلّقة». (٤٨)

جاشت المشاعر، عندما أخذ الوزراء يتكلمون فوق أصوات القذائف الرخيصة معبرين عن آرائهم. فبدأ بيغن القول: «هذه ساعة امتحاننا السياسي. يجب أن نحتل المدينة القديمة رداً على عدم استجابة الحسين لإنذاراتنا، ورداً على القصف الأردني». وعقّب ألون مؤيداً: «كلنا نريد رؤية المدينة القديمة جزءاً لا يتجزأ من إسرائيل - أو أن يصل الإسرائيليون إلى الأماكن المقدسة، على الأقل».

أما إشكول فقد نصح بالحذر: «علينا أن نزن التشعبات الدبلوماسية التي تنجم عن احتلال المدينة القديمة. حتى لو استولينا على الضفة الغربية والمدينة القديمة، فلسوف نجبر على التخلي عنهما في النهاية. فأيد وزير الحزب الديني القومي، حاييم موشي شابيرا معلناً: أفترض أنه سيمارس ضغطٌ لتدويل المدينة، وأنا، من

جهتي، لن أعارض الفكرة». كان الجدال حول الخطوط الأيديولوجية يخف حدة أكثر من الجدال حول الخطوط الغريزية، مع تأييد زالمان أران من حزب الماباي لشابيرا وموردخاي بنتوف من حزب مابام اليساري، المؤيد لبيغن. وأبدى أبا إيبان قلقاً بشأن احتمال إحداث أضرار بالأماكن الدينية.

وأخيراً اتفق الوزراء على ألا يتفقوا، وقبلوا صيغة توفيقية اقترحها إشكول، هي: «بالنظر إلى الوضع الذي نشأ في القدس بسبب القصف الأردني، وبعد التحذيرات التي أرسلت إلى الحسين، فربما تكون قد حانت فرصة لاحتلال المدينة القديمة». أما المهمة الفورية فهي إسكات المدفعية الأردنية، على أية حال.

وكان دايان يصارع هذه المسألة، في أعماق غرفة العمليات مع جنرالاته - رابين، ووايزمن، وبارليف. قال لهم: «أعرف ما تريدون. تريدون احتلال جنين». فلم يعترض أحد، ولم يتردد دايان. وهكذا، باختصار، كانت الخطوة الأولى هي تخويل إسرائيل لدخول الضفة الغربية. أما فيما يتعلق بالقدس فقد أمر دايان إرسال رسالة أخرى إلى الحسين، يهدد فيها بقصف عمان إذا ما أصرت قواته على الاستمرار بقصف إسرائيل. وفي هذه الأثناء، يمكن لجيش الدفاع الإسرائيلي أن يدفع بهجماته إلى شمال المدينة القديمة وجنوبها، وأن يحاصرها. وعندما أخبره إشكول بالبحث الجاري في مجلس الوزراء، أجابه قائلاً: «غداً ستكون المدينة القديمة بأيدينا، ولكن وزير الدفاع كان مصمماً على تأخير ذلك العمل أكثر حتى يتم احتلال سيناء. (٤٩)

ظلت هناك صلة جوهرية بين الجبهتين المصرية والأردنية. فقد كان القصف الأردني رداً على هجوم إسرائيل على مصر التي مكنها نجاحها المبكر في رد الضربة إلى الأردن. وهناك أيضاً صلة أخرى تكمن في واقعة أن ناصر والحسين كلاهما لم يكونا يعلمان بالحالة المزرية التي آلت إليها جيوشهما. فضباط ناصر كانوا يخشون تنويره بالأمر، في حين أن الحسين يفتقر إلى الاتصال بالميدان لم يكن لديه أية أدلة. ولم يكن أي منهما يصدق أن سلاح الجو المصري الذي يعد عماد الجهد العربي

الحربي قد أبيد في ساعات فقط، أو أن الدبابات الإسرائيلية كانت تتقدم على الجبهتين في حين ظل السوريون جامدين. واستمرت وسائل الدعاية المصرية - الإذاعة والصحافة- تتفاخر بانتصارات استثنائية، في حين أن القوات الإسرائيلية، حسب البلاغات الأردنية، قد دحرت وصدت عن جنين والقدس، وأن ٣١ طائرة قد أسقطت (٥٠). لم يستطع هذا الجهل الصمود أمام الأدلة على الكارثة التي حلت بالعرب، والتي أخذت تتعاظم وتتكاثر مع اقتراب نهاية اليوم.

بدأت الحقيقة تظهر لعبد الناصر في الساعة الرابعة بعد الظهر، إذ دخل مقر القيادة العليا لأول مرَّة ذلك اليوم فواجه هرجاً ومرجاً، كأنه مشفى مجانين.

كان عامر إما مخموراً أو متعاطياً مخدرات وتحول من حال الاضطراب الشديد إلى حالة الاكتئاب الشديد. كان يصرخ على الهاتف آمراً مرتجى أولاً أن يحرك قواته الموجودة في العريش إلى أم قطيف، ثم غير رأيه وأمره بالتراجع إلى جبل لبني وخط الدفاع الثاني. وتحدث مع صدقي محمود وأعلن أن الطائرات الأمريكية، وليست الإسرائيلية، هي التي نفذت الهجوم ضد مصر، وأن أحد طياريه -حسني مبارك- قد رأى نفاثات أمريكية. ورفض عامر استقبال مكالمات أخرى، سواء من السفارة السوفياتية أو من وزارة الخارجية الذين كانوا يتوقون إلى الحصول على معلومات. ولم يستطيعوا الاتصال بشمس بدران، إذ كان قد أحضر سريراً إلى مكتبه وعزل نفسه فيه.

وقال عبد اللطيف البغدادي الذي تطوع مع زميله كامل حسن ، وحسن إبراهيم من الضباط الأحرار السابقين لتقديم خدماتهم في مقر القيادة، ساخراً: «تصوروا أن هذا هو المسؤول الأعلى عن أمننا. وأن هذا هو ند دايان.»

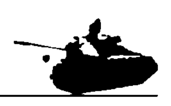
حاول ناصر التحدث مع مشيره، لكنه وجده لا يواسى، وغير متماسك عملياً. وظل موضوع حديثهما الحقيقي مجهولاً، بيد أن نتيجته كانت واضحة لا جدال فيها. صدرت أوامر إلى الجنرال صلاح محسن قائد اللواء الرابع عشر الموجود في



العريش ليشن هجوماً مضاداً عند الفجر، حتى ولو دون غطاء جوي. كما اتخذ قرار بإعلام الجزائر بتدمير الطيران المصري والطلب إليها إرسال أعداد كبيرة من طائراتها الميغ. وأخيراً، وفي قمة التشاؤم، اتفق ناصر وعامر على التمسك بحكاية التورط الأنكلو-أمريكي المباشر في الحرب، وذلك لتخفيف وطأة الإهانة التي لحقت بمصر ولحث السوفيات على التدخل. فأرسلت تعليمات إلى السفير غالب في موسكو للاجتماع فوراً بكوسيغن وإعلامه بهذا التواطؤ. واستجابت البلدان المنتجة للنفط، وفي طليعتها العراق والكويت، إلى نداء عبد الناصر بوقف شحنات النفط إلى الولايات المتحدة وبريطانيا. وفي الساعة ٦.٥٠ بعد الظهر علم العرب المستمعون إلى «صوت القاهرة» «أن الولايات المتحدة هي العدو، وأن الولايات المتحدة هي القوة المعادية التي تقف وراء إسرائيل. الولايات المتحدة، أيها العرب، هي عدوة كل الشعوب، قاتلة الحياة، مهرقة الدماء، وتمنعكم من تصفية إسرائيل». (٥١)

وبدأت الإشاعات، الوسيلة التقليدية لنشر المعلومات في الشرق الأوسط، في الانتشار. فبعد ١٦ ساعة من إلقاء أول طائرة إسرائيلية قنابلها على مَدْرج مصري، كانت الألسن تهمس نتائجها في شوارع لبنان وسورية والعراق والعربية السعودية. استدعى رئيس المخابرات العسكرية الأردنية الجنرال إبراهيم أيوب هيئة أركانه في الساعة السابعة مساء وقال لهم: «علمت قبل قليل أن ٩٠٪ من الطيران المصري قد دُمّر».

من غرائب الأمور أن الشعب الوحيد من بين شعوب المنطقة القليلة الذي ظل جاهلاً بمجريات المعركة، هو الشعب الإسرائيلي. إذ كانت صفارات الإنذار تزعق طوال النهار، ولا يتلوها أية إشارة بالانفراج. وكان الإسرائيليون كلهم يعلمون أن الدبابات المصرية كانت تزحف إلى داخل النقب، وأن الجيوش العربية الأخرى كانت تتهيأ للغزو كذلك. وتحدث إشكول في الإذاعة الوطنية واصفاً «الحملة الدموية القاسية» التي يتعرض لها زملاؤه المواطنون، محذراً إياهم من أن «الفرق بين المقدمة والمؤخرة سوف يزول.. فكل إسرائيل خط جبهة واحد». وعلى الرغم من اللا أمن الخطير الذي أحدثته هذه الكلمات في صفوف الإسرائيليين، فقد أصر دايان على أن تحتفظ الصحافة بالصمت المطبق حول إنجازات سلاح الجو الإسرائيلي.



وكانت غايته تأخير الضغط العالمي المحتمل من أجل فرض وقف لإطلاق النار، وتأخير التدخل السوفياتي أطول مدة ممكنة. (٥٢)

لم يمنع هذا من أن تحيط إسرئيل الولايات المتحدة علماً بآخر المستجدات. أعطى مئير أميت إيجازاً إلى ماك فيرسون وباربر وركز على التهديد الذي يواجهه مصير إسرائيل، وأكد لهما أنه طالما بدأ وقف إطلاق النار فإن إسرائيل سوف (تضغط على جميع الأزرار). وأعلن أن المعركة ليست من أجل أمن إسرائيل فقط، بل من أجل إنقاذ جميع القوى الموالية للغرب في الشرق الأوسط. ثم أخذت تل أبيب تحيط واشنطن، أولاً بأول، بشروح عامة عن النجاحات التي حققها جيش الدفاع الإسرائيلي في سيناء والقدس والضفة الغربية، مع تقرير يتضمن نبأ تدمير ٤٠٠ طائرة عربية وخسارة ١٩ طائرة إسرائيلية. وكانت هذه المعلومات حول آخر المستجدات تخضع لمراجعة وولت روستو الذي يرسلها بدوره إلى الرئيس. وافتتح روستو مذكرته إلى الرئيس بعبارة «إليكم التقرير مشفوعاً بالخرائط عن رماية الديكة الرومية في اليوم الأول». (٥٣)



الحرب: اليوم الثاني ٦ حزيران (يونيو)

تقدمات إسرائيلية وتراجعات عربية

أمريكا في الحرب وفي السلم

«كذبات كبرى» وإيقافات لإطلاق النار

كان أفراهام يوفي (Avraham Yoffe) مدير جمعية حماية البيئة، مقاتلاً متمرساً في سيناء رغم أنه بلغ من العمر ٤٣ عاماً، ومصاباً بأذى في دماغه يجعله مترنحاً دائماً. فقد قاد في العام ١٩٥٦ رتلاً من المشاة إلى الشاطئ الشرقي من شبه جزيرة سيناء للاستيلاء على شرم الشيخ. ووضع فيما بعد بوصفه رئيساً للقيادة الجنوبية، خطط طوارئ لتحريك الدبابات عبر بوادي الصحراء التي كان يعتقد على نطاق واسع، أن اجتيازها مستحيل. وقبل الحرب ببضعة أسابيع استدعاه الجنرال غافيش، فوصل يوفي إلى المعسكر بثياب مدنية ظاناً أنه يقوم بزيارة مجاملة فحسب. ولكنه عاد بزي بريغادير جنرال وتسلم قيادة فرقة أوغدان مع لواءين احتياط تابعين لها في كل منهما ١٠٠ دبابة. وكانت مهمته اختراق سيناء من جنوب قوات تل (Tal) وشمال قوات شارون، شاقاً الجبهتين، ومنع وصول تعزيزات معادية، أيضاً. ثم يقوم، أثناء اندفاعه نحو الشرق، بمهاجمة خط الدفاع المصري الثاني، في حين أن خطهم الأول ما زال يقاتل.

لقد أنجز يوفي هدفه الأولي وهو الاستيلاء على مفرق طرق أبو عجيلة، وبير لهنان، والعريش، قبل منتصف الليل، وروى يسَّاحار شادمي (Yissachar Shadmi) الذي كان يقود ٢٤ دبابة سنتوريون، فيما بعد: «تلقينا معلومات بأن لواءين



مدرعين مصريين متقدمان، وأطفؤوا أنوار الدبابات، وأن مراقبي المتقدم قال، «لا أستطيع رؤيتها، فقلت له: أطلق عشوائياً، فدمرت أول رشقة أطلقناها سبع مركبات. فانتشر المصريون في الكثبان، وبدأت معركة مريرة دامت من الساعة الحادية عشرة مساء حتى الساعة العاشرة صباح اليوم التالي: «وأكملت الطائرات الإسرائيلية ما بدأه شادمي، وما إن حل منتصف النهار حتى كانت الصحراء مكسوّة بحطام الدبابات المشتعلة. هرب المصريون شرقاً باتجاه جبل لبني الذي أعاد الإسرائيليون تجميع قواتهم لاحتلاله.

مكن الاندفاع نحو وسط مصر، تلّ وشارون من إنجاز ما لم ينجز بالأمس، وهو الاستيلاء على شعب جيرادي (Jiradi Defile)، وخان يونس، والحاميات الموجودة في أم قطيف. ودارت رحى معارك شرسة. ولدى اندفاع دبابات شارون السنتوريون مهاجمة عبر أبو عجيلة، قامت بالهجوم الرئيسي على أم قطيف، المعقل المصري الرئيسي، فتعرضت لألغام أرضية كثيفة دمرت الدبابات المتقدمة وأحدثت في الأرض حفراً عميقة. وعندما نجح مهندسو جيش الدفاع الإسرائيلي، أخيراً بتطهير الممر في الساعة ٤,٠٠ صباحاً، اشتبكت الدبابات المصرية والإسرائيلية بقتال شديد من على بعد عشرة ياردات. تركت ٤٠ دبابة مصرية و١٤ دبابة إسرائيلية تحترق جنباً إلى جنب. وفي هذه الأثناء، أنجز مشاة كوتي آدم (Koti Adam) تطهير الخنادق ثلاثية الصفوف. وكانت الخسائر الإسرائيلية ١٤ قتيلاً، و٤١ جريحاً مقابل ٣٠٠ قتيل مصري، و١٠٠ أسير.

قضى رجال شارون فترة الصباح بتطهير محيط أم قطيف والاستعداد للاستيلاء على القُسيمة (Qysayma) في الجنوب الشرقي. وفي هذه الأثناء. نجحت دبابات الكولونيل غونين، في الشمال، من اختراق ممر جيرادي ثانية، للاتصال بعناصر متقدمة على جانبه الغربي. لم ينتظر هؤلاء الذين كانوا متطوعين أي فرج، بل تقدموا إلى مشارف العريش. اندفع غونين ليتوحد معهم، وليتقدموا بعد تلقي المؤن عن طريق إسقاط جوي. إلى مطار العريش الذي احتله في الساعة ٧,٥٠ ومع ذلك

ما زالت نهاية المعركة بعيدة. قال يوسي بيليد، قائد إحدى الفصائل، واصفاً المعركة: «دخلنا المدينة في الساعة ٨.٠٠ صباحاً قاصدين قطعها للوصول إلى طريق الساحل. كانت العريش هادئة تماماً، مهجورة. وفجأة انقلبت المدينة إلى مشفى مجانين. فانهالت رشقات الرصاص علينا من كل حدب وصوب، من كل زقاق وزاوية، من كل نافذة وبيت».

وأثناء شرح غونين لعدة وحدات كيفية تطهير العريش، قَسم قوته إلى ثلاثة اتجاهات، رتّل من الدبابات والمهندسين والمدفعية بقيادة الكولونيل يسرائيل غرانيت (Yisrael Granit) استمر في تقدمه على طول شاطئ المتوسط باتجاه القنال، في حين تحولت قوة ثانية بقيادة غونين نفسه جنوباً نحو بيرلهنان وجبل لبني.

أما الكولونيل إينان ومظليو اللواء ٣٥ فقد أمروا باحتلال غزة. كان القتال في المنطقة من خان يونس إلى هضبة المنطار (Muntar) شرساً كما كان دايان يخشى، وكلف إسرائيل نصف خسائرها التي تكبدتها في الجبهة الجنوبية. ولكن توقع دايان بأن غزة ستسقط بسرعة لدى عزلها عن سيناء كان صحيحاً: فما إن انتصف النهار حتى كان الإسرائيليون قد استولوا على مقر القيادة المصرية في المدينة وشرعوا بعمليات تطهير. (١)

كان الهجوم الإسرائيلي على الخطوط المصرية الأمامية كاسحاً مدمراً. إذ دُكَّت الفرقة الثانية وعُزلت، وأبيدت الفرقة السابقة والفرقة العشرون تماماً. ودمرت آلاف المركبات -كانت هياكلها المحترقة على طول الطريق تضيء لهم الدرب ليلاً- ومئات الآليات المتوقفة بسبب أعطال ميكانيكية: لأن المحركات السوفياتية الصنع لم تكن مناسبة لظروف الصحراء، كما تبين على أرض الواقع، وقتل على الأقل ١٥٠٠ جندي. هرب ضابط الاستطلاع. عادل محجوب من أم قطيف فوصل قبيل الفجر إلى بير حسانا (Bir Hassana) ليجدها مدمَّرة كلياً تلتهمها النيران. إذ لم يكن الوقود متوافراً للمركبات ولا الذخيرة للأسلحة. كانت أشبه برحلة إلى جهنم. «كان



ضابط الاستطلاع حسن بهجت يراقب من على جبل لبني عندما فتحت المدفعية المصرية نيرانها على آلاف الجنود المتقدمين نحوه من الغرب» وبعد ساعة وصل أحد الجنود إلينا وتبين لنا أنه مصري. دمرت مدافعنا الجنود المصريين المتراجعين من أبو عجيلة».

لقد لوحق المصريون المنهكون من قصف المدفعية المعادية بضربات جوية متلاحقة طوال اليوم. ويذكر عزّام شيراحي (Azzam Shirahi) أحد ضباط الأمن في قاعدة بير جفجافة (Bir Gafgafa) الجوية كيف أن المشير عامر تكلم في اليوم التالي مع قائد القاعدة يطلب إليه إصلاح ا لمدرجات بسرعة لأنه سوف تُرسل طائرات جديدة فنزلنا جميعاً نحاول إصلاح المدرج ولكن القصف استمر. ظلت المدفعية المضادة للطيران تقصف بلا انقطاع حتى ذابت سبطاناتها دون جدوى. قتل العديد من الطيارين وجنود الدفاع الجوي وضباطه. ومنذئذ، لم تصل طائرات جديدة، ولم يعترض الإسرائيليين أحد. «أما الطائرات النفاثة المصرية القليلة التي استطاعت أن تقلع مثل طائرتي السوخوي اللتين قصفتا شاحنات التموين المرسلة إلى غونين ذلك الصباح، سرعان ما تعرضت لهجوم من قبل الأسراب الإسرائيلية». (٢)

وبرغم كل هذا الدمار كان الجيش المصري في سيناء ما زال عصياً على الهزيمة. إذ بقيت أكثر من نصف قوات ناصر سليمة، وذات أهمية -فالفرقتان الثالثة، والسادسة، وقوة الشاذلي- ما زالت قادرة على إطلاق النار. وما زال هناك مئات الطيارين جاهزين للطيران في حال تأمين طائرات جديدة. وكانت ٤٨ طائرة ميغ جزائرية في طريقها إلى مصر بالإضافة إلى قوات متطوعين من المغرب وتونس والسودان. وانهالت عبارات التأييد تنصب على مصر من المتعاطفين معها في جميع أنحاء العالم. فقد أبرق الزعيم الفيتنامي الشيوعي هو تشي منه (Ho Chi Manh) شخصياً إلى عبد الناصر قائلاً: «إننا ساخطون جداً من أعمال العملاء الإسرائيليين الرجعيين ومن الإمبرياليين الأمريكيين والبريطانيين. إن مصيرهم الهزيمة المنكرة». وأعلن بيان سوفياتي رسمي «دعماً أكيداً، وثقة كاملة بعدالة النضال العربي ضد الإمبريالية والصهيونية». وكان الشعب المصري الذي يستمع إلى راديو القاهرة قد علم أن جيشهم قد كسح «هجمات الأعداء على كونتيلا وخان يونس، وهو الآن يخترق أراضي العدو». (٣)

تتناقض هذه الظروف مع ظروف إسرائيل، تماماً فخلافاً لغالبية الجنود المصريين، كان الجزء الأكبر من قوة الغزو الإسرائيلي وطائراته قد انشغل في قتال متواصل لأكثر من ٢٤ ساعة: لقد أنهكوا، ونقصت ذخيرتهم وقلّ وقودهم. ومن ناحية سياسية كانت الولايات المتحدة وبريطانيا قد أعلنتا حيادهما في هذا الصراع، أما فرنسا فقد حظرت إرسال مزيد من السلاح إلى إسرائيل. وعلى الرغم من تحسن المعنويات في إسرائيل بعد أن أعلم رابين الجمهور الإسرائيلي أخيراً في نشرة أخبار الساعة الواحد صباحاً بنجاحات جيش الدفاع الإسرائيلي جواً وبراً، فإن ذلك الاعتراف قد زاد من فرص فرض العالم وقف إطلاق النار. واستعداداً لمثل هذا الأمر الطارئ، اعترف رابين بأن ليس أمام إسرائيل إلا احترام قرار الأمم المتحدة. ولو جرى انتهاكه إلى أن يتم تحقيق ا لأهداف الصغرى، خصوصاً في شرم الشيخ.

قال دايان لجنوده. موضحاً: «سنجد الحرب تقترب من نهايتها قبل أن نضع أيدينا على أسبابها». وكانت أوامره إلى رابين الصادرة في الساعة ٧,٤٥ صباحاً مختصرة ودقيقة: «أتمم احتلال غزة. وطهر محور العريش، وتقدم إلى الغرب، ولكن ابق بعيداً عن القناة مسافة أربعة أميال وأعد العدّة للقيام بهجوم باتجاه الجنوب نحو القسيمة».

لقد فكر في إرسال رتل مندلر (Mendler) في سباق من كونتيلا على طول ساحل البحر الأحمر، ولكنه استقر أخيراً على أن يُشَنَّ هجومٌ مشترك من الجو والبحر، ليس أبعد من الليلة التالية، ٧ يونيو. أما فيما يتعلق بالسادس من يونيو، فكان على الجبهة الجنوبية أن تستمر بجلب انتباه إسرائيل الرئيس إذ كرس اليوم كله من أجل إتمام انسحاب المدرعات المصرية». (٤)

ومن سخرية القدر لم يشارك المصريون الإسرائيليين في تقييم الوضع - ذلك لأن ناصر وعامر كانا يائسين من الوضع أكثر مما هو في الحقيقة. فبدلاً من أن تدعو مصر إلى وقف فوري لإطلاق النار، وتركيز الضغط الدولي على إسرائيل، ظلت

القاهرة تدعي انتصارات لقواتها المتقدمة في النقب. وبدلاً من أن تحشد قواتها المتبقية «الكبيرة وتعمل على ترسيخ مواقعها في النهار والقيام بهجوم معاكس في الليل عندما يكون سيف جيش الدفاع الإسرائيلي قد انثلم، فإن القيادات المصرية أمرت قواتها بتراجع شامل غير منظم (كيفيّ).

إن مسألة من هو الذي أصدر الأمر بالتراجع، ستشق المصريين لسنوات عديدة قادمة. فالمدافعون عن عبد الناصر، ومن بينهم حسنين هيكل وأنور السادات، يصرون على أن المبادرة كانت من عامر وحده. وأن الرئيس لم يعلم بذلك إلا متأخراً وقد حاول إلغاء ذلك الأمر. أما المدافعون عن عامر فقد اعترفوا بأنه هو الذي أعطى التعليمات، ولكنهم يؤكدون بأن عبد الناصر قد أحيط بها علماً كاملاً ووافق عليها. وكلا الطرفين وافق على أن تاريخ الأمر يعود إلى الساعة ٥.٠٥ من صباح يوم السادس من يونيو عندما تلقى الجنرال فوزي نسخة من رسالة لا سلكية من عامر توجه الحامية الموجودة في شرم الشيخ للتهيؤ للانسحاب غرباً. وقبيل الظهر بقليل. بدأ المشير يدعو إلى التراجع إلى خط الدفاع الثاني. ولكن في الساعة الخامسة بعد الظهر استدعى رئيس الأركان فوزي، وأعطاه عشرين دقيقة لوضع خطط لانسحاب عام. كان فوزي مقتنعاً أن عامر كان يتصرف من تلقاء نفسه. بيد أن عامر وبدران شهدا فيما بعد أن عبد الناصر شخصياً وافق على الأمر. (٥)

أما فوزي، فقد سحق، في الحالتين. فعلى الرغم من الضربة النفسية التي تلقاها الجيش، كان فوزي يعتقد أن خطة «الفاتح» ما زالت صالحة للتطبيق وأن بالإمكان جر القوات الإسرائيلية المثخنة بجراح اليوم الأول من خط الدفاع المصري الأول، إلى خط الدفاع الثاني في جبل لبني وبير التمادا وسحقها. لم يكن فوزي وحده من هذا الرأي بل وافقه على ذلك كل أعضاء هيئة الأركان عملياً. وفي طليعة صبيحة ذلك اليوم عندما هتف عامر إلى مرتجى، يسأله بصوت مرتجف: «كيف حال قواتنا؟» أجابه قائد جبهة سيناء متفائلاً، ومطمئناً لعامر بأن الخسارة كانت فقط أربعة ألوية من أصل ١٤ لواء، وما زالت ألوية ثلاثة محتفظة بأم قطيف. وكان من المؤكد أن

تتدخل على الفور قوات إضافية - إما قوات سوفياتية أو كما حصل في العام ١٩٥٠ قوات أمم متحدة. وتابع الرد قائلاً: سيدي، إذا ما عززتم المحور الشمالي فإننا نستطيع الاحتفاظ بمواقعنا والصمود إلى أن تأتي القوات الأجنبية لتأمين القناة. لم يساوره شك أبداً في أن عامراً كان يفكر في التراجع.

ومع ذلك، كان قصده التراجع، كما اكتشف فوزي. فوضع بالاشتراك مع رئيس العمليات «القاضي» مسودة خطة لتراجع تدريجي إلى ممري الجدي (Giddi) ومتلا (Mitla)، وللدفاع المركز عن القناة. «كان من المفروض أن يستغرق الانسحاب ثلاثة أيام» كما قال مرتجى. «وكان ينبغي أن تبقى الفرقة الرابعة في المضائق. وفي الليلة التالية تحل محلها الفرقة السادسة، وفي الليلة الثالثة تنسحب الفرقة السادسة ويحل محلها لواء احتياط «بدا أن الاستراتيجية كانت عملية، في ظل الظروف القائمة، ولكن عامراً رفضها فوراً، وصاح فيه قائلاً: «أمرتك أن تنسحب !! انتهى».

لم يعد بحاجة إلى انتظار خطة مكتوبة، فهتف لأتباعه في سيناء: تأكد أن جميع الطائرات المتبقية كانت بحلول الساعة ١٣,٠٠ جاهزة وبالانتظار، «وأصدر تعليماته إلى صدقي محمود: «ليس أمامك سوى مهمة واحدة هي تقديم غطاء جوي للفرقة الرابعة حتى تصل إلى غرب القناة» ونصح أتباعه الآخرين بالجلاء بأية وسيلة وبأسرع ما يستطيعون. فالميجر جنرال عثمان ناصر، قائد فرقة المشاة الثالثة عشر، مثلاً، أخبر ضباطه بأن لديه اجتماعاً مستعجلاً في مقر القيادة، وحزم أمتعته، وانصرف. وشوهد فيما بعد يتردد على المقاهي في القاهرة، أما بقية الضباط فقد علموا بالأمر عن طريق الإشاعة. فقد كانت الخطوط المباشرة بينهم وبين مقر قيادة فوزي قد قطعت قبل الحرب بتعليمات واضحة عن عامر.

علل عامر، فيما بعد، قراره بانهيار القوة الجوية المصرية وسقوط خط الدفاع الأول، قائلاً: «كان الانسحاب هو الوسيلة الوحيدة لمنع تدمير الجيش بأكمله وأسره». ولكن نتائج الأمر تظهر تماماً في صورة جيش هائل استغرق تجميعه وحشده أربعاً وعشرين يوماً، أمر أن يتراجع في غضون ساعات.



يقول محمد أحمد خميس ضابط اتصالات في الفرقة الرابعة، مستذكراً: «دعانا قائد الكتيبة وأخبرنا بأن علينا أن ننسحب. كان ذلك الأمر مفاجئاً لنا تماماً. إذ كانت معنويات جنودي عالية، وهم يستعدون لشن الهجوم - كيف أواجههم؟ «فطلب من رجاله أن يتحركوا ليلاً دون أن يخبرهم شيئاً. ولدى بزوغ الفجر، نظر سائقي من نافذة السيارة فرأى القناة، فصاح مستهجناً: «تراجعنا!! تراجعنا!!» وأخذ يصرخ ويبكي دهشة وخوفاً». أما الوحدات الأخرى فكانت أقل حظاً. إذ أصبحت آلاف المركبات وعشرات الآلاف من الرجال والعديد من المصريين المحتشدين على الطرق فريسة سهلة للطائرات النفاثة الإسرائيلية التي تجوب الأجواء؛ لأن الغطاء الجوي الذي أمر به عامر لم يتحقق أبداً. (٦)

وأخيراً تُرجمت العلاقة المعقدة والملغزة بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر إلى فوضى في الميدان. فقد لطخ شرفهما، بلا شك، بخسارة سلاح الجو وغزة وشمال سيناء، ولم يكن لدى أي من الرجلين الرغبة أو الحضور الذهني ليحد من الخسائر، ولم يكن لدى أي منهما المهارة اللازمة لتنفيذ تراجع منظم، الذي يعد من أصعب المناورات العسكرية. ربما كانا يعتقدان أن أسطورة العام ١٩٥٦ المنقذة لماء الوجه، ستتكرر، وأن التراجع يمكن أن يحول إلى مناورة تكتيكية استدعاها التحيّز الإمبريالي الشامل. وربما كان يراودهما أمل أن نكسة السلاح السوفياتي الدرامية ستجبر الروسي على التدخل. ومع ذلك، أصبح السؤال: «لماذا أُصدر الأمر ومن أصدره: ناصر أم عامر؟» موضع نقاش. كان الجيش المصري يركض.

لقد ذهل الكولونيل أفراهام برين (Avraham Bren) الذي يلي يوني في القيادة والمحارب المحنك في حملتي سيناء السابقتين عندما شاهد من بير لهفان ذلك الهروب. فقد قال لمحققي جيش الدفاع الذين يستخلصون المعلومات بعد الحرب: «إنك تمر بمركبات محترقة، ثم فجأة ترى هذا الجيش الضخم، الذي لا يحصى، ينتشر فوق مساحة واسعة على مد النظر. لم يكن شعوراً مفرحاً، أن ترى ذلك العدو العملاق ثم تدرك أنك مجرد كتيبة من الدبابات». ولم يكن دايان الذي كان يتابع

مسار الحرب من غرفة العمليات بأقل حيرة ودهشة. «فرغم أن إسرائيل قد سيطرت على الجو، فإن مدن مصر لم تقصف، وأن الوحدات المدرعة المصرية في الجبهة كانت قادرة على القتال حتى دون دعم جوي. (٧)

قال رئيس المخابرات باريف في تقريره إلى رئيس هيئة الأركان الذي قدمه ذلك المساء، كاشفاً التحول الراديكالي الذي حدث في سيناء: «يقول طيارونا: إن الجيش المصري في حالة سيئة، يتراجع بأعداد هائلة على الطرق التي أغلقت جزئياً بضرباتنا الجوية». وأكد حاييم بارليف على ضرورة الاستمرار بتدمير الجيش المصري. ولكن جيش العدو كان أسرع في هروبه من إدراكنا له، فكيف حصل ذلك؟.

قال الجنرال يوني: «لم يكن هناك تخطيط قبل الحرب حول ماذا سيفعل الجيش بعد محور العريش - جبل لبني، حتى إنه لم يبحث أبداً، فلم يكن أحد يصدق أن بإمكاننا أن ننجز أكثر أو أ ن الجيش المصري سينهار بهذه السرعة. لم يكن أحد يصدق أننا سنقاتل أربعة أيام بصور متقطعة- كنا نفكر بعملية جراحية». أما أسئلة: أين سنقود الجيش، وإلى أي مدى، وإلى أية أهداف، فقد طرحها شايكي غافيش (Shaike Gavish) عند الغسق عندما جمع قادة أوغداه الثلاثة - شارون، وتل، يوفي - في جبل لبني.

كانت استراتيجية غافيش تقوم على منع المصريين من تعزيز خطهم الدفاعي الثاني وشن هجوم معاكس محتمل على العريش، كان يريد ضربهم بقسوة وهزيمتهم إلى الممرات محطماً ما تبقى لديهم من دبابات. ووفقاً لذلك، كان على قوات تل أن تهيمن على مواقع المصريين إلى الغرب من جبل لبني، وتهاجم الفرقة المصرية الثالثة شرق بير التمادا، والفرقة الرابعة في بير جفجافة. ويقوم يوفي، بعد أن يضرب جنوباً عبر بير حسانا (Bir Hasana)، وبقايا الفرقة الثالثة، يقسم قوته إلى رتلين يتوجه أحدهما إلى ممر الجدي، ويتوجه الآخر إلى ممر متلا. وفي أقصى الجنوب يقوم شارون بمنع تقهقر الشاذلي عند نخل (Nakhl) قبل دفع بقية الجيش المصري

إلى كمائن تل ويوفي. ويقوم رتل الكولونيل غرانيت (Granit) في هذه الأثناء بمتابعة التقدم على طول ساحل البحر المتوسط عبر رُمّاني (Romani) في طريقه إلى القنطرة (Qantara). ولكن دون احتلال القناة ذاتها، على الأقل في ذلك الوقت، لأسباب سياسية. قال يوفي: «ما إن أصدر إلينا غافيش الأوامر حتى توضَّح لنا مسار ما تبقى من الحرب. ومع أن بعض الانعطافات غير المتوقعة ربما تحصل - فإنه كان على الفرقة الرابعة أن تنتظرنا، أو أسوأ من ذلك - كنا في عملية ملاحقة. لقد حسمت المعركة فعلاً». (٨)

يبدو أن القادة المصريين قد اتفقوا، على الأقل بشأن النضال العسكري. إذ تحول اهتمام مصر مع بدء التراجع، عن الدبابات والمدافع إلى الدعاية السياسية، وخصوصاً إلى اتهام الولايات المتحدة وبريطانيا بالتدخل لصالح إسرائيل. وهنا، على الأقل، كان التنسيق بين ناصر وعامر كاملاً، فكلاهما اتصل بالسفير السوفياتي بوجيدايف مستخدمين ادعاء التواطؤ كوسيلة لتأمين دعم سوفياتي مباشر. ولدى فشل عامر في تقديم الدليل على قيام الولايات المتحدة وبريطانيا بهجمات على مصر، اتهم الاتحاد السوفياتي بأنه زود مصر بأسلحة سيئة. فأجابه بوجيدايف: «أنا لست خبيراً بالأسلحة. ولكني أعرف أن الأسلحة التي أعطيناها إلى الفيتناميين قد أثبتت تفوقاً على الأسلحة الأمريكية». أما ناصر فلم يفسح المجال كثيراً للجدال. إذ أملى ببساطة، رسالة مباشرة إلى كوسيغن يخبره بأن الأسطول السادس والقواعد الأمريكية في المنطقة كانت تساعد الإسرائيليين بنشاط. والآن سيجني اليهود نصراً عظيماً ما لم تقدم موسكو عوناً مماثلاً إلى مصر التي هي بحاجة ماسة إلى الطائرات. (٩)

تعاظمت هذه الأسطورة ككرة الثلج مع مرور اليوم حتى وصلت جميع أنحاء العالم العربي. أعلن راديو دمشق: «أن القاذفات البريطانية تنطلق بموجات متواصلة لا نهاية لها من قبرص لمساعدة الإسرائيليين وتزويدهم بالمعدات. وأن قاذفات كانبيرا (Canberra) تقوم بقصف مواقعنا المتقدمة». وادعى راديو عمان أن ثلاثة حاملات طائرات أمريكية تعمل قبالة ساحل إسرائيل. وذكرت التقارير أن سفناً حربية

أمريكية شوهدت قبالة بور سعيد، وفي ميناء حيفا، وتغلق مدخل القناة. وقالت مصادر أخرى أن إسرائيليين يقودون طائرات أمريكية مزوّدين بخرائط لمصر من الـ CIA، وأن طيارين أمريكيين يطيرون بأسماء إسرائيلية. واعترف طيارون إسرائيليون وقعوا في الأسر بالتعاون مع الولايات المتحدة. لا يمكن لإسرائيل التي هاجمت مصر بألف ومئتي (١٢٠٠) طائرة أن تحارب وحدها - هكذا كان النقاش يدور. وفي بيان وزّع على نطاق واسع، دعا عبد الناصر الجماهير العربية إلى تدمير جميع المصالح الإمبريالية».

وفي غضون ساعات من إذاعة هذا البيان، كانت الجماهير تهاجم السفارات والقنصليات الأمريكية في جميع أنحاء الشرق الأوسط. في بغداد والبصرة، وحلب، والإسكندرية، والجزائر، حتى في المدن المتجانسة مثل تونس وبنغازي، حصر الدبلوماسيون الأمريكيون أنفسهم في مقراتهم واستعدوا لما هو أسوأ. أغلقت جميع المنشآت في العراق وليبيا، وحظرت الكويت، والبحرين والعربية السعودية شحن النفط إلى الولايات المتحدة وبريطانيا. قال راديو الجزائر: «أمريكا الآن هي العدو رقم (١) للعرب، ويجب إنهاء الوجود الأمريكي في الوطن العربي». منح الأمريكيون في مصر، وكان كثير منهم من المقيمين منذ مدة طويلة فيها، دقائق ليحزموا أمتعتهم ويرحلوا، ثم فتشوا بفوهات البنادق، ثم رحلوا دون إبطاء، كتب توماس تومبسون (Thomas Thompson) مراسل صحيفة لايف (Life) الذي كان من بين المبعدين، يقول: هكذا شعر الناس وهم في طريقهم إلى أوشويتز (Auschwitz) «شاهدت ريتشارد نولت (Rishard Nolte) في القاهرة جمهوراً غاضباً خارج مكتبه، فأبرق قائلاً: إننا نحترق جميعاً -وكرر كلمة «جميعاً»- أعدوا الصحف وهيؤوا المظاهرة لمحاولة دخول المبنى» ومع ذلك، في ذروة هذا التوتر استدعي نولتي إلى وزارة الخارجية المصرية، وأوصل إليها تحت الحراسة، ليحاط علماً هناك بحقائق التآمر الأنكلو - أمريكي مع إسرائيل.

قال له محمود رياض شاجباً بعنف: «تقولون إنكم ضد العدوان، ولكن عندما تعتدي إسرائيل ضد مصر لا تفعلون شيئاً. تقولون: إنكم لا تعرفون من هو المعتدي. إن المعتدي معروف بوضوح تام، وهنا في القاهرة تسعون أو على الأقل ثمانون سفيراً يعرفون هذه الحقيقة».

وكان جواب السفير الوحيد هو التأكيد على التعاطف الدولي الذي تستطيع مصر جنيه إذا ما قبلت قرار وقف إطلاق النار، الأمر الذي يمكن أن يجعل العالم يصف إسرائيل بأنها معتدية. ويمكن أن يأتي محيي الدين إلى واشنطن كما كان مخططاً: عندها يمكن إيجاد حل لمسألة المضائق، ولكن كلماته لم تنجح في إحداث أي انطباع لدى وزير الخارجية الذي تابع كلامه بالمزاج نفسه: «لو كانت مصر هي المعتدية لكان الأسطول السادس الآن على شواطئها». (١٠)

ورغم قناعة رياض بأن لأمريكا يد في الهجوم الإسرائيلي، فقد عارض قطع العلاقات مع واشنطن، تلك العلاقات التي يمكن لمصر أن تدير بفضلها مفاوضات ما بعد الحرب. بيد أن عبد الناصر لم يوافق على هذه الفكرة. إذ استدعى هيئة السفارة المصرية من واشنطن وأعلن قطع جميع العلاقات مع الولايات المتحدة. تبعه في قطع العلاقات مع واشنطن ست دول عربية، هي: سوريا والسودان والجزائر وموريتانيا واليمن، كما حظرت عشر دول عربية منتجة للنفط تصدير النفط إلى الولايات المتحدة وبريطانيا. وفي دمشق أنذر السفير سميث (Smythe) بمغادرة البلاد خلال ثمان وأربعين ساعة، وحددت إقامته في منزله حتى ذلك الحين. وكتب فولتي: «وهكذا انتهت مهمتي النيزكية إلى القاهرة».

من الناحية السياسية، على الأقل، نجح عبد الناصر، حيث فشل عسكرياً في حشد العالم العربي حول زعامته. ومع ذلك ظل ذلك النصر ناقصاً طالما أن دولة عربية واحدة، هي الأردن، لم تحذ حذوه. إن الحسين الذي اتهم سابقاً بأنه أداة استعمارية، قد أصبح عند عبد الناصر: أخانا الوطني البطل، الملك الصغير الشجاع» (١١) إن إدراج الملك حسين في تهمة التواطؤ الأنكلو - أمريكي ربما يؤدي إلى مضاعفات قوية في المنطقة، خصوصاً بين حلفاء الغرب من العرب؛ لذلك كان عبد الناصر بحاجة إلى تعاون الحسين، ولكن الحسين كانت له همومه الخاصة.

مكان حفظ الجثث:

كتب الحسين في مذكراته: كانت تلك الليلة جهنّماً. كانت مضيئة كالنهار. السماء والأرض تتوهجان بأضواء الصواريخ وانفجارات القنابل المستمرة المنهمرة من الطائرات الإسرائيلية. «وكان الملك يروح ويغدو تحت جنح الظلام بين مقر قيادته في عمان ومواقعه التي ما زالت آمنة في الجبهة. وكانت الجبهة تتهاوى باضطراد.

في جنين، حيث كان مشاة الكولونيل خالدي، ودبابات عجلوني الثلاث المتبقية لديه يصدون قوات إسرائيلية متفوقة عليهما تفوقاً كبيراً كانت تتقدم من الشمال والجنوب، وصلت نجدة غير متوقعة في الساعة الرابعة صباحاً مؤلفة من كتيبتين من اللواء المدرع الأربعين. عززت هذه الكتيبة المدرعة الرابعة التي أفلحت في التسلل دون أن يلحظها الإسرائيليون، في حين صدت الكتيبة الثانية الإسرائيلين عن عرابه (Arabe) شرقاً. ولدى سماع صيحات «قاتلوا في سبيل الله» فتحت دبابات البريغادير الغازي (al-Ghazi) نيران مدافعها. كما انضمت إلى القتال كتيبة مؤللة جهزها الأمير عبد الله بناقلات أفراد مدرعة من طراز ١١٣. فأخذت المركبات الإسرائيلية تنفجر لهباً الواحدة تلو الأخرى. وبدأ المد يتحول. ويتذكر موسى باركوخفا، قائد اللواء الإسرائيلي، قائلاً: «تركنا العدو حتى أصبحنا على مدى قريب منه ثم اندفع يقاتلنا بشجاعة وعناد» كان الغازي يفكر في التحول من استراتيجية الدفاع إلى استراتيجية الهجوم، بفضل تماسك ما تبقى من دبابات اللواء الأربعين من طراز باتون لدحر الإسرائيليين عبر الحدود.

ثم أشرقت الشمس، وأصبح الأردنيون مكشوفين للسماء. فشرعت النفاثات والمدفعية الإسرائيلية تصب حممها على رجال «الغازي» لمدة ساعتين متواصلتين، فقتلت عشرة رجال وجرحت ٢٥٠ ترك الكثير منهم في ساحة الوغى. لم يبق سوى سبع دبابات -اثنتان منها دون وقود- وست عشرة ناقلة جنود مصفحة، أخذت طريقها ببطء شرقاً إلى طوباس، ومن ثم جنوباً باتجاه نابلس. وفي هذه الأثناء شقت

قوات باركوخاف المدرعة، مع مشاة أفنون، طريقها إلى قلب مدينة جنين. كانت المقاومة شرسة وعنيدة. خصوصاً حول قلعة الشرطة حيث جرح باركوخاف نفسه. ولم يستطع الإسرائيليون ادعاء السيطرة الوظيفية على المدينة التي هي المفتاح إلى شمال الضفة الغربية، إلا بعد أن حان وقت الظهر. (١٢)

وكان الأردنيون يخسرون المعركة على مسرح القدس أيضاً، في التلال الواقعة غربي المدينة، وعلى الرغم من أن رتل هاريل قد واجه مقاومة قوية خارج بيدو (Bidu) -قتل إسرائيليان وعشرون من جنود الفيلق العربي- وأن رتلاً آخر قد فقد معظم آلياته النصف المجنزرة بسبب جلاميد الصخر. استطاعت خمس دبابات شيرمان الوصول إلى النبي صموئيل (Nabi Samwil) في الساعة ٢،٥٥ صباحاً. وكان هناك بانتظارهم فصيل من دبابات باتون الأردنية التي دمرت بعد معركة دامت ١٥ دقيقة وخزانات وقودها الخارجية مشتعلة. أصبحت الطريق الآن مفتوحة إلى بيت حانينا، ضاحية القدس الشرقية الواقعة على بعد ٥٠٠ متر عن الطريق العام بين رام الله والقدس (١٣) أصبح جبل المكبر آمناً عملياً الآن.

لم يستطع الجنرال ناركيس، على أية حال، تصديق ذلك. إذ كان مقتنعاً بأن اللواء الستين ما زال يشكل تهديداً وشيكاً للقدس اليهودية - فقد سمع جنود موجودون على جبل المكبر الدبابات وهي تقترب - وطالبوا القيام بضربات جوية إضافية. لم يوافق بارليف (Bar-lev) على الطلب في البداية بدعوى أن الطيارين الإسرائيليين مرهقون بعد أن قاموا بخمس مهمات في أقل من أربع وعشرين ساعة، لكن ناركيس لا يُرد له طلب. إذ قال: إنَّ القدس ستضيع دون دعم جوي - منهكون أو غير منهكين، لا بد وأن يدمروا تلك المدرعات». حتى بعد أن أنزل جيش الدفاع الإسرائيلي الدمار في دبابات البريغادير بن شاكر، ظل رئيس القيادة الوسطى متشككاً، فرفض، لعدم تأكده من عدد الدبابات المتبقية أن يغامر بمصير جبل المكبر، إذ يمكن إنقاذ الحامية على يد المظليين، كما هو مخطط.



مما كان يعيق ذلك الجهد، عدد من أقوى تحصينات في القدس مؤلفة من عُقد من الخنادق، والمعاقل، والألغام، وعوائق الإسمنت المسلح، المعروفة منذ الحرب العالمية الأولى عندما خزن فيها الجنرال اللنبي معداته الحربية، باسم تلة الذخيرة (Ammunition Hill). كان الإسرائيليون ينظرون إلى هذه الحامية كتهديد مباشر لجبل المكبر والنصف الغربي من المدينة. في حين كانت في نظر الأردنيين تمثل خط الدفاع الأول ضد أي هجوم إسرائيلي على الشرق. وكان الجنود الإسرائيليون والأردنيون على طرفي ذلك الخط يتعرضون لقصف مستمر لعدة ساعات. ومع ذلك ظلت معنوياتهم عالية بصورة متكافئة ولم تنقطع عنهم الإمدادات. كان المشهد مهيأ لمعركة طاحنة عندما تحرك مظليو موناغور بهدوء إلى مواقعهم في الساعة ١.٢٥ صباحاً.

على رجال غور أن ينقسموا إلى ثلاث قوى. تقوم القوة الأولى باختراق الأرض المنزوعة السلاح قرب بوابة مندلبوم، ونقطة التفتيش التابعة للأمم المتحدة بين قطاعي المدينة، ومهاجمة أكاديمية الشرطة التي تحرس المشارف الجنوبية لتلة الذخيرة. وتقوم القوة الثانية بالتوجه نحو الشرق عبر الشيخ جراح والمستعمرة الألمانية المجاورتين من أجل الوصول إلى متحف روكفلر (Rockefeller). في حين تقوم القوة الثالثة باتباع وادي الجوز (Wadi Joz) صعوداً إلى مشفى أوغستا فيكتوريا (Augusta Victoria) على الهضبة في منتصف الطريق إلى جبل المكبر وجبل الزيتون. وكان الأمل يراود إسرائيل أنها بانتهاء هذه المعركة لصالحها، لن تتحرر فحسب من أي تهديد أردني بل ستصبح في وضع يؤهلها دخول المدينة القديمة. قال ناركيس للمظليين قبل بدء الهجوم: «القدس ليست كالعريش. فليكن لدينا أمل الآن في التكفير عن خطيئة الـ ٤٨». (١٤)

في الساعة ٢.١٠ صباحاً، أضيئت سماء القدس ثانية، بنيران المدفعية والدبابات والهاونات الإسرائيلية هذه المرّة، لإضعاف خط العدو، ووضعت أنوار كشافة قوية على ظهر مبنى اتحاد العمال -أعلى نقطة في القدس الغربية- فكشفت الأردنيين وأعمت أبصارهم عملياً. هكذا أعلن: زحفت الكتيبة ٦٦ بقيادة الميجر يوسف يوسي يوفي



(Yosef Yossi Yoffe) المزارع في الحياة المدنية، والمقاتل المحنك في غارات الانتقام في خمسينيات القرن العشرين، إلى الخط الأول من الأسلاك الشائكة وشقت طريقها عبره. وكان خلف ذلك الصف خط آخر، وبعده أربعة خطوط. لم يظهر أي منها في خرائط جيش الدفاع الإسرائيلي، حُصر المهاجمون في أرض منزوعة السلاح بين نيران متقاطعة من جهات مختلفة تحت ضوء القمر البازغ. قال أريك أخمون (Arik Akhmon) ضابط المخابرات المظلي متذكراً: «شققنا طريقنا عبر حقل ألغام إثر حقل، وسياج إثر سياج، وزمرة إثر زمرة، وما زالت أصعب المعارك لم تبدأ بعد. فأمامنا تلة الذخيرة» قتل سبعة إسرائيليين وجرح أكثر من ١٢ قبل قطع آخر الأسلاك. ولم يتلق غور الخائف من طلوع الفجر، إشارة بأن رجال يوفي قد اخترقوا أكاديمية الشرطة إلا في الساعة ٣,١٠ فأجاب غور: «أقبّلك».

كان الإسرائيليون يعتقدون أن مبنى أكاديمية الشرطة الذي أشيد في عهد الانتداب البريطاني ثم سلم إلى الأمم المتحدة، يؤوى القيادة الرئيسية لعطا علي (Ata Ali). لذلك كان الدفاع عنه شديداً. والواقع أنه لم يكن في المنطقة سوى فصيل واحد مؤلف من ١٤٠ رجلاً، وكتيبة الحسين الثانية بقيادة سليمان صلايته. استطاع المهندسون الإسرائيليون بتغطية من نيران دبابتين شيرمان استعيرتا من لواء القدس، أن يطهروا ممراً للوحدات المهاجمة التي دمرت في غضون الساعتين التاليتين حوالي ٣٤ معقلاً ووكراً من أوكار الرشاشات. ما زال الأردنيون يقاتلون ويوقفون الحملة الإسرائيلية على بعد ١٥ متراً فقط عن موقع صلايته. وبعد أن قتل ١٧ جندياً وجرح ٤٢ أمر الكابتن مدفعيته بقصف مواقعه هو، فانكفأ من زال قادراً من رجاله إلى تلة الذخيرة المجاورة.

تبين أن معركة الاستيلاء على أكاديمية الشرطة كانت باهظة الثمن للإسرائيليين إذ لم يبق سوى فصيل واحد ملائم لمزيد من القتال. ومع ذلك وصلت تعزيزات، وتقدم المظليون إلى تلة الذخيرة وهاجموها من جهات ثلاث: الغرب والشرق والوسط.



خريطة: معركة الاستيلاء على القدس

٥ حزيران (يونيو) -٧ حزيران (يونيو)

SHU'AFAT
FRENCH HILL
MIVTAR HILL
AMMUNITION HILL
POLICE ACADEMY
SHEIKH JARRAH
'ISAWIYA
HADASSAH HOSPITAL
HEBREW UNIVERSITY
MOUNT SCOPUS
NABLUS ROAD
AMERICAN COLONY
AMERICAN CONSULATE
MANDELBAUM GATE
WADI JOZ
AUGUSTA VICTORIA HOSPITAL
ROCKEFELLER MUSEUM
MUSRARA
MUSLIM QUARTER
HEROD'S GATE
LIONS GATE
DAMASCUS GATE
VIA DOLOROSA
VIRGIN'S TOMB
MOUNT OF OLIVES
NEW GATE
CHRISTIAN QUARTER
TEMPLE MOUNT NOBLE SANCTUARY
GARDEN OF GETHSEMNE
OLD CITY
CHURCH OF JEHOSOPHAT
INTERCONTINENTAL HOTEL
WESTERN WALL
JEWISH QUARTER
MUGHRABI GATE
AL-AQSA MOSQUE
JAFFA GATE
ARMENIAN QUARTER
DUNG GATE
MOUNT ZION
ZION GATE
SILWAN
TO JERICHO
ABU TOR
ALLENBY BASE
TALPIOT
GOVT HOUSE
ANTENNA HILL
THE SAUSAGE
TO BETHLEHEM TO HEBRON

THE BATTLE FOR JERUSALEM JUNE 5-JUNE 7
Demilitarized Zone
Jordanian Forces
Israeli Advance - June 5
Israeli Advance - June 6
Israeli Advance - June 7
Jerusalem Line
N W E S

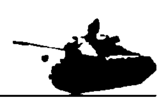


بعث الجندي (نفر) فرحان هامان بتقرير إلى الميجر منصور كرانشور (Kranshur) المسؤول عن دفاعات تلة الذخيرة، يقول فيه: «سيدي، نجح العدو في اختراق المنطقة إلى اليسار من أكاديمية الشرطة. هناك رتل دبابات وسريتا مشاة. يقول قائد الزمرة: إنه ما زال يسيطر على بعض المواقع ، لكنه يطلب دعماً من المدفعية».

بيد أن القصف المدفعي لم يجد في إيقاف الإسرائيليين القادمين، كما لم تصل تعزيزات من أكاديمية الشرطة. وجرح أردني واحد فقط. مازال المدافعون يحبطون الهجوم بإلقاء قنابل يدوية، وبصليات من الرشاشت، وبصيحات «الله أكبر».

كادت الفصائل الإسرائيلية أن تباد. دُمّرت واحدة من دبابات شيرمان الثلاث، والدبابتان الأخريان لم تتمكنا من خفض سمت مدافعهما لقصف المواقع الأردنية الخفية. واضطر المظليون إلى التقدم على أرض مكشوفة دون غطاء، بسبب عجزهم عن استدعاء دعم من المدفعية دون تعريض أنفسهم للخطر: ولأن متاعهم المحمول أعرض من الخنادق بحيث لم يتمكنوا من المناورة عبر خنادق العدو، فكانوا يتساقطون الواحد تلو الآخر. وأطلق النار عليهم ليس من تلة الذخيرة فقط، بل أيضاً من مما يسميه الإسرائيليون «تلة مفتار (Mivtar Hill) إحدى الحصون الأردنية عبر واد يقع إلى الغرب. قال يوحنان ميللر (Yohanan Miller) أحد المتمرسين في المعركة: «لم تكن خسائرنا نتيجة اشتباك المقاتلين (بالسلاح الأبيض)، بل نتيجة القنابل اليدوية والنيران الآتية من مواقع بعيدة». وسرعان ما كان الضباط كما وصف أحد المتمرسين اسمه يوحنان ميللر، أن الضباط الإسرائيليين قد أصيبوا جميعاً تقريباً، وتبعثرت وحداتهم. ومع ذلك تابعت بعض المجموعات الهجومية الضعيفة تقدمها عبر الخنادق المفعمة بالجثث. ووصلوا مع خيوط الفجر االأولى الساعة ٤,٣٠ إلى معقل كرانشور(Kranshur).

اتصل الميجر لاسلكياً بعطا علي قائلاً: «المعركة الآن بالسلاح الأبيض والذخيرة تتناقص. ربما لا تسمع مني بعد هذا أية كلمة، ولكن ربما تسمع عني وعن رجالي». فأجابه عطا علي: «أطال الله عمرك، يا صديقي»، ووافق على طلب كرانشور لقصف



المنطقة كلها بالمدفعية. وعلى الرغم من أن كرانشو قد أصيب في ساقه، فقد استغل الهجوم المضلِّل ليجمع جنوده الناجين ويهرب بهم من آخر ثغرة مفتوحة، شمالاً إلى هضبة شعفاط. وقام المهندسون الإسرائيليون من بعده بنسف معقله باستخدام ٢١ رطلاً من مادة TNT. انتهت معركة الاستيلاء على تلة الذخيرة التي تعد من أكثر المعارك دموية في التاريخ العربي-الإسرائيلي بحلول الساعة ٥.١٥ صباحاً. قتل ٧١ جندياً أردنياً، وجرح ٦٤ معظمهم بجروح خطيرة. وقتل ٣٥ إسرائيلياً، أي ربع قوة يوفي، كذلك. (١٥)

في حين بدأ رجال يوفي باحتلال تل الذخيرة، قامت فصائل المظليين المتبقية من اللواء بعبور خط المدينة. قصفت الكتيبة ٢٨ بقيادة يوسي فرادكين (Yossi Fradkin) بقذائف هاونات عيار ٨١ مم، أثناء انتظارها إشارة البدء في التقدم، فقتل وجرح منها ٦٤ فرداً. ورغم أن هذه الكتيبة قد أعيقت كثيراً بسبب نقص في الرجال والعتاد، فإنها نجحت في شق طريقها عبر الأرض المنزوعة السلاح إلى المستعمرة الأمريكية في القدس الشرقية. ومن هناك، كان على المظليين - حسب الخطة المرسومة - أن يتحركوا نحو المدينة القديمة عبر شارع صلاح الدين ذي الدفاعات الضعيفة.

ورغم أن فرادكين متمرس جداً في القتال في أثناء حربي ١٩٤٨، و١٩٥٦، فهو لم يقاتل أبداً في القدس، قال لزملائه الضباط بعد الحرب: «لم يكن الضباط يعرفون ما هو متوقع منهم. لم يكونوا يعرفون أين نحن ذاهبون بهم. ولم يكونوا يعرفون المكان». فبدلاً من أن يتجه إلى شارع صلاح الدين، اتجه خطأ إلى شارع نابلس حيث كان الأردنيون في انتظاره بقوتهم. ولدى اكتشاف تقدم الإسرائيليين من تلة الذخيرة، اتصل الميجر كرانشور بالكابتن نبي سحيمات (Nabi Shkhimat) قائد قطاع طريق نابلس وقال له محذراً: «دبابات العدو تتقدم باتجاهك. فاستعد لتقاتل على جبهة كبيرة من بيت إلى بيت، حتى آخر رجل، وآخر طلقة».

استعد سحيمات (Shkhimat) وعزز طواقم البازوكا والمدافع المضادة للدرع في المعاقل ثلاثية الطبقات المواجهة لطريق نابلس. تخبَّط الإسرائيليون في دوامة مضطربة. أطلقت الدبابات ميزاتها مسددة مباشرة وعن مسافة قريبة على الشارع



موجة إثر موجة من المظليين، ولكن الأردنيين صمدوا في مواقعهم. قال محمود أبو فارس قائد إحدى السرايا في كتيبة الحسيني الثانية واصفاً مهاجميه: «كنا نقاتل عن إيمان وليس تنفيذاً لأوامر». وقال: إن أحد الضباط الإسرائيليين حاول الإمساك به ولكن أبا فارس قطع أذنه ثم قتله بمسدسه. وبرغم شدة المقاومة الأردنية وصلابتها، أخذت تتضاءل أمام القوة النارية والزخم الإسرائيلي. قال قائد إحدى الزمر، غازي إسماعيل رباعية (Ruba'iyya) متذكراً كيف حاول أن يرفع من معنويات رجاله الخمسة المتبقين: «ولكني فشلت ونظرت في وجوههم فرأيت ما يراه الجندي قبل الموت». اتصل لاسلكياً بقيادة الفصيل ولكنه لم يتلق جواباً. كان سحيمات (Shkhimat) قد أمر رجاله بالانسحاب إلى مصراره (Muyrara) المتاخمة للمدينة القديمة، تاركاً ٤٥ قتيلاً و١٤٢ جريحاً.

لم يكن المشهد أقل جهنمية بالنسبة للإسرائيليين. قال ييغال نير (Yigal Nir) أحد المظليين جازماً: «لقد تحول الشارع فجأة إلى مسلخ: إذ أصيب كل من حولي في ثوان. ولما لم أكن خائفاً من قبل، كان ذلك التحول مروّعاً؛ وفجأة شعرت بالخذلان واليأس.» لم يقطع مسافة الـ٦٠٠ متر من القنصلية الأمريكية إلى الـYMCA (جمعية الشبان المسيحيين) سوى ثلاثين رجلاً -أي نصف القوة الأصلية- وأطلقوا على هذا الزقاق اسم «زقاق الموت».

كانت الكتيبة الـ٧١ أكثر حظاً من غيرها، إذ نجحت في فتح ثغرة في الأسلاك واختراق حقول الألغام، والوصول إلى مقربة من وادي الجوز عند أسفل جبل المكبر. كان قائد هذه الكتيبة الميجر عوزي إيلام (Eilam Uzi)، المهندس المدرب في شيكاغو والمتمرس في غارات الانتقام، قد شعر بخيبة الأمل عندما نقلت وحدته من سيناء. قال بعد الحرب: «عندما قالوا لنا بأننا ذاهبون إلى القدس، شعرت بخيبة أمل عميقة. من الواضح أننا لن ننزل بالمظلات هناك، بل سوف نحرس الحدود فقط... وبعدئذ عندما ابتدأ القصف... تأكدنا أن الأمر خطير جداً. وأن حرباً ستنشب هناك».

استطاع الإسرائيليون، من وادي الجوز، أن يعزلوا المدينة القديمة عن أريحا وأن يعزلوا القدس الشرقية عن رام الله. كما قصفت مدفعية جيش الدفاع الإسرائيلي بصورة مباشرة ومركزة الطريق الوحيد المتبقي إلى الضفة الغربية شرقاً عبر ضاحية العازرية (al-Azariya)؛ وردع القصف الإسرائيلي كذلك الأردنيين عن القيام بهجوم معاكس ضد إيلام (Eilam) من مواقعهم حول أوغستا فيكتوريا (Augusta VICTORIA) التي مازالت مخيفة. جازفت زمرة من الفصيل الثامن والعشرين بالتوجه نحو متحف روكفلر للآثار، الواقع على الزاوية الشمالية الغربية من المدينة القديمة كقلعة متألقة، واحتلته في الساعة ٧,٢٧ صباحاً بعد مناوشات قصيرة.

اعتقد غور أن هذا الموقع كان مثالياً لقفزة هجومية نهائية على المدينة القديمة، تنفذ من خلال بوابة هيرود (الزهور-Hearod). نقل قائد المظليين مقر قيادته مع ثلاثة علماء آثار إسرائيليين حريصيين على الدفاع عن الآثار الموجودة في المتحف، إلى روكفللر. فتبين له أن المنطقة مازالت تحت سيطرة القناصة الأردنيين، وأن لواءه كان يستنفد بصورة خطيرة. ومع ذلك طلب السماح من ناركيس كي يخترق البوابة على الفور. فجاء الجواب سلبياً: لأن مجلس الوزراء لم يتخذ بعد قراراً بشأن القدس. فقال غور الغاضب جداً، متجاهلاً الحكومة: «إذا ما أطعت الأوامر بعدم دخول المدينة القديمة، ألا تكون الثمرة أسفاً يتوارثه الأجيال وعاراً على جيش الدفاع الإسرائيلي الذي كان ينظم صفوفه خارج الأسوار؟» ولكن ناركيس نجح في تهدئته قائلاً: «إن هدفنا هو إحاطة المدينة أساساً للاستيلاء عليها». وكان على المظليين أن يعيدوا تجميع أنفسهم في روكفللر ويستعدوا للاستيلاء على هضبة أوغستا فيكتوريا بعد ظهر ذلك اليوم. (١٦)

في حين استقر رجال غور في روكفللر، قام يوري بن أري واللواء العاشر بالاندفاع إلى طريق رام الله-القدس. وخاضت دبابات شيرمان الإسرائيلية، معركة ضارية في تلال الفول (Telal-Ful)، وهي هضبة صغيرة مدوّرة كان الملك حسين قد بدأ بإنشاء أحدث مقصورة عليها، ضد ثلاثين دبابة باتون أردنية بقيادة الكابتن ديب سليمان،

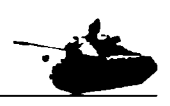


والكابتن عوض سعود عيد. نجح الأردنيون في إحباط تقدم العدو وتدمير عدد من أنصاف المجنزرات، ولكن القوة الجوية الإسرائيلية بالإضافة إلى هشاشة خزانات الوقود الخارجية في دبابات باتون الأردنية، أسهمت أخيراً في حسم المعركة، فانسحب سليمان وعيد نحو أريحا تاركين دباباتهما تحترق ليتصاعد منها الدخان.

وبعد ذلك، انضم اللواء العاشر إلى اللواء الرابع ونزلا معاً عبر شعفاط العربية المجاورة والتلة الفرنسية (French-Hill)، مخترقين الدفاعات الأردنية عند ميفتار (Mivtar) ليظهر عند تلة الذخيرة. كان تقدم اللواءين سريعاً جداً حتى إنني ظننت أن القوات الإسرائيلية الموجودة في الجانب الإسرائيلي من المدينة أردنيين فأطلقت عليهم النار. نشأت فوضى عندما أخذت الدبابات وطواقمها تجوب الشوارع بحثاً عن معركة. ووصف الكولونيل موشي بيليس (Moshe Peles) نائب قائد المظليين، الوضع قائلاً: «لم نكن ندري ما الذي تم الاستيلاء عليه، ولم يُستول عليه بعد. لم نكن نعرف شيئاً».

تساءل المؤرخون الإسرائيليون فيما بعد: هل كان النضال من أجل الاستيلاء على تلة الذخيرة ضرورياً، وهل جعل وصول الدبابات السريع الخسائر في الأرواح فادحة للغاية؟ مثل هذا التخمين الثاني يأتي بسهولة في الإيضاحات التي تطرح في غرفة الصف، أما من وجهة نظر ناركيس، ومن خلال ضباب المعركة، وبسبب الاعتقاد السائد آنذاك بأن دبابات باتون الأردنية كانت مازالت تتقدم، فإن الهجوم على تلة الذخيرة يبدو خير وسيلة لإنقاذ جبل المكبر. كما أن المناورة تلك حققت حصاراً مضاعفاً للقدس - المشاة في الداخل، تحيط بهم حلقة مدرعة خارجية. وبحلول منتصف يوم السادس من يونو، ذكرت برقية من الجيش الأردني أن العدو قد احتل القدس بأكملها ما عدا المدينة القديمة. (١٧)

لم تكن الأخبار مفاجئة للحسين. فقد حذر الجنرال رياض الملك حسين قبيل الفجر، قائلاً: «إذا لم نحسم الأمر في غضون الـ٢٤ ساعة القادمة، فبإمكانك أن تُقبِّل جيشك والأردن كله قُبلة الوداع. إننا على وشك خسارة الضفة الغربية: وسوف



تعزل جميع قواتنا أو تدمر». وطرح القائد المصري للجيش الأردني احتمالين: إما قبول وقف إطلاق النار على الفور، أو الأمر بتراجع عام. خياران قاسيان، بيد أن لا مُسوِّغ لهما. فالقوات الأردنية مازالت تسيطر على المدينة القديمة ومعظم القدس الشرقية، والتقدمات الإسرائيلية في الضفة الغربية محصورة في اللطرون وجنين. كما أن القوات الأردنية تستطيع الصمود، حتى دون غطاء جوي، إلى أن يتم ترتيب وقف إطلاق النار، مؤكداً بقاء معظم الضفة الغربية أردنية. وكان الوضع هذا مماثلاً للوضع المصري في سيناء، وغطت العواطف هنا،كما في مصر، على الحقيقة.

وما إن سمع الملك حسين نصيحة الجنرال حتى سارع إلى دعوة سفراء الولايات المتحدة، والاتحاد السوفياتي، وبريطانيا، وفرنسا، وأخبرهم بأن نظامه «ربما لا يدوم ساعة واحدة بعد الآن، إذا لم توضع نهاية فورية للهجمات العنيفة».

كان الحسين قد وقع، للمَّرة الثانية، بين خيارين أحلاهما مُرّ.

فقبوله وقف إطلاق نار رسمي في وقت كانت مصر ما تزال تقاتل يرقى إلى إعلان الاستسلام. والفلسطينيون ربما يثيرون الشغب، وربما يتمرد الجيش. ومع ذلك، ليس التراجع بأقل مهلكة، إذ يمكن لعبد الناصر أن يستخدمه ذريعة لسحب قواته وإلقاء اللوم على الأردن لانهيار الجهد الحربي العربي. وكان تقييم بيرنز على النحو التالي: «سيكون حفظ النظام والقانون في الأردن بعد وقف إطلاق النار أصعب بكثير منه في حال عدم وقفه. فما بالكم لو دعا عبد الناصر إلى الإطاحة بالحسين ليستطيع الأردن متابعة المعركة؟!».

كان الحل الذي توصل إليه الحسين، هو السعي إلى تفاهم سري مع إسرائيل على وقف إطلاق القتال، أو الأفضل من ذلك السعي لوقف إطلاق نار مفروض دولياً. ادعى في اتصال هاتفي بالجنرال بيرنز، أن لديه مهلة ١٥ دقيقة ليتخذ قراراً بشأن إخلاء الضفة قائلاً بطريقة أقرب إلى الهيستريا: «إذا لم ننسحب الليلة فلسوف نُطحن. ولن يكون في غد سوى خيار واحد هو الأمر بتدمير معداتنا وترك كل جندي

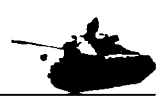


يبحث عن نفسه. «وقال مؤكداً إن عبد الناصر قد تخبط تخبطاً رهيباً: «ما من أحد توقع أن يتصاعد الصراع إلى هذا الحد وبهذه السرعة» - وأن رياض «كان يدير العرض تقريباً» في الأردن، ولكن الحسين لم يلق باللوم على أحد، ونفى أن قواته هي التي أطلقت النار أولاً على أهداف مدنية. فكان همه الوحيد هو التوصل إلى «نهاية فورية للعنف» - متجنباً استخدام مصطلح «وقف النار» - وإلا فإن نظامه سيسقط.

بعث الحسين في تلك الليلة ما لا يقل عن أربعة طلبات بوقف نار واقعي ولكن الردود في كل مرَّة كانت سلبية. قال باربر من تل أبيب: «أعتقد أنه فات الآوان على إثارة أي اهتمام في إسرائيل بشأن الاحتفاظ بالحسين ونظامه». ادعت إسرائيل أن الحسين إما فقد السيطرة على قواته أو أنه كان يخدعها لإلغاء هجومها، مستشهدة بالمعارك المستمرة في قطاعي القدس ونابلس. أما رد واشنطن على الحسين فلم يكن أكثر دفئاً، رغم أنها دعمت وقف القتال: إذ جاء ردها على النحو التالي: إما أن تكون شخصياً مسؤولاً عن جيشك، وإما أن تظل هدفاً».

وبما أن الملك حسين قد أصيب بإحباط خطير ويأس شديد، أخذ يرد على نفسه محذراً: إذا ما استمرت الحرب فلا خيار أمام الأردن سوى تأييد اتهام ناصر لأمريكا وبريطانيا بالتآمر. (١٨)

لم يكن ذلك التهديد عبثاً، كما أثبت الحسين بعد نصف ساعة، عندما تلقى مكالمة هاتفية من القاهرة، يسأله فيها عبد الناصر: «هل نقول إن الولايات المتحدة وبريطانيا (تهاجمان) أم فقط الولايات المتحدة؟» محاولاً معرفة ما إذا كان لدى بريطانيا في المنطقة حاملات طائرات أيضاً. فأجابه الحسين: «الولايات المتحدة وبريطانيا، كما وافق الملك على إصدار بيان بهذا المعنى على الفور. أثلج ذلك صدر عبد الناصر وشجعه، فقال مبتهجاً: «والله، سأصدر بياناً، وأنت ستصدر بياناً، وسوف نعمل على أن تصدر سوريا كذلك بياناً مفاده أن الطائرات الأمريكية والبريطانية تشارك في القتال ضدنا انطلاقاً من حاملات الطائرات. وسوف نؤكد



على هذه المسألة. وسوف نوضحها للناس». وانتهى الحديث بحث عبد الناصر للملك حسين على «ألا يستسلم» رغم أن القتال مازال صعباً. «نحن معك بكل قلوبنا، وطائراتنا اليوم تحلق فوق إسرائيل وتقصف مطاراتها منذ الصباح». (١٩)

بما أن أجهزة اتصالات القيادة العربية الموحدة، المتقدمة قد صنعت في خط مدني غير مشفر ولم ترمز أبداً- لذلك التقطت المخابرات الإسرائيلية المحادثة وسجلتها ونشرتها على نطاق واسع. على أية حال لم ينف الحسين هذه المكالمة، وأكدتها صحيفة الأهرام المصرية علناً بقولها: «اتفق الملك والرئيس فيما بينهما على وجوب إحاطة الأمة العربية علماً بهذا التطور المهم وأن تكيّف مواقفها وفق ذلك». وتلقت الأردن استثناءً خاصاً من ناصر لإبقاء علاقاتها مع الولايات المتحدة قائمة، ولكن هذا الاستثناء كان له ثمن إذ أصبح الحسين جزءاً مما أسماه جونسون «الكذبة الكبرى».

ساعد الادعاء بالمؤامرة الغربية لمساعدة إسرائيل، الحسين على تهدئة الفلسطينين والحفاظ على التحالف المصري - الأردني. ومع ذلك، ظل موقفه يتدهور عسكرياً. وعلى الرغم من طلبات المساعدة المتكررة التي وجهت إلى سوريا والسعودية. وبرغم التأكيدات المتكررة بأن البلدين قد أرسلتا قواتهما إلى الأردن، فإن مثل هذا العون لم يصل أبداً. فقد وصل اللواء السوري السابع عشر المؤلل إلى الحدود الأردنية ولكنه رفض التقدم أكثر من ذلك إذ ادعى قائده أولاً أنه بحاجة إلى استطلاع المنطقة، ومن ثم ادعى أنه لم يتلق تعليمات من دمشق في التقدم أكثر من ذلك. كما كان عدم وجود أوامر هو السبب نفسه الذي تذرَّع به السعوديون الذين وقفت قواتهم أيضاً عند الحدود الأردنية. ويقول الدكتور منير زكي مصطفى، أحد الأطباء العسكريين المصريين، الذي ألحق بالسعوديين: «كنا نأمل أن تهاجمنا ولو طائرة إسرائيلية، حتى نستطيع القول إننا شاركنا في الحرب وأطلقنا مدافعنا - ولكن عبثاً».



فقط اللواء العراقي الثامن وحده هو الذي حاول الانخراط في القتال وعبور جسر دامية، ولكن الطائرات الإسرائيلية قصفته هناك وأبادت معظمه. كما دمر سلاح الجو الإسرائيلي كتيبة فلسطينية وهاجم قاعدة H-٣ في غرب العراق - التي كانت آخر أمل للحسين في الحصول على غطاء جوي. ورغم أن طائرتي ميراج قد أسقطتا إلا أن سلاح الجو الإسرائيلي خلّف وراءه صفوفاً من طائرات الميغ والهوكرهنتر تحترق ويتصاعد منها الدخان.

وبحلول وقت الظهيرة، طلب الحسين من رياض أن يحيط المشير عامر علماً بالحقيقة: فكتب الجنرال رياض يقول: «الوضع في الضفة الغربية يكاد يكون ميؤوساً منه. الإسرائيليون يهاجمون على كل الجبهات. ويقصفنا سلاح الجو الإسرائيلي ليل نهار، ولا نستطيع المقاومة... كما أن القوات الأردنية والسورية والعراقية قد دُمرت عملياً.» واختتم الجنرال رياض رسالته بتأكيد اعتقاده بأن عدم فرض وقف إطلاق نار من قبل الأمم المتحدة سيضطر الأردن إلى سحب قواته من الضفة الغربية أو يواجه هزيمة منكرة كاملة. وكان الحسين قد وطد نفسه على هذه الحقيقة كذلك، عندما أرسل برقية متابعة إلى عبد الناصر الساعة ١٢,٣٠، يقول فيها:

«بالإضافة إلى خسائرنا الفادحة في الرجال والعتاد، بسبب الافتقار إلى الحماية الجوية، فإن دباباتنا تصاب بالعجز بمعدل دبابة كل عشر دقائق. إن الجزء الأكبر من قوات العدو مركزة الآن ضد الجيش الأردني... فإذا ما استمرت الحال على هذا المنوال، فلن تسفر إلا عن نتيجة واحدة، هي «أنكم والأمة العربية ستخسرون هذه القلعة بكل قواتها، بعدما قامت به من قتال مجيد سيكتبه التاريخ بالدم». (٢٠)

وعلى الرغم من عزوف الحسين عن قبول وقف إطلاق نار مفتوح أو المصادقة على التراجع، كان مستعداً للتخلي عن حقه وامتيازاته ويترك القرار لعبد الناصر. ومع ذلك لم يصل أي قرار، مع اقتراب المساء من نهايته. أرعد الهجوم الإسرائيلي في هذه الأثناء. إذ كانت دبابات الجنرال بيلن حول جنين تتأهب لمتابعة طريقها

جنوباً إلى نابلس، وكان رتل آخر يتقدم نحو المدينة من قلقيلية غرباً. أما خارج القدس فكان اللواءان العاشر والرابع قد احتلا رام الله بسكانها ال٥٠,٠٠٠ نسمة. وفي القدس ذاتها، فقد قامت كتيبة المشاة الـ١٦٣ بقيادة الليفتنانت كولونيل ميشيل بيكاس (Micheal Peikas) بالهجوم على «أبو طور» (Abutor) المعقل العربي المحصن المطل على الجدار الجنوبي للمدينة القديمة. كان القتال ضارياً: قتل فيه ١٧ إسرائيليا، من بينهم بيكاس نفسه، وجرح ٥٤. وهكذا أمّن جيش الدفاع الإسرائيلي المنطقة بعزل المدينة القديمة عن بيت لحم والخليل جنوباً. في حين أن القوات الإسرائيلية الآتية من رام الله ستقطع آخر طريق مفتوح إلى أريحا.

وفي آخر نهار السادس من يونيو، كان الجزء الأعظم من جيش الأردن يواجه خطر العزل والحصار والتجميد في أراضي الضفة الغربية. ودار جدال بصوت عال بين رياض -الهادئ عادة، المعتدل الذي لم يفوت غفوة بعد الظهر حتى أثناء القتال- وبين الملك حسين حول رفض الحسين الموافقة على الإخلاء. فقال رياض منتقداً شاكياً: «كانت من أصعب مهماتي هي ملاطفة يوتانت وتملقه من أجلك».

خرج الملك من مقر قيادته غاضباً واستولى على سيارة جيب وأسرع بها إلى وادي الأردن. فالتقى هناك وجهاً لوجه ببقايا لواء المشاة الخامس والعشرين واللواء المدرع الأربعين يتراجعان من جنين. فعلق على ذلك المشهد فيما بعد بقوله: «لن أنسى منظر تلك الهزيمة الجنونية. كانت الطرقات غاصة بالشاحنات وسيارات الجيب وكل أنواع المركبات مطعّجَة، مبعّجة، أحشاؤها ظاهرة، مازال الدخان يتصاعد منها باعثاً رائحة مزيجاً من رائحة المعدن المنصهر والدهان المحترق بفعل القنابل المنفجرة - رائحة كريهة لا تصدر إلا عن مسحوق البارود. كان في وسط حاويات الجثث هذه رجال، كانوا يحاولون شق طريقهم بمجموعات من ثلاثين أو أزواجاً، جرحى منهكين تحت الضربة القاضية التي توجهها إليهم أسراب طائرات الميراج الإسرائيلية التي تزعق في سماء صافية تلمع في ضوء الشمس». فكر الحسين بالسؤال عن علي بن علي، ابن عمه الذي يخدم في اللواء الأربعين، ولكنه اشمأز من استغلال مركزه فظل ساكتاً. (٢١)



في حين تضاءلت سيادة قوات الحسين، ظلت هذه القوات تقاتل: إذ صمم عطا علي الذي كان خلف أسوار المدينة القديمة على الصمود، رغم أنه لم يبق لديه سوى مدفعي هاون ثقيلين، ولكن كان لديه من المؤن والذخيرة ما يكفيه ورجاله أسبوعين. فأقام قيادة له في الحي الأرضي، ووضع خمسين جندياً عند كل بوابة من بوابات القدس السبعة. وانتظر الهجوم الإسرائيلي.

بدأ الهجوم الإسرائيلي في الساعة ٧.٠٠ تماماً تلك الليلة، ورغم أن هدف الإسرائيليين لم يكن بعد احتلال المدينة القديمة، بل هضبة أوغستا فيكتوريا، فإن كتيبة فرادكين الثامنة والعشرين، أخطأت طريقها إلى الهضبة عن طريق وادي الجوز، فانعطفت في منعطف آخر أدى بها إلى بوابة القديس ستيفن أو بوابة الأسود (Lions Gate) فأمطروا بنيران قاتلة. انحصرت أربع دبابات شيرمان على الجسر الضيق الذي يربط حديقة غيثسيمين (Gethsemane) مع كنيسة شعفاط (Jehosophat) فأصيبتا بالنيران الأردنية وهما تحاولان الاستدارة، كما دمرت ثلاثة سيارات جيب من سرية استطلاع المظليين. كان إجمالي الخسائر الإسرائيلية البشرية خمسة قتلى و٢٥ جريحاً، أما الناجون فقد هرعوا للاحتماء بساحة ضريح العذراء المنخفضة. ذكر المراقبون الموجودون على جبل المكبر في تلك الأثناء، أنهم شاهدوا قافلة من أربعين دبابة باتون تتقدم عبر العازرية في طريقها إلى جبل الزيتون. أصدر غور، الذي خشي أن تحصر القوة كلها في أرض مكشوفة وظهورهم إلى السور، أمراً إلى رجال فرادكين بالعودة إلى روكفللر. لقد فشلت محاولة إسرائيل للإحاطة الكاملة بالمدينة القديمة وإجبار حاميتها على الاستسلام. وكان ذلك بالنسبة للأردنيين كمن يشتري وقتاً ثميناً. (٢٢)

كان عجز الإسرائيليين عن الوصول إلى أوغستا فيكتوريا بمثابة إبرة منشطة عززت من عزوف الأردن عن التراجع. ومع ذلك، كان أثر ذلك على الأردن أقل ما كان على إسرائيل، حيث غرق القادة العسكريون والمدنيون في جدال عميق حول محاسن احتلال المدينة القديمة ومساوئها. وكان الرهان على الاعتبارات الحاسمة

للزمن والرأي العالمي، وعلاقات إسرائيل بالولايات المتحدة والأمم المتحدة. ومن الأمور الضاغطة بالقدر نفسه اشتعال نقطة وميض أخرى، ليس في سيناء أو في الضفة الغربية، بل على الحدود الشمالية مع سوريا.

دمشق والقدس:

لم ترد إسرائيل على القصف السوري لمستوطنات الشمال الذي لم يخب منذ اليوم السابق. تابع سكان تلك المستوطنات الذين يشكلون أكبر تكتل في البلاد، ضغطهم على الحكومة كي ترد على القصف السوري، وكان يقود قضيتهم هذه وزير العمل إيغال ألون (Yigal Allon). كان ألون، خريج أكسفورد قائد قوات النخبة، بطل حملة العام ١٩٤٨، البالغ من العمر ٤٩ عاماً، ضد مصر فوعد المزارعين بأن الحرب لن تنتهي والمدفعية السورية لا تزال تصب حممها عليهم.

كان باستطاعة ألون الاعتماد على دعم ضمني من إشكول في الترويج إلى عملية تبيد تلك المدافع. إذ كان إشكول، المزارع السابق في الجليل والخبير المائي يتعاطف جداً مع المستوطنين الشماليين، وكان لديه اهتمام متأصل في نفسه بمنابع نهر الأردن.

قال الكولونيل ليور متذكّراً: «لقد أبدى إشكول، منذ اللحظة الأولى التي نشبت فيها الحرب خشية خاصّة على الشمال. ففي كل جلسة تشاور وفي كل بحث... يسأل ثلاث مرات أو أربع ما الذي يجري في الشمال؟، وأعتقد أنه كان مهووساً بالشمال... يزعج الشعب باستمرار فيما يتعلق ببانياس (أحد منابع نهر الأردن). إذ يسأل في اليوم الواحد اثنتا عشر مرة وما هو شأن بانياس؟».

ولكن ليس جميع وزراء إشكول يشاركونه هذا الهوس الجولاني، فزالمان أران، وحاييم موشي شابيرا، وغيرهم، كانوا ما يزالون يخشون فتح جبهة جديدة، وتدخل السوفيات، وكانوا يجدون في دايان دعماً قوياً لهم.



عبر وزير الدفاع، دايان، أيضاً عن قلقه بشأن الروس، وكان يشك فيما إذا كان لدى القيادة الشمالية التي انخرطت قبل فترة وجيزة في الضفة الغربية القوات اللازمة لاحتلال الجولان. فاستبعد في حديث له مع وزراء المجلس وجود أي تهديد إستراتيجي من سوريا، بقوله: «إننا نخشى المصريين لأنهم أقوياء رغم بعدهم، ونخشى الأردنيين الضعفاء لقربهم الشديد منا، أما السوريون فهم ضعفاء وبعيدون- فلا حاجة لمهاجمتهم».

ولكن دايان، يسترشد، بالإضافة إلى الاعتبارات الاستراتيجية، بالمصلحة السياسية في تأمين حصر القرارات العسكرية في يده. فحذر ألون ووزراء آخرين- غليلي (Galili) وكارمل (Carmel)- المؤيدين لاحتلال الجولان، قائلاً: «لا تتدخلوا بالأمور الأمنية. فليس هناك ديمقراطية في الشؤون الأمنية: فإن حاولتم التدخل، أخرج من الحكومة».

ربما يجيز دايان عملاً محدوداً في الشمال: كاحتلال المناطق المنزوعة السلاح، وربما منابع بانياس. وأسر ذات يوم إلى بن غوريون بأن «طيش السوريين» لا يطاق. وعندما يتم حسم الجبهات الأخرى، سيأتي دور سوريا.(٢٣)

كان موقف دايان، مبنياً على الاحتفاظ بمستوى مقبول من العنف في الشمال، ولكن طرأ على ذلك الافتراض تغير كبير في الساعة الثانية من صبيحة السادس من يونيو. إذ انهالت رشقات مدفعية كثيفة من كيبوتز دان، وكفار شولد (Kfar Szold) عند طرف وادي الحولة عين غيف (النقيب) (Ein Ger) الواقعة على الساحل الجنوبي لبحيرة الجليل (طبريا). إذ أخذ حوالي ٢٦٤ مدفعاً يمطرون المستوطنات بما زنته٤٥ طناً من القنابل في الدقيقة، وسقط حوالي ألف قذيفة على مستوطنة روشيينا(Rosh Pina) وحدها.

وفي محاولة لتضليل المدفعية السورية عن أهدافها، قام مهندسو جيش الدفاع الإسرائيلي بإشعال براميل من الدخان على طول الحدود، ولكن هذا التكتيك لم يثبت فعاليته، إلا جزئياً. تضرر حوالي ٢٠٥ بيتاً، و١٤ مبنى عاما، و٤٥مركبة، وأصيب ١٦ شخصاً بجروح، وقتل اثنان.

كتيبتان سوريتان هما اللتان كانتا تطلقان هذه الحمم من القذائف -الكتيبة ١٢٤ والكتيبة ١٦٨- من مدافع عيار ١٣٠ مم، بالاضافة إلى أربع سرايا مدفعية هاون ثقيلة وأسلحة مضادة للدرع. قال الكابتن إبراهيم أكتوم (Ibrahim AKTUM)، ضابط المراقبة في اللواء الحادي عشر المتمركز على تل العزيزيات: «يبدو أن العدو يعاني من خسائر فادحة، ويقوم بالتراجع «أمّا وزير الدفاع السوري، الأسد، فقد أعلن أنه» في هذه الساعة التاريخية الحاسمة بدأت قواتنا بقصف مواقع العدو على طول الجبهة. وما هذه إلا الطلقات الأولى في حرب التحرير».

بعد الغارات الجوية المعادية في اليوم السابق، استعادت سوريا الثقة بنفسها لعدم رد إسرائيل على القصف. وحوالي منتصف الليل، تلقت القيادة العامة اتصالاً لاسلكياً سرياً للغاية من القيادة العامة في القاهرة يقول: «قواتنا تقوم بضرب إسرائيل وجيشها بعنف. ولقد دمرنا أكثرية الطيران الإسرائيلي وجيشنا الآن يتقدم نحو تل أبيب... أخبرونا في الحال عن الوضع في الجبهة الشمالية وعن حالة العدو». سارع سويداني إلى عقد اجتماع لهيئة الأركان وأمر بتنفيذ «عملية نصر»- الهادفة إلى احتلال شمال إسرائيل.

تقرر أن يبدأ الهجوم باندفاع تضليلي إلى طرف وادي الحولة، ثم يتبعه غزو رئيسي في الجنوب بمحاذاة بحيرة الجليل بثلاثة ألوية كاملة.

بدأ الهجوم التضليلي في الساعة السابعة عندما نزلت قوات من كتيبة المشاة الـ٢٣٤ بصحبة سريتين من دبابات T-٣٤ من بانياس باتجاه كيبوتز دان. لم يشاهد أي مستوطن في الكيبوتز الأمر الذي جعل السوريين يعتقدون أن الإسرائيليين قد هجروها. والواقع أنهم كانوا في ملاجئ مضادة للقنابل، وعندما سمعت أصوات صفارات الإنذار هرعوا للدفاع عن محيط المستوطنة. قال أعضاء الكيبوتز، ذُكر في السجل باسم (يوسي) (Yossi) واصفاً ما حدث: «خرجت، وفجأة رأيت ست دبابات تتجه نحونا وهي تطلق علينا مباشرة قنابل متفجرة، ودخان وفوسفور كإشارة لهجوم المشاة... سمعت صيحات ورأيت ٧٠ جندياً مصطفين ويطلقون النار من مسافة ٣٥٠ متراً... فأطلقت مسدداً عليهم مباشرة ورأيت كيف أخذوا يتساقطون».



جرت محاولات أخرى للهجوم على أهداف إسرائيلية أخرى على تل دان (Tel Dan) وحصن جيش الدفاع في أشمورا(Ashmora) أسفرت كل منها عن نتائج متطابقة. دُمرت سبع دبابات، وقتل عشرون جندياً. كما فقد الكولونيل إسحاق هالفون(Yitzhak Halfon) حياته أيضاً. (٢٤)

صدت هذه المحاولات ولم يحقق الاندفاع السوري أهدافه إذ فشل قادة ثلاثة ألوية في الوصول إلى موقع الانطلاق الإسرائيلي لجهلهم بطبيعة الأرض. إذ وجدوا الجسور المقامة على نهر الأردن ضيقة جداً بحيث لا تتسع للدبابات السوفياتية العريضة، وكانت الدبابات تفتقر إلى أجهزة اتصال بالمشاة. وهناك وحدات أخرى ظلت، ببساطة، في معسكراتها قرب القنيطرة متجاهلين الأوامر التي صدرت إليهم بالتحرك. أقنع فشل هذا الهجوم دمشق بعدم متابعة عملية نصر. وتلاشت أية شكوك بإمكان متابعتها، ظلت تراود أذهان البعض إثر شروع الطيران الإسرائيلي والمدفعية الإسرائيلية بقصف مواقع السوريين. كان الوضع على الجبهة السورية سيئاً، كما جاء في تقرير عسكري داخلي يقول: «لم تتابع قواتنا الهجوم إما لأنهم لم يصلوا، أو لأنهم لم يكونوا مُهيئين تماماً، أو لأنهم لم يجدوا ملاذاً من طائرات العدو؛ ولم تستطع قوات الاحتياط الصمود ضد الهجمات الجوية، فتبعثروا بعد أن تحطمت معنوياتهم. وبحلول مساء يوم السادس من يونيو، كان قسماً كبيراً من الجنود الاحتياطيين هؤلاء يعودون إلى قواعدهم كيفياً».

وبعدئذ، لدى قول السوريين بأنهم «كانوا يتعرضون لأقسى الظروف - قصف جوي متواصل بكل أنواع المتفجرات بما فيها النابالم، وأن خسائرهم بلغت ٢٠٪» «قرروا إحياء الخطة الدفاعية «عملية الحرب المقدسة». لم يردعهم هذا القرار عن القيام بهجوم افتراضي. إذ ادعى راديو دمشق أن مستوطنة شعار ييشوف (Shaar Yishuv) قد احتلت (إنها لم تهاجم قط) وأن خمس طائرات إسرائيلية قد أُسقطت، وأن اليهود كانوا يهربون إلى حيفا. كما أنهم لم يحيطوا المصريين

بالحقيقة أبداً. بل أبرقت القيادة العامة إلى القاهرة تقول: «تقوم قواتنا باحتلال وادي الحولة والتقدم بسرعة نحو مستوطنة روشيبنا وصفد. وفي آخر النهار سنكون حتماً في الناصرة». (٢٥)

في هذه الأثناء تصاعد قصف المستوطنات الإسرائيلية محققاً مستويات متنوعة من الإصابات المميتة خلال اليوم. لم يحدث ذلك أي انطباع لدى رابين، معتبراً ذلك القصف وتلك المحاولات الهجومية أنها جرت لدحض الزعم الذي أخذ ينتشر في العالم العربي «بأن السوريين سيقاتلون لآخر جندي مصري». ووافق على عدد من العمليات الصغيرة لاحتلال المناطق المنزوعة السلاح ومنابع بانياس وأخذ أسرى حرب ليجري تبادلهم فيما بعد بطيارين إسرائيلين أسقطوا فوق سوريا. ومع ذلك ظلت أولويات جيش الدفاع الإسرائيلي في الضفة الغربية، وليس في الجولان. كما قال رابين في ختام كلامه.

لم تكن هذه النتيجة التي اختتم بها رابين كلامه تعجب ديفيد إلعازار (David El-azar) رئيس القيادة الشمالية، الذي ولد في ساراجيفو حيث كان وبارليف أصدقاء طفولة، وانتقل إلى فلسطين وهو في السادس عشر من عمره، وجعل من الجيش موطناً له. وبما أن «دادو (Dado)» -هكذا كانوا يسمونه- كان قائد فيلق مدرع في العام ١٩٥٦، اكتسب شهرة بالشجاعة والعدوانية. كما اكتسب محبة المستوطنين الإسرائيليين في جميع أنحاء الشمال، وبتبادله تلك المشاعر الدافئة معهم كان يسعى دائماً لحمايتهم بصورة دائمة من السوريين.

كان قصف الجليل والهجوم على كيبوتزدان، في نظر دادو مجرد تمهيد لهجوم أوسع وأعنف. ورغم أن كثيراً من وحداته كانت مشغولة في الضفة الغربية كان يشعر بأن لديه من القوات ما يكفي لاحتلال شمال الجولان على الأقل. كان اليعازر قد حدد هجومه في صبيحة يوم الثامن من يونيو -لأن النشرة الجوية تنبأت بسماء ضبابية يوم السابع من يونيو، الأمر الذي يربك الطيران- وكان متأكداً من موافقة الحكومة على خطته. (٢٦)

وبينما كان دادو يخطط، كان دايان مازال يعارض القتال على جبهة ثالثة مجازفاً باستفزاز السوفيات. أكد رابين على ضرورة إسكات المدافع التي تقصف المستوطنات اليهودية واحتلال منابع الأردن. وأصر مئير أميت على أن الأمريكيين سيدعمون الحملة. إلا أن وزير الدفاع ظل ثابتاً على موقفه لا يهزه شيء، فلم يحصل اليعازر وعملية «المطرقة» على أي ضوء أخضر.

لم يكن اعتدال دايان تجاه سوريا ينسحب على الأردن. إذ غضب بسبب رفض الحسين عروض إسرائيل المبكرة للحفاظ على الهدوء، ونفذ صبره من طلبات الملك حسين الأخيرة لوقف إطلاق نار ضمني. فقال لرابين: «لنضع نهاية، أولاً، للعمل الذي فرضته علينا، ثم نرسل له الرد المناسب». والعمل الذي كان في ذهن دايان هو احتلال مرتفعات الضفة الغربية المطلة على وادي الأردن، ونزول عناصر جيش الدفاع الإسرائيلي إلى أريحا ومعابر نهر الأردن عند إنجاز تدمير مدرعات العدو.

بيد أن دايان ظل يشير بضبط النفس والإحجام فيما يتعلق بالقدس فقط، رافضاً كل الاقتراحات التي تنصح باحتلال المدينة القديمة.

ولسوف يكرر موقفه ظهيرة ذلك اليوم عندما ينضم ووايزمن إلى ناركيس أثناء زيارتهما إلى جبل المكبر المحرر حديثاً. قال دايان: «ياله من منظر إلهي» وهو يتمتع بالمشهد المذهل للمدينة القديمة بقبابها الذهبية وأبراج كنائسها. بيد أن ناركيس التواق للحصول على إذن باختراق تلك الأسوار، لم يكن ذا مزاج بمشاهدة المناظر.

ولدى تذكره كيف أن الجنرال الروماني تيتوس (Titus) قد حاول تدمير العلاقة اليهودية بالقدس ولكنه فشل، طلب إذناً فورياً لاحتلال المدينة القديمة. فكان جواب دايان: «لا تحت أية ظروف». يستطيع الجيش زرع محيط المدينة بالألغام، ومحاصرتها ودفعها إلى الاستسلام من تلقاء نفسها: أما اختراق الأسوار فربما يطلق شرارة رد فعل عالمي سلبي لا تستطيع إسرائيل تحمله. وقال دايان: «لا أريد شيئاً من ذلك الفاتيكان». (٢٧)

لم يكن التلميح إلى روما غير مقصود، إذ كان قد وصل إلى إسرائيل اقتراح بابوي مفاده إعلان القدس مدينة مفتوحة لا تنتهك حرمتها بأي هجوم من الطرفين. وسرعان ما باركت واشنطن الخطة التي شرعت تمارس ضغطاً على الإسرائيليين لقبول وقف إطلاق نار مع الأردن والإحجام عن دخول المدينة القديمة. فدخول المدينة القديمة الآن لا يعني فقط إغضاب المسيحيين في جميع أنحاء العالم، بل استعداء الأمريكيين كذلك.

ولكن محاصرة المدينة القديمة يمنح الحكومة أمراً واقعاً. كيف لا يحاول الجنود اليهود المنتصرون المتحلقون على بعد أمتار حول أقدس موقع وصلوا إليه؟ طرح هذا السؤال في لجنة الدفاع الوزارية عندما التأم اجتماعها التالي في الساعة الثانية من مساء ذلك اليوم.

توصل إشكول، بعد تردد كثير، إلى جواب. تقوم القوات الإسرائيلية باحتلال المدينة القديمة وتجمع الحكومة زعماء الكنائس كلها وتضمن لهم احترام مقدساتهم. وحذّر بيغن، مذكّراً بالجهود المبذولة في الأمم المتحدة للتوصل إلى وقف إطلاق نار من احتمال بقائهم خارج الأسوار كما حصل في العام ١٩٤٨. واقترح أن يسير قادة البلد العسكريون والمدنيون إلى الجدار الغربي وأن يُصلوا من أجل حرمة المدينة وقدسيتها. ووافق بيغال ألون. احتلوا المدينة ولْتقمِ الصلاة مع احتلالها. أما فكرة حاييم شابيرا فكانت أن تتوجه إسرائيل إلى زعماء المسيحيين والمسلمين لإقناع الملك حسين بهدوء تسليم المدينة وتوفير مزيد من إراقة الدماء. كانت ردود فعل معظم الوزراء متشائمة: فغاليلي (Galili)، مثلاً، طالب باحتلال المدينة على الفور، وبدون جعجعة، قبل أن يصل ضغط الأمم المتحدة إلى ذروته.

ومع ذلك كله، ظلت كلمة دايان هي الكلمة الفصل، على ما يبدو، ومازال دايان معارضاً لدخول المدينة القديمة. وعلل معارضته بأنه طالما يسيطر جيش الدفاع الإسرائيلي على المنطقة عسكرياً، فإنه يمكن الانتظار حتى يحسم القتال في سيناء

نهائياً قبل إلزام نفسه بمعركة مدن أخرى. وفي لقاء خاص بين وزير الدفاع وبيغن، أضاف الأول تعليلاً آخر: ينبغي ألا تحتل إسرائيل الأماكن المقدسة لتتخلى عنها فيما بعد تحت تهديد فرض مقاطعات دولية على إسرائيل. ولدى قسمه أمام إشكول ألا يجيز أي هجوم غير ضروري، استطاع دايان أن يكبح النشاط الإسرائيلي أكثر من ذي قبل. ومع ذلك ظل تفكيره في القدس وفي معارك أخرى لغزاً. كما قال أحد ضباط جيش الدفاع الكبار إلى دبلوماسي أمريكي بلهجة لا تخلو من المزاح: «سوف يغمض دان عينه عن أية محاولة لاعتراض مسار الأحداث ومقاطعته».

المعركة من أجل وقف إطلاق النار:

هل تحتل المدينة القديمة، أو مهاجمة سوريا، أو احتلال شرم الشيخ على الفور أم الانتظار يوماً آخر - كل مثل هذه الأسئلة كانت خاضعة لعامل الزمن الهام. إذ فهم الإسرائيليون أن الحرب لن تحسم في ميدان المعركة بل في واشنطن ونيويورك على بعد ستة آلاف ميل.

هذا الفهم هو الذي كان يكمن وراء رحيل أبا إيبان مبكراً صبيحة ذلك اليوم من تل أبيب في مهمة إحباط تبني الأمم المتحدة قراراً بوقف القتال. كان إيبان يحمل إلى المجلس خطة سلام شامل، واثقاً أن العرب سيرفضونها، وبذلك يمنح إسرائيل ساعات إضافية، إن لم يكن أياماً، من القتال. ولكن إيبان كان ينظر إلى ما بعد نهاية الحرب، إلى فترة الدبلوماسية المكثفة التي ستتلو الحرب بالتأكيد. كان مصمماً على تلافي ما أسماه (كابوس) و(الصدمة السياسية) في العام ١٩٥٦حيث أجبرت إسرائيل المنتصرة على التخلي عن مكاسبها دون فرض السلام. «فها نحن نخترق دائرة العدوان العربية المغلقة ثانية، وها هي خطط تطرح كذلك ليروا أن عنقنا قد أعيدت إلى... حبل المشنقة».

كان إشكول، مع ذلك، متردداً. ففي حين أنه كان يأمل، أيضاً، في أن يغير النصر العسكري بيئة العلاقات العربية - الإسرائيلية القائمة منذ العام ١٩٤٨، فقد وجد أن ذكر السلام في هذه المرحلة يعد مجازفة كذلك. زوَّد الدكتور

ياكوف هيرتزوغ (Yaakov Hertzog) سكرتير مجلس الوزراء إيبان بتعليمات مفادها: نطلب منك ألاّ تطرح خططاً دبلوماسية أو اقتراحات سلام في هذه المرحلة. بل علينا إنجاز الطور العسكري، والترويج لاتجاهات دبلوماسية بعيدة المنال، إنما فقط يزيد الضغط من أجل إيقاف تقدم قواتنا. فضلاً عن تقديم اقتراحات كهذه إلى الأمم المتحدة يجعلنا عرضة لإعاقة فرص تحقيق مثل هذه الاقتراحات عن طريق الاتصالات المباشرة في الميدان... أو عبر أية قناة ثنائية يمكن أن تفتح أثناء المحادثات». (٢٩)

انطلق إيبان في رحلته المتعرجة، بعد أن قضى يومين لم يذق فيهما طعم النوم. فأولاً، نجا بأعجوبة من قنبلة متشظية أردنية عبرت المرج الأمامي لبيته، ثم تأخر وصوله إلى طائرته المحلية ذات المحركين بضع ساعات بسبب حركة مرور عسكرية: أما بقية الأمور فقد حشدت كلها. حلقت طائرته على ارتفاع منخفض لتتفادى رادار العدو، وحطت في أثينا، ثم أخذ يبحث عن خط طيران لمتابعة رحلته. ثم توقف مرَّة أخرى في أمستردام قبل أن يحط وزير الخارجية المنهك أخيراً في نيويورك. لم يسترح، بل ذهب فوراً إلى مجلس الأمن.

كان جدعون رفائيل ينتظره بقلق. فقد قضى السفير الإسرائيلي هذه الأربع والعشرين ساعة المنصرمة يناضل بمشقة ضد صدور قرار بوقف إطلاق النار، خصوصاً، صدور قرار يعيد الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل الحرب دون إنهاء حالة الحرب. فقد كتب إلى أرثر غولد بيرغ (Arthur Goldberg) يقول: «يجب ألا يجني ناصر نصراً سياسياً من هزيمة عسكرية فهذا الأمر حيوي ليس لإسرائيل فحسب، بل لوضع الغرب في الشرق الأوسط». ألحَّ إيبان، لدى وصوله، على ألاَّ يتضمن القرار أية إشارة إلى نظام الهدنة، وتحدث مطولاً عن الضرر الذي تسببه مثل هذه الإشارة إلى جهود السلام المقبلة». فرد غولد بيرغ بعد أن سنحت له فرصة الكلام أخيراً، مطمئناً إياه بقوله: «أبًا... لا تقلق. لقد انتهى الأمر، مشروع القرار وكل شيء... أرسل جدعون: سأعطيه مسودة مشروع القرار».



لم يكن لدى إيبان وقت لتدقيق النص. إذ استدعي بعد لحظات ليخاطب المجلس حيث قرأ من ملاحظات بخط يده كتبها وهو في طريق السفر، ومع ذلك كانت كلمة بارعة.

مبتدئاً بالإعلان عن أن إسرائيل «قد اجتازت الخطر إلى المقاومة الناجحة المجيدة» تابع إيبان بسرد تأريخي لأصول الأزمة، بدءاً من إعادة عسكرة سيناء إلى إخراج قوات الطوارئ الدولية، وإغلاق ناصر لمضائق تيران. ووصف إسرائيل وصفاً مجازياً مشيراً إلى الحصار، بقوله: «إسرائيل... تتنفس الآن برئة واحدة فقط». وأشار إلى قوات الطوارئ الدولية واصفاً إياها بـ «المظلة التي طويت عندما بدأت السماء تمطر». كما كانت إشاراته درامية، إذ وجه إلى كل سفير موجود ناظراً إليهم فرداً فرداً، القول: «انظر حول هذه المائدة وتخيل قوة أجنبية تغلق بالقوة نيويورك أو مونتريال أو بوسطن أو مرسيليا أو طولون أو كوبنهاغن، أوريو، أو طوكيو أو ميناء بومباي. فكيف يكون رد حكومتك؟ ماذا ستفعل؟ كم ستنتظر؟». وأخيراً، أظهر بوضوح «غريزة إسرائيل السلمية» متجاهلاً نصيحة هيرتزوغ، ودعا إلى خطة سلام شاملة للشرق الأوسط قائلاً: «دعونا نبني نظاماً جديداً من العلاقات من حطام الماضي!! فلْنر عبر الظلام مشهداً لفجر أكثر سطوعاً ولطفاً». (٣٠)

مهما كانت المخاطر التي ولدها إيبان بتجاوزه التعليمات للمرة الأولى، فإن عبقريته وبراعته في الخطابة قد عادلتها، بل أكثر. إذ أخذت الإذاعات في كل أنحاء العالم، وفي مقدمتها نيويورك تايمز، تحيي براعته في الإمساك بزمام الكلمة، وامتدحت صحيفة شيكاغو تريبيون خطابه بوصفه «كأحد الخطابات الدبلوماسية العظيمة على مرّ العصور». أحدث إيبان في الرأي العام تأثيراً عميقاً. وكان ذلك لصالح إسرائيل. إذ كان من بين ال ١٧٤٤٥ رسالة التي تلقاها البيت الأبيض خلال الثماني والأربعين ساعة الأولى من الحرب ٩٦٪ تؤيد إسرائيل، و٣٪ حيادية و١٪ فقط تدعم العرب. وأظهر استطلاع لهاريس (Harris) أن أكثر من نصف الأمريكيين كانوا يعتقدون أن السوفيات هم مهندسو حرب الشرق الأوسط بتعزيز الموقف الشيوعي في فيتنام. حتى الصحافة التي كانت عادلة ومنصفة في الشرق الأوسط، أخذت لا تخفي نشوتها للتقدم الذي أحرزته إسرائيل.

لم تفت هذه التطورات ليندن جونسون الحساس تماماً للعواطف العامة. تابع الرئيس، وهو محتجب في غرفة المكتب حيث قدمت له زوجته ليدي بيرد (Lady Bird) طعام الإفطار بصحبة راسك ومكنمارا والأخوين رستو تفحص مجريات الحرب. فقد كان مستاء جداً من دور السوفيات في الأزمة ومن كذبة العرب الكبرى. لقد شغلت موجة التأييد لإسرائيل العارمة في طول الولايات المتحدة وعرضها جونسون نفسه، كما شغلته متطلبات سنة الانتخابات القادمة.

كان يميل إلى السماح لإسرائيل بالاحتفاظ بما احتلته في سيناء على الأقل. واستخدامه كورقة مساومة في المفاوضات المستقبلية. فأكد راسك بوضوح قائلاً: «لا نستطيع أن نجعل إسرائيل تقبل تسوية ضئيلة». وأضاف وولت روستو توضيحاً أدق بتساؤله: «عما إذا كانت تسوية هذه الحرب ستكون على أساس اتفاقات الهدنة التي تترك العرب في وضعية العداء تجاه إسرائيل، جاعلين القضية الإسرائيلية حية في حياتهم السياسية كقوة موحِّدة لهم، وتتيح الفرصة لتكون للسوفيات يد في العالم العربي؛ أو فيما إذا كانت التسوية على أساس قبول إسرائيل كدولة شرق أوسطية لها حقوق المرور في القناة وفي مضائق تيران».

كان الإسرائيليون سهلي الانقياد بالطبع؛ ففي رسالة سرية أرسلت عبر القاضي شمعون أغرانات (Shimon Agranat) رئيس المحكمة الإسرائيلية العليا، إلى غولد بيرغ، ومن غولد بيرغ إلى جونسون، أكد فيها إشكول للرئيس جونسون أنه يتفهم الصعوبات التي تواجهها أمريكا في فك حصار تيران، وإزالة التهديد الذي يتعرض له أمن إسرائيل. وطلب فيها فقط من أمريكا أن تساعد عل تأخير إصدار قرار من مجلس الأمن بوقف القتال، وأن تدعم مطالبة إسرائيل بتحقيق السلام مقابل إخلاء الأراضي العربية المحتلة، والأكثر حسماً، ردع السوفيات عن التدخل. وكتب إشكول يقول، في ما عدا ذلك: «نحن مستعدون للتعامل مع الأمر بأنفسنا».



كانت الإدارة مستعدة - على ما يبدو - لقبول الطلب الإسرائيلي، كما كان يعتقد المسؤولون الإسرائيليون. إلا أن بن غوريون، اعتماداً على مصادره الخاصة في الحكومة، استنتج أن «إيبان لم يوصل رسالة جونسون بدقة. إن أمريكا تريد إنهاء ناصر بسرعة». (٣١)

ولكن، إذا كان جونسون راغباً في جعل إسرائيل تكسب الحرب، فإنه كان أيضاً تواقاً لتخفيف ما يمكن أن يلحق بمصالح أمريكا في الشرق الأوسط من ضرر إلى أدنى حد، ولتفادي صدام مع الاتحاد السوفياتي. فأبرق الرئيس إلى كوسيغن في الساعة ١٠,٠٣ صباحاً يحث السوفيات على رفض اتهام ناصر للولايات المتحدة بالتواطؤ مع إسرائيل ومذكراً إياه بالتزام أمريكا بحرية الملاحة في المضائق، وساعياً إلى تعاون السوفيات مع أمريكا في مجلس الأمن، قائلاً: «ما زلنا نعتقد أن القتال في الشرق الأدنى يجب أن يتوقف بأسرع ما يمكن». وطلب من كوسيغن، بوجه خاص، أن يدعم قراراً بوقف القتال يدعو جميع القوات إلى الانسحاب إلى ما وراء خطوط الهدنة، دون الانتقاص من حقوق أي طرف أو مطالبه أو موقفه، ويدعو إلى إنهاء استخدام القوة مهما كانت طبيعتها.

لم يصل جواب من كوسيغن، في حين كانت الجهود للتوصل إلى قرار بوقف القتال مجمدة. قال غولد بيرغ بعبارات واضحة: إن المشروع الأمريكي يهدف إلى إنهاء الحصار والبدء في مباحثات مباشرة حول فصل القوات وإجراء «تعديلات إقليمية». لن يكون الإسرائيليون الذين كانوا يسعون إلى مقايضة مكاسبهم باعتراف عربي بإسرائيل وعقد سلام معها، سعداء بمثل هذا القرار، كما أوضح غولد بيرغ، بيد أن واشنطن ستدعمه إن دعمته موسكو، واختتم قوله: «إنها لصفقة كاملة، تؤخذ كلها أو تترك كلها». وبرغم كلام فيديرينكو الطنان كله ضد أمريكا، فإنه كان مغرماً بغولد بيرغ. وصفه بأنه «يهودي ماكر يستطيع خداع الشيطان نفسه» وكان معجباً بإبداعيته. بيد أن المشروع الأمريكي قد ذهب إلى أبعد من شروط الروس التي مازالت تربط وقف القتال بانسحاب فوري غير مشروط. ومع ذلك، تلقى السفير

السوفياتي فيما بعد ذلك اليوم هاتفاً استثنائياً من نائب وزير الخارجية، سيميونوف (Semyonov) في موسكو. أعطى سيميونوف باسم غروميكو تعليمات إلى فيديرينكو ليقبل وقف إطلاق بسيط، حتى دون انسحاب، «عليك أن تفعل ذلك حتى ولو لم توافق الدول العربية، أكرر، حتى لو لم توافق الدول العربية».

صدم المسؤولون الأمريكيون بهذا التحول المفاجئ في سياسة السوفيات، وتساءلوا هل تجاوز فيديرينكو تعليماته، أم أن الاتصالات بينه وبين موسكو قد انهارت. وتعمقت الفوضى بتلقي مكالمة على الخط الساخن من كوسيغن - بعد ثماني ساعات من تلقي المكالمة الأخيرة - يؤيد دعمه لوقف القتال بالإضافة إلى الانسحاب. بدأ جدال في البيت الأبيض حول ما إذا كانوا سيستجيبون إلى موقف فيديرينكو أم إلى موقف كوسيغن. أجاب جونسون أخيراً، «مازال سفيرانا في مجلس الأمن يجريان مشاورات مكثفة طوال النهار، ونعلم أن سفيرينا قد وافقا على قرار قصير جداً يدعو إلى وقف القتال كخطوة أولى».

ابتهج الأمريكيون بهذا التطور، ولكن الإسرائيليين لم يبتهجووا به كما توقع غولد بيرغ. فقد وافقوا متشككين على ادعاء غولد بيرغ بأن الانسحاب سوف يستغرق «أربعة شهور على الأقل» تاركين فرصة واسعة للدبلوماسية، ولكنهم كانوا ينزعجون لمجرد ذكر الهدنة. ورغم ادعائهم بأنهم يخوضون حرباً دفاعية، فهم لا يستطيعون رفض وقف إطلاق النار بدعوى أنهم يريدون مزيداً من الأرض ليقايضوا عليها. كان ذلك المأزق مختفياً وراء الحيوية التي أظهرها إيبان بقوله أمام مجلس الأمن : «إننا نرحب، ونحبذ، وندعم وقف إطلاق النار».

وبعد سبع دقائق، في الساعة ٤.٣٠ بعد الظهر، صدر القرار. وسوف يسري وقف القتال بموجبه الساعة العاشرة بتوقيت غرينتش. لم يضع جونسون وقته، إذ ظهر على الفور في تلفزيون وطني ليعلن: «الخطوة الضرورية الأولى... باتجاه ما نأمل أن يكون زمناً جديداً من السلام المستقر والتقدم لكل شعوب الشرق الأوسط». (٣٢)



بيد أن ظهور جونسون كان سابقاً لأوانه: إذ لم يسجل المندوبون العرب ردود فعلهم بعد. وأول من أبدى رد فعله من السفراء هو الدكتور محمود الفرا، الأردني، المولود في خان يونس، السياسي الذي تلقى علومه في أمريكا، ورفض ذات يوم منصب سكرتير الأمم المتحدة كيلا يضطر لمصافحة إسرائيلي. تلقى الفرا قبل قليل هاتفاً من أحمد طوقان، وزير خارجيته، أخبره بمدى الهزيمة التي حلت بالأردن. وأكد ذلك يوتانت الذي ما زال يتألم بسبب عار قراره بشأن قوات الطوارئ الدولية، وظل غائباً عن الأنظار منذ نشوب الحرب كيلا يلفت إليه الانتباه، إذ قال: «الصورة، يا صديقي مظلمة كئيبة». فانفجر الفرا باكياً. وتضاعفت صدمته الآن عندما نهض ليعلن قبوله وقف القتال.

كانت مفاتيح إنهاء القتال والحفاظ على الجيش المصري، ومدينة القدس القديمة وبقية الضفة الغربية، في يد محمد القوني. في بداية المناقشة اقترب غولد بيرغ من المندوب المصري وأخبره بأن سلاح ناصر الجوي قد دُمّر، وأن قواته أخذت تهرب. ووعده بأن يعمل على تحقيق انسحاب إسرائيل، شريطة أن تدعم مصر قرار وقف القتال. فذهل القوني، واستعلم عن الحقيقة من القاهرة، فتلقى معلومات صريحة. كان القوني سيرفض أي قرار لا يأمر بانسحاب القوات الإسرائيلية انسحاباً غير مشروط. فأي مشروع قرار يفتقر إلى هذا الشرط لا يقبل، كما شرح وزير الخارجية، رياض، مضيفاً - دون سخرية، على ما يبدو - بأن «القوات الإسرائيلية في سيناء قد اختلطت بالقوات المصرية، ولا توجد قوات طوارئ تابعة للأمم المتحدة لتقرر وضع أي من الفريقين». وهكذا أخذ القوني الميكرفون وأعلن رفضه لتسوية غولد بيرغ - فيديرينكو، وأدان تآمر الولايات المتحدة وبريطانيا في العدوان. ثم تلاه على الفور جورج طعمة - البعثي الراديكالي، القصير الثخين، ذو النظارات - مؤكداً وحدة سوريا مع موقف مصر، ثم السفير العراقي، عدنان الباجچي (Adnad Pachachi) الذي استنكر القرار بوصفه «استسلاماً لإسرائيل».

لقد أحبطت جهود غولد بيرغ. نفى الكذبة الكبرى وعرض أن يفتح الأسطول السادس لمراقبي الأمم المتحدة، وقام بآخر محاولة قبل أن يفوت الآوان لتوطيد آلية لتطبيق وقف القتال. ولكن هذه محاولة لم تصمد، وأحبطت أيضاً، وانفض المجلس في النهاية. ولم ينعقد لمدة ٢٤ ساعة. (٢٣)

اليوم الثاني: حل العقدة

لم تأسف تل أبيب على ولادة أول قرار بوقف إطلاق النار في نيويورك ميتاً. قال رابين: «أخذ عبد الناصر يتصرف كحليف لنا أكثر مما هو عدو». وعندما وصل مجلس الأمن إلى طريق مسدود، أكمل جيش الدفاع الإسرائيلي استعداداته لعملية نخشون٢ (Nachon2) وهي الطور الثاني من الحرب.

ظلت الخطة تولي الجبهة المصرية أولوية من أجل إبادة جيش ناصر والاستيلاء على ممري الجدي ومتلا. كما أولي شرم الشيخ اهتماماً خاصاً حيث بقي حجم القوة المصرية غير معلوم بالضبط. أجاز دايان ورابين عملية «أضواء-بالعبرية يوريم» المتضمنة سبراً بحرياً للمنطقة، وهجوماً مظلياً يأتي من البحر الأحمر أو من ساحل خليج السويس. وفي غزة تمّت الموافقة على إنشاء حكومة عسكرية كاملة مسؤولة عن منع السلب والنهب واستعادة الحياة الطبيعية. ولكن جميع العمليات على الجبهة السورية قد أرجئت ثانية، حيث كانت مهمة الجيش سد الطريق على أية غزوات معادية أخرى، بالإضافة إلى الاستيلاء على أراض محدودة. وإذا ما دخل لبنان الحرب - فقد قامت بالفعل طائرتا هوكر لبنانيتان بقصف مواقع في الجليل بعد ظهر ذلك اليوم، أسقطت إحداهما - فإنه يسمح لجيش الدفاع الإسرائيلي بعبور الحدود واحتلال أراض حتى نهر الليطاني، وأخيراً، ربما تقبل إسرائيل استسلام المدينة القديمة، ولكنها لم تفعل شيئاً حتى ذلك الوقت لإجبارها على الاستسلام. وسوف يعين حكام عسكريون في هذه الأثناء لإدارة المدن الكبرى في الضفة الغربية حيث يُحترم السكان العرب. أما فيما يتعلق بالسكان الذين يريدون الهرب إلى الأردن، فإن إسرائيل لن تقف في طريقهم، كما قال دايان.



كان مستقبل الضفة الغربية، وغزة، والقدس هو شغل مجلس الوزراء الشاغل عندما اجتمع تلك الليلة في مكتب رئيس الوزراء. وبعد الاستماع إلى تقرير بارليف عن مجريات الحرب في الساعات الأربعين الأولى، أدرج القادة الإسرائيليون القضايا التي سيطرحونها عندما تنتهي الحرب، ومن بينها: مصادر المياه، والمناطق المنزوعة السلاح، ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين. رفع أبي هارمان (Abe Harman) من واشنطن اقتراحاً بإنشاء دولة فلسطينية في الضفة الغربية، متحدة فيدرالياً مع إسرائيل، وإرسال وحدات رمزية من الفلسطينيين غير المعادين لإسرائيل للقتال على الجبهتين المصرية والسورية. كان إشكول مهتماً أكثر بأن يعامل المدنيون وأسرى الحرب معاملة إنسانية، رغم أن فكرة التسوية قد لمعت في ذهنه أيضاً. فحث الوزراء على ضرورة دراسة تعريفات جديدة للمفهومات الدبلوماسية والاستراتيجية، قائلاً: «يجب أن نبتكر برنامجاً يؤمن مكانة إسرائيل المناسبة في الشرق الأوسط ضمن سياق سلام دائم وحدود آمنة». (٣٤)

على بعد ثلاثين ميلاً، وصلت رسالة إلى مقر القيادة في عمان. كانت الساعة تشير إلى ١١.١٥، أي بعد أكثر من عشر ساعات على طلب الحسين توجيهات من ناصر، فلم يتلق الجواب إلاّ الآن. افتتح ناصر رسالته على النحو التالي: «أخي العزيز الملك حسين. لقد وجدنا أنفسنا وجهاً لوجه مع أحرج اللحظات التي تواجهها الأمم أحياناً ويطلب منها التحمل والصبر... نحن مدركون تماماً لوضعك الصعب: ففي هذه اللحظة بالذات جبهتنا تنهار كذلك. فبالأمس تلقى سلاحنا الجوي ضربة مميتة من العدو. ومنذئذ جردت قواتنا البرية من كل دعم جوي وأجبرت على الصمود في وجه قوى عظمى... وأظن أن خيارنا الوحيد الآن هو إخلاء الضفة الغربية للأردن الليلة، والأمل في أن يصدر مجلس الأمن أمراً بوقف القتال».

وهكذا، باختصار، اعترف ناصر أخيراً بما كان يعرفه الحسين، وهو أن سلاح الجو المصري لم يعد موجوداً وأن جيشه في تراجع تام. لقد تلقى إذناً بسحب الجيش الأردني إلى الضفة الشرقية دون الخوف من لوم مصر أو أنظمة راديكالية

أخرى. اكتسب الحسين مقابل الضفة الغربية والقدس شرعية. إذ اختتم عبد الناصر رسالته بقوله: «أود أن أعبر لك عن إعجابي بسلوكك البطولي وإرادتك القوية الباسلة، وبالشجاعة التي أبداها الشعب الأردني وجيشه. والسلام عليكم ورحمة الله».

ما زال هناك ما يستطيع الملك الصغير فعله. لقد أهمل الإسرائيليون طلبه لوقف قتال ضمني. فتقدمت قواتهم على الفور إلى بقية الضفة الغربية -عبر نابلس، وقلقيلية، وبيت لحم، والخليل - واستولت على المدينة القديمة وهبطت إلى وادي الأردن وأريحا.

ورغم أن العديد من وحدات الجيش كانت منهكة مرتبكة تماماً، كان لابد وأن يخوض بعض المعارك. وافق الحسين، المنهك المكتئب، تجاه هذه الحقائق التي لا يمكن إغفالها، على اقتراح رياض بإخلاء الضفة. وتلقى القادة الأردنيون في الساعة ١١.٣٠ أوامر بالتراجع، كل رجل بمفرده عبر نهر الأردن. وفي رسالة منمقة بعث بها الملك حسين إلى الرئيس العراقي «عارف» أثنى فيها على نفسه وعلى المعارك التي خاضتها قواته:

«دلتنا أحداث اليومين المنصرمين على أن الأخوّة العربية والتفاهم العربي والأخلاق الصافية التي عبرت عنها الرغبة في الجنة والتوق إليها-ستظل هذه القيم خالدة بمرور الزمن... امتزج دمنا في المروج الخضراء، وعلى الهضاب والجدران وفي قلب الأرض الطاهرة. (٣٥)

ثم بدأت الأحداث تتحول، على ما يبدو. ففي واشنطن تم الاتفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، في وقت سابق على التوقيت الأردني بسبع ساعات، على وقف القتال. وقبل الأردنيون والإسرائيليون القرار. وخلافاً للإسرائيليين الذين كانوا يعتمدون على رفض مصر لقرار وقف القتال لكي يتابعوا تقدمهم، اعتقد الحسين أن القرار يمكن أن ينقذه من الهزيمة. وعزز هذا الانطباع تقارير وردت من قادة الميدان -الغازي، والبريغادير تركي في نابلس- تطمئنه بأن وحداتهما مازالت تتمتع بالهمة العالية والنشاط وروح الصمود وأن الجيش مازال قادراً على القتال.

وهكذا في أقل من ساعتين بعد إصدار أمر الإخلاء، تهيأ الملك لإلغائه. سيدخل قرار وقف القتال حيز التنفيذ مع الفجر، وحتى ذلك الوقت، صدرت التعليمات لجميع الوحدات التي هربت إلى الضفة الشرقية بعبور النهر ثانية والثبات في مواقعهم غرب النهر. كما أمر لواء الأمير حسن بن طلال، المعزز بالفدائيين العراقيين، بالتمسك بالطرق المؤدية إلى جسري أريحا والأردن في حين يعاد تجميع بقايا اللواء الأربعين إلى الشرق من نابلس. فقد اعتقد الحسين أنه إذا ما كان بالإمكان الدفاع عن هذه المواقع لمدة أربع وعشرين ساعة فإن كثيراً من الضفة الغربية ومدينة القدس سيتم إنقاذها. (٣٦)



(الحرب: اليوم الثالث ٧ يونيو)

المعركة المصيرية للاستيلاء على القدس

مُزّق «الستار» المصري

تهديدات سوفياتية وجنون أمريكي

أخبر الملك الحسين عبد الناصر بقراره عدم إجلاء جيشه إلى الضفة الشرقية ببرقية قال فيها: «لقد أمرت كل جنودنا في الضفة الغربية لنهر الأردن وفي جميع الجبهات الأخرى أن يتمسكوا بمواقعهم ويصمدوا فيها. وبعون الله سيكون النصر حليفكم وحليفنا أيضاً». أما الرسالة التي بعثها لجنده فكانت لهجتها أكثر عدوانية، رجاهم فيها قائلاً: «اقتلوا العدو حيثما ثقفتموه بأسلحتهم، وأيديكم، وبأظافركم، وبأسنانكم». مذكراً إياهم بما يتناقض مع تلك اللهجة بأن يحترموا وقف إطلاق النار إن احترمته إسرائيل.

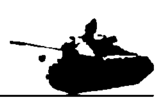
وصلت هذه التعليمات إلى عطا علي بعد الساعة ٢,٢٠ صبيحة يوم السابع من يونيو تماماً عندما كانت مكبرات الصوت الإسرائيلية من خارج المدينة القديمة تشجعه ورجاله على إلقاء سلاحهم والاستسلام. وكان القائد الأردني قد أعطى جنوده خيار البقاء في مواقعهم أو التراجع عن أي طريق ممكن. فقاد الميجر بادي عوض الذي نفذت ذخيرته ولم يبق معه من الوقود إلا قليلاً، سيارته الجيب صاعداً جبل الزيتون ومن هناك إلى أريحا عبر الصحراء. لم يكن غيره محظوظين مثله. فمثلاً قاد الليفتنانت غازي إسماعيل ربايعة رجال سريته المئة والعشرين تحت نيران العدو والجوع البائس، وجاب بهم من بيت إلى بيت طالباً إيواءهم، ولكنهم صُدوا. قال معلقاً على ذلك: «عندما تهزم لا يحترمك أحد».



انقضت أيام ثلاثة قبل أن ينجحوا في الوصول إلى البحر الميت ممزقي الثياب وقد هزلت أجسامهم جوعاً. (١)

فيما يتعلق بالملك حسين، لم يكن الوضع مهلكاً إلى هذا الحد عندما طلب من جيشه الصمود، في حين كان جيش مصر يولّي الأدبار. كان من المؤكد أن يغضب ناصر. فبعد أن أصدر الحسين تعليماته بوقت قصير تلقى برقية من القاهرة مضمونها: «استنتجت القيادة العليا لقواتنا المسلحة أن الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى، كانتا، دون أدنى شك، تساعدان إسرائيل». أجاب الملك على البرقية بصورة ملتوية غير مباشرة مؤكداً أنه لم يكن أمامه أي خيار سوى قبول وقف إطلاق النار ونسب قراره هذا إلى «الجبرية الشرقية (الإيمان بالقضاء والقدر). ومع ذلك لا يمكن إهمال الخطر القادم من مصر. فالمظاهرات الناصرية قد عمت شوارع عمان ، وكذلك المحتجون الذين يطالبون الأردن أن تتخلى عن اصطفافها مع الغرب، لتنحاز إلى الاتحاد السوفياتي. وأكثر مشكلة تؤدي إلى عدم الاستقرار هي هروب عشرات الآلاف من الفلسطينيين من غرب النهر إلى شرقه. فإذا ما أضيف عددهم إلى اللاجئين الفلسطينيين الساخطين منذ العام ١٩٤٨ - الذين يشكلون أكثرية الشعب الأردني- فإن هذه الموجة الجديدة من الفلسطينيين المشردين ستشكل تهديداً للحكم الهاشمي.

ومع ذلك، رغم خطورة التهديدات المصرية والفلسطينية المميتة للحسين، فإنها تبدو ضئيلة أمام تهديد إسرائيل له. فقد انطلق لواءا يوري رام، وموشي باركوخفا المدرعين قبيل الفجر من جنين باتجاه نابلس. ولدى تقدم دبابات رام من عرابة إلى طوباس لمهاجمة المدينة في اندفاع غير تقليدي نحو الشرق دمرت ٣٥ دبابة من دبابات الغازي وسدت عليه طريق التعزيزات. وفي حين كانت قوات المشاة ووحدات الاستطلاع قد أخذت تطارد الشاردين فوق جسر دامية -نجحت خمس دبابات في عبوره- واحتلت التشكيلات المدرعة سباسيطا (Sabastia) عاصمة السامرة القديمة. وكان بانتظار الإسرائيليين في نابلس ٢٥ دبابة، كل ما تبقى من الفرقة المدرعة الأربعين، فزودت بتعليمات التمسك بمواقعهم والثبات فيها. قال الكابتن



محمد الداروبي قائد إحدى السرايا متذكراً: «كنا على أتم الاستعداد والحذر للقاء العدو. شاهدنا في الساعة ٦.٣٠ رتلاً من دبابات العدو يقترب. وجاء رتل آخر عن طريق الشارع الرئيسي من عربه. فكانت لنا هدفاً رائعاً فأمطرناها بوابل من قذائفنا. ولكن إطلاقنا النار عليهم كشف مواقعنا، وأدركنا أنها أصبحت مسألة وقت حتى يظهر طيران العدو في الأجواء».

أما في داخل القدس، فلم تكف سوى قوات أردنية رمزية مصممة على مقاومة الهجوم الإسرائيلي المرتقب وشيكاً. لقد انسحب المدافعون عن المدينة القديمة كلهم ما خلا مائة، كما لم يبق في هضبة أوغستا فيكتوريا سوى عدد أقل من ذلك. ومن آخر من اعتقد بأن العرب قد خسروا المعركة هم وجهاء الفلسطينيين بزعامة رئيس بلدية القدس روحي الخطيب، وحاكم المنطقة أنور الخطيب. أما القدس الشرقية إيماناً بأن ناصراً لا يهزم، وأن إسرائيل ستهزم عما قريب لا محالة، فلم تزوّد نفسها بالمؤن للحرب. فلم تخزن مواد طبية للطوارئ، ولم تُنشئ ملاجئ للقذائف والقنابل. ومنذ أن بدأت الحرب أقنع المسؤولون الفلسطينيون أنفسهم بأن الطائرات المحلقة فوق رؤوسهم والدبابات الموجودة على جبل المكبر كانت أردنية، أو حتى عراقية.

وما إن أطلَّ صباح السابع من يونيو، وشوهدت نجمة داوود ترفرف فوق متحف روكفلر، وجنود عطا أيوب تتراجع، حتى لم يعد بإمكان الوجهاء إنكار الحقيقة. فالتمسوا الحسين أن يعلن القدس مدينة مفتوحة لحماية مقدسات المسلمين من الدمار. (٢)

لم يكن الحسين غير آبه بهذه الشؤون. بل العكس، بوصفه سليل أسرة خسرت مكانين من أقدس الأماكن الإسلامية -مكة والمدينة- للسعوديين، فقد كان مصمماً على الاحتفاظ بالمكان الثالث (الحرم القدسي). فحث الفلسطينيين على الثقة بالله وألا يفقدوا الأمل. فبالنسبة إليه، تخلى عن دعوته السابقة «بإنهاء العنف، حسب الوضع القائم» وعبر عن استعداده الآن لقبول وقف إطلاق نار رسمي. وما عليه إلا أن يقنع الإسرائيليين.

ناشد رئيس الوزراء الأردني، جمعة، الأمم المتحدة والسفير بيرنز لإقناع إسرائيل بالإحجام عن احتلال المدينة القديمة، وأن توقف تقدمها إلى نابلس، مضخماً خطورة الموقف، وما يمكن أن ينجم عنه: فالنظام الهاشمي برمته سينهار إن فشلوا في إيقاف إسرائيل. ولإثبات إخلاص الأردن أشار جمعة إلى تحدي الأردن اقتراح ناصر بالجلاء عن الضفة الغربية، ورفضه مزيداً من الدعم الجوي العراقي. كما حشد الجنرال خماش ضغطاً على بيرنز، وتوسل إليه أن يوقف «المذبحة التي لا معنى لها» وينقذ الملكية من الانهيار. فأبرق السفير الأمريكي هذه الرسائل على جناح السرعة، مشغوفة بتحذيرات من تقديره الشخصي لسلامة ١٢٠٠ مواطن أمريكي في الأردن، وخطر تدخل السوفيات إذا ما شددت إسرائيل هجومها. وأكد بيرنز حقيقة كون أن الوقت قصير جدا، وأن على الرئيس أن يكلم إشكول مباشرة.

وعندما بلغ الأمر إلى حد إجراء الاتصال، تردد البيت الأبيض، فإن ابتكار الكذبة الكبرى جعلت الإدارة الأمريكية حذرة من اقتراح أي تحرك عسكري على إسرائيل كيلا تبدو متواطئة فعلاً. فكان راسك راغباً على الأغلب في إيصال عرض الحسين بوقف إطلاق النار إلى تل أبيب وينصح حكومتها «بالاهتمام بمصالحها في العالم العربي». مذكراً إياها أن للحسين دائماً نفوذاً معتدلاً في المنطقة، والإطاحة به تولد مخاطر عديدة. (٣)

وصلت برقية راسك إلى القدس الساعة السابعة صباحاً، بعد ساعتين من النشاط المكثف، سياسياً وعسكرياً، بدأ عندما أخبر دايان رئيس الوزارة إشكول أن الجيش الأردني لم يعد يتراجع بل عاد إلى مواقعه السابقة. كان جنود الفيلق العربي يحاولون التمسك بمواقعهم والثبات إلى أن يدخل وقف القتال حيز التنفيذ. فأكد دايان: ألا بد من اقتحام المدينة بسرعة. رغم أن جيش الدفاع الإسرائيلي لم يحاصرها بعد. فوافق إشكول، وعَيَّن دايان بعد أن زوده رابين بخطة الهجوم، حاييم بارليف مشرفاً على العملية. كانت أوامره موجزة: «عليك أن تصل الأماكن اليهودية المقدسة بأسرع ما يمكن ولا تستخدم أسلحة ثقيلة».

اتصل باريليف على الفور بناركيس يقول: «هنالك خطر اتخاذ مجلس الأمن قراراً بوقف إطلاق النار فعليك اقتحام المدينة القديمة ودخولها على الفور. ولكن تقدم بحذر - استخدم عقلك». فاتصل ناركيس بدوره لاسلكياً بغور في متحف روكفللر وأمره بالاستيلاء على هضبة أوغستا فيكتوريا في الحال وتحريك رجاله من بوابة هيرولد إلى بوابة ليونز (بوابة الأسود) التي شفرها جيش الدفاع الإسرائيلي باسم «فيتنام» بوصفها أقرب بوابة إلى الجدار الغربي. كان رئيس القيادة الوسطى تواقاً للبدء بالمعركة. اعترف لهيئة ضباطه بعد الحرب، قائلاً: «تركت في تجربتي القتالية في القدس في العام ١٩٤٨ جرحاً عميقاً، ففي القدس، حسب معرفتي، لن تستطيع أن تنجز غداً مالم تستطع إنجازه اليوم».

كان مناحم بيغن يشارك ناركيس مخاوفه. ولدى سماع بيغن بوقف قتال وشيك في نشرة أخبار ال BBC الساعة الرابعة، هتف إلى دايان، مؤكداً: «أن قرار مجلس الأمن يغير الوضع كله، فيجب ألا ننتظر ثانية أخرى». فأجاب دايان متذمراً: «لست بحاجة إلى مزيد من النصائح... لقد أصدرت أوامري بدخول المدينة حتى ولو لم تكن قد حوصرت».

ثم نصح بيغن بالتشاور مع إشكول. شرع بيغن الاتصال بمكتب رئيس الوزارة وبعد الاعتذار عن إزعاجه، حاول إقناع إشكول بعقد اجتماع طارئ لمجلس الوزارة في الساعة السابعة على أبعد حد. وفي الوقت نفسه أجاز دايان استخدام الدبابات والطائرات بصورة محدودة للمساعدة على اقتحام المدينة وتسهيل دخولها. صدرت الأوامر مع تحذير صارم ضد قصف قبة الصخرة، والمسجد الأقصى، والمذبح المقدس، لأن إحداث ضرر بأي منها سيشعل أزمة دولية ثانية.

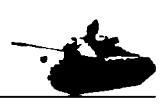
فتحت المدفعية الاسرائيلية نيرانها على الحي المسلم في الساعة السادسة صباحاً. وبعد ساعتين أمطرت مدفعية جيش الدفاع الإسرائيلي المنطقة المحيطة بأوغستا فيكتوريا وابلاً كثيفاً من قذائفها تبعها إسقاط قنابل نابالم من الطائرات



الإسرائيلية. فتحولت الخنادق المحيطة بالمشفى التي بناها قيصر ويلهيم (Kaiser Wilhelm) في العام ١٩٠٩وأسماها باسم زوجته، إلى مصائد موت. وقال محمود أبو فارس قائد إحدى السرايا: «وجدت أحد أصدقائي وقد تغضن جسمه حتى أصبح بحجم الكف». هرب القلة الباقية من الأردنيين، فوجد المظليون الذين وصلوا على الفور -الكتيبة ٧١ من جبل المكبر، والكتيبة ٦٦ من وادي الجوز- الهضبة التي كانت تقاوم بشراسة مهجورة تماماً. أما الإصابات الإسرائيلية فمعظمها كان بإصابات ذاتية: قتل تسعة وجرح أحد عشر بقذائف مدفعية طائشة.

تابع المظليون تقدمهم جنوباً، واستولوا على الفندق الدولي المشاد على جبل الزيتون وأقدم مقبرة يهودية في العالم، ومن ثم استولوا على «أبو ديس» منجزين بذلك الإحاطة بالمدينة. ومن هناك نزلوا إلى حديقة غيثسيمان (Gethsemane) حيث اعتقل السيد المسيح، ومسرح المعركة الرهيبة التي جرت ليلة أمس مع الأردنيين. كانت أمامهم المدينة القديمة وبوابتها التي أشادها السلطان المملوكي بيبرس في العام ١٣٢٠ ومازالت مزيّنة بدرعه الشبيه بالأسد. أرسل غور مستبقاً الأحداث، رسالة إلى قادة كتائبه (انظر صورة الغلاف الورقي للكتاب): «إننا نحتل المرتفعات المطلة على المدينة القديمة. ولسوف ندخلها قريباً جداً. سنكون أول من دخل مدينة القدس القديمة التي مازلنا نحلم بها ونقاتل من أجلها منذ أجيال الأمة اليهودية بانتظار انتصاراكم. وإسرائيل تنتظر هذه الساعة التاريخية فافتخروا. حظاً سعيداً». (٤)

لم يكن هذا هو توقع الجيش وحده، على أية حال. فالشعب كله كان متلهفاً إلى تحقيق هذا التوقع. فكانت أغنية «القدس من ذهب» التي أنشدت أول مرَّة يوم الاستقلال، تصدح بها اليوم جميع أجهزة الراديو الترانزيستور. لم ينم تيدي كوليك (Teddy Kollek) منذ ستين ساعة، بيد أن ذلك لم يعقه عن الاندفاع إلى فندق الامباسادور (Ambassador Hotel) الأردني سابقاً ليقيم مقر بلدية مؤقت للمدينة التي سيعاد توحيدها قريباً. وهناك التقى كوليك المولود في فيينا، التابع المقرب من بن غوريون، صدفة بحاييم هيرتزوغ (Chaim Herzog) شقيق ياعكوف Ya'akov



المحامي الخريج من كمبردج ورئيس مخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي مرتين. كان هيرتزوغ يتحدث بانتظام عبر الإذاعة، منذ أن نشأت الأزمة، محللاً الوضع تحليلاً مهدئاً واقعياً متزناً. أما الآن فقد كان منفعلاً جداً بحيث لم يعد يطيق البقاء في استديو الإذاعة، بل هرع نحو المدينة القديمة.

صادف هيرتزوغ في طريقه الحبر شلوموغورين (Shlomo Goren) قسيس جيش الدفاع الإسرائيلي. كان غورين العالم المظلي ذو اللحية، المثير للقلاقل قد وصل قبل قليل من سيناء حيث أصيبت نصف المجنزرة التي كانت تقله إصابة مباشرة وقتل سائقها، مسلحاً بلفافة التوراة وبقرن كبش، التقى الحبر غورين بغور في متحف روكفللر وحذره قائلاً: «لن يغفر لك التاريخ إن جلست هنا وفشلت في دخول (المدينة القديمة)». أما هيرتزوغ، فكان أكثر سماحة، إذ وعده بمكان في الآخرة إذا أقنع الحكومة بتحرير القدس. (٥)

بيد أن الحكومة مازالت بحاجة إلى إقناع، إذ تلقت قبل قليل برقية من راسك ينصح فيها إسرائيل بقبول وقف إطلاق النار.

سأل إشكول اجتماعاً مرتجلاً للوزراء القياديين والمستشارين قائلاً: «ماذا؟ إذن ماذا نقول للحسين؟» لم يكن أمامه برقية راسك فقط، بل رسالة مماثلة من هارولد ويلسون، أيضاً يطلب فيها من إسرائيل أن تراعي وقف القتال مع الأردن. ومن نيويورك، بعث إيبان بتقرير يتضمن مناشدة من غولد بيرغ يقول فيها باسم الرئيس: إن استمرار الحرب مع الأردن ربما يوقع إسرائيل «في تعقيدات دولية خطيرة». وأضاف إيبان قائلاً: «لا خيار لنا إلا قبول القرار، والأمل في أن ينتهكه العرب».

كان رأي دايان: «كل كلمة نقولها ربما تعقد الأمور. علينا أن نكون حريصين جداً». واقترح دعوة الملك إلى لقاء سري، دون إعطاء أية وعود. واقترح ياعكوف هيرتزوغ أن تكمل إسرائيل احتلالاتها على الجبهة الشرقية وبعدئذ يبدأ الحوار مع الحسين، في حين أصر أريه ليفافي (Arge Levavi) أن يطرد الحسين رياض والضباط

المصريين الآخرين أولاً كشرط مسبق لأية صفقة. فعلق إيغال ألون: «سيكون ذلك موت الملك». وتساءل إشكول عما إذا كان قبول إسرائيل لوقف إطلاق النار سيرتبط بإجراء مباحثات سلام فورية مع الملك حسين. وأردف يقول متأملاً: «ربما نسأل فقط من هو الزعيم في الأردن؟».

وفي النهاية أصبح سؤال إشكول هو جواب إسرائيل إلى راسك: «هل الحسين يسيطر فعلاً على جيشه، وإن كان كذلك، فهل يستطيع تأكيد ذلك؟ وطالما أن الإسرائيليين يدّعون أن القدس الغربية مازالت تقصف، فإنهم يصرون على معرفة اللحظة التي يتوقف فيها القصف بالضبط، وأين يمكن أن يلتقي الممثلون الأردنيون والممثلون الإسرائيليون لبحث وقف إطلاق النار و(السلام الدائم)؟».

كان الإسرائيليون يدركون أن فرص استجابة الحسين إلى هذه المطالب بصورة إيجابية، ضئيلة جداً. ومع ذلك ظل الإنذار مقامرة، مع وجود قواتهم على بعد ياردات من دخول المدينة القديمة. فإن قبل الملك شروط الإنذار، حتى ولو نظرياً، فإن فرصة استعادة الجدار الغربي والمواقع المقدسة الأخرى -وآمال اليهود منذ ألفي سنة- ربما تضيع.

كان رد الأردن ذا وجهين، مراوغاً وغير مباشر. إذ قال رئيس الأركان الأردني خمّاش، إلى بيرنز بأن ليس للجيش أي اتصال بالقدس، وما من سبيل لمعرفة ما إذا كانت مدافعه مازالت تقصف مواقع العدو. ودعا رئيس الوزراء جمعة، السفراء الغربيين، وشكا لهم انتهاكات إسرائيل المتكررة لوقف إطلاق النار. وقال موضحاً: «لقد وصلت الأردن إلى الحدود القصوى من الصبر». ثم حذرهم من هجوم معاكس كبير. ٦ وفيما عدا ذلك، ساد الصمت للمرة الثانية منذ بدء الحرب، يتجاهل الحسين مناشدة شخصية من إشكول. إذ جرى تحدي الإنذار فعلياً.

في الساعة ٩,٤٥ صباحاً أطلقت دبابات شيرمان مدافعها مباشرة على بوابة ليونز (Lions Gate) التي ترتفع ١٢ متراً، فدمرت حافلة ركاب كانت وضعت في البوابة لإغلاقها، ثم نسفت الباب. ثم اندفع الإسرائيليون بقيادة نصف مجنزرة يقودها الكابتن يورام زاموش (Yoram Zammush)، أحد اليهود المتعصبين الذي وعده غور أن يكون أول الواصلين إلى السور الغربي.

أطلق الأردنيون نيران بنادقهم من على الأسوار وأسطح المنازل حول الساحة داخل البوابة، ولكن الهجوم كان غامراً. تقدمت الدبابات بتثاقل مقرقعة، لتجد نفسها قد حشرت في أزقة ضيقة. مرت مجنزرات، كانت إحداها تقل موتاغور (Motta Gur) وهيئته من جانب مركبة زاموش بتؤدة وحذر نحو فيادولوروسا (Via Dolorossa) بما فيها من محطات للصليب المقدس عند المسيحيين. وانتشرت وحدات أخرى نحو بوابة دمشق عبر الحي المسلم، وبوابة يافا عبر الحي المسيحي.

وفي الوقت نفسه تسلقت سرية من لواء القدس بقيادة الكابتن إلي كيدار (Eli Kedar) جبل صهيون على الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة القديمة، متجهة نحو بوابة صهيون حيث أجهضت محاولات إسرائيل لاختراقها في العام ١٩٤٨. وكان كيدار هذا قد أسر في تلك المعركة وكان عمره خمسة عشر عاماً، أما الآن فقد عاد يزحف عبر باب صغير في باب البوابة* ليخرج إلى حي الأرمن. تبعه خمسون رجلاً وساروا إلى الحي اليهودي السابق، الذي كان قد نهب وسكنه المسلمون فوجدوا سكانه قد اكتسوا بأعلام الاستسلام. قاد كيدار قوته إلى بوابة النفايات (Dung Gate) -إذ كانت في زمن الهيروديين قناة للتخلص من النفايات- حيث يلتقي بمظليي اللواء ٧١ الذين اقتربوا من وادي كيدرون (Kidron) في الشرق.

ثم دخل غور ورجاله إلى الساحة المحاطة بالأشجار الغارقة في السكون، المعروفة عند المسلمين بالحرم الشريف، وعند اليهود بجبل الهيكل (هاربايت - بالعبرية). كان هذا الموقع -الحرم والهيكل- حيث قُيد إسماعيل وعرج محمد منه إلى السماء، كما يعتقد - مكاناً مقدساً بلا منازع، عند الملايين. وصف أريك أخمون (Arik Akh-mon)، ضابط المخابرات، تلك اللحظة كما يلي: «يصل المرء إلى هناك على متن نصف مجنزرة بعد يومين من القتال، ومازالت الطلقات تملأ الأجواء، ثم فجأة يدخل إلى تلك الفسحة المفتوحة الواسعة التي كان يراها الجميع في الصور، وعلى الرغم من أنني لست متديّناً، لا أظن أحداً دخلها دون أن تغمره العواطف. لقد حدث شيء

* هذا الباب الصغير الموجود في إطار الباب الكبير، يسمى في فلسطين "خُوْيخة".

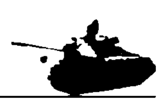


خاص». وبعد مناوشة قصيرة مع «البواردية» الأردنيين، تحدث غور(Gur) لاسلكياً مع ناركيس بكلمات ثلاث (بالعبرية) وسبع (بالإنكليزية) ستظل تُردَّد عقوداً قادمة:«هارباً بابيت بيادينو «-بالعبرية: جبل الهيكل بأيدينا - بالعربية» The Tenpl Mount is in our hands - بالإنكليزية».

استقبل غور وفداً من أعيان المدينة عرضوا عليه استسلام المدينة، وتسليمه الأسلحة التي كانت قد جمعت في المساجد. ولدهشتهم أطلق الجنرال سراحهم وسمح لهم بالعودة إلى بيوتهم. ولكنه، ولا أي واحد من هيئته، كان يعرف كيف يصل إلى السور الشرقي، فاضطر إلى سؤال رجل عجوز ليرشده. فأرشده ذلك العجوز عبر بوابة المغاربة ليخرج من جنوب السور تماماً. كان ذلك الجدار المبني من حجارة مربعة منحوتة الذي بناه الملك هيرود، هو الجزء المتبقي من الهيكل الثاني الذي دمره الرومان في العام٧٠. لم يصل اليهود إلى هذا المزار الأكثر قدسية عندهم، منذ ١٩ عاماً.

عندما نزل غور، تجمع الرجال من لواء القدس ولواء المظليين ال ٧١ على الجدار وقد غمرتهم النشوة غير آبهين بنيران القناصة التي كانت تطلق عليه. أما الحبر غورين فقد انفلت من الجنود الثلاثة الذين عينهم غور لكبحه، وهرع راكضاً مباشرة إلى الجدار، وصلى صلاة المشيّع، ونفخ في بوقه، ثم أعلن قائلاً: «أنا، الجنرال شلوموغورين رئيس أحبار جيش الدفاع الإسرائيلي، قد جئت إلى هذا المكان كيلا أبرحه ثانية أبداً.» واندفع الجنود المحتشدون في فسحة ضيقة بين الحجارة والمساكن الآيلة للسقوط من حي المغاربة ينشدون أناشيد عفوية وصلوات، ومن فوق رؤوسهم ترفرف نجمة داوود. (٧)

لم يضع إشكول وقتاً في وضع الأماكن المقدسة تحت رعاية السلطات الدينية ذات العلاقة-أحبار، ورجال دين مسلمين، الكنيسة الكاثوليكية. وكان قصده أن يزور بنفسه المدينة القديمة، ولكنّ الجيش نصحه ألا يفعل بسبب استمرار نيران القناصة.



ومما كدَّر إشكول أنه علم بتجاهل وزير دفاعه لنصيحته. إذ قام دايان بصحبة رابين وناركيس بزيارة إلى جبل الهيكل في موكب مشى دايان، فيه مشية المنتصر طالباً التقاط صور فوتوغرافية لذلك الموكب. وهناك اقترح على ناركيس هدم ذلك الجزء من أسوار المدينة القديمة - كممارسة قديمة ترمز إلى الفتح والاحتلال. وكان لدى الحبر غورين فكرة، وهي: إزالة جميع مساجد الهيكل بما هو متوافر لدى جيش الدفاع الإسرائيلي من متفجرات تمهيداً للعهد المسيحي الوشيك. أهمل ناركيس الاقتراحين. إذ كان اهتمامه منصباً على حفظ النظام وتحقيق الأمن اللازمين لتوطيد الحكم الإسرائيلي للمدينة. كتب قائلاً: «لقد هيمنت علي فكرة أن قدري هو أن أكون وسيلة لتحقيق تلك المهمة».

ولدى وصول دايان إلى الجدار الغربي راعى تقليد كتابة صلاة على ورقة وإدخالها بين الحجارة - وتقول الشائعة إنه كتب دعاء للسلام. وبغموضه المعهود، إذ يكون عسكرياً، وسموحاً بآن واحد، أعلن: «لقد أعدنا توحيد المدينة، عاصمة إسرائيل، كيلا تنفصل ثانية أبداً... أما جيراننا العرب فإننا نمد إليهم الآن يد السلام».

كان رابين يصغي إلى كلمات دايان ويشاهده بخوف من مشهد مئات الجنود الذين التحقوا بيهود متعصبين جداً، في حلبة رقص. وعبر عن شعوره آنذاك بقوله: «كانت تلك ذروة حياتي... إذ كان يراودني حلم خفي منذ سنين بأن لي دوراً... في استعادة الجدار الغربي للشعب اليهودي... لقد تحقق هذا الحلم الآن، وفجأة أخذت أتساءل لماذا أنا، من دون الجميع، منحت هذا الامتياز» وكانت كلماته التي كتبها على الجدار أقرب إلى كلمات نبي منها إلى كلمات جندي:

«لم تذهب تضحيات رفاقنا سدى... تقول لكم الأجيال التي لا حصر لها من قتلى اليهود وشهدائهم والذين ذبحوا من أجل القدس: فلتهنأ بالراحة والطمأنينة، يا شعبي: والعزاء للأمهات والآباء الذين حققت تضحياتهم خلاص الشعب». (٨)

سيطرت البهجة والنشوة على الحكومة. فأخذ بيغن يطالب بأن يعاد بناء الحي اليهودي على الفور ويستوطن بآلاف الإسرائيليين. ولدى سماع إيبان الموجود في نيويورك بنبأ الانتصار كتب يقول: «فيض من العواطف التاريخية نسف سدود الكبح

وأطلق العقول والقلوب في حركة تجاوزت حدود أرضنا». حتى أشد الناس معارضة للحرب، وزير الشؤون الدينية زوراخ وورهافتيغ (Zorach Warhaftig) قال متذكراً: «فاض قلبي سروراً» عندما اندفع ليقبل الجدار الغربي ويعانق دايان ورابين. أما إيغال يادين المستشار العسكري الخاص لرئيس الوزراء فقد أخذ يفكر على الفور بالهدف التالي- ألا وهو الخليل. فذكرَّ إشكول، الذي ظل هادئاً من دون الوزراء كلهم، قائلاً: «لنا تاريخ طويل مع الخليل يعود إلى إبراهيم». إضافة إلى إحساس إشكول بالاكتئاب بسبب موت ٩٧ مظلياً في المعركة وجرح ٤٣٠، كان حذراً من احتلال عدد كبير من الشعب الفلسطيني المعادي. فسأل: «هل فكرتم كيف يمكن أن نعيش مع هذا العدد الكبير من العرب» فجاء جواب يادين متهوراً وقحاً: «الحقيقة، يا فضيلة الرئيس، هي أنه ما إن تصل قواتنا حتى يهربوا -(الفلسطينيون) - إلى الصحراء». (٩)

كان زخم التقدم الإسرائيلي في واقع الأمر، جارفاً لا يمكن إيقافه على ما يبدو. ففي اللحظة التي تسلق فيها مظليو موتاغور الجدار الغربي، كانت دبابات بن أري قد وصلت مشارف أريحا. كانت أولى عدة معارك عنيفة نشبت غربي نابلس، في حين كان المشاة الإسرائيليون، جنوب القدس، يكتسحون الدفاعات المحيطة بدير مارالياس. وبعد ذلك تأتي بيت لحم والخليل. كان الجنود الأردنيون في فوضى كاملة تاركين مركباتهم مندفعين نحو الضفة الشرقية طلباً للسلامة. وجد المهاجمون، وسط حطام كتلة عصيون (Etzion Bloc) وهي كتلة مستوطنات خارج القدس دُمرت في العام ١٩٤٨، عشرين دبابة باتون في حالة جيدة. وكان عدد مماثل أيضاً قد غرّز في أوحال أريحا. فتقلصت قوة الأردنيين بمقدار ٨٠٪ كما قال رئيس الوزراء جمعة إلى بيرنز، وادعى أن الإسرائيليين مصممون على تدمير الباقي. جرى الإجلاء بخطوات أبطأ: لأن الطرق قد غصت باللاجئين.

ظهر الحسين أمام هيئة أركانه العامة في مطلع مساء ذلك اليوم. وتحدث عن الحاجة إلى لم شعث ما تبقى من القوات للدفاع عن الضفة الشرقية، وعن أمله المستمر في التعزيزات. إن الحاكم العربي الوحيد وثيق الصلة بالحرب الفعلية الذي

بدا لواحد ممن رأوه: «مصعوقاً، مكتئباً، ذليلاً» فقد خسر نصف مملكته بكل ما فيه من موارد وعوائد - سياحية وزراعية. وجيشه تحطم. ولم تستطع البرقية الأخيرة التي وصلته من القاهرة تعزيته، والتي مفادها أن عبد الناصر معجب بقرار الحسين إخلاء الضفة الغربية، ونظراً للحاجة إلى الضغط الدولي لإنقاذ القدس، فقد استثني الحسين من قطع العلاقات مع الغرب. (١٠)

ويسدل «الستار»:

إن رغبة الحسين بقبول وقف إطلاق النار - وإن لم يكن راغباً في طرد المصريين- نبه القادة الإسرائيليين إلى أن نهاية الحرب قد أصبحت وشيكة. إذ أخذ الرمل في الساعة الرملية ينفد كما قال رابين: وفي ضوء تلك الحقيقة أمر البدء فوراً بتنفيذ عملية الأضواء (Operation Lights) لاحتلال شرم الشيخ، المقررة أصلاً في تلك الليلة.

بدأت العملية كما هو مخطط لها بسبر بحري للدفاعات المصرية. وكان المفروض أن تتضمن هذه العملية كتيبتي مشاة ووحدات مدفعية، ومضادات للطيران، وغواصة. أظهرت طلعات الاستطلاع الجوي في الساعة الرابعة صباحاً أن المنطقة كانت مهجورة عملياً. ومع ذلك رفض رابين الاطمئنان، إلى ذلك فأرسل بعد نصف ساعة تشكيلة من ثلاثة زوارق صواريخ إسرائيلية وفتحت النار على بطاريات العدو الساحلية. وفي الوقت نفسه استعد المظليون والفدائيون لركوب طائرات نورأتلاس (Nortatlas) ومروحيات للهجوم على الطور (Al-Tur). وعلى خليج السويس، وللهجوم البري على تيران .

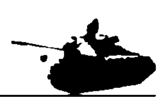
بيد أن الإسرائيليين لم يكونوا يدركون أن الـ ١٦٠٠ جندي مصري الذين كانوا في المضائق مازالوا في مواقعهم. وبناء على أوامر عامر، لم يكن لحامية شرم الشيخ أي اتصال بقيادة الجيش في سيناء، وكانت تتلقى أوامرها المشفرة مباشرة من القاهرة. قال الجنرال عبد المنعم خليل، القائد المحلي، متذكراً: «لم نكن نعرف شيئاً عن الحرب إلا ما نسمعه من الراديو. ولكن في السادس من يونيو تلقيت تعليمات من

عامر بالتراجع. نفذت الأوامر». رُوِّع ضباط الجنرال خليل. قال أحدهم، هو محمود عبد الحافظ، «لقد صدمنا. إذ استمر الراديو ببث أغاني النصر والبيانات عن تدمير سلاح الجو الإسرائيلي وأن قواتنا على أبواب تل أبيب» وبسبب الافتقار إلى الوقود الكافي لقطع مسافة ١٨٠ ميلاً على طول خليج السويس، قطع عبد الحافظ ورجاله معظم المسافة مشياً على الأقدام: «لا أستطيع أن أصف لكم مشاعرنا ونحن نتراجع عن شرم الشيخ. كدنا ننفجر بكاء: لأننا لم نستطع تصديق ما كان يحدث. فنحن لم نر جندياً إسرائيلياً قط».

وصلت أنباء سقوط شرم الشيخ فعلياً إلى مرتجى بُعيد منتصف الليل. فأصدر تعليماته، مضطرباً، إلى عناصر المدرعة الرابعة لتعزيز المواقع على الفور. ولكن الفرقة الرابعة كانت أول فرقة عبرت قناة السويس من سيناء. إذ كان الميجر جنرال صدقي الغول قد تلقى أوامره من عامر شخصياً، وادعى فيما بعد جهله بأوامر مرتجى.

لقد ثبت لرابين بموجب التقارير الواردة من سلاح الجو ومن الأسطول أخيراً، أن معظم المصريين قد هربوا. وبدلاً من أن ينزل المظليون في الطور، وجهوا للنزول مباشرة في شرم الشيخ حيث قتلوا في معركة ضارية التحم فيه المقاتلون عشرين مصرياً وأسروا ثمانين آخرين. وفي الساعة ١٢,١٥ بعد الظهر أعلن دايان أن المضائق ممر مائي دولي مفتوح لجميع السفن دون أية قيود. أبحرت ناقلة النفط الإسرائيلية دولفين التي كانت راسية في ماساوا (Masawa) إلى إيلات، في حين أبحرت باخرتان من إيلات إلى إفريقيا.

أصبح البحر الأحمر مفتوحاً كذلك للملاحة الإسرائيلية، ولكن ليس إلى قناة السويس. لم يهتم دايان بذلك. وعندما علم أن دورية الاستكشاف من جيش الدفاع الإسرائيلي قد انطلقت إلى الممر المائي، أمرها على الفور بالانسحاب. وظل وزير الدفاع الذي ما زالت صدمة العام ١٩٥٦ ماثلة في ذهنه يعارض أي عمل يمكن أن يسفر عن إغلاق القناة، وإغضاب مستخدميها من الدول البحرية، ثانية. (١١)



ووفقا لذلك أصدر تعليماته للقوات الإسرائيلية ألا يتجاوزوا ممري المتلا والجدي اللذين يهيمنان على الطرق المؤدية إلى سيناء ويشكلان خط دفاع مثالي ضد أي هجوم مضاد. بيد أن زخم الحرب في الجنوب كان أسرع وأقوى مما كان يتوقعه دايان نفسه.

وبموجب الخطة التي وضعت مع الجنرال غافيش في جبل لبني الليلة الماضية، كانت الفرق الثلاثة تتحرك. تابعت القوات بقيادة الجنرال تل تقدمها في اتجاهين - جنوباً إلى بيت لهفان مع اللواء السابع المدرع بقيادة غونين، وعلى طول الساحل بوحدة غرانيت (Granit) المؤلّله. انطلق غونين من معقل جبل لبني ليضرب مؤخرة الفرقة المصرية الثالثة المحصنة تحصيناً قوياً، في بير حَمَّه (Bir Hamma)، ومن ثم ليتجه أربعين ميلاً غرباً إلى بير غفغفة (Gafgafa). كان هدفه قطع طريق النجاة الرئيسي على الفرقة الرابعة، الذي يمر عبر جسر فردان (Firdan) فوق قناة السويس.

وكانت فرقة يوفي (Yoffe) تشق صفوف الفرقة الثالثة نحو الجنوب عبر بير حسنه (Bir Hasana) وبير الثمادا (Bir al-Thamada). لم تكن فردان هدفاً يوميا، على أية حال، بل هدفه دخول الممرين والفرقة الثانية المتراجعة. وأسرع شارون في أقصى الجنوب إلى قطع الصحراء إلى نخل (Nakhl) أملاً في أن يحصر قوة الشاذلي ويصطادها قبل أن تصل إلى الممرين.

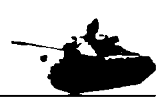
أسرع الإسرائيليون ولكنهم أعيقوا بالمصريين المتراجعين. إذ كانت الطرق غاصة بالمركبات الهاربة والحطام المحترق، الأمر الذي جعل التقدم بطيئاً، بل مستحيلاً في بعض الأحيان. لم يعد الإسرائيليون يأخذون أسرى فيما عدا الضباط وصف الضباط، ولكنهم كانوا يشجعون المجنَّدين على الهرب نحو القناة، أو حفاةً إلى الصحراء. وكان على الدبابات الإسرائيلية، وهي في طريقها إلى بير غفغفة وبير الثمادا أن تحرف طريقها عبر الأرتال المصرية لتقطيعها وتدميرها. يتذكر أحد شهود الكارثة، اسمه محمود السوارقة (Mahmud ald - Suwarga) سائق في الفرقة السادسة:



«كنا ننتظر تنفيذ أوامرنا والتقدم نحو إيلات عندما اختفى فجأة في ٧ يونيو، قادة الكتائب والسرايا معاً، وعلمت فيما بعد أنهم هربوا عبر القناة، تركت سيارتي الجيب والتحقت برتل متراجع إلى نخل حيث تعرضنا لهجوم جوي. ثم التقينا، عند ممر متلا، بالإسرائيليين الذين كانوا قادمين من السويس، على ما يبدو. فأطلقوا علينا قذائف وصليات من رشاشاتهم، وبعد ذلك لم أشعر بشيء، عدت إلى وعيي في مركبة إسرائيلية مبللاً بدمي».

ظلت بعض الوحدات المصرية المبعثرة، تبدي مبادرات ومرونة وندرة على التكيف مع الواقع، فدبابات T-٥٥ المتخندقة حول المنشآت العسكرية المنتشرة هنا وهناك في بير غفغفة ثبتت في مواقعها في وجه دبابات تل المتقدمة. فُقدت حوالي ١٢ دبابة T-٥٥، وخمسين ناقلة جنود مدرعة، ولكن المصريين أوقفوا الإسرائيليين فترة كافية لنجاة معظم الفرقة الرابعة عبر القناة. كما أمطرت فرقة شارون التي غرقت في ضفاف نهر موحلة بنيران صواريخ أجبرتها على تغيير اتجاهها مباشرة إلى قلب «نيران صديقة» تتبارز مع دبابات فرقة يوفي، مَكَّنت هذه الإعاقة قوة الشاذلي من الإفلات من المصيدة التي كان يخطط لها شارون، كما نجح المدافعون عن حصن القُسيمة بالهرب كذلك. وفي هذه الأثناء، تابع الطيران المصري، رغم قلته، القيام بغارات، مستفيداً من قرب قواعده من الجبهة. قال ضابط إسرائيلي طبيب ورد اسمه في السجلات: أشر Asher: «ثلاث مرحات لسلاحنا الجوي» ظاناً أن طائرات الميغ هي طائرات ميراج إسرائيلية:

«اقتربت الطائرات، وبدت كأنها تنقض علينا. كنا، لسبب ما واثقين جداً بأنفسنا، ومتأكدين، في ذلك اليوم الثالث من الحرب، أنه لا يمكن أن تكون هناك طائرة مصرية سليمة. على أية حال أطلقت هذه الطائرة النار، وصرخ أحد الضباط قائلاً: «طائرات ميغ، انتشروا بسرعة» فركضنا كالمجانين بين الكثبان الرملية. كانت الطائرة تحوم فوقنا وتطلق نيرانها. وكانت تشبه ما يجري في الأفلام - إذ يسمع



المرء صوت بب، بب، بب (pap، pap،pap)». فننظر إلى الأعلى فنشاهد مزيداً من طائراتهم. وتشكل سرب من ثلاث طائرات ميغ واستعد لضربنا . فألقينا بأنفسنا على الرمل على بعد ستين متراً عن الطريق، ثم انضمت الطائرة التي أطلقت علينا النار إلى الثلاثة الأخريات اللاتي كن بانتظارها، وشرعت الطائرات الأربع بقصفنا».

ضربت قاذفات اليوشن ٢٨ قوة غرانيت إلى الغرب من روماني: (Romani) وأصيب رفائيل إيتان، قائد المظليين، بجرح خطير، ومع ذلك لم تكن تلك الغارات ذات أثر كبير، إذ خسر المصريون أربع عشرة طائرة أخرى فيما يسمى بهجمات انتحارية ضد قوات غامرة. (١٢)

لم تعد عمليات حماية المؤخرة بقادرة على إيقاف مدّ التراجع المصري، بل وأقل قدرة على عكسه. قال ضابط الأمن عَزّام شيراحي: (Azzam Shirahi) وكانت القوات المصرية في حال من الفوضى المطبقة: «وعندما اقترب الإسرائيليون صدرت تعليمات للشراحي بأن ينسف المنشآت المتبقية في بير غفغفة. قال متذكراً ما حدث: «لقد دمّرت ببساطة قاعدتي. الشيء الوحيد الذي لم أستطع نسفه وهدمه هو الجامع». أما الدكتور عبد الفتاح الطريقي (Abd al-Fattah al- Tariki) طالب العلوم الإنسانية، ضابط احتياط في اللواء المدرع الثاني، فقد قال: «فقد الجميع رؤوسهم، قيل لنا انسحبوا إلى بير التمادا، وعندما وصلناها وجدنا ألسنة اللهب تلتهم جميع المواقع، وكان الجيش على الطرقات في حالة انهيار تام. كانت مذبحة، كارثة، ما كانت إسرائيل لتحرز ربع نصرها لولا هذه الفوضى، وهذا التشويش». (١٣)

انهار كذلك خط الدفاع المصري الثاني - الستار «الأكثر تحصيناً، كما هو معلن، وعلى الرغم من محاولة بعض الجنرالات مثل صلاح محسن قائد اللواء المدرع الرابع عشر، لتنظيم الانسحاب، فإن غالبية الضباط الكبار قد هربوا قبل رجالهم. قال ضابط عمليات اللواء الشربيني سعيد حمادة متذكراً: «رغم أنهم (الإسرائيليين) قد أحاطوا بنا، فقد كان عليهم أن يخترقوا خطوطنا . ولكن جاءنا الأمر بالتراجع - لماذا؟ لا ندري - فتحول الوضع إلى هرج ومرج وفوضى كأنه مشفى مجانين».



كان مرتجى، نفسه، أحد آخر القيادات التي تغادر الجبهة. إذ بقي قائد القوات البرية المصرية في الجبهة بعد أن نقل مقر قيادته غرباً لتلافي ضربات العدو الجوية، ومع ذلك حدد الميجر الجنرال سعد عبد الكريم رئيس الشرطة العسكرية، موقع مرتجى في الساعة ٢،٣٠، ونصحه بالجلاء فوراً وإلا تعرض للأسر. علق أحد المؤرخين العرب فيما بعد على هذه الحادثة بقوله: «من الأمور الأكثر إثارة للسخرية أن الجبهة الشرقية أصبحت تتلقى أوامر القيادة العليا من ضباط أدنى مرتبة»(١٤). سواء كان ذلك مثيراً للسخرية أم لا، فقد نفذ مرتجى تعليمات رئيس الشرطة العسكرية. إن الجيش المصري الذي كان ذات يوم من أعلى الجيوش بنية وأدقها، ترك الآن بلا بنية إطلاقاً.

ولكن حدث بعدئذ مساء ذلك اليوم تطور أريد به تغيير الوضع جذرياً وإنقاذ مصر من انهيار، وتهديد إسرائيل بالهزيمة. إذ إن الحلف العربي الرئيسي الذي كان صاخباً عالي الصوت قبل الحرب ولكنه صمت منذ اندلاعها، قد ذهب الآن فجأة واستجمع قواه للدفاع عن قضية العرب.

سأل السفير السوفياتي في وزارة الخارجية الإسرائيلية صباح يوم الخامس من يونيو: «أين الحرب؟» وبما أن الاتحاد السوفياتي قد أخذ على حين غرة بنشوب المعارك، فقد بذل قصارى جهده خلال الأربع والعشرين ساعة التالية ليراقبها.

ولم يتلق فيديرينكو ضوءاً أخضر للسعي إلى وقف القتال إلا بعد أن انجلى الموقف وظهر أن مجرى المعارك يسير لصالح إسرائيل.. ولكن حصل عندئذ اضطراب في العلاقات العربية السوفياتية، ففي حين كان السوفيات يرغبون في وضع نهاية سريعة للقتال، كان المصريون والسوريون، اعتمادا على المساعدة السوفياتية، يرغبون في استمراره.

والواقع أن الأجهزة السوفياتية أعلنت عن مساعدات كبيرة للعرب. فصحيفة البرافدا، مثلاً، صرحت أن الحكومة السوفياتية، ما زالت وفية لوعودها بمساعدة ضحايا العدوان.. وتحتفظ بحقها في اتخاذ كل الإجراءات التي يتطلبها الوضع.

«واستخدم فيديرينكو الصيغة نفسها في تعليل صوته في مجلس الأمن يوم السادس من يونيو. ولكن العرب لم تعجبهم أن (كل الإجراءات) تتمخض عن قبول ما لا يريدونه وهو وقف القتال الذي أتاح لإسرائيل بالاحتفاظ بالأراضي العربية المحتلة. واستخلص أحد تقارير الـ (CIA) أن هذا العمل نفسه كلف الاتحاد السوفياتي شيئاً ما في العالم العربي، فالتخلي الجزئي للسوفيات عن العرب في الأمم المتحدة قد بدا في نظر الكثيرين وكأنه خيانة جزئية».

إن تجنب السوفيات ذلك التصور، أو على الأقل التخفيف منه وتلطيفه، أصبح أكثر صعوبة عندما توضح مدى الهزيمة العربية تماماً. كان ناصر يتوقع جسراً جوياً طارئاً فورياً من الأسلحة والذخيرة السوفياتية، هذا إذا لم يتدخل السوفيات بعمل عسكري ضد إسرائيل. بيد أن الكرملين كان عازفاً عن اتخاذ أي من الإجراءين، فقد شكا أحد المسؤولين السوفيات إلى دبلوماسي أمريكي في موسكو، قائلاً: «لقد أظهرت الحرب أن العرب غير قادرين على الوحدة حتى عندما تتعرض مصالحهم إلى الخطر والدمار». ولدى ارتباك السوفيات بسبب الأداء الضعيف لأسلحتهم، وأن الأسطول السادس قد بزّها، أرادوا وضع حد للحرب قبل أن تلطخ سمعتهم بحيث لا يعود بالإمكان تحسينها، وقبل أن تقع سورية ضحية سلاحهم، أيضاً.

وهكذا، في حين اتهمت الدعاية السوفياتية الأسطول السادس بتصويب أسلحته إلى الدول العربية، فإنها كانت تفتقر إلى الدليل على أن هذه الأسلحة قد أطلقت نيرانها، بل بالعكس: استدعى كوسيغن، سفير مصر، مراد غالب وأخبره بجلافة أنه لا يوجد دليل لتعزيز التهمة بوجود تواطؤ أنكلو - أمريكي. فالرئيس جونسون قد تعهد شخصياً ضد مثل هذا التدخل، كما أن الزوارق السوفياتية التي تراقب حاملات الطائرات الأمريكية في شرق البحر المتوسط لم تذكر أي نشاط لها غير عادي، وافق السوفيات أن يشحنوا طائرات جديدة، ولكن إلى الجزائر. فالعراق بعيدة جداً، كما أوضحوا، وليبيا قريبة جداً من قاعدة ويلوس (Wheelus)، وهناك في الجزائر يعاد تجميعها وإرسالها إلى مصر، احتج غالب على هذا الإجراء بوصفه سوف يستغرق أسابيع، ولكن احتجاجه لم يترك أي تعاطف لدى السوفيات.

ارتدت الكذبة الكبرى على صاحبها، فبدلاً من أن تحفز هذه الكذبة السوفيات على مساعدة العرب، اضطرتهم لمتابعة تحقيق وقف لإطلاق النار. والعرب، بدورهم سخطوا، إذ لم يعد ناصر يتحدث في اليوم الثالث من الحرب عن تواطؤ غربي مع إسرائيل، بل عن تفاهم سوفياتي أمريكي على عدم التصادم في الشرق الأوسط. ولم يكن أمام السوفيات وسيلة للخروج من هذه الدائرة المفرغة سوى تجاهل البُعد العربي في ذلك الوقت، وتركيز اهتمامهم على إسرائيل. (١٥)

تذكر رئيس الوزراء السوفياتي كيف أن سلفه بولغانين قد هدد بإمطار تل أبيب بالصواريخ. إن ذلك التحذير بالإضافة إلى رغبة أمريكا في فرض عقوبات على إسرائيل، قد وضعا حداً لحرب العام ١٩٥٦ وأجبر إسرائيل على الخروج من سيناء. أما أن يواجه السوفيات بأمريكا منحازة إلى إسرائيل، بدلاً من أن تكون في نزاع معها، فهذا أمر جعل كوسيغن يحجم عن توجيه إنذارات مسبقة محددة باستخدام العنف. وكان قد حذر إشكول بعد اليوم الأول من القتال، قائلاً: «ما لم تتبع حكومة إسرائيل صوت العقل وتوقف حمام الدم، فإنها ستتحمل مسؤولية نشوب الحرب وما يمكن أن يترتب عليها من نتائج». ولكن ضبابية الرسالة نسفت فاعليتها، فتجاهلها الإسرائيليون، ولكي يكون التحذير صادقاً وواقعياً لا بد من أن تكون لغته أقوى وأقل التباساً.

وهكذا قام شوفاخين (Chovakhin)، وقد بدا عليه التعب والشحوب، بزيارة أرييه ليفافي (Arye Levavi) في وزارة الخارجية في الساعة السابعة من بعد ظهر يوم السابع من يونيو. كان في جعبة السفير رسالة إلى إشكول، مفادها:

«كان الاتحاد السوفياتي قد حذر الحكومة الإسرائيلية ولكن الزعماء الإسرائيليين رفضوا الإصغاء إلى العقل، فإذا لم توافق إسرائيل على الفور على قرار مجلس الأمن فإن الاتحاد السوفياتي، سوف يعيد النظر في علاقاته مع إسرائيل، وسوف يختار خطوات أخرى تنشأ عن السياسة الإسرائيلية العدوانية ويطبقها». وسلمت تحذيرات مماثلة إلى القيادات الأوروبية، مع التفاهم على إضافة وزنهم للضغط على إسرائيل. (١٦)

كان لانبعاث إمكانية دخول موسكو حلبة القتال أثر مباشر على الحرب، وإن لم يكن هذا الأثر على الجانب الإسرائيلي من الحرب. قال عامر لفوزي عندما التقاه ذلك المساء في مقر القيادة العليا: «احذر القوات المسلحة». يبدو أن مزاج المشير كان عالياً جداً، يثرثر بكلام غير مترابط، تغمره النشوة لتلقيه ما فهمه على أنه بداية تدخل سوفياتي. فكرر لفوزي مبتهجاً: «اسمعني، يا فوزي، احذر القوات المسلحة». ثم تحول أسلوبه، فغدا رصيناً بصورة مفاجئة فأصدر تعليماته إلى هيئة أركانه لتوجيه أمر إلى الفرقة الرابعة لتستدير وتعبر القناة ثانية إلى سيناء لوقف العدو عند الممرات: إنه قرار سياسي. صدر الأمر عن الرئيس ويجب تنفيذه.

رغم أن فوزي لم يكن متأكداً فيما إذا كان وعد السوفيات قد استحوذ على قائده أم أن قائده كان غير متوازن، ليس إلاّ، فقد طار على الفور إلى الإسماعيلية على الشاطئ الغربي للقناة. وجد هناك مرتجى، ومحسن، وغيرهما من الضباط ذوي الرتب الرفيعة، وأطلعهم على تغيُّر الأوامر. فاحتج مرتجى قائلاً: إنها مهمة انتحارية لا يمكنني إعادة القوات بلا غطاء جوي، فضلاً عن كون الطرقات كلها مزدحمة بالجنود وبحطام المركبات. وسجل الضباط الآخرون اعتراضات مماثلة، ولكن الأمر أرسل في الساعة الرابعة صباحاً إلى الفرقة الرابعة: «ابقوا في الممرات إلى أن تصدر إليكم تعليمات بالانسحاب». ربما يظل خط الدفاع الثالث والأخير صامداً رغم أن الستار ربما يكون قد أسدل بصورة دائمة. (١٧)

عوالم باسلة جديدة:

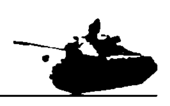
تماماً كما أسفرت الجهود المصرية لحث السوفيات على التدخل عن دفعهم إلى الترويج لوقف القتال بصورة فعَّالة، كذلك أدت محاولات السوفيات لردع الإسرائيليين إلى دفعهم نحو تصعيد هجومهم وتسريعه.

هرع فيديرينكو، متابعاً مسعى حكومته، إلى مجلس الأمن وطلب منه تطبيق قرار وقف القتال الذي اتخذ بالأمس. قبل أبا إيبان هذا التحرك ثانية، في حين رفضه القوني. أخبر دايان، لدى ملاحظته هذه التطورات من القدس، لجنة الدفاع الوزارية

قائلاً: أنا لا أتجاهل التحذير السوفياتي، ولكنه لا يخيفني، فإسرائيل ليست بعيدة عن تحقيق الأهداف التي أعدت نفسها لتحقيقها: لذلك يمكننا قبول قرار وقف القتال، في حين ننجز أهدافنا كلها. «وفي ضوء الضغوط المتصاعدة من أجل إنهاء القتال، أصدر وزير الدفاع تعليماته لجيش الدفاع الإسرائيلي ليبذل كل جهد للوصول إلى الممرات بحلول الليل، فعلق الكولونيل ليور بصورة عفوية قائلاً: «يمكننا الذهاب لاحتلال موسكو».

إضافة إلى أن تحذير كوسيغن قد سرّع الجدول الزمني العسكري لإسرائيل، فقد كان له أثر آخر هو أن أياً من الروس أو العرب لم يسع إلى السلم ولم يثر قضية السلام. قال إيغال ألون مخاطباً مجموعة أخرى من الوزراء والمستشارين الدبلوماسيين: «هذه فرصة تاريخية، يمكننا التوصل إلى سلام شامل أو معاهدات منفصلة، فأولاً نتحدث عن سلام مع الأردن، ولبنان، والمغرب، وإذا لم يكن بمقدور الحسين توقيع معاهدة، فبإمكانه الهرب مع أسرته إلى انكلترا». فسأل أمير أميت: «علينا أن نقرر مصير الضفة الغربية، هل سنضمها؟ أم أن لدينا خططاً أخرى؟» اقترح إشكول فصل الضفة الغربية عن الشرقية، وإقامة حكم ذاتي محلي في الضفة الغربية، «فإذا ما بقي جنرال مصري واحد هناك، فبإمكانه الإصرار على القتال حتى آخر شخص». ليس لدى رئيس الوزراء حل لغزة -«فهي عظمة في حلوقنا»- ولم يكن متأكداً من الطريقة التي يتعامل بها مع مصر: اقترح جوزيف تكوا (Joseph Tekoah)، رئيس مكتب وزارة الخارجية في الأمم المتحدة: أعتقد أننا وصلنا نقطة نستطيع فيها الإحاطة بالنظام المصري برمته، وعقد سلام مع النظام الجديد، وعلينا إقناع الأمريكيين بالتفكير في شروط السلام. (١٨)

ومع ذلك كان الأمريكيون قد بدؤوا بالتفكير في السلام بصورة منهجية أكثر من التفكير الإسرائيلي. وبما أن مجلس الأمن كان مشلولاً. وكان السوفيات قد تم احتواؤهم مؤقتاً، فقد كان جونسون ومستشاروه أحراراً لكي يقضوا معظم اليوم السابع من يونيو في التفكير بتسوية مستقبلية للشرق الأوسط. وكما قيل إلى مجلس



الأمن القومي، كان هدف الرئيس «إظهار أقل ما يمكن من الأبطال، وأقل ما يمكن من المهزومين» للحفاظ على مقاربة منصفة في الوساطة، ويجب التوصل إلى حل يضمن حرية المرور في المضائق، والسيطرة على التسلح، وحل مشكلة اللاجئين. ومع ذلك، كان جونسون مدركاً للتعقيدات والمطبات المتوقعة - «عندما نجتاز كل المشاكل المتقرحة، سنجد أنفسنا نقول ليتها لم تنشب حرب أبداً - ثم التمس أفكار مستشاريه بشأن الحلول الممكنة».

أجاب وولت روستو: «كانت القضية هي هل ستكون تسوية هذه الحرب على أساس اتفاقات الهدنة التي تبقي العرب في حالة عداء مع إسرائيل، وتبقي القضية الإسرائيلية حية في حياتهم السياسية كقوة موحّدة لهم، وتجعل للسوفيات يداً عليا في العالم العربي: أم أنها تسوية تؤدي إلى قبول إسرائيل كدولة شرق أوسطية؟» اقترح روستو أن تتحرك الإدارة الأمريكية بأسرع ما يمكن لصياغة خطة سلام شامل تتوسط الولايات المتحدة لتنفيذها مع دور رخو للأمم المتحدة.

انطلق ماك جورج بندي (Mc George Bundy) من مجموعة السيطرة على الشرق الأوسط - من المنطق نفسه - إذ قدّم رئيس مجلس الأمن القومي سابقاً، ومدير مؤسسة فورد نصيحة، وهو يشعر بالبهجة والنشاط، إلى الرئيس: «ليكن واضحاً أن لدينا الآن حدثاً تاريخياً سيغير حتماً شكل الأرض، ولتكن صورة أملنا إيجابية في أن تكون إسرائيل دولة قوية آمنة في شرق أوسط مزدهر. ولتكن وجهة نظر أمريكا واضحة في وجوب التوصل هذه المرّة إلى سلام وليس إلى اتفاقات هدنة متشظية، ولنكن في صالح هجوم حقيقي على مشكلة اللاجئين.. هذه عقيدة LBJ الجيدة، وعقيدة إسرائيل الجيدة».

إن البحث عن برنامج سلام قاد البيت الأبيض إلى خارج نطاق هيئته، إلى أستاذين من أساتذة جامعة هارفارد لهما خبرة في الشؤون الدولية وشؤون الشرق الأوسط، هما نداف صافران (Nadav Safran) وستانلي هوفمان (Stanley Hoff-man). وصف كلاهما الحرب بأنها فرصة حقيقية للسلام منذ اتفاقات الهدنة،



خصوصاً وأن الاتحاد السوفياتي قد أُذل، وأن القوة المصرية قد بُترت، وقالا إنه من الضروري البدء بمحادثات على أساس كل دولة على حدة، مؤكدين المبدأ التالي: «يجب تلافي وضع الأجراس كلها، أي كل الدول العربية معاً في جانب من مائدة المفاوضات وإسرائيل في الجانب الآخر». (١٩)

كان المفترض، بناء على هذه التوصيات، أن تكون المواقف الأمريكية والإسرائيلية متوافقة تماماً حول مسألة السلام. وكان من المتوقع أن تتخلى إسرائيل عن كل ما احتلته، ما عدا بعض التعديلات التجميلية لقاء إجراء مفاوضات مباشرة تتمخض عن معاهدات سلام، لقد تعزز هذا الانطباع ببيانات أولية لإشكول وإيبان ينفيان فيها وجود أية مطامع إقليمية لإسرائيل من الحرب، كما عُزز بتقارير متفائلة صادرة عن تل أبيب:

«من الواضح تماماً أن نجاح الجهد العسكري الإسرائيلي الحالي كان له أثر ثابت وجوهري في إقناع الإسرائيليين من كل مشارب الحياة أن هذه هي فرصتهم للانتقال من وضعية شبه القبول المؤقت بإسرائيل الذي مَيَّز التسع عشرة سنة الماضية من وجود إسرائيل إلى حالة القومية الكاملة المتمتعة بخصائص كل الدول المستقلة.. سوف يصرون على الانتقال من جهة وقف القتال إلى جهة التوصل إلى معاهدات سلام مع جيرانهم».

كتب السفير باربر مبتهجاً عن النجاح العسكري الصاعق «لجيش الدفاع الإسرائيلي» و«العالم الجديد الشجاع» قائلاً إنهما فتحا آفاقاً للولايات المتحدة وإسرائيل معاً.

ومع ذلك ظهر أول شرخ في ما يفترض أنه إجماع إسرائيلي - أمريكي بحلول مساء يوم السابع من يونيو. لم يعد المسؤولون الإسرائيليون يتحاشون طرح مطالبهم كلها في الاحتفاظ بجميع مكاسبهم الجديدة، بل صاروا يوصون بضرورة وجود دائم لجيش الدفاع الإسرائيلي في غزة وشرم الشيخ، وفي توسيع خاصرة إسرائيل الضيقة مقابل الأردن، وكان دايان قد أخذ ينشر فكرة دولة فلسطينية ذات استقلال

ذاتي في الضفة الغربية مرتبطة فيدرالياً بإسرائيل. وبدا أن الحكام الإسرائيليين قد أجمعوا على قضية من أكثر القضايا إثارة للنزاع، وهي الإعلان عن «تحرير» القدس تحريراً لا رجعة فيه. فقد أعلن سفير إسرائيل إلى روما إيهود أفرييل (Ehud Av-riel) إلى كاردينال البحر المقدس ديلاكافا (Dellacava)، قائلاً: بوصفي يهودياً ومواطنا لإسرائيل، يبدو لي بوضوح تام أن القدس تنتمي كلياً إلى إسرائيل. فتلك حقيقة مقررة قبل ألف سنة من ظهور المسيحية وقبل ألفي سنة من ظهور الإسلام، ومن الأفضل للفاتيكان أن يجد سبيلاً لتوطيد نفسه على هذه الحقيقة».

وتحرك بنك إسرائيل لرصد ٥٠ مليون دولار أمريكي لتطوير الضفة الغربية وتنميتها، وأثار فكرة شراء شبه جزيرة سيناء تماماً كما اشترت الولايات المتحدة ألاسكا ولويزيان. (٢٠)

وصلت تلميحات ثابتة عن هذه التحولات إلى البيت الأبيض حيث أثارت اهتمام دين راسك وقلقه. فقد قال في اجتماع لمجلس الأمن القومي: إذا لم ننصّب أنفسنا محامين عن إسرائيل، فإننا لن نستطيع تعويض خسائرنا في العالم العربي «كان راغباً، بالتحديد، في تمثيل مطالب إسرائيل لعقد معاهدات سلام كامل مع الدول العربية، إضافة إلى رغبته في تطبيق الأفكار الأمريكية بشأن السيطرة على التسلح وإيجاد حل لمشكلة اللاجئين. ولكن مقابل مثل هذا الدفاع، أصر وزير الخارجية الأمريكي على ضرورة موافقة إسرائيل على الانسحاب من جميع الأراضي العربية التي احتلتها. وأخبر سفراءه بأننا نرغب في إيصال قناعتنا بأن السلامة الإقليمية والاستقلال السياسي للدول العربية لا يقلان أهمية عندنا عن أهمية أمن إسرائيل».

ما زال احتمال حدوث احتكاك بين الولايات المتحدة وإسرائيل بعيداً عن بؤرة اهتمام الرئيس إذ كانت الحاجة لمواجهة الكذبة الكبرى أكثر إلحاحاً. كما كانت مسألة نشر تقارير عن استخدام مصر للغازات السامة في اليمن تعد من المسائل الجديرة بالاهتمام والدراسة - إضافة إلى أخذ الاحتياطات اللازمة، والحذر ضد أية مقاطعة نفطية عربية. كما كان جونسون تواقاً لاستثمار دعمه لأهداف إسرائيل



الحربية لإقناع اليهود الأمريكيين (المعروفين بحمائم الحرب كما أسماهم أحد مساعديه) بدعم أهدافه هو في فيتنام. فكانت الحاجة الأكثر إلحاحاً، إذن، هي مراقبة ردود فعل السوفيات، وألاّ يدخلوا في دائرة التأثر السلبي. قال رئيس هيئة الأركان إلى مجلس الأمن القومي: «لا أصدق أن الاتحاد السوفياتي يبتعد عن هذا، ولست متأكداً أننا قد تخلصنا من مشكلاتنا». (٢١)

في حين كان صنَّاع السياسة الأمريكيون يخططون لعالم جديد من السلام في الشرق الأوسط، كان العالم القديم قد أنهى يومه الثالث من الحرب. إذ دخلت القوات الإسرائيلية، عند الغسق، مدينة بيت لحم من غير أن تطلق رصاصة واحدة. فقد قوبلوا، في ساحة المذود (Manger Square) بالتحية والترحاب، واندفع أصحاب الدكاكين ليبيعوهم (تذكارات). قال رافي بنفينيستي (Rafi Benvenisti) ضابط لواء القدس، مستغرقاً في ذكرياته: «اقتحمنا مركز الشركة وتهيأنا لنأخذ غفوة. وإذا برجل عجوز يدخل علي فجأة، ليقول لي إن كبار المدينة وأعيانها ينتظرون استقبال فاتح بيت لحم». فأخذ بنفينيستي إلى كنيسة المهد - وهي من المباني القليلة التي أصيبت بأضرار إذ سقطت أربع قذائف على سقفها - ثم إلى حجرة مضاءة بالشموع حيث كان رجال الكنيسة ورؤساء الأسر بانتظاره. «فأكدت لهم ألا يخشوا شيئاً، وأننا جئنا بسلام، فصدموا، وأنا كذلك صدمت. ثم انصرف كل منهم ببساطة إلى بيته».

أما يوري رام (Uri Ram) ورجاله، فقد كان استقبالهم أقل وفادة في مدينة نابلس التي يبلغ تعداد سكانها ٨٠٠٠٠ نسمة، التي تعد عاصمة السامرة كما تقول التوراة. يذكر رام كيف «كان آلاف الناس واقفين يصفقون ويلوحون بمناديلهم، أما نحن فبكل براءة رددنا عليهم بابتساماتنا. كان النظام مهيمناً تماماً في المدينة، و لا توجد أية علائم على الخوف أو الهلع أبداً». كان ذلك إلى أن حاول أحد الجنود الإسرائيليين أن يجرد حارساً وطنياً محلياً من سلاحه. عندئذ أدرك المشاهدون أن هؤلاء الجنود ليسوا عراقيين كما كانوا يعتقدون، بل هم إسرائيليون. «وعلى الفور، خلت الشوارع من الناس وبدأ القنص».

استدارت قوات فرقة بيلن، من منطقة نابلس شرقاً ثم جنوباً لتلتقي عناصر لواء هاريل (Harel)، المتجهة شمالاً. وما إن حل منتصف الليل حتى كانت الجسور الأربعة على نهر الأردن قد احتلت. أمر ديان بنسفها كلها كإشارة إلى فصل الضفة الغربية عن الشرقية مادياً. (٢٢)

كانت المعارك في الضفة الغربية تشير إلى نهايتها في حين كانت المعارك في سيناء تشير نحو ذروتها. تقدمت الحملة العسكرية بقيادة إسرائيل غرانيت دون مقاومة فعلية من العريش حتى وصلت روماني (Romani) أقرب قرية مصرية إلى القناة. أما عناصر لواء تل فكانت تسارع الخطى نحو الممرات التي كان المصريون، -خلافاً لتخليهم عن الطريق الساحلي - مصممين على الدفاع عنها بعودة الفرقة الرابعة وقبيل منتصف الليل اصطدمت عناصر متقدمة من الفرقة الرابعة- ستون دبابة T-٥٥ مع ثلاثين دبابة AMX تابعة للواء تل غربي بير جفجافة (غفغفة). فاشتعلت ثلاثة من دبابات AMX الخفيفة على الفور بالإضافة إلى ثماني أنصاف مجنزرات إحداهما محملة بالذخيرة. قُتِل عشرون إسرائيلياً، بمن فيهم قائد السرية الميجر جنرال شاماي قبلان (Shamai Kaplan) قبل أن يتراجع ما تبقى من الرتل.

ومع ذلك، كانت دبابات يوفي تقترب من مدخل ممر متلا، عندما أبدى المصريون صموداً جريئاً ضد لواء تل. وصلت مفرزة من تسع دبابات سنتوريون وقودها على وشك النفاذ، أربعة منها قطرن بغيرها، وطواقمها منهكة، إلى مدخل الممر قبل شروق الشمس. رتبوا حطام المركبات المصرية بطريقة تجعل الدبابات المتراجعة تسير مباشرة نحو مدافع الدبابات الإسرائيلية (٢٣). وعلى الرغم من التفوق العددي الكبير لدبابات المصريين، استطاعت هذه القوة الضئيلة، أن تسيطر على طريق النجاة الوحيد الذي ستتعثر فيه قريباً الفرق المصرية التي تضم ٣٠٠ دبابة وأكثر من ٣٠٠٠٠ رجل.



الطائرات المصرية مدمّرة على مدارجها.

(المكتب الصحفي لحكومة إسرائيل).



غرفة المكتب (قاعة الاجتماعات) في البيت الأبيض. من اليسار إلى اليمين: ماكنمارا، كاتزينباخ (Katzenbach) السفير تومسون (يدخن)، وولت روستو، همفري، راسك (جالس)، جونسون، بندي (Bundy).

مكتبة LBJ، تصوير يوخي أوكاموتو (Yoichi Okamoto).





سفراء العرب إلى الأمم المتحدة: محمود الفرا (إلى اليمين) وجورج طعمة (إلى اليسار).



سفراء العرب إلى الأمم المتحدة: محمد القوني «إلى اليمين (بموافقة محمد الفرا)».



السفير أثر غولد بيرغ (بإذن من محمد الفرا).



قوات جيش الدفاع الإسرائيلي المؤللة تتقدم في الضفة الغربية (شاحام، أرشيف IDF).





فلسطينيون يهربون عبر نهر الأردن (أسوشيتدبريس).



عطا علي يتحدث مع المؤلف خارج عمان ١٩٩٩.



رابي غورين (ومعه قرن كبش) مع جنود إسرائيليين عند الجدار الغربي.

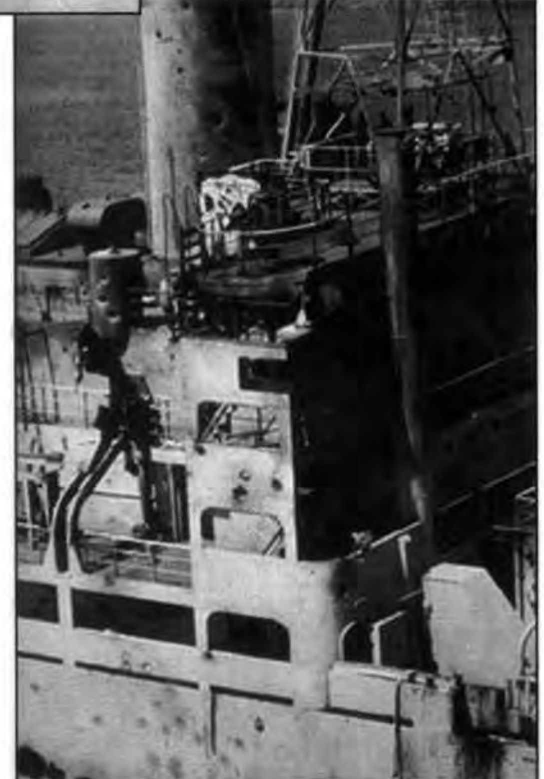
(المكتب الصحفي لحكومة إسرائيل).





(من اليسار) ناركيس، (في الوسط) دايان، (وفي اليمين) رابين، يدخلون بوابة ليونز (بوابة الأسود).

(إيلان بيرنر،المكتب الصحفي لحكومة إسرائيل).



سفينة ليبرتي الأمريكية: أحصي حوالي ٨٠٠ ثقب في الهيكل (صفحة ليرني الأمريكية في الإنترنت).





أسرى حرب مصريون في سيناء.

(تل شاتباي، المكتب الصحفي لحكومة إسرائيل).

غارة جوية انتحارية: طائرة ميغ مصرية تهاجم قوات إسرائيلية في سيناء.

(هان ميخا، المكتب الصحفي لحكومة إسرائيل.



حطام مصري في ممر متلا، ٨ يونيو، قتل (١٠,٠٠٠) عشرة آلاف رجل في ذلك اليوم وحده.

(هان ميخا، المكتب الصحفي لحكومة إسرائيل).



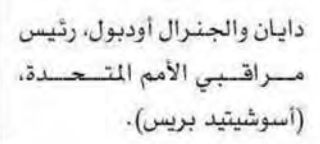
٩ يونيو، اليغازر (يشير بيده)، إشكول، بارليف إلى اليمين يمسك بخريطة، والكولونيل ليور (خلف دايان، يرتدي نظارات وقبعة) (أستوشيتيد بريس).



مدفعية إسرائيلية تقصف مواقع سورية في التوافيق، ١٠ يونيو (كيدرون، أرشيف IDF).







دايان والجنرال أودبول، رئيس مـراقـبي الأمم المتـحـدة، (أسوشيتيد بريس).



حافظ الأسد سوريا: «آن الآوان لتدمير الوجود الصهيوني في الوطن العربي» (بإذن من البروفسور إتمار إبينوفيتش).



جونسون مع كوسيغن في غلاسبورو: «آمل أن تكرس جهودنا في الأيام القادمة لتحقيق سلام دائم».

مكتبة LBJ، تصوير يوشي آوكاموتو).

(الحرب: اليوم الرابع ٨ يونيو)

ضربة إسرائيلية حاسمة (رصاصة الرحمة)

حادث مميت

ناصر يذعن والسوريون ينتظرون

بدأ اليوم الرابع من الحرب العربية - الإسرائيلية الثالثة بسلسلة من الانفجارات في وادي الأردن. واختتمها الإسرائيليون بنسف الجسور المقامة على نهر الأردن بما استولوا عليه من قذائف هاون أردنية. قامت عناصر من لواء هاريل بالعبور إلى الضفة الشرقية لتأمين تغطية لفريق المهندسين التابعين لجيش الدفاع الإسرائيلي، الأمر الذي دبَّ الهلع في عمان، فتوسل الملك حسين لدى فندلي بيرنز (Findley Burnz) قائلاً: أوقفهم، من أجل الله (مدعياً أن ثلاثين دبابة إسرائيلية كانت تخترق الجزء الشمالي من البلاد، وأنهم يقصفون الرمَثة).

وقُدّم التماس مماثل إلى البريطانيين، ولكنهم بسبب اشمئزازهم من استمرار الحسين بدعم الكذبة الكبرى، لم يكونوا، هم ولا الأمريكيون تواقين للاندفاع إلى مساعدته. فما كان أمام الملك إلا أن يلجأ إلى مصادره الخاصة على ضآلتها. إذ لم يبق لديه من الألوية الإحدى عشرة التي خاضت المعركة في بداية الحرب، لواء قادر على التحرك والعمل سوى أربعة ألوية. التحقت بقايا الجيش الأردني - عناصر من لواء اليرموك، ولواء الحسيني، والحرس الملكي، والدبابات الخمس الباقية من اللواء الستين - بالوحدات العراقية لحماية المشارف الشرقية لعمان، ومنحدرات الجولان الجنوبية. لم تكن هناك فرصة في النجاح أو حتى في البقاء على قيد الحياة. إذا ما استمرت القوة الإسرائيلية الماحقة بالتقدم. (١)



بيد أنه لم يكن هناك هجوم إسرائيلي، أو اندفاع للمدرعات، حتى ولو كان خادعاً، في اتجاه عمان، بل بالعكس، انتشرت قوات جيش الدفاع الإسرائيلي على طول نهر الأردن في مواقع دفاعية احتراساً من هجوم أردني معاكس. وهكذا استنتج عوزي ناركيس (Narkiss Uzi) في إيجاز لما بعد الحرب، في نهاية أربعة أيام من القتال قائلاً: «أنجزت القيادة المركزية تطلعاتها الطبيعية ورسَّخت حدود إسرائيل على نهر الأردن». إن مقتل مئتي إسرائيلي منهم ١٤٤ مظلياً، خفف من نشوة الإحساس بالإنجاز. وإذا لم يتأثر الإسرائيليون بعجز القيادات الأردنية على التكيُّف مع الظروف المتغيرة، فإنهم احتفظوا على الأقل باحترامهم لعناصر الفيلق العربي. فقد ورد في تقرير داخلي لجيش الدفاع الإسرائيلي، أن العدو «أبدى شجاعة وتصميماً، خصوصاً في القدس حيث قاتل حتى آخر لحظة في تحصينات معزولة» والعبارات التي كتبتها إسرائيل على شواهد قبور أولئك الأردنيين الذين قتلوا في تلة الذخيرة أشادت بشجاعتهم الفريدة.

إن تعزيز موقع إسرائيل في الضفة الغربية -بدلاً من توسعها في الضفة الشرقية- أصبح واضحاً، على الفور، لدى الأردنيين، كذلك. وفي حين ظلت عمان سالمة لم تصب بأذى، فإن القوات الإسرائيلية حاصرت الخليل، موقع كهف البطاركة التواراتي، فسارع سكانها إلى رفع الملاءات البيضاء من نوافذهم وإلى تسليم أسلحتهم طوعاً، خشية الانتقام منهم للمذبحة التي ارتكبوها ضد يهود المدينة في العام ١٩٢٩، انتهت الحرب في الضفة الغربية. كتب المؤرخ سمير مطاوع، واصفاً تلك اللحظة من وجهة نظر أردنية: «بحلول منتصف ليل الثامن من يونيو، عادت الأردن إلى (شرق الأردن) التي كانت في عهد الملك عبد الله، في حين أكملت إسرائيل احتلال فلسطين التاريخية». (٢)

لم تهيمن في الجبهة الجنوبية مسألةُ: متى تتوقف الحرب فحسب، بل أين تتوقف أيضاً؟ لقد بلغ القتال ذروته مع الفجر عندما اندفع آلاف المصريين نحو ممري متلا والجدي أملاً في الوصول إلى قناة السويس. كتب الميجر جنرال الغول، قائد الفرقة

الرابعة إلى عامر يقول: «ست وثلاثون طائرة معادية تتابع قصفنا، فاحترقت دباباتنا ومدفعيتنا ومدافعنا المضادة للطيران وقطعت اتصالاتنا مع القيادة الخلفية، ومع اللواء المدرع، أيضاً، ونحن نتعرض للهجوم الآن!!. كما اتصل مرتجى يقول: «أعتقد أنه يجب تدمير الممرين حالما تعبر قواتنا قناة السويس. وسأل عامر كلاً من فوزي، وقائد القوات البرية الليفتينانت جنرال محسن: أين ينبغي وضع خط الدفاع النهائي، شرق القناة أو غربها؟ فوافق الاثنان على اقتراح مرتجى. فأصدر عامر الأمر، وكان آخر أمر يصدره في الحرب: «على جميع القوات أن تدافع عن القناة من الغرب، ويجب إزالة الممرات المؤدية إلى القناة، وليس القناة نفسها، بانتظار تعليمات أخرى. وعلى سلاحنا الجوي أن يغطي تراجع قواتنا خلال ليلة ٩/٨ يونيو».

ليس من السهل القيام بأيّ من المهمتين: تدمير الممرات أو خوض القناة. إذا تابعت بعض الدبابات الإسرائيلية إغلاق المداخل إلى الوديان الضيقة محوّلة إياها إلى أزقة مسدودة، وذلك بفضل دعم سلاح الجو الإسرائيلي. كتب محمود رياض يقول: أبيدت جميع الدبابات والشاحنات والمدافع وكل التجهيزات الموجودة شرق الممرات، وفقد (١٠٠٠٠) عشر آلاف حياتهم في ذلك اليوم وحده، ومات آخرون كثر جوعاً وعطشاً». عمل مستطلعو الأهداف المعادية الإسرائيليون في المقدمة بنشاط محموم للتمييز بين القوات المعادية والقوات الصديقة التي اختلط بعضها ببعض. واستمرت المذبحة حتى منتصف النهار عندما أمر الطيارون الإسرائيليون بالكف عن تدمير المركبات المصرية حتى يمكن أسرها سالمة.

دمر حوالي مئة دبابة مصرية عند الممرات، وستون دبابة أخرى شرقي نخل، إضافة إلى ٤٠٠ مئة مدفع، وأعداد من المركبات لا تحصى، وتم الاستيلاء على بطارية كاملة من صواريخ سام - ٢ سليمة. ولما لم يعد الإسرائيليون قادرين على إطعام أسرى الحرب، أخذوا يوجهون المستسلمين المصريين نحو القناة. شهد الكولونيل جاكي إيفين (Jackie Evan) قائد إحدى الدبابات، فيما بعد، قائلاً: «كانت هناك جموع من المصريين بأسلحتهم يركضون هنا وهناك كالمجانين، فقلت لنفسي،



توقف، ستحدث مذبحة هنا، طالما أن الطرفين يطلقان النار لذلك أمرت الجميع: لا تقتلوا الجنود. حاولوا الإمساك بهم، ثم أطلقوا سراحهم ليقولوا إن الإسرائيليين لا يريدون قتلهم، فقط أعيدوهم إلى وطنهم» ولم يؤسر سوى الضباط لتجري مبادلتهم بالطيارين الإسرائيليين الذين أسقطوا خلف خطوط العدو.

ومن الذين أسروا من ذوي المراتب العالية، كان الميجر جنرال صلاح ياقوت رئيس المدفعية المصرية، الذي استسلم إلى دبابة معطلة.

تكررت مثل هذه المشاهد إلى الشرق في البوادي الواقعة بين نخل والثماد حيث دفع رتل الكولونيل مندلر عناصر قوة الشاذلي والفرقة المصرية السادسة إلى كمين نصبه لهم أريك شارون.

كتب أهارون ياريف، رئيس مخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي إلى هاري ماك فيرسون يقول: «كنا في أعقابهم» ثم أضاف يقول: إن مصر: قد فقدت حوالي ٧٠٪ من قوتها المدرعة. أما وقد تأكد الآن، بما لا يدع مجالاً للشك، أن الجيش المصري قد دمر، فقد نشأت مسألة: إلى أي مدى سيظل جيش الدفاع الإسرائيلي يلاحق فلوله؟ أخبر رابين مجلس الوزراء بأنه ليس لدى جيش الدفاع الإسرائيلي أيَّةُ مشكلة للوصول إلى القناة، وأن الأمر لا يتطلب سوى موافقة وزير الدفاع. ولكن في حين كان وزير الدفاع تواقاً إلى إسقاط عبد الناصر نهائياً -إذ اقترح قصف مطار القاهرة كوسيلة لتسريع ذلك- فقد كان تواقاً كذلك للبقاء بعيداً عن قناة السويس. فهدد جيشه «بتقديم أي قائد إسرائيلي يمس القناة إلى محاكمة عسكرية». ومع ذلك فإن تسارع المعركة سيتجاوز حتى أولئك الذين يبدون أنهم مسيطرون عليها، بمن فيهم موشي دايان. (٣)

تقوم الآن دبابات يوفي التي أغلقت الممرات تماماً، بمطاردة القوات المصرية التي استطاعت أن تفلت من الحصار. ففي الشمال احتوى الكولونيل غونين واللواء السابع حامية الغول المتقدمة من دبابات T-٥٥ فدمر منها أربعين دبابة. ولدى فقدان

خمسين بالمئة من تجهيزات الفرقة المصرية الرابعة، اضطرت للتراجع ثانية باتجاه جسر فردان، وفي أعقابهم يلاحقهم غونين. وكان رتل الكولونيل غرانيت أيضاً يسارع الخطى نحو الجسر بعد أن حول سيره من الساحل إلى الداخل على الطريق المؤدي إلى القنطرة.

كانت القوات الإسرائيلية تطبق على القناة على الرغم من الأوامر القائمة بضرورة البقاء على بعد ١٢ ميلاً من القناة على الأقل. وكانت الذريعة الظاهرة هي ملاحقة المصريين -والحاجة إلى استكمال تدمير الجيش المصري ومنعه من إعادة تجميع نفسه- في حين أنه كان هناك دافع عميق خفي آخر. ومع روعة مشاهد المعارك في سيناء فقد خيمت عليها الذكرى الألفية لتحرير القدس. قال الجنرال غافيش لضباطه حزيناً: «جبل الهيكل بأيدينا. لقد فقدنا ذلك المجد». ولكننا سوف نستعيد بعضاً منه، على أية حال، على ضفاف قناة السويس.

لقد تحددت الهجمات الإسرائيلية، سواء في الضفة الغربية أو سيناء بالوسيلة أكثر مما تحددت بالتصميم. إذ طبق المثل العسكري القديم القائل: «عندما تكون في الميدان، فعليك أن ترتجل» تطبيقاً صارماً مغرياً قوات جيش الدفاع الإسرائيلي إلى تجاوز ما كان يراه المخططون العسكريون أو المسؤولون السياسيون. يقول ريهافان زئيفي، نائب رئيس العمليات: «لم تضع الحكومة الإسرائيلية أهدافاً للحرب، قط. إذ كانت الأهداف تنشأ من القاعدة إلى القمة، من النسق العسكري إلى النسق السياسي. ولا تضع الحكومة دوائر حول إنجازاتنا وتعلق أن هذه هي أهدافها الأصلية إلا بعد انتهاء الحرب (٤). تنطبق ملاحظة زئيفي على القتال في الجبهتين الجنوبية والشرقية، ولكن الحكومة كانت قد عقدت العزم على ضبط الأمور والسيطرة عليها في مسرح آخر. إذ كان القرار بشأن مهاجمة سوريا، ومتى؟ إن تقرر ذلك، بيد مجلس الوزراء، وليس بيد الجيش.



الجولان يلوح للعيان:

«مازال القصف السوري للكليبوتزات والمستوطنات مستمراً بلا انقطاع، وقد مسحت بعض الكيبوتزات تماماً وسويت بالأرض». هكذا أبرق باربر إلى مجلس الأمن القومي صبيحة الثامن من يونيو. وأكد استعدادات سورية المستمرة للحرب قائلاً: «لم يجيبوا -كرر لم- على أية دعوة لوقف القتال» وتنبأ بأن جيش الدفاع الإسرائيلي سيقوم ثانية بعمل وقائي استباقي باختراق سوريا إلى عمق ١٢ ميلاً. وقال: في هذه الظروف، لن -كرر لن- أفاجأ إذا ما وقع الهجوم الإسرائيلي المذكور، قريباً، أو أنه قد حصل فعلاً».

كان تقييم باربر صحيحاً جزئياً فقط، على أية حال. إذ ما زالت المدافع السورية تتابع قصفها لمزارع الجليل -أصيب منها ٤٨ مزرعة- وتابع راديو دمشق الادعاء بانتصارات بعيدة المنال في الشمال بما في ذلك تحرير عكا والناصرة. وأدان السوريون استسلام الضفة الغربية، وألقوا باللوم على «الرجعيين الأردنيين» وكانوا يضغطون على الرئيس اللبناني شارل الحلو ورئيس وزرائه رشيد كرامي لدخول الحرب بصورة فاعلة. ولكن في حين استطاع الجنرالات اللبنانيون مقاومة هذا الضغط، كان الجيش السوري ما زال قابعاً في تحصيناته في قواعده. ينص تقريره الرسمي على أن «قيادة القوات البرية لم تستطع اتخاذ قرار بشأن القيام بهجوم محلي أو عام بسبب الوضع المعقد على الجبهة، وبسبب عدم رغبة الألوية الاحتياطية في القتال: لذلك قررت أن تبقى على الأرض، وتركز قصفها المدفعي وتستخدم مضادات الطيران أقصى استخدام وتراقب تحركات العدو». ولدى تعرض سويداني وضباط آخرين من ذوي الرتب الرفعية إلى القصف، ودخول الرعب إلى قلوبهم بسبب إشاعة حول قيام إسرائيل بغزو سوريا، تراجعوا إلى دمشق. وجد ياسر عرفات الذي يقود مجموعة فدائيين إلى جبهة الجولان، الطريق خالية أمامه، واستخلص فيما بعد أن سوريا قد عقدت معاهدة مع إسرائيل. (٥)

لم يكن لدى سوريا نية في الغزو، ولا إسرائيل رسمياً. وعلى الرغم من أن الرأي العام الإسرائيلي كان يدعم القيام بهجوم على الجولان -كما قالت صحيفة هاآرتس (aretz Ha) اليومية: «لقد آن الأوان لتصفية الحسابات مع الذين بدؤوا ذلك القصف كله، وإنجاز المهمة»- فإن حكومة إسرائيل ما زالت تقاوم ذلك التوجه. ويبدو أن الانتصارات الحاسمة على الجبهتين الأردنية والمصرية قد زادت المعارضة صلابة عندما التأمت لجنة الدفاع الوزارية ثانية لدراسة مسألة إسرائيل الشمالية.

قال زالمان أران مؤكداً: «إن (الهجوم على سوريا) سيثير العالم كله علينا. فأنا ضد قبول وقف القتال لنخرقه فيما بعد» وأيده في ذلك ممثلو التيار الديني القومي، حاييم موشي شابيرا، وزوراخ وورهافتيغ، في حين عارضه كالمعتاد إيغال ألون. وعلل معارضته بأن احتلال المرتفعات هو السبيل الوحيد لإزالة التهديد السوري، واقترح ألون قائلاً بأن إسرائيلي ليست بحاجة إلى احتلال المنطقة، بل يمكن إعطاءها للدروز المحليين ليقيموا فيها دولة مستقلة لهم. مال الجيش إلى رأي ألون، كما شهد بذلك بارليف فيما بعد، قائلاً: «إذا خرجت سوريا من الحرب سالمة، فإنها سوف تتابع سياستها ولن ترتدع بانتصاراتنا في الجنوب والشرق».

خطا رئيس الوزراء خطة وسطاً بين المؤيدين والمعارضين للهجوم على سوريا، وعلى الرغم من أن إشكول لم يكن أقل توقاً لضم بانياس وإخراس المدفعية السورية، فإنه كان مدركاً لمخاطر الهجوم على سوريا. فقال: «إنني آسف أن سوريا لم تستوعب الكثير، ولكني أعلم أن هذه القضية ربما تورطنا مع السوفيات» وهكذا وقع اتخاذ القرار على كاهل دايان.

لم يبد وزير الدفاع شيئاً من ازدواجية إشكول، وتابع معارضته شن حرب مع سوريا، وقد عزز نقاشه المعتاد بـ تهديد التدخل السوفياتي، وصعوبة احتلال المرتفعات قبل دخول وقف القتال حيز التنفيذ - مضيفاً إلى أن إسرائيل قد احتلت من الأراضي العربية ما يكفي، وأنها ليست بحاجة إلى المزيد.



قررت اللجنة، بتوجيه من دايان، «تأجيل اتخاذ قرار بشأن عمليات في الجولان السورية ليوم أو يومين، والطلب إلى هيئة الأركان بتقديم خطة عمليات إلى لجنة الدفاع كي تصادق عليها». وأضافت الحكومة قائلة: إنه ينبغي (ألاّ) تستفز سوريا علناً بأي عمل خلال هذين اليومين. (٦)

كان هذا النبأ صدمة مريرة على قائد الشمال، ديفيد إلعازار، فبعد أن أرجأ دادو هجومه المخطط في اليوم السابق بسبب رداءة الطقس، يعلم الآن أن العملية كلها قد ألغيت، وعلق على ذلك بقوله: «كانت تلك الساعات من أسوأ الأوقات التي خبرتها بحياتي، إذ يرى المرء أن فرصة تاريخية قد ضاعت بسبب فرط حساسيتي فقط». لقد خولت قواته احتلال تل العزيزيات، فوق الحدود، على الأكثر، فهتف إلى رابين ساخطاً: «لقد هزم جيش الدفاع الإسرائيلي أعداءنا وأنقذ إسرائيل من الكابوس في الجنوب والشرق، في حين بقينا علفاً وطعماً لمدفعية مرتفعات الجولان؟ «فأجابه رابين»: «هل تريد الهجوم أم لا؟».

فأجاب إلعازار صارخاً: «لا أريد. إن الهجوم على تل العزيزات يعني تقديم ثمن باهظ دون الحصول على أي شيء مقابله. إنه الثمن نفسه الذي ندفعه إذا ما اخترقنا الجولان كله، وما الذي أحصل عليه لقاء ذلك؟» ألقى بسماعة الهاتف غاضباً وألغى كل الاستعدادات للقتال، آمراً جنده: «ليعد كل منكم إلى منطقة التجمع. وأحضروا لي طائرة هيليكوبتر. فأنا مغادر إلى تل أبيب!!؟».

وافق رابين على تقييم إلعازار: لماذا نتسلق جرف الجولان، ونخاطر بمئات الأرواح، فقط للاستيلاء على معقل واحد فقط؟ استقبل رئيس قيادته في الشمال في غرفة العمليات، ورافقه إلى اجتماع مع ألون وإشكول.

طرح رئيس الوزراء سؤالاً على العازار: «ماذا تستطيع أن تفعل؟» أخرج العازار خريطة وفردها، ثم أشار إلى زعورا مبيناً أن الطريق من هناك إلى دمشق مفتوحة. وقال: «لست بحاجة إلى مزيد من القوات. لا أحتاج، أستطيع الوصول إلى هناك اليوم، وأحتل مواقع وأتقدم. سنتكبد بعض الإصابات بالطبع، ولكنها لن تكون مذبحة. بإمكاننا فعل ذلك».

قال ألون مجادلاً: «يجب أن توافق الحكومة على احتلال الجولان».

جاء اتصال هاتفي بعد ذلك إلى إشكول من ناطق باسم المستوطنين هو حاييم بير (Haim Ber) يقول صارخاً بأعلى صوته: «ما زلنا نقصف بلا انقطاع. إننا نطالب تحريرنا من هذا الكابوس!!».

ارتبك رئيس الوزراء ارتباكاً شديداً، فسأل إلعازار مستغرباً: «لماذا، إذن، يعارض وزير الدفاع؟» فهز الجنرال كتفيه قائلاً: «لست أدري ما هي أسبابه، ولكنها لن تكون عملياتية ولا تكتيكية».

ولدى خروج إلعازار من المكتب، التقى بزوجة إشكول، مريام، فقالت له: «عيد ميلادي قادم، وأريد بانياس «فوعدها الجنرال قائلاً: سأبذل كل ما بوسعي لأحصل لك عليها. ولكن عليك أنت، أيضاً، أن تقومي بدورك». (٧)

كان إلعازار يناقش قضيته في تل أبيب، في حين كان الجيش في الشمال مستمراً في استعداداته لتنفيذ «عملية المطرقة». وما إن دُمر آخر لواء أردني حتى انعطف لواء إيلاد بيليد (Elad Peled) من الضفة الغربية متجهاً إلى الشمال. كما نقل لواء ألبرت مندلر الثامن المدرع ولواء المظليين الثمانون بقيادة داني مات (Dani Matt) من سيناء. فكانت شوارع إسرائيل في المدن الرئيسية غاصة بالشاحنات والدبابات والجنود، وكانت الطرق العامة مزدحمة ازدحاماً شديداً. وعلى هضبة الجولان نفسها كان سلاح الجو الإسرائيلي، يقوم بقصف مكثف - دون أن يدري أن عملية المطرقة قد ألغيت - للتحصينات السورية ومرابض الدبابات، تلك الحملة التي وصفها الأمريكيون بأنها «مقدمة لاحتلال المرتفعات المطلة على الكيبوتزات».

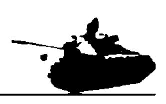
وعلى الصعيد الدبلوماسي، بدا الإسرائيليون وكأنهم يرسون أساس العمل للقيام بهجوم. وأسرَّ ياريف إلى ماك فيرسون قائلاً: «بقيت مشكلة سوريا، وربما كان من الضروري توجيه ضربة إلى سوريا كذلك». وعلى الرغم من أنه لم يحدث شيء بعد في الجولان - «لسوء الحظ» كما قال ياريف - فإن إسرائيل كانت على وشك القيام



بعمل ما هناك «ليكون لديها مجال أوسع للحركة والعمل». صرح ماك جورج بندي في حديث له مع إيبان أنه من الغريب أن تخرج سوريا، التي بدأت الحرب وسببت معاناة عربية كبيرة، من الحرب دون عقاب لتبدأ من جديد «المسلسل المميت ثانية» وعلى الرغم من أن راسك قد حذر باربر من أية مبادرة إسرائيلية أخرى -«إذ إنّ مثل هذا التطور، في أعقاب قبول إسرائيل لقرار وقف إطلاق النار، سوف يلقي بظلاله على نوايا إسرائيل ويخلق لممثلي الولايات المتحدة في البلاد العربية أخطر المشاكل»- فقد استخلص إيبان أن البيت الأبيض سوف يرحب بهزيمة سوريا. (٨)

تشريح حادثة:

قضت واشنطن صبيحة يوم الثامن من يونيو، كما قضت في اليوم السابق، تراقب الحرب من مسافة آمنة. وفرضت رقابة شديدة على مصير سفارات الولايات المتحدة وقنصلياتها المحاصرة في المنطقة، وعلى إخلاء المواطنين الأمريكيين المعرضين للخطر. أولت مجموعة مراقبة الشرق الأوسط في البيت الأبيض اهتماماً إلى طلب إسرائيل ٤٨ طائرة من طراز A-٤ مع ملاحظة إعادة تزويد الاتحاد السوفياتي لمصر بالأسلحة عبر الجزائر. ولكن الإدارة واجهت مسألة ما إذا كان ينبغي الاستجابة إلى طلب إسرائيل وتجاهل طلبات ربما ترد من العربية السعودية والأردن. فأوصى بندي قائلاً: «إذا لم نعلق إرسال المساعدات إلى جميع الأطراف، فإننا نقحم أنفسنا في ماك كلوسكي (Mc Closkey) أخرى» معيداً للأذهان مبدأ وزارة الخارجية «الحياد فكراً وقولاً وعملاً». ومع ذلك ظل أكثر الاهتمام منصباً على الكذبة الكبرى والجهود الأمريكية لدحضها. وللتأكد من أن القوات الأمريكية لا تشارك في الحرب، دعي مسؤولون ليبيون لزيارة قاعدة ويلوس (Wheelus). وأرسل راسك إلى الملك فيصل «تأكيداته الصادقة» بأن ادعاءات ناصر ليست صحيحة، ووعد كذلك بأن «يدير مساراً منصفاً» في معارضة الجهود الهادفة إلى تغيير الحدود، أو حل المشاكل بقوة السلاح». (٩)



والواقع أن جونسون استبعد من دائرة اهتماماته احتمال تورط أمريكي مباشر في القتال. كانت الاتصالات مع الكرملين صريحة وبناءة، بينما رفض فيديرنيكو التعاون مع غولد بيرغ في الأمم المتحدة. وعلى الرغم من أن الحرب قد اتخذت اتجاهات غير متوقعة، لم يكن هناك داع لوصول الخوف إلى سفن الأسطول السادس الراسية على بعد ٢٤٠ ميلاً من السواحل.

بيد أن سفينة واحدة كانت قريبة بصورة ملحوظة. إذ وصلت سفينة «ليبرتي» (Liberty) التابعة للأسطول الأمريكي إلى مسافة تبعد ١٣ ميلاً بحرياً عن ساحل سيناء، خارج المياه الإقليمية لمصر بقليل. أخذت هذه السفينة تذرع البحر جيئة وذهاباً بين العريش وبور سعيد في خط لم تسلكه حركة الملاحة التجارية إلا قليلاً، والذي أعلن أنه خارج حدود الملاحة المصرية المحايدة. كانت علائم الحرب وآثاره بادية للعيان بوضوح على الشاطئ. فطلب ربان السفينة، القائد ماك غوناغل (Mc Gonagle) من الأسطول السادس مدمرة لدعمه، إحساساً منه بالخوف مما يجري بالقرب منه. ولكن طلبه رفض وكتب له نائب الأدميرال وليام مارتن: «ليبرتي سفينة أمريكية واضحة العلامات المميزة لها، تقف في عرض البحر في المياه الدولية، ولا تعد هدفاً معقولاً لأي هجوم من قبل أية دولة».

ولكن لم يتلق أياً من مارتن أو ماك غوناغل، تلقى البرقيات الخمس التي أرسلتها إليهما هيئة الأركان المشتركة الليلة السابقة بوجوب انسحاب ليبرتي إلى مكان يبعد ١٠٠ ميل عن الجبهة؛ لأن نظام الاتصالات المتبع في الأسطول، شديد التعقيد والمثقل بالمراسلات، يرسل الأوامر هذه عن طريق الفيليبين في أقصى الشرق قبل ترحيلها إلى ليبرتي (١٠). وبهذا تصل البرقيات في اليوم التالي حين لا يعود لها أية أهمية.

في الساعة ٥,٥٥ من صبيحة ذلك اليوم كان مراقب الأسطول الإسرائيلي الميجر يوري ميريتز (Uri Meretz) يحلق بجولة استطلاعية على بعد سبعين ميلاً من ساحل غزة، غرباً، عندما شاهد تحته ما اعتقد أنه سفينة تموين أمريكية، تحمل

علامة «GRT-٥» المميزة. حدد ضباط هيئة أركان الأسطول الإسرائيلي في حيفا موقع السفينة بالمؤشر الأحمر الذي أشار إلى أن السفينة «مجهولة الهوية» أما البحث في سفن جين المقاتلة (Jane`SFighting Ships) فقد أكد هوية السفينة «بأنها سفينة مراقبة كهرطيسية للولايات المتحدة هي «ليبرتي» فتغير المؤشر إلى الأخضر دلالة على الحيادية. وقامت طائرة إسرائيلية مقاتلة بمشاهدة السفينة الساعة التاسعة صباحاً على بعد عشرين ميلاً من ساحل العريش «رمادية، ضخمة، مع منصة الربان في وسطها» لم يأت أي من هذه التقارير على ذكر العلم الأمريكي الذي يبلغ حجمه ٥×٨ أقدام المرفرف فوق السفينة من على ساريته. وادعى البحارة أن الطيران الإسرائيلي استمر في التحليق فوق السفينة، الأمر الذي منحهم فرصة واسعة للتأكد من هويتها. ولكن الطيارين الإسرائيليين لم يكونوا يبحثون عن ليبرتي، بل عن غواصات مصرية، تمت مشاهدتها بعيداً عن الساحل. (١١)

كان ذلك الساحل الذي يؤوي ٩٠٪ من سكان إسرائيل وصناعتها معرضاً للخطر المروّع. فالأسطول المصري يفوق الأسطول الإسرائيلي بنسبة ١:٤ في السفن الحربية بما في ذلك سفينتي الصواريخ الموجهة أوسا (Osa) وكومار (Komar)، ويستطيع الاعتماد على دعم سبعين سفينة سوفياتية موجودة في المنطقة، أما سلاح البحرية الإسرائيلية، فكان أداؤه متقطعاً عابراً وبصورة غير منهجية خلافاً لسلاحي الجو والبر. إذ فشلت هجمات قام بها سلاح البحرية والفدائيون معاً ضد الموانئ السورية والمصرية في إحداث أضرار جسيمة -بل أسر ستة من رجال البحرية الإسرائيلية في الإسكندرية- في حين كادت طائرات سلاح الجو الإسرائيلي تقصف زوارق طوربيد إسرائيلية قبالة شاطئ تل أبيب. وعلى الرغم من بقاء الأسطول السادس الأمريكي في شرق البحر المتوسط كثقل موازن للبحرية السوفياتية في المنطقة، لم يكن لدى الإسرائيليين أية وسيلة للاتصال به مباشرة. إذ ذهبت محاولاتهم المتكررة لإقامة علاقة ارتباط بحرية مع الأمريكيين أدراج الرياح.

ولدى انزعاج رابين من هذه العوامل، استدعى الكومندار إيرنست كارل كاسل (Comdr. Ernest Carl Castle) الملحق العسكري البحري الأمريكي في تل أبيب، وأخبره بأن إسرائيل ستدافع عن ساحلها بكل ما لديها من وسائل، ونصحه رابين بضرورة اعتراف الولايات المتحدة بسفنها في المنطقة أو تسحبها. وأن أية سفينة أو زورق يبحر بسرعة تزيد على عشرين عقدة -وهي سرعة لا تدركها إلا السفن المزوّدة بمدافع- سوف يتم إغراقها. (١٢)

أنجز الكابتن أفراهام لونز (Avraham Lunz) مناوبته في مقر قيادة أسطول جيش الدفاع الإسرائيلي، في الساعة ١١ صباحاً، بينما كانت السفن الحربية تبحث عن الغواصات المصرية لاصطيادها. ووفقاً للإجراءات المتبعة أزال إشارة «حيادي» الخضراء من لوحة المراقبة على أساس أنه مضى على وجودها خمس ساعات، لذلك لم تعد هذه المعلومة دقيقة. وبقدر ما يتعلق الأمر بالأسطول الإسرائيلي، فإن سفينة ليبرتي (Liberty) الأمريكية قد أبحرت بعيداً.

بعد أربع وعشرين دقيقة هز انفجار مروّع شواطئ العريش. وعلى الرغم من أن الانفجار نجم عن اشتعال مستودع ذخيرة، فقد لاحظ المراقبون الإسرائيليون سفينتين في عرض البحر فاستخلصوا أن المصريين كانوا يقصفونهم من البحر. فقد حصل مثل هذا القصف في اليوم السابق وفق التقارير المصرية والإسرائيلية معاً. (١٣)

بعد الانفجار في العريش بوقت قصير، وصلت ليبرتي حدود دوريتها الشرقية واستدارت مقدار ٢٣٨ درجة خلفاً في اتجاه بورسعيد. وفي غرفة العمليات، أقلقت أخبار القصف المزعوم رابين الذي كان قد حذر من قيام المصريين بعملية إنزال برمائية قرب غزة، فأكد الأمر الذي ما زال قائماً بإغراق أي هدف مجهول الهوية يدخل منطقة الحرب، ومع ذلك نصح بالحذر: لأن السفن السوفياتية ما زالت تعمل في مناطق قريبة. وبما أنه لم يكن في الجو طائرات مقاتلة طلب من الأسطول

الإسرائيلي أن يعترض، مع افتراض تأمين غطاء جوي فيما بعد. مضى من الزمن أكثر من نصف ساعة دون أي جواب من قيادة الأسطول في حيفا فوجهت الأركان العامة أخيراً توبيخاً: يقصف الساحل وأنتم -الأسطول- لا تحركون ساكناً».

لم يكن الكابتن إزي راهاف (Rahav Izzy) الذي حل محل لونز (Lunz) في غرفة العمليات بحاجة إلى مزيد من الحث. فأرسل ثلاثة زوارق طوربيد من الكتيبة ٩١٤ ذات الاسم الرمزي «باغودا (Pagoda)» لإيجاد السفينة المسؤولة عن القصف وتدميرها. كان الوقت الساعة ١٢,٥ بعد الظهر.

في الساعة ١,٤١ بعد الظهر أخبر ضابط المعلومات القتالية، إنساين أهارون يفراه (Ensign Aharon Yifrah) على متن السفينة الرئيسة من سفن الطوربيد هذه T-٢٠٤، ربانها الكوماندرا موشي أورين (Comdr Moshe Oren) أن سفينة مجهولة الهوية، قد شوهدت على بعد ٢٢ ميلاً إلى الشمال الشرقي من العريش. قاس يفراه سرعة السفينة وقدرها بثلاثين عقدة. إن هذه المعلومة بالإضافة إلى واقعة أن السفينة كانت متجهة نحو مصر، جعلت أورين يستنتج أنها سفينة معادية هاربة إلى مينائها في مصر بعد أن قصفت مواقع إسرائيلية.

شرعت زوارق الطوربيد بمطاردة السفينة، ولكنها لم تتوقع اللحاق بها حتى إذا أبحرت بأقصى سرعتها وهي ٣٦ عقدة، قبل أن تصل السفينة إلى مصر: لذلك أنذر راهاف سلاح الجو، فتحولت طائرتا ميراج عن مسار دوريتها الروتينية فوق سيناء، وأنذر قائد السرب الكابتن يفتاه سبكتر (Yifrah Spector) بوجود زوارق طوربيد إسرائيلية في المنطقة، وأعطى تعليمات بضرورة التأكد فيما إذا كانت السفينة المشتبه بها إسرائيلية فإن لم تكن كذلك فلتهاجم.

عند هذه النقطة - ١,٥٤- صدر عن أحد مراقبي سلاح الجو الإسرائيلي، لازار كارني (Lazar Karni) الذي كانت مهمته التنصت على الاتصالات بين الأرض والطيران، ويقدم اقتراحات من حين إلى حين، صيحة استغراب عفوية: «ما هذا ؟

أمريكيون؟». قال للمحققين الإسرائيليين فيما بعد أن هذا السؤال صدر عن شعور صادق، إذ إن المصريين، حسب إحساسه، لا يمكن أن يرسلوا سفينة واحدة لقصف العريش؟ ومع ذلك قال مراقب آخر على الخط: «أمريكيون: إلى أين؟» لم يجبه كارين، وقال في شهادته: «إن هجوماً كان يشنٌّ على سفينة معادية، ولا أظن أنني في موقع يؤهلني أن أؤكد ما كان مجرد حدس».

في هذه الأثناء حدد سبكتر (Spector) موقع السفينة وأصدر رسالة تعريف من على ارتفاع ٣٠٠٠ قدم. إذ رأى «سفينة حربية رمادية اللون ذات أربعة أبراج مدافع، مقدمتها باتجاه بور سعيد... (و) سارية واحدة ومدخنة». ليس على السفينة أية علامة مميّزة سوى بعض الحروف السوداء «على هيكلها. ولم يُلوَّن ظهرها بصليب أبيض وأزرق الذي يميّز السفن الإسرائيلية. استنتج الطيار أن هذه العلامة هي «Z» أو مدمرة من نوع الطرادات، وبما أن طائراته كانت مزوَّدة بمدافع فقط، فقد طلب طائرات نفاثة إضافية محملة بقنابل حديدية.

نفى ملاحو ليبرتي فيما بعد أن الإسرائيليين قاموا بجولات استطلاعية أولاً، بل انقضوا عليها فوراً. كما رفض الأمريكيون ادعاء إسرائيل بأن استفسارات عن وجهة ليبرتي قد أرسلت إلى الكومندار كاسل (Comdr. Castle) رغم أن كاسل، في واقع الأمر، لم يكن يعلم شيئاً عن السفينة. على أية حال، تداخلت الروايتان عند نقطة واحدة هي أن طائرتين من طراز ميراج، قد بدأتا هجومهما في الساعة ١.٥٧ بعد الظهر. (١٤)

أصابت الصليات الأولى طاقم ليبرتي وهم في حالة راحة واسترخاء بلا خوذ ولا أحزمة نجاة. وكان ماك - غوناغل وعدد من الضباط يشمسون أنفسهم على ظهر السفينة. وفجأة درزت قذائف مدافع من عيار ٣٠ مم السفينة من مقدمتها إلى مؤخرتها، مدمرة الأنتينات ومشعلة براميل النفط. قتل تسعة على الفور وجُرح أضعاف أضعاف هذا العدد، من بينهم ماك غوناغل الذي أصيب إصابة خطيرة في ساقيه، ومع ذلك رفض إخلاءهُ - وكافأه الكونغرس فيما بعد بمدالية



الشرف - بل أمر السفينة أن تستدير إلى اليمين تماماً إلى عرض البحر وأبرق على الفور إلى الأسطول السادس «نتعرض إلى هجوم من طائرات مجهولة الهوية، أرسلوا مساعدة فورية».

قامت طائرات الميراج بغارات ثلاث مشطت ليبرتي من المؤخرة إلى المقدمة محدثة في بدنها أكثر من ٨٠٠ ثقب. قال سبكتر: «لقد قصفناها كثيراً كنت أظن أنها تصدر دخاناً عمداً، وأن الدخان يخرج من المدخنة». سأل رئيس مراقبي سلاح الجو الإسرائيلي، شموئيل كيسليف (Shmuel Kislev) مرتين عما إذا كانت السفينة ترد بمضادات للطيران، ولكن الطيارين كانوا مشغولين جداً بحيث لم يردوا عليه. بعد هجمات دامت ثلاث دقائق ونصف، ونفاد الذخيرة، عادت طائرات الميراج إلى قواعدها، وحل محلها سرب من طائرات الميستير. كانت هذه الطائرات قد عادت قبل قليل من قصف المشاة المصريين، وكانت مزوَّدة من أجل هذه المهمة بقنابل النابالم. في حين أن هذه القنابل لا تناسب حرباً بحرية، فقد تمكنت طائرات الميستير أن تحلق على ارتفاع منخفض وتلقي بحمولتها من قنابل النابالم. وما هي إلاّ ثوان حتى كانت الأبراج وظهر السفينة قد اشتعلت لهباً، ولف الدخان السفينة بأكملها.

كانت طائرات الميستير على وشك توجيه ضربة ثانية عندما أنذر الأسطول بأن السفينة المستهدفة لا ترد على نيران الطائرات، فحذرهم كيسليف بأن الهدف ربما يكون إسرائيلياً حقاً. قال كيسليف للطيارين: إذا كان هناك شك (فيما يتعلق بهوية الهدف) فلا تهاجموه» فاتصل الأسطول بسرعة بسفنه في المنطقة - لم تكن أي منها تتعرض للنيران - وأشارت إلى سلاح الجو بالاستمرار. فقال كيسليف: «يمكنك متابعة الهجوم وإغراق السفينة».

ومع ذلك، ظل كيسليف مضطرباً بسبب عدم رد السفينة على الهجمات الجوية «هذا أيسر من إسقاط طائرات الميغ» كما علق أحد المراقبين - ولكنه كان يخشى من أن يكون الأسطول قد ارتكب فعل القتل. فقال الكابتن يوسي زوك (Yossi Zuk)،

قائد سرب الميستير: «إن كان لديك تشكيل من طائرتين محملتين بقنابل (وزنها ٥٠٠ باوند).. فذلك بركة.. وإلاّ سيكون الأسطول هنا في عشر دقائق». ثم طلب كيسليف، في خضم هذه الضغوط المتكافئة، القيام بمحاولة أخيرة لتحديد هوية السفينة، قائلاً: «ابحثوا عن علم إن كان الطيارون يستطيعون رؤية علم. وانظروا فيما إذا كانوا قادرين على تمييز السفينة بعلم».

أجاب زوك، وما زال يحلق على ارتفاع منخفض، ويقصف، قائلاً: «ليس على السفينة علم»، ولكنه لاحظ ما يعتقد أنه حرف «P» ثم صحح نفسه قائلاً: «انتبه، علائم السفينة المميّزة هي «Charlie - Tango - Romeo - Five». فصاح فيه كيسليف: «اتركها!!» اعلم أن السفن المصرية تميّز نفسها عادة بالحروف العربية، وليس بالحروف اللاتينية، وكان ظنه أن السفينة التي تتعرض للهجوم هي سفينة أمريكية.

أرعبت الأخبار الضباط الإسرائيليين الموجودين في غرفة العمليات. إذ خشي رابين أن تكون السفينة سوفياتية وليست أمريكية، وأن تكون إسرائيل قد أعطت ذريعة للتدخل السوفياتي. ولدى غياب دايان في زيارة له إلى الخليل، وموتي هود في طريق عودته من تلقي بعض المعلومات والأوامر، قام رئيس الأركان بأخذ زمام الموقف بنفسه. فأرسل طائرتي هيليكوبتر من سلاح الجو الإسرائيلي للبحث عن الناجين الذين رآهم الطيارون يقفزون من السفينة إلى البحر. وأمر رابين زوارق الطوربيد التي ما زالت تلاحق السفينة، أن تظل على مسافة آمنة بعيداً عنها.

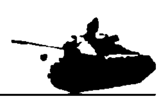
كان مشهد ليبرتي في هذه الأثناء جهنمياً. الرجال مصابون بحروق النابالم المروّعة، مزّقت أجسادهم بالشظايا، وحشروا في غرفة الضباط الصغيرة التي تحولت إلى مشفى طوارئ. وأرسل العاملون في اللاسلكي في غرفة الاتصالات إشارات أسى غير مشفرة. أما الجنود الآخرون الذين ما زال في أجسامهم شيء من المقدرة قاموا بإحراق أوراق سرية، ورفعوا علم أمريكيا كبيراً يرفع عادة في العطل يحل محل العلم البحري الأصلي الذي نُسف بالقصف. ولم يكن لديهم أي دليل يبين إلى من ينتمي المهاجمون بالضبط. وظن أغلبهم أنها طائرات ميغ مصرية.



الدخان نفسه الذي حجب الطائرات الإسرائيلية عن ليبرتي، هو ذاته الآن يحجب ليبرتي عن الكابتن أورين. وصلت عمارة باغودا من زوارق الطوربيد إلى موقع الأحداث في الساعة ٢.٤٤ بعد أربع وعشرين دقيقة من إصدار رابين الأمر لها بالتوقف. وفي حين ظهر هذا الأمر في سجل T-٢٠٤، (ادعى أورين فيما بعد أنه لم يستلمه أبداً. ومع ذلك توقف على بعد ٦٠٠٠ متر عن السفينة وتفحصها. وعلى الرغم من الدخان، استطاع أن يرى أن السفينة لم تكن المدمرة، التي قصفت العريش، حسب ظنهم، بل على الأغلب ناقلة كانت تخدم تلك المدمرة أو أنها خلت جنود الأعداء من الشاطئ. فعاد إلى سجل المخابرات فوجد أن الصورة الظلية (المُسلوَثة) للسفينة تشبه سفينة التموين المصرية القصير (El Quseir): كما توصل ربانا الزورقين الطوربيديين الآخرين كل على انفراد إلى النتيجة ذاتها. فضلاً عن أنه عندما أرسل إشارة إلى السفينة مستفسراً عن هويتها، لم يتلق جواباً واضحاً. فأمر أورين عمارة زوارق الطوربيد باتخاذ تشكيل مثالي.

وعندما اقتربت باغودا من سفينة ليبرتي، كانت إشارة الأسى والألم التي أرسلتها قد وصلت نهائياً إلى USS America. وجاء الجواب «المساعدة في الطريق» كانت حاملة الطائرات في منتصف تمارين استراتيجية: وكانت الطائرات على متنها مسلحة بصواريخ ذات رؤوس نووية، ولم يكن لديها وقت كافٍ للاستعاضة عنها بأسلحة تقليدية. أقلع سرب من ثماني طائرات F-٤ في اتجاه سيناء، وما هي إلا دقائق حتى استدعاه نائب الأدميرال مارتن (Martin) وأمره بالعودة. إذا كان رابين يخشى أن تكون السفينة روسية، فإن مارتن كان يشك بأن مهاجميها كانوا روساً، وأنهم لم يجازفوا ببدء حرب نووية دون تخويل من أعلى مستويات السلطة.

لم تصل المساعدة من حاملة الطائرات (USS America)، بيد أن الإسرائيليين أصبحوا ضمن المدى. أمر ماك غوناغل، الذي جرب العودة إلى نظام إرسال الإشارات بمصباح ألدس (Aldis lamp) اليدوي -لأن جميع الأنوار الكشافة قد دمرت- رجاله ألا يطلقوا النار على زوارق الطوربيد المقتربة. ومع ذلك، فتح جندي



لم يسمع الأمر النار من أحد الرشاشات الأربعة الموجودة في السفينة. كما فُتحت النار من رشاش آخر ضغط زناده بسبب انفجار ذخيرة. أصبح أورين الآن يتعرض لإطلاق نار من سفينة افترض أنها مصرية. فاتصل لاسلكياً بازي راهاف في مقر قيادة الأسطول طالباً الإذن باستئناف إطلاق النار. وبعد تردد أعطى راهاف الإذن.

من بين زوارن الطوربيد الخمسة التي أطلقت النار على ليبرتي، لم يصب هدفه بدقة سوى زورق واحد إذ أصاب ميمنة السفينة، وقتل خمسة وعشرين رجلاً، معظمهم من قطاع المخابرات. قال عنصر الارتباط من سلاح الجو الإسرائيلي الموجود مع الأسطول إلى كيسليف: «كيسليف، إنها سفينة تموين مصرية. لا أريد أحداً بعد الآن يقول إن لدى سلاح الجو مشكلة في تحديد هوية السفينة». ولدى شعور كيسليف لفترة وجيزة بأنه بريء من الخطأ، أصدر تعليماته للمروحيات بالاستمرار بمهمة الإنقاذ ولكن بحذر.. وكان الأمر على النحو التالي: «أخبر المروحيات أنهم ليسوا أمريكيين.. بل مصريين. وقل لهم (للقوات الإسرائيلية) إن بحارة مصريين سيصلون من البحر من سفينة أغرقتها البحرية الإسرائيلية».

وكان ما زال ينبغي للأسطول أن يغرقها، على أية حال. فاقتربت زوارق الطوربيد من سفينة ليبرتي وأطلقت عليها نيران مدافعها ورشاشاتها عن كثب - وعلى روامث* النجاة حسبما ذكر بحارتها. والتقطت إحدى زوارق T-٢٠٣ أحدها وإذا بها تحمل إشارة الأسطول الأمريكي. فبدأ أورين يشك في أن السفينة ربما لا تكون مصرية. ولدى إحاطته بالسفينة سيئة الحظ، رأى علامة مميزة هي GRT-٥. ولكن محاولات أورين للاتصال بالبحارة عبر مكبر صوت باءت بالفشل فلم يتلق أي جواب، ولم تُحدّد هوية السفينة إلا بعد نصف ساعة. فمن على ارتفاع خمسة وثلاثين ألف قدم فوق المنطقة التقطت طائرة تجسس أمريكية من طراز EC121M إشارات زوارق الطوربيد. «هاي، أيها الرئيس «قال مايك بروستيناك (Mike Prostinak) عبري اللسان، محذراً قائده، ضابط الصف البحري، مارفين إي نورفيكي: (Maxnin E. Norwicki)» التقطت على تردد UHF إشارات تدل على نشاط غريب، إنها تذكر علماً أمريكيا».

وصلت كلمة تدل على جنسية السفينة الأمريكية عندما كانت هيئة أركان جيش الدفاع الإسرائيلي تدرس احتمال قيام السوفيات برد انتقامي. يذكر رابين أنه قال: «لا بد وأنه كانت لدي مشاعر مختلطة بشأن النبأ - مشاعر الأسف العميق لقيامنا بالهجوم على أصدقائنا، وشعور هائل بالانفراج (لأن السفينة لم تكن سوفياتية)». فأرسل على الفور اعتذاراً إلى كاسل (Castle) الذي أخبر بدوره الأسطول السادس. وكان جناح آخر من النفاثات، المسلحة بقنابل تقليدية، قد أقلع من على حاملة الطائرات ساراتوغا (Saratoga). وعلى الرغم من أن الطيارين قد حُذروا من الاقتراب كثيراً من الساحل أو من ملاحقة طائرة مهاجمة، فقد خولوا «باستخدام القوة اللازمة لحماية سفينة ليبرتي الأمريكية».

ولكن مارتن أمر الطائرات بالعودة، ولم يصل ليبرتي سوى طائرتين مروحيتين إسرائيليتين من طراز سوبر فريلون (Super Frelon). ولدى تحقُّق ماك غوناغل من هوية الطائرتين المهاجمتين أخيراً، أشاح لهما بيده كي ترجعا. ولم تستطع مروحية إسرائيلية أخرى كانت تقل كاسل (Castle) الذي ألقى ببطاقة عمله على ظهر السفينة - من الهبوط بسبب الظلام. وبحلول الساعة ٥،٥٠ مساءً كان الإسرائيليون قد قطعوا الاتصالات، وكانت ليبرتي قد أبحرت إلى عرض البحر مترنحة تحمل أربعة وثلاثين قتيلاً ومئة وواحداً وسبعين جريحاً». (١٥)

وبعد ساعتين تقريباً، تلقى جونسون نبأ مفاده أن ليبرتي التي كانت «على بعد ٦٠-١٠٠ ميل شمال مصر» قد هوجمت من قبل زورق طوربيد مجهول. فافترض الرئيس على الفور أن السوفيات قد انخرطوا في الحرب. ولكي يحبط أي تصعيد آخر اتصل بالكرملين عبر الخط الساخن محيطاً إياه علماً بالهجوم وإرسال طائرات من الحاملة ساراتوغا. أكد كوسيغن تلقي هذه المعلومات، ووعد بتمريرها إلى ناصر(١٦) وما زال السؤال «من الذي حاول إغراق ليبرتي؟» قائماً.

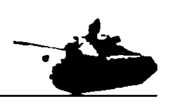
مضت ساعتان قبل أن تؤكد السفارة الإسرائيلية في واشنطن ما وصفته «بالعمل الخاطئ» وتبع ذلك التأكيد على الفور رسالة اعتذار من هارمان (Harman). وكان رد فعل جونسون الأولي، مثله كمثل رابين، هو الشعور بالارتياح لأن السوفيات لم يتورطوا. وفي حين أبلغ هارمان «بمشاعر الرعب القوية»، أبلغته الإدارة الأمريكية أيضاً بشكرها على صراحة بيان إسرائيل وصدقه. إذ سارع إشكول إلى إرسال برقية تقول: «يرجى قبول أعمق تعازينا وأصدق عواطفنا لكل العائلات المنكوبة» وتبعه إيبان ببرقية تقول: «إنني أشعر بالخزي العميق والحزن الشديد بسبب الحادث المأساوي الذي مسَّ سلامة الأمريكيين وأزهق أرواحهم». وكتب إيفرون رسالة شخصية إلى الرئيس قال فيها: «إنني حزين معكم على الأرواح التي أزهقت، وأشارك آباء وأمهات، وأزواج وأطفال الذين قتلوا في هذه اللحظة القاسية من انحراف القدر» وفي غضون ٤٨ ساعة عرضت الحكومة الإسرائيلية تعويضاً للمصابين: ودفعت في النهاية ١٢ مليون دولار.

يبدو أن إبداء الأسَف ومحاولات إعادة الأمور إلى نصابها قد أرضت الإدارة الأمريكية التواقة إلى التخفيف من أثر هذا الأمر. قال باربر محذراً في تل أبيب: «إن اقتراب ليبرتي من مشهد الصراع يغذي شكوك العرب بالتواطؤ الإسرائيلي الأمريكي» ومن القاهرة، حث نولتي (Nolte) الإدارة الأمريكية قائلاً: «خير لنا أن ننشر خبر الهجوم على ليبرتي بالطوربيدات بأسرع ما يمكن، بوصفه حدثاً جيداً» وربما يخشى أن يلفت الحادث الانتباه إلى وجود غواصات أمريكية - اسمها الرمزي (المشفر) فرونتليت ٦١٥ (Frontlet) - تعمل في المياه المصرية. فأصدرت وزارة الدفاع بياناً رسمياً تعترف فيه بأن «سفينة أبحاث أمريكية تابعة للأسطول الأمريكي «مخصصة» لتقديم معلومات تتعلق بإخلاء الموطنين الأمريكيين من الشرق الأوسط «قد هوجمت في المياه الدولية» على بعد ١٥ ميلاً شمال شبه جزيرة سيناء». وقال البيان إن إسرائيل قد اعترفت بمسؤوليتها عن الهجوم واعتذرت عنه. وفيما عدا ذلك أسدل ستار كثيف من التعتيم الإعلامي على الحادث. (١٧)

ومع ذلك بدأ المسؤولون الأمريكيون، حالياً، بالاهتمام بالطريقة التي عومل بموجبها الحادث، وأكثر من ذلك بالأسباب التي أدت إليه. فبرزت أسئلة كبرى عديدة: لماذا هاجم الإسرائيليون سفينة محايدة في أعالي البحار، دون أي استفزاز؟ وكيف لم يروا علم ليبرتي أو العلامات المميزة المدهونة على هيكلها حديثاً؟ وكيف يخطئون ليبرتي فيدعون أنها القصير (El-Quseir) المصرية، الأبطأ من ليبرتي كثيراً، والأصغر منها، تسجل بأنها تسير بسرعة ثلاثين عقدة، علماً بأن سرعتها القصوى هي ثماني عشرة عقدة فقط؟

قال راسك مزبداً غضباً: «لا يعقل، لا يمكن قبول مثل هذا الوضع» كما أن كلارك كليفورد، أحد مستشاري ترومان وكينيدي المؤيدين بقوة لإسرائيل، والذي يشغل الآن في إدارة جونسون منصب رئيس المجلس الاستشاري للمخابرات الأجنبية وصف الهجوم بأنه «لا مسوّغ له.. وإهمال فاضح يجب أن تتحمل حكومة إسرائيل مسؤولية كاملة عنه». وقال: إن الحادث قد عومل وكأن العرب أو الاتحاد السوفياتي قد قام به» في حين لم يستطع أي من المسؤولين تفسير دوافع إسرائيل للهجوم على سفينة أمريكية ولا التدقيق في الوقائع واختبارها. وإما أن الإسرائيليين قد أظهروا عجزاً مطبقاً - في خضم انتصارهم الخالي من الأخطاء - أو أنهم ضربوا ليبرتي عن عمد. والواقع أن كثيرين في الإدارة الأمريكية قد استخلصوا أن الهجوم كان مقصوداً أو أن تعليلات إسرائيل خادعة (١٨). وسرعان ما أخذ الاتهام بالقتل عن سابق إصرار وتصميم يحل تدريجياً بدل الاتهام بالإهمال الجنائي.

تحرك الإسرائيليون لنفي هذه الاتهامات بتقارير داخلية ثلاثة، آخرها إجراء تحقيق كامل برئاسة القاضي العسكري، الكولونيل يتشاياهو يروشالمي (Yeshayahu Yerushalmi). أقرت التقارير الثلاثة بأن اللوم يقع على إسرائيل في إعطائها تقارير خاطئة عن القصف على العريش، وفي حساب سرعة ليبرتي خطأ وفي اختلاط الأمر في تحديد هوية ليبرتي على أنها سفينة القصر (El-Quseir) المصرية. كما بينوا الاتصالات الخاطئة بين فروع الجيش المختلفة، وإنهاك الطيارين



بعد أربعة أيام من القتال المتواصل، ورغبة الأسطول الجامحة في التعويض عن إخفاقاته السابقة في الحرب. ومع ذلك، خلصت الدراسات الثلاث أن الهجوم كان «خطأ بريئاً» لم ينجم عن حقد أو إهمال متعمد فادح. كتب ييروشالمي (Yerushalmi) يقول: «إنه لمن دواعي أسفي الشديد أن تتورط قواتنا في حادث مع سفينة لدولة صديقة. «إنني لم أكتشف أي انحراف على السلوك القياسي المعقول يستدعي إجراء محاكمة عسكرية». (١٩)

قال يوجين روستو متذمراً لدى إطلاعه على هذه النتائج الثلاث: «اللعنة عليها، لا معنى لها البتة. وكتب راسك حول هذا الهجوم يقول: «لم يكن مفهوماً أبداً.. إنه إهمال عسكري يظهر استهتاراً بحياة البشر» إن اقتراحاً إسرائيلياً مفاده أن وجود ليبرتي في مكان لا عمل لها فيه أدى إلى عدم إحاطة إسرائيل علماً بوجودها وأنها أخفقت في التعريف بنفسها بوساطة «السيمافور، والأنوار، والأعلام» قد أثار الاستياء. كما ثبت أن تأكيد إيفرون أن ضباط جيش الدفاع الإسرائيلي «سيعاقبون عقاباً شديداً» لا أساس له من الصحة. أخذ البيت الأبيض الآن يطالب ليس فقط بوجوب دفع إسرائيل تعويضات، بل أيضاً الاعتراف بالخطأ ومحاكمة المسؤولين عن الهجوم «وفقاً للقانون الدولي».

لم يعكس هذا الطلب، على أية حال، أية رغبة لدى الولايات المتحدة للتحقيق في الحادث بصورة دقيقة، افترضت محكمة بحرية انعقدت في مالطا للتحقيق في الحادث برئاسة العميد البحري إسحاق س.كيد (Isaac C.Kidd) الصغير، بعد الهجوم بوقت قصير، أن علم ليبرتي لم يظهر جلياً للطيارين الإسرائيليين بسبب عدم وجود ريح كافية، وأن الهجوم كان، على ما يبدو «نتيجة لخطأ تحديد الهوية» أجريت مراجعات أخرى من قبل المخابرات المركزية الأمريكية (CIA)، وهيئة الأركان المشتركة، ولجنة شؤون المجلس التشريعي، ووكالة الأمن القومي (٢٠). ولكنه لم يجر البحث في أي وقت عن إجابات عن الأسئلة المتعلقة بمن أرسل ليبرتي ذات التسليم الخفيف متسترة إلى قلب منطقة حرب يخوضها الآخرون، ولأي غرض؟ إن أحداً لم يقل ولم يتهم مهمة ليبرتي بأنها غلطة فظيعة.



أتاح غياب أجوبة كهذه الفرصة لنشوء مزيج من نظريات المؤامرة تدعي تفسير الحادثة. فقيل: إن إسرائيل قد شنت هذه الهجوم لتمنع ليبرتي من إرسال تقارير عن مكاسب إسرائيل في سيناء، أو عن ما زعم عن إعدامها للأسرى المصريين، أو اعتراضها للرسائل بين القاهرة والملك حسين. وأكثر الاتهامات انتشاراً هي أن إسرائيل - وخصوصاً دايان - أرادت تدمير ليبرتي لإخفاء استعدادات إسرائيل للهجوم القادم على سوريا واختراق أراضيها.

لم تصمد أي من هذه النظريات أمام التمحيص التاريخي، أو حتى لم يكن لها معنى مقبولاً. على أية حال، لم تبذل إسرائيل جهداً يذكر لإخفاء تقدمها في سيناء أو نواياها تجاه الجولان عن الأمريكيين. كان الأردن في الثامن من مايو (أيار) قد أصبح عاجزاً عن مواصلة القتال. ولم يظهر أي دليل على أن إسرائيل قد قامت بإعدام جماعي لأسرى الحرب، أو أنها سعت لإخفاء ذلك السلوك عن طريق قتل الأمريكيين. والواقع، أن الإسرائيليين الذين يهيمن عليهم القلق بشأن رأي الولايات المتحدة فيهم، والخوف المتأصل فيهم من السوفيات، كانوا كارهين تماماً لخلق عداء، ناهيك عن خوض حرب، ضد القوة العظمى الوحيدة التي تحميهم. وبينما كان بإمكان جيش الدفاع الإسرائيلي إغراق ليبرتي إلا أن الحقيقة ظلت أنه لم يغرقها، بل أوقف النيران حالما أدرك الخطأ، وعرض تقديم المساعدة للسفينة. استخدم المعلقون العرب والسوفيات منطق هذا الحوار - بصورة ساخرة - وأكدوا أن ليبرتي كانت تتجسس لصالح إسرائيل في أثناء الحرب وأن إسرائيل هاجمتها خطأ. (٢١)

أهي حرب أيام أربعة؟

إن حادثة ليبرتي بما صاحبها من تحديد خاطئ للهويات والمناوشات التي كادت تحدث بين القوات الأمريكية والسوفياتية، قد ألقت الضوء على سهولة اشتباك القوى العظمى في حرب عن غير عمد في الشرق الأوسط. نصح غولد بيرغ، إيبان، قائلاً: «على إسرائيل أن تحرص على عدم دفع منفعتها أبعد مما ينبغي» لافتاً النظر

إلى أن هزيمة العرب الشاملة قد زادت من خطر تدخل السوفيات. كما أن الـ CIA استشهدت في تقرير لها بمصدر سوفياتي سري، يحذر من تعاظم احتمال انخراط السوفيات مباشرة في الحرب - إذ أوضح ذلك المصدر قائلاً: «ليس أمامنا خيار آخر». كما هدد كوسيغن - على ما يبدو - بدور سوفياتي أكثر عدوانية، فقد كتب رئيس الوزراء السوفياتي في رسالته الساخنة التالية إلى واشنطن قائلاً: «لقد وضعت أعمال إسرائيل الدول العربية في وضع لا يسعهم فيه إلا أن يخوضوا حرباً دفاعية ضد المعتدي. وما لم يتم انسحاب القوات الإسرائيلية الكامل.. لا يمكن إقامة سلم في الشرق الأدنى وتوطيده».

كان أفضل أمل للحيلولة دون صدام القوى العظمى يكمن في مجلس الأمن الذي انعقد ثانية في الساعة الثانية بعد الظهر، بعد انقطاع دام حوالي ٢٤ ساعة. إذ لم يطرأ على الجو السياسي تحسن إلا قليلاً. فبالإضافة إلى الفجوة الواسعة القائمة بين موقفي الاتحاد السوفياتي، والولايات المتحدة، فقد نشأت الآن خلافات بين موقفي إسرائيل والولايات المتحدة. فقد عارض إيبان أي ربط بين وقف القتال وعودة القوات الإسرائيلية إلى خطوط الرابع من يونيو (حزيران)، بل أراد ألا يأتي مجلس الأمن على ذكر اتفاقات الهدنة أبداً، ولا حتى على ذكر كلمة «انسحاب» في حين، ذكر غولد بيرغ بدوره بياناً بمتطلبات الرأي العام، قائلاً: «من الضروري ألا تبرز إسرائيل من الوضع الحالي قوة عازمة على انتهاك السلامة الإقليمية للبلدان الأخرى» ودعاه، متفضلاً، للتشاور مع ماك جورج بندي (Mc George Bundy) حول «أفضل السبل للتوصل إلى سلام، والتغلب على مشاعر الضغينة والإذلال التي يحس بها العرب».

ومع أن الاختلافات الأمريكية - الإسرائيلية حادة، لكنها ضئيلة جداً بالمقارنة مع الاختلافات السوفياتية - الإسرائيلية. فقد قال فيديرنيكو معنفاً بقسوة: «إن الحشود العسكرية الإسرائيلية تتبع خطوات الجلادين الهتلريين الدامية» ورد عليه جدعون رفائيل بالطريقة ذاتها: «لم تعقد إسرائيل ولا الشعب اليهودي حلفاً مع



ألمانيا الهتلرية، يشجع ألمانيا النازية على إطلاق العنان لعدوانها على العالم». تابع السوفيات اقتراحهم بإصدار قرار يدين إسرائيل ويطالبها بانسحاب كامل من الأراضي العربية. وواجهتهم الولايات المتحدة بمسودة مشروع غير بارع صاغته هي بنفسها يدعو إلى «إجراء مباحثات.. بين الأطراف المعنية» وإلى فصل القوات المتحاربة، وإدانة استخدام القوة، والحفاظ على الحقوق الدولية، وإقامة «سلام مستقر ودائم في الشرق الأوسط». لم يحظ أي من النصين بفرصة موافقة مجلس الأمن: ولم يناقش أي من النصين بجدية.

هل تنسحب إسرائيل أو لا تنسحب ظلت مسألة فيها نظر، طالما أن مصر مازالت ترفض وقف إطلاق النار. وكانت هناك ضغوط موازية تمارس على القوني، فقط كان السوفيات يحثونه على إبداء مرونة، بينما كان أعضاء الكتلة الآسيوية - الإفريقية - نيجيرنا، وباكستان وقبرص، وإندونيسيا -تحثه على الوقوف بحزم. وانتشرت إشاعات في قاعة مجلس الأمن مفادها أن القاذفات السوفياتية في طريقها إلى الجبهة، وأن الجيش المصري سيعيد في أقرب وقت تجميع نفسه ويشن هجوماً معاكساً ضخماً. وقالت الإشاعة، إنه رغم التزام القوني بوقف القتال فإن القاهرة ربما تتنكر له. وتعمقت الفوضى عندما ذكرت وكالة الأنباء الفرنسية أن ناصراً قد رحب علناً بإنهاء حالة الحرب. فاندفع السفير المصري ليؤكد هذا الادعاء، فتبين له أن النبأ كاذب. فجلس بعد ذلك في رواق المراقبين، منسحباً من قاعة المجلس، بانتظار توجيهات من ناصر. (٢٢)

ولكنَّ أحداً لم يسمع من عبد الناصر أو شاهده خلال ثلاثة أيام متوالية. إذ كان قد حصر نفسه في بيته، بزعم أنه محزون بسبب هزيمة جيشه، وحجب نفسه عن العالم الخارجي وامتنع عن الاتصال بالقادة العسكريين بوجه خاص. فقد سعى السادات مراراً وتكراراً إلى التحدث معه أو المثول أمامه، طالباً منه بإلحاح أن يطرد عامر ويتسلم قيادة الجيش بنفسه، ولكن عبثاً. لم يشأ ناصر أن يخرج على الملأ. ثم ظهر زعيم مصر فجأة في منتصف يوم الثامن من يونيو (حزيران). إذ دخل مقر القيادة العليا وعلى شفتيه ابتسامة عريضة، وأعلن أنه قد انتهى منذ قليل من حديث

له مع القادة السوفيات والجزائريين، وأن ٢٠٠ (مئتي) طائرة ميغ جديدة في طريقها إلى مصر: وأن القوات المصرية ستعيد تجميع نفسها، وتتمسك بالممرات أولاً، ثم تشن هجوماً ضخماً. وعندما سأله أحد رفاقه القدامى، عبد اللطيف البغدادي، لماذا لم تنسق مصر سياساتها مع موسكو وتقبل وقف إطلاق النار، رد عليه بعصبية: «لا يهم إن قبلناه أم لم نقبله. فاليهود سيستمرون بالقتال حتى يحققوا أهدافهم».

ثم استدعى ناصر، محمود رياض وأطلعه على برقية تلقاها من موسكو تحثه على الموافقة على وقف إطلاق النار. فكان جواب رياض، أنه طالما دفعت المخابرات السوفياتية بالجيش المصري إلى دخول سيناء، فلا يجوز للاتحاد السوفياتي أن ينضم إلى واشنطن في مطالبة مصر بالتوقف عن الدفاع عن نفسها. وقال رياض: إن على مصر أن تصمم على القتال حتى يطرد الإسرائيليون من أراضيها - وهو قتال يتوقع من السوفيات دعمه.

كان رياض، أيضاً، متفائلاً، فرحاً بالتقارير التي تفيد بأن مضادات الطيران المصرية قد صدت الطائرات الإسرائلية، وأن المظليين الأعداء قد كبدوا خسائر فادحة في ممر المتلا، وأن رتلاً مدرعاً قد أوقف في روماني (Romani). وبالإضافة إلى رفض طلب موسكو، هتف بنفسه إلى كل من الممثلين الدائمين في مجلس الأمن يذكرهم بأنه لن يكون هناك وقف لإطلاق النار دون انسحاب إسرائيل فوراً. وأخذ راديو القاهرة يطمئن المستمعين ثانية بأن مقاومة عنيفة يدور رحاها على كل جبهات سيناء. وأن ليس لدى الحكومة أية نية في الموافقة على وقف إطلاق النار.

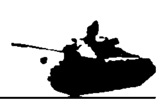
بدا وكأن فرص التوصل إلى قرار في مجلس الأمن قد أخذت تخبو وتتضاءل بفضل وهم المصريين بإحراز نصر محتمل وبسبب خوفهم من العار العام. نفى صلاح نصر (Salah Naser) رئيس فرع الخدمات السرية ادعاءات إسرائيل بتحقيق انتصارات، وعبر عن لفتة بأن مصر سوف تعود إلى خطوط الهدنة السابقة وربما تحتفظ بالحصار. أما مصر فلن توافق على وقف إطلاق النار معللاً ذلك بقوله: «ماذا سنقول للشعب». (٢٣)

لم تستطع تلك الأوهام - على أية حال - إخفاء صورة الدمار الشامل المنتشر على طول قناة السويس. إذ عبر القناة حوالي ١١٠٠٠ جندي، في حين تاه حوالي ٢٠٠٠٠ جندي في سيناء وهم بأمس الحاجة إلى الماء. ولدى مشاهدة الجنرال فوزي الطريق القادم من الإسماعيلية، رأى سرايا كاملة من الدبابات يتخلون عن مركباتهم وأسلحتهم الشخصية ويسبحون عبر القناة. وأصدر عامر أمره إلى الجنرال عبد المنعم خليل بنسف الجسور المقامة على القناة، غير آبه بهؤلاء الجنود ولا بحقوقهم. وشهد خليل قائلاً: «كانت تلك آخر كلمات سمعتها منه، آخر أمر مشين».

وقال محمد أحمد خميس، ضابط اتصالات الفرقة السادسة الذي عاد إلى سيناء وسط إشاعات بوجود غطاء جوي جزائري: «لقد كان مشهداً مروعاً كانت القطع المحطمة متناثرة فوق الرمال.. دبابات محترقة تماماً.. مركبات محطمة، وأجساد متفحمة تبدو وكأنها تماثيل.. فجأة رأيت ضباطاً كباراً في سيارة جيب عسكرية وطلبوا إليّ أن أعود ثانية.. وقالوا لي لم يعد في سيناء قوات مصرية، وأن الأمر كله قد انتهى». كما أن ضابط الاستطلاع، يحيى سعد باشا (Yahya Saشad Basha) قد نجا من الممرات ليقع في المصيدة ثانية. قال واصفاً حالته: «وصلت ضفاف القناة فرأيت أن الجسور قد نسفت، فتمددّت على الأرض، ونمت نوماً عميقاً منهكاً حزيناً.. تعصرني مرارة الهزيمة التي لم نفهمها».

وفي ممر الجدي، وجد الجنرال الغول نفسه وحيداً وهيئة أركان فرقته، ليس لديهم مدفعية، ولم يبق لديهم سوى دبابة واحدة. قال فيما بعد: «لقد شوشت اتصالاتنا تماماً بفضل سفينة ليبرني الأمريكية» وخوفاً من أن يقعوا في الأسر، أصدر أمره الثاني والأخير بالتراجع.

ممن شاهدوا ذلك الهروب المراسل الحربي البريطاني ديفيد برايس - جونز (David Pryce- Jones). وبعد أن أنجز تقريره عن سقوط «أبو عجيلة» قفل راجعاً مع القوات المصرية إلى القنيطرة حيث كانت «العبّارات/المعدّيات» تنقل الجنود المصريين من سيناء على دفعات تتألف كل منها من خمسين جندياً:



«كان طبيب مشرف يجبر الجنود العابرين على التوقيع على سجل، وكان كل منهم يضغط إبهامه، الواحد تلو الآخر، على لبادة حبر قرمزي ثم على صفحات دفتر مرنة. كان هؤلاء من المجندين الإلزاميين، وأميين. وعلى الضفة الأخرى من القناة، كانت الأمهات تنتظرن تحت الشمس في صفوف محددة ساكنة، اجتمعن من مختلف أنحاء البلاد ليعرفن مصير أبنائهن. وخلف الأمهات المصطفات بتسلسل كان يمتد سياج من الأسلاك الشائكة يحيط بهنغارات الضباط، وكان أربعة أو خمسة منهم يسترخون في كراسي مركب مخططة يشاهدون الجماهير من خلال مناظيرهم الميدانية».

لقد نجح بعض المبعوثين الأجانب، وبعض الإشاعات من الجبهة في الإفلات من الرقابة والرقباء. فغرقت القاهرة في صمت وقلق الآن، بعد أن كانت مبتهجة بما أشيع عن هزيمة إسرائيل، وحذر نولتي (Nolte) من خطر نشوب شغب متزايد ومظاهرات صاخبة ماثل للعيان واضح «في المدينة تؤدي إلى «انهيار خطير للنظام العام». (٢٤)

وبحلول آخر النهار، كان ناصر قد اجتمع بكبار الضباط الذين أخبروه بوضع سيناء الذي لا رجعة فيه ولا يمكن تغييره. آخر من التقاهم كان عامر. الذي فوجئ أثناء اجتماعه بالبغدادي وبكمال حسن بدخول رئيسهم. نهض الضباط الأحرار السابقين يبكون، وخرجوا من الغرفة تاركين الزعيمين وحدهما. نشأ جدال حاد بينهما، ولم يستطع محمود الجيار (Mahmud al-Jiyyar) أحد زملاء ناصر القدماء الذي كان ينتظر خارج الغرفة، أن يتبين تفاصيل ما دار بينهما، وبعد فترة وجيزة، خرج ناصر منحني الظهر مطأطئ الرأس. وتبعه عامر على الفور قائلاً: «تصور يا جيار أن كل شيء قد انتهى وأننا موافقون على وقف النار» وأردف قائلاً: «كفى، يا جيار، إننا مستسلمون».

استدعى ناصر، رياض، وقال له بصوت مخنوق إن مصر لم تعد قادرة على متابعة القتال: ولا بد من إحاطة القوني علماً بذلك. خشي رياض من الاتصال بالقوني. واعترف في مذكراته بأنه «خلال الأيام القليلة المنصرمة كنت أغذيه



(القوني) بالتقارير العسكرية المبهجة التي كنت أتلقاها، والتي كان يتقبلها ويكذب ما يصله من أنباء عن انهيار الجيش من زملائه السفراء، ويعتبر ذلك نوعاً من الحقد وعدم الدقة. بقينا صامتين لحظات من الزمن. فقد انهار الوهم العظيم الذي كنا نعيشه». وصل وزير الخارجية إلى سفارة نيويورك في الساعة التاسعة مساءً.

اهتز القوني من الأعماق. وصاح قائلاً: «لا يمكن أن يكون ذلك». فقد كان السفير قد حضَّر خطاباً مختلفاً بصورة كلية يرفض فيه ثانية وقف إطلاق النار. وقد ساوره شك في أن تكون تلك خدعة إسرائيلية فهتف مباشرة إلى مكتب الرئيس ناصر وطلب أن يتحدث مع الرئيس شخصياً. فأكد له ناصر قائلاً: «لقد أحسنت باتصالك بي يا محمد، ولكن، نعم، عليك أن تقبل بوقف إطلاق النار».

نزل القوني إلى قاعة مجلس الأمن. محطماً مجهشاً بالبكاء، في الساعة ٩،٣٥ بعد الظهر، وقال: «لي الشرف أن أبلغكم، بناء على تعليمات من حكومتي، بقرار قبول الدعوة إلى وقف القتال شريطة أن يوقف الطرف الآخر القتال، كذلك» أصر العديدون من الأعضاء غير الدائمين الذين شهدوا هذه الكلمة على اعتقادهم بأن خطاب القوني كان تكتيكياً وأن ناصراً لا يمكن أن يسلّم هكذا دون ضمان انسحاب إسرائيل. بيد أن مثل هذا التصور قد تلاشى بفضل بيان صدر عن القيادة العليا في القاهرة. لقد أكد ذلك التزام مصر بوقف القتال بعد معارك «لم يسبق لها مثيل في ضراوتها وشدتها ضد القوات الإسرائيلية -الأمريكية- البريطانية المشتركة». وأنذر البيان بأن القتال، مع ذلك سوف يستمر على الجبهات الأخرى: «مئة مليون عربي مشحونون بالكراهية الانتقامية.. من عصابات شيكاغو وتكساس». (٢٥)

ترددت أصداء كلمات القوني عالية في القدس، في جدال دار حول أين ينبغي إنهاء الحرب. وترافقت مع نبأ وقف القتال في وقت قريب إشاعات بأن الولايات المتحدة سوف تضغط من أجل انسحاب متبادل بين مصر وإسرائيل ستة أميال إلى الوراء. ولما كان دايان تواقاً إلى توطيد ممري متلا والجدي كخط دفاعي إسرائيلي

جديد، فقد تراجع عن معارضته السابقة للتقدم إلى ما بعد الممرين. فقسم يوفي الآن فرقته إلى ثلاثة أرتال. اثنان يتقدمان جنوب بحيرة المرّة الكبرى (Great Bitter Lake). أما الرتل الثالث فيتوجه نحو رأس السدر (Ras al-Sudr) على ساحل خليج السويس، ليلتقي هناك بالمظليين المتجهين شمالاً من شرم الشيخ. في حين يتابع تل اندفاعه المتفرع إلى شعبتين – من بير غفغفة (جفجافة) والقنطرة – باتجاه جسر فردان. وعندما يتم وضع قرار وقف إطلاق النار موضع التنفيذ ويسري مفعوله، يكون جيش الدفاع الإسرائيلي قد سيطر على القناة سيطرة قوية.

بدا وأن الحرب قد شارفت على نهايتها، حرب أيام أربعة احتلت خلالها إسرائيل كل سيناء وكل الضفة الغربية. ومع توقع إعلان سورية قبول وقف إطلاق النار بين لحظة وأخرى أصبحت قضية قيام إسرائيل بشن هجوم على الجولان أم لا، موضع جدل. فضلاً عن أن السوفيات أصبحوا الآن أكثر تصميماً من ذي قبل على حماية حلفائهم الوحيدين في الشرق الأوسط -السوريين- الذين لم يصابوا بأذى حتى تلك اللحظة.

وهكذا، قدم السفير تشوفاخين (Chuvakhin) بوجه شاحب رسالة إلى وزارة الخارجية بعد ظهر يوم الثامن من مايو (أيار)، تدين عدم التزام إسرائيل وقف إطلاق النار وانتهاكاتها الفاضحة للقواعد والأعراف السلوكية الدولية، جاء فيها: «إذا لم تلتزم حكومة إسرائيل بقرارات مجلس الأمن، فإن الكرملين يحذر من أن الاتحاد السوفياتي سيعيد النظر في علاقاته الدبلوماسية مع إسرائيل، وسوف يدرس اتخاذ خطوات إضافية تستلزمها سياسات إسرائيل العدوانية». ولدى خروج السفير السوفياتي من الاجتماع، أخذ عنه تحذيره: «إذا ما ثمل الإسرائيليون بنجاحهم وتابعوا عدوانهم، فإن مصير هذا البلد الصغير سيكون حزيناً، حقاً».

كانت قوة ما عناه السوفيات واضحة لا لبس فيها، ومع ذلك ظلت أصوات بين القيادة الإسرائيلية مؤثرة، منها صوت إشكول، ترى ضرورة متابعة الهجوم على سوريا إلى آخر لحظة. عقد إشكول اجتماعاً للجنة الدفاع الوزارية في مكتبه في تل



أبيب الساعة ٧.١٠ تلك الليلة. كانت خطته تهدف إلى حشد الدعم لاحتلال جزء من الجولان على الأقل، قائلاً للمستوطنين باللغة اليديشية، متغلباً على معارضة دايان: «كالكلب يحطم سلسلته».

افتتح رابين الاجتماع بتقرير عن استمرار قصف الجليل الشمالي. وقال: إن لدى جيش الدفاع الإسرائيلي الآن قوات كافية لإزالة المدافع السورية، إذ اسمح الوقت قبل سريان وقف إطلاق النار. ثم تحدث بعد ذلك ممثلو لوبي المستوطنين الذين دعوا إلى الاجتماع في حركة لا سابقة لها، فقال: ياعكوف إشكولي (Ya'akov Esh-koli) من كيبوتز كفارجيلادي: (Kfar Giladi) «إذا كانت دولة إسرائيل عاجزة عن حمايتنا، فمن حقنا أن نعرف ذلك. وينبغي أن نحاط علماً بصورة مباشرة أننا لسنا جزءاً من هذه الدولة، ولا يحق لنا التمتع بحماية جيش الدفاع الإسرائيلي. ويجب أن يقال لنا غادروا بيوتكم هرباً من هذا الكابوس».

أعقبه إيغال ألون مؤيداً، بقوله: «مع الافتراض أن الاتحاد السوفياتي سوف يقطع علاقاته بإسرائيل -ولا أظن ذلك- إذا ما استولينا على هضبة الجولان: فإني أفضل الاحتفاظ بهضبة الجولان دون السوفيات، على أن تظل الهضبة للسوريين مع احتفاظنا بروابطنا مع السوفيات».

حمل هذا المنطق وزيراً واحداً، على الأقل، ممن كانوا يعارضون العملية، على تغيير رأيه إذ تحدث زالمان أران مؤكداً: «منذ أربعة آلاف عام ونحن نتحدث عن تضحية إسحاق. الرجال والنساء والأطفال في تلك المستوطنات مهددون بالتضحية. الوضع لا يطاق».

لم يتأثر بقية الوزراء بهذه المناقشة وظلوا يعارضون استفزاز سورية إذ صرح زوراخ وورهافتيغ قائلاً: «أنا لست جباناً، بيد أن قطع العلاقات مع السوفيات يعني قطع العلاقات مع عشر دول أخرى، وربما قطع العلاقات مع دول آسيوية وإفريقية كذلك. وربما يسفر ذلك عن طردنا من الأمم المتحدة.. نحن سكارى، ليس بالخمر..

ودون خرق واضح لوقف إطلاق النار من قبل سوريا، علينا ألا نجرَّ إلى حرب مع السوريين». وافق حاييم موشي شابيرا من الحزب الديني القومي، قائلاً: «علينا الانتظار يوماً آخر.. يجب ألا نجرهم (السوريين إلى المعركة).

وأخيراً، جاء دور دايان في الكلام، فذكر الوزراء بالنصر العظيم الذي أحرزته إسرائيل، وبالمعركة الدبلوماسية العنيفة التي عليها يخوضوها: «أود أن أكون معتدلاً – ما حصلنا عليه، حصلنا عليه، وكفى. فلماذا نريد في خضم هذا الصراع أن نتخذ حالة أخرى مع حدود عالمية مختلفة؟ فذلك كثير علينا.. فالسوريون لن يتواءموا مع ذلك، لا اليوم ولا لسنوات قادمة».

تابع دايان حديثه مؤكداً، ليس فقط على خطر التدخل السوفياتي، بل على خطر الابتعاد كلياً عن فرنسا، مزوّدة إسرائيل بالنفايات. وادعى أن سلاح الجو ليس في حالة جيدة. إذ لم نشتر طائرات جديدة منذ العام ١٩٦٢، ومعظم طائراتنا ضربت في اليوم الأول (٥ يونيو – حزيران)». وتحدث عن افتقار القيادة الشمالية إلى قوات كافية، وعن احتمال معارضة أمريكا لهذا التحرك.

ونفى أن سوريا تشكل تهديداً لإسرائيل، ولكنه استدار بعد ذلك وقال: «أخشى من هجوم جوي سوري – عراقي مشترك. وأخشى أن تتابع جميع الدول العربية، ربما ما عدا الأردن، القتال».

وأدان دايان ثانية تدخل الحكومة فيما اعتبر من اختصاصه حصراً، (أنا ضد اتخاذ القرارات على أساس الأكثرية، في الشؤون العسكرية) وبعد ذلك ألقى مفاجأته المذهلة: «أفضل أن تنقل المستوطنات ما بين عشرة أميال إلى عشرين ميلاً بعيداً عن المدفعية السورية بدلاً من أن نتورط في جبهة ثالثة تقودنا إلى صدام مع السوفيات. فآلاف العرب قد غيروا مواقع إقامتهم نتيجة هذه الحرب، ونحن كذلك غيرنا مواقع عشرات الإسرائيليين».



أثار اقتراح اقتلاع المستوطنات بدلاً من اقتلاع المدفعية السورية ردود فعل غاضبة من عدة وزراء. فصاح آلون: «ينبغي ألا نفكر أبداً بنقل المزارع. فذلك أشبه بالتنازل عن أجزاء من إسرائيل». وأكد إشكول قائلاً: «لن يكون هناك نصر للسوريين أعظم من هذا».

ومع ذلك عندما وصل الأمر إلى اتخاذ قرار، كان إشكول أقل حسماً وتصميماً. إذ اقترح فقط أنه ودايان ورابين سيوافقون على عملية الجولان إذا ما رأوا ذلك مناسباً. وأضاف قائلاً: «من المحزن أن يخرج السوريون أحراراً». واقترح أن تستخدم الجولان ورقة مساومة في مفاوضات على الحدود مقبلة: «طبعاً، لا نريد سنتميتراً واحداً من الأراضي السورية». (٢٦)

وقبيل منتصف الليل اتصل دايان بالجنرال إلعازار (Elazar) وأحاطه علماً بآخر قرار لمجلس الوزراء. وقال له موضحاً: إن مصر لم تطبق بعد قرار وقف إطلاق النار، وإسرائيل التي عانت من إصابات وخسائر بما فيه الكفاية لا تستطيع فتح جبهة أخرى. كما أن اتجاه السوفيات ما زال غير مؤكد. وحاول دادو (Dado) طمأنة دايان بأن خسائر إسرائيل لدى تسلقها هضبة الجولان لن تكون رادعة لإسرائيل عن تنفيذ عملية الجولان - لن تكون الخسائر فادحة» - وأن الاتحاد السوفياتي يعوي أكثر مما يعض. وقال رئيس القيادة الشمالية بصوت عال: «إذا لم نفعل شيئاً على هذه الحدود الآن، فلسوف تحل علينا اللعنة لأجيال قادمة». تعاطف معه دايان، ولكنه ما زال صارماً: «أنا أعرفك، وأعرف ما تريد، ولكني أعرف كذلك أنك منضبط ولن تفعل شيئاً مخالفاً لما قررناه».

حول دايان الهاتف إلى رابين الذي أصغى إلى رئيس القيادة الشمالية وهو يعبر عن إحباطه قائلاً: «ماذا جرى لهذا البلد؟ كيف نقدر على مواجهة أنفسنا، والشعب، والمستوطنات؟ وفوق ذلك كله الإزعاج الذي يسببه لنا السوريون. فهل بعد القصف والإزعاج سيترك أبناء الزنا أولئك على قمم التلال يركبون ظهورنا؟» وعبر إلعازار

عن أسفه لتأجيل العملية بسبب الطقس، قائلاً: «لو كنت أعلم أن تأجيل الأمس سيغدو إلغاء اليوم، لهاجمت حتى دون غطاء جوي. ربما تكلفنا غالياً، ولكن لا بد من احتلال المرتفعات».

طلب إلعازار الذي عارض سابقاً طلب المستوطنين إجلاء غير المقاتلين عن الحدود، من رابين الآن أن يفعل ذلك، وأن يسمح لقواته بالاسترخاء. وافق رابين فقط على إجلاء الأطفال، وأصر على القيادة الشمالية أن تظل في تشكيل قتالي. وطلب من إلعازار ألاّ يفقد الأمل، وقال له: «إن شيئاً ما ربما يحدث» وبدا للحظة وكأنه يخالف دايان. ولكن وزير الدفاع عاد واتفق معه بصورة مفاجئة، إذ ألمح لدادو قائلاً: «رغم أنه اتخذ قرار بعدم الهجوم في الوقت الحاضر، فما زال احتمال تغيير القرار قائماً». (٢٧)



الحرب: اليوم الخامس ٩ يونيو

(حسم فوق الجولان)

ناصر يحاول الاستقالة

الأمم المتحدة تنشط، والسوفيات يغضبون

أزمة إسرائيل الدستورية

كان الوقت، بُعيد منتصف الليل عندما وصل دايان إلى غرفة العمليات قادماً مباشرة من اجتماع مجلس الوزراء، وعلم خلال الساعات الثلاث التالية أن المصريين قد قبلوا فعلاً قرار وقف القتال، وأن السوريين سيتبعونهم عمَّا قريب. وفجأة أبدى دايان ملاحظة حيَّرت رابين وأربكته، مفادها أنه لا معنى لاحتلال تل العزيزيات وحده فقط -إذ ربما يظن السوريون أن هجوماً إسرائيلياً محدوداً دليل على افتقار إسرائيل للإرادة- في حين أن الجولان خالية. وقال لرئيس أركانه: «إذا جلس السوريون هادئين، لن أوافق على أي عمل ضدهم، ولكن إن استمروا في القصف على الرغم من كل ما مارسناه من ضبط نفس، فلسوف أوصي مجلس الوزراء باحتلال كامل المرتفعات».

لم يبد رابين، الذي كان دائماً مع ضرورة معاقبة سورية، أي اعتراض ولم يُصدر، أيضاً، أية أوامر للقيادة الشمالية. غادر غرفة العمليات إلى البيت لأول مرَّة خلال أربعة أيام («كنت نائماً قبل أن تلمس رأسي الوسادة»)، غير متأكد فيما إذا كان وزير الدفاع الذي كان قد ناقض نفسه في مسألة احتلال القدس، ووصل إلى قناة السويس سيغير رأيه ثانية الآن. (١)

بقي دايان في غرفة العمليات يراقب الوضع، وصل بارليف وحاول إقناعه بأن مجلس الوزراء يحبذ، حقاً، الهجوم -وإشكول أيضاً- ولكنهم لم يحددوا الذريعة بعد لشن الهجوم، وكان هناك تقريرات استخباراتية إضافية، يفيد أحدها بأن السوفيات قد لطفوا لهجتهم، وأنه لم يعد هناك تهديد بالتدخل. في الساعة ٣,١٠ أعلن راديو دمشق أن سوريا ستقبل وقف إطلاق النار إن قبلته إسرائيل.

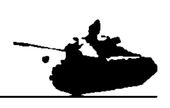
«لا يمكن أن تكون المعركة سريعة، بل ستتطلب استعدادات طويلة ومتأنية» - وفي الساعة ٤,٤٥ صباحاً، هتف غافيش من سيناء يقول: إن القوات الإسرائيلية ترسخ وجودها الآن على القناة. يبدو أن الحرب قد حطت أوزارها. فعلاً.

هكذا كان استنتاج مخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي، على الأقل. كان الميجر إيلي حلاحمة (Eli Halahmi) المسؤول عن التدقيق في أوضاع الجيش السوري، قد وطد نفسه على ما أسماه «الفرصة الضائعة» لمعاقبة دمشق، وطلب إجازة لزيارة الجدار الغربي. ولكنه تلقى بعد ذلك بقليل، قبيل منتصف الليل صوراً جوية حديثة من الشمال. صدم لدى رؤيته ما ظهر فيها. إذ بدت المعسكرات المحيطة بالقنيطرة والتي كانت تعج بالدبابات والمدافع ووحدات الفدائيين، مهجورة تماماً. أردف حلاحمة القول بصورة غير تقليدية: «تقديرنا هو أن السلطة السورية في مرتفعات الجولان في حالة انهيار، وليس واضحاً فيما إذا كان هذا الوضع سيطرح نفسه ثانية».

قال أهاريل ياريف (Aharale Yariv) وقد هز كتفيه: «ماذا نستطيع أن نفعل؟ سيتوقف القتال».

«ألَحَّ عليه حلاحمة قائلاً: «سيدي، يجب ألا نترك السوريين دون أن يصابوا بخدش. فإن خرجوا من الحرب سالمين، فلسوف يستمرون بالبصق علينا، ويتفاخرون بأنهم هزمونا، وأنهم هم وحدهم الذين أقعدونا عن العمل ضدهم خوفاً منهم».

رفع ياريف، الذي ما زال مرتاباً في الأمر، التقرير، فوصل إلى موشي دايان عند الفجر. كما وصلته في الوقت نفسه برقية مرسلة من ناصر (القاهرة) إلى الأتاسي (دمشق) تم اعتراضها والتقاطها، تقول: «إني متأكد إن إسرائيل على وشك حشد



جميع قواتها ضد سورية للقضاء على الجيش السوري. لذلك اسمح لي أن أنصحك، إنه لمصلحتك الخاصة، ينبغي أن تقبل وقف القتال على الفور، وأن تخبر يوثانت بهذه الحقيقة. فهذه هي الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيش السوري الباسل. لقد خسرنا المعركة. كان الله في عوننا في المستقبل».

إذا ما كان دايان يفكر في تغيير مفاجئ للسياسة، فإن هذه البرقية حملته على اتخاذ موقف. فكتب إلى إشكول الملاحظة التالية:

١. هذه البرقية، برأيي، تجبرنا على الوصول إلى الخطوط القصوى.

٢. لم يكن لدي في الليلة الماضية أية فكرة بأن قيادة مصر، وقيادة سورية سوف تنهار بهذا الشكل وتتخلى عن المعركة. على أية حال، علينا أن نستثمر هذه الفرصة إلى أقصى حد. يوم عظيم». (٢)

كان إلعازار في هذه الأثناء يقضي ما أسماه «أسوأ ليلة في حياتي» أرسل رئيس القيادة الشمالية، في آخر محاولة لإقناع دايان بالموافقة على مهاجمة الجولان، أحد ضباطه الاحتياط، يوزي فينرمان (Finerman Uzi)، عضو حزب رافي (Rafi) وصديق شخصي لوزير الدفاع، إلى تل أبيب.

في الساعة الثانية، يئس العازار وذهب للنوم، لأنه لم يتلق خبراً من فينرمان حتى ذلك الحين، وبعد أربع ساعات رن الهاتف. «هل تستطيع الهجوم؟» هكذا بادره دايان.

فأجاب دون تردد، رغم انبهاره الشديد: «أستطيع – الآن».

فكان الجواب: «إذن هاجم».

بدأ دايان يعلل هذا التغيير المفاجئ بالتزام مصر بوقف القتال وانهيار الجيش السوري. بيد أن دادو قاطعه قائلاً: انهار أم لا – لا أعرف. ولا يهمني ذلك. نحن مهاجمون. شكراً جزيلاً. شالوم. شالوم (سلام)».



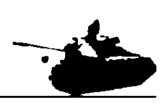
طلب دايان، بعد ذلك، من معاونه الكولونيل إسحق نيسيهو (Yitzhak Niseihu) الاتصال بالكولونيل ليور في مكتب رئيس الوزراء. فقال ليور: «لا أصدق ما تسمع أذناي. كان اليوم السابق مكرساً لمعارضة دايان لاحتلال الجولان.. وقع هذا الإعلان عليه كصاعقة في يوم صافٍ».

ولم تكن صدمة إشكول بأقل من ذلك. إذ أخذ يكرر عبارة: «حقير، خسيس... حقير، خسيس» عندما أخبره ليور بالنبأ وعلى الرغم من أن رئيس الوزراء كان يحبذ تماماً احتلال بانياس على الأقل. فإنه كان غاضباً جداً من صفاقة دايان واحتقاره لأصول الديمقراطية فقال مزمجراً: «هل ألغي الأمر الآن؟ إنه غير منطقي. فإن كان يظن أنه يستطيع فعل ما يريد، فليفعل».

ثم اتصل ليور بمقر هيئة الأركان. وعلى الرغم من أن رد رابين لم يكن قد سجل بعد، فقط أمر بطائرة مروحية لنقله إلى القيادة الشمالية. حطت طائرته في الساعة الثامنة، واندفع يبحث عن دادو. وعندما وجده قال له محذراً: «الجيش السوري ليس منهاراً أبداً. وعليك الافتراض بأنه سيقاتل بعناد وبكل ما أوتي من قوة». (٣)

بين المطرقة والكماشة:

تابع سلاح الجو الإسرائيلي العمل الآن، بمزيد من الطائرات، وقليل من الأهداف، مطلقاً صواريخ تم الحصول عليها من المخازن المصرية التي استولى عليها جيش الدفاع الإسرائيلي. ففي الساعة ٩.٤٠ صباحاً قامت الطائرات الإسرائيلية النفاثة بعشرات الغارات على المواقع السورية من جبل الحرمون إلى التوافيق ملقية مئات الأطنان من القنابل. فدُمرت بطاريات مدفعية ومخازن أسلحة، وأخرجت سرايا نقل عن مسارها في الطرق. بيد أن القنابل نادراً ما خدشت نظام التحصينات والخنادق المطلة على الأراضي الإسرائيلية، كما لم تستطع تغطية جميع الطرق في الجولان. ومع ذلك ضاعف إلعازار القصف ليوفر وقتاً لفتح ممرات عبر حقول الألغام التي يبلغ عرضها ميل، وليحطم معنويات السوريين.



لقد أصيبت معنويات سورية بشرخ خطير، إن لم تكن قد تحطمت. وبفضل اقتناع السوريين بأن الإسرائيليين قد تعبوا وأنهم جبنوا بسبب قصف مستوطناتهم، لم يكونوا مستعدين لمثل هذا القصف الجوي الإسرائيلي العنيف. ذكر الكولونيل أحمد المير قائد القطاع الأوسط أن سلاح الجو الإسرائيلي نفَذ ١٦٤ غارة في غضون ثلاث ساعات، وأن ٥٠ جندياً من جنوده قد قتلوا، وجرح ٨٠. كان لهذه الغارات أثر نفسي كذلك، إذ غادر عدد من الضباط الكبار مواقعهم لتتبعهم قواتهم بعد ذلك. أشار الميجر جنرال عوض بهاء، رئيس العمليات، لدى تلقيه أمراً بتعزيز مواقع الخط الأمامي، إلى افتقاره للغطاء الجوي، ورفض الأمر معتبراً إياه، أمراً انتحارياً» وجاء رد مماثل من اللواء المدرع السبعين المتمركز خارج القنيطرة. إذ رفض قائده، عزت جديد، شن هجوم معاكس حتى في الليل، وبدلاً من ذلك قاد دباباته عائداً إلى دمشق. وعلى الرغم من أن راديو دمشق وصف الضربات الجوية بأنها جهد أنكلو أمريكي «لإنقاذ الإسرائيليين من الدمار» فإنه لم يكن بالإمكان إخفاء الأضرار.

ومع ذلك ظل الجزء الأكبر من القوات السورية ثابتاً في مواقعه المحصنة جاهزين للقتال. وكان أكبر حشد وتركيز قد جرى في القطاع الأوسط حيث صوبت ١٤٤ قطعة مدفعية وثلاثة ألوية فوهاتها إلى ما يعرف بطريق مركز الجمارك. الذي يعد أقصر محور إلى القنيطرة والأكثر تعرضاً للاحتلال من قبل الغزاة. فقد صدرت أوامر للجيش بإغلاق ذلك الطريق بأي ثمن، وإلى التحصُّن وحفظ ذخيرته. إذ قال سويدان، رئيس هيئة الأركان للقادة: «تجنبوا فتح النيران. فقد طلبنا تدخل الأمم المتحدة. ونحن بانتظار جواب في أية لحظة». (٤)

وخلافاً للتوقعات السورية لم تكن القوات الإسرائيلية تخطط لاحتلال طريق الجمارك، في الهجوم الأولي على الأقل. إذ كانت خطة المطرقة تدعو إلى سحق سريع لدفاعات الخط الأمامي للعدو حيث لم يكن في الحسبان قيام العدو بذلك - شمالاً قرب كفار شولد (Kfar Szold)، وجنوباً، جنوب بحر الجليل. بيد أن ازدحام الطريق بحركة المرور الكثيفة للقوات القادمة شمالاً من الضفة الغربية وسيناء قد



أخر بالتأكيد الهجوم الجنوبي. بدلاً من ذلك، جرى الخرق الإسرائيلي في القطاع الأوسط بين قلعتي الدربشية (Darbashiya) وجلبينا (Jalabina). توقع إلعازار أن يكون الهجوم الافتتاحي دموياً، بل ربما يكون رادعاً يحول دون إنجازه. إذ سوف تكون الموجة الأولى مكشوفة تماماً للنيران السورية، أثناء صعود القوات الإسرائيلية، منطقة صخرية وعرة يبلغ انحدارها ٢٠٠٠ قدم في وضح النهار - لذلك كان المفروض أن يُشن الهجوم الأساسي ليلاً. وكان لا بد من تسريع الهجوم حتى تصل القوات إلى طرق الدوريات التي تربط جميع التحصينات السورية بعضها ببعض ومن ثم الاستيلاء على التحصينات ذاتها التي كانت محاطة بالألغام والأسلاك الشائكة ومحفوفة بتحصينات من الإسمنت المسلح ومرابض المدفعية.

عندما أعلم أفراهام ميندلر بمهمته قال لإلعازار: «إذا كانت هذه هي الخطة، فهي خطة انتحارية» فدبابات شيرمان الموجودة في لوائه المدرع الثامن -التي تعد الدبابات الإسرائيلية الوحيدة على الجبهة- كانت منهكة من القتال الشديد في سيناء وكانت طواقمها مرهقة. والآن يطلب إليهم تحطيم أقوى الدفاعات السورية وأكثرها رهبة في وضح النهار عبر أراض مستحيلة الاجتياز. والواقع أنه ما إن تحركت سرية مندلر في الساعة ١١.٤٠ قبل الظهر وبدأت تتسلق إلى المواقع الدفاعية حتى أمطرتها الدبابات السورية المتخندقة في مرابضها بوابل من قذائف مدفعيتها.

قال ياعكوف هوريش (Ya'akov Horesh) أحد أعضاء طاقم دبابة في الكتيبة ١٢٩ من اللواء الثامن: «لم نكن خائفين في البداية، أبداً، إذ تقدمتنا الجرافات (البلدوزرات) تنظف الطريق من الأسلاك وتطهرها من الألغام. ولكن، بعد ذلك، انفتحت السماء علينا لهباً. دُمرت البلدوزرات، وطارت أنصاف المجنزرات في الهواء. وفجأة وصلنا القصف!!. ذهبت إلى فتحة برج الدبابة فرأيتها مشتعلة وأني أحترق معها. سمعت طلقات نارية، وسمعت شخصاً يطلب باللاسلكي غطاءً جوياً. فقررت أن أموت برصاصة خير من أن أموت حرقاً بالنار، فألقيت بنفسي من فتحة البرج.. التقطني الجنود الإسرائيليون ووضعوني على ظهر دبابة أخرى.. كنت ما زلت أحترق».

دمرت خمس جرافات من أصل ثمانية على الفور، وأزيحت هياكلها المحترقة جانباً من قبل مركبات أخرى ما زالت تتقدم. كما تقلصت مقدرة دبابات شيرمان على المناورة بسبب وعورة الأرض إلى أقصى حد: فكانت تتحرك ببطء باتجاه قرية سير الديب (Siral-Dib) مستهدفة حصن «القلعة» الكبير. ازدادت الخسائر بمن فيهم قائد الكتيبة أرييه بيرو (Arye Biro) البالغ من العمر ٣٩ عاماً. كما قتل ضابط الاستطلاع الميجر رفائيل موكادي - المحاضر الجامعي في الحياة المدنية - بعد عشر دقائق من أخذه مكان أرييه بيرو. ضل جزء من القوات المهاجمة طريقه بسبب هذا الوضع الحرج، فوجد نفسه في مواجهة معقل آخر في زعورة للكتيبة ٢٤٤ السورية من جنود الاحتياط. وشهد ميندلر فيما بعد قائلاً: «أعتقد أننا لو استطعنا احتلال زعورة لقلبنا مسار المعركة» فأصدر أمراً ارتجالياً بالهجوم على زعورة والقلعة بآن واحد.

كان القتال شديداً ومضطرباً، إذ كانت دبابات السوريين والإسرائيليين مشتبكة في قتال حول العوائق، وتطلق النار من على مسافات قريبة جداً. ويذكر ميندلر كيف «أن السوريين كانوا يقاتلون ببراعة وأراقوا دماءنا. ولم نغلبهم إلا بسحقهم تحت وطأتنا الكثيفة من المدفعية من مدى قريب جداً يتراوح بين ١٠٠ و ٥٠٠ متر». تصدى فريق بازوكا سوري لأول دبابة شيرمان حاولت دخول القلعة فأوقفها. كان وراء فريق البازوكا رتل إنقاذ من سبع دبابات T-٥٤ اندفع لصد المهاجمين ويتذكر بديل موكادي (Mokady)، الكابتن نتانيال هوروويتز (Nataniel Horowitz) كيف تصدت لنا نيران كثيفة من البيوت، ولكننا لم نستطع الرجوع إلى الوراء لأن القوات خلفنا كانت تدفعنا إلى الأمام. كنا على ممر ضيق زرع جانباه بالألغام» ولما كان هوروويتز يعاني من جرح في رأسه -وتعطل نظام الاتصال الداخلي المركب في خوذته وتلف خرائطه- أشار بيده إلى المركبات المتبقية كي تضغط قدماً، كما طلب توجيه ضربة جوية لدبابات العدو. رفض مندلر طلبه قائلاً إنه لا توجد طائرات. فرد الكابتن بقوله: «سيدي، إذا لم يدعمنا الطيران على الفور، فاقرأ علي السلام،

فلن تراني ثانية، على ما أعتقد». ظهر فجأة زوج من الطائرات النفّاثة، وأعطبتا دبابتين من طراز T-٥٤ فانسحبت بقية الدبابات. وتراجع من بقي حياً من المدافعين عن القلعة كذلك بعد مقتل قائدهم الميجر محمد سعيد.

بحلول الساعة السادسة مساء كانت زعورة والقلعة قد سقطتا بالإضافة إلى قلعة ثالثة هي «عين فيث». أيسر الطرق وصولاً إلى القنيطرة أصبح مفتوحاً أمام الإسرائيليين ولكن انتصارهم كان باهظ الثمن جداً. إذ قتل وجرح عشرات الإسرائيليين، ودمر ٢٦ دبابة أصلية، ولم يبق سوى دبابتين صالحتين للمعركة. (٥)

حصلت مجزرة مماثلة في القطاع الأوسط - في معارك دارت للدفاع عن قلعتي درداره وتل هلال التي خلّفت ٢١ قتيلاً من الكتيبة ١٨١ الإسرائيلية و٣٦ جريحاً. كما نشب قتال ضار على طول محور همّر (Hammer) الشمالي حيث كلفت كتيبة «برق» (Barak) من لواء جولاني (Golani) مشاة بتطهير ثلاثة عشر موقعاً بما فيها تل فخر (Tel-Fakhr) القلعة المهيبة على شكل حذوة فرس الواقعة على بعد ثلاثة أميال داخل الأراضي السورية. وقد تعرضت جميع هذه المواقع لهجمات جوية مطوّلة أملاً في إضعاف دفاعاتها أو إغراء حامياتها بالفرار.

ولكن أخطأ الإسرائيليون تقدير مقدرة المعاقل، هنا أيضاً، على الصمود ضد القصف المكثف الهائل، إضافة إلى أن أخطاء ملاحية عرضت الإسرائيليين مرة أخرى للمدافع السورية مباشرة. فقد اصطاد السوريون دبابات الكتيبة التسع وأنصاف مجنزراتها التسع عشرة الواحدة تلو الأخرى، وجرح أو قتل من فيها. وجد رويوفين دانغور (Reuven Dangor)، سائق إحدى هذه الدبابات، نفسه مستهدفاً لقطع مدفعية مضاعفة. وقال واصفاً ما حل به: «ما إن اجتزنا الجزء الجنوبي من التل حتى شعرت بصدمة رجّت المركبة، فامتلأت مقصورة السائق بالدخان، وبعد أن أفقت من الصدمة أخيراً، تلقينا انفجاراً عنيفاً آخر، أقوى من الأول وأكثر تدميراً، أصاب البرج. فهربت من فتحة الطوارئ وبحثت عن الطواقم الذين كانوا يجلسون في البرج. كان البرج خالياً»

أوقف الإسرائيليون، بيد أن القوات التي أوقفتهم قد هزمت أيضاً. إذ أشار تقرير عسكري سوري داخلي بوضوح إلى انتشار الخوف والفوضى، وإلى حالات فرار من الجيش:

«استعدت الفصيلة الموجودة في الخندق الأمامي، على بعد ٧٠٠ م عن العدو، للمعركة، تحت قصف شديد. أرسل قائد الفصيل الجندي النفر جليل عيسى إلى قائد السرية يستأذنه بتغطيته، ولكن عيسى لم يجده. فأرسل قائد الفصيل عدَّاءً آخر بصحبة الجندي النفر فجَّار حمدوكرنازي الذي أفاد باختفاء قائد السرية. وعندما أصبح العدو على بعد ٦٠٠م أطلق المساعد محمد يوسف إبراهيم النار من مدفع مضاد للدرع عيار١٠إنش ودَمَّر الدبابة الأولى. ثم قتل مع قائد الزمرة. تقدم الرتل المعادي. فُقد المساعد الأول أنور بربر المسؤول عن المدفع الثاني المضاد للدرع من عيار ١٠ إنش. بحث عنه قائد الفصيل فلم يجده.. فأخذ الجندي النفر حج الدين (Hajj al-Din) المدفع وأطلقه وحده مدمراً دبابتين وأجبر الرتل على التقهقر، ولكنه قتل بعد دقائق. وعندما حاول قائد الفصيل إحاطة مقر القيادة علما بالمعلومات لا سلكياً، لم يجبه أحد».

وفي هذه الأثناء أمر قائد الكتيبة الإسرائيلية، موشي (موسى) كلين (Klein) وهو على الطريق رجاله الخمسة والعشرين المتبقين على قيد الحياة أن يترجلوا من مركباتهم وينقسموا إلى مجموعتين تهاجمان الجناحين الشمالي والجنوبي لتل فخر. كان الطريق الجنوبي محاطاً بكثافة بتحصينات وخنادق، وصفّ مزدوج من الأسلاك الشائكة، وكانت تكمن خلف هذه التحصينات سرية من الكتيبة ١٨٧ مشاة بقيادة الكابتن أحمد إبراهيم خليل ولديها ترسانة من المدافع المضادة للدرع والرشاشات الثقيلة، والهاونات من عيار ٨٢ مم، ويتذكر أحمد الخليل قائلاً: «كان ذلك الموقع من أكثر مواقعنا تحصيناً. لقد وضعهم (الإسرائيليين) مباشرة في شَعرة تعامد أجهزتنا (تحت الرمي)».



يذكر القتال الذي نشب في ذلك الموقع بالقتال الذي نشب في تل الذخيرة في القدس، إذ اشتبك الفريقان عن كثب، ومن شخص لآخر في أغلب الأحيان، مدَّ الإسرائيليون الأوائل الذين وصلوا إلى محيط هذه التحصينات أجسامهم على الشريط الشائك حتى يعبر فوقهم بقية أعضاء الزمرة. ومن هناك اندفعوا نحو الخنادق السورية.

أمر الكابتن ديكو طاقوم (Diko Takum) قائد الجناح الشمالي لتل فخر رجاله ألا يطلقوا النار حتى يصل الإسرائيليون الشريط الشائك، قائلاً: «علينا أن نحصرهم ضمن مدى الإصابة القاتلة المؤكدة» وبعد دقائق أخبر نائبه الليفتنانت (الملازم أول) حاتم حلاق أن «اليهود قد صاروا في الداخل! لقد أوقعت بهم إصابات كبيرة». طلب طاقوم تعزيزات، ولكنه، لدى عدم تلقيه أي جواب، أصدر تعليمات لجنوده بالتمسك في جميع المواقع والصمود إلى ما لا نهاية» لا يتحرك منكم أحد لا تدعوهم (الإسرائيليين) يتقدمون. سنصمد هنا أو نموت هنا».

شن الإسرائيليون هجومهم. ويشهد المجند في لواء جولاني، شلومو بن باسات (Shlomo Ben Basat) واصفاً تلك الواقعة على النحو التالي: «ركضت إلى اليسار مع صف ضابط كالمان (Kalman). ركضنا بين الخنادق، نطهر التحصينات حتى رأينا فجأة تجويفاً فيه فراش وصناديق. قال لي كالمان، سأدخل أنا، وانتظرني أنت في الخارج، ولكن ما إن دخل ذلك التجويف حتى أصابته صلية من نار أطلقها جندي سوري جريح كان في الداخل. نجح كالمان بالخروج متعثراً - ثم سقط ميتاً. ثم خرج السوري. فرآني وشرع على الفور يتوسل إلي أن أبقي على حياته. وقف هناك وما زال الدخان يتصاعد من بندقيته التي قتل بها كالمان. فانتقمت لدمه».

أصيب عشرة من الإسرائيليين الثلاثة عشر من الذين هاجموا الجناح الشمالي، في حين بقي واحد فقط من الاثني عشر جندياً ممن هاجموا الجناح الجنوبي على قيد الحياة، هو العريف يتسحاق حموي (Yitzhak Hamawi). يقول متذكراً: ركضت

وموسى كلين بين الخنادق عندما ظهرت أمامنا خوذة، لم نستطع معرفة ما إذا كانت من خوذنا أم لا. وفجأة رأينا جندياً يقف أمامنا: لم نستطع تحديد هويته. فصاح فيه قائد الكتيبة كلمة السر.

ولما لم يجب، أطلق النار عليه ولكنه أخطأه. قفزنا خارج الخندق وركضنا حوالي خمسة أمتار، ثم سقط موسى على وجهه قتيلاً على يد الجندي السوري الذي أخطأه قبل قليل. انتظر عامل اللاسلكي من جنودنا، الجندي السوري حتى قفز ثانية فأطلق النار عليه وأرداه قتيلاً».

إن الذي قتل كلين يعرف في السجلات السورية باسم «علي عيسى حافظ». وقتل بعده مباشرة المساعد جميل موسى قائد آخر خندق صمد فيه في تل فخر. بقي ثمانية من المدافعين عنه فقط بقيادة مصطفى سليمان، وتراجع هؤلاء عندما اخترقت مفرزة كشافة من لواء جولاني عن طريق ممر خلفي غير ملحوظ. استسلم ضابط سوري واحد هو الملازم ثاني أحمد علي وجنديين نفرين، كذلك. خسر الإسرائيليون في هذا القتال الذي دام سبع ساعات ٣١ قتيلاً و٨٢ جريحاً. وقتل من السوريين ٦٢ وأسر سبعون.

سقط تل فخر كما سقط تل العزيزيات بيد الكتيبة ٥١ من لواء جولاني، وسقطت الدريشية أيضاً. وعلى الرغم من أن القوات الإسرائيلية قد حققت معظم أهدافها وكانت سابقة لبرنامجها، فإنها لم تتوغل في الأراضي السورية أكثر من ثمانية أميال. أقيم رأس جسر عرضه خمسة أميال بين زعورا والقلعة، وخمس نقاط تفتيش ومراقبة مسلحة على الجبهة السورية. كانت هذه هي الأهداف الدنيا لخطة (المطرقة) بيد أن إلعازار وهيئة الأركان العامة طمحت إلى أكثر من ذلك. فقد تمثل طموحهم في (عملية الكماشة) واحتلال كامل الجولان. ويستغرق إنجاز ذلك، حسب تقديرات رابين، يومين من القتال على الأقل. (٦)

ظلت الدفاعات السورية الواقعة خلف الخط الأول المدمّر، سليمة إلى حد كبير. وبقي جبل حرمون وبانياس في الشمال والقطاع الجنوبي بأكمله بين التوافيق وطريق الجمارك بأيدي السوريين. قرر القادة السوريون، في اجتماع عقد لهم في مطلع تلك الليلة، أن يعززوا تلك المواقع بأسرع ما يمكن، والاستمرار بقصف المستوطنات الإسرائيلية، وباختصار استدعيت الكتيبة السابعة عشر المؤللة التي تقدمت باتجاه شمال الأردن بناء على طلب الجنرال رياض لتعود كي تدافع عن دمشق. وفي حديث إذاعي قومي أقسم الأسد على متابعة المعركة ضد العدوان الامبريالي الصهيوني بغض النظر عن تكاليفها: وقال في الحديث نفسه: «إن هدف العدو هو تحطيم معنويات الشعب، وإجباره على التقهقر والتراجع عن موقفه البطولي في المعركة ضد أعداء الأمة العربية». استدعي السفراء العرب إلى وزارة الخارجيّة، وسئلوا عما تستطيع حكوماتهم مساعدة سوريا عسكرياً. ووجّهت مناشدة خاصة إلى مصر، حليفة سوريا بموجب معاهدة. (٧)

(دعاء الستارة)

لم يستطع المصريون تقديم أية مساعدة، بل كانوا هم أنفسهم بحاجة إلى عون فوري. تجاهلت مصر تقريباً تطورات المعركة في الشمال، وانصب اهتمامها فقط على سيناء والضربة الإسرائيلية القاضية لمصر، سواء كان هذا التجاهل نتيجة عدم نجدة سورية لمصر في المراحل الأولى من الحرب أو الحاجة إلى الاحجام عن الوقوع في فخ السياسات العربية - العربية المميت.

كان الإسرائيليون قد أتموا احتلال شبه جزيرة سيناء بحلول ظهر يوم التاسع من يونيو (حزيران). إذ التقى رتلان من فرقة يوفي -أحدهما متجه جنوباً من السويس والآخر غرباً من متلا- مع المظليين الذين هبطوا في راس السدر (Ras al-Sudr). فأصبحت الضفة الشرقية لخليج السويس بأكملها بأيديهم. أما في شمال سيناء،

فقد وصل لواء غونين المدرع السابع إلى شواطئ بحيرة المرَّة الكبيرة، مع اتخاذ قوة غرانيت (Granit) موقعاً مقابل الإسماعيلية وفردان بعد أن تجاوزت القنطرة وعلى الرغم من استمرار مناوشات مبعثرة -وخسارة المصريين فيها خمسين دبابة أخرى- يعد القتال قد توقف. أغرق المصريون سفناً لسد القناة، ولكن الإسرائيليين فشلوا في احتلال النهاية الشمالية لقناة السويس إما بسبب إحساسهم المفرط بالثقة بالنفس، أو بسبب الإنهاك. فأصبح بور فؤاد هو المنفذ الرئيسي لإعادة التسليح السوفياتي الضخم لمصر.

كانت الدفعات الأولى من الأسلحة السوفياتية قد أنزلت حديثاً قرب القاهرة، وبلغ وزنها حوالي ٥٠٠٠٠ طن بحلول نهاية الشهر. ومع ذلك، لم يستطع حتى هذا الجهد المؤثر إخفاء مشاهد الآلاف من الجنود المصريين المنهكين العائدين إلى العاصمة. وإحساساً بالعار، نزع الكثيرون منهم أزياءهم العسكرية كيلا يوصموا بعار الهزيمة. قال عبد الناصر فيما بعد للزعيم السوداني محمد محجوب: «كان هناك فقط أربع مئة جندي بين الإسماعيلية وبيني. وكان بإمكان الإسرائيليين دخول القاهرة لو شاؤوا». وقالت مصادر استخبارية بريطانية: «إن الدفاعات الظاهرة على طول الطرق المؤدية إلى القاهرة مؤلفة من حواجز رملية عديدة وخنادق لا تشكل أية مشكلة خطيرة أمام جيش متقدم إلا إذا كان جيشاً مصرياً منشقاً.» وانتشرت شائعات بأن ثورة وشيكة سيقوم بها ضباط ساخطون أو عملاء مؤيدون للسوفيات بقيادة علي صبري. وذهب رئيس المخابرات صلاح نصر إلى حد المجازفة بلقاء سري مع نولتي (Nolte) محذراً إياه من انقلاب شيوعي ما لم تتبنى الولايات المتحدة سياسات «مؤيدة للعرب».

اختفت المظاهرات الجماهيرية التي خرجت لتمجيد الانتصارات العربية والاحتفال بزوال إسرائيل. كما تدهور الاقتصاد المصري. إذ بلغ عجز الجمهورية العربية المتحدة لدى وضع ترتيبات وقف القتال موضع التنفيذ ٤٤٨,٥ مليون سنوياً عما كان عليه قبل الحرب، «وذلك بموجب إحصائية أجراها دبلوماسي بريطاني



تتعلق بالخسائر في مجال السياحة، ونفط سيناء، وعائدات السويس. أما أنور السادات الذي أصيب باكتئاب عميق قبع في فيلّته قرب الأهرام ورفض الخروج منها. قال: «لقد غمرتني هزيمتنا كلياً. لقد تخللت صميم ضميري، فعايشتني ليل نهار... أحاول بكل ما أوتيت من جَلَد تلطيف الحملة العنيفة التي شنها الصديق والعدو، على حد سواء، لتشويه سمعة قواتنا المسلحة». ذكر إريك روليو(Eric Rou-leau) من صحيفة لاموند (Lemond) كيف «أن موجة من الحزن اجتاحت القاهرة» وكيف أن مواطنيها كانوا يطلقون سراً على عبد الناصر لقب «وحش» ولم ينحصر التحرر من السحر في القاهرة، بل تجاوزها إلى البلاد العربية. إذ كان المشاغبون والمتظاهرون في الجزائر ينشدون «ناصر خائن!» وهاجموا السفارة المصرية: وفي تونس أحرقوا المركز الثقافي المصري. أصيب العالم العربي بالخجل واشتاط غضباً، وكان بحاجة ماسة إلى كبش فداء. (٨)

يبدو أن عبد الناصر كان راغباً في لعب دور كبش الفداء. كان الزعيم الذي لا يلين ولا يهزم، يعاني من اكتئاب حاد، ويشكو من ألم في ساقيه، وينام واضعاً بندقية تحت وسادته. وكان يهتف باستمرار إلى الجنرال فوزي يسأله عن حالة قواته. قال لمدكور أبو العز، محافظ أسوان، الذي كان ناصر سيكلفه بإعادة بناء سلاح الجو، «إنني أجلس هنا بانتظار الجيش ليأخذني»، كان الرئيس يجلس في الظلام -إذ كان التعتيم ما زال ساري المفعول- تضيء وجهه شمعة واحدة فقط». حارسي الشخصي موجود في الجبهة على القناة. ولكني لا أريد سوى مسدس. وهو هنا في جيبي، جاهز». ومضمون كلامه يشير إلى أن ناصر كان يفضل الانتحار على الوقوع ضحية انقلاب عسكري. ومع ذلك، عندما وصلته بعد منتصف الليل بقليل، تقارير عن محاولة عامر الانتحار، هرع إلى مقر القيادة العليا.

وجد هناك المشير مخموراً جداً، يشكو من المؤامرات، ويطلب جرعات كبيرة من حبوب المنوّم. أفلح ناصر بتهدئته، ومن ثم في استعادة بعض الوضوح إلى تفكيره هو. فقال الرئيس لأفضل أصدقائه وأعنف مناقشيه سياسياً: «إن نظاماً لا يستطيع



LEBANON
METULA
MISGAV AM
KFAR GILADI
KIRYAT SHMONA
MANARA
TEL DAN
DAN
TEL 'AZZAZIAT
KFAR SZOLD
SHAMIR
GONEN
HULA VALLEY
NOTERA
DISHON
TEL HILAL
ASHMORA
GADOT
AYELET HASHACHAR
CUSTOMS HOUSE
MISHMAR HAYARDEN
HATZOR
ROSH PINA
KFAR HANASSI
SAFAD
ALMAGOR
SEA OF GALILEE
TIBERIAS
EIN GEV
KAFR HARB
HA'ON
DEGANIA
TEL KATZIR
TAWAFIQ
MOUNT HERMON
MAJDAL SHAMS
BANIAS
MAS'ADE
EIN FIT
TEL FAKHR
ZA'URA
SIR AL-DIB
QALA'
WASIT
BUQ'ATA
MANSURA
QUNEITRA
TEL ABU NIDA'
RAWIYA
DARBASHIYA
DARDARA
JALABINA
NAFAKH
HAR SHIFON
KHUSHNIYA
BUTMIYA
GOLAN
EL-'AL
FIQ
YARMUK
JORDAN
SYRIA
TO DAMASCUS
AL-RUQADA CLIFFS
Jordan River
THE GOLAN CAMPAIGN
Israeli Advance:
Demilitarized Zone
June 9, 1967
Syrian Forces
June 10, 1967
Israeli Forces
June 11, 1967
N
W
E
S



الدفاع عن حدود وطنه لا بد وأن يفقد شرعيته. ومهما كنا حزينيين الآن، فعلينا أن ندرك أن حكمنا قد انتهى نهاية مأساوية». لم يناقش عامر، بل عرض تسليم مقاليد الحكومة إلى شمس بدران، وزير الدفاع الذي انتقاه هو بنفسه. أما عبد الناصر ففضل زكريا محيي الدين.

في الساعة السابعة صبيحة ذلك اليوم استقبل ناصر عميله محمد حسنين هيكل. صدم محرر الأهرام إذ رأى الرئيس وقد كبر عشر سنين في بضعة أيام. قال ناصر بأنه يتقبل المسؤولية كاملة عن الهزيمة، وأنه سيواجه فرقة إعدام رمياً بالرصاص إذا ما قرر الشعب ذلك. لا يستطيع - على أية حال - الاستمرار في السلطة، لسبب واحد، إن لم يكن لغيره، وهو أن زعيم مصر الآن سيضطر للعمل مع الولايات المتحدة، وهو أمر يشعر بحرارة مؤلمة تجاهه: لذلك فهو يفضل إعلان استقالته ذلك المساء؛ وسوف يتخلى القادة العسكريون عن مناصبهم كذلك. قال عبد الناصر ذلك ونهض لينصرف، ولكن قبل أن يغادر، رن جرس الهاتف. كان عامر في الطرف الآخر من الخط يصرخ بصورة هيستيرية ويقول: إن الإسرائيليين قد عبروا القناة وهم الآن يسارعون الخطى نحو القاهرة. فتنهد ناصر، معيداً سماعة الهاتف إلى مكانها، وقال: «لقد فقد أعصابه تماماً وهكذا أضاع جيشه». (٩)

أذيع بيان ناصر، في بث مباشر، الساعة٦.٣٠ ذلك المساء بعد وقت قصير من إعلان راديو القاهرة لمستمعيه أن «الهدوء الآن يسود الجبهة، وأن جميع العمليات قد توقفت وفقاً لقرار وقف إطلاق النار».

كانت نغمة الرئيس خفيضة، صوته ضعيفاً على غير عادته. ذكر أن إسرائيل تنوي غزو سوريا، ودافع عن قراراته بإعادة عسكرة سيناء، وطرد قوات الطوارئ الدولية، وإغلاق مضائق تيران، وأكد على الضغط الذي مارسته الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على مصر كيلا تطلق النار أولاً. الأمر الذي أتاح لإسرائيل أن تشن هجومها المفاجئ» - توقعنا أن يأتي العدو من الشرق والشمال، وإذا به يأتي من

الغـرب» - ولكنـه عـزا نجـاح العـدو إلى المسـاعـدة المفـتـوحـة التي قـدمـتـهـا طائرات الولايات المتحدة وبريطانيا. ولكي نعكس النكبة، كما سماها ناصر، على العرب أن يتحدوا ضد إسرائيل ويؤمنوا بالنصر في النهاية. ثم أعلن ناصر، كما كان متوقعاً، كامل مسؤوليته عن أعماله: ثم قدم استقالته وأعلن محيي الدين خليفة له. ويبدو أن كلماته الختامية قد استحضرت ناصر الأول، مؤلف «فلسفة الثورة»:

«تتصور القوى الامبريالية أن عبد الناصر عدو لهم. أريد أن يكون الأمر واضحاً لهم بأن عدوهم هو الأمة العربية بأسرها وليس جمال عبد الناصر وحده... لأن أمل الوحدة قد نشأ قبل جمال عبد الناصر وسيظل بعد جمال عبد الناصر. الأمة هي الباقية. ومهما كانت الإسهامات التي قام بها ناصر لقضايا وطنه، فهي ليست سوى تعبير عن إرادة الشعب، وليس هو الذي أوجد هذه الإرادة».

لم يكد عبد الناصر أن ينطق هذه الكلمات حتى سمع هدير طائرات في سماء القاهرة، وبدأت المدفعية المضادة تطلق نيرانها. وفجأة غصت شوارع القاهرة بالناس، وكأنهم انطلقوا بإشارة من أحد. مئات آلاف الناس -أطفالاً ونساء وطلاب جامعات- غمرت شارع منشية البكري. وكان المتظاهرون يمعطون شعرهم ويمزقون ثيابهم ويضربون صدورهم ويصيحون: «لا تتركنا يا ناصر». وصف إريك روليو ما سمعه «كهدير البحر» وما رآه «ككتلة سوداء عظيمة» تزحف نحو مركز المدينة؛ وقال محمود رياض: «وجدت نفسي فجأة أخوض بين حشود الناس المتعاظمة، والغاضبة، الساخطة جداً تصرخ قائلة يجب أن يبقى ناصر... ولا بد من الانتقام لشرف الأمة وكرامتها».

وتدفقت حشود مماثلة من الناس الأوفياء لناصر إلى شوارع الإسكندرية وفي مدن الشرق الأوسط، بدءاً من الرباط حتى بغداد. وكتب الملك حسين رسالة إلى ناصر أذعيت في راديو عمان قال فيها: «أحثك أن تستجيب لرغبات الأمة وتبقى في منصبك. وما هذه المعركة إلا بداية. واندفع مفكرون مصريون بارزون، وممثلون للمجلس الوطني، ومسؤولون في نقابات العمال والاتحادات الشعبية للإعلان عن ولائهم للرئيس. ورفض محيي الدين علناً أن يخلف ناصر.



انفجر المذيع التلفزيوني الذي يعطي الخطاب بالبكاء وانتحب قائلاً: «لتقع القنابل علينا وليأت الأسطول السادس إلى شواطئنا ولكننا نريدك أن تبقى!!» وغطت صورة عبد الناصر شاشة التلفاز على الفور.

لم يصدق غربيون كثر هذه الأحداث العفوية معتبرين إياها «لعبة لعبها ناصر قاصداً تعزيز موقعه الواهن المتهاوي بتفويض شعبي مجدداً». وصف ر.م.تيش (Tesh. M. R) السفير الكندي الخطاب بأنه «ضربة بارعة بكل ما فيها من سحر وخصائص عجيبة يتقنها عبد الناصر... قلبت بسرعة طاولات الهزيمة المهينة إلى نصر». وطرح مراسل مجلة لايف (Life) توماس تومبسون (Thomas Thompson) سؤالاً استنكارياً: «هل ناصر يمثل؟» ثم يجيب على سؤاله بنفسه: «ربما يبدو الأمر كذلك، فالاستقالة، والنيران المضادة للطيران، والتعميم، والهلع المفاجئ، والجماهير الهستيرية، كلها أدت إلى نتيجة واحدة لا مفر منها وهي أن ناصر وحده هو الذي يستطيع الحفاظ على وحدة البلاد.» ولم يرفض مثل هذه الشكوك بشأن كون الأحداث مجرد تمثيل سوى روليو فقط. إذ قال موضحاً الأمر بقوله: «لا يمكن تنظيم ملايين الناس في بضع ساعات. يحتقر الناس ناصراً لأنه قادهم إلى كارثة، ولكنهم يحبونه أيضاً كأب فهم لا يريدونه أن يهجرهم، وليس لديهم سواه من يثقون به، وفوق ذلك كله، من هو محيي الدين هذا ليخلف عبد الناصر؟».

سواء كانت الأحداث عفوية مرتجلة أم لم تكن، فإن الدعم المتدفق أثبت أنه لا يقاوم. قبل ناصر استقالة عامر وبدران وجميع هيئة الأركان العامة -وتسليم قيادة الجيش إلى محمد فوزي- ولكن سرعان ما ألغى استقالته هو بدعوى أنه سيبحث منصبه مع الجمعية الوطنية. ولكن موكبه قد أحيط، وهو في طريقه إلى جلسة الجمعية الوطنية، بالمواطنين المحتفلين بعودته عن استقالته. وجاء البيان التالي ليبين أن ناصراً «لا يستطيع تجاهل صوت الشعب» وأنه سيبقى في منصبه حتى «إزالة آثار العدوان الإسرائيلي». (١٠)

(ضغوط إمبريالية)

حتى عندما وعد عبد الناصر باستعادة الأراضي العربية المحتلة، كان مدى الاحتلالات الإسرائيلية يزداد اتساعاً. ولدى فشل السوريين في حشد العون العربي لهم، ولخشيتهم من اندفاع إسرائيل إلى دمشق، لم يكن أمامهم خيار سوى مناشدة الأمم المتحدة.

في الساعة ٥,٣٠ صباحاً، في نيويورك، اتصل جورج طعمة برئيس مجلس الأمن هانس طابور (Hans T abor) وطلب إليه عقد جلسة طارئة، في حين كان الإسرائيليون يشددون هجومهم فيما وراء مرتفعات الجولان. وجاء في الاحتجاج السوري ما يلي: «على الرغم من مراعاتنا لوقف إطلاق النار، فإننا نتعرض الآن لهجوم إسرائيلي على طول خط الهدنة وضد مدننا وقرانا». وذهب طعمة في احتجاج شفهي إلى أبعد من ذلك - إذ اتهم الطائرات الإسرائيلية بأنها تقصف دمشق، وأن المظليين الإسرائيليين يهبطون في القنيطرة.

كان الرد الإسرائيلي متحفظاً ومراوغاً. فما زالت المصادر الرسمية لم تعلن عن أي هجوم - وراديو إسرائيل لم يأت على ذكر ذلك أبداً، بل كل ما كان يذكره هو استمرار القصف السوري لشمال الجليل. أكد والي باربر (Wally Barbour) في حديث له مع إيبان، لوزارة الخارجية أن العملية ستنتهي على الفور، وأن قرار وقف القتال سيصبح ساري المفعول مع السوريين ليس بصورة شرعية فحسب، بل بصورة واقعية أيضاً». ادعى جدعون رفائيل في الأمم المتحدة أن ١٦ مستوطنة تتعرض للقصف، ونفى قبول سوريا لوقف القتال قائلاً: «ما ذلك إلا مجرد تمويه لشن هجوم مبيَّت على إسرائيل».

وهكذا بدا ما وصفه السفير الإسرائيلي فيما بعد «بجدال حاد لا مثيل له» إذ أضاف محمد القوني إلى تهمة سوريا لإسرائيل بتهمة مماثلة ادعى فيها أن الطائرات الإسرائيلية تقصف القاهرة، كذلك. أما رفائيل الذي أثير بمثل هذا



الاتهام فقد نفاه ووصفه بأنه «اختلاق حاقد» مضيفاً إلى أن نشر مثل هذه الاتهامات الزائفة وغير المسؤولة لن يزيد الوضع في الشرق الأوسط إلا توتراً وتفاقماً. «وطالب السفير الروسي فيديرينكو بمعاقبة إسرائيل معاقبة قاسية» لما ترتكبه من أعمال، محذراً أن عدم الالتزام بوقف إطلاق النار سيسفر عن نتائج وخيمة للدولة الإسرائيلية.

في حين كان السوفيات يجادلون، كان السوريون راغبين في التوصل إلى قرار وقف إطلاق نار بسيط- أي قرار يوقف التقدم الإسرائيلي. وفجأة، وقبل أن يصوِّت على مشروع القرار، أصر فيديرنيكو على إلحاق مواد بالقرار تدين إسرائيل وتأمرها بالانسحاب إلى خطوط الهدنة. فرد عليه غولد بيرغ متهماً الروس باللعب السياسي على حساب أرواح البشر. وتساءل فيديرينكو في رده على غولد بيرغ: «لماذا إذن لم ترفع واشنطن إصبعاً واحداً لوقف القوات الإسرائيلية المعتدية، في حين أنها تملك الوسيلة الكافية لإيقافها؟!».

إن موقف فيديرينكو المتشدد هذا كلف السوريين غالياً. ففي الساعة ١٢،٣٠ دعى طابور إلى إنهاء الجدل وقرأ بياناً يعد أدنى قاسم مشترك «يؤكد اهتمام مجلس الأمن بوقف القتال، ويوجه الأمين العام للاجتماع بالأطراف المتحاربة وبعد ذلك دعا نائب الأمين العام الجنرال أليكسي نيستيرينكو (Aleksi Nesterenko)، وهو روسي بدين، طعمه ورفائيل -بل سحبهما- إلى مكتبه، كل منهما في زاوية كمتبارزين على جائزة» كما كتب المندوب الإسرائيلي فيما بعد، «وقد وقف إليكسي في وسط الحلبة كحكم في لعبة كرة القدم» دون أن يتقدم خطوة واحدة. ادعى رفائيل بأنه ما زال ينتظر تعليمات من القدس، مذكراً إليكسي نيستيرينكو أنه «طالما جرت العادة أن تُوجه الحكومات سفراءها وليست الأمانة العامة للأمم المتحدة، فمن الأفضل أن نلتزم بهذا المبدأ» ثم أومأ برأسه (توديعاً) إلى نظيره السوري وانصرف. (١١)

وبفضل عناد السوفيات ومحاولاتهم إعاقة اتخاذ قرار في مجلس الأمن اكتسب الإسرائيليون وقتاً ثميناً للاستمرار في هجومهم. وما كان للمجلس أن ينعقد حتى الساعة ٦.٣٠ تلك الليلة. وفي هذه الأثناء، ولدى تضاؤل المطالب بإنهاء القتال في المنبر الدولي، تصاعدت الأمور في واشنطن بحدة.

إن فتح جبهة ثالثة بين العرب والإسرائيليين كشف تماماً التناقض الجوهري في السياسة الأمريكية تجاه الحرب. ففي حين أنها ترحب بالمكاسب التي حققتها إسرائيل والتي يمكن المقايضة بها في تسوية سلمية في المستقبل، وأنها واثقة لرؤية الاستفزازات السورية تنال جزاءها، كانت الإدارة الأمريكية تواقة كذلك لإيقاف القتال وتجنب الصدام مع السوفيات، إذ بدت المواجهة مع الاتحاد السوفياتي واضحة للعيان، عندما وعد الكرملين بتقديم «مساعدة لمصر وسوريا لتمكينهما من صد العدوان والدفاع عن استقلالهما الوطني» مباشرة بعد تلقي موسكو أنباء الهجوم الإسرائيلي.

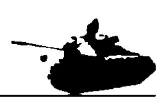
قوى البيان السوفياتي من عزيمة راسك، ومسؤولي وزارة الخارجية الذين كانوا دائماً يعارضون العمل الإسرائيلي المسلّح، وأضعف قبضة وولت روستو، وبندي، وسندرز الذين كانوا يرون في الهجوم الإسرائيلي منافع محتملة، انقلبت الموازين أكثر بسبب ما أسماه الكثيرون في البيت الأبيض «تنامي الكبرياء الإسرائيلية». ففي مقابلة أجرتها وكالة يوناتيدبريس العالمية للأنباء مع إشكول في ذلك اليوم، قال إشكول «إن الولايات المتحدة لم تقم بالتزماتها قبل الحرب، الأمر الذي اضطر إسرائيل إلى التصرف وحدها». وعلى الرغم من أنه أسيء اقتباس ما قاله رئيس الوزراء بصورة فاضحة -فهو في الواقع امتدح التزام أمريكا بإسرائيل- فإن كلامه أثار جونسون وجرح كبرياءه. فكتب على مذكرته في أثناء احتجاج لمجلس الأمن القومي: «لقد تلقيت من إشكول وعداً جازماً بالالتزام بوقف القتال، ولكنه نسف ذلك الوعد. فذلك المغفل العجوز لا ينوي الاهتمام بأية ضغوط إمبريالية» - الضغوط من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. (١٢)



لم يضع راسك وقتاً في دعوة إسرائيل إلى العمل. لقد طلب إلى باربر أن يجد أبا إيبان في الحال، إذ كان مستاءً جداً من تقارير الأمم المتحدة حول الهجمات الإسرائيلية، ولم يكن يصدق أن المدافع السورية تشكل تهديداً خطيراً للجليل. كان يريد إخبار وزير الخارجية الإسرائيلي أن الوضع في مجلس الأمن «يتدهور بسرعة»: وأن الولايات المتحدة تتوقع من إسرائيل أن تراعي قرار وقف القتال «مهما كلف الثمن» وألا تطلق النار إلا في حالات الدفاع عن النفس الواضحة تماماً. واختتم كلامه بقوله: «من المهم جداً في نظرنا أن تبرهن إسرائيل التزامها بالأعمال على الأرض.. أي تعني ما تقول».

إن الوضع المتدهور في مجلس الأمن. والتهديد السوفياتي المتزايد، وعبارات الاستياء الأمريكية، وارتفاع الخسائر الإسرائيلية المذعر - كل ذلك ألقى ثقله على لجنة الدفاع الوزارية الإسرائيلية عندما انعقدت في الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم. كان الجو متوتراً جداً. إذ كان عدد من الأعضاء، خصوصاً الذين ينتمون إلى الحزب الديني القومي، مثل حاييم موشي شابيرا، وإسرائيل بارزيلاي من المابام، يعارضون استمرار الهجوم على الجولان، وكانوا غاضبين جداً من دايان لموافقته على ذلك الهجوم.

كان وزير الدفاع، في الواقع، قد وافق على فتح عملية «المطرقة» جنوباً إذ كان على القوات الإسرائيلية احتلال التوافيق، والقلاع السورية المطلة على الطرف الشمالي من بحر الجليل (بحيرة طبرية) شريطة أن تكون المقاومة هناك طفيفة ولدى عودة دايان من الجبهة الشمالية وجد نفسه في موقف دفاعي، مضطراً لتعليل تحوله المفاجئ عن معارضته السابقة للهجوم على سورية. فاستشهد بالتحرك السوري - المصري المفاجئ باتجاه قبول وقف القتال، وبرسالة ناصر إلى دمشق. وكما أن قرارات الهجوم على الضفة الغربية ودخول مدينة القدس القديمة قد اتخذت بناء على مقتضيات تلك اللحظة ودوافعها، كذلك كانت الموافقة على الهجوم على الجولان رد فعل على الظروف المتغيرة واستجابة للوضع الجديد الذي



طرأ. وقال دايان: «هذه الملاحظات أعطتنا احتمالاً للتفكير بأنه ربما يكون لدينا المقدرة على تغيير حدودنا الدولية مع سوريا». وأشار بخبث إلى أن إشكول قد وافق كلياً على الهجوم.

اقترب رئيس الوزراء من دحض هذا الادعاء بقوله - «لا أستطيع القول أن دايان استشارني في الموضوع» - ومع ذلك مهما كانت تحفظاته على وزير الدفاع قوية، فإنها لا تعادل عداءه لسوريا. فظل جوابه غامضاً: «كنا نمشي طول يوم أمس على الجمر.. كنت فعلاً من أنصار العملية، وأسفت لإرجائها، رغم أنها كانت مقررة بالفعل.. فإذا كان هناك هدوء (في الشمال) فلسوف نضطر إلى السكوت كذلك. ولكن كيف يمكن أن نتوقف الآن ونحن في خضم العملية، لا أدري».

بيد أن شابيرا كان أقل غموضاً، فصاح فيه متسائلاً: «لماذا نحن الآن ننتهك قرار وقف القتال أمام العالم أجمع؟ وأطالب بمعرفة المسؤول عن انتهاء قرارانا (قرار لجنة الدفاع الوزارية)».

وأيده برازيلاي بقوله: «لوزير الدفاع الحق بتغيير رأيه، ولكن الحوار الجوهري قد تحوَّل من طرف إلى طرف. إذ كان ينبغي لهذا المنبر أن ينعقد في منتصف الليل ويتخذ القرار المناسب».

أصر شابيرا على ضرورة وقف الهجوم فوراً، فعارضه آلون ثانية. وقال غاليلي موافقاً على اعتراض ألون: «حتى لو وافقت مصر وسوريا على وقف القتال قبل هذا الاجتماع، فإني أظل إلى جانب القيام بالعملية. وإني سأعارض (وقف الهجوم) حتى ولو كان وقف القتال متبادلاً». قال مناحم بيغن إنه طالما يمكن خرق قرار اللجنة خرقاً «جمالياً» فإن دايان وإشكول قد مارسا حقوقهما وصلاحياتهما بصورة شرعية. «ففي أيام ماريا تيريزا كان هناك قانون ينص على أنه إذا ما خرق جندي النظام وقام بعمل شجاع فإنه يعاقب ويكافأ بآن واحد».



كان آخر المتحدثين الدكتور هيرتزوغ، مستشار رئيس الوزراء السياسي، الذي قال: إن المجازفة بالعلاقات مع الاتحاد السوفياتي أفضل من أن نترك السوريين يحتفظون بالجولان. واختتم إشكول الكلام بقوله: «لا يمكن أن يسمح للسوريين الاستعراض بالنصر، فلا يمكن لإسرائيل أن تسقط الدول العربية ولا تسقط سوريا». (١٣)

انتهى الاجتماع بالموافقة على استمرار العملية حتى صباح اليوم التالي، السبت. فقال ديان مناقشاً: «تفتقر إسرائيل إلى العتاد العسكري، والصمت السياسي لمتابعة المزيد من القتال» وقال في اجتماع له مع وزراء ومستشارين من ذوي المراتب الرفيعة تلك الليلة: «السوريون يقاتلون كالأسود. فلا نستطيع الاستمرار في القتال في أثناء ساعات النهار في حين يحاول السوريون القيام بهجوم معاكس». وقال: إنه بحاجة إلى دفع المزيد من القوات، بالإضافة إلى الأسلحة التي تم الاستيلاء عليها، إلى الجولان، وربما لقصف دمشق، إذا ما استمر القصف السوري للجليل. ورغم أن إشكول كان متفائلاً أكثر باقتراحه «أنه إذا كان الناس في الجبهة يشعرون بقدرتهم على إنجاز المهمة الليلة وغداً – فدعهم يفعلون. فعلى أية حال سوف يدينوننا في الأمم المتحدة». كان هدف احتلال كامل الجولان يبدو بعيد المنال على إسرائيل.

لكن الأحداث في الميدان تجاوزت المباحثات داخل الحكومة في حين كان دايان يوضح الأسباب التي تجعل إسرائيل غير قادرة على التقدم أكثر، كان ديفيد إلعازار يخطط لمزيد من التقدم. إذ خول قواته الاستيلاء على مساحة واسعة من أراض الجولان. بالإضافة إلى التوافيق، من البطمية (Butmia) إلى القنيطرة متبعين خط النفط وطريق تخديمه الموازي له، والمعروف بخط التابلاين (TAP line). كما لا بد من الاستيلاء على بانياس في الشمال والطرق الموصلة إلى جبل حرمون.

وخلافاً لدايان، كان إلعازار يشعر بأن لديه من القوات ما يكفي لإنجاز المهمة. إذ بدأ ازدحام حركة المرور في القطاع الجنوبي يخف، وأخذت آلاف التعزيزات تصل إلى الجبهة. فالدبابات وأنصاف المجنزرات التي نجت من قتال ذلك اليوم قد أعيد

تزويدها بالوقود والذخيرة. وكانت المعنويات قد ارتفعت لدى إخلاء الجرحى. وكان بالإمكان دفع ثمانية ألوية كاملة، مع طلوع الفجر، ضد خط الدفاع السوري الثاني، بغض النظر عن تردد الحكومة. وعندما اتصل رابين قبيل منتصف الليل ملغياً أوامر كانت قد صدرت للمظليين باحتلال جنوب الجولان، ولكن إلعازار اعتذر له قائلاً: «بناء على أمرك السابق بدأ المظليون بالتحرك، ولا أستطيع الآن إيقافهم».

وفي هذه الأثناء، تابع السوريون استعدادهم لمواجهة الهجوم. واعتقاداً منهم بأن إسرائيل ستضرب دمشق عبر لبنان -إذ كان جيش الدفاع الإسرائيلي قد شن هجوماً مخادعاً على الحدود اللبنانية- أمر سويداني لواءين مدرعين (اللواء ٤٢، واللواء ٤٤) ولواء مشاة (اللواء ٣٥) بالعودة من أجل حماية العاصمة. كما أمرت ألوية ثلاثة أخرى هي (اللواء ١١، واللواء ١٣٢ المشاة، ولواء الحرس القومي السابع المدرع) بالتمركز على طول خط الدفاع الثاني. وأذيعت في تلك الليلة رسالة من حافظ الأسد، وزير الدفاع حينذاك قال فيها: «أيها الجنود، ثلاث مئة ألف مقاتل من الجيش الشعبي يقفون معكم في المعركة، ومن ورائهم مئة مليون عربي. صفوة قواتنا صامدة في الجبهة. اضربوا مستوطنات الأعداء، أحيلوهم إلى رماد. ارصفوا الطرق العربية بجماجم اليهود. اضربوهم بلا رحمة». كانت دمشق ترى أن الحرب لم تنته.



الحرب: اليوم السادس ١٠ يونيو (حزيران)

هزم الجولان

مناورات مثمرة في الأمم المتحدة

صليل سيوف بين القوى العظمى

رؤى سلام وشيك

كانت المهمة في نظر ديفيد إليعازار بسيطة. قال لضباطه: «علينا أن نندفع، أيها السادة، إلى أبعد ما نستطيع في الأرض السورية، وبأسرع ما نستطيع، إلى أن نصل على الأقل إلى مفرق القنيطرة في الشمال ومفرق البطيحة في الجنوب، قبل أن يبدأ الهاتف بالرنين». كان إلعازار يعلم أن ذلك الاتصال الهاتفي سيقول له إن إسرائيل تعهدت بمراعاة وقف القتال، وأن الهجوم في الشمال -الحرب- قد انتهى.

قاتلت القوات الإسرائيلية بعناد طوال الليل، ضد هذه الساعة التي لا ترحم، متوقعين أن يقوم السوريون بهجوم معاكس. كذلك السوريون قاتلوا بعزيمة وتصميم. استطاعت حامية من المشاة الاحتياط التابعين للواء ١٣٢ السوري الذين ركزوا مدافعهم المضادة للطيران قرب قرية جلابينا (Jalabina) المحصنة، أن يصدوا كتيبة المظليين الإسرائيلية الخامسة والستين. قال عوزي فينكيلشتاين (Finkel- Uzi stein)، قائد سرية إسرائيلية أنهك رجالها وأصيبوا بصدمات عصبية نتيجة صدمات القذائف فانهاروا بين جلاميد الصخر «نهضت مرتين لأهاجم القرية ولكن أحداً لم يتبعني في المرتين «مضت أربع ساعات قبل أن يتمكن فينكيلشتاين وزمرة صغيرة من رجاله اختراق القرية وتدمير مدافعها الثقيلة».

اتجهت دبابات ميندلر جنوباً من القلعة، متقدمة ستة أميال تحت قصف كثيف من المدافع الثقيلة والدبابات، نحو واسط. انتظرت الهاونات السورية الموجودة في موقع بانياس شمالاً. حتى طهّر المهندسون في لواء جولان ممراً في حقل الألغام، ففتحت نيرانها عليهم. قتل (١٦) إسرائيلياً وجرح (٤) في هذه العملية.

على الرغم من أن الهجوم المعاكس المتوقع، لم يحدث، فإن المقاومة السورية كانت شديدة -فتباطأ تقدم المهاجمين- حتى إن إلعازار فقد مع طلوع الفجر الأمل في الاستيلاء على القنيطرة، ولدى شعوره بالإحباط، وقناعته أن إسرائيل قد فوتت فرصة تاريخية، ذهب إلى النوم.

بعد نصف ساعة أيقظه اتصال هاتفي من رابين يطلب إليه تزويده بآخر المعلومات عن الهجوم فأجابه: «إسحاق لقد أنجزت تطهير الخطوط الأمامية، رغم أني أرى أنها لم تطهر تماماً».

عندئذ فاجأه رابين إذ قال له إن الحكومة قد منحت جيش الدفاع الإسرائيلي مزيداً من الوقت «لتسوية خطوطه» وعلى الرغم من أن الحكومة لم تقل شيئاً عن الوصول إلى القنيطرة فإن العملية يمكن أن تستمر. واختتم رئيس الأركان مكالمته بقوله: «يبدو أن لدينا مزيداً من الوقت، فلم نلتزم بعد بوقف القتال».

فأجابه العازار مبتهجاً: «إذا كان الأمر كذلك، سأشد هجومي على الفور». (١)

استمر الهجوم الإسرائيلي، ولكن المقاومة السورية لم تستمر. فعندما وصل مندلر إلى المنصورة، وهي قرية تبعد خمسة أميال عن واسط، فوجئ بمقاومة لا تكاد تذكر. وقال فيما بعد: «لم نستطع الاحتكاك بعدو متقهقر. أطلقنا النار على عدد من الدبابات فتبين لنا بعدئذ أنها مهجورة. كل ما حولنا كان كمية هائلة من المعدات العسكرية بما فيها دبابات وأجهزة لاسلكي، كلها تعمل وفي حالة جيدة» وحيًّا مشهد مماثل قوات لواء جولاني بعد اختراقهم لقرية بانياس المحصنة، وفيما خلا عدد من الجنود السوريين، وجدوا مقيدين في مواقعهم، كانت الخنادق مهجورة تماماً. أنجز الهجوم، في أقل من ١٥ دقيقة.

في الساعة ٨,٣٠ صباحاً، هزت الجولان سلسلة من الانفجارات الهائلة. كان السوريون يفجرون تحصيناتهم، ويحرقون وثائقهم، ويتراجعون بالجملة، لقد فقد القادة السوريون السيطرة على ميدان المعركة بسبب انقطاع الاتصالات المتقدمة، ولعدم رغبتهم في شن هجوم على الجبهة، حتى إنهم ارتبكوا عندما أذاع راديو دمشق أن القنيطرة الواقعة على بعد ٤٥ ميلاً فقط إلى الجنوب الغربي من العاصمة السورية قد سقطت. وقال الراديو: «نقسم أننا سنسحق رأس الأفعى الصهيونية في القنيطرة ونترك ذيلها الميت في تل أبيب». (٢)

أزمة ومصداقية:

يئس السوريون من تلقي أي عون من أية جهة في العالم العربي، أو من الأمم المتحدة أو من الاتحاد السوفياتي، وكان ذلك القشة التي قصمت ظهر البعير، الأمر الذي جعلهم ينهارون في النهاية. إن الإعلان المسبق عن سقوط القنيطرة وفَّر للنظام ذريعة كي يسحب قواته من الجبهة وحشدها حول دمشق. كما أن المجتمع الدولي ربما يُحفِّز على التصرف. (٣)

كان المجتمع الدولي، في الحقيقة قد بدأ يعمل عندما انعقد مجلس الأمن في الساعة ٤,٣٠ قبل الظهر بناء على طلب سوريا. زعم طعمة أن القوات الإسرائيلية قد احتلت القنيطرة، وتقوم من هناك بهجوم على دمشق. اتهم فيديرينكو إسرائيل «بتضليل المجلس علناً باللعب على عنصر الزمن» ووصف رفائيل بالكذاب. وضغط مع السفير السوري على طابور، رئيس مجلس الأمن، أن يطلب بياناً يحدد بالضبط موقف القوات الإسرائيلية. رفض رفائيل إعطاء بيان بهذا المعنى متذرعاً بأن ليس من حق المجلس أن يجبر ممثل أية دولة ذات سيادة على التكلم، ولكن الضغط عليه أخذ يتعاظم بصورة لا تحتمل. وقد هرب مراراً من قاعة مجلس الأمن ليهتف إلى إيبان في القدس يرجوه إصدار تصريح واضح بشأن سياسة إسرائيل، قائلاً: «ليست مصداقية إسرائيل في خطر فحسب، بل إننا نواجه خطر الإدانة من قبل مجلس



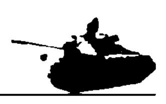
الأمن بما في ذلك الولايات المتحدة». وحذر إيبان من النضال الدبلوماسي الذي سيبدأ بعد الحرب مباشرة، وحذر من تآكل الموقف الأخلاقي الإسرائيلي وانهياره بفضل رفض إسرائيل بيان أهدافها في مرتفعات الجولان..

أسدل على مصداقية إسرائيل ستار آخر من الشك صباح ذلك اليوم مبكراً عندما اعترف مراقبو الأمم المتحدة أن النفاثات الإسرائيلية كانت تقصف دمشق. لكن رفائيل نفى ذلك بشدة، ملمحاً إلى أن المراقبين شاهدوا كذلك الدخان يتصاعد من المستوطنات الإسرائيلية. بيد أن تقارير المراقبين التالية كلها أكدت مشاهدة طائرات إسرائيلية في أجواء العاصمة السورية.

فاضطرت وزارة الخارجية الإسرائيلية أن تعلن عن أول اعتراف لها بالمعركة، وإن كان غامضاً، جاء فيه أن «طائرات سلاح الجو الإسرائيلي لم تكن تقصف دمشق، بل كانت توفر غطاء لقوات إسرائيل البرية». لم يكن لهذا الاعتراف أثر في تخفيف حدة التوتر، على أية حال. ومع أن غولدبيرغ وكارادون طالبا بإصدار قرار يأمر الطرفين باحترام وقف القتال، أصرّ فيديرينكو على أن من ينبغي إدانته هو إسرائيل وحدها. إذ قال بصوت عالٍ: الدائرة كاملة وارتكاب الجريمة ثابت». (٤)

كانت ضغينة فيديرينكو مجرد انعكاس لحقد الكرملين الداخلي. قالت وزارة الخارجية البريطانية: «كانت الأسابيع المنصرمة سيئة للاتحاد السوفياتي. فالانطباع الأبرز هو انهيار آمال كبار، وتحطم الثقة، وفواتير كبيرة للإصلاح». فقد كشفت هزيمة مصر المهينة، وجمود الاتحاد السوفياتي تجاهها، الهوة الموجودة بين أعضاء المكتب السياسي السوفياتي المؤيدين للمواجهة مع الولايات المتحدة في الشرق الأوسط والمعارضين لها وبين كوسيغن والتكنوقراطيين ومسؤولي الأمن المقربين من بريجينيف.

إن ذلك النزاع، بالإضافة إلى تباطؤ السوفيات في اتخاذ القرارات -إذ كانت الحكومة تجتمع مرَّة واحدة في الأسبوع يوم الثلاثاء- كل ذلك شل الدبلوماسية السوفياتية في الأيام الأولى من الأزمة. لقد نعا الزعيم السوفياتي الأسبق



خروتشيف الذي كان يراقب الأزمة من بعيد، فشل كبح ناصر أو الفشل في تقدير قوة إسرائيل بصورة صحيحة، قائلاً: «منذ البداية ارتكبت بلدنا أخطاء - خطأ السماح لهذه الحرب أن تنشب، والسماح لناصر أن يستفز إسرائيل، وخطأ المقامرة في كل شيء». لقد استفادت إسرائيل والولايات المتحدة من المقامرة كما استفاد منها الصينيون كذلك، الذين أساءت دعايتهم إلى مصداقية موسكو والطعن بالاعتماد عليها. أحبط العرب تماماً. كتب نائب رئيس بعثة الاتحاد السوفياتي في الأمم المتحدة، أركادي شيفشينكو (Arkady Schevchenko) يقول: «كان الاتحاد السوفياتي مستعداً لتزويد بعض البلدان العربية بالسلاح وتدريب جيوشهم.. وتقديم مساعدات اقتصادية، لكنه لم يكن مستعداً للمجازفة في مواجهة الولايات المتحدة في المنطقة». وأضاف قائلاً: «أظهرت الحرب رغبة الاتحاد السوفياتي في الانصراف عن تلك البلدان في اللحظة الحرجة بعد أن يكون قد شجعهم وأثار عواطفهم، الأمر الذي سرع المكاشفة والحسم». (٥)

ليس العرب وحدهم الذين يئسوا وأحبطوا من موسكو، بل كذلك حلفاؤهم في أوربة الشرقية. فقد غضبوا من إساءة السوفييت التعامل مع الأزمة، لدرجة أنهم استطاعوا مفاتحة السوفيات بهذه الحقيقة في مؤتمر قمة دول حلف وارسو في ١٥ يونيو (حزيران). وقبل هذا التاريخ اتخذت إجراءات قليلة لاستعادة سمعة روسيا الملطخة، بوسائل عسكرية. ففي حين كان سلاح الجو، والمظليون، وسفن الأسطول في منطقة البحر المتوسط كلها في حالة استنفار قصوى منذ بدء الحرب، لم يحدث أي تحول كبير في نزعة الجيش السوفياتي، وكانت المساعدة للعرب محصورة في إعادة تزويدهم بمعدات حربية، وخصوصاً طائرات الميغ إلى مصر والعراق.

وبعد ذلك اخترق جيش الدفاع الإسرائيلي مرتفعات الجولان. وأُعلن عن سقوط القنيطرة، وبعد ذلك بوقت قصير وردت تقارير عن قصف دمشق. سارعت أجهزة الدعاية السوفياتية إلى اتهام إسرائيل بارتكاب جرائم إبادة الجنس البشري، وبالتآمر للهيمنة على العالم. وسرت إشاعات ضمن الأسطول السوفياتي في البحر

المتوسط عن تدخل عسكري سوفياتي وشيك بما في ذلك إنزال في حيفا. ورغبة من غروميكو في تجنب أي صدام، اقترح رداً قوياً غير عنيف، هو: قطع العلاقات مع إسرائيل. كان القرار حسبما وصفه مسؤول سابق «مجرد حركة ضمن لعبة سياسية داخلية أكثر مما هو موقف لصالح العرب... كان رشوة لتهدئة صقورنا». ومع ذلك، لم يكن من السهل تهدئة أولئك الصقور، مع تعرض عاصمة حليف شرق أوسطي كبير للسقوط. (٦)

بدأ تلكس الخط الساخن في البيت الأبيض يتك في الساعة ٧,٣٠ صباحاً. قيل للرئيس جونسون: «إن كوسيغن يريد الرئيس أن يأتي إلى الجهاز بأسرع ما يمكن» كانت القوات الإسرائيلية تندفع نحو دمشق، كما قال الزعيم السوفياتي؛ والنتائج خطيرة:

«لقد جاءت اللحظة الحاسمة التي تجبرنا على تبني موقف مستقل، إذا لم تتوقف الأعمال العسكرية في الساعات القليلة القادمة. نحن مستعدون لذلك. ومع ذلك، ربما تجرنا هذه الأعمال إلى صدام يقودنا إلى كارثة... نقترح أن تطلب من إسرائيل أن توقف عملياتها العسكرية بلا قيد أو شرط.. ونقترح أن تنذر إسرائيل أنه إذا لم تطبق ذلك فإن أعمالاً ضرورية سنتخذها بما في ذلك الأعمال العسكرية».

كما ورد دليل آخر على جدية السوفيات. إذ اتصل بوريس ن. سيدوف (Boris N.Sedov) السكرتير الثاني في سفارة الاتحاد السوفياتي في واشنطن ومسؤول رفيع المستوى في الـ KGB بريمون كارتهوف (Raymond Garthoff)، في وزارة الخارجية وأخبره أن موسكو مستعدة لانتهاك أجواء تركيا وإيران واليونان لإرسال قوات إلى المنطقة. وقال: «إن ٤٠٠ مستشار سوفياتي في سوريا قد خوّلوا بالقتال». كما تلقت وزارة الخارجية البريطانية رسالة من عشرة بلدان من حلف وارسو تتعهد بتقديم كل ما هو ضروري لمساعدة شعوب البلدان العربية لصد العدوان... ولحماية حقوقهم

المشروعة... ولا بد للنضال العربي أن ينتصر... في قاعة الاجتماعات في البيت الأبيض كان الجو متوتراً، كما قال مدير المخابرات المركزية (CIA) ريتشارد هيلمز (Richer Helms) أثناء الحديث الجاري بين جونسون ومستشاريه «بأخفض أصوات سمعتها بحياتي». وقال السفير لولين تومبسون (Llewellyn Thompson) الذي ترجم نص كوسيغن وأعاد تدقيقه للتأكد من وجود كلمة «عسكري»: «إنه لوقت عصيب بالغ الخطورة». وصلت برقية أخرى من الكرملين في الساعة العاشرة تؤكد اتهام إسرائيل ونواياها تجاه دمشق وينصح جونسون بتأكيد تلك الحقيقة مع السفير الأمريكي هناك - وكأن السوفيات لا يعلمون بطرده. أخذ مزاج موسكو يزداد تدهوراً.

مضت ساعة وجونسون يراجع خياراته. عبر تومسون عن دهشته لالتزام كوسيغن الشديد بسوريا، بالمقارنة مع التزامه بمصر وتساءل فيما إذا كان يعتقد حقاً أن الغرب يريد الإطاحة بالبعث، كان هيلمز يعتقد أن الإسرائيليين يستهدفون دمشق فعلاً، فطلب معلومات من الميدان. ومع ذلك كان الجدال مركزاً حول ما إذا كان السوفيات جادين في التدخل أو أنهم يختبرون عزيمة أمريكا وتصميمها فقط. وعبر تومبسون عن الموقف بقوله: «إذا كانت إجاباتنا مؤدبة، فربما نبدو وكأننا تراجعنا أمام التهديد».

وأخيراً، أحجم الرئيس عن الرد على التهديد، بتهديد. بل أجاب بود ولكن بإحكام. أكد إلى كوسيغن بأن الولايات المتحدة فعلت ما بوسعها لكبح الإسرائيليين وحثه على أن يفعل الأمر نفسه مع السوريين. وأضاف قائلاً: «إن مما يخدم السلام» إعلان الكرملين بصراحة وعلانية نفي كذبة ناصر الكبرى.

لم يستدر ماكنمارا إلى تومبسون، إلا بعد مغادرة جونسون الغرفة، ليسأله: «ألا تعتقد أنه من المفيد.. أن نوضح للسوفيات بأننا لا ننوي نفي هذه الكذبة؟ ألا تكون فكرة جيدة لو أدرنا، ببساطة، الأسطول السادس وحاملتي الطائرات وما يرافقهما من سفن، باتجاه شرق البحر المتوسط؟».



قال تومبسون، نعم، ستكون فكرة مفيدة، ووافق هيلمز عليها أيضاً، مذكراً بأن السفن السوفياتية تتعقب الأسطول عن كثب: «فالرسالة سوف تصل إلى موسكو بسرعة».

قبل جونسون نصيحة مستشاريه، وقال إلى مكنمارا: «اعرف بالضبط أين هو الأسطول، وقل له إلى إين يستدير».

ذهب وزير الدفاع إلى الهاتف وأصدر على الفور الأمر. أعطيت تعليمات للأسطول الذي كان يبحر غرب قبرص بين كريت ورودس، أن يستدير إلى الشرق حتى يصل إلى مسافة مئة ميل عن الساحل الإسرائيلي. (٧)

استعد الأمريكيون إلى الضغط على إسرائيل جنباً إلى جنب مع كبح تحركات السوفيات المحتملة. كان إيبان يلعب بورقة الزمن مؤكداً لباربر أنه ليس «لإسرائيل نية في الذهاب إلى دمشق». وأنها راغبة في قبول وقف القتال في المكان والدقيقة التي يتوقف فيهما السوريون عن قصف المستوطنات الشمالية. لقد صدرت الآن تعليمات للسفير الأمريكي الذي كان سابقاً يستمع إلى مثل هذه المناقشات، أن يرفضها. فأجاب إيبان قائلاً: إن سقوط القنيطرة، كما ذكرت التقارير لا يتفق أبداً مع ما تدعيه من حاجة لإخراس المدافع السورية «فعلى إسرائيل أن تبرهن على قبولها وقف القتال على الأرض قبل أن يجتمع مجلس الأمن بعد ظهر هذا اليوم، وإلا ستخاطر بمكاسبها على كل الجبهات الأخرى» وتابع باربر تحذيره بأن إسرائيل ستجد نفسها في مواجهة السوفيات وحدها، بالإضافة إلى إدانتها في الأمم المتحدة، وربما في الكونغرس.

دعا غولد بيرغ، رفائيل إلى قاعة الوفود في الأمم المتحدة وحثه على إصدار بيان حول عزم إسرائيل على وقف القتال، وإلا فإن فيديرينكو سوف يعلن في الحال أن «الحكومة السوفياتية مستعدة لاستخدام كل الوسائل المتاحة لجعل إسرائيل تحترم قرار وقف القتال». وأفضى له غولد بيرغ في أثناء حديثه عن تعليمات الرئيس الواضحة أن «الولايات المتحدة لا تريد إنهاء الحرب نتيجة للإنذار السوفياتي النهائي. فإن ذلك سيكون كارثة ليس لمستقبل إسرائيل فقط، بل لمستقبلنا جميعاً. إنها لمسؤوليتكم أن تتصرفوا الآن».

في حال إغفال ملاحظة غولدبيرغ، رتب بوجين روستو ونيكولاس كاتزينباخ (Nicholas Katzenbach) لقاء طارئاً مع أبي هارمان (Abe Harman) وإبي إيفرون (Eppy Evron)، قيل فيه للإسرائيليين بكلمات صارمة إنهم وحدهم يتحملون مسؤولية استمرار الأعمال العدوانية على سورية. فالرأي العام العالمي أخذ ينقلب ضدهم، في حين أن الكونغرس مشغول في الحديث عن فشل وقف القتال. «فضلاً عن أنه بانشغال السوفيات بصليل السيوف يعد تمكّن واشنطن من التأكيد للسوفيات بأن إسرائيل سوف تحترم قرار وقف إطلاق النار أمراً حاسماً. كان وكلاء الوزراء متمسكين بضرورة اتخاذ مثل هذا الإجراء: «إن مصداقيتنا مع السوفيات في خطر». (٨)

وصلت هذه الرسائل إلى القدس في اللحظة التي استلم فيها إشكول برقية من موسكو. أشارت البرقية إلى الخرق الإجرامي «لقرارات وقف القتال الصادرة عن الأمم المتحدة، وغزوها» الخياني للأراضي السورية وتقدمها إلى دمشق وحذر السوفيات إسرائيل «إنه إذا لم توقف القتال فوراً، فإن الاتحاد السوفياتي والدول الأخرى المحبة للسلام ستفرض عقوبات عليها بكل ما يترتب على ذلك من نتائج».

ولكي يدعم السوفيات تهديدهم اندفع شوفاخين إلى مكتب إيبان وأعلن بصوت مرتجف بأنه «في ضوء العدوان الإسرائيلي المستمر على الدول العربية، وانتهاكها الفاضح لقرارات مجلس الأمن، فإن الاتحاد السوفياتي قد قرر قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل» ارتجل إيبان جواباً اعترف فيه بالفروق المريرة بين إسرائيل والسوفيات، ولكنه يرى أن هذه الفروق تستوجب تقوية العلاقات لا قطعها، وقال: «لو كان هناك انسجام كامل بيننا، لأصبحت المسألة مجرد حفلات كوكتيل».

خفض شوفاخين صوته وأجابه: «ما تقوله سعادتكم منطقي، ولكني لم أرسل هنا لأكون منطقياً. جئت هنا لأبلغك بقطع العلاقات» وبعد ذلك انفجر السفير السوفياتي بالبكاء، مما أدهش إيبان.

إن كبش فداء فشل السوفيات في الشرق الأوسط، هو شوفاخين الذي طرد من عمله في الخارجية ونفي إلى سيبيريا، ومع ذلك، ليس الاتحاد السوفياتي وحده استدعى سفيره من إسرائيل، وكان الرد الإسرائيلي الفوري على ذلك هو التوجه إلى واشنطن طلباً لمزيد من المساعدات العسكرية في حال انخراط السوفيات المباشر في الحرب. امتنع البيت الأبيض عن الرد على هذا الطلب (٩). فعندما وجدت إسرائيل نفسها معزولة بصورة مفاجئة وفي مواجهة التنديد والإدانة في مجلس الأمن، واحتمال الصدام مع القوات السوفياتية، لم يبق أمام قادتها خيار سوى التوقف وإعادة النظر في قراراتهم بشأن الهجوم على سوريا، وهل ما زال يستحق هذه المجازفة.

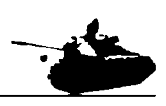
ثلاثي الهاوية:

قال إليعازار: «إنني أنصح، وأظن، بل أعتقد أن علينا الوصول إلى القنيطرة والبطيحة، ويمكننا ذلك. لن يكون هناك هجوم سوري معاكس. فالقوات السورية على وشك الانهيار».

في الساعة العاشرة صباحاً كان رئيس القيادة الشمالية يخاطب اجتماعاً عقد لهذا الغرض ضمَّ إشكول ودايان ووايزمان وحاييم بارليف، وكانت القناة العربية في إذاعة إسرائيل تكرر على مدى الساعة المنصرمة ادعاء سوريا سقوط القنيطرة - وهو ادعاء كان الإسرائيليون يعرفون أنه كاذب ولكنه ييسر انهيار العدو وسرعته كما يأملون. والآن، في ضوء التقهقر السوري، يبرز السؤال التالي: «هل على إسرائيل أن تستثمر ذلك؟».

قال إشكول مؤكداً: «يجب أن ننهي الأمر بسرعة، إننا نتعرض لضغط كبير من الأمم المتحدة» وكان رئيس الوزراء يعارض مطالب وزراء تجمدت معارضتهم للهجوم في إطار علاقات إسرائيل بالولايات المتحدة وقطع العلاقات مع موسكو.

أراد دايان أن يعرف «متى نستطيع إنجاز المهمة؟».



أكد لهم دادو أن القوات الإسرائيلية تصل أهدافها على طول خط يمتد من مجدل شمس في أقصى الشمال، عبر القنيطرة، إلى البطيحة بحلول الساعة الرابعة بعد الظهر.

قاطعه إشكول: «إن كنت تقول الرابعة، فذلك يعني أنه يمكن أن تكون الخامسة أو السادسة».

فابتسم الجنرال، وقال: «سيدي، إن كنت أقول الرابعة فإني أعني الثانية أو الثالثة».

كان نائب رئيس العمليات، زئيف، يجلس إلى جانب إشكول، مع ألون وموشي كارمل يصغون إلى الحديث، فقال زئيف: «مهمتي أن أضغط على إشكول من أجل ساعة قتال أخرى، ومن ثم ساعة أخرى. فالمهمة لم تكن سهلة، إذ كانت الضغوط عليه من واشنطن ونيويورك هائلة. وكذلك دايان لا يريد التوسعات».

وفي النهاية، وافق وزير الدفاع على إعطاء الجيش مهلة أربع ساعات إضافية دون أية دقيقة زيادة على ذلك. فهو سيلتقي في ذلك الوقت الجنرال بول ويؤكد له قبول إسرائيل وقف القتال. واختتم كلامه قائلاً: «ولا تطلب حتى غطاء جوياً بعد الساعة الثانية». (١٠)

تزامن القرار الإسرائيلي بإطالة زمن القتال مع تصميم سوريا على قتال أقوى بتشجيع من رغبة مجلس الأمن المفاجئة في مواجهة الإسرائيليين، ودعم من تهديدات الروس بالتدخل، فحاولت دمشق إلغاء إعلان سقوط القنيطرة فأذاع الأسد بياناً في الساعة ١١،٤٥ بعد الظهر إلى الشعب السوري قال فيه: «مازال جنودنا الشجعان يقاتلون في القنيطرة. لن يدع جنودنا البواسل العدو يحتل المدينة. لقد دمر عدد هائل من دبابات العدو». وأضاف معلقاً قائلاً: «إن انتصارنا اليوم في القنيطرة يعني انتصارنا غداً في تل أبيب».

جاء هذا الإعلان متأخراً، على أية حال إذ كان الجيش السوري في حالة فرار تامة، متخلياً عن أسلحته الثقيلة، وازدحمت به الطرق. حث المستشارون السوفيات الجنود على الثبات في مواقعهم، وصدرت الأوامر بإطلاق النار على من يشاهد



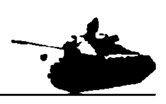
هارباً. أثبتت هذه الجهود كلها عبثيتها، إذ تم تجاهل السوفيات، في حين أن القادة الذين أصدروا أمر قتل الهاربين كانوا هم أنفسهم قد غادروا ميدان المعركة. وبسبب اعتقاد الجنود السورين بأن الجولان بأكمله قد سقط نتيجة إشاعات عن استخدام إسرائيل أسلحة نووية، لجأ ٤٠٠٠ جندي سوري إلى الأردن، و٣٠٠٠ إلى لبنان.

ادعى ضابط التسليح مروان حمدان الخولي قائلاً: «لقد قُطعنا نهائياً، وكنا نتعرض لقصف كثيف، ولم يكن لدينا اتصالات لا سلكية». كانت فصيلته قد تمركزت قرب جسر بنات يعقوب، دون أن يصلها القصف، بانتظار الأوامر لغزو الجليل. «وأخيراً جاءنا أمر بالتراجع دون أن نعرف السبب. كل ما علمناه كان من الإذاعة، وبدأنا نخمن أننا خسرنا الحرب، نتيجة ما سمعناه». أما الكابتن محمد عمّار الذي نجا من المعارك الدائرة حول تل فخر، فيصف حالة الفوضى على النحو التالي:

«إن القوات التي كان من المفروض أن تحول دون تقدم العدو، قد انسحبت دون أوامر، ودون تنسيق، لم نعرف شيئاً، ولم يكن لدينا أي خيار سوى الانسحاب. قتل من فصيلتي تسعة، وجرح أربعة، لم تكن لدينا ذخيرة، ولا أية وسيلة للحصول على المزيد منها» وتحدث قائد اللواء الثامن إبراهيم إسماعيل خاحيا بصراحة عن عاره:

«تلقينا أوامر بسد الطرق المؤدية إلى القنيطرة. ولكن بعد ذلك أعلن سقوط القنيطرة الأمر الذي جعل العديد من الجنود يتركون الجبهة ويهربون عائدين إلى سوريا في حين ظلت هذه الطرق مفتوحة. كانوا يتكدسون في المركبات فتحطمت معنوياتنا، فتراجعت دون أن أرى جندياً معادياً».

ومما زاد الفوضى تعقيداً خروج ٩٥٠٠٠ مواطن سوري من الجولان. ويذكر علي الدرويش، مزارع من قرية العيون، ومتطوع في الحرس القومي: «في الخامس من يونيو (حزيران) تلقينا أمراً بالجلاء. كانت بالقرب منا كتيبة مدفعية (سورية) فكان هناك خطر احتمال إصابة القرويين بقذائف العدو التي ستطلق على هذه الكتيبة. فلم نأخذ معنا شيئاً، سوى بطانيات للأطفال. اختبأنا في المغاور خمسة أيام إلى أن



جاءت الأوامر بالانسحاب كلياً فهربنا مشياً على الأقدام إلى الأردن» أما عبد الله مرعي حسن، فلسطيني يعمل مع الإدارة السورية فقد أصر على البقاء في القنيطرة حتى العاشر من يونيو (حزيران): «عندئذ فقط عندما تيقنت أن الجميع تخلوا عن المدينة غادرتها. لم يكن معي سوى ثيابي التي ألبسها». في حين أن الدروز والشركس الذين يخدم أقرباؤهم المقيمون في إسرائيل في جيش الدفاع الإسرائيلي بإخلاص قد ظلوا ليحيوا المحتلين.

تجمع معظم اللاجئين (النازحين) في دمشق التي هي نفسها لم تكن آمنة من هجوم إسرائيلي. حذر سويداني، رئيس هيئة الأركان السورية، زعماء سوريا السياسيين، قائلاً: «اليهود.. يطبقون على دمشق. ولا أحد يستطيع إيقافهم. تتمتع إسرائيل بدعم الأمريكيين والبريطانيين ويمكنها أن تدوس بازدراء على الأمم المتحدة. فعلينا الاستعداد للدفاع عن العاصمة ولآخر قطرة دم فينا».

ومع ذلك كان أول من هرب من المدينة هو رئيس هيئة الأركان الذي وصفه مصدر دبلوماسي أمريكي بأنه «جبان على الأقل، وخائن على الأكثر»، ثم تبعه وزراء حكوميون اندفعوا إلى حلب بما يملكون من ذهب مخزون. وقال مصطفى طلاس الذي قضى معظم اليوم يراوغ الطائرات الإسرائيلية في أثناء تقهقره: «لم ننل أبداً شرف مقاتلة العدو الصهيوني». ورغم أن سيارات الجيب كانت تجوب الشوارع تحث الناس بمكبرات الصوت إلى الصمود والقتال. فقد ترك الدفاع عن دمشق إلى لواء واحد هو اللواء السبعين الموالي للنظام. (١١)

نزل الإسرائيليون، متعقبين السوريين بأقصى سرعة، إلى القنيطرة من اتجاهات ثلاثة – من مسعدة وبقعاتا من الشمال، ومن القلعة شرقاً، ومن تل أبو الندا من الشمال الشرقي. واتجهت وحدات أخرى جنوباً إلى الخشنية، وشمالاً على السفوح المتاخمة للحدود اللبنانية. و عند الرأس الجنوبي لبحر الجليل تركز القصف المدفعي على التوافيق في الساعة الواحدة بعد الظهر تمهيداً لهجوم مظلي لاحتلال الحصن. وبعد ذلك، حمل ٨٠٠ مظلي في مروحيات إلى كفر حارب أولاً، ثم إلى العال، وأخيراً



إلى البطيحة، مغامرين باحتمال وجود قلة قليلة، من الجنود السوريين، هذا إن كان هناك أحد أساساً في ساحة القتال. وهكذا كان التقدم بقفزات سريعة وواسعة جداً بحيث كان القادة لا يعرفون أين هم، بل كل ما كان يهمهم هو الاستمرار بالتقدم قبل أن يدخل قرار وقف القتال حيز التنفيذ. تراجع السوريون بسرعة فاقت سرعة تقدم الإسرائيليين إذ كانت غالبية مواقعهم قد هجرت.

ومع ذلك بقي التقدم بطيئاً نسبياً. كانت فترة الساعتين، الموعد الأخير المحدد، تقترب من النهاية، حتى إن العناصر الإسرائيلية الرائدة لم تصل بعد إلى أهدافها، إذ كان الكثيرون يرون أن وقف القتال أصبح وشيكاً. فلا داعي إذن إلى الاندفاع، ولدى مرور إيغال ألون بنفاح (Nafakh) أوقف سيارته الجيب وسأل ضابطاً متوانياً -رون ساريق (Ron Sariq)، قائد سرية استطلاع - عما يفعل هناك، فأجابه ساريق: «انتظر الأوامر» فصاح فيه ألون: «لا تقف هناك، هيا أسرع واحتل القنيطرة». (١٢)

احتلت القنيطرة في الساعة ١٢.٣٠ بعد الظهر. أذعن ميندلر إلى طلب من بارليف السماح للواء جولاني أن يكون أول الداخلين إلى القنيطرة تكريماً لقيامه بالدفاع عن الحدود الشمالية مدة ١٩ عاماً. فلم يجدوا سوى أحياء ومناطق مجاورة مهجورة تماماً، مخازنهم وأسواقهم مليئة، وما زال طعام غدائهم ساخناً على الطاولات، ويذكر الكولونيل بني إنبار (Benny Inbar) قائد الكتيبة الـ ٥١ من لواء جولاني: «كان بإمكاننا الاستمرار إلى دمشق، كانت الطريق مفتوحة أمامنا تماماً. لقد هربوا (السوريون)».

وفي اجتماع عقد في نادي الضباط السوريين، في القنيطرة، حث إلعازار رابين أن يخوله بالاندفاع إلى عمق سوريا بالمدرعات. إن خطة الطوارئ ١٩٦٤ لجيش الدفاع الإسرائيلي، هاتشيت (Hatchet) (غارزين (Garzen) بأن تقوم فرقتان باحتلال عاصمة العدو في غضون ثمانين ساعة. لكن رابين رفض الفكرة مصراً على عدم احتلال المزيد من الأراضي السورية. الاستثناء الوحيد هو جبل حرمون الذي وصفه موتي هود (Motti Hod) الذي كان حاضراً في الاجتماع أيضاً بأنه «عين

الأمة» يجب احتلال جزء من قمته بأسرع ما يمكن وتحويلها إلى مرصد لإسرائيل يكشف قلب مدينة دمشق. (١٣)

كان دايان غائباً عن هذه المشاورات. كان وزير الدفاع يرتب موعداً مع أودبول (Odd Bull). وفي مناورة فجّة لكسب الوقت، حدد دايان اللقاء في طبريا. وعندما وصل رئيس مراقبي الأمم المتحدة إلى طبريا وجد أن مكان اللقاء قد تحول إلى تل أبيب. التقى الاثنان أخيراً الساعة الثالثة بعد الظهر، أي بعد ساعة من الموعد المقرر.

افتتح بول الحديث بالتأكيد على كسر الدورة التي كان يتقدم فيها الإسرائيليون، ويدافع السوريون عن أنفسهم، فيتخذ الإسرائيليون دفاع السوريين ذريعة لمزيد من التقدم. لم يجد هذا المنطق تعاطفاً من دايان. إذ قال ما زال السوريون يقصفون المستوطنات، فإذا ما توقفوا فإن جيش الدفاع سيتوقف على الفور. ثم قال: «نحن لا نسعى إلى تعويض» ووصف دايان القتال بأنه مطلق «نحن لا نفاوض، وسوف نوافق دون قيد أو شرط» - ولكنه بعد ذلك أخذ يملي شروطه الخاصة: «لن تقبل إسرائيل أي عذر لخرق وقف إطلاق النار، مثلاً، أن تظل هناك وحدات سورية تتلقى أوامر بالقتال. فضلاً عن أن اتفاق وقف إطلاق النار يجب ألاّ يستعيد اتفاقات الهدنة للعام ١٩٤٩. ولكن يسمح لمراقبي الأمم المتحدة الاقتراب من خط وقف القتال: وعلى بول أن يقبل كلمة إسرائيل بأن القتال قد توقف فعلاً». (١٤)

كان وقف القتال سيدخل حيز التنفيذ في الساعة السادسة بعد الظهر. وجّه دايان إلعازار قائلاً: «لا يقولن أحد أن جهازه اللاسلكي لا يعمل». وأمر وايزمان وزئيف أن يرسما خريطة لحدود إسرائيل الجديدة، ووبخهما قائلاً: «اضبطا نفسيكما». ومع ذلك تجاهلت القيادة الشمالية التعليمات الصادرة إليها من القدس، ومدّدت الوقت النهائي بضع ساعات أخرى لتحسين مواقع إسرائيل الدفاعية. أمرت كل وحدة، وكل جندي أن يحتل قمم التلال ومفارق الطرق الاستراتيجية. فألبس ضابط المخابرات أهوفيا تابنكن (Ahuvia Tabenkin) طباخيه خوذاً، وزوّد موظفيه



بالسلاح وأرسلهم للجلوس على قمة جُرف الرقاد (al-Ruqada) شمال الخشنية. وتابعت المروحيات بنقل الجنود إلى مناطق خلفية تقع شمال شرقي البطيحة.

لم تسر هذه العمليات دون مقاومة، إذ كانت تظهر مقاومات مبعثرة هنا وهناك من حين إلى حين. في لحظة من اللحظات كانت طائرة سورية من طراز ميغ تلاحق طائرة إلعازار المروحية الأمر الذي اضطرها إلى الانخفاض والطيران في وهد منخفض. هبطت المروحية بسلام في كيبوتز النقيب على الشاطئ الجنوبي لبحر الجليل. هرع العديد من أعضاء الكيبوتر لتحية الجنرال. ويقول إسحق هوفي رئيس هيئة العمليات الذي كان هو وبارليف على متن الطائرة ذاتها، معلقاً على الحادثة: «إن عودة الوحدة بين دادو وأعضاء النقيب لا تنسى أبداً. رجال ونساء وأطفال، يضحكون ويبكون، تحلقوا حوله، يعانقونه ويقبلونه. كان ذلك ابتهاجاً بما حدث، وبخلاصهم من الكابوس الذي انتهى الآن». (١٥)

إن نبأ لقاء دايان مع بول، الذي تبعه نفاد وقت القتال، هدأ الوضع المتفجر في الأمم المتحدة. لاحظ باربر قائلاً: لعب الإسرائيليون بعنصر الزمن في مناورات سياسية في مجلس الأمن حتى أوصلوا العالم إلى حافة الهاوية». وأن سياسة حافة الهاوية هذه قد أثمرت. فعلى الرغم من استمرار فيديرنيكو بالتهجم على الإمبريالية الأنكلو -أمريكية- الإسرائيلية، فإنه لم يَصْدُر قرار يدين إسرائيل. ولم يصدر أي رد فعل عربي أو سوفياتي، عندما استقل الكولونيل بنحاس نوي (Pinchas Noi) من كتيبة جولاني الثالثة عشرة، وعامل اللاسلكي، طائرة مروحية في اليوم التالي إلى جبل حرمون وزرعا علم إسرائيل على قمته.

لم يعد تركيز في الأمم المتحدة على الوضع العسكري على الأرض، بل بتسوية ما بعد الحرب. أخذ غولد بيرغ ينتقل من وفد إلى وفد يستطلع أراءهم ومواقفهم بشأن عقد مفاوضات عربية – إسرائيلية. وافترض أن تكون المفاوضات مباشرة، وجهاً

لوجه، مع حق وسيط الأمم المتحدة بالحضور، وأن تسفر عن اتفاقات مبدئية بشأن فصل القوات وحرية الملاحة في الممرات. وكتب متنبئاً: «ستكون مسألة انسحاب بسيط، مقابل انسحاب كجزء من تسوية شاملة، هي المسألة الرئيسية الأكثر دقة، حالما يثبت وقف إطلاق النار».

كذلك كان قادة العالم يتطلعون إلى ما وراء ميدان المعركة، إلى التطور الدبلوماسي الناجم عن الحرب. وبدت المشاكسات والنزاعات التي ستثيرها تلك المرحلة جلية في الرسالة التي بعث بها كوسيغن إلى جونسون على الخط الساخن: «إذا كانت الأعمال العسكرية قد انتهت اليوم، فمن الضروري الشروع في الخطوة التالية وهي إخلاء المناطق التي احتلتها إسرائيل والعودة إلى ما وراء خط الهدنة» ومع ذلك أنهى الزعيم السوفياتي رسالته بملاحظة إيجابية «وأرى أنه لا بد من إبقاء الاتصال معكم حول هذه المسألة» مشيراً بذلك إلى احتمال تعاون القوى العظمى بشأن هذه القضية، كان جونسون، من ناحيته، يفكر، ليس فقط في إعادة توضيع القوات وفي الانسحاب، بل أيضاً في المسألة الجوهرية وهي وضع حد للصراع العربي -الإسرائيلي- وتغيير البيئة في المنطقة. فأجاب على رسالة كوسيغن قائلاً: «يبدو الآن أن الأعمال العسكرية في الشرق الأوسط قد انتهت. وآمل أن نكرس جهودنا فيما هو آت من الأيام لتحقيق سلام دائم في العالم». (١٦)



ما بعد الصدمات

كشف حسابات، تحليل الأحداث والشرق الأوسط القديم /الجديد

مئة واثنتان وثلاثون ساعة: ذلك هو الزمن الذي استغرقته الحرب، وهو أقصر زمن في التاريخ المكتوب. في تلك الفترة القصيرة خسر المصريون ما بين ١٠٠٠٠ و١٥٠٠٠ رجل، من بينهم ٥٠٠٠ سجلوا مفقودين؛ وقتل ٧٠٠ جندي أردني، وجرح أو فقد أكثر من ٦٠٠٠. أما خسائر سورية فقدرت بـ٤٥٠ قتيلاً، وأربعة أضعاف هذا العدد جرحى. اعترفت إسرائيل بمقتل ٦٧٩ وجرح ٢٥٦٣، رغم أن أرقام جيش الدفاع الإسرائيلي فيما بعد ارتفعت إلى ٨٠٠ قتيل، وهذا يعادل بدلالة نسبة السكان ٨٠٠٠٠ أمريكياً. (١)

لقد ثبت أن التباين في معدلات الخسائر المبهر يعد أكثر تبايناً في ما يتعلق بأسرى الحرب. فقد أسرت إسرائيل ٥٠٠٠ مصري بمن فيهم ٢١ جنرالاً؛ و٣٦٥ سورياً (منهم ثلاثون ضابطاً فقط)؛ و٥٥٠ أردنياً؛ ومستشارين سوفياتيين، حسب ادعاء إسرائيل. أما أسرى الحرب الإسرائيليين فبلغوا خمسة عشر أسيراً فقط. وبرغم الاتهامات بضرب الأسرى وإعدامهم التي وجهها كل طرف إلى الآخر، فإنهم عوملوا معاملة حسنة بوجه الإجمال. تأخرت عملية تبادل الأسرى شهوراً. فإسرائيل ربطت تبادل الأسرى بالمسجونين اليهود المصريين المتهمين بالتجسس منذ العام ١٩٥٤ وبالعملاء العديدين المحكومين، ومن بينهم إيلي كوهين (Eli Cohen). لم يكن المصريون والسوريون راغبين في إعادة أسراهم الغاضبين، فرفضوا التباحث مع إسرائيل مباشرة. (٢)



والفجوة الأوسع، لم تكن في البشر، بل في البنود المادية. دمرت جميع المعدات الحربية المصرية ما خلا ١٥٪ فقط، وبلغت كلفتها ٢ بليون دولار، إضافة إلى مخزون كبير أصبح غنيمة لإسرائيل - ٣٢٠ دبابة، و٤٨٠ مدفعاً، وبطاريتي صواريخ سام، و١٠٠٠٠ مركبة. وكانت القائمة الأردنية طويلة مؤلمة كذلك: ١٧٩ دبابة، و٥٣ APC، و١٠٦٢ مدفعاً، و٢١٦٦ مركبة، و٢٠٠٠٠ قطعة سلاح منوعة. خرج السوريون من الحرب بأقل خسائر من بقية الجيوش العربية، فقد خسروا ٤٧٠ مدفعاً، و١١٨ دبابة، و١٢٠٠ مركبة، بالإضافة إلى أربعين دبابة سُلّمت للإسرائيليين.

ودمر سلاح الجو الإسرائيلي ما إجماله ٤٦٩ طائرة معادية، خمسون منهم في معارك جوية، وفي ٣٢٧٩ غارة جوية. ويشمل الرقم ٨٥ ٪ من طائرات مصر المقاتلة وجميع قاذفاتها. علق ر.غورينغ موريس (R.Goring Morris) الملحق العسكري الجوي البريطاني في تل أبيب قائلاً: «لم يقم سلاح الجو في تاريخ الملاحة الجوية العسكرية بحملة أسرع وأكثر حسماً من الحملة التي قام بها سلاح الجو الإسرائيلي في الحرب الحديثة». ولكن ذلك لم يكن دون ثمن، فقد خسرت إسرائيل ٣٦ طائرة و١٨ طياراً، أي حوالي٢٠ ٪ من سلاحها الجوي. وفي حين عوض الاتحاد السوفياتي على مصر وسوريا فزودهما بسرعة بطائرات الميغ، فإن طلبات إسرائيل لطائرات ميراج الفرنسية وسكاي هوك الأمريكية ظلت معلقة.

وعلى الرغم من أن الخسائر العسكرية كانت عالية بالمقاييس المعاصرة فإن الخسائر بين المدنيين كانت منخفضة بصورة ملحوظة، ففيما عدا قصف القدس، والمستوطنات الإسرائيلية الحدودية، والفلسطينيين المجاورين في غزة وفي الضفة الغربية، فقد جرى القتال بعيداً عن المراكز السكانية الكبرى. ومع ذلك عانت أعداد كبيرة من غير المقاتلين معاناة شديدة. إذ هرب ١٧٥٠٠٠ فلسطيني (حسب تقديرات إسرائيل) و٢٥٠٠٠٠ (حسب تقديرات الأردن) من الضفة الغربية إلى الأردن منهم من لجأ للمرة الثانية وأسكنوا ثانية في مخيمات بائسة. وفي حين أن إسرائيل لم تسهم كثيراً في تسريع هذا الهرب، ولم تفعل شيئاً لإيقافه، أو لتشجيعهم على

العودة، فإن جيش الدفاع أقام مبدئياً كمائن على طول ضفاف نهر الأردن ليمنع «المتسللين» من عبور النهر والعودة إلى الضفة الغربية. ولم تزل هذه الكمائن إلا بعد أن رآها دايان بعد أسبوع من الحرب معتبراً إياها عملاً لا إنسانياً.

وبالمثل في هضبة الجولان، لم تدفع إسرائيل المدنيين إلى الخروج ولم تمنعهم. وعلى الرغم من عدم وجود مادة أو شروط معينة في خطط جيش الدفاع الإسرائيلي تتعلق بالمدنيين السوريين، فقد أصدرت هيئة الأركان العامة أمراً خاصاً برقم (١٢١٣٣٠) ينص على ما يأتي: «لا يطرد القرويون من المرتفعات السورية أو من الأراضي المحتلة في سوريا». لكن دمشق ادعت فيما بعد أن القرويين طردوا جماعياً، والواقع أن بعض الإسرائيليين احتكوا بمدنيين فوجدوا أن غالبيتهم هربوا مع القيادة السورية قبل وصول المهاجمين.

وبعد وقف القتال، أصرت إسرائيل أن مشكلة لاجئي العام ١٩٦٧، مثلها كمثل مشكلة لاجئي العام ١٩٤٨، يجب أن تحل في إطار معاهدة سلام شامل. رفض العرب رسمياً هذا المطلب، وأصروا على عودة اللاجئين دون قيد أو شرط والتعويض عليهم. وعندما ضغط على إسرائيل فيما بعد في صيف ذلك العام لتسمح لبعض الفلسطنين العودة إلى الضفة الغربية، لم يستفد من ذلك العرض إلا قليل منهم. (٣)

لقد ألقى اضطهاد اليهود في البلاد العربية بظله فوراً على أزمة اللاجئين المأساوية. إذ ما إن شاع نبأ انتصار إسرائيل حتى هاجم الغوغاء اليهود المجاورين في مصر واليمن ولبنان وتونس والمغرب وحرقوا الكُنس وهاجموا المقيمين في تلك البلدان. وأسفرت مذبحة ارتكبت في طرابلس، ليبيا عن مقتل ١٨ يهودياً وإصابة ٢٥؛ وسيق الناجون إلى مراكز اعتقال.

وألقي القبض على ٨٠٠ يهودي مصري من أصل ٤٠٠٠، بمن فيهم حاخام القاهرة وحاخام الإسكندرية، وصادرت الحكومة ممتلكاتهم. أما الجالية اليهودية القديمة في دمشق وبغداد فقد وضعوا تحت الاعتقال المنزلي، وسجن زعماؤهم



وغرّموا. وطرد ٧٠٠٠ يهودي لم يحمل الكثيرون منهم سوى حقيبة. (٤) وفيما عدا أبو رقيبه، في تونس، والملك الحسن، في المغرب، لم يُدن أي رجل دولة عربي هذه الاعتداءات. كما صُدَّت محاولات الأمم المتحدة والصليب الأحمر المتوسط لهؤلاء اليهود.

وبالمقارنة، لم يتعرض الفلسطينيون الخاضعون لحكم إسرائيل والبالغ عددهم ١,٢مليون نسمة لأي اضطهاد أو مضايقات منظمة. إلاَّ أنه سجلت حوادث سلب ونهب وتخريب للممتلكات العامة - إ ذ أصيب أكثر من نصف بيوت قلقيلة بأضرار، رغم أن إسرائيل أصلحتها فيما بعد - وأقامت إسرائيل بسرعة إدارة عسكرية للضفة الغربية وقطاع غزة، وفرض عليهم قانون هو مزيج من القانون الأردني والقانون العرفي. أُبقي غالبية الفلسطينيين والزعماء الدينيين في مواقعهم التي كانت لهم قبل الحرب بما في ذلك الوقف الاسلامي الموجود في قمة جبل الهيكل - الأمر الذي جعل الصقور الإسرائيليون ينتقدون موشي دايان لاتخاذ هذا القرار. ومع ذلك، انحرفت إسرائيل عن سياستها التسامحية في مدينة القدس القديمة حيث هدمت وأزالت مساكن المغاربة من أجل إنشاء ساحة للصلاة أمام الجدار الغربي. وأكثر القرارات جدلاً كان قرار تدمير ثلاث قرى هي: يالو (Yalu)، وبيت نوبا (Beit Noba) وعمواس (Imwas) الواقعة على مفترق طرق إستراتيجي في ممر اللطرون (Latrun). اتهم الإسرائيليون هذه القرى الثلاثة بالتحريض على حصار القدس في العام ١٩٤٨، وبإيواء الفدائيين المصريين في هجومهم الأخير على اللد، ولكن بعد ذلك رفض العديد من الجنود تنفيذ أوامر الإزالة هذه. ولكنها نفذت في النهاية، ولم يسمح لسكانها العرب بالعودة، رغم أنهم عوضوا عن خسائرهم.

لم تتخذ بعد ذلك إجراءات انتقامية ضد العرب الذين احتفلوا قبل أيام فقط بزوال إسرائيل. إن الإيحاء بأن الأردن قد دَمَّر كُنس المدينة القديمة ورصف الطرق وحتى المراحيض بشواهد قبور اليهود من جبل الزيتون لم يمنع دايان من الانضمام إلى ٤٠٠٠ مسلم في صلاة الجمعة في المسجد الأقصى. (٥)

قُزمت في النهاية مسائل الإصابات والأسرى واللاجئين كلها بنتيجة الحرب الجغرافية. فقد استولت إسرائيل على ٤٢٠٠٠ ميل مربع وأصبح حجمها الآن ثلاثة أضعاف ونصف ما كانت عليه في الأصل. وأصبحت أكثر عرضة للخطر مما كانت عليه قبل الحرب، فمدنها كلها غدت ضمن مرمى المدفعية العربية، وأصبحت الدولة اليهودية تهدد دمشق والقاهرة وعمّان. وتوحدت عاصمتها القدس. وعلى الرغم من قطع العلاقات مع الاتحاد السوفياتي، والوصمات الدائمة التي انطبعت على العلاقات مع فرنسا -وعلى الرغم من حادثة ليبرتي- فقد اكتسبت إسرائيل احترام الولايات المتحدة. فقد كتب هاري ماك فيرسون إلى الرئيس جونسون يقول: «لا بد من اختبار روح الجيش، من دون بقية الناس، لكي يُصَدَّق». أثناء روايته له كيف رأى سيارة جيب تقل جنديتين إسرائيليتين، واحدة بقبعة حمام قرمزية مبرقعة، والأخرى تلبس عمامة نسوية تقودان السيارة في صحراء النقب. «بعد الشكوك والفوضى والغموض الذي لف فيتنام، فإن رؤية أناس التزامهم كلي لا يدانيه شك يثير الإعجاب والمشاعر».

انتعش الاقتصاد الإسرائيلي الذي كان يحتضر قبل الحرب، فجأة بعد الحرب بسبب تدفق السياح والهبات إليها، واستخراج النفط من آبار سيناء. فتوقفت الهجرة من البلاد، وسارع آلاف المهاجرين الجدد إليها للمشاركة في مجد الانتصار.

لقد نعمت إسرائيل، حقاً، بذلك المجد، وأخذت صحافتها تكليل المديح على مدى أسابيع، لشجاعة الجيش، وعبقريته وقوته. وأخبرت صحيفة هاأرتس عن صك «عملة نصر» جديدة، وقدمت وصفة لكعكة أسمتها «كعكة النصر» لكي يصنعها الأهل إلى الجنود العائدين إلى بيوتهم. وقال أبا إيبان لمستمع معجب في اللد: من على منبر الأمم المتحدة، أعلنت عن النصر المجيد الذي أحرزه جيش الدفاع الإسرائيلي، وعن تحرير القدس. لم تكن إسرائيل أكثر تكريماً واحتراماً في نظر أمم الأرض كما هي اليوم». وقال حاييم بارليف إلى مجلس الوزراء بصورة أقل تهذيباً: «لقد أذللنا

TERRITORIES CAPTURED BY ISRAEL JUNE 10, 1967

Captured Territories

N
W E
S

BEIRUT
LEBANON
DAMASCUS
SYRIA
QUNEITRA
SAFAD
ACRE
HAIFA
TIBERIAS
SEA OF GALILEE
NAZARETH
RAMTHA
'AJLUN
MEDITERRANEAN SEA
JENIN
TEL AVIV
NABLUS
AMMAN
JERUSALEM
DEAD SEA
GAZA
HEBRON
PORT SAID
BEERSHEVA
JORDAN
AL-'ARISH
QANTARA
ISRAEL
BIR GAFGAFA
ISMA'ILIYA
FA'ID
SINAI
SUEZ
EILAT
AQABA
RED SEA
GULF OF SUEZ
SAUDI ARABIA
SHARM AL-SHEIKH
TIRAN

جميع الدول العربية». لقد ارتقى الآن كل من دايان ورابين اللذين يتمتعان دائماً بشعبية واسعة، إلى مرتبة «المعبودين» ليس فقط عند الإسرائيليين بل في الشتات أيضاً حيث جعلت الحرب اليهود «يمشون منتصبي القامات». كما منح رئيس هيئة الأركان شرف تسمية الحرب. ومن بين الأسماء المقترحة: حرب الشجاعة، وحرب الخلاص، وحرب أبناء النور- ولكن رابين اختار الاسم الأقل بريقاً، وهو «حرب الأيام الستة» مستحضراً بذلك أيام الخلق الستة.

بدا الجانب الرؤيوي (نسبة إلى سفر الرؤيا) من رؤية الذات الإسرائيلية للحظة أنه قد كُسِفَ بصورة إسرائيل التي لا تقهر ولا تهزم - ولكن للحظة فقط. فقد وجد ميشيل هادوا (Michael Hadow) السفير البريطاني لدى ملاحظته غياب الاحتفالات الجماهيرية «شيئاً موحياً جداً ولكنه مرعب» يتعلق بالطريقة الهادئة التي ذهب بها الإسرائيليون إلى الحرب، وربحوها، وعادوا إلى عملهم اليومي المعتاد. إن مشاعر عدم الارتياح من النصر التي أحس بها الإسرائيليون، والإثم الذي ارتكبوه وألم الخسائر التي تكبدوها، كل ذلك انصب في مجموعة من المقابلات أجريت بعد الحرب مع أعضاء الكيبوتزات في ما سمي حقّاً «اليوم السابع». قال شاي (Shai) البالغ من العمر ٢٧ عاماً، من كيبوتز أفيكم (Afikim) والذي قاد مظليين في أم قطيف: «لم نشعر بالبهجة أو بالسعادة لقتل العرب أو لمعرفتنا بأننا سوف ننتصر. بل شعرنا فقط بأننا قمنا بما يجب علينا القيام به. ولكن هناك فرق كبير بين ذلك وبين الشعور بالسعادة.» وبالمثل قال غال (Gal) من غيفات حاييم (Gival Haim) رامي مدفع دبابة: «ماذا لدي ضد العربي؟ حتى لو رأيته يحمل بندقية، فإنك تطلق النار ر عليه، وتعرف أنه إنسان، وأن له أسرته... تسير الأمور كلها على ما يرام حتى

اللحظة التي ترى فيها إنساناً ميتاً. عندها بدأنا نلعن الحرب». وهذه رفقه نيد (Rivka Niedt) من كيبوتز أوشا (Usha) تسجل في مذكراتها مشاعرها لدى وصولها إلى العريش: «سواد كثيف ثقيل في الخارج، وضجة مخيفة... طلقات،

صرخات، أصوات دوي قصيرة مفزعة... الحلق يختنق، العينان تغشوهما سحابة، فيركض خارجاً... ولكن الريح ... لا تجلب سوى هبات كبيرة من رائحة نتنة صادرة عن الأموات، وغمامات من ذباب أسود».

إن أكثر أغنية عبرية شعبية ظهرت بعد أغنية (قدس من ذهب) هي (أغنية السلام) وهي مرثاة لمن ماتوا حديثاً:

مامن أحد يعيدنا

من أعماق قبورنا الظلماء

رعشة النصر هراء

أنشودة المدح هباء

فلنغنِّ للسلام

ليس همساً نبتهل

بل نغني للسلام

صَادحين بالأنغام

لم تكن هناك ازدواجية وتناقض تجاه الحرب مثلما كان عند العرب. حتى صفة (ستة أيام) التي أضيفت على الحرب كانت كريهة في نظرهم لما توحيه من هزيمة خاطفة، فلجؤوا إلى مسميات أكثر تحفظاً مثل: النكسة، والنكبة؛ أو أكثر تسكيناً مثل حرب يونيو (حزيران). وما إن توقف إطلاق النار حتى شرع العرب بما أسماه أحد مؤرخي الشرق الأوسط «تدقيق في لحظة من الضغط الثقيل والوضوح الكبير» يفحصون «كيف أن دولة صغيرة فضحت عجزهم التاريخي، واستولت على مساحات واسعة من الأرض، ودمرّت الجيوش التي كانت تعرض أسلحتها واعتزازها برجولتها بفخر وكبرياء خلال العقود الأخيرة». وأخذ المفكرون يظهرون يأساً وإحباطاً

شديدين تجاه القومية العربية -فلن تقوم لها قائمة بعد كحركة جماهيرية- وأخذوا يضغطون باتجاه التحديث والديمقراطية.

بينما دعا آخرون إلى مزيد من الراديكالية العسكرية كالنمط الفيتنامي أو الكوبي، أو العودة إلى أصوليات الإسلام الصارمة. وسوف يجري فحص مؤلم للمجتمع العربي، ونزعاته المتأصلة فيه وضعفه، وللشخصية العربية والنفسية العربية.

ومن ناحية أخرى، أصر السياسيون العرب على تجنب تحمل أية مسؤولية عن الهزيمة، وقليل منهم انخرط في عملية الاستبطان الذاتي ومراجعة الذات. فعبد الناصر ظل يلقي باللوم على الضباط المصريين المتمردين والمكيدة الأنكلو - أمريكية لإنزال الهزيمة بمصر في حرب أطلق عليها اسماً غريباً هو حرب بانش (Bunch`s War). أما الملك حسين فقد أصبح جبرياً قدرياً، وقال لشعبه: «يبدو أنني أنتمي إلى أسرة كتب عليها المعاناة والتضحيات من أجل بلدها بلا نهاية... فإن لم تنالوا المجد، فليس ذلك بسبب افتقاركم إلى الشجاعة، بل لأن هذه هي إرادة الله». إن أعمق رفض للهزيمة كان من الزعماء السوريين الذين انتقدوا في البلاد العربية لكونهم بذلوا جهداً كبيراً لبدء الحرب ولكنهم لم يقاتلوا كثيراً. فقد قال الجنرال سويداني معللاً ما حدث: «لم يكن هدف الإسرائيليين احتلال بضعة أميال من سوريا، بل الإطاحة بحكومتها التقدمية. فلم يحققوا ذلك. ولهذا فإننا نعتبر أنفسنا منتصرين في هذه الحرب». وجَمَّل وزير الخارجية، ماخوس، هذا الرأي بقوله: «لو سقطت دمشق أو حلب، فبالإمكان إعادة بنائهما. ولكن لا يمكن التعويض عن خسارة البعث لأنه أمل الأمة العربية». وصرح حافظ الأسد «بأن سوريا وحدها قاتلت ستة أيام دون توقف، وبكل ما أوتيت من قوة».

وعندما طالب أحد الضباط الصغار بإجراء تحقيق في الهزيمة، قيل إنه قتل. (٧)

ولم يبدأ المصريون بالحديث علناً عن أسباب هزيمة حرب العام ١٩٦٧، إلا بعد أن استرد الجيش كرامته بعد حرب العام ١٩٧٣. وهكذا كتب صلاح الحديدي القاضي

الرئيس في محاكمات الضباط الذين اعتبروا مسؤولين عن الهزيمة، يقول: «يمكنني القول إن قيادة مصر السياسية، هي التي دعت إسرائيل للحرب. فقد استفزت إسرائيل بوضوح وأجبرتها على المواجهة». وأفرد الجنرال فوزي «القيادة البيروقراطية الفردية، وانهيار عامر» بالمسؤولية. في حين تحدث محمد صادق عن «الترفيعات والترقيات على أساس الولاء، وليس على أساس الخبرة، وعن خوف الجيش من إطلاع ناصر على الحقيقة». أما مرتجى فقد وصف الإسرائيليين بأنهم «أحسن تسليحاً، وقيادة، وتنظيماً، وبأنهم على ما يبدو، أقوى إرادة للقتال». وأشار صدقي محمود بأصبعه إلى «القرار المتعجل في إخراج قوات الطوارئ الدولية واحتلال شرم الشيخ، وفي تلافي الضربة الإسرائيلية الأولى». وشهد قائلاً: «لقد اعتمدنا كلياً على الأسلحة الروسية. ولم يكن المشير عامر ملتزماً بشؤون الجيش». أما زكريا محيي الدين فقد عزا الهزيمة إلى ضعف المخابرات، إذ قال: «في حين يعلم الإسرائيليون اسم كل جندي مصري في إجازة، واسم زوجته أيضاً، فإننا نحن لا نعلم أين يقع بيت موشي دايان». ووضع علي صبري اللوم على رفض الجيش إجراء تحقيق في فشله في حربي السويس واليمن، وطرد الضباط المسؤولين. بينما لام شمس بدران عبد الناصر لأنه «اتخذ قرارات وضعت الجيش في مصيدة. وقادنا، دون أن يستشير أحد، إلى كمين كانت إسرائيل قد نصبته لنا بمساعدة أمريكا». (٨)

كيف حدث ذلك؟ لا حاجة إلى حكماء وحصفاء للإجابة عن ذلك السؤال، مع ملاحظة تفوق إسرائيل تدريباً وحوافز، وافتقار العرب للوحدة العملياتية وعجزهم عن فهم عدوهم. وأكد هاداو على العنصر الشخصي، والفرق الحاد بين الجندي الإسرائيلي والجندي العربي».

«كان هؤلاء الجنود (العرب) ليسوا محترفين مزوّدين بوفرة بأحدث الأسلحة، بل معظمهم من المدنيين الاحتياط محدودي التدريب نقلوا إلى المعركة بوسائط نقل مدنية، مزوّدين بخدمات مدنية أساساً. وبالمقابل أظهرت الجيوش العربية المحترفة افتقاراً كاملاً لإتقان عناصر الحرب الحديثة وفنونها، وعجزاً لا يقل عنه في

استخدام الأسلحة المتطورة والأجهزة المتقدمة التي يزوّدهم بها الروس. وكانت قيادات هذه الجيوش في جميع الجبهات تفتقر إلى المهارة بحيث يبدو من غير المحتمل بعد عشر سنين من الإعداد والتدريب لحرب كان المفروض أن تسفر عن إبادة إسرائيل، وأن تحقق هدفها ذاك».

ثبت أن موشي دايان كان أقل مجاملة. إذ انتقد تقريره الأخير إلى هيئة الأركان سوء قراءتها لنوايا ناصر، واعتمادها المفرط على الولايات المتحدة، وترددها في التصرف لحظة إغلاق مصر للمضائق. وكتب يقول: «ومع ذلك، وبرغم هذه العيوب، أنهت إسرائيل حرب الأيام الستة بأقصى خطوط على جميع الجبهات». والسبب هو فشل مصر في تقدير القيام بالضربة الأولى، وفشلها في تقييم قوة العدو ورغبته في استخدامها. ولسوف يكرر الإسرائيليون هذه الأخطاء التي أضفت عليهم الغطرسة بعد ست سنوات، في حربهم الكبرى التالية مع العرب». (٩)

ربما كان مثل هذا التحليل هو الذي فَسَّر كيف ربحت إسرائيل الحرب: فهم لا يستطيعون إحداث نتيجتها أو تعليلها. إذ لم يخططوا ولم يدرسوا أية مرحلة من الصراع بعد تحقيق أهداف القضاء على التهديد المصري وتدمير جيش عبد الناصر، ولا الاستيلاء على كامل شبه جزيرة سيناء، ولا احتلال الضفة الغربية، ولا تسلق مرتفعات الجولان، حتى «تحرير» القدس كما يسميه الإسرائيليون، الذي يعد أهم حدث في الحرب، ويعتبر نتيجة مسيحانية، جاء بالمصادفة على الأغلب. إن تقلبات الحرب وزخمها، وليس القرارات المنطقية، هي التي حددت نتائج القتال. فلو أن مصر قد قبلت وقف القتال بعد أول يوم من القتال، أو لو امتنع الأردنيون عن الاستيلاء على تلة الحكومة، أو لو تمسَّك دايان بمعارضته احتلال الجولان (وهذا غيض من فيض «لو») لبدت المنطقة الآن بصورة مختلفة جداً. تاريخها اللاحق -الانتفاضات والاختراقات والمبتكرات، والبحث المضني عن السلام- كل ذلك ربما تطور بصورة مختلفة أيضاً.



إن نزوية مماثلة هي التي ميزّت العملية التي أدت إلى نشوب الحرب. لقد افتتح هذا الكتاب بصورة الفراشة الشهيرة التي تحدث عاصفة بمجرد أن ترفرف بأجنحتها. فابتداء بنوفمبر (تشرين ثاني) من العام ١٩٦٦، ربما يشهد الشرق الأوسط كثيراً من هذه «الرفرفات». فعلى سبيل المثال، تواني باربر عن إيصال رسالة العزاء التي بعث بها الملك حسين إلى إشكول، والغارة على السموع التي نشأت عن هذا التلكؤ، واصطدام الجنود الإسرائيليين والأردنيين عن غير قصد.

وجرت محاولات أردنية لإنقاذ ماء الوجه من الهزيمة باتهام مصر «بالاختباء وراء قوات الطوارئ الدولية» واهتمام مصر، بسبب ذلك الاتهام، بطرد، هذه القوات، والعلاقة المعقدة بين ناصر وعامر، والآليات السياسية التي أضعفت إشكول وجاءت بدايان إلى وزارة الدفاع، وعناصر الشرف الشوفينية والخوف - كل منها كان له أثره على الأحداث بطرق عويصة غير متوقعة. إلغاء «عملية الفجر» في آخر لحظة - فرصة من فرص مصر أن تفعل مصر بإسرائيل ما فعلته إسرائيل بمصر بعد قليل - توضح بصورة حادة عشوائية العملية العسكرية.

ومع ذلك، كان لتلك الفوضى سياقها. إذ لا يمكن لعناصر متنوعة مثل الراديكالية السورية، وانغماس إسرائيل بالنشاط السياسي، والتنافس العربي -العربي، وانشغال أمريكا في فيتنام، ومخاوف السوفيات، والتطلعات المصرية أن تجتمع في سلسلة تفاعلات تتمخض عن حرب، إلا في البنية الفريدة التي يتصف بها الصراع العربي-الإسرائيلي. وما إن تبدأ الحرب حتى يفتح ذلك السياق الباب أمام تتابع أحداث غير متوقعة، بدءاً من تقهقر الجيوش العربية، إلى هجوم إسرائيل على ليبرتي، ومن شل مجلس الأمن إلى فشل السوفيات في التدخل.

يسَّرت هذه البيئة الحرب، ولكن هل غيرت الحرب هذه البيئة؟ هل تركت المنطقة أكثر تغيراً أم أقل تغيراً، أو هل أنشأت مجموعة جديدة تماماً من القوانين والأحكام؟ هل كانت تلك الأيام الستة حقاً عملاً خلاقاً، أنتج شرق أوسط حديث متميز جوهرياً عن الشرق الأوسط القديم؟.

سلام مشرف بين متكافئين:

لم يعقد احتفال واحد، بل عدة احتفالات في مدرَّج الجامعة العبرية الذي كرس حديثاً على قمة جبل المكبر.. فقد قاد ليونارد بيرنشتاين (Leonard Bernstein) سيمفونية ماهلر (Mahler) الثانية - «البعث» وكونسيرتو الكمان لمندلسون (Mendelssohn) مع عزف منفرد لإسحاق شيترن (Isaac Stern) وعرضت كذلك أغنية «قدس من ذهب». والآن، في هذا المدرج المطل على صحراء يهودا والبحر الميت اللذين احتلتهما القوات الإسرائيلية حديثاً، تسلم إسحق رابين درجة دكتوراه شرف في الفلسفة في التاسع والعشرين من يونيو (حزيران).

قارن رابين، وهو يتسلم الدرجة باسم جيش الدفاع الإسرائيلي بأكمله، بين تمجيد الجبهة الداخلية وكآبة جنود الخط الأمامي الذين لم يروا أمجاد النصر فقط بل دفعوا ثمنه - أصدقاءهم الذين سقطوا بجانبهم مضرجين بدمائهم «أولئك الجنود المدركون لعدالة قضيتنا، لحبهم العميق للوطن، وللمهام الصعبة الملقاة على كواهلهم»، قد أظهروا جدارتهم الأخلاقية والروحية والنفسية في أقسى الظروف وأصعبها دفع الكثيرون منهم حياتهم للحفاظ على ما أسماه رابين «حق شعب إسرائيل في أن يعيش في دولته - حراً مستقلاً، في سلام وهدوء».

أصبح السلام والهدوء هدف رابين المحير في حياته. وفي حين تابع منافسوه انتقاد أدائه قبل الحرب وأثناءها- انهياره، وعجزه عن مواجهة دايان -فإن الجمهور قد نسب النصر إليه. ركب تلك الموجة، وغادر الجيش وخدم بنجاح كسفير إسرائيل إلى واشنطن، ومن ثم كرئيس وزراء إسرائيل، ولكن بثقة بنفسه أضعف (١٩٧٤-١٩٧٧) في أعقاب حرب اليوم الكبير (يوم الغفران) المغفرة. من أعظم إنجازاته التوصل إلى اتفاقية فصل قوات في سيناء، وبذلك أرسى حجر الأساس لمعاهدة السلام التالية مع مصر.



عاد رابين إلى منصب رئاسة الوزراء في العام ١٩٩٢، وشرع يعمل في استراتيجية لا تقل مجازفة عن حرب الأيام الستة ساعياً لمصالحة تاريخية مع الشعب الفلسطيني بقيادة ياسر عرفات - نفسه الذي سرعت هجماته الفدائية الحرب وساعدت على نشوبها. إن العملية التي أطلقها رابين وعرفات أدت إلى منح كل منهما جائزة نوبل (منح شمعون بيريز، وزير الخارجية، جائزة نوبل كذلك، ولكنها أثارت أيضاً عداوة معارضي هذه العملية من الإسرائيليين والعرب). فالإرهابيون الفلسطينيون قتلوا عشرات المدنيين، ووصم المتطرفون الإسرائيليون رابين بالخيانة. وفي الرابع من نوفمبر (تشرين ثاني من العام ١٩٩٥) أطلق أحد المتطرفين النار على رئيس الوزراء وأرداه قتيلاً. كان رابين حينها يخاطب مسيرة سلام. وجدوا في جيبه كلمات قصيدة «أغنية السلام» ملطخة بالدم.

اختتم رابين كلامه بقوله: إن حرب العالم ١٩٦٧ قد غيرت بيئة الصراع العربي الإسرائيلي، ليس بجعل العرب أقل نفوراً من إسرائيل، بل بإقناعهم أنه لا يمكن إزالة إسرائيل بقوة السلاح. وكان العديد من القادة الإسرائيليين يشاطرونه هذه القناعة، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك معتقدين أنه لأول مرَّة أصبح بالإمكان التوصل إلى سلام إذا ما جرت مقايضته بأراضٍ عربية.

قبل عشرة أيام من احتفال جبل المكبر، أي في التاسع عشر من يونيو (حزيران) كان مجلس الوزراء قد قرر سراً مبادلة سيناء ومرتفعات الجولان -مع نزع سلاح بعض المناطق، وحرية الملاحة عبر المضائق- بمعاهدة سلام مع مصر وسوريا. من بين الأراضي المصرية المحتلة، يُدمج قطاع غزة فقط بإسرائيل، ويعاد توطين لاجئيه كجزء من خطة إقليمية.

وبعد مناقشة عنيفة لهذه الخطة أقرت بصوت واحد فقط. ولكن مجلس الوزراء لم يستطع التوصل إلى قرار بشأن مستقبل الضفة الغربية حيث ما زال العديد من الوزراء يأمل في إقامة كيان ذاتي فلسطيني، أما بشأن القدس فكان هناك إجماع حول الاحتفاظ بها عاصمة موحدة أبدية لإسرائيل.

كان أبا إيبان من مؤيدي قرار ١٩ يونيو البارزين، إذ كان حاضراً أيضاً احتفال جبل المكبر ذلك اليوم بغض النظر عن تحفظاته على رابين. لقد نصح سفراءه في الأسبوع المنصرم قائلاً: «هناك واقع جديد يشير إلى الحديث في السلام والأمن. ولا بد من التأكيد أن لتلك الجوانب أبعاداً جغرافية. فعلى العالم أن يعلم أنه لا يمكن إرجاع عقارب الساعة إلى العام ١٩٥٧ أو العام ١٩٤٨». وأشار في الوقت نفسه إلى أن كل شيء سلس ومرن ومفتوح «تمسك إيبان بتلك المبادئ طوال فترة عهده كوزير للخارجية حتى العام ١٩٧٤.

ورغم أنه كان معارضاً لإقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، فقد تبنّى الفكرة فيما بعد محذراً أن ضم حوالي مليون فلسطيني إلى إسرائيل سوف ينسف أكثريتها اليهودية، وفي النهاية تصالح إيبان مع رابين ومع الجمهور الإسرائيلي الذي كان دائماً يهزأ به. وفي العام ٢٠٠١، تلقى وقد تقدمت به السن، ولكنه يتمتع بمعرفة واسعة، جائزة إسرائيل لمنجزات الحياة». (١٠)

بعد حرب العام ١٩٦٧ وصف إيبان نفسه بأنه أحد «السياسيين» في القيادة الإسرائيلية الذين كانوا يرغبون في الإفادة من تغير البيئة واستغلال فرصة استعداد العرب لمقايضة الأرض بالسلام. عبر وزراء آخرون من الرأي ذاته مثل زالمان أران، وحاييم موشي شابيرا، عن رغبتهم في إعادة كل الأراضي العربية، المحتلة ما عدا القدس، وجاءهم دعم من شخص غير متوقع هو ديفيد بن غوريون. إن هذا الشخص الذي لم يعد يلعب دوراً بارزاً في السياسية الإسرائيلية، والذي حصر نفسه باستمرار في منزله الريفي في سدي بوكر (Sde Boker)، وكان ذات يوم الضابط الصارم الذي يُخش جانبه، قد ظل يحذر من المخاطر الديمغرافية الناجمة عن الضم حتى مماته في العام ١٩٧٣، في ظلال حرب يوم الغفران (اليوم الكبير).

ولكن بينما أيد بعض صناع القرار تنازلات بعيدة المنال، ساور الآخرون وهم «رجال الأمن» الذين رفعهم إيبان - الشك في استعداد العرب للتفاوض، وأصروا



لأسباب استراتيجية وإيديولوجية، على الاحتفاظ بمعظم الأراضي المحتلة. تزعمهم إيغال ألون كالعادة في مجلس الوزارة، فصوت وزير العمل - الذي أصبح وزيراً للخارجية فيما بعد - ضد قرار مجلس الوزراء في ١٩ يونيو (حزيران) وحشد الرأي من أجل خلق مستوطنات إسرائيلية في الضفة الغربية. فهذه المستوطنات ستشكل خط دفاع جديد على طول وادي الأردن، وحول القدس، وجنوباً حتى تلال الخليل، حاصرة بذلك «دولة عربية مستقلة يتفق عليها». محاطة بأراضي إسرائيلية، وعلى الرغم من أن ألون سوف يموت، إذ سيبلغ عمره ٦٢ سنة في العام ١٩٨٠، فإن خطة ألون ستظل سياسة إسرائيل غير الرسمية حتى بدء مفاوضات رابين مع عرفات.

وممن عارضوا قرار ١٩ يونيو مناحم بيغن الذي رفض حزبه غاحال (وفيما بعد الليكود) مجرد فكرة التنازل عن الأراضي. قال لمجلس الوزراء: «إن مفهوم الحكم الذاتي (في الضفة الغربية) سيقود، كما أرى، إلى دولة فلسطينية». وبعد عشر سنين رحب رئيس الوزراء، مناحم بيغن نفسه، بأنور السادات في إسرائيل، ووافق بعدئذ على إعادة كل سيناء إلى مصر وعلى إقامة حكم ذاتي فلسطيني في الضفة الغربية وغزة. ثم استقال بعد أن هبطت معنوياته وضعفت بسبب حرب إسرائيلية عربية أخرى في لبنان، وأخيراً مات ناسكا منعزلاً في العام ١٩٩٠.

كان يجلس بجانب ألون وبيغن في مدرَّج الجامعة العبرية أعضاء هيئة الأركان العامة لجيش الدفاع الإسرائيلي. ومن بينهم أولئك المتعاطفين مع موقف «السياسيين» جنرالات مثل: عوزي ناركيس، ويشاياهو غافيش اللذين أصبحا نشيطين في مجال الشؤون العامة، وإسرائيل تل الذي عرف فيما بعد بأي دبابة المعارك الإسرائيلية، مركافا (Merkava) ومع ذلك لم يكن لأحد منهم أثر على السياسة الإسرائيلية التي يصوغها القادة العسكريون المنتمون للمدرسة الأمنية.

ديفيد إلعازار، مثلاً كان متشدداً بشأن إعادة مرتفعات الجولان التي حشد لاحتلالها كل ما أوتي من قوة. وعندما استؤنفت هجمات الفدائيين بعد حرب العام ١٩٦٧ بوقت قصير من لبنان وشمال الأردن أقسم دادو أن يجعل الحياة في

هذين البلدين لا تطاق. وقال: إن «أعمال جيش الدفاع الإسرائيلي تؤدي إلى الهدوء أكثر من القيود الموسعة». ولما منعته حكومة غولدا مائير من توجيه ضربة استباقية إلى الحشود المصرية والسورية في العام ١٩٧٣ ألقي عليه باللوم للنكسة التي حلت بإسرائيل في مطلع الحرب وأمر بالاستقالة والواقع أنه مات مكسور القلب بعد أربع سنوات.

ومن المعارضين البارزين للتنازل عن أراضٍ عزرا وإيزمن. ولدى تركه الجيش وتوجهه إلى السياسة التحق بصورة طبيعية إلى حكومة بيغن التي شغل فيها منصب وزير الدفاع. ومع ذلك وافق، كما وافق بيغن على انسحاب إسرائيلي كامل من سيناء. وتحالف فيما بعد مع حزب العمل وجعل من نفسه بطل سلام. وفي العام ١٩٩٣، انتخب رئيس شرف لإسرائيل، وظل في منصب الرئاسة سبع سنين قبل استقالته بسبب فضائح مالية.

وأخيراً كان آرييل شارون الذي اكتسب شهرة فيما بعد بسبب أدائه في حرب العام ١٩٧٣، والمعروف بأنه هو وزير الدفاع الذي روّج لغزو لبنان في العام ١٩٨٢ ونفذه، والذي اعتبر مسؤولاً عن مذبحة اللاجئين الفلسطينيين عن طريق حلفاء إسرائيل اللبنانيين في السنة التالية، واستقال من منصبه ولكنه ظل عدواً قوياً للتنازل عن الأرض، حتى ولو كان ذلك مقابل السلام. ومع ذلك، فإن شارون الذي شجع إنشاء عشرات المستوطنات الجديدة في الضفة الغربية وغزة، هو نفسه الذي اقتلع المستوطنات الإسرائيلية من سيناء قبل إعادتها إلى مصر. وفي العالم ٢٠٠١، بعد انتخابه رئيساً للوزراء، شكل حكومة وحدة وطنية مع شمعون بيريز وعماليين آخرين ملتزمين بانسحاب شبه كلي من الأراضي العربية المحتلة. (١١)

انقسم الإسرائيليون بشأن درجة التحول الذي طرأ على بيئة الصراع في المنطقة، وحول ما إذا كان السلام ممكناً، أو إذا كانت هناك حرب أخرى قادمة. كان الكثيرون يتذبذبون بين الاستنتاجين، خلال العقود التالية. ولكن من بين جميع القادة الذين

اجتمعوا في جبل المكبر ذلك اليوم من العام ١٩٦٧. كان موشي دايان هو الوحيد الذي أفلح في المزاوجة بين الفكرتين في آن واحد.

وذكر عن دايان، على نطاق واسع، أنه قال: «أنا بانتظار حرب الهاتف»، ملمحاً بذلك إلى أن إسرائيل ستكون راغبة في إعادة أراض إلى العرب إذا ما جاؤوا للتفاوض. وقال دايان في مناقشات مجلس الوزراء حول قرار ١٩ يونيو أنه لا فائدة من بحث شروط السلام وبنوده طالما أن العرب لن يقبلوا إسرائيل. واحتج على القرار قائلاً: «لا نستطيع الانسحاب من سيناء، ومن الجولان على أساس أكثرية بصوت واحد!» وعزز دايان الاستيطان اليهودي للضفة الغربية، ولكنه لم يكن كارهاً لإقامة دولة فلسطينية هناك، أو الاحتفاظ بالأردن حامياً لأماكنها المقدسة. أما في سيناء فقد عارض بناء مستوطنات ولكنه دفع باتجاه إنشاء ياميت (Yamit) أكبر مدينة يهودية في شبه جزيرة سيناء. وأكد على ضرورة «تمسك إسرائيل بمواقفها والاحتفاظ بسيطرتها على المناطق»، ولكنه اقترح في العام ١٩٧٠ انسحاباً إسرائيلياً عن القناة كخطوة أولى نحو إنهاء حالة الحرب. وبعد ستة أسابيع من انتهاء حرب الأيام الستة، كان دايان قد طرح ما لا يقل عن ستة آراء حول السلام، كما ذكرت السفارة البريطانية.

سوف يؤكد دايان الملغز والذي لا يستطيع أحد التنبؤ بمواقفه مزيداً من الجدل في حرب العام ١٩٧٣ عندما عانى من انهيار مماثل لانهيار رابين في العام ١٩٦٧، فأجبره الضغط الشعبي على الخروج من وزارة الدفاع. وبعد ثلاث سنوات عاد وزيراً للخارجية في حكومة بيغن، وبصلاحيته هذه شق طريق المفاوضات -سراً في بداية الأمر، وعلناً فيما بعد في كامب ديفيد- مع السادات. ثم خرج من الحكومة غاضباً من تلكؤ بيغن في القضية الفلسطينية وشكل حزبه الخاص به الذي كرس نفسه لتحقيق انسحاب من طرف واحد من الضفة الغربية. ولكن جهده هذا انقطع بموته بالسرطان في العام ١٩٨١ . (١٢)

وقع إشكول بين «السياسيين» و«رجال الأمن» متمسكاً بمواقف دايان المتقلبة. كان العسكريون يخيّمون على رئيس الوزارة، إشكول، والمتهم بعدم قدرته على

الحسم في أثناء الأسابيع التي سبقت الحرب. إنه هو الرجل الذي واجه هيئة الأركان برمتها، والذي ساوم جونسون، ودعا كوسيغن إلى تنفيذ وعيده، والذي اكتسب تصميمه على الانتظار ثلاثة أسابيع الرأي العام العالمي وهيأ بذلك الوقت الكافي لجيشه كي يستعد جيداً - هذا الرجل كان يجلس بين ضيوف جبل المكبر دون أن يأتي على ذكره أحد.

كان إشكول يميز، كذلك، بين المصالح «الأمنية» والمصالح «السياسية» فالمصالح الأمنية يمكن تحقيقها بإيجاد مناطق منزوعة السلاح، ومواقع متقدمة لجيش الدفاع الإسرائيلي في مناطق حساسة من الأراضي المحتلة، أما المصالح السياسية فيمكن تحقيقها بمعاهدات سلام مع مصر وسوريا على أساس حدود ما قبل الحرب. كما يمكن التوصل إلى سلام مع الأردن وفقاً لخطوط التقسيم التي أقرتها الأمم المتحدة وبالتعويض للاجئين الفلسطينيين وإعادة توطينهم.

كان عصب خطة إشكول هو رغبة الفلسطينيين في إقامة نظام مستقل مستقبلاً يتمتع بالحماية في الضفة الغربية. ولكن رؤيته لا يمكن تحقيقها. إذ لم يتفق من بين الثمانين وجيهاً فلسطينياً من الضفة الغربية الذين قابلهم الإسرائيليون الباحثون عن الحقائق في ذلك الصيف سوى قلة على طبيعة الحكم الذاتي الفلسطيني، بينما الفلسطينيون خارج المناطق المحتلة عارضوا مفهوم الحكم الذاتي بشدة. فالملك حسين سعى لإحباط جهود إشكول خوفاً من التهديد الذي يمكن أن تشكله الدولة المقترحة لملكته، وعبد الناصر رفض أية ترتيبات لا تشمل إعادة جميع الأراضي المحتلة بما فيها القدس. (١٣)

ومع ذلك، رفض إشكول الاستسلام، فتابع السعي لإيجاد شركاء فلسطينيين في الضفة الغربية، وزعماء عرباً راغبين في التفاوض المباشر. لقد كان متمسكاً باعتقاده، كما قال إلى ليندن جونسون: «بأن حرب الأيام الستة ربما تُحفز لأول مرَّة بداية عملية تؤدي إلى السلام في الشرق الأوسط».



عقد أول اجتماع منذ أربع سنين بين إشكول والرئيس جونسون في مزرعة جونسون في تكساس في يناير من العام ١٩٦٨، أكد إشكول على التحولات التي أحدثتها حرب الأيام الستة في المنطقة والفرص التي فتحتها. قال: «تقوم سياستنا على المفاوضات المباشرة التي تقود إلى معاهدات سلام. وإننا نسير في هذا الاتجاه ليس بسبب تمسكنا العنيد بأية صيغ معينة. بل لأننا نؤمن أن الاتصال المباشر وجهاً لوجه ومناقشة الأمور معاً سيخلق واقعاً نفسياً جديداً». تابع إشكول عرض صورة إسرائيل الذاتية الثنائية: القوة الإسرائيلية، والضعف الإسرائيلي، ممتدحاً جيش الدفاع الإسرائيلي، وشاكياً في الوقت نفسه من أن هزيمة واحدة تعد مميتة لنا.. إذ يمكن إزالة إسرائيل في يوم واحد، - «ما زالت هي شمشون الجبار». ومع ذلك ظل إشكول في الأساس شهماً رحب الصدر سمح التفكير:

«سيدي الرئيس، ليس لدي إحساس بالتفاخر بالنصر، ولم أدخل معترك النضال من أجل السلام بوصفي منتصراً. إن شعوري هو الارتياح لأننا نجونا من كارثة في يونيو، ولهذا فإني أشكر الله. كل أفكاري الآن متجهة نحو التوصل إلى سلام مع جيراننا - سلام مشرّف بين متكافئين».

مات إشكول بعد سنة واحدة فقط بنوبة قلبية حدثت له - كما يعتقد الكولونيل ليور بسبب توترات حرب الأيام الستة. ومن الغريب أن أحد مصادر هذا التوتر الأساسية: وهو موشي دايان، هرع إلى أسفل سرير الموت الذي سُجي عليه رئيس الوزراء، وصاح «إشكول!!» ثم انفجر باكياً وخرج من الغرفة منتحباً، والواقع أن إسرائيل كلها صعقت لموته. فقد امتدحه محررو هاآرتس الذين طالبوه يوماً بالاستقالة من وزارة الدفاع، وأشادوا «بمقدرته على تسيير شؤون الدولة بالحكمة والعقل وليس بعصا الغضب» و«بأصوله اليهودية، وبإسرائيليته، وبخبرته في سبل الحياة بعيداً عن السياسة». واعترفت صحيفة يومية أخرى هي «معاريف» بحسن قيادته لحرب العام ١٩٦٧ قائلة: «ربما كان إشكول وحده بشخصيته التي تجمع بين الجرأة والعناد والضعف هو القادر على الخروج من أخطر أزمة واجهت إسرائيل في حياتها بسلام».

أما ردود الفعل في العالم العربي فكانت أقل إطراءً. فراديو القاهرة رحّب بزوال «زعيم عصابة بني إسرائيل على أشلاء الضحايا العرب». في حين رثى الناطق الرسمي العراقي إشكول بقوله: «إنه أمهر شخصية تدير جرائم الحرب في أراضينا المحتلة». وفي بيان صدر من دمشق، ادعت فتح مسؤوليتها عن قتل إشكول بصاروخ أرض – أرض. إذ صرح عرفات: «إن هدفنا الرئيس الآن هو تحرير فلسطين بالقوة المسلحة، حتى ولو دام الصراع عشرات السنين». (١٤)

لاآت ثلاث، ونَعَمَات ثلاث:

تشير كل الدلائل على أن الرأي العربي في إسرائيل قد ازداد تصلبا بعد الحرب. إذ «لا سلام مع إسرائيل، ولا بقاء للنفوذ الإمبريالي، ولا وجود للدولة الصهيونية في أرضنا» كما قالت إذاعة مصرية رسمية. «إن الجماهير العربية لن تدع أي مسؤول عربي حياً إذا ما تجرأ على التفاوض مع إسرائيل». لقد عبر حازم نسيبة، خريج جامعة برنستون (Princeton)، الفلسطيني الذي شغل منصب وزير خارجية الأردن، عن عمق العداء والغضب والعار الذي يعتلج في نفوس العرب، بقوله إلى فندلي بيرنز: (Findley Burns) «إذا كانت الولايات المتحدة تعتقد أننا – بسبب ضخامة الكارثة – سوف ننسى فلسطين، وأنه سيحل سلام في الشرق الأوسط، فإنكم ترتكبون خطأ فادحاً، لن يكون هناك سلام في الشرق الأوسط».

كما خرجت السياسات العربية من الحرب ليس أقل تصلباً من ذي قبل. ففي اليوم الذي قررت إسرائيل أن تعيد مرتفعات الجولان مقابل السلام، أعدم النظام السوري عشرين ضابطاً بتهمة العصيان والتحريض على الفتنة، وعرض التعاون مع بغداد للإطاحة بالملك حسين. كما عرض العفو عن سليم حاطوم الذي كان حينذاك مقيماً في عمان، والعودة إلى دمشق حيث قام رئيس المخابرات «الجندي» بتعذيبه وقتله بنفسه، وقال الملك فيصل للسفير البريطاني إلى جدة: «ناصر هو رئيس المتآمرين وزعيم كذاب مزيَّف». وأقسم العاهل



السعودي الذي قتله ابن أخيه رمياً بالرصاص في العام ١٩٧٥ أنه: «لو كان مكان الإسرائيليين لفعل بعبد الناصر ما فعلوه به».

بقي العالم العربي كما هو، أو هكذا بدأ في ٢٩ أغسطس (آب) عندما حطت قدما عبد الناصر على أرض مطار الخرطوم الحارة. وصل الرئيس إلى العاصمة السودانية لحضور أول مؤتمر قمة عربية منذ العام ١٩٦٥، وكان ذلك أول لقاء لعبد الناصر بالزعماء العرب منذ النكبة قبل ثلاثة شهور. احتشد آلاف الناس في الشوارع لتحيته، ولكن عبد الناصر عصبي المزاج، شاحب اللون، المضطرب بسبب أحداث الصيف، اعترف لوزرائه قبل مغادرته القاهرة: «لا أستطيع نسيان تلك الأيام الأولى من يونيو، كنت أشعر بألم شديد لا يوصف. لا شك أن تلك الأيام أثرت فينا جميعاً، نفسياً، ومادياً، وروحياً». (١٥)

كان هدف ناصر استعادة الأراضي التي خسرها العرب. كان يعلم أن أي حل دبلوماسي يقتضي التعاون مع الولايات المتحدة، ولكن لم يكن حينذاك راغباً في أن يعترف بإسرائيل ولو بصورة غامضة، ناهيك عن السلام، بل كان يشعر بالحاجة إلى الخيار العسكري. كان عليه إعادة بناء جيشه، لذلك اتجه إلى الاتحاد السوفياتي.

كان السوفيات مترددين، على أية حال. إذ ضاع الكثير من أسلحتهم أو وقعت بأيدي غربية، وكانوا يخشون أن تجديد القتال وما زال العرب ضعفاء ربما يسفر عن حرب نووية. ولدى زيارة بودغورني إلى القاهرة في ٢٢ يونيو وافق على تلبية طلبات ناصر من مئات الطائرات النفاثة والدبابات والمستشارين ولكنه طلب لقاء ذلك ميناء للأسطول السوفياتي -وطلب ما هو مكروه أكثر لدى مصر- حلاً سياسياً للصراع العربي - الإسرائيلي. طرح بودغورني السؤال التالي على ناصر: «هل تطلب مزيداً من الطائرات بقصد إبادة إسرائيل في النهاية؟» فأجابه ناصر باقتضاب: «أي بحث في تنازلات سياسية ليس سوى مكافأة للعدوان، وذلك غير منطقي سياسياً ولا عقلياً».

تكرر طلب السلاح في الشهر التالي في موسكو من عارف، رئيس العراق، وهواري بومدين، رئيس الجزائر، كمبعوثين يمثلان عبد الناصر. فطلب بريجيف ثانية إجراء ترتيب بإنهاء حالة العداء مقابل الأرض. إذ قال لهما رئيس الحزب ناصحاً: «لتنسحب إسرائيل ومن ثم فسروا القرار كما تريدون. وعندما تصبحون أقوياء، افعلوا ما تريدون» ولكن ناصراً تمسك ثانية بموقفه الذي مفاده أن أية صفقة يجب ألا تتضمن سلاماً ولا مفاوضات، وأعلن مقولته: «ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وأن ثمن إنهاء حالة الحرب أو العداء ستجعل هزيمتنا مضاعفة». وفي النهاية كان له ما يريد: وافق السوفيات على إعادة تسليح مصر تسليحاً كاملاً دون شروط مسبقة. (١٦)

وبفضل ترسانته المليئة، استطاع عبد الناصر خوض حرب استنزاف لمدة ثلاث سنين ضد القوات الإسرائيلية في سيناء، وهكذا أكد ادعاءه بأن حرب يونيو (حزيران) ما كانت سوى مرحلة أولى لصراع طويل الأجل. وأثناء تبادل القصف بين المدافع المصرية والإسرائيلية في سيناء عبر قناة السويس كانت القوى العظمى، داخل الأمم المتحدة وخارجها تسعى إلى التوصل إلى تسوية مؤقتة بشأن الشرق الأوسط. لم يستطع ناصر تجاهل تلك الجهود، فقال: «أرى أن أي حل سواء كان أمريكياً أم سوفياتياً ما هو إلا طريقة للاستسلام. الطريق الوحيد المفتوح أمامنا هو طريق الحرب. وقال لوزراء الخارجية العرب في يوليو (تموز) إن السير في ذلك الطريق يتطلب درجة من الخداع:

«إننا بحاجة إلى سنتين أو ثلاث قبل أن نصبح مستعدين لشن عمليات بعيدة من أجل إزالة آثار العدوان، ولكن لا بد من إخفاء استعداداتنا تحت ستار النشاط السياسي الذي سوف يقنع أصدقاءنا وفي طليعتهم الاتحاد السوفياتي أننا فعلنا كل ما بوسعنا وكل ما هو ممكن في إطار الأمم المتحدة والمفاوضات الدولية».

كان الاستثناء الوحيد لهذه الخطة هو الأردن المعتمد على السلاح الأمريكي، الذي كان لا يرى أن العرب سيكونون قادرين على المبادرة العسكرية في العام ١٩٧٠. وأفضى عبد



الناصر إلى هيكل قائلاً: ليس هناك خيار أمامنا سوى منحه (الحسين) الحرية للمناورة من أجل استعادة الضفة الغربية. وطالما يحجم الحسين عن التوصل إلى اتفاقية سلام منفصل مع إسرائيل، فليأخذ حريته لاستكشاف سبل استعادة الضفة الغربية من خلال الوساطة الأمريكية. (١٧)

كانت الغاية من الإعداد للحرب والمناورة حول السلام الحفاظ على مستوى الوحدة العربية الذي أنجز عشية الحرب - علماً بأن عبد الناصر قد ميَّز كذلك بين هدف مصر (الأمني) وهدفها (السياسي) ولا بد من إيجاد طريقة لإنهاء الصراع اليمني، ورأب الصدع بين الأنظمة الثورية والأنظمة المحافظة. ففي الأسابيع التي سبقت مؤتمر الخرطوم، أيد ناصر استئناف شحن النفط العربي إلى الغرب، وعرض إيقاف أي نشاط تخريبي ضد الأنظمة الملكية العربية، مقابل أن تقدم هذه الأنظمة مساعدات لإنقاذ الاقتصاد المصري. كتب ناصر إلى الملك حسين يقول: «دخلنا هذه الحرب معاً، وخسرناها معاً، ويجب أن نكسبها معاً.. إن مصر راغبة في ربط مصيرها كلياً بمصير الشعب الأردني الشجاع». وطرح هيكل في الأهرام قضية التعايش العربي: «من المصلحة القومية أن تكون هناك تجارب أخرى وآراء سياسية واجتماعية أخرى». (١٨)

نجحت جهود عبد الناصر الهائلة في الحفاظ على المظهر الخارجي للوحدة العربية على الأقل، ولكن النشاط الأكبر الذي سيبذله هو من أجل الحفاظ على وحدة بلده.

منذ استقالة عبد الحكيم عامر، أخذ يبرمج هو والمتعاطفين معه ويعملون على إعادته إلى منصبه منشدين: «لا قائد إلا المشير» وقدموا التماساً لهذا الغرض. فعرض عبد الناصر- تجنباً لإحداث فتنة واسعة- أن يعيده إلى منصبه السابق كنائب رئيس جمهورية، ولكن عامر رفض أية تسوية لا تعيده إلى منصبه كقائد عام للقوات المسلحة. فبدأ يحشد الضباط الذين سوف يصرفون من الخدمة بسبب فشلهم في الحرب. وحدد اليوم الأول من سبتمبر للقيام بانقلاب في أثناء وجود ناصر في الخرطوم - ولكن قبل

أسبوع من ذلك التاريخ قرر ناصر أن يتصرف بشأن ذلك الصديق القديم المفضل الذي أصبح يشكل خطراً على السلام، والجيش، والوطن.

تحركت كتيبة منتقاة بقيادة الجنرال فوزي إلى فيلا عامر في الجيزة. وتبعها عبدالناصر بعينين دامعتين. كتب هيكل يصف المشهد قائلاً: «شعر الرئيس (عبد الناصر) أن مثل هذه المواكب ما كانت تحدث إلا في التراجيديات الإغريقية وليس في الحياة السياسية الواقعية» صادر فوزي أكواماً من الأسلحة واعتقل ٣٠٠ ضابط، ولكن عملية التطهير كانت في بدايتها. إذ احتُجز أكثر من ألف شخص بمن فيهم الجنرالات مرتجى وصدقي محمود وشمس بدران وصلاح نصر ومئات من أسرة عامر وحكم على الكثيرين بالسجن مدداً طويلة، مع الأشغال الشاقة غالباً. حتى أولئك الذين بُرئوا ظلوا يعانون من الخزي والعار. فقد اعترف الجنرال عبد الحميد الدّغيدي قائد سلاح الجو الذي انتقل إلى الإسكندرية ليهرب من هذا الخجل والعار الذي ركبه، قائلاً: «كان يلقون علي الطوب من النوافذ، وعندما كنت أخرج كانوا يرشقونني بشتائم مريرة. حتى ابن أخي البالغ من العمر خمس سنوات قال لي: «أنت، يا عم، جبان، لقد هربت وتخليت عنا».

كان بانتظار عامر أقسى المصائر. فبعد استجواب طويل مرض المشير السابق الذي كان ينافس على زعامة مصر، مرضاً شديداً ومات. وتبين إثر إجراء تشريح رسمي لجثته أن سبب الوفاة التسمم بالأكونايت إذ وجدوا جرعة ملتصقة بمعدة عامر - رغم أنه انتشرت إشاعات مفادها أنه قتل رمياً بالرصاص أثناء محاولته الهرب، أو أنه أعدم بسبب تهديده كشف دور الحكومة في الهزيمة. أما عبد الناصر فقد صعق عندما سمع نبأ وفاته، وقال معترفاً: «ليتني مت قبل أن أشهد هزيمته. ولكن الأعظم من الهزيمة نفسها هي خيبة أملي في صديق عمري، عبد الحكيم». ومع ذلك، لم يكن حزن آخرين عليه كبيراً: «فقد قال السادات: إنه أفضل قرار اتخذه عامر بحياته. فلو كنت مكانه لفعلت ما فعل في الخامس من يونيو (حزيران)». (١٩)



أثرت هذه الأحداث سلبياً على ناصر الذي وصل الخرطوم مريضاً جسمياً ولكنه حاكم آمن سياسياً، عازماً على «استرداد كرامة العرب وشرفهم»، وبالمقارنة كان الملك حسين، متألماً منزعجاً ويساوره خوف عميق على تاجه.

كتب الحسين في مذكراته يقول: «أعترف أنني استغرقت وقتاً طويلاً إثر انتهاء حرب يونيو (حزيران) لأفهم ما حدث وأهضمه وأواجهه ببسالة، كانت كالحلم، بل أسوأ من ذلك. كانت كابوساً» واتخذ هو كذلك خطوات لإصلاح جيشه، ليس تطهيراً لمراتبه بقدر ما كان إعادة توزيع للمناصب بحيث فسح المجال لمزيد من السلطة لأعضاء الأسرة الملكية وملأ الشاغر الذي خلفه عاطف المجالي، الجنرال الذي أصر على الدفاع عن القدس وبعد استسلامها بوقت قصير أصيب بانهيار ووافته المنية. حاول الحسين توحيد مئات المقاتلين التابعين لمنظمة التحرير الفلسطينية الذين تمركزوا الآن في الأراضي الأردنية. وحاول إيواء مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين. كما جنّد الوسائل وحشد الذرائع للقيام برحلة يجوب فيها العواصم العربية والغربية ليلقي فيها خطابات متشددة. في حين يسعى سراً إلى سلام عادل ومشرِّف. وفي لقاء سري له مع ياعكوف هيرتزوغ في لندن، رد على سؤال وجهه إليه هيرتزوغ مفاده: «هل جلالتكم مستعدون للتوقيع على معاهدة سلام مع إسرائيل؟» بقوله: «بالتأكيد نعم، ولكن.. لا بد لي من التحرك مع العالم العربي بأكمله». (٢٠)

كان الحسين يعتقد أن السلام قابل للتحقيق فقط من خلال قمة تخوله التفاوض على استعادة الضفة الغربية وتحميه في الوقت نفسه من الراديكاليين العرب. ثم أقنع الحسين عبد الناصر المتشكك مبدئياً بأنه يمكن إيجاد صيغ لتسوية سلمية، لا تعني الاعتراف بإسرائيل. فواجه، الآن، العدوان السابقان تحديات عسيرة في الخرطوم: فهناك المطالب الجزائرية العراقية للاستمرار بحظر تزويد الغرب بالنفط وتأميم الشركات الغربية، ومطالبة الشقيري الصاخبة القيام بهجمات فدائية وتفجير انتفاضة شعبية في المناطق المحتلة. ووصف المندوبون السوريون القمة بأنها

نقطة انطلاق لهجوم عسكري جديد، وما إن وجدوا تأييداً قليلاً لمبادرتهم حتى طاروا عائدين إلى دمشق.

لم يكن ناصر قلقاً ولا منزعجاً، فقد كان في ذروة مجده، مهيمناً على المؤتمر، وقال لهم إن الخطط السوفياتية والأمريكية الرامية لإنهاء حالة الحرب «ستقودنا إلى الاستسلام والمهانة». وفي الوقت نفسه أكد على «الفرق بين العمل السياسي وتمييع القضية الفلسطينية». وحذر من الخطر الزاحف المتمثل بضم الضفة الغربية إلى إسرائيل وحث على دعم جهود الحسين لاسترداد المنطقة بصورة غير مباشرة عبر الأمريكيين.

وكانت بصمات تآمر واضحة في البيان الختامي الذي ألزم الدول العربية بالوحدة في «العمل السياسي» من أجل استعادة الأراضي المحتلة والحقوق الفلسطينية، مع التمسك باللآت الثلاث: «لا اعتراف بإسرائيل ولا سلام معها ولا تفاوض» واتخاذ جميع الخطوات الضرورية لتعزيز الاستعداد العسكري. (٢١)

أخذ المراقبون الغربيون يناقشون فيما بعد هل كان مؤتمر الخرطوم نصراً للمعتدلين العرب أم للراديكاليين. فالواقع أنه وضع فيتو على أي تفاعل أو تعامل مع إسرائيل ولكنه بدا فاتحاً أبوابه لتحكيم طرف ثالث ونزع سلاح المناطق المحتلة. وادعى الحسين أن المؤتمر تضمن متطرفين ولكن «على الجليد» وأجبر إسرائيل على «أن تبرهن أنها تريد حقاً العيش بسلام، وأن تكون مقبولة في عالم علقت به كما يعلق الجرب بجلد الإنسان» ومع ذلك عندما عُرضت خطة يوغسلافية مفادها خروج إسرائيل من سيناء مقابل ضمان حرية الملاحة لها في الممرات، أدار عبد الناصر ظهره لهذه الخطة، مذكراً وزراءه أن «غايتنا الأساسية هي متابعة السير في طريق الحلول السلمية من أجل كسب الوقت للاستعدادات العسكرية ولإقناع السوفيات بتزويدنا بكل ما نحتاج من سلاح..» وفيما يتعلق بإسرائيل فإن لاآت الخرطوم الثلاث قد أغلقت عملياً الباب على

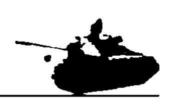


قرار ١٩ يونيو، وكما قال إشكول: «إن موقف رؤساء الدول العربية هذا يعزز قرار إسرائيل بألا تسمح بعودة الظروف التي تمكّن أعداءنا من تدمير أمننا والتآمر على سيادتنا ووجودنا». (٢٢)

ظل الغموض والتشوش يكتنفان الخرطوم، ومع ذلك كانت هناك نتائج واضحة، فقد تحول التركيز العربي بعيداً عن تحرير فلسطين وتمحور حول تحرير الأراضي المحتلة حديثاً - وانتقل من «إزالة إسرائيل» كما قال الشقيري إلى «إزالة آثار العدوان» وفيما يتعلق بعبد الناصر الذي أنهى حرب اليمن بنجاح وحصل على مساعدات قدرها ٢٠٠ مليون دولار. كانت القمة نصراً له بما لا يدع مجالاً للشك! ولكنه كان آخر انتصار يحرزه. (٢٣)

كانت السنوات الثلاث التالية حافلة بالإحباطات لعبد الناصر - إحباطات اقتصادية، وعسكرية، وسياسية. ففي العام ١٩٧٠ كان الاقتصاد المصري في حالة مروّعة، حتى بالمقاييس المصرية، وأصبحت البلاد محتلة عملياً من قبل آلاف المستشارين السوفيات. وحرب الاستنزاف على طول القناة تصاعدت تصاعداً كارثياً -قصفت ضواحي القاهرة- دون أن ترتخي قبضة إسرائيل عن الأرض المحتلة. وفي أغسطس (آب) وافق ناصر على وقف إطلاق النار، ولكن بعد شهر أقحم في صراع ثانية عندما فجرت القوات الفلسطينية في الأردن ثورة مفتوحة ضد الملكية. تحركت الدبابات السورية باتجاه الحدود الأردنية، ووعد الإسرائيليون أن يساعدوا الحسين - فأصبحت المنطقة على وشك الانفجار حتى تدخل عبد الناصر وسيطاً لحل يقضي بخروج عرفات وفدائييه من الأرض إلى لبنان حيث يمنحون ملجأ آمناً. لقد استنزف الحرب الأردنية الأهلية، أو أيلول الأسود كما أسماها الفلسطينيون آخر رمق في ناصر المنهك تماماً وعاد إلى القاهرة في ٢٨ سبتمبر (أيلول) وأوى إلى فراشه ولم ينهض منه أبداً.

اجتاحت مصر نوبة من الكرب لم يسبق لها مثيل في تاريخها الحديث. إن



كوسيغن المعروف بأنه لا يهزه شيء قد تأثر حتى اغرورقت عيناه بالدمع لدى مشاهدته الآلاف التي لا تحصى ولا تعد من الجماهير من المعزين المتفطّرين حزناً وقد غصَّت بهم شوارع القاهرة. وأنزلت الأعلام حزناً عليه في جميع أنحاء الشرق الأوسط حيث كان المزاج كما وصفه خليفته السادات: «سيلازمني حزن عليه يحرق قلبي ما دمت حياً». لم يكن رد الفعل صامتاً إلا في إسرائيل - ليس احتفائياً، بل حذراً من عالم عربي بلا زعيم قوي يستطيع صنع السلام بقدر استطاعته صنع الحرب، يشارك الكثيرون الملك حسين في كلماته التي قالها فيه: «تكمن عظمة زعماء العالم في آرائهم وأعمالهم، أما عظمة عبد الناصر فهي التي تمنح أفكاره وأعماله قوة وحيوية(٢٤)».

عاش الحسين ثلاثين سنة بعد ناصر يقود بلاده عبر أزمات اجتماعية واقتصادية وتفجرات عنف إسرائيلي -عربي- حاول الحسين بتخليه عن دوره كممثل للشعب الفلسطيني إلى م.ت.ف وبفك ارتباطه بالضفة الغربية أن يتوسط بين القادة الإسرائيليين والفلسطينيين. ومع أنه كان مؤيداً سلبياً للعراق في حرب الخليج في العام ١٩٩١، فقد انضم إلى رابين في توقيع معاهدة السلام الأردنية - الإسرائيلية في العام ١٩٩٤، وفي العام التالي ألقى كلمة النعي الأساسية في جنازة رابين. توفي الحسين بالسرطان في عام ١٩٩٩ وقد نعاه وحزن عليه العالم كله ما خلا الكثيرين من الفلسطينيين.

وبعد الحسين بسنة توفي حافظ الأسد الذي قاطع الخرطوم بوضوح، والذي أصبحت بيده السلطة العليا في سوريا بعد إبعاد جديد للدكتور ماخوس والدكتور أتاسي، وانضم إلى مصر فيما أسماه العرب حرب أكتوبر، أو حرب رمضان في العام ١٩٧٣ التي انتهت بوصول جيش الدفاع الإسرائيلي إلى تخوم دمشق. وبعد ثلاث سنين أرسل الأسد قواته إلى لبنان في محاولة لمساعدة الميليشيات المسيحية اللبنانية ضد م. ت. ف، حيث انقلبوا بعد ذلك على المسيحيين كذلك واحتلوا معظم البلاد. وقد اعتبر، بما عهد عنه من قسوة، مسؤولاً عن قتل حوالي ٢٠ ٠٠٠ ألف من

مواطنيه في تمرد فاشل ضده في العام ١٩٨٢. وكان الأسد معارضاً بشدة لمعاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية، وتابع دعمه للفدائيين الفلسطينيين. ومع ذلك تفاوض مع رابين وغيره من الزعماء الإسرائيليين، وإن كان ذلك بصورة غير مباشرة. عرضوا عليه إعادة غالبية الجولان، إن لم يكن كلها، ولكن ما طلبوه لقاء السلام كان باهظ الثمن في نظر الأسد.

لم يدع ياسر عرفات، أطول زعماء العرب عمراً منذ العام ١٩٦٧، إلى الخرطوم، وبما أن المؤتمر كان ينفي احتمال نشوب حرب تقليدية في المستقبل القريب، فقد وضع العرب عرفات وفدائييه في طليعة النضال المسلح. وفي غضون سنين تسلم عرفات رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف) وسرعان ما طوى النسيان أحمد الشقيري - وقام عرفات بغارات عديدة ملفتة للنظر منها مذبحة الرياضيين الإسرائيليين الأولمبيين في ميونخ في العام ١٩٧٢. وبعد سنتين اعترف العرب بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني، ودعي عرفات لحضور الجمعية العمومية للأمم المتحدة. إلاّ أن م.ت.ف تورطت بعد ذلك في الحرب الأهلية اللبنانية تقاتل المسيحيين أولاً ثم السوريين وأخيراً الإسرائيليين. إن عرفات الذي كان قد طرد من الأردن. نفي الآن إلى تونس، حيث اكتنفه الغموض بعد أن أعلن دعمه لصدام حسين في حرب الخليج، وهُمّش بسبب تفجر ثورة شعبية في غزة والضفة الغربية (الانتفاضة). أعاد رابين إليه الحياة على أية حال، إذ أتاح له العودة إلى المناطق المحتلة كرئيس للحكم الفلسطيني الذاتي الذي ولد حديثاً(٢٥). يبدو أن المقاتلين الذين امتدحوا قتلة السادات في العام ١٩٨١ قد تبعوا خطواته. فمثله كمثل المصريين والأردنيين من قبله، اعتمد عرفات على خبرة صناعة السلام الأمريكية التي بدأت قبل ثلاثين عاماً مع ليندن جونسون.

إرث وواقع:

لم تكد الطلقة الأخيرة في الحرب تطلق حتى كان غولد بيرغ قد شرع في استطلاع آراء الوفود إلى الأمم المتحدة بشأن احتمال إجراء ترتيبات سلام، وإجراء محادثات مباشرة وبالوساطة بين الفرقاء. ومع ذلك، سرعان ما ظهرت صعوبة تحويل آخر حرب عربية - إسرائيلية إلى سلام عربي - إسرائيلي دائم.

كان العرب مصرين على استعادة أراضيهم كلها دون قيد أو شرط. والإسرائيليون وإن كانوا راغبين في التنازل عن سيناء ومرتفعات الجولان، فقد ثبتوا أقدامهم في الضفة الغربية والقدس. وليس لدى أمريكا سوى نفوذ ضئيل على العرب وقدرة محدودة للضغط على إسرائيل. قال الرئيس إلى مستشاريه بعد وقف إطلاق النار بوقت قصير: «ليس دايان هو الذي تجنّب كوسيغن، بل إن الاتحاد السوفياتي سرعان ما أتخم بتبجحات إسرائيل». وكما قال جوسيسكو: (Joe Sisco) «كان السوفيات مستعدين لأن يفعلوا ما بوسعهم وما هو ممكن للدفاع عن رفض العرب لأي شكل من أشكال القبول بالدولة اليهودية» فاستمرار احتفاظ إسرائيل بالضفة الغربية سيولد أعمالاً انتقامية لاستردادها طوال ما تبقى من القرن العشرين كما قال دين راسك، «ولكن لا بد من قبول إسرائيل في المنطقة».

وبفضل التحديات الهائلة التي تواجه جونسون، وعبء فيتنام الثقيل على كاهله، كان يمكن أن يتجاهل الشرق الأوسط، ولكنه بدلاً من ذلك طرح مبادرة جريئة. ففي خطاب له في مؤتمر للمثقفين عقد في ١٩ يونيو (انتبه، التاريخ نفسه مرة أخرى) طرح الرئيس أفكاراً عَمِلَ على صياغتها بالتعاون مع كوادره منذ اليوم الأول من الحرب. أطرت هذه الأفكار في خمسة مبادئ، تعترف بحق كل دولة في المنطقة أن تعيش، وتضمن السلامة الإقليمية، والاستقلال السياسي لكل الدول، وتضمن حرية الملاحة، وتدعو إلى السيطرة على التسلح في الشرق الأوسط وإيجاد حل لمشكلة اللاجئين. عبر إشكول عن إعجاب عميق بالخطاب. ووصفه إيبان بأنه «بارع»، وقال



روستو: «منذ هذه الليلة لن يقطع العرب الأنابيب ولا أعناقنا» (٢٦). ولم يبق إلاّ التماس تعاون السوفيات.

وكان الالتماس في موقع لم يكن يخطر بالبال: بيت فيكتوري في غلاسكون، في ولاية نيوجيرسي حيث أثار جونسون في الثالث والعشرين من يونيو عدداً من القضايا مع رئيس الوزراء السوفياتي كوسيغن، من بينها قضية فيتنام وانتشار الأسلحة النووية قبل أن يتطرقا لمعالجة قضية الشرق الأوسط. توجه جونسون إلى كوسيغن طالباً دعمه لمبادئه الخمسة وللتوصل إلى لغة سلام مشتركة. بيد أن كوسيغن كان عنيداً. إذ اتهم الولايات المتحدة بتشجيع التوسع الإسرائيلي، وبمعاملة ناصر بغدر وخيانة. وحذره «بأن العرب شعب متفجر» وتنبأ «بأن العرب سيقاتلون ببنادق الصيد، بل حتى بأيديهم» لاستعادة أراضيهم دون شروط. ولقاء انسحاب إسرائيل من جميع المناطق المحتلة، فإن السوفيات يوافقون كحد أقصى على حكم قضائي بشأن إغلاق المضائق يصدر عن محكمة العدل الدولية.

مضت عشر سنوات قبل أن يحل بريجنيف محل كوسيغن –وتلا ذلك سقوط بودغورني– ولكن سلطات رئيس الوزراء أصبحت أكثر اتساعاً بحلول صيف العام ١٩٦٧. ولدى فشله في تحقيق أهدافه في مجلس الأمن، طلب عقد جلسة طارئة للجمعية العمومية للأمم المتحدة من أجل التوصل إلى «إزالة آثار العدوان، وتحقيق انسحاب القوات الإسرائيلية إلى ما وراء خطوط الهدنة» وقام يوتانت بتلطيف الضربة السوفياتية تكفيراً عن افتقاره للحكمة في أثناء الأزمة كما رأى المراقبون الغربيون. إذ استشهد باستخدام وحدة الموقف من أجل السلام عندما كان مجلس الأمن مشلولاً، فانعقدت الجمعية العمومية بهدوء.

دامت الجلسة خمسة أسابيع ولكنها فشلت في تأكيد ادعاء العرب أن الحرب كانت عدواناً إسرائيلياً. بل أسفرت عن قرار أمريكي لاتيني يعرض وساطة الأمم المتحدة وعودة كل الأراضي المحتلة والاعتراف «بحق كل دول المنطقة العيش بأمن وسلام»،

وتحرك من قبل دول عدم الانحياز للمطالبة بانسحاب فوري وغير مشروط. رفض العرب المبادرتين، فطرح السوفيات نتيجة سخطهم من ما أسموه (بالدوائر العربية المتطرفة) مشروع قرار مماثل جداً لمشروع أمريكا اللاتينية. ولكنه فشل كذلك. وعلق اللورد كرادون (Caradon) قائلاً: «لقد ارتكب الروس كل غلطة يستطيعون ارتكابها، إذ دفعوا بالعرب إلى المعركة وساعدوهم على تحمل الهزيمة المدوّية، ومن ثم أظهروا لهم أنهم على استعداد للتخلي عنهم. والسفير فيدير ينكو الذي أقسم على أن يمسح الأرض بالولايات المتحدة، قد حمل مسؤولية الفشل وعزل من منصبه». (٢٧)

كتب جونسون إلى هارولد ويلسون يقول: «إننا الآن نقوم بعملية تطهير بعد هجمة كوسيغن في الجمعية العمومية. إن أكثر منظور احتمالاً هو إعادة قضية الشرق الأوسط إلى مجلس الأمن حيث مكانها الطبيعي، وحيث يمكن التفاوض على النتائج من وراء الكواليس». وبالفعل، بدأت محادثات هادئة بين راسك، الذي يسعى إلى تزويج «أرنبة» الجلاء عن الأرض إلى «حصان» الثمن الذي ينبغي للعرب أن يدفعوه: وبين السفير السوفياتي دوبرينين (Dobrynin) الذي يتوق إلى التوصل إلى أي حل توفيقي يتلافى استخدام مصطلح (إنهاء حالة الحرب) وأخيراً توصل غروميكو وغولد بيرغ في مطلع يوليو (تموز) إلى اتفاق يشترط انسحاباً فورياً متمشياً مع عدم جواز احتلال الأراضي بالقوة، وصيانة حق كل فريق بأن يكون له دولته المستقلة الخاصة به والعيش فيها بأمن وسلام. ويلجأ إلى وساطة الأمم المتحدة من أجل حل مشكلة اللاجئين، وحرية المرور في المضائق. (٢٨)

يبدو أن الاتفاق لم يرض أحداً. إذ اعترض ناصر على عدم ورود إشارة واضحة إلى الانسحاب إلى حدود الرابع من يونيو، وعلى الاقتراح بإجراء مفاوضات، وإن كانت غير مباشرة مع إسرائيل. وقال للسوفيات: «لا أستطيع قبول ذلك. وإن فعلت لن أعود إلى بيتي. ولن أستطيع مواجهة أحد حتى بناتي» أما الإسرائيليون الذين كان مشروع أمريكا اللاتينية بالنسبة لهم غير واضح تماماً فيما يتعلق بمسألة (الأرض - مقابل - السلام)، وصفوه بأنه «ليس تراجعاً مادياً فحسب، بل رجوعاً دبلوماسياً إلى

الحالة الخطيرة التي كانت قائمة طوال الـ ١٩ عاماً المنصرمة». واحتج إيبان قائلاً: «لم يبق من مبادئ جونسون سوى القشرة الخارجية». وبحلول نهاية الصيف، بدأ الاتحاد السوفياتي، والولايات المتحدة ينأيان بنفسيهما عن الاتفاق. (٢٩)

كان العنف في سيناء يتصاعد في هذه الأثناء. وبلغ ذروته في ٢٠ أكتوبر (تشرين الأول) بإغراق المدمرة الإسرائيلية «إيلات» بصاروخ مصري وقتل ربع طاقمها. وثأرت إسرائيل بقصف مصافي النفط الرئيسة في السويس وأشعلت النار فيها. وتفجر قتال متقطع في نقاط مختلفة على طول نهر الأردن. وبدا أن الحرب هي القريبة، وليست التسوية بالتفاوض. ولكن التهديد بتجديد الصراع الإقليمي نبه الدبلوماسية وحركها لدى انعقاد مجلس الأمن وتناوله مسألة الشرق الأوسط ثانية.

أدرك غولد بيرغ أن النجاح يكمن في صيغة تعلن بصراحة رغبة إسرائيل في سلام شامل لقاء ما هو أقل من جميع الأراضي المحتلة، ومطلب العرب بانسحاب كامل لقاء إعلان انتهاء حالة الحرب على الأكثر: تطلب هذا المسعى الذي كان آخر مسعى لغولد بيرغ قبل أن يستقيل بسبب خلافه مع جونسون حول فيتنام، أسابيع من البحث المكثف. فلإجبار - الإسرائيليين على تغيير موقفهم، اقترح وولت روستو قائلاً: «نضغط عليهم بما يكفي لجعل تفكيرهم يبتعد عن التمسك بما يملكونه من توسع إقليمي». وحذر ماك فيرسون معلقاً: «يجب أن ندفعهم إلى الوراء بالقوة العسكرية تكراراً لما حدث في العام ١٩٥٦: إن قطع المساعدات لن يجدي» ولكن جونسون رفض ليّ ذراع الإسرائيليين مخالفاً بذلك تكتيكات الضغط التي اتبعها إيزنهاور في أثناء أزمة السويس. بل أراد تأخير شحن الأسلحة إلى إسرائيل على الأكثر، في حين بحث إشكول على أن يكون «مرناً، حكيماً، صبوراً، كريماً» وفيما يتعلق بالأردن، نصح بندلي الرئيس بقوله: «يجب أن تكون غايتنا الرئيسية هي جعل الملك حسين يتخلى بلطف عن قناعته الحالية بأن عليك أن تخرج له الكستناء من النار. وأية صيغة يقبلها كوسيغن يتقبلها الحسين». فأمريكا لا تستطيع التأثير على

الوفود العربية الأخرى التي تتطلع إلى زعامة مصر. فقد كان عبد الناصر يمسك بمفتاح السلام، تماماً كما أمسك من قبل بمفتاح الحرب. (٣٠)

احتج محمود رياض لدى وصوله إلى نيويورك، إلى غولد بيرغ قائلاً: «هذا قرار إسرائيلي مموه بقرار أمريكي. إنه لا يعطينا الحد الأدنى من إزالة آثار عدوان يونيو (حزيران)، فرد عليه غولد بيرغ بتنازلات عديدة روعيت فيها المشاعر المصرية بما في ذلك الإشارة إلى (عدم جواز ضم أراضي الغير بالحرب) وإلى (ممثل من الأمم المتحدة يقوم بإجراء الاتصالات والتوصل إلى اتفاق) بدلاً من وسيط ييسّر المحادثات. ووعد الشرق الأوسط بالسلام، وبالسلامة الإقليمية والأمن لكل دول المنطقة، دون تحديد سلام مع إسرائيل أو اعتراف بها. حتى إنه تم العثور على راع للحل غير أمريكي. وهو بريطانيا. وأخيراً بقيت عقبة رئيسية واحدة، هي: مدى انسحاب إسرائيل (من أراض احتلت في الصراع الأخير) أم (من الأرض التي احتلت).

وأخيراً، تم إقناع المصريين بفضل جهود بذلها غولد بيرغ وكارادون دون كلل ولا ملل بأن (أراض) تعني فعلاً الأراضي (حسب النصين الفرنسي والعربي اللذين يحتفظان بـ «أل» التعريف). في حين كان الإسرائيليون راضين عن بقاء النص الإنكليزي غامضاً. وهكذا في ٢٢ نوفمبر تبنى مجلس الأمن بالإجماع القرار ٢٤٢ المتعلق بمبادئ السلم العادل والدائم في الشرق الأوسط (٣١).

قبلت إسرائيل القرار ولو بانزعاج، كالأردن. أما رد ناصر فكان أكثر التباساً. ففي حين أيد قرار الأمم المتحدة، كرر أمام الجمعية الوطنية المصرية لاآته الثلاث مذكراً أعضاءها «بأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة».

وقال لجنرالاته: «لا حاجة لكم إلى الاهتمام بما أقوله علناً عن الحل السلمي». ومع ذلك، بعث بإشارة إلى الأمريكيين مفادها أنه منفتح على التوصل إلى اتفاق بإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل بكل ما يترتب على ذلك من نتائج، أما العراق وسوريا فقد رفضتا القرار ٢٤٢ رفضاً قاطعاً وأدانتاه لكونه خداع للشعب، وطريق إلى الفشل، ورفضه الفلسطينيون كذلك غاضبين لعدم ورود أي ذكر لهم في نص القرار. أمّا

منظمة التحرير الفلسطينية التي قبلت القرار ٢٤٢ بعد عشرين سنة. فقد صرحت في العام ١٩٦٧: «إن عدم حل القضية الفلسطينية سيعرض باستمرار السلام والأمن إلى الخطر، ليس في الشرق الأوسط فحسب، بل في العالم كله». (٣٢)

كان جونسون تواقاً لاستثمار الفرصة التي أوجدها القرار ٢٤٢ حسب اعتقاده، ويتعاون مع ممثل الأمم المتحدة الدبلوماسي السويدي غونار يارنغ (Gunnar Jar-ring) لتحريك الشرق الأوسط نحو السلام، بيد أن الأحداث غمرته. فقد شنت فيتنام هجومها المعروف باسم (Tet) بعد شهرين من صدور القرار ٢٤٢، وبعد شهرين آخرين أعلن جونسون عن عدم رغبته في ترشيح نفسه لدورة رئاسية ثانية بسبب انهيار سياسته الخارجية واستياء جيل الشباب الأمريكيين منه لدرجة أنهم أخذوا يشتمونه. فتركت إدارة جونسون إرثاً مزيجاً من النوايا الطيبة ومن الأحلام التي فشلت فشلاً مأساوياً، ومع ذلك لا ينكر أحد أنه أسهم في وضع حجر الأساس لاتفاقات عربية - إسرائيلية في المستقبل. تابعت الولايات المتحدة من خلال سبعة رؤساء متوالين تأييد القرار ٢٤٢ ومبدأ «الأرض -مقابل- السلام» الذي يتضمنه القرار هذا، وإن لم تعط وعداً محدداً بشأن ذلك أبداً.

لقد ظل جواب السؤال: «هل غيرت حرب الأيام الستة الشرق الأوسط حقاً؟! ملتبساً يكتنفه الغموض حتى من منظور الخمس والثلاثين سنة».

فأحداث المنطقة التي تجمعت في اتجاه الصراع فقط، يمكن أن تجيش كذلك في اتجاه السلام، بعد العام ١٩٦٧، والمفاجآت الدبلوماسية التي كانت تبدو مستحيلة أصبحت شائعة في السنوات التالية، بفضل جهود وسطاء وزعماء يتمتعون بالشجاعة وبعد النظر الذين أسهموا في تيسير حدوث تلك الخطوات المتقدمة المفاجئة، ومع ذلك استمر العنف وباءً على حياة الملايين في جميع أنحاء الشرق الأوسط، وأصبح خطراً يهدد العالم كله، وليس المنطقة فقط، بنشوب حرب واسعة النطاق.

لقد فتحت حرب الأيام الستة أو حرب يونيو (حزيران) الباب إلى نشوب حرائق مميتة جنباً إلى جنب مع فرص السلام التي حملتها. فهناك حقائق أساسية تؤكد

نفسها: فبكل ما أنجزته إسرائيل من احتلالات عسكرية فإنها ما تزال عاجزة عن فرض السلام الذي تسعى إليه. وبالرغم من أن العرب قد منوا بالهزيمة فإنهم ما زالوا قادرين على شن حملة عسكرية مرعبة. ويمكن التفاوض على وضعية الأراضي المحتلة، ولكن القضايا الجوهرية ظلت بلا حل - مثل: حق إسرائيل في الوجود، ومطالب الفلسطينيين في العودة وإقامة الدولة. وإذا كانت الحرب في حقيقتها عاصفة غيرت معالم المنطقة جغرافياً فإنها كذلك كشفت الطبيعة الأساسية - الأصول الجوهرية - للصراع العربي الإسرائيلي: لذلك كان الشرق الأوسط الذي ولد في العام ١٩٦٧ مؤكداً منطقة واعدة مبدئياً ولكنها ذات مخاطر وشيكة، منطقة مزيج من بيئة قديمة وبيئة جديدة.

لقد أصبح الشرق الأوسط، في أثناء تأليف هذا الكتاب، مرَّة أخرى في قبضة الاضطراب والهيجان. لقد لجأ الفلسطينيون إلى السلاح، وأخذت إسرائيل تنتقم، كما توقفت عملية السلام. وطفا على السطح أنماط مألوفة من الإرهاب والضربات المضادة، والغزو والانتقام «ولم ينحصر إزهاق الدماء في الساحة العربية - الإسرائيلية، بل تعداها إلى الولايات المتحدة حيث تفجر على هيئة هجمات إرهابية ضدها، وشرعت الولايات المتحدة بأعمال انتقامية ضد المتطرفين الإسلاميين. واليوم يُطالب المتظاهرون العرب، ومنهم كثيرون يحملون صور عبد الناصر، بحسم الأمور مع الغرب وإسرائيل. والإسرائيليون ينتظرون ويوازنون مخاطر الضربة الاستثنائية، فالحرب التي لم تنته أبداً في نظر الزعماء السياسيين والعسكريين، والمؤرخين، قابلة للانفجار ثانية.



مراجع ومصادر

الأرشيف:

١. أوراق أبا إيبان، الجامعة العبرية، القدس، إسرائيل.

٢. أرشيف تلة الذخيرة، القدس، إسرائيل.

٣. أرشيفات بن غوريون، سدي بوكر، إسرائيل.

٤. معهد الجليل لأبحاث الحرب والدفاع، رامات إيغال، إسرائيل.

٥. فيندلي أرتر ج. ذكريات شفهية، جامعة جورج، مجموعات خاصة، واشنطن C.D.

٦. أوراق آرثر ج. غولد بيرغ، مكتبة الكونغرس، واشنطن C.D.

٧. أرشيفات قوات الدفاع الإسرائيلية، غيفاتايم، إسرائيل.

٨. مكتبة المخابرات الإسرائيلية (مركز تراث المخابرات) هرتسليا، إسرائيل.

٩. أرشيفات دولة إسرائيل (ISA).

١٠. أرشيفات جروزاليم بوست.

١١. أوراق ليفي إشكول، القدس، إسرائيل.

١٢. مكتبة ليندن بينس جونسون الرئاسية (LBJ)، أوستن، تكساس. الولايات المتحدة الأمريكية.

١٣. أرشيفات حزب الماباي (MPA)، بيث بيرل، إسرائيل.



١٤. مكتبة مركز موشي دايان، جامعة تل أبيب، رامات أبيب، إسرائيل.

١٥. أرشيفات كندا القومية (NAC)، أوتاوا.

١٦. مكتب السجل العام (PRO)، لندن، المملكة المتحدة.

١٧. أرشيف مركز شيلوه، جامعة تل أبيب. رامات أبيب، إسرائيل.

١٨. أرشيفات وزارة الخارجية السوفياتية (SFM)، موسكو.

١٩. أرشيفات الأمم المتحدة (UN)، نيويورك. Y.N.

٢٠. أرشيف الولايات المتحدة القومي (USNA)، واشنطن، D.C.

٢١. أرشيف ياد تابنكن (YAD)، رامات إيغال، إسرائيل.

مجموعات من الوثائق والمخطوطات:

١. قسم المراقبة العالمية في هيئة الإذاعة البريطانية.

٢. وثائق سياسة إسرائيل الخارجية.

٣. العلاقات الخارجية للولايات المتحدة (FRUS).

٤. سجل الشرق الأوسط -٣ (١٩٦٧) القدس: مطبعة جامعات إسرائيل، ١٩٧١.

٥. وزارة الخارجية في عهد إدارة الرئيس ليندن ب. جونسون، نوفمر ١٩٦٣ - يناير ١٩٦٩.: I التاريخ الإداري.

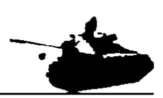
مقابلات تاريخية شفوية

الاسم	منصبه في العام ١٩٦٧	تاريخ المقابلة
مصر:		
١. أمين طنطاوي	قائد سرية، الفرقة الرابعة.	٤ يوليو ٢٠٠١
٢. الشربيني سعيد حمادة	ضابط عمليات اللواء المدرع الرابع عشر.	٥ يوليو ٢٠٠١
٣. عبد المنعم حمزة.	مخابرات عسكرية.	٤ يوليو ٢٠٠١
٤. عزت عرفة.	قائد كتيبة، الفرقة السابعة..	٦ يوليو ٢٠٠١
٥. فؤاد حجازي.	ضابط، كتيبة الفدائيين السابعة والثلاثون.	٥ يوليو ٢٠٠١
٦. محمود السوارقة.	سائق، الفرقة السادسة.	٧ يوليو ٢٠٠١
٧. عصام درَّاز.	مؤرخ.	٧ يوليو ٢٠٠١
٨. منير زكي مصطفى.	طبيب مصري التحق بالقوات السعودية في الأردن.	٥ يوليو ٢٠٠١
٩. سعيد أحمد ربيع.	قائد سرية، مضاد للطيران.	٤ يوليو ٢٠٠١
الأردن:		
١. عدنان أبو عودة.	مخابرات عسكرية	١٦ نوفمبر ١٩٩٩
٢. شفيق عجيلات.	الفيلق المدرع، مخابرات	١٧ نوفمبر ١٩٩٩
٣. عطا علي هزاع.	قائد لواء، القدس	١٨ نوفمبر ١٩٩٩
٤. بادي عوض.	قائد كتيبة، القدس	٢١ نوفمبر ١٩٩٩
٥. محمود أبو فارس.	قائد سرية القدس	١٧ نوفمبر ١٩٩٩



مقابلات تاريخية شفوية

الاسم	منصبه في العام ١٩٦٧	تاريخ المقابلة
٦. محمد الفرّا.	سفير إلى الأمم المتحدة	١٧ نوفمبر ١٩٩٩
٧. محمد فلاح الفايز.	قائد كتيبة محمولة جواً (مجوقلة)	٢١ نوفمبر ١٩٩٩
٨. فايز فهد جابر.	نائب قائد، مخابرات	٢١ نوفمبر ١٩٩٩
٩. عوض خالدي.	قائد كتيبة، ممر القدس	١٨ نوفمبر ١٩٩٩
١٠. عوض بشير خالدي.	كولونيل، لواء مشاة، ممر القدس.	١٧ نوفمبر ١٩٩٩
١١. يوسف خوّاش.	جنرال، ممثل الأردن في القيادة العربية الموحدة، القاهرة.	١٦ نوفمبر ١٩٩٩
١٢. سليمان مرزوق.	سائق الملك حسين الشخصي.	١٧ نوفمبر ١٩٩٩
١٣. غازي إسماعيل ربايعة.	قائد فصيل، القدس	٢١ نوفمبر ١٩٩٩
سوريا:		
١. محمد عامر	كابتن، مشاة	١٠ يناير ٢٠٠١
٢. إبراهيم إسماعيل خاحيا.	قائد، في اللواء الثامن من المشاة	١٠ يناير ٢٠٠١
٣. مروان حمدان الخولي.	فيلق تسليح	١١ يناير ٢٠٠١
٤. جورج طعمة.	سفير إلى الأمم المتحدة	١٧ نوفمبر ١٩٩٩
فلسطين:		
١. صادق جودة	متطوع القوات الفلسطينية، التحق بالقوات العراقية	٥ يوليو ٢٠٠١



مقابلات تاريخية شفوية

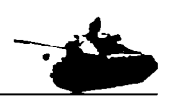
الاسم	منصبه في العام ١٩٦٧	تاريخ المقابلة
إسرائيل:		
١. منير أمين	رئيس، موساد	٩ فبراير ١٩٩٩
٢. رافي بنفينيستي	قائد، خط القدس.	١ يناير ١٩٩٩
٣. أبا إيبان.	وزير الخارجية.	٢٦ نوفمبر ٢٠٠٠
٤. رفائيل إيتان.	قائد اللواء المجوقل الخامس والثلاثين.	٢ مارس ١٩٩٩
٥. مريام إشكول.	زوجة إشكول، السكرتير الخامس لإشكول.	٣٠ أغسطس ١٩٩٩
٦. يعقوب إشكولي.	مقيم في كفار جيلادي. زعيم المستوطنات الشمالية.	١١ ديسمبر ١٩٩٩
٧. يشاياهو فافيش.	رئيس القيادة الجنوبية.	٧ ديسمبر ١٩٩٩
٨. مردخاي غازيت.	وزارة الخارجية الإسرائيلية.	٤ فبراير ١٩٩٩
٩. شلومر غازيت.	مخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي، رئيس فرع البحوث.	٩ مارس ١٩٩٩
١٠. موتي هود.	قائد سلاح الجو الإسرائيلي.	مجهول
١١. إسحاق هوفي.	نائب رئيس العمليات جيش الدفاع الإسرائيلي	١٤ يوليو ١٩٩٩
١٢. شيمعون كاهاز	نائب قائد كتيبة، اللواء الخامس والخمسون المظلي، جيش الدفاع الإسرائيلي.	١٨ أكتوبر ٢٠٠٠
١٣. ديفيد كيمحي	موساد / مخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي	٢٦ أغسطس ١٩٩٩
١٤. أرييه ليفافي.	مدير عام، وزارة الخارجية الإسرائيلية.	٤ نوفمبر ١٩٩٩

مقابلات تاريخية شفوية

الاسم	منصبه في العام ١٩٦٧	تاريخ المقابلة
١٥. أفراهام ليف.	التخطيط الاستراتيجي، مخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي.	١٣ سبتمبر ١٩٩٩
١٦. شلومو ميروم.	مخابرات جيش الدفاع الإسرائيلي، القيادة الجنوبية.	٧ ديسمبر ١٩٩٩
١٧. منير بائيل.	نائب قائد، تل أوغدا Ugdah	٦ ديسمبر ٢٠٠٠
١٨. إيلاد بيليد.	قائد (فرقة) أوغدا	٢٨ يناير ٢٠٠١
١٩. إسرائيل تل.	قائد (فرقة) أوغدا	٢٣ أغسطس ١٩٩٩
٢٠. زوراخ وارهافتيج.	وزير الشؤون الدينية (الحزب الديني القومي).	مجهول
٢١. عيزر وايزمن.	رئيس عمليات، جيش الدفاع الإسرائيلي.	١٣ يناير ١٩٩٩
٢٢. ريهافام زئيفي.	نائب رئيس عمليات، جيش الدفاع الإسرائيلي.	٩ سبتمبر ٢٠٠١

الاتحاد السوفياتي السابق:

الاسم	منصبه في العام ١٩٦٧	تاريخ المقابلة
١. كارون بروتنز	عضو مجلس السوفيات الأعلى.	٢١ يناير ٢٠٠١
٢. الجنرال فحموت أ.غاريث.	مستشار عسكري سوفياتي، مصر	٢٤ مايو ١٩٩٩
٣. الفريق قاديم كريبتشينكو.	مدير، مكتب الارتباط KGB مع الخدمات الأمنية السورية والمصرية.	٢٥ ديسمبر ٢٠٠٠
٤. نيكولاي بيغور روشيث.	عضو مجلس السوفيات الأعلى.	٢٣ ديسمبر ٢٠٠٠



مقابلات تاريخية شفوية

الاسم	منصبه في العام ١٩٦٧	تاريخ المقابلة
فرنسا		
١. إريك روليو	مراسل صحيفة لاموند في الشرق الأوسط	١٧ ديسمبر ٢٠٠٠
الولايات المتحدة:		
١. روبرت ماكنمارا	وزير الدفاع.	١١ فبراير ١٩٩٩
٢. هاري ماكفيرسون	مستشار البيت الأبيض	١٤ مايو ١٩٩٩
٣. أنتوني (بد) بيرنا.	كولونيل، سلاح الجو الأمريكي، ملحق عسكري للولايات المتحدة إلى إسرائيل.	١٠ ديسمبر ٢٠٠٠
٤. إندار جيث ريكهاي.	قائد، قوات الطوارئ الدولية.	٢٢ فبراير ١٩٩٩
٥. يوجين ف. روستو	نائب وزير الخارجية	٥ أغسطس ١٩٩٩
٦. وولت ويتمان روستو.	مستشار شؤون الأمن القومي	٢٧ يوليو ١٩٩٩
٧. جوزيف سيسكو.	نائب وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى.	٦ أغسطس ١٩٩٩



صحف عبرية:

١ . هاآرتس ٢ . معاريف، ٣ . دافار، ٤ . بيديعوت أحرونوت.

كتب ومقالات (بالعربية):

١ . عبدالحميد برلنتي: «المشير وأنا» القاهرة، مكتبة مدبولي الصغير، ١٩٩٢ .

٢ . عبد الناصر وزعماء عرب باركوا إجراءات الحسين ضد الفدائيين، الحدث ٦، رقم ٢٦٥ (٢٩ يناير، ٢٠٠١).

٣. أبو مرشد، وليد، أنطوان بطرس، وفؤاد جبر، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية للعام ١٩٦٧ . سلسلة الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ٤، بيروت، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٦٩ .

٤ . أبو نضال، صبري، معركة الخامس من حزيران: أول دراسة عربيّة عسكرية شاملة للهزيمة، القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٨٨ .

٥ . الأشرم، صلاح الدين، التواطؤ الأنكلو أمريكي مع إسرائيل، المجلة العسكرية٦، رقم ١٨ (١٩٦٧).

٦ . البغدادي، عبد اللطيف، مذكرات، القاهرة، المكتب المصري الحديث، ١٩٧٧ .

٧. الدجاني، أحمد صدقي، من المقاومة إلى الثورة الشعبية في فلسطين، القاهرة، مكتبة الأنكلو – المصرية، ١٩٦٩ .

٨ . الحمصي، محمد عبد الغني، مذكرات الحمصي، باريس، المنشورة الشرقية، ١٩٩٠ .

٩. الحديدي، صلاح الدين، شاهد على حرب ٦٧، بيروت، دار العودة، ١٩٧٤ .

١٠ . العلمي، عماد، حرب عام ١٩٦٧، عكا، الأسوار للثقافة، ١٩٩٠ .

١١ . الجيار، محمود، أيام النكسة في بيت عبد الناصر، روز اليوسف ٢٤٨٤ (١٩ يناير، ١٩٧٦).

١٢. رجلان قتلا المشير عامر، روز اليوسف ٢٤٨٢ (٥ يناير ١٩٧٦).

١٣. الخولي، لطفي، حرب يونيو ١٩٦٧ بعد ثلاثين سنة، القاهرة، مركز الأهرام، ١٩٩٧.

١٤. المنجد، صلاح الدين، عمدة النخبة، بيروت، دار العودة، ١٩٦٧.

١٥ . النفوري، أمين، توازن القوى بين العرب وإسرائيل، دراسة تحليلية استراتيجية لعدوان حزيران ١٩٦٧، دمشق، دار الاعتدال للطباعة والنشر، ١٩٦٨.

١٦. الصباغ، محمد (تحرير)، مذكرات قادة العسكرية المصرية ١٩٦٧ - ١٩٧٢ في أعقاب النكسة، القاهرة، دار الخيال، تحت الطبع.

١٧. الشرع، صادق، حروبنا مع إسرائيل، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩٧.

١٨. الشمعة، هاني، معارك خالدة في تاريخ الجيش العربي السوري، دمشق الطباعة السورية، ١٩٨٨.

١٩. الشقيري، أحمد، مذكرات أحمد الشقيري، على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء، المجلد ٣ من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء، بيروت، دار العودة ١٩٧١، المجلد ٥، ٢: الهزيمة الكبرى مع الملوك والرؤساء: من بيت عبد الناصر إلى غرفة العمليات، بيروت، دار العودة، ١٩٧٢.

٢٠. العظم، صادق جلال، النقد الذاتي بعد الهزيمة، عكا: دار الجليل للطباعة والنشر، ١٩٦٩.

٢١. الوثيقة الأردنية، ١٩٦٧، عمان، دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٦٧.

٢٢. عودة، محمد وعبد الله إمام، النكبة - من المسؤول؟ القاهرة، روز اليوسف، ١٩٨٥.

٢٣. بدران، شمس، مقابلة، الحوادث، ٢ سبتمبر ١٩٧٧.

٢٤. درّاز، عصام، ضباط يونيو يتكلمون، كيف شاهد جنود مصر هزيمة ٦٧، القاهرة: المنار الجديد للصحافة والنشر، بدون تاريخ.



٢٥. محمد عزَّت دروزة، في سبيل قضية فلسطين والوحدة العربية، ومن وحي النكبة من أجل معالجتها: رسائل، ومقابلات، وبحوث، ومقابلات، وتعقيبات، بيروت ١٩٤٨ - ١٩٧٢: بيروت، المكتبة العصرية ١٩٧٢.

٢٦. دباح، شكري، وماذا بعد؟ القاهرة، دار القدس، بدون تاريخ.

٢٧. فخيده، خالد، الفريق حديثة للحدث: شاركنا في حرب ٦٧ إرضاء لعبد الناصر ومنعاً لتخوين الأردن، الحدث ٢٦٥ (٢٩ يناير ٢٠٠١).

٢٨. فوزي، الجنرال محمد، حرب الثلاث سنوات، القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٨٠.

٢٩. جوهر، سامي، الصامتون يتكلمون، القاهرة، المنار الجديد للصحافة والنشر، ١٩٧٥.

٣٠. حمد، جمال، الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر، القاهرة، الزهراء للعالم العربي، ١٩٨٨.

٣١. حسين، محمود، الصراع الطبقي في مصر من ١٩٤٥ إلى ١٩٧٠، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧١.

٣٢. هيكل، محمد حسنين، ١٩٦٧، الانفجار، القاهرة، مركز الأهرام، ١٩٩٠.

٣٣. إمام، عبد الله، عبد الناصر، كيف حكم مصر، القاهرة، مدبولي الصغير، ١٩٦٦.

٣٤. علي صبري يتذكر، بصراحة عن السادات، القاهرة، دار الخيال، ١٩٦٧.

٣٥. ناصر وعامر، القاهرة، مؤسسة الكتابة، ١٩٨٥.

٣٦. خليل، مصطفى، من ملفات الجولان: القسم الأول، عمان، دار اليقين للطباعة والنشر، ١٩٧٠.

٣٧. سقوط الجولان، عمَّان، دار اليقين للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

٣٨. خوَّاش، يوسف، الجبهة الأردنية، حرب حزيران، عمان، دار اليقين للطباعة والنشر، ١٩٨٠.

٣٩. مظهر، سليمان، اعترافات قادة حرب يونيو، نصوص شهاداتهم أمام لجان تأصيل تاريخ الثورة، القاهرة، كتاب الحرية، ١٩٩٠.

٤٠. مراد، محمود، حرب حزيران، المجلة العسكرية ١٩ رقم ٦ (أغسطس ١٩٦٨).

٤١. مرتجى، عبد المحسن كمال، الفريق مرتجى يروي الحقيقة، القاهرة، دار الوطن العربي، ١٩٧٦.

٤٢. مصطفى، حسين، حرب حزيران ١٩٦٧، أول دراسة عسكرية، من وجهة النظر العربية. ٢: الجبهة الشرقية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، ١٩٧٣.

٤٣. خوري، جورج (تحرير)، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٦٩.

٤٤. رمضان، عبد العظيم، تحطيم الآلهة، قصة حرب يونيو ١٩٦٧، القاهرة، مدبولي ١٩٨٨.

٤٥. رياض، محمود، مذكرات محمود رياض ١٩٤٨ - ١٩٧٦، الجزء الأول، البحث عن السلام في الشرق الأوسط، بيروت، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، ١٩٨٧.

٤٦. مذكرات محمود رياض، ٢: بيروت، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، ١٩٨٧.

٤٧. طلاس، مصطفى، مرآة حياتي، دمشق، دار طلاس، ١٩٩٥.

٤٤. ضياء الدين، بيرس، عبد الناصر.. حَكَم: روز اليوسف ٢٤٦٤ (١ سبتمبر ١٩٧٥).

صحف عربية:

١. آخر ساعة (مصر).

٢. الأهرام (مصر).

٣. البعث (سورية).

٤ . الدفاع (الأردن).

٥ . الحوادث (لبنان).

٦ . روز اليوسف (مصر).

٧ . الرأي العام (مصر).





NOTES

The Context

1. Al-Fatah's first operation is described in many sources. The versions vary, however. See, for example, Yezid Sayigh, ***Armed Struggle and the Search for State: The Palestinian National Movement, 1949–1993*** (Oxford: Clarendon Press, 1997), pp. 107–8, 121. Ehud Yaari, ***Strike Terror: The Story of Fatah*** (New York: Sabra Books, 1970), pp. 49–79. Salah Khalaf, ***My Home My Land, A Narrative of the Palestinian Struggle*** (New York: Times Books, 1981), pp. 44–49. Helena Cobban, ***The Palestinian Liberation Organization*** (Cambridge: Cambridge University Press, 1983), pp. 22–39. Alan Hart, ***Arafat: A Political Biography*** (London: Sidgwick & Jackson, 1994), pp. 155–56. Ahmad al-Shuqayri, ***Mudhakkirat Ahmad al-Shuqayri, 'Ala Tariq al-Hazima, Ma'a al-Muluk wal-Ru'asa'*** (Beirut: Dar al-'Awda, 1971), 3, pp. 152–88, 229–56. Arafat quote in Riad El-Rayyes and Dunia Nahas, ***Guerrillas for Palestine*** (London: Croom Helm, 1976), p. 27.

2. Studies on the origins of Zionism abound. See, for example, David Vital, ***The Origins of Zionism: The Formative Years*** (Oxford: Oxford University Press, 1982).

3. On Britain's promises to the Jews and the Palestinian Arabs, see Walter Laqueur, ***The Israel-Arab Reader*** (New York, Citadel Press, 1968), pp. 15–18, and Leonard Stein, ***The Balfour Declaration*** (London: Mitchell Vallentine, 1961), pp. 309–514, 534–58. See also J. M. Ahmed, ***The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism*** (London: Oxford University Press, 1960).

4. Francis R. Nicosia, ***The Third Reich and the Palestine Question*** (London: I. B. Tauris, 1985), pp. 177–78. Lukasz Hirszowicz, ***The Third Reich and the Arab East*** (London: Routledge & K. Paul, 1966), pp. 71, 95, 248. For biographies of Ben-Gurion, see Shabtai Teveth, ***Ben-Gurion: The Burning Ground, 1906–1948*** (Boston: Houghton Mifflin, 1987), and Michael Bar Zohar, ***Ben-Gurion: A Biography*** (New York: Adama Books, 1977).

Notes to Pages 4–8

5. Israel Gershoni and James P. Jankowski, *Egypt, Islam and the Arabs: The Search for Egyptian Nationhood, 1900–1930* (Oxford: Oxford University Press, 1986), pp. 40–55, 231–69. Michael Doran, *Pan-Arabism Before Nasser: Egyptian Power Politics and the Palestine Question* (New York: Oxford University Press, 1999), pp. 94–127. Albert Hourani, *A History of the Arab Peoples* (London: Faber and Faber, 1991), pp. 340–64.

6. Yehoshua Porath, *In Search of Arab Unity* (London: Frank Cass, 1986), pp. 290–311. Ahmed M. Gomaa, *The Foundation of the League of Arab States: Wartime Diplomacy and Inter-Arab Politics, 1941 to 1945* (London and New York: Longman, 1977), pp. 98–133.

7. Mary C. Wilson, *King Abdullah, Britain and the Making of Jordan* (Cambridge: Cambridge University Press, 1987), pp. 151–86. On the flight of Palestinian refugees, see also Ilan Pappe, *Britain and the Arab-Israel Conflict, 1948–1951* (London: Macmillan, 1988). Dan Scheuftan, *Ha-Optzia ha-Yardenit: Ha-Yishuv ve-Medinat Yisrael mul ha-Mimshal ha-Hashemi ve ha-Tnua ha-Leumit ha-Falastinit* (Tel Aviv: Yad Tabenkin, Machon Yisrael Galili, 1986). The best treatment of international diplomacy on the Palestine issue can be found in Wm. Roger Louis, *The British Empire in the Middle East, 1945–1951: Arab Nationalism, the United States, and Postwar Imperialism* (Oxford: Oxford University Press, 1984), pp. 381–574.

8. A similar observation was made by the Hebrew University historian J. L. Talmon immediately after the 1967 war: "The Jewish complex grows from a mixture of fear and distrust, on the one hand, and a feeling of power on the other . . . The mixture of hubris and fear is all pervading in Israel. One hears people say in the same breath 'we can reach Cairo within hours; we may be destroyed in half an hour . . .'" See J. L. Talmon, *The Six Days' War in Historical Perspective* (Rehovot, Israel: Yad Chaim Weizmann, 1969), p. 78.

9. Recent writings by revisionist authors have claimed that the Jewish forces in the 1948 war actually outnumbered the Arabs. See, for example, Benny Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee Problem*, pp. 20–23.This may be true for the later stages of the conflict, but in its crucial initial phase, in May–June, when Israel's fate hung in the balance, the Arabs invaded with overwhelming force.

10. On the contacts with Husni Za'im, see David Peled, "Ben-Gurion Wasn't Rushing Anywhere," *Ha'aretz* (English edition), Jan. 20, 2000, p. 4, and Itamar Rabinovich, *The Road Not Taken: Early Arab-Israeli Negotiations* (New York: Oxford University Press, 1991), pp. 65–167.

11. On Nuri's secret contacts with the Israelis, see Michael Oren, "Nuri al-Sa'id and Arab-Israel Peace," *Asian and African Studies* 24, no. 3 (1990).

12. Yaacov Ro'i, *From Encroachment to Involvement: A Documentary Study of Soviet Foreign Policy in the Middle East, 1945–1973* (New York: Wiley, 1974), p. 115. Galia Golan, *Soviet Politics in the Middle East: From World War II to Gorbachev* (Cambridge: Cambridge University Press, 1990), pp. 29–37. Naftali Ben-Tsion Goldberg, "SSSR Protiv Izrailia," *Sem Dney*, Aug. 17, 2000, p. 4. M. Prokhorov, ed., *Sovetskii Entsiklopedicheskii Slovar*, 4th ed. (Moscow: Soviet Encyclopedia, 1989), p. 486. Khrushchev quote in Yosef Govrin, *Israeli-Soviet Relations, 1953–1967: From Confrontation to Disruption* (London: Frank Cass, 1990), p. 66.

13. Alpha plan discussed in Evelyn Shuckburgh, *Descent to Suez, 1951–1956* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1986), pp. 242–67, and Michael B. Oren, "Secret Efforts to Achieve an Egypt-Israel Settlement Prior to the Suez Campaign," *Middle Eastern Studies* 26, no. 3 (1990).



Notes to Pages 9–14

14. Gamal Abdel Nasser, *The Philosophy of the Revolution* (Washington, D.C.: Public Affairs Press, 1955). Nasser quote from Robert Stephens, *Nasser, A Political Biography* (London: Penguin, 1971), pp. 135–36.

15. Zaki Shalom, *David Ben-Gurion, Medinat Yisrael ve ha-Olam ha-Aravi, 1949–1956* (Sede Boqer: Ha-Merkaz le-Moreshet Ben-Gurion, 1995), p. 39. Michael B. Oren, *Origins of the Second Arab-Israeli War* (London: Frank Cass, 1993), pp. 29–34. Michael B. Oren, "The Egypt-Israel Border War," *Journal of Contemporary History* 24 (1990). V. A. Kirpichenko, *Iz Arkhiva Razvedchika* (Moscow: Mezhdunorodnyie Otnosheniya, 1993), pp. 37–39. On the disputes surrounding the Jordan River and the Hula swamp, see Arnon Soffer, *Rivers of Fire: The Conflicts Over Water in the Middle East* (Lanham, Md.: Rowman and Littlefield, 1999), and Kathryn B. Doherty, *Jordan Waters Conflict* (New York: Carnegie Endowment for International Peace, 1965).

16. Oren, "Secret Efforts to Achieve an Egypt-Israel Settlement Prior to the Suez Campaign."

17. Michael B. Oren, "The Tripartite System in the Middle East, 1950–1956," in Dori Gold, ed., *Arms Control and Monitoring in the Middle East* (Boulder, Colo.: Westview Press, 1990).

18. NAC, MG 26, N1, 29: Pearson Papers: Middle East Crisis, Nov. 20, 1956. ISA, 2459/1: Tekoah to Embassies, Nov. 15, 1956. John Moore, ed., *The Arab-Israel Conflict: Readings and Documents* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1977), pp. 1045–55. PRO, FO371/121738/189: Dixon to Foreign Office, May 3, 1956. FRUS, XVI, p. 1208. BGA, "Diary: The Diplomatic Battle Over Suez," July 1957. Michael B. Oren, "Faith and Fair-Mindedness: Lester B. Pearson and the Suez Crisis," *Diplomacy and Statecraft* 3, no. 1 (1992); Michael B. Oren, "Ambivalent Adversaries: David Ben-Gurion and Dag Hammarskjold," *Journal of Contemporary History* 27 (1992). Brian Urquhart, *A Life in Peace and War* (New York: Harper & Row, 1987), pp. 193–94.

19. P. J. Vatikiotis, *Nasser and His Generation* (New York: St. Martin's Press, 1978), p. 161.

20. For Arab perceptions of Israel during this period, see Mahmud Husayn, *Al Sira' al-Tabaqi fi Misr min 1945 ila 1970* (Beirut: Dar al-Tali'a, 1971), pp. 250–53. Amin Al-Nafuri, *Tawazun al-Quwwa bayna al-'Arab wa-Isra'il: Dirasa Tahliliyya Istratejiyya li 'Udwan Haziran 1967* (Damascus: Dar al-I'tidal lil-Tiba'a wal-Nashr, 1968), pp. 162–67.

21. Malcolm H. Kerr, *The Arab Cold War: Gamal Abd al-Nasir and His Rivals, 1958–70* (Oxford: Oxford University Press, 1971). Stephens, *Nasser*, pp. 356–57. John Waterbury, *The Egypt of Nasser and Sadat: The Political Economy of Two Regimes* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1983), pp. 57–82.

22. Alvin Z. Rubinstein, *Red Star on the Nile: The Soviet-Egyptian Influence Relationship Since the June War* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1977), p. 136.

23. Baruch Gilad, ed., *Teudot le-Mediniyut ha-Hutz shel Medinat Yisrael* 14, 1960 (Jerusalem: Israel Government Printing House, 1997), pp. 16–32. Yitzhak Rabin, *The Rabin Memoirs* (Berkeley: University of California Press, 1996), pp. 55–56. Ze'ev Lachish and Meir Amitai, *Asor Lo Shaket: Prakim be-Toldot Heil ha-Avir ba-Shanim 1956–1967* (Tel Aviv: Misrad ha-Bitahon, 1995), pp. 232–47. Oral history, Col. Shlomo Merom, Dec. 7, 1999. Interview with General Anwar al-Qadi in *al-Ra'i al-'Am*, June 2, 1987.

24. Patrick Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East* (London: I. B. Taurus, 1988), pp. 65–68.

Notes to Pages 15–17

25. *Foreign Relations of the United States 18, 1961–1963: Near East* (Washington: U.S. Government Printing Office, 1995), p. 62. Statistics on U.S. wheat shipments to Egypt and the Chester Bowles quote in William J. Burns, *Economic Aid and American Policy Toward Egypt, 1955–1981* (Albany: State University of New York Press, 1985), pp. 212–16.

26. Ali Abdel Rahman Rahmi, *Egyptian Policy in the Arab World: Intervention in Yemen 1962–1967, A Case Study* (Washington, D.C.: University Press of America, 1983), pp. 189–96. On Nasser's relationship with 'Amer, see 'Abdallah Imam, *Nasir wa-'Amer* (Cairo: Mu'assasat al-Kitab, 1985), pp. 5–32, 67–83. Gen. Muhammad Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat* (Cairo: Dar al-Mustaqbal al-'Arabi, 1980), pp. 33–45. Mohamed Hassanein Heikal, *1967: Al-Infijar* (Cairo: Markaz al-Ahram, 1990), pp. 181, 394–98.

27. Nasser himself would make the Yemen-Vietnam comparison. See LBJ, Lucius Battle Oral History, p. 38.

28. Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, pp. 161–62. Anwar El-Sadat, *In Search of Identity: An Autobiography* (New York: Harper & Row, 1977), pp. 162–63. Burns, *Economic Aid and American Policy*, pp. 139–40. Rahmi, *Egyptian Policy in the Arab World*, pp. 189–96. Kennedy quote from *Foreign Relations of the United States 18, 1961–1963*, pp. 752–53.

29. Kennedy quote from *Foreign Relations of the United States 18, 1961–1963*, pp. 280–81. See also Judith A. Klinghoffer, *Vietnam, Jews and the Middle East: Unintended Consequences* (New York: St. Martin's Press, 1999), p. 9. Mordechai Gazit, *President Kennedy's Policy Toward the Arab States and Israel: Analysis and Documents* (Syracuse, N.Y.: Syracuse University Press, 1983). Moshe Ma'oz, *Syria and Israel: From War to Peacemaking* (Oxford: Clarendon Press, 1995), pp. 86–87.

30. Israel's nuclear policy in this period, and its place in Kennedy's foreign policy, are discussed at length in Avner Cohen, *Israel and the Bomb* (New York: Columbia University Press, 1998) and Seymour Hersh, *The Samson Option* (New York: Random House, 1991). Nasser's use of West German and former Nazi scientists is revealed in PRO, FCO 39/233 UAR Internal Political Situation: Who's Who of Nasser's Ex-Nazis, June 26, 1967. See also Martin Van Creveld, *The Sword and the Olive: A Critical History of the Israeli Defense Force* (New York: Public Affairs, 1998), p. 164. Terence Prittie, *Eshkol: The Man and the Nation* (New York: Pitman, 1969), p. 225.

31. Ben-Gurion quotes from, respectively, ISA, Foreign Ministry files, 3329/1: Prime Minister to Director-General of the Foreign Ministry, Nov. 19, 1961, and 723/5/A: Foreign Ministry to Embassy in Washington, May 14, 1963. America's assessment of Egyptian missile capabilities in LBJ, National Intelligence Estimates, boxes 6–7: The Eastern Arab World, Feb. 17, 1966. On Israel's contract with Dassault, see Cohen, *Israel and the Bomb*, p. 116.

32. Ze'ev Schiff, *A History of the Israeli Army, 1874 to the Present* (New York: Macmillan, 1985), pp. 115–17. George W. Gawrych, *The Albatross of Decisive Victory: War and Policy Between Egypt and Israel in the 1967 and 1973 Arab-Israeli Wars* (Westport, Conn.: Greenwood Press, 2000), pp. 23–27. Ze'ev Lachish and Meir Amitai, *Asor Lo Shaket*, pp. 28–31. Aharon Yariv, *Ha'arakha Zehira: Kovetz Ma'amarim* (Tel Aviv: Ma'arakhot, 1998), pp. 123–24. Yair Evron, "Two Periods in the Arab-Israeli Strategic Relations 1957–1967; 1967–1973," in Itamar Rabinovich and Haim Shaked, eds., *From June to October: The Middle East Between 1967 and 1973* (New Brunswick, N.J.: Transaction, 1978), pp. 100, 112–13. S.N. Eisenstadt, *Ha-Hevra ha-Yisraelit* (Jerusalem: Magnes Press of Hebrew University, 1970), pp. 26–33. Klinghoffer, *Vietnam, Jews and the Middle East*, p. 20. Van Creveld, *The Sword and the Olive*, pp. 156–57.



Notes to Pages 18–21

33. Prittie, *Eshkol*, p. 211. Eshkol quotes from Moshe A. Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim–Mekoroteha ve-Koroteha shel Milhemet Sheshet ha-Yamim* (Tel Aviv: Am Oved, 1969), pp. 34, 36.

34. Egyptian quote from Moshe Shemesh, *The Palestinian Entity 1959–1974: Arab Politics and the PLO* (London: Frank Cass, 1989), p. 4. Saudi-Jordanian quote from Asher Susser, *On Both Banks of the Jordan: A Political Biography of Wasfi al-Tall* (London: Frank Cass, 1994), pp. 55–57.

35. Syrian quote from Burns, *Economic Aid and American Policy*, p. 140. Nasser quote from Avraham Sela, *The Decline of the Arab-Israeli Conflict: Middle East Politics and the Quest for Regional Order* (Albany: State University of New York Press, 1998), p. 59. Itamar Rabinovich, *Syria Under the Ba'th 1963–66: The Army-Party Symbiosis* (Jerusalem: Israel Universities Press, 1972), pp. 95–96. Tal quote from Susser, *On Both Banks of the Jordan*, p. 55. See also Leila S. Kadi, *Arab Summit Conferences, and the Palestine Problem, 1945–1966* (Beirut: Palestine Liberation Organization, 1966), pp. 96–109. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, p. 49. Mohamed H. Heikal, *Sanawat al-Ghalayan* (Cairo: Markaz al-Ahram, 1988), pp. 729–30.

36. Syrian quote from Moshe Shemesh, "Hama'avak ha-'Aravi al ha-Mayim Neged Yisrael, 1959–1967," *Iyunim* 7 (1997): 124. Nasser quote from Heikal, *Sanawat al-Ghalayan*, p. 740.

37. David Kimche and Dan Bawly, *The Sandstorm: The Arab-Israeli War of June 1967: Prelude and Aftermath* (London: Secker & Warburg, 1968), p. 25.

38. Mahmoud Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East* (New York: Quartet Books, 1981), p. 12. Samir A. Mutawi, *Jordan in the 1967 War* (Cambridge: Cambridge University Press, 1987), pp. 57–58.

39. Quote from Shemesh, *The Palestinian Entity*, p. 38. See also Sela, *The Decline of the Arab-Israeli Conflict*, pp. 62–68. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 47–48.

40. Ma'oz, *Syria and Israel*, p. 81.

41. The PLO, hailed as "the vanguard of the joint Arab struggle for the liberation of Palestine," was constituted by a Palestinian assembly in Jerusalem on May 28, 1964. See Sayigh, *Armed Struggle and the Search for State*, pp. 95–100. Al-Shuqayri, *Mudhakkirat* 3, p. 144. Avraham Sela, ed., *Political Encyclopedia of the Middle East* (New York: Continuum, 1999), pp. 602–3.

42. LBJ, National Intelligence Estimates, boxes 6–7: The Eastern Arab World, Feb. 17, 1966. Kadi, *Arab Summit Conferences*, pp. 176–77. Al-Shuqayri, *Mudhakkirat* 3, pp. 78–84, 98–106. Heikal, *al-Infijar*, pp. 199–218. Mohamed Ahmed Mahjoub, *Democracy on Trial: Reflections on Arab and African Politics* (London: Andre Deutsch, 1974) pp. 105–14.

43. Oral history interview, Adnan Abu Oudeh, Amman, Nov. 6, 1999. Jadid quotes from Avraham Ben Tzur, *Gormim Sovietiim u-Milhemet Sheshet ha-Yamim: Ma'avakim ba-Kremlin ve-Hashpa'ot he-Azoreinu* (Tel Aviv: Sifriat Poalim, 1975), p. 17. Ma'oz, *Syria and Israel*, p. 84.

44. Bourgiba's plan was designed to paint Israel into a corner. If Israel also accepted the Partition Resolution, sacrificing 30 percent of its territory and accepting the establishment of a Palestinian state, then that would become the basis for negotiations and additional Arab claims. If Israel rejected the plan, the Arab call for war would then be legitimized. For the period of the second and third Arab summits, see Kerr, *The Arab Cold War*, pp. 98–116. Sela, *The Decline of the Arab-Israeli Conflict*, pp. 75–94.

Notes to Pages 21–25

Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 40. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 137–42. Rahmi, *Egyptian Policy in the Arab World*, pp. 224–27.

45. Nasser quote from Burns, *Economic Aid and American Policy*, p. 159. An alternative translation appears in Richard B. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East* (Bloomington: Indiana University Press, 1993), p. 105. Klinghoffer, *Vietnam, Jews and the Middle East*, p. 72. Heikal, *Al-Infijar*, p. 372. See also LBJ, Lucius Battle Oral History, p. 38; David Nes Oral History, pp. 3–5.

46. PRO FCO/39/285, UAR – Economic Affairs: Effects of the Arab-Israeli War on the UAR Economy, Dec. 1, 1967. Kimche and Bawly, *The Sandstorm*, pp. 35–36. Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, pp. 202–12. Heikal, *Sanawat*, pp. 733–57, 774–75. Heikal, *Al-infijar*, pp. 175–84. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, pp. 15–17. El-Sadat, *In Search of Identity*, pp. 164–65.

47. Ze'ev Ma'oz, "The Evolution of Syrian Power, 1948–1984," in Moshe Ma'oz and Avner Yaniv, eds., *Syria Under Assad: Domestic Constraints and Regional Risks* (London: Croom Helm, 1986), pp. 71–76.

48. Aharon Yariv, *Ha'arakha Zehira*, pp. 159–61, Aharon Yariv, "Ha-Reka la-Milhama," *Dapei Elazar, no. 10, Esrim Shana le-Milhemet Sheshet ha-Yamim* (Tel Aviv: Yad David Elazar, 1988), pp. 15–23. Avi Cohen, *Ha-Hagannah al Mekorot ha-Mayim–Mediniyut Hafalat Hail Ha-Avir le-Tkifa bi-Gvul Yisrael-Suria, 1956–1967* (Tel Aviv: Hail ha-Avir, Misrad ha-Bitahon, 1992), p. 55.

49. On the Syrian-Israeli border war of 1964–65, see PRO, FCO17/565, Israel – Territorial: Hadow to Morris, Feb. 15, 1967. Mustafa Khalil, *Min Milaffat al-Julan: Al-Qism al-Awwal* (Amman: Dar al-Yaqin lil-Tiba'a wal-Nashr, 1970), p. 47. Hanoch Bartov, *Dado: 48 Years and 20 Days* (Tel Aviv: Ma'ariv Books, 1981), pp. 83–92. Shabtai Teveth, *The Tanks of Tammuz* (London: Sphere Books, 1969), pp. 76–95. Cohen, *Ha-Hagannah al Mekorot ha-Mayim*, pp. 86–87, 107–8; Eshkol quote on p. 113.

50. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 220–23, 239–46, 333, and Heikal, *The Sphinx and the Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Middle East* (London: Collins, 1978), pp. 166–68. I. Adeed Dawisha, *Egypt in the Arab World: The Elements of Foreign Policy* (New York: Wiley, 1976), pp. 46–47. Lachish and Amitai, *Asor Lo Shaket*, pp. 19–20. Sayigh, *Armed Struggle and the Search for State*, pp. 100–107. ISA, 3975/14, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with the United States, Washington to Foreign Ministry, July 12, 1966. Nasser quotes from Theodore Draper, *Israel & World Politics: Roots of the Third Arab-Israeli War* (New York: Viking, 1967), p. 44, and Stephens, *Nasser*, p. 461.

51. Gen. Odd Bull, *War and Peace in the Middle East: The Experiences and Views of a U.N. Observer* (London: Lee Cooper, 1973), p. 95. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 38–39, 114. Susser, *On Both Banks of the Jordan*, p. 78.

52. Moshe Zak, *Hussein Ose Shalom* (Ramat Gan: Merkaz Begin-Sadat, 1966), pp. 6–75. Meir Amit, *Rosh be-Rosh: Mabat Ishi al Eruim Gdolim u-Farshiyot Alumot* (Or Yehuda: Hed Arzi, 1999), pp. 94–98. Ben-Gurion quote in *Documents of the Foreign Policy of Israel*, pp. 36–37.

53. Hussein quotes from Susser, *On Both Banks of the Jordan*, pp. 105–6, and Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 66–67. See also William B. Quandt, Fuad Jabber and Ann Mosley Lesche, *The Politics of Palestinian Nationalism* (Berkeley: University of California Press, 1973), pp. 165, 173. Kerr, *The Arab Cold War*, pp. 112–22. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 351–53.



54. Eitan Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama: Zikhronotav shel Tat-Aluf Yisrael Lior, ha-Mazkir Hatzvai shel Rashei ha-Memshala Levi Eshkol ve-Golda Meir* (Tel Aviv: Yediot Ahronot, 1987), pp. 54, 122, 133–34. Matitiahu Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan-Yuni 1967* (Tel Aviv: Ma'arakhot, 2001), pp. 99–101. The complete Eli Cohen story can be found on the Internet, at www.elicohen.com.

55. Sylvia K. Crosbie, *A Tacit Alliance: France and Israel from Suez to the Six Day War* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1974), pp. 123–24, 140–48, 170, 224–25. Jean Lacouture, *De Gaulle: The Ruler, 1945–1970* (New York: Norton, 1992), p. 435. ISA, 3975/16, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with the United States: Bitan to Harman, Jan. 19, 1967.

56. Johnson quotes from I. L. Kenen, *Israel's Defense Line: Her Friends and Foes in Washington* (Buffalo, N.Y.: Prometheus Books, 1981), p. 173, and USNA, Middle East Crisis files, 1967, Lot file 68D135, box 1: United States Statements on Israel: Johnson Statements, June 1, 1964. Eshkol quote from Cohen, *Israel and the Bomb*, p. 204.

57. ISA, 3976/9, Foreign Ministry files, Relations with the United States: Eban Conversation with Johnson, Sept. 2, 1966. Lachish and Amitai, *Asor Lo Shaket*, pp. 22–23. Klinghoffer, *Vietnam, Jews and the Middle East*, p. 61. Memorandum of Understanding quoted in Ma'oz, *Syria and Israel*, pp. 86–87.

58. Documents relating to the connection between Vietnam and the Middle East proliferate in the Israeli archives. Though Israel could not come out openly in support of the war—leftist members of the government opposed it—Israeli representatives conveyed strong backing for America's policies in Southeast Asia. See, for example, ISA, 3975/12, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with the United States: Harman to Eban, June 24, 1966; 3975/14, Diplomatic Relations with the United States: Harman to Foreign Ministry, July 4, 1966; 3977/22, Diplomatic Relations with the United States: Report on Eshkol Talk with Feinberg and Ginzburg, April 28, 1966.

59. A survey of Israel's economic crisis appears in PRO FCO17/577: Israel – Defense: Report of Defense Attaché, Nov. 16, 1966. See also Gawrych, *The Albatross of Decisive Victory*, p. 3.

60. Ma'oz, *Syria and Israel*, p. 89.

61. An internal CIA memorandum described the new Syrian government as "unstable, as any foreseeable successor is likely to be. The prospect is one of a succession of extremist military governments . . . The question in regard to Syria's future then is not whether it will be moderate or radical, but what will be the kind and intensity of its radicalism." LBJ, National Security file, Middle East, boxes 145–57: Special Memorandum – Syria's Radical Future. See also, Quandt, Jabber, and Lesche, *The Politics of Palestinian Nationalism*, pp. 166–67. Itamar Rabinovich, "Suria, ha-Yahasim ha-bein-Araviyim u-Frotz Milhemet Sheshet ha-Yamim," in Asher Susser, ed., *Shisha Yamim-Shloshim Shana* (Tel Aviv: Am Oved, 1999), pp. 50–52.

62. On Soviet aid to the Arab world, see PRO, FCO17/112: Soviet Aid to Arab Countries, June 26, 1967 and USNA, Lot files, USUN, box 6: Circular: Foreign Military Assistance to Near East Countries, June 19, 1967. I. L. Blishchenko and V. D. Kudriavtsev, *Agressia Izrailia i Mezhdunarodnoie Pravo* (Moscow: Mezhdunorodnyie Otnosheniya, 1970), pp. 8–11. See also Christoper Andrew and Oleg Gordievsky, *KGB: The Inside Story* (New York: HarperCollins, 1990), pp. 495–98. Oded Eran, "Soviet Policy Between 1967 and 1973," in Rabinovich and Shaked, *From June to October*, pp. 27–30. Kimche and Bawly, *The Sandstorm*, pp. 44–45. Burns, *Economic Aid and American Policy*,

Notes to Pages 28–31

p. 154. On Khrushchev's ouster, see LBJ, Lucius Battle Oral History, pp. 14–15. 'Amer quote from Heikal, *Al-Infijar*, p. 81.

63. NAC, RG 25 box 2827, Syria: New Urge for Industrialization, Feb. 8, 1967. ISA, 4048/1627, Foreign Ministry files, Soviet Foreign Relations: Eban Conversation with Hare, April 27, 1966. Yariv, *Ha'arakha Zehira*, p. 149. Ben Tzur, *Gormim Sovietiim u-Milhemet Sheshet ha-Yamim*, pp. 35–49, 71–72. V. M. Vinogradov, *Diplomatia: liudi i sobytia* (Moscow: Rosspen, 1998), pp. 151–54, 215. O. E. Tuganova, *Mezhdunarodnyie otnoshenia na Blizhnem i Srednem Vostoke* (Moscow: Mezhdunarodnyie Otnoshenia, 1967), pp. 134–35.

64. A. M. Grechko, *Sovetskaia Voiennaia Entsiklopedia 3* (Moscow: Institut Voiennoi Istorii, 1976), p. 508. V. Rumiantsev, "Arabskii Vostok na Novom Puti," *Kommunist* (Moscow) 16 (November 1969), p. 91. I. Ivanov, *Ostorozhno: Sionizm!*, 2nd ed. (Moscow: Politicheskaia Literatura, 1971), p. 3. I. P. Beliaev and E. M. Primakov, *Egipet: Vremia Prezidenta Nasera* (Moscow: Mysl, 1974), p. 324. V. V. Zhurkin and E. M. Primakov, eds., *Mezhdunarodnyie Konflikty* (Moscow: Mezhdunarodnyie Otnoshenia, 1972), p. 129. Govrin, *Israeli-Soviet Relations*, pp. 276–79, 300. Avigdor Dagan, *Moscow and Jerusalem: Twenty Years of Relations Between Israel and the Soviet Union* (London: Abelard-Schuman, 1970), pp. 155–57.

65. Ben Tzur, *Gormim Sovietiim u-Milhemet Sheshet ha-Yamim*, pp. 190–91, 210–11. Atassi quote from Draper, *Israel & World Politics*, p. 35.

66. On U.S. support for Israel *vis-à-vis* Syria, see LBJ, National Security file, Middle East, Israel box 140, 141: Conversation with Foreign Minister Eban, Nov. 3, 1966. ISA, 3977/20, Foreign Ministry files, Relations with the United States: Evron to Bitan, Oct. 25, 1966; President Johnson to Eshkol, Nov. 9, 1966.

67. ISA, 3975/12, Diplomatic Relations with the United States: Rafael to Bitan, June 20, 1966. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 127, 139. Parker, *The Politics of Miscalculation*, p. 11. Govrin, *Israeli-Soviet Relations*, pp. 287–89. Tass quote from Dagan, *Moscow and Jerusalem*, p. 176.

68. The Israeli and Syrian versions of the fighting in the Galilee in this period can be found in UN, DAG 13/3.4.0, box 82, Israel/Syria High Level Talks, Cultivation Arrangements: Barromi to the President of Security Council, Jan. 9, 1967, and Tomeh to President of Security Council, Jan. 10, 1967. See also Cohen, *Ha-Hagannah al Mekorot ha-Mayim*, pp. 140–56.

69. Sayigh, *Armed Struggle and the Search for State*, pp. 137–38. Rabin quote from Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, pp. 287–89. Syrian quote from BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, No. 199, G3.

70. Cohen, *Israel and the Bomb*, p. 261.

71. Amit, *Rosh be-Rosh*, pp. 210–26. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 64–65. Klinghoffer, *Vietnam, Jews and the Middle East*, p. 73. On the confluence of Egyptian and Israeli interests in 1966, see ISA, 3975/15, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with the United States: Argov to Harman, March 19, 1966, and 3978/2, United States – Relations with the Middle East. Evron to Gazit, Aug. 25, 1967.

72. 'Ali 'Amer quote from Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 65. Nasser quote from Heikal, *Al-Infijar*, pp. 365–66. See also Sela, *The Decline of the Arab-Israeli Conflict*, p. 90. Kerr, *The Arab Cold War*, pp. 122–28. Seale, *Asad of Syria*, p. 126.

73. Sulman Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu: Nusus Shahadatihim Amama Lajnat Tasjil Ta'rikh al-Thawra* (Cairo: Kitab al-Hurriyya, 1990), p. 88. Makhous quote from



BBC, Daily Report No. 183, G3. Voice of the Arabs and Damascus Radio quotes from BBC, Daily Report No. 183, B1 and Daily Report No. 199, G1.

74. ISA, 3977/20, Foreign Ministry files, Relations with the United States: Handwritten Notes (by Y. Herzog) on LE meeting with Barbour, Nov. 10, 1966. MPA, Party Secretariat Procotols, 2/24/66/88: Eshkol Remarks to the Executive, Dec. 15, 1966. "Notepad" quote from Rafi Man, *Lo Ya'ale al ba-Da'at* (Or Yehuda: Hed Arzi, 1998), p. 242.

75. ISA, 4030/6, Foreign Ministry files, Diplomatic Contacts and Security Council Debate on the Samu' Operation: Harman Conversation with Symes, Nov. 14, 1966; 3977/20, Foreign Ministry files, Relations with the United States, Mr. Bitan's Visit, Nov. 29, 1966.

76. Ezer Weizman, *On Eagles' Wings: The Personal Story of the Leading Commander of the Israeli Air Force* (New York: Macmillan, 1976), p. 206. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 106–7. Eshkol remarks to the Cabinet in Zak, *Hussein Ose Shalom*, p. 89.

The Catalysts

1. Descriptions of the Samu' battle from ISA, 3998/5, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with Iran: Y. Rabin to Military Attachés, Nov. 15, 1966. Zak, *Hussein Ose Shalom*, p. 89, Kimche and Bawly, *The Sandstorm*, p. 83. Susser, *On Both Banks of the Jordan*, p. 110. Oral history interviews with Ezer Weizman, March 1, 1999 and Meir Amit, Feb. 9, 1999.

2. NAC, RG 25, box 10050: Political Affairs – Canada's Foreign Policy Trends and Relations – Israel. Middle East Situation – Call By Israeli Ambassador, Dec. 14, 1966. Charles W. Yost, "How It Began," *Foreign Affairs* (January 1968), p. 305. U Thant, *View from the UN* (New York: Doubleday, 1978), pp. 215–17.

3. On the general U.S. reaction to the Samu' raid, see LBJ, National Security file, Middle East, Israel box 140, 141: W. Rostow to the President, Nov. 14, 1966 and ISA, 4030/6, Foreign Ministry files, The Security Council Debate on the Samu' Operation, Nov. 16, 1966; Komer quote from 3977/20, Foreign Ministry files, Relations with the United States: Eban Conversation with Kromer, Dec. 12, 1966. Katzenbach quote from ISA, 3977/20, Foreign Ministry files, Relations with the United States: Eban Conversation with the Acting Secretary of State, Dec. 12, 1966. Rostow quote from ISA, 3977/20, Foreign Ministry files, Relations with the United States, Dec. 12, 1966.

4. Eban's remarks in ISA, 3977/20, Foreign Ministry files, Relations with the United States: Meeting of Foreign Minister Abba Eban with Walt Rostow, Dec. 12, 1966, and Eban Conversation with Kromer, Dec. 12, 1966. Eskhol's letter to Johnson in LBJ, National Security file, Middle East, Israel box 140, 141: Nov. 23, 1966. Johnson's letter to Hussein in LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17, Nov. 23, 1966. America's refusal to convey the Israeli condolence letter in LBJ, National Security file, Middle East, Israel box 140, 141: Walt Rostow to the President, Nov. 14, 1967, and from oral history interview with Mordechai Gazit, Feb. 4, 1999. National Security file, Middle East, Israel box 140, 141: W. Rostow to the President, Nov. 14, 1966. See also Uriel Dann, *King Hussein and the Challenge of Arab Radicalism: Jordan, 1955–1967* (New York: Oxford University Press, 1989), p.155, and Zak, *Hussein Ose Shalom*, p. 89.

Notes to Pages 35–39

5. Gilboa, ***Shesh Shanim, Shisha Yamim***, p. 75. Eshkol quote from MPA, Party Secretariat Protocols, 2/24/66/88: Dec. 15, 1966. Lior quote from Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 89.

6. Hussein of Jordan, *My "War" with Israel*, as told to Vick Vance and Pierre Lauer (New York: Morrow, 1969), p. 29. Susser, *On Both Banks of the Jordan*, p. 111. Egyptian and Syrian accusations against Hussein in BBC, Daily Report No. 224, B1; Daily Report No. 192, B4–5. Hussein quote in Georgetown University, Special Collections, Findley Burns, Jr., Oral History Recollections, p. 9.

7. Al-Shuqayri, *Mudhakkirat 1*, pp. 271–72. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 73–74. Oral history interview with Adnan Abu-Oudeh, Amman, Nov. 16, 1999.

8. Indar Jit Rikhye oral history, Feb. 22, 2000. Hussein's letters to Nasser in BBC, Daily Report No. 224, D6-1; his interview with *Christian Science Monitor* in Daily Report No. 192, D2. Edgar O'Balance, *The Third Arab-Israeli War* (London: Faber & Faber, 1972), p. 173. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 81.

9. ISA, 3998/5, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with Iran, Conversation with Dr. Sidriya—Report on Arab Defense Committee Meeting, Dec. 16, 1966. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 82.

10. Sidqi quote in Shmuel Segev, *Sadin Adom* (Tel Aviv: Taversky Press, 1967), pp. 15–16. Predictions of Nasser's fall from power appear in PRO, FCO 39/233 UAR Internal Political Situation: UAR: General Situation. P.W. Unwin, Jan. 20, 1967, and LBJ, National Security file, Country file, Middle East-UAR box 161: CIA Report on Egypt, Oct. 3, 1966, and ISA, 3975/15, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with the United States: Gazit Conversation with Bergus, Feb. 6, 1967. On cuts in Egypt's defense budget, see Salah al-Din al-Hadidi, *Shahid 'ala Harb 67* (Beirut: Dar al-'Awda, 1974), pp. 31–35, and Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, p. 208–9. Information on the El Nasr Automotive plant and the Tesh quote appear in PRO, FCO 39/233, UAR Internal Political Situation, Canadian Embassy, Cairo, to Foreign Ministry, Jan. 19 and March 2, 1967, respectively.

11. Al-Tall remarks in Susser, *Both Banks of the Jordan*, pp. 117–18 and in PRO, FCO 17/231 Jordan-UAR Relations: Amman to Foreign Office, Jan. 9, 1967. Gen. 'Amer's claim in al-Shuqayri, *Mudhakkirat 3*, p. 233. Egyptian charge of Jordanian embezzlement in PRO, FCO 17/231, Jordan-UAR: Amman to Foreign Ministry, Feb. 13, 1967. Nasser's speech in PRO, FCO 17/231, Jordan-UAR Relations: Cairo to Foreign Office, March 15, 1967. Capt. Hamarsha's press conference in USNA, POL 30 Jordan, Cairo to State Department, Feb. 2, 1967. Riyad Hajjaj's press conference in PRO, FCO 17/23, Jordan-UAR Relations: Amman to Foreign Office, March 17, 1967.

12. PRO, FCO 17/231, Jordan-UAR Relations: Morris to Beaumont, March 10, 1967. Descriptions of the Arab Defense Council meeting in USNA Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL Arab-Jordan, box 1844: Amman to Washington, March 16, 1967. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 429–31. Al-Shuqayri, *Mudhakkirat 3*, p. 285. BBC, Daily Report No. 11, B3.

13. Hussein's Jericho speech in BBC, Daily Report No. 41, D1. On Jordan's interpretation of the Egyptian-Syrian treaty, see Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 73–79.

14. Athanasius, a fourth-century church leader, struggled alone against Arianism; he was bishop of Alexandria. "Contra mundum" quote in PRO, FCO 17/494, Israel – Political Affairs : W.H. Fletcher (Cairo) to Foreign Office, June 1, 1967. Akram quote in IDF 192/74, file 1348: The Battle for the Southern Front, p. 55. Sabri and Awad



quotes in Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, pp. 166–69. For further descriptions of Nasser in this period, see Andrei Gromyko, *Memoirs* (New York: Doubleday, 1989), p. 272. El-Sadat, *In Search of Identity*, p. 148. Richard B. Parker, *The Six Day War* (Jacksonville: University of Florida Press, 1997), p. 263. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 242–45.

15. LBJ, Lucius Battle Oral History, p. 38.

16. YAD, Remarks by Yitzhak Rabin, Feb. 3, 1987. Nasser quote in Kimche and Bawly, *The Sandstorm*, pp. 32–33. 'Abd al-Latif Al-Baghdadi, *Mudhakkirat* (Cairo: al-Maktab al-Misri al-Hadith, 1977), pp. 167–219. Fawzi quote in *Harb al-Thalath Sanawat*, p. 69. Heikal, *Al-Infijar*, p. 457. Wajih Abu Dhikri, *Madhbahat al-Abriya'* (Cairo: Al-Maktab al-Misri al-Hadith, 1988), p. 142. Ramadan, 'Abd al-'Azim. *Tahtim al-Aliba: Qissat Harb Yunyu 1967* (Cairo: Madbuli, 1988), pp. 48–49. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, p. 91. CIA report cited in USNA, Middle East Crisis, Memos, box 17: Memorandum for the White House, May 24, 1967.

17. USNA, Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 7 ARAB-SUMMIT, box 1844: Damascus to State Department, March 16, 1966. Kerr, *The Arab Cold War*, pp. 125–26. 'Ali 'Ali 'Amer quote from Heikal, *Al-Infijar*, p. 423. Reference to "in the icebox" in LBJ, National Security file, Country file, Middle East-UAR box 161: Lunch with Ambassador Kamel, Jan. 17, 1967. Oral history interview with Gen. Yusuf Khawwash, Nov. 16, 1999. On rumors of revolt in Yemen, see PRO, FCO 39/233, UAR Internal Political Situation: Tennet Minute, March 30, 1967.

18. Profiles of 'Abd al-Hakim 'Amer appear in Berlinti 'Abd al-Hamid, *Al-Mushir wa-Ana* (Cairo: Maktabat Madbuli al-Saghir, 1992), pp. 201–5. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 33–45, 52–54. Imam, *Nasir wa-'Amer*, pp. 5–13, 39–41, 67–86. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 818–22. Birs Zia' al-Din, "'Abd al-Nasir . . . Hakama," in *Ruz al-Yusuf 2464*, Sept. 1, 1975, pp. 42–47. Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, pp. 159, 161. Gawrych, *The Albatross of Decisive Victory*, pp. 12–13. Mahjoub, *Democracy on Trial*, p. 134. Wajih Abu Dhikri, *Madhbahat al-Abriya'*, pp. 195–97. Anouar Abdel-Malek, *Egypt: Military Society – The Army Regime, the Left, and Social Change Under Nasser* (New York: Vantage Press, 1968), p. 144. An example of the Soviet communiqués appears in BBC, Daily Report No. 183, B1. 'Mushir' quote from USNA, Central Policy files, 1967–1969, POL 7 UAR, box 2554. Cairo to State Department, April 22, 1967. Nasser's attitudes to 'Amer in El-Sadat, *In Search of Identity*, pp. 168–69 and Richard B. Parker, "The June 1967 War: Some Mysteries Explored," in *Middle East Journal* 46, no. 2 (Spring 1992), p. 194.

19. PRO FCO/39/263 UAR – Relations with the USSR: Mr. Gromyko's Visit to Cairo, March 29, 1967. ISA, Foreign Ministry files, 4083/3, Contacts with the Soviet Union, Raviv to Shimoni, April 1, 1967. Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 86. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 409–20. Ben Tzur, *Gormim Sovietiim u-Milhemet Sheshet ha-Yamim*, p. 177.

20. USNA, Central Policy files, 1967–1969, POL 7 UAR, box 2554: Battle to Rusk, Feb. 22, 1967. Heikal quotes from *Middle East Record 3, 1967* (Jerusalem: Israel Universities Press, 1971), pp. 49–50. LBJ, Lucius Battle Oral History, p. 36; David G. Nes Papers: Nes To Roger P. Davies, Deputy Assistant Secretary NEA, May 11, 1967. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 242–45. The British predictions of Nasser's need for distractions abroad were similar to the Americans'. See ISA, 4080/5, Foreign Ministry files, Contacts with Great Britain, London to FM, May 16, 1967.

Notes to Pages 42–45

21. Heikal, *al-Infijar*, pp. 407–8. Nasser's remarks to 'Aref in BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, No. 25, B3–4. Other Nasser quotes in Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, pp. 249–51.

22. ISA, Foreign Ministry files, 3977/20, Relations with the United States: Attack on the Northern Border, Jan. 1967. UN, DAG 13/3.4.0, box 82, Israel/Syria High Level Talks, Cultivation Arrangements: Barromi to President of Security Council, Jan. 15, 1967 and Tomeh to President of Security Council Jan. 13, 1967; Comay to the Security Council (Radio Damascus quote), Jan. 17, 1967. Another translation of the Syrian quote can be found in Draper, *Israel & World Politics*, p. 43. USNA, POL 12 SYR – SYR – US, box 2511: 'Asifa Communiqué #56 – *al-Ba'th* and *al-Thawra*, Jan. 15, 1967. PRO, FCO 17/665 Syria – Political Affairs: Damascus to Foreign Office, Jan. 3, 1967.

23. Ma'oz, *Syria and Israel*, p. 82. *Al-Ba'th*, April 10, 1967. Tlas quote from PRO, FO17/671: Syria – Political Affairs: Damascus to Foreign Ministry, March 2, 1967.

24. NAC, RG 25 box 2827, Syria: Present Conflict between the Syrian Government and the I.P.C. (Embassy of Syrian Arab Republic – London), Jan. 3, 1967. Damascus radio quote from BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, No. 8, G2. *Al-Ba'th*, March 7, 1967.

25. PRO FCO/39/263 UAR – Relations with the USSR, Speares Minute – Soviet Foreign Minister's Visit to Cairo, April 11, 1967. ISA, 4049/7, Foreign Ministry files, Soviet Relations with Arab Countries, Moscow to Foreign Ministry, Jan. 8, 1967; 3975/15, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with the United States: Argov to Bitan, Feb. 9, 1967 ("small rather than big trouble"); Eban Conversation with Hare, June 27, 1966 ("tensions without explosions"). Anatoly Dobrynin, *In Confidence: Moscow's Ambassador to America's Six Cold War Presidents (1962–1986)* (New York: Random House, 1995), pp. 156–59. Oded Eran, "Soviet Policy Between 1967 and 1973," in Rabinovich and Shaked, eds., *From June to October*, p. 50.

26. USNA Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 12 SY, box 2511: Tel Aviv to Department of State, Jan. 24, 1967; Moscow to Department of State, Feb. 15, 1967. PRO, FO17/672 Syria – Political Affairs: Damascus to Foreign Office, Jan. 27, 1967. ISA, 3977/20, Foreign Ministry files, Relations with the United States: Bitan Conversation with Alfred Atherton, Dec. 12, 1966. Dagan, *Moscow and Jerusalem*, pp. 186–87. Govrin, *Israeli-Soviet Relations 1953–1967*, pp. 276–79. Ben Tzur, *Gormim Sovietim u-Milhemet Sheshet ha-Yamim*, pp. 131–33, 151.

27. PRO, FCO 17/665 Syria – Political Affairs: Damascus to Foreign Ministry, Jan. 18, 1967; Damascus to Foreign Ministry, Feb. 21, 1967; FO17/671: Syria – Political Affairs: Damascus to Foreign Ministry, Feb. 4, 1967. ISA, 3975/15, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with the United States: North American Desk Memorandum, Feb. 4, 1967. Assassination attempt on al-Assad in BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe No. 8, G1; arrest of government ministers in 64, G2. See also Itamar Rabinovich, "The Ba'th in Syria," Rabinovich and Shaked, *From June to October*, p. 222.

28. LBJ, National Security file, Middle East Crisis, box 145–57: CIA: Syria – A Center of Instability, March 24, 1967. Assad conversation with 'Awdah in PRO, FO17/671: Syria – Political Affairs: Craig to Moberley, January 24, 1967.

29. The number of complaints submitted to the ISMAC in Frederic C. Hof, *Line of Battle, Order of Peace?* (Washington: Middle East Insight, 1999), p. 14. UN, DAG



13/3.4.0, box 84, Verbatim Records, ISMAC 80th Meeting, Jan. 25, 1967. Syria description of talks in BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, No. 19, G1. See also Indar Jit Rikhye, *The Sinai Blunder* (London: Frank Cass, 1980) p. 9.

30. PRO, FCO 17/576: Israel – Defense Attaché, Annexure 1, June 12, 1967. Walid Abu Murshid, Antoine Butrus and Fuad Jabber, "Al-Kitab Al-Sanawi lil-Qadiyya al-Filastiniyya li-'Am 1967," in *Silsilat al-Kitab al-Sanawi lil-Qadiyya al-Filastiniyya 4* (Beirut: Manshurat Mu'assasat al-Dirasa al-Filastiniyya, 1969), pp. 124, 151–54. UN, DAG 13 3.4.0, box 84, IJMAC, Israeli Complaints of March 12 and 26, 1967. Al-Fatah communiqués can be found in USNA, POL 12 SYR – SYR – US, box 2511.

31. UN, DAG 13/3.4.0, box 82: Israeli Complaint S/7853, April 14, 1967.

32. PRO, FO17/671: Syria – Political Affairs: Damascus to Foreign Office, Feb. 27, 1967. USNA Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 12 SY, box 2511: Damascus to Department of State, May 23, 1967. ISA, 3975/15, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with the United States: Argov to Harman, March 19, 1967 (Hoopes quote); 3977/21: Evron to North America Desk, March 16, 1967; Argov to Bitan, March 27, 1967; 7919/1, Levi Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Evron to Levavi, May 17, 1967 (Rostow quote).

33. Evron quote from LBJ, National Security file, Middle East, Israel box 140, 141: W. Rostow to the President, Jan. 16, 1967. Eshkol quote from Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 141; "Syrian syndrome" on p. 99. See also Eyal Sisser, "Bein Yisrael le-Suria: Milhemet Sheshet ha-Yamim ule-Ahareiha," *Iyunim be-Tkumat Yisrael* 8 (1998), pp. 220–21.

34. Al-Shuqayri, *Mudhakkirat* 5, p. 35 ('Ali 'Ali 'Amer quote). Heikal, *Al-Infijar*, p. 434. See also Hisham Sharabi, "Prelude to War: The Crisis of May–June 1967," *The Arab World* 14 (1968). "Takrit ha-7 be-April: 20 Shniyot Aharei – Sheshet ha-Migim she-Kirvu et Sheshet ha-Yamim," *Bamahane* 39 (April 8, 1987).

35. Sidqi quote from Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 107–8. Heikal, *Al-Infijar*, p. 434. Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 94. Al-Shuqayri, *Mudhakkirat* 5, p. 50. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya* 5, pp. 14–15. Kimche and Bawly, *The Sandstorm*, p. 86. Cohen, *Ha-Hagannah al Mekorot ha-Mayim*, pp. 178–79. Speeches by the Egyptian delegation to Syria in BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, No. 72, B1 and 72, G1.

36. Jordanian claims in BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, No. 73, D1. Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 83. Nasser's remarks in BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, No. 86, B1 –17. Suliman quote from BBC, No. 82, G1.

37. USNA, Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 7 ARAB-SUMMIT, box 1844, Cairo to the Secretary of State, March 27, 1967; 1967–1969, POL Arab-Jordan, box 1844: Amman to Department of State, April 19, 1967. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 101.

38. Ephraim Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama: Milhemet Sheshet ha-Yamim be-Eynei ha-Yardenim* (Tel Aviv: Ma'arakhot, Misrad ha-Bitahon, 1974). Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 86. Hussein of Jordan, *My "War" with Israel*, pp. 38–39. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 435–36. Amman broadcast in BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, No. 86, B1 –17.

39. PRO, FCO 17/576: Israel – Defense Attaché, Annexure 1, June 12, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy



Notes to Pages 49–53

and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 5–6. UN, DAG 13 3.4.0, box 84: Syrian Complaint 7863, April 28, 1967; Israeli Complaint 7880, May 11, 1967.

40. Harman quote in LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 8–9. Eban quote from Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 97. A similar statement was made by Gideon Rafael, Israel's UN ambassador, to the Security Council. See Parker, *The Politics of Miscalculation*, p. 41.

41. Prittie, *Eshkol*, pp. 105, 183. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 140–42. Weizman, *On Eagles' Wings*, pp. 190–91. NAC, RG 25 10082: 20-ISR-9: Visit of Prime Minister Eshkol to Canada, Jan. 15–26, 1968. Oral history interview with Miriam Eshkol, Aug. 30, 1999. See also the essays by Yoav Gelber in http://research.haifa.ac.il/%7Eeshkol/index.html (Levi Eshkol homepage).

42. Robert Slater, *Rabin of Israel: A Biography* (London: Robson Books, 1993), pp. 108–16. Dan Kurzman, *Soldier of Peace: The Life of Yitzhak Rabin* (New York: HarperCollins, 1998), pp. 1–32. Rabin, *The Rabin Memoirs*, p. 61.

43. Michael Brecher, *Decisions in Crisis* (Berkeley: University of California Press, 1980), p. 36. Semyonov quotes in Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 87. Parker, *The Politics of Miscalculation*, p. 11.

44. ISA, 3975/15, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with the United States: Harman to Bitan, March 1, 1967; Bitan to Harman, March 6, 1967; Argov to Harman, March 19, 1967. LBJ, National Security file, Middle East, Israel box 140, 141: US Attitudes Toward Military Aid to IS, April 20, 1967; Tel Aviv to Department of State, January 17, 1967 (Barbour quote).

45. *U.S. News & World Report* 62, no. 16 (April 17, 1967), pp. 75–77. Prittie, *Eshkol*, p. 249. Al-Atassi quote from BBC, Daily Report No. 214, G3.

46. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 6–7. Arthur Lall, *The UN and the Middle East Crisis, 1967* (New York: Columbia University Press, 1968), pp. 3–4. Gideon Rafael, *Destination Peace: Three Decades of Israeli Foreign Policy* (New York: Stein and Day, 1981), p. 136. Brian Urquhart, *A Life in Peace and War* (New York: Harper & Row, 1987), p. 20. Tomeh quote in Menachem Mansoor, *Arab World: Political and Diplomatic History, 1900–1967: A Chronological Study* (NCR, Microcard Editors, n.d.), entry for May 13, 1967. See also Yost, "How It Began," pp. 306–7. Rikhye, *Sinai Blunder*, p. 11.

47. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Tel Aviv to the Secretary of State, May 12, 1967. Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, pp. 98–101. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 146–47. *Middle East Record* 3, p. 187. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 15–18. Parker, *The Six Day War*, pp. 31–32, 69. Weizman, *On Eagles' Wings*, p. 208.

48. PRO, FO17/666, Syria – Political Affairs: Damascus to Foreign Office, May 14, 1967. ISA, Foreign Ministry files, 3975/17, Bilateral Relations with the U.S.: Harman to Foreign Ministry, May 12, 1967; 7920/4, Levi Eshkol Papers, Prime Minister's Reports and Surveys: Eshkol's Reports to the Ministerial Defense Committee, May 18, 1967. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, p. 17. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 147. Seale, *Asad of Syria*, p. 115. Rikhye, *Sinai Blunder*, p. 10. Al-Atassi quote from Mansoor, *Arab World*, entry for May 13, 1967. Makhous quotes from LBJ,



Notes to Pages 53–55

National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: The President in the Middle East Crisis, Dec. 19, 1968, and Damascus to the Secretary of State, May 20, 1967.

49. UN, DAG 13/3.4.0, box 84: HJKIMAC, El-Farra to the Secretary General, Feb. 6, 1967; Comay to Secretary General, Feb. 10, 1967; Bull to Sasson, May 15, 1967. LBJ, National Security file, Middle East, Israel box 140, 141. Katzenbach to the President, May 2, 1967. NAC, RG 25, box 10050: Political Affairs – Canada's Foreign Policy Trends and Relations – Israel: Israel's Independence Day Parade, May 15, 1967. ISA, 3977/22, Diplomatic Relations with the United States: Bitan to Evron, April 16, 1967. Teddy Kollek, *For Jerusalem* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1978), pp. 187–88. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 118–19, 145–46. Rikhye, *Sinai Blunder*, p. 13. Bull, *War and Peace in the Middle East*, p. 70. U Thant, *View from the UN* (New York: Doubleday, 1978), pp. 218–19.

50. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 442–44. El-Sadat, *In Search of Identity*, pp. 171–72. Prediction of the U.S. embassy in USNA, Central Policy files, 1967–1969, POL 2 UAR, box 2553: Cairo to the Department of State, April 29, 1967; POL ARAB-ISR, box 9: Paris to the Secretary of State, May 23, 1967. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 20: Davis to Rostow, June 2, 1967. On the Soviet interpretation of the absence of tanks and cannons from the Jerusalem parade, see ISA, 4078, Foreign Ministry files, Contacts with the United States with the Entry of Egyptian Forces into Tiran, Evron to Foreign Ministry, May 15, 1967, and USNA, POL ARAB-ISR, box 9: Paris to Teheran, May 15, 1967. Podgorny quotes from Dayan, *My Life*, pp. 309–10 and Heikal, *Al-Infijar*, pp. 445–46.

51. A minor literature has grown up around the reasons for the Soviets' warning to Sadat. See Michael Bar-Zohar, *Embassies in Crisis: Diplomats and Demagogues Behind the Six Day War* (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1970), p. 2. Ali Abdel Rahman Rahmi, *Egyptian Policy in the Arab World: Intervention in Yemen 1962–1967: A Case Study* (Washington D.C.: University Press of America, 1983), pp. 232–35. Nadav Safran, *From War to War: The Arab-Israel Confrontation, 1948–1967* (New York, 1969), pp. 267–77. Anthony Nutting, *Nasser* (New York: Dutton, 1972), pp. 397–98. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 18–19, 156–57. Parker, *The Six Day War*, pp. 35–41, 48–49, 70–73. Parker, "The June 1967 War: Some Mysteries Explored," p. 181. Ritchie Ovendale, *The Origins of the Arab-Israeli Wars* (London: Longman, 1984), p. 178. W. W. Rostow, *The Diffusion of Power: An Essay in Recent History* (New York: Macmillan, 1972), p. 257. Seale, *Asad of Syria*, p. 129. Govrin, *Israeli-Soviet Relations*, pp. 308–9. Ben Tzur, *Gormim Sovietim u-Milhemet Sheshet ha-Yamim*, p. 167. Ilan Asia, *Tismonet Dayan: Arba Milhamot ve-Shalom Ehad—ha-Roved ha-Nistar* (Tel Aviv: Yediot Ahronot, 1995), p. 129. Oral history interviews with Vadim Kirpitchenko, Dec. 25, 2000, and Carin Brutenz, Jan. 21, 2001.

52. A similar interpretation of Soviet decision-making was posited by State Department Middle East expert Harold Saunders shortly after the war: "The Soviet advice to the Syrians [*sic*] that the Israelis were planning an attack was not far off, although they seem to have exaggerated the magnitude. The Israelis probably were planning an attack—but not an invasion." From LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17, Saunders to Bundy, June 16, 1967. See also Meir Amit, "Ha-Derekh le-Sheshet ha-Yamim—Sheshet ha-Yamim be-Re'i le-Ahor," *Ma'arakhot* 325 (June–July 1992). ISA, 4083/3, Foreign Ministry files, Contacts with the USSR – Closure of Tiran: Bonn to Foreign Ministry, June 14, 1967; Levanon to Foreign Ministry,

Notes to Pages 55–58

June 23, 1967. "Ideological myopia" from PRO, FCO/39/263, UAR – Relations with the USSR: Mr. Gromyko's Visit to Cairo, April 1, 1967; FCO17/498: Israel -Political Affairs: The Middle East Crisis (Morris), October 23, 1967 ("ideological myopia"). LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 18: Paris to the Secretary of State, May 23, 1967. Solomon M. Shvarts, *Sovetskii Soiuz I Arabo-Izrailskaia Voina 1967* (New York: Amerikanskii Evreiskii Rabochii Komitet, 1969), pp. 24–26.

53. Shukri Dhabbah, *Wa-Madha Ba'du?* (Cairo: Dar al-Quds, n.d.), pp. 18–24. Eric Rouleau, Jean-Francis Held, Jean and Simone Lacouture, *Israel et les Arabes le 3e Combat* (Paris: Editions du Seuil, 1967), p. 54. Ivan Prokhorovitch Dediulia, "Na Zemle Obetovannoy," *Nezavisimoe Veonnoe Obozrenie*, no. 20 (1998). Syrian claim in Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 109–10. Parker, *The Six Day War*, pp. 2, 42. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, p. 5. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 448–51.

54. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 444–47 ISA, 4078, Foreign Ministry files, Contacts with the United States with the Entry of Egyptian Forces into Tiran, Evron to Foreign Ministry, May 15, 1967.

55. 'Abd al-Muhsin Kamil Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq* (Cairo: Dar al-Watan al-'Arabi, 1976), pp. 27–29, 45–46. Sabr Abu Nidal, *Ma'rakat al-Khamis min Haziran: Awwal Dirasa 'Arabiyya 'Askariyya Shamila lil-Hazima* (Cairo: Al-Mu'assasa al-'Arabiyya lil-Dirasa wal-Nashr, 1971), pp. 26–38. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 53–66, 117–18. Abu Dhikri, *Madhbabat al-Abriya'*, pp. 111–23. Ramadan, *Tahtim al-Aliha*, pp. 79–80. Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 208–9. Rikhye, *Sinai Blunder*, p. 147. PRO, FCO 39/233 UAR Internal Political Situation: Cairo to Foreign Office, May 23, 1967. 'Abd al-Mun'im Khalil quote in Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya* 2.

56. LBJ, National Security file, Country file, Middle East-UAR, box 161: Lunch with Ambassador Kamel, Jan. 17, 1967; Memos to the President (W. Rostow), box 16; Rostow to the President, Feb. 14, 1967. Nasser speech in BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, No. 93, B2.

57. Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 90, 231. 'Amer quote from Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 96. Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 64. Parker, *The Six Day War*, pp. 41–42. Rikhye oral history, Feb. 22, 2000. PRO, FCO 39/233 UAR Internal Political Situation: Cairo to Foreign Office, Jan. 9, 1967.

58. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 448–51. Seale, *Asad of Syria*, pp. 129–30. Robert Stephens, *Nasser: A Political Biography* (London: Penguin, 1971), pp. 470–71. ISA, 6444/4 North America, Telegrams from Foreign Ministry to Embassies, May 19, 1967.

59. 'Abdallah Imam, *'Abd al-Nasir—Kayfa Hakama Misr* (Cairo: Madbuli al-Saghir, 1966), pp. 358–60. 'Abdallah Imam, *'Ali Sabri Yatadhakkar: Bi-Saraha 'an al-Sadat* (Cairo: Dar al-Khayyal, 1997), pp. 122–23, 140. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 36–39, 40, 52–54. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 818–22. Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, pp. 159–61. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 33–45, 52–54. Imam, *Nasir wa-'Amer*, pp. 5–13, 39–41, 67–86. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 818–22. Parker, *The Six Day War*, p. 45. Parker, "The June 1967 War: Some Mysteries Explored," p. 194.

60. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 69–70. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 458–59. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, pp. 49–53. Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 51–52. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 61–63.

61. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 458–59. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 63–64. Description of Fawzi in PRO, FO 39/250: Middle East Crisis: UAR



Attitude Eastern Department Minute, June 23, 1967. In a letter to U.S. Ambassador Arthur Goldberg on May 31, U Thant revealed that he had previously indicated to the Egyptians his recognition of their right to disband UNEF: "In discussion with the Foreign Ministers and Permanent Representatives of the United Arab Republic in the years I have been Secretary-General the subject of the continued presence of the UNEF occasionally came up . . . In the course of these talks, I found that the United Arab Republic took it for granted that if the UAR officially requested withdrawal of the Force, the request would be honoured by the Secretary-General. I had thus given thought to the matter. When, therefore, the request for withdrawal of the Force came, the decision in principle that would have to be taken and the procedure to be followed were perfectly clear to me." See UN, S-0316 box 8, file 8: UNEF-Withdrawals, Correspondence with the United States: U Thant to Goldberg, May 31, 1967. On Egyptian contacts with India and Yugoslavia, see LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 20: Intelligence Information Cable, June 1, 1967.

62. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, pp. 65–66. Al-Baghdadi, *Mudhakkirat*, p. 174. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: The President in the Middle East Crisis, Dec. 19, 1968. Qadi quote in Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askariyya al-Misriyya 1*, p. 7. BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, No. 95, B1, B4. 'Amer orders in Heikal, *Al-Infijar*, pp. 452–54. The testimony of Muhammad Ahmad Khamis appears in Darraz, *Dubbat Yunyu Yatakallamun*, pp. 69–75.

63. Al-Hadidi, *Shahid 'ala Harb 67*, p. 112. Ramadan, *Tahtim al-Aliha*, pp. 41–42. PRO, FCO 39/233 UAR Internal Political Situation: Cairo to Foreign Office, May 13, 1967. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 69–71. Rikhye, *Sinai Blunder*, p. 159. Parker, *The Six Day War*, pp. 43–44. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, p. 92. Mohamed H. Heikal, *The Sphinx and the Commissar: The Rise and Fall of Soviet Influence in the Middle East* (London: Collins, 1978), p. 175. Asia, *Tismonet Dayan*, p. 127. Sabri quote from Imam, *'Ali Sabri Yatadhakkar*, p. 97. Fawzi quote from Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 51–52.

64. ISA, 3977/22, Foreign Ministry files, Relations with the United States: Conversation with Ambassador Chuvakhin, May 13, 1967. Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 98. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 8–9; 248, ft 13. Oral history interview with Arye Levavi, March 4, 1999.

65. ISA, 3977/20, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with the United States, Evron to Gazit, Dec. 12, 1966; 3975/15, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with the United States: Conversation with Bergus, Feb. 16, 1967. NAC, RG 25, box 10050: Political Affairs – Canada's Foreign Policy Trends and Relations – Israel: New York to Ottawa, Sept. 22, 1967. Parker, *The Six Day War*, p. 128. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 147. Eban, *Personal Witness*, p. 380. Baron, *Hotam Ishi*, p.17.

66. Prittie, Eshkol, pp. 70–71. MPA, Party Secretariat Protocols, 2/24/66/88: Dec. 15, 1966.

The Crisis

1. ISA, 4078/4 Foreign Ministry files, Contacts with the United States on the Entry of Egyptian Forces to the Sinai: Harman Conversation with Rostow, May 15, 1967. Oral history interview with Col. Shlomo Merom, Dec. 7, 1999. Nasser quote from Slater, *Rabin of Israel*, p. 79. Rabin quote from Rabin, *Memoirs*, p. 68. Eshkol quote from oral history interview with Miriam Eshkol, Aug. 30, 1999. See also Parker,

Notes to Pages 62–65

The Six Day War, p. 137. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 147–50. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 99–103. Slater, *Rabin of Israel*, pp. 88–120. Abraham Rabinovich, *The Battle for Jerusalem, June 5–7, 1967* (Philadephia: Jewish Publication Society of America, 1972), p. 5. Shlomo Nakdimon, *Likrat Sh'at ha-Efes* (Tel Aviv: Ramdor Press, 1968), pp. 17–18. Weizman, *On Eagles' Wings*, p. 208.

2. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Department of State to Cairo, May 15, 1967. Appeal to U Thant in Yost, "How It Began," p. 309 and in Rafael, *Destination Peace*, pp. 136–37. Harman's message to Nasser in LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 11–12. Amit, *Rosh be-Rosh*, pp. 226–27. ISA, 3977/20, Foreign Ministry files, Relations with the United States: Eban to Washington, London, Paris, May 15, 1967; 6444/4 North America, Telegrams: Foreign Ministry to Embassies, May 19, 1967; 7920/1, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams: Eban to Rafael, May 17, 1967.

3. ISA, 4078/8 U.S. Reactions to the Closing of the Straits, Eban to Harman, May 16, 1967. Rabin, *Memoirs*, pp. 68–70. Slater, *Rabin of Israel*, p. 123. Cairo Radio quote from Mansoor, *Arab World*, entry for May 16. Nasser quote from BBC, Daily Report, The Middle East and Africa, ME/2467/A/2.

4. IDF, 710/70 General Staff Discussion: May 17, 1967. Trevor N. Dupuy, *Elusive Victory: The Arab-Israeli Wars, 1947–1974* (New York: Harper & Row, 1978), p. 239. Van Creveld, *The Sword and the Olive*, p. 179. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 150–51. Rabin, *Memoirs*, p. 70. On the PLA in Gaza, see Abu Murshid, Butrus, and Jabber *Silsilat al-Kitab al-Sanawi lil-Qadiyya al-Filastiniyya*, pp. 115–16. See also, interview with Gen. Sidqi al-Ghul, commander of the 4th Division, in *al-Ra'i al-'Am*, June 2, 1987.

5. IDF, 710/70 General Staff Discussion: May 17, 1967; 1977/1786: The Regular Paratrooper Brigade in the Six-Day War, Commander 35th Brigade, p. 619. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 151. Radio Cairo quote from U Thant, *View from the UN*, p. 219. Syrian quote from Menachem Mansoor, *Arab World: Political and Diplomatic History*, entry for May 16.

6. USNA Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 12 SY, box 2511: Damascus to Department of State, May 18, 1967. PRO, FO17/666, Syria – Political Affairs: Damascus to Foreign Office, April 29, 1967 ; FCO 17/665 Syria – Political Affairs: Damascus to Foreign Office, May 15, 1967. George W. Gawrych, *The Albatross of Decisive Victory*, p. 13. Fred H. Lawson, *Why Syria Goes to War: Thirty Years of Confrontation* (Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1996), p. 48–50. Patrick Seale, *Asad of Syria: The Struggle for the Middle East*, p. 115.

7. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 71–72. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, p. 64. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 14, 44. Muhammad 'Abd al-Ghani al-Gamasi, *Mudhakkirat al-Gamasi* (Paris: Al-Manshura al-Sharqiyya, 1990), p. 19. Ramadan, *Tahtim al-Aliha*, p. 41. Sadiq quote in al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askariyya al-Misriyya 4*, pp. 20–21. IDF, 710/70 General Staff Discussion: May 19, 1967. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askariyya al-Misriyya 1*, p. 7. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, p. 21. Fawzi quote from testimony of Mahmud Sidqi Mahmud in Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, p. 110. Bull quote appears in Bull, *War and Peace in the Middle East*, p. 104.

8. USNA, Subject-Numeric files, POL ARAB-ISR, box 1789: London to Washington, May 27, 1967. Heikal, *Al-Infijar*, p. 518. Stephens, *Nasser*, pp. 467–68.



9. Fawzi quote in *Harb al-Thalath Sanawat*, p. 72. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, p. 64. 'Amer quote in Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, p. 165. Gawrych, *The Albatross of Decisive Victory*, pp. 13–19. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 458–59. Abu Dhikri, *Madhbahat al-Abriya'*, pp. 173–78. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 92–93. USNA, POL ARAB-IS, box 9: Cairo to the Secretary of State, May 17, 1967.

10. Heikal, *Al-Infijar*, p. 829. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 48–50. Al-Hadidi, *Shahid 'ala Harb* 67, pp. 85–86. Imam, *'Abd al-Nasir—Kayfa Hakama Misr*, p. 363. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 1*, pp. 15–17. Fawzi quote on p. 18. S. A. El Edroos, *The Hashemite Arab Army, 1908–1979: An Appreciation and Analysis of Military Operations* (Amman: Publishing Committee, 1980), p. 359. O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, pp. 94–95. IDF, 192/74, file 1348: The Battle for the Southern Front, p. 3.

11. PRO FCO17/576: Israel – Defense: Report of Defense Attaché, July 13, 1967. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, pp. 65–68, 121. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 103–4. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 1*, pp. 15–16. Dupuy, *Elusive Victory*, p. 241. Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 116. Parker, "The June 1967 War: Some Mysteries Explored," p. 187.

12. Orders relating to Operation Lion later fell into Israeli hands. They were reproduced in "Hail ha-Avir ba-Milhama," *Bit'on Hail ha-Avir* 3, no. 74/75 (Dec. 1967). Hisham Mustafa Husayn quote in Darraz, *Dubbat Yunyu Yatakallamun*, pp. 23–33. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 1*, p. 23. Muhammad 'Awda and 'Abdallah Imam, *Al-Naksa—Man al-Mas'ul?* (Cairo: Ruz al-Yusuf, 1985), p. 79.

13. Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 167–68. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, pp. 65–68 (including 'Amer quote). Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 10* (testimony of 'Abd al-Mun'im Khalil), p. 8. Heikal article cited in Asia, *Tismonet Dayan*, p. 139. Ramadan, *Tahtim al-Aliha*, pp. 51–54. See also interview with 'Abd al-Muhsin Murtagi in *Akher Sa'a*, July 5, 1974.

14. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 457–77. Text of Fawzi's letter to Rikhye appears in UN, S 0316-box 9, file 2: UNEF Withdrawals, Exchange with UAR, Aide-Mémoire, U Thant to UAR, May 17, 1967, and in Rikhye, *Sinai Blunder*, p. 16. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, p. 68. See also Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 69–71. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, p. 18.

15. Urquhart, *A Life in Peace and War*, pp. 136–37, 193–94.

16. UN, S-0316 box 8, file 8: UNEF-Withdrawals, Correspondence with the United States: U Thant to Goldberg, May 31, 1967. Samir N. Anabtawi, "The United Nations and the Middle East Conflict of 1967," *The Arab World* 14 (1968). Oral history interview with Indar Jit Rikhye, Feb. 22, 2000. Quote from Lall, *The UN and the Middle East Crisis*, pp. 12–13. Bull, *War and Peace in the Middle East*, p. 96.

17. Rikhye, *Sinai Blunder*, pp. 13–21. UN, S 0316-box 9, file 2: UNEF Withdrawals, Exchange with UAR, Aide-Mémoire, U Thant to UAR, May 17, 1967. ISA, Foreign Ministry files, 4085/2: Emergency Force, Amir to Rafael, May 17, 1967. Oral history interview with Indar Jit Rikhye, Feb. 22, 2000.

18. UN, S 0316-box 9, file 2: UNEF Withdrawals, Exchange with UAR, Aide-Mémoire, U Thant to UAR, May 17, 1967. Bull, *War and Peace in the Middle East*, p. 96. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 21: USUN to the Secretary of State, May 18, 1967 (Bunche quote). Yost, "How It Began," pp. 311–12. Rikhye, *Sinai Blunder*, pp. 21–22. Urquhart, *A Life in Peace and War*, p. 209.

Notes to Pages 70–74

U Thant, *View from the UN*, pp. 221–22. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 468–77. Parker, *Six Day War*, p. 86; Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, p. 45. George Tomeh oral history, Nov. 17, 1999.

19. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 12–13. UN, S 0316-box 9, file 2: UNEF Withdrawals, Exchange with UAR, Aide-Mémoire, U Thant to UAR, May 17, 1967. ISA, 4085/2, Foreign Ministry files, Emergency Force: Rafael to Foreign Ministry, May 17, 1967. Yost, "How It Began," p. 312. Rikhye, *Sinai Blunder*, p. 25. Parker, *Six Day War*, pp. 86–89. Rostow, *The Diffusion of Power*, pp. 256–57.

20. UN, S-0316 box 8, file 8: UNEF-Withdrawals, Correspondence with the United States: U Thant to Goldberg, May 31, 1967 (U Thant quote); box 8, file 12: UNEF Withdrawals, Legal Matters: C. A. Stavropoulos, Under-Secretary for Legal Counsel, to U Thant, May 17, 1967. PRO, PREM 13 1617, The Middle East Crisis: Caradon to Foreign Ministry (Conversation with U Thant), May 22, 1967; FCO17/498: Israel – Political Affairs: Record of Meeting, Harold Wilson and U Thant, June 3, 1967.

21. UN, S 0316 box 8, file 11: Verbatim Record of the Meeting of the UNEF Advisory Committee, May 17, 1967. PRO FCO17/498: Israel – Political Affairs: Record of Meeting, Harold Wilson and U Thant, June 3, 1967. Rikhye, *Sinai Blunder*, pp. 26, 54–55, 169. U Thant, *View from the UN*, pp. 222–23. Yost, "How It Began," p. 312.

22. George Tomeh oral history, Nov. 17, 1999. Urquhart, *A Life in Peace and War*, pp. 190–91. LBJ, oral histories, Eugenie Moore Anderson, p. 30.

23. UN, S-0316 box 8, file 8: UNEF-Withdrawals, Correspondence with the United States: U Thant to Goldberg, May 31, 1967. Indar Jit Rikhye oral history, Feb. 22, 2000. NAC, RG 25, box 10050: Political Affairs – Canada's Foreign Policy Trends and Relations – Israel: New York to Ottawa, Sept. 22, 1967.

24. ISA, Foreign Ministry files, 4085/2: Emergency Force: Rafael to Foreign Ministry, May 18, 1967; 7920/1, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams: Rafael to Eban, May 22, 1967. PRO FCO17/498: Israel – Political Affairs: Washington to Foreign Office, June 3, 1967. Rafael, *Destination Peace*, pp. 139–40. U Thant, *View from the UN*, p. 222. Eban, *Personal Witness*, p. 359.

25. Rikhye, *Sinai Blunder*, pp. 32–38. U Thant, *View from the UN*, pp. 222–23.

26. In an angry letter to the *New York Times* on June 11, 1967, Bunche wrote that there was "not a shred of truth" in Nasser's claim that he wanted UNEF retained in Gaza and Sharm al-Sheikh. A similar interpretation of Nasser's thinking during this time was presented by Ambassador Charles Yost to Dr. Ya'akov Herzog of the Israel Foreign Ministry. See ISA, Prime Minister's Office, 7854/6a: Conversation Between Ambassador Charles Yost and Dr. Herzog, July 7, 1969. See also Heikal, *Al-Infijar*, pp. 474–77. Rikhye, *Sinai Blunder*, p. 165. Parker, *Six Day War*, pp. 88–99. UN, S-0316, UNEF-Withdrawals/UN Missions-EIMAC, box 9: Riad to U Thant, May 18, 1967.

27. UN, S 0316-box 9, file 2: UNEF Withdrawals, Exchange with UAR: Riad to U Thant, May 18, 1967; U Thant to Riad, May 18, 1967. Urquhart, *A Life in Peace and War*, p. 210. U Thant, *View from the UN*, pp. 222–23. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 474–77.

28. UN, S-0316, UNEF-Withdrawals/UN Missions-EIMAC, box 9: Bull to Bunche, May 19, 1967; Bunche to Rikhye, May 20, 1967. Rikhye, *Sinai Blunder*, pp. 40–45. Indar Jit Rikhye oral history, Feb. 22, 2000. Parker, *Six Day War*, p. 75. Parker, "The June 1967 War: Some Mysteries Explored," pp. 189–90.



Notes to Pages 75–78

29. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, p. 14; NSC Histories, Middle East Crisis, box 21: USUN to the Secretary of State, May 18, 1967. U Thant's reports and comments on them in U Thant, *View from the UN*, pp. 227–30. ISA, Foreign Ministry files, 4085/2: Emergency Force, Rafael to Foreign Ministry, May 19, 1967. Rafael, *Destination Peace*, p. 140. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, p. 71. Urquhart, *A Life in Peace and War*, p. 210. Eban, *Personal Witness*, p. 360. U Thant's reliance on horoscopes from Indar Jit Rikhye oral history, Feb. 22, 2000.

30. FRUS, XVIII, 29–30 (Nasser quote on Dimona), pp. 73–74, 158, 690. Yariv, *Ha'arakha Zehira*, pp. 159–61. Cohen, *Israel and the Bomb*, pp. 259–76. Several respectable authors have posited that Nasser sought to precipitate a conventional showdown with Israel before it could develop non-conventional weapons. My own research, based on dozens of Arabic sources, has shown no evidence whatsoever to support the theory. See Shlomo Aronson with Oded Brosh, *The Politics and Strategy of Nuclear Weapons in the Middle East: Opacity, Theory, and Reality, 1960–1991: An Israeli Perspective* (Albany: State University of New York Press, 1992), pp. 109–18. Hersh, *The Samson Option*, p. 138.

31. ISA, 4085/2, Foreign Ministry files, Emergency Force: Elitzur to Rangoon, May 26, 1967. IDF, 710/70, Gen. Yariv's Briefing to the General Staff, May 19, 1967. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 34–36. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Tel Aviv to the Secretary of State, May 19, 1967. Yariv, *Ha'arakha Zehira*, pp. 37–40, 162–63. Rabin, *Memoirs*, p. 71. Oral history interview with Col. Shlomo Merom, Dec. 7, 1999. PRO FCO17/498: Israel – Political Affairs: Tel Aviv to Foreign Office, Conversation with Gen. Yariv, June 1, 1967.

32. ISA, 7920/4, Levi Eshkol Papers, Prime Minister's Reports and Surveys: Eshkol's Reports to the Ministerial Defense Committee, May 18, 1967; 4087/6, Foreign Ministry files, Emergency Appeal: Eshkol to Harman, May 17, 1967. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 153 (Eshkol quote). Rabin, *Memoirs*, pp. 70–71. Kimche and Bawly, *The Sandstorm*, p. 136.

33. ISA, 4078/4 Foreign Ministry files, Contacts with the United States on the Entry of Egyptian Forces to the Sinai: Harman Conversation with Rostow, May 17, 1967. Johnson letter to Eshkol in LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, p. 13. On Israel's fears of UN pressure on UNEF, see ISA, Foreign Ministry files, 4085/2: Emergency Force: Rafael to Tekoah, May 21, 1967; 4086/5, Foreign Ministry files, Security Council Meetings: Rafael to Eban, May 19, 1967. See also Eban, *Personal Witness*, pp. 36–42. Lyndon Baines Johnson, *The Vantage Point: Perspectives of the Presidency, 1963–1969* (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1971), p. 290. William B. Quandt, *Peace Process: American Diplomacy and the Arab-Israeli Conflict since 1967* (Washington, D.C.: The Brookings Institute, 1993), p. 28.

34. ISA, 4078/4 Foreign Ministry files, Contacts with the United States on the Entry of Egyptian Forces to Sinai: Eshkol to Johnson, May 18, 1967; 6444/6 North America, Telegrams, Ministry to Embassies, May 21, 1967; 7919/1, Levi Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Harman to Eban, May 20, 1967 (Harman quote). LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17: W. Rostow, For the Record, May 16, 1967; Memorandum for the Record (Saunders), May 19, 1967; box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10,

1967, pp. 20–21 (Rusk quote); NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Summary of Arab-Israel Developments, Night of May 19–20, 1967; Tel Aviv to the Secretary of State, May 21, 1967 (Eban quote). It is not known whether the U.S. granted Israel's request for intelligence regarding the disposition of Jordanian troops. Ambassador Burns strongly recommended against fulfilling it. See USNA, POL ARAB-ISR, box 9: Amman to the Secretary of State, May 25, 1967.

35. ISA, 4084/2, Foreign Ministry files, Relations with France: Eshkol to De Gaulle, May 19, 1967; 4091/23, Exchange of Messages Before the War: Eban to Couve de Murville, May 19, 1967: Eban to Brown, May 19, 1967; 4080/5, Contacts with Great Britain: London to Foreign Ministry, May 18, 1967; 7920/2, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams, USSR: Conversation with the Soviet Ambassador, May 19, 1967. PREM 13 1617, The Middle East Crisis: Record of Conversation between the Foreign Secretary and the Israeli Ambassador, May 19, 1967. Chuvakhin quote from LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 20–21, and from ISA, 4078/4 Foreign Ministry files, Contacts with the United States on the Entry of Egyptian Forces to the Sinai: Eban to Harman, May 19, 1967. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 154. Dagan, *Moscow and Jerusalem*, pp. 211–12.

36. Mansoor, *Arab World*, entries for May 18, 19, 20, 21, 1967. Other references to al-Assad quotes appear in *al-Thawra*, May 20, 1967, and George Khouri, ed., *Al-Watha'iq al-Filastiniyya al-'Arabiyya li-'Am 1967* (Beirut: Mu'assasat al-Dirasa al-Filastiniyya, 1969), pp. 177–79. Makhous quotes in *al-Ba'th*, May 18, 1967, and Draper, *Israel & World Politics*, p. 60. Deportation of Saudi diplomats in USNA Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 12 SY, box 2511: Jidda to the Department of State, May 10, 1967. Hussein quote from *My "War" with Israel*, p. 34. Jordanian quote from Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 88–89, and BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, No. A1. *Al-Zaman* quote in LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Beirut to the Secretary of State, May 19, 1967. See also Husayn Mustafa, *Harb Haziran 1967: Awwal Dirasa 'Askariyya min Wujhat al-Nazar al-'Arabiyya 2: al-Jabba al-Sharqiyya* (Beirut: Al-Mu'assasa al-'Arabiyya lil-Dirasa wal-Nashr, 1973), pp. 276–79.

37. Rabin quotes from IDF, 710/70 General Staff Discussion: May 19, 1967; Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 155. Slater, *Rabin of Israel*, p. 127. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 39–40. Oral history interview with Mordechai Gazit, Feb. 4, 1999. See also Rabin, *The Rabin Memoirs*, p. 72.

38. BGA, Diary, Entry for May 22, 1967. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Tel Aviv to the Secretary of State, May 21, 1967 (Eban quote). Rabin, *The Rabin Memoirs*, pp. 73–75. Kurzman, *Soldier of Peace*, pp. 208–9. Slater, *Rabin of Israel*, pp. 126–27. Oral history interview with Miriam Eshkol, Aug. 30, 1999. Eban, *Personal Witness*, pp. 364–65.

39. Dayan, *My Life*, pp. 317–18. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 42–43. Dayan quotes from Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 66. Shimon Peres, *Battling for Peace: Memoirs* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1995) p. 89. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 152. Kurzman, *Soldier of Peace*, pp. 208–9

40. ISA, 4088/11 the Entry into Sinai of Egyptian Troops and the Closure of the Tiran Straits, Report of Research Branch, May 22, 1967; 7920/4, Levi Eshkol Papers, Prime Minister's Reports and Surveys: Censorship of Information Regarding Ships



Notes to Pages 82–86

Passing Through the Straits of Tiran, May 21, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 27–28. ISA, 6444/5 North America, telegrams: Foreign Ministry to Embassies May 31, 1967. Rabin, *Memoirs*, p. 72. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 155, 161–62 (Eshkol Cabinet quotes). Amit quote from Asia, *Tismonet Dayan*, p. 127. Eshkol Knesset quote from Henry M. Christman, ed., *The State Papers of Levi Eshkol* (New York: Funk & Wagnalls, 1969), p. 88. Israel message to Nasser in Parker, *The Six Day War*, p. 281. See also Prittie, *Eshkol*, p. 88.

41. PRO FCO17/498: Israel – Political Affairs, the Middle East Crisis, October 23, 1967.

42. PRO, FO 17/489, Israel – Political Affairs: Foreign Office to Amman, June 2, 1967. ISA, Foreign Ministry files, 3998/5: Gen. Rabin Conversation with the Shah, April 16, 1967. Heikal, *Al-Infijar*, p. 333. P. J. Vatikiotis, *The History of Egypt: From Muhammad Ali to Sadat* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1980), p. 313. Randolph S. Churchill and Winston S. Churchill, *The Six Day War* (London: Heinemann Books, 1967), pp. 42–43. Rosemary Higgins, *United Nations Peace-Keeping, 1946–67* (Oxford: Oxford University Press, 1969), pp. 241–415.

43. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 80–82. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, p. 67. El-Sadat, *In Search of Identity*, p. 172. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 514–19. Dhabbah, *Wa-Madha Ba'du?*, pp. 18–24. Abdel Magid Farid, *Nasser: The Final Years* (Reading, U.K.: Ithaca Press, 1994), p. 73. Al-Baghdadi, *Mudhakkirat*, pp. 266–67. Ramadan, *Tahtim al-Aliha*, pp. 55–56. See also L. Carl Brown, "Nasser and the June 1967 War: Plan or Improvisation?" in S. Seikaly, R. Baalbaki and P. Dodd, eds., *Quest for Understanding: Arabic and Islamic Studies in Memory of Malcolm Kerr* (Beirut: American University of Beirut, 1991), p. 127. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, p. 72.

44. The Bir Gafgafa speech appears in many sources. See, for example, Stephens, *Nasser*, p. 473; U Thant, *View from the UN*, p. 232; and Heikal, *Al-Infijar*, p. 518. Cairo Radio quote from Tim Hewat, ed., *War File: The Voices of the Israelis, Arabs, British and Americans, in the Arab-Israeli War of 1967* (London: Panter Books, 1967), p. 31. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askariyya al-Misriyya 1*, p. 24; *5*, p. 16. Muhammad 'Abd al-Hafiz's testimony appears in Darraz, *Dubbat Yunyu Yatakallamun*, pp. 135–46. 'Amer's order in Heikal, *Al-Infijar*, p. 518.

45. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 43–44. Hussein quotes from PRO, PREM 13 1617, The Middle East Crisis: Amman to Foreign Office, May 23, 1967, and Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, p. 203. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 104–5.

46. Records of U Thant's discussions in Cairo appear in UN, DAG1/5.2.2.1.2.-1: Memoranda by Maj. Gen. Rikhye, May 24, 1967, and in PRO, FCO17/498: Israel–Political Affairs: Record of Meeting, Harold Wilson and U Thant, Washington to Foreign Office, June 3, 1967. Secondary sources on the talks appear in Imam, *'Abd al-Nasir—Kayfa Hakama Misr*, p. 365. Rikhye, *Sinai Blunder*, pp. 66–77. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 231–33. U Thant, *View from the UN*, pp. 235–38. See also Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, p. 20. Dhabbah, *Wa-Madha Ba'du?*, pp. 39–44. Eban, *Personal Witness*, p. 365. Chants of demonstrators at Cairo airport in Mansoor, *Arab World*, entries for May 23 and May 24, 1967. Rikhye quote from oral history interview with Indar Jit Rikhye, Feb. 22, 2000.

Notes to Pages 86–93

47. Rabin, *Memoirs*, p. 83. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 164–65.

48. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 164–65. Rabin, *Memoirs*, pp. 77–78.

49. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 26–34; box 17: May 23, 1967; Memorandum for the President, May 24, 1967 (Rostow quote): Department of State to Tel Aviv, May 23, 1967. ISA, 5937/30: Secret Memoranda Prior to the Six-Day War: Johnson Message to Eshkol, May 22, 1967; 4086/5, Foreign Ministry files, Security Council Meetings, Rafael to Tekoah, May 23, 1967; 7919/1, Levi Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Evron to Bitan, May 21, 1967. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 165. Eugene V. Rostow, *Peace in the Balance: The Future of American Foreign Policy* (New York: Simon & Schuster, 1972), pp. 259–60.

50. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 159, 166–69. Eban, *Personal Witness*, pp. 363–70. Eshkol statement to Knesset in Prittie, *Eshkol*, p. 93. Dayan, *My Life*, pp. 319–20 (Dayan quote). Rabin, *Memoirs*, pp. 78–79. Moshe Raviv, *Israel at Fifty: Five Decades of the Struggle for Peace* (London: Weidenfeld & Nicolson, 1998), pp. 92–93. ISA, 7919/1, Levi Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Harman to Eban, May 22, 1967 (U.S. request for 48-hour delay). Oral history interview with Zorach Warfhaftig, Feb. 23, 1999. See also Brecher, *Decisions in Crisis*, p. 120. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 20–21.

51. Rabin quotes from Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 172, and Rabin, *Memoirs*, p. 84. Religious clerics' statement in Mansoor, *Arab World*, entry for May 26, 1967. Lyrics in Rut Leviav "Milhemet Sheshet ha-Yamim: Ha-Festival," *Bamahane* 37 (June 1977).

52. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 171–72. Rabin, *Memoirs*, pp. 78–79. Rabin quotes from Ronel Fisher, "Hayta Li Takala, Ze ha-Sipur," *Ma'ariv*, June 6, 1967.

53. Weizman, *On Eagles' Wings*, pp. 211–12. Slater, *Rabin of Israel*, pp. 132–33. Rabin, *Memoirs*, pp. 80–83. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 174–75. Kurzman, *Soldier of Peace*, pp. 208–9. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 22–23. Shlomo Gazit, *Pta'im be-Malkodet: 30 Shnot Mediniyut Yisrael ba-Shtahim* (Tel Aviv: Zemora-Bitan, 1999), p. 28. USNA, POL ARAB-IS, box 1788: Tel Aviv to Department of State, May 25, 1967.

54. USNA, Lot files, USUN, box 6: CINSTRIKE to AIG, May 25, 1967. Rabin, *Memoirs*, pp. 84–85. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 41–44, 170–73. Parker, *The Six Day War*, p. 147. Weizman, *On Eagles' Wings*, pp. 215–16. For an excellent overview of Israeli decision-making in this period, see Ami Gluska, *Imut bein ha-Mateh ha-Klali u-bein Memshelet Eshkol bi-Tkufat ha-Hamtana"—Mai-Yuni, 1967* (Jerusalem: The Leonard Davis Institute for International Relations, 2001).

55. Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, p. 228. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 106–109. 'Amer quote from Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, p. 69. Mahmud Al-Jiyyar, "Rajulun Qatala al-Mushir 'Amer," *Ruz al-Yusuf 2482* (January 5, 1976), p. 8. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 13*, p. 38. Michael Bar-Zohar, *Embassies in Crisis*, pp. 14–15. Description of posters in Egypt from Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 76–78; see also *Israel Must Be Annihilated* (Tel Aviv: Zahal Information Office, July 1967). Cairo Radio quote from BBC, Daily Report, The Middle East and Africa, ME/2474/A/1.

56. For examples of the two schools of interpretation, see Heikal, *Al-Infjar*, pp. 573–74, and 'Abd al-Hamid, *Al-Mushir wa-Ana*, pp. 211–22. See also Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 71, 76–80, 105–9. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, p. 67. Fawzi quote from Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 49–50, 129–30.



Notes to Pages 93–96

57. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 85–86. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, pp. 71–73. Ramadan, *Tahtim al-Aliha*, pp. 79–80. O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, p. 100. Abu Fadl quote from Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 94–95. Fawzi and 'Amer quotes from Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 61–62.

58. Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, p. 227. Murtagi quote from *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, pp. 69–70. Sidqi Mahmud quote from Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, p. 111.

59. Mustafa, *Harb Haziran 1967*, pp. 181–82. Al-Shuqayri, *Mudhakkirat 2*, p. 103. El-Sadat, *In Search of Identity*, p. 174. Quotes from Mansoor, *Arab World*, entry for May 24–26, 1967, and Stephens, *Nasser*, p. 479. See also Draper, *Israel & World Politics*, pp. 64–65, 112.

60. LBJ, Office files of George Christian, box 4: Nolte to Rusk, May 24, 1967. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, pp. 19–20. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 572–73. Johnson statement and *notes verbales* in LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 30–33, and Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 48, 225–27. U.S. Navy spokesman and Humphrey quotes from Mansoor, *Arab World*, entry for May 26, 1967.

61. Descriptions of Kamel appear in Heikal, *Al-Infijar*, pp. 564–65; LBJ, National Security file, Country file, Middle East-UAR box 161: Lunch with Ambassador Kamel, Jan. 17, 1967; History of the Middle East Crisis, box 17: Rostow to Rusk, May 25, 1967. Oral history interview with Walt W. Rostow, July 27, 1999. On Nolte, see PRO FCO/39/261 UAR – Relations with the United States: Record of Conversation with Mr. Richard Nolte, May 18, 1967. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 55–56.

62. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 30–33.

63. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 75–76. Heikal quote in Stephens, *Nasser*, p. 481. Fawzi quote in Heikal, *Al-Infijar*, pp. 567–68. Ramadan, *Tahtim al-Aliha*, pp. 72–76. Eban, *Personal Witness*, p. 383.

64. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17: W. Rostow to the President, May 26, 1967.

65. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17: State Department Circular, May 18, 1967. ISA, Foreign Ministry files, 4083/3, Contacts with the Soviet Union, Raviv to Shimoni, May 23, 1967; 4048/27, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with the Soviet Union: Moscow to Foreign Ministry, May 24, 1967. Soviet communiqué in LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 19, State Department Activities Report, May 21, 1967. 'Amer's order in Heikal, *Al-Infijar*, p. 454. See also Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, pp. 114–15. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, pp. 34–35. Dagan, *Moscow and Jerusalem*, pp. 209, 214. Rikhye, *Sinai Blunder*, p. 169.

66. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17: Moscow to the Department of State, May 24, 1967. USNA, Middle East Crisis files, 1967, NN3.059.96089, box 1: Chronology of U.S.-Jordanian Consultations on the Middle East, May 22, 1967. Nasser-Pojidaev conversation appears in Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, p. 27, and Heikal, *Al-Infijar*, pp. 519–24.

Notes to Pages 97–101

67. USNA, Central Policy files, 1967–1969, POL 2 UAR, box 2553: Moscow to the Department of State, May 25, 1967. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 27, 50; *The Six Day War*, pp. 38–39, 65.

68. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, pp. 78–83. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 105–9. Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, p. 124. Darraz, *Dubbat Yunyu Yatakallamun*, pp. 36–37. O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, p. 98. UN, S-0316-box 9, file 7, UNEF-Withdrawals: Rikhye to Bunche, May 25, 1967. Oral history interview with Shlomo Merom, Dec. 7, 1999. The presence of a civilian occupation force in Gaza was discovered by the American consul general from Jerusalem while talking to Egyptian POWs. See USNA, Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 27-7 ARAB-ISR, box 1830: Tel Aviv to the Secretary of State, Sept. 13, 1967. Oral history interview with Amin Tantawi, July 4, 2001.

69. Rabin, *Memoirs*, p. 86. Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 129. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 177. Dayan, *My Life*, p. 332. Oral history interview with Meir Amit, Feb. 9, 1999. Yossi Peled, *Ish Tzava* (Tel Aviv: Ma'ariv, 1993), p. 103. Jonathan Netanyahu, *Self-Portrait of a Hero: The Letters of Jonathan Netanyahu* (New York: Random House, 1980), p. 133.

70. Rabin, *Memoirs*, p. 83. Carmit Guy, *Bar-Lev* (Tel Aviv: Am Oved, 1998), p. 125.

71. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 185–87. Elinar Ben Akiva and Aner Guvrin, "Sh'at ha-Mirage—Esrim Shana le-Milhemet Sheshet ha-Yamim," *Bit'on Hail ha-Avir* 57 (May 1987). Rabin, *The Rabin Memoirs*, pp. 85–88. Slater, *Rabin of Israel*, p. 134. Parker, *The Six Day War*, pp. 135–36. Oral history interview with Ezer Weizman, March 1, 1999. On Israeli fears for Dimona, see Cohen, *Israel and the Bomb*, pp. 259–76.

72. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 108. Oral history interview with Miriam Eshkol, Aug. 30, 1999.

73. ISA, 4091/23, Foreign Ministry files, Exchange of Messages Before the War: Eban to Couve de Murville, May 19, 1967. PRO, PREM 13 1617, The Middle East Crisis: Eban to Brown, May 23, 1967 (a similar note was sent by Eban to his French counterpart, Couve de Murville). On the continued supply of French arms to Israel see BGA, Diary, Entry for June 19, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 50–51. USNA, Subject-Numeric files, POL ARAB-ISR, box 1789: Department of State to London, May 27, 1967. See also Crosbie, *A Tacit Alliance*, 1977.

74. ISA, 5937/30: Secret Memoranda Prior to the Six Day War: Paris to Foreign Ministry, Protocol of Eban Meeting with President de Gaulle, May 25, 1967. Eban, *Personal Witness*, pp. 372–77. Lacouture, *De Gaulle*, p. 439. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 39–40. "Superficial sympathy" quote from PRO, PREM 13 1622: Record of Conversation, President de Gaulle and Prime Minister Wilson, June 19, 1967.

75. Maurice Couve de Murville, *Une politique étrangère 1958–1969* (Paris: Plon, 1971), p. 469. Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 141. Raviv, *Israel at Fifty*, pp. 96–97. ISA, 7920/2, Levi Eshkol Papers: Diplomatic Cables – France: Eytan to Levavi: Conversation with Couve, May 24, 1967.

76. PRO, FO17/497: Israel – Political Affairs: Draft Paper for Cabinet – Middle East Crisis, May 24, 1967; CAB 128/42 31st Conclusions: May 24, 1967; PREM 13

Notes to Pages 101–104

1617: The Middle East Crisis, May 23, 1967. ISA, 4080/5, Foreign Ministry files, Contacts with Great Britain: Raviv to Foreign Ministry, May 24, 1967; 7920/1, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams: The Wilson-Eban Conversation, May 24, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 27–28. Eban, *Personal Witness*, pp. 377–79. Harold Wilson, *The Chariot of Israel: Britain, America, and the State of Israel* (New York: Norton, 1981), pp. 333–34. Wilson quote from www.bemorecreative.com/one/480.htm.

77. First Eban quote from Eban, *Personal Witness*, p. 381. ISA, 4078/7, Foreign Ministry files, Six-Day War: Eban to Washington, Instructions for Conversations with Administration, May 23, 1967 (second Eban quote); New York to Ministry, Rafael Meeting with Goldberg, May 23, 1967; Harman to Rafael, May 23, 1967; Harman to Eban, May 23, 1967.

78. ISA, 5937/30, Secret Memorandum Prior to the Six Day War: Harman to Foreign Ministry, May 24, 1967 (Eisenhower quote); Prime Minister's Office to the Foreign Ministry, May 24, 1967 (Barbour quote). LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 52–53. Oral history interview with Meir Amit, Feb. 9, 1999. Eban, *Personal Witness*, pp. 385–86.

79. ISA, 7919/1, Levi Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Eshkol to Eban, May 25, 1967. Eban, *Personal Witness*, pp. 382–83. USNA, POL ARAB-IS, box 1788: Secretary of State to Tel Aviv, Cairo and Damascus, May 25, 1967. Message quoted in Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 187. Amit, *Rosh be-Rosh*, p. 236.

80. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 52–53; Middle East Crisis, box 22–23: Barbour to Rostow, May 23, 1967. PRO, PREM 13 1618, Wilson to Johnson, May 24, 1967. ISA, 3977/22, Foreign Ministry files, Relations with the United States: Bitan Conversation with Barbour, May 23, 1967.

81. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17: Saunders to Rostow, May 15, 1967; Memos to the President (W. Rostow), box 16: Saunders to Rostow, May 15, 1967; Middle East, Israel boxes 140, 141: W. Rostow to the President, May 15, 1967. USNA, Lot files, USUN, box 6: CINSTRIKE to AIG ISA, 4078/4 Foreign Ministry files, Contacts with the United States on the Entry of Egyptian Forces to the Sinai: Harman Conversation with Rostow, May 15, 1967.

82. LBJ, National Security file, Middle East Crisis, box 22–23: Saunders to W. Rostow, May 18, 1967; History of the Middle East Conflict, box 17: W. Rostow to the President, May 17, 1967; box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 10–11, 27–28; Middle East Crisis, boxes 144 and 145: W. Rostow to the President, May 19, 1967. USNA, Middle East Crisis files, 1967, Lot file 68D135, box 2: Rostow to Rusk, May 23, 1967. PRO, PREM 13 1617, The Middle East Crisis: Washington to Foreign Office, May 22, 1967. 7920/2, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams, USSR: Research Branch to Eban, May 24, 1967. See also Johnson, *The Vantage Point*, p. 291.

83. LBJ, National Security file, Memos to the President (W. Rostow), box 16: Overall Arab and Israeli Military Capabilities, May 23, 1967; NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: The President in the Middle East Crisis, Dec. 19, 1968. Oral history interview with Robert McNamara, Feb. 11, 2000.

Notes to Pages 105–109

84. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17: Rusk to Cairo, May 22, 1967; box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 44, 51–52. Oral history interview with Walt W. Rostow, July 27, 1999.

85. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 32, 37–38, 45–49; box 17: Rusk to Cairo, May 23, 1967. USNA, POL ARAB-ISR: box 7: Rusk – Mideast Sitrep, May 25, 1967; The Department of State to London, May 29, 1967 ("marching orders"); Minutes of the Control Group, box 17: Third Meeting of the Middle East Control Group, May 24, 1967. Rostow, *The Diffusion of Power*, pp. 258–59. Israel's convoy proposal during the Suez crisis in USNA, 976.7301/9-1056: Dulles Conversation with Eban and in PRO, FO371/11191501/2008: Shepherd Minute, Oct. 28, 1956.

86. USNA, Middle East Crisis files, 1967, NN3.059.96089, box 1: Chronology of U.S.-Jordanian Consultations on the Middle East: Rostow Conversation with Harman, May 24, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 37–38, 52–55; NSC Histories, The Middle East Crisis, box 17: Luncheon Conversation with Saudi Prince Mohammad, May 31, 1967; President's Conversation with the Prime Minister of Canada, May 25, 1967. PRO, PREM 13 1618: Wilson to President Johnson, May 26, 1967; The Middle East Crisis: Washington to Foreign Office, May 24, 1967; CAB 128/42 32nd Conclusions, May 25, 1967. ISA, 7919/1, Levi Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Evron to Eban, May 27, 1967. Dean Rusk, *As I Saw It* (New York: Penguin Books, 1990), p. 384. Quandt, *Peace Process*, pp. 34–35.

87. Rusk, *As I Saw It*, pp. 153, 378, 383. ISA, 3975/14, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with the United States: Evron to Bitan. Meeting Between Eban and Rusk at the Waldorf Astoria, Oct. 7, 1966.

88. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 55–56; box 18: Memorandum of Conversation, the Secretary and Foreign Minister Eban, May 25, 1967. USNA, POL ARAB-ISR, box 17: Rusk to Tel Aviv, Cairo, and Damascus, May 25, 1967; Memoranda of Conversations, UK, USSR, US, Israel, 1967, box 14: Your Conversation with the Israeli Foreign Minister, May 25, 1967; USUN, box 6: CINSTRIKE to AIG, May 26, 1967; Middle East Crisis files, 1967, Chronology, box 7: Tel Aviv to the Secretary of State, May 25, 1967 (Barbour report); POL ARAB-ISR, Cairo, box 1789: Cairo to the Secretary of State, May 26, 1967. ISA, 5937/30 Secret Memoranda Prior to the Six-Day War: Washington to Ministry, Eban Memoranda on a Conversation with Rusk, May 25, 1967; 7919/1, Levi Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Harman to Eshkol, May 26, 1967. Eban, *Personal Witness*, p. 383. Rafael, *Destination Peace*, pp. 143–45 ("horrendous error" quote). Rusk, *As I Saw It*, p. 385. Quandt, *Peace Process*, pp. 38–39. Parker, *Six Day War*, pp. 216–17.

89. ISA, 5937/30 Secret Memoranda Prior to the Six-Day War: Summation of Conversation between Foreign Minister Eban and Undersecretary Rostow during the Evening of May 25, 1967. USNA, POL ARAB-IS: Department of State to Tel Aviv, May 25, 1967; MemCon between Ambassador Dean and Under Secretary Rostow, May 27, 1967; Israeli-U.S. Working Dinner, May 25, 1967. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 18: Memorandum of Conversation between Undersecretary

Rostow and Foreign Minister Eban, May 25, 1967. Eban, *Personal Witness*, pp. 383–84. Raviv, *Israel at Fifty*, p. 98.

90. USNA, Memoranda of Conversations, UK, USSR, US, Israel, 1967, box 14: Your Conversation with the Israeli Foreign Minister, May 25, 1967; POL ARAB-ISR, box 17: MemCon between Ambassador Dean and Undersecretary Rostow, May 27, 1967.

91. ISA, 5937/30 Secret Memoranda Prior to the Six-Day War: Note on Thursday dinner at State Department, May 26, 1967. Harman's cable and message to Eban are both cited in Rabin, *The Rabin Memoirs*, pp. 85–89. See also Dayan, *My Life*, p. 328. Slater, *Rabin of Israel*, p. 134. Rafael, *Destination Peace*, p. 145. Parker, *The Six Day War*, pp. 135–36.

92. ISA, 5937/30, Foreign Ministry files, Secret Memoranda Prior to the Six-Day War: Eban to Eskhol, Conversation with Secretary of State Rusk, May 26, 1967; Eban to Eshkol, Meeting with McNamara and Chairman JCS Wheeler, May 26, 1967; 7919/1, Levi Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Evron to Eshkol, May 26, 1967. LBJ, May 27, 1967. Johnson, *Vantage Point*, p. 294. Eban, *Personal Witness*, p. 384. Oral history interview with Robert McNamara, Feb. 11, 2000. Raviv, *Israel at Fifty*, p. 99. McNamara and Wheeler were referring to U.S. intelligence estimates found in LBJ, National Security file, Memos to the President (W. Rostow), box 16: Overall Arab and Israeli Military Capabilities: May 23, 1967.

93. LBJ, National Security file, Memos to the President (W. Rostow), box 16: Rusk to Cairo and Tel Aviv, May 25, 1967; History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 30–33; NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Department of State to USUN and Cairo, May 25, 1967; box 18: New Delhi to the Secretary of State, May 22, 1967. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 564–65.

94. LBJ, Richard Helms Oral History, pp. 11, 37. Oral history interview with Walt W. Rostow, July 27, 1967 and Eugene Rostow, Aug. 5, 1999. Robert A. Caro, *The Years of Lyndon B. Johnson: The Path to Power* (New York: Vintage, 1990), p. xix.

95. ISA, 3975/12, Diplomatic Relations with the United States, Harman to Bitan, June 13, 1966. William B. Quandt, "The Conflict in American Foreign Policy" in Rabinovich and Shaked, *From June to October*, pp. 5–6. Klinghoffer, *Vietnam, Jews and the Middle East*, p. 94. Douglas Little, "The Making of a Special Relationship: The United States and Israel, 1957–68," *International Journal of Middle East Studies* 25, no. 4 (Nov. 1993), pp. 274–75 (Roche quote). R. Evans and R. Novak, *Lyndon B. Johnson: The Exercise of Power* (New York: The New American Library, 1966), p. 175.

96. ISA, 3976/9, Foreign Ministry files, Relations with the United States: Eban Conversation with President Johnson, Sept. 2, 1966; Harman to Eban, June 24, 1966; 3977/15, Foreign Ministry files, United States – Reports and Analyses: Evron to Foreign Ministry, Aug. 25, 1966; 3975/15, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with the United States: Foreign Ministry Memorandum, Feb. 14, 1967 (Johnson quote); Written Communication with Harry McPherson, May 16, 2000. See also LBJ, National Security file, Middle East, Israel box 140, 141: Conflicting U. S. Attitudes Toward Military Aid to Israel, April 20, 1967; U.S.-Israel Relations, Nov. 3, 1967.

97. LBJ, National Security file, Memoranda to the President (W. Rostow), box 16: W. Rostow to the President, May 26, 1967; Congress–Middle East, May 26, 1967; History of the Middle East Crisis, box 17: Memorandum for the President, May 26, 1967. USNA, ARAB-ISR POL, box 1788: Rusk to Tel Aviv, May 26, 1967; Johnson to

Notes to Pages 112–117

Wilson, May 25, 1967 (Also in PRO, PREM 13 1618). ISA, 5937/30 Secret Memorandum Prior to the Six Day War: Evron to Foreign Ministry, May 26, 1967 (Rostow quote). Oral history interview with Walt W. Rostow, July 27, 1967, and Eugene Rostow, Aug. 5, 1999. Parker, *The Six Day War*, pp. 200–202.

98. LBJ, National Security file, Memoranda to the President (W. Rostow), box 16: Minutes of Meeting (Saunders), May 26, 1967; NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Memorandum for the Record, the Arab-Israeli Crisis, May 27, 1967. Quandt, *Peace Process*, pp. 37–40.

99. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: the President in the Middle East Crisis, Dec. 19, 1968. ISA, 3975/12, Diplomatic Relations with the United States. Eran to Bitan, June 22, 1966; Harman to Bitan, June 13, 1966. LBJ, National Security file, Memos to the President (W. Rostow), box 17: Evron to the President, May 26, 1967. Oral history interview with Mordechai Gazit, Feb. 4, 1999.

100. ISA, 5937/30, Secret Memoranda Prior to the Six-Day War: Evron to Foreign Ministry, May 26, 1967. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Walt Rostow to the President, May 26, 1967. Raviv, *Israel at Fifty*, pp. 99–100. Quandt, *Peace Process*, pp. 40, 513–14, ft. 50. Michael Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy* (New Haven, Conn.: Yale University Press, 1975), pp. 390–91.

101. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 56–59. ISA, 5937/30 Secret Memoranda Prior to the Six-Day War: Evron to Ministry, Report on 1.5 Hour Meeting Between Foreign Minister Eban and President Johnson at the White House, May 26, 1967; 7919/1, Levi Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Eban to Eshkol, May 26, 1967. "A Step-by-Step Account of Moves in Israel Before War with Arabs," *New York Times*, July 10, 1967. Oral history interview with Robert McNamara, Feb. 16, 2000. Eban, *Personal Witness*, pp. 386–91. Raviv, *Israel at Fifty*, pp. 100–101.

102. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 56–57; NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Rusk to Johnson (handwritten note), May 26, 1967. The President in the Middle East Crisis, Dec. 19, 1968 (President's diary); John P. Roche Oral History, pp. 67–68. ISA, 5937/30 Secret Memoranda Prior to the Six-Day War: Evron to Ministry, Report on the 1.5 Hour Meeting Between Foreign Minister Eban and President Johnson at the White House, May 26, 1967. Rafael, *Destination Peace*, p. 145. Raviv, *Israel at Fifty*, pp. 100–101. Quandt, *Peace Process*, p. 514, ft. 53. Eban, *Personal Wtiness*, pp. 389–94. Johnson, *The Vantage Point*, pp. 293–94. Rostow, *The Diffusion of Power*, p. 417. Little, "The United States and Israel, 1957–1968: The Making of a Special Relationship," p. 578.

103. ISA, 5937/30, Secret Memoranda Prior to the Six-Day War: Harman to Ministry, May 27, 1967. USNA, Middle East Crisis files, 1967, Chronology, box 7: Memorandum of Telephone Conversation, Mr. Rostow and Minister Ebron, May 26, 1967. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: USUN to the Secretary of State, May 27, 1967; Arthur J. Goldberg Oral History, p. 22. Eban, *Personal Witness*, pp. 393–94. Raviv, *Israel at Fifty*, p. 101. Rafael, *Destination Peace*, p. 145.

104. ISA, 4083/3, Foreign Ministry files, Contacts with the USSR – Closure of Tiran: Katz to Foreign Office, May 17, 1967; Katz to Foreign Ministry, May 24, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17: State Department



Circular, May 18, 1967, The Middle East, May, 1967; Moscow to the State Department, May 19, 1967; box 22–23: Arab-Israel Situation Report, May 22, 1967; box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, p. 58; NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: London to the Secretary of State, May 25, 1967; box 19: George C. Denney to the Secretary, May 19, 1967 ("brinkmanship" quote). Dagan, *Moscow and Jerusalem*, pp. 209–10.

105. USNA, Middle East Crisis files, 1967, Situation Reports, box 14: Moscow to the Secretary of State, May 24, 1967; Arab-Israeli Crisis, box 9: Moscow to the Secretary of State, May 23, 1967; box 13: Chronology of U.S.-USSR Consultations on the Middle East, May 18 – June 10, 1967; box 4: London to the Secretary of State, May 30, 1967. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 18: Paris to the Secretary of State, May 23, 1967; LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 18: Paris to the Secretary of State, May 24, 1967.

106. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 19, State Department Activities Report, May 23, 1967. USNA, Middle East Crisis files, 1967, NN3.059.96089, box 1: Chronology of U.S.-Jordanian Consultations on the Middle East: May 23, 1967; Arab-Israeli Crisis, box 9: Moscow to the Secretary of State, May 23, 1967. ISA, Foreign Ministry files, 4083/3, Contacts with the Soviet Union, Katz to Foreign Ministry, May 23, 1967; 7920/2, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams, USSR: Soviet Desk Memorandum, June 4, 1967. Vassiliev, *Russian Policy in the Middle East*, pp. 67–72 (Soviet scholar quote). Dagan, *Moscow and Jerusalem*, p. 214. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, pp. 34–35. Soviet statement in Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, pp. 114–15.

107. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 623–24 (Kosygin quote); Heikal, *The Cairo Documents* (Garden City, New York: Doubleday, 1973) p. 242; Heikal, *The Sphinx and the Commissar*, pp. 178–79; Brown, "Nasser and the June 1967 War," p. 123. Govrin, *Israeli-Soviet Relations*, pp. 311–12. Arkady N. Shevchenko, *Breaking with Moscow* (New York: Alfred A. Knopf, 1985), p. 136. Parker, *The Six Day War*, pp. 38–39. Oral history interview with Gen. Makhmut A. Gareev, May 24, 1999.

108. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 614–15, 624–25. Al-Jiyyar, "Rajulan Qatala al-Mushir 'Amer," pp. 9–11. Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, p. 163. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, p. 96. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 32, 50; Parker, *The Six Day War*, pp. 38–39. Stephens, *Nasser*, p. 484. Klinghoffer, *Vietnam, Jews and the Middle East*, p. 103. Gawrych, *The Albatross of Decisive Victory*, p. 13. 7920/2, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams, USSR: Research Memorandum, May 28, 1967. Badran quote from *Al-Hawadith*, Sept. 2, 1977. Oral history interview with Nikolai Yegoroshev, Dec. 23, 2000.

109. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17: Kosygin to Johnson, May 27, 1967. PREM 13 1618: Kosygin to Wilson, May 27, 1967. ISA, 4091/23, Foreign Ministry files, Exchange of Messages Before the War: Kosygin to Eshkol, May 27, 1967. Dagan, *Moscow and Jerusalem*, p. 217.

110. ISA, 4048/27, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with the Soviet Union: Foreign Ministry to Moscow, May 27, 1967; 7920/4, Levi Eshkol Papers, Prime Minister's Reports and Surveys, Meeting of the Cabinet, May 27, 1967. Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 152. Nakdimon, *Likrat Sh'at ba-Efes*, pp. 110–13. Oral history interview with Miriam Eshkol, Aug. 30, 1999.

Notes to Pages 120–125

111. Al-Baghdadi, *Mudhakkirat*, p. 274. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 93–94. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 573–74. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, p. 23. Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 144, 149–50. Sela, *The Decline of the Arab-Israeli Conflict*, pp. 90–91. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 5*, pp. 1–3.

112. Mahmud Riad. *Mudhakkirat Mahmoud Riad 2* (Beirut: Al-Mu'assasa al-'Arabiyya lil-Dirasa wal-Nashr, 1987), p. 63. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 5*, pp. 18–19, 24–25. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 115–126. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 573–74. 'Abd al-Hamid, *Al-Mushir wa-Ana*, pp. 211–22 ('Amer quote to Nasser). 'Amer-Sidqi Mahmud conversation in Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 141–42. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, pp. 91–93. Parker, *The Six Day War*, p. 45 ('Amer cable to Badran). See also USNA, Central Policy files, 1967–1969, POL 2 UAR: Jidda to the Department of State, May 27, 1967. Oral history interview with 'Abd al-Mun'im Hamza, July 4, 2001.

113. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 43–44; box 18: Tel Aviv to the Secretary of State, May 27, 1967 (Barbour quote); box 17: Arab-Israel Situation Report, May 28, 1967 (*Davar* headline). USNA, Subject-Numeric files, POL ARAB-ISR, box 1789: Baghdad to Department of State, May 27, 1967. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 277–79. Cairo Radio quote in Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 88–89.

114. ISA, 7920/4, Levi Eshkol Papers, Prime Minister's Reports and Surveys, Meeting of the Cabinet, May 27, 1967; 7920/2, Diplomatic Telegrams, USSR: Allon to Eban, May 21, 1967; 3977/22, Foreign Ministry files, Relations with the United States: Foreign Ministry to Embassies, May 27, 1967; 5937/30, Secret Memoranda Prior to the Six-Day War: Evron to Foreign Ministry, May 27, 1967. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 192. Rabin, *Memoirs*, pp. 89–90. Eban, *Personal Witness*, pp. 396–99. Raviv, *Israel at Fifty*, pp. 102–3. Johnson cables in LBJ, National Security file, National Security Council History, Middle East Crisis 2, box 17: Johnson to Eskhol, May 27, 1967; Johnson to Barbour, May 27, 1967. USNA, POL ARAB-IS, Tel Aviv files, Tel Aviv to the Secretary of State, May 28, 1967 (Allon quote). Aran quote from MPA, Party Secretariat Protocols, 2/24/66/88: June 1, 1967. See also Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy*, p. 400 and *Decisions in Crisis*, p. 146. Gluska, *Imut bein ha-Mateh ha-Klali u-bein Memshelet Eshkol bi-Tkufat ha-Hamtana*, pp. 17–22.

115. USNA, Pol ARAB-ISR, box 1789: New York to Department of State, May 28, 1967. ISA, 5937/30, Secret Memoranda Prior to the Six-Day War: Evron to Foreign Ministry, May 27, 1967; 4086/2, Foreign Ministry files, Security Council Meetings; M. Aruch: Summary of Security Council Meetings: New York to Foreign Ministry, May 29, 1967. Lall, *The UN and the Middle East Crisis*, pp. 32–39. U Thant, *View from the UN*, pp. 246–47. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 193. Heikal, *The Sphinx and the Commissar*, p. 177. Rikhye, *Sinai Blunder*, pp. 81–83.

116. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Walt Rostow to the President, May 28, 1967; Tel Aviv to the Secretary of State, May 28, 1967; Memos to the President (W. Rostow), box 16: Rostow to the President, May 28, 1967; History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 66–70. ISA, 7919/1, Levi



Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Evron to Eshkol, May 31, 1967. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 193. Prittie, *Eshkol*, pp. 99–101.

117. 7920/2, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams, USSR: Paris to Foreign Ministry, June 1, 1967. Grechko quote from Heikal, *Al-Infijar*, pp. 625, 1024. Heikal, *The Sphinx and the Commissar*, pp. 179–80, and Heikal, *The Cairo Documents*, p. 242. Badran quotes from Imam, *Nasir wa-'Amer*, p. 147; *Kayfa Hakama Misr*, p. 261, and Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, p. 95. Nasser quote from al-Baghdadi, *Mudhakkirat* 2, p. 274. Atassi quote from Mustafa, *Harb Haziran*, p. 183. See also Parker, *The Six Day War*, pp. 38–39, 44, and *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, p. 50. Govrin, *Israeli-Soviet Relations*, pp. 311–12. Stephens, *Nasser*, pp. 483–84.

118. USNA, POL ARAB-IS, box 1788: Rusk to Tel Aviv, May 29, 1967. ISA, 4086/2, Foreign Ministry files, Security Council Meetings; M. Aruch: Summary of Security Council Meetings, May 29, 1967; 7920/1, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams: Rafael to Eban, May 27, 1967. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 21: Chronology of the Soviet Delay on the Security Council Meetings (J. Baker), June 26, 1967; box 17: Department of State to Paris, May 25, 1967. Shevchenko, *Breaking with Moscow*, p. 133. Rikhye, *Sinai Blunder*, p. 85. Lall, *The UN and the Middle East Crisis*, pp. 329–32. U Thant, *View from the UN*, p. 246. Federenko quote from Dagan, *Moscow and Jerusalem*, p. 216.

119. UN, S-316 – box 9, file 12, UNEF Withdrawals: U Thant to Eshkol, May 29, 1967. USNA, POL ARAB-ISR, box 1789: Rusk to Certain Embassies, May 26, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17: Walt Rostow to the President, May 26, 1967. Rafael, *Destination Peace*, pp. 147–48. Parker, *The Six Day War*, p. 95. Heikal, *The Sphinx and the Commissar*, p. 177.

Countdown

1. USNA Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL Arab-Jordan, box 1844: Amman to the Department of State, May 12, 1967, box 2554: Amman to Department of State, May 23, 1967, Rusk to Jidda and Amman, May 20, 1967. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 22: Amman to the Secretary of State, May 3, 1967, box 18: Amman to the Secretary of State, May 23, 1967. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, p. 8; Parker, *The Six Day War*, p. 157. Zak, *Hussein Ose Shalom*, p. 103.

2. USNA, Subject-Numeric files, Pol ARAB-ISR, box 1789: Amman to Department of State, May 27, 1967 (Touqan quote); Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 12 SY, box 2511: Amman to the Department of State, May 23, 1967. El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, pp. 390–92. Al-Rifa'i quote in Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 101. Oral history interview with Adnan Abu-Oudeh, Nov. 16, 1999.

3. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 14–15. USNA, Middle East Crisis files, 1967, box 1: Chronology of U.S.-Jordanian Consultations on the Middle East: May 20, 1967; May 23, 1967 ("rock the boat"); ARAB-ISR, box 1789: Amman to Department of State, May 25, 1967 (Burns quote). ISA, 4080/5, Foreign Ministry files, Contacts with Great Britain, Foreign Ministry to London, May 23, 1967. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 277–79. Hussein, *My "War" with Israel*, pp. 38–39. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 104–5. Heikal, *Al-Infijar*, p. 650.

Notes to Pages 129–131

4. USNA, POL ARAB-ISR, box 9: Amman to the Secretary of State, May 23, 1967, Amman to the Secretary of State, May 27, 1967, Amman to the Secretary of State, May 30, 1967. Hussein quotes from Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 98–99 and from LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 18: Amman to the Secretary of State, May 26, 1967, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, p. 43. PRO, PREM 13 1617, The Middle East Crisis: Amman to Foreign Office, May 23, 1967.

5. USNA, USNA, Middle East Crisis files, 1967, box 1: Chronology of U.S.-Jordanian Consultations on the Middle East: Amman to the Department of State, May 25, 1967, Amman to the Department of State, May 27, 1967 (Touqan quote); Rusk to Tel Aviv, May 26, 1967 (Hussein oral message), POL ARAB-ISR, box 1789: Subject-Numeric files, box 1788: Amman to the Department of State, May 27, 1967, Central Policy files, 1967–1969, POL 7 UAR, box 2554: Amman to Department of State, May 27, 1967. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Amman to the Secretary of State, May 27, 1967. ISA, Foreign Ministry files, 6444/5, North America, telegrams: Foreign Ministry to Embassies, June 1, 1967. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 277–79. Hussein, *My "War" with Israel*, p. 39. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 105–6. Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, pp. 203, 277, 283. El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, p. 390.

6. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 162. Susser, *On Both Banks of the Jordan*, pp. 122–23. Zak, *Hussein Ose Shalom*, pp. 107–8.

7. Hussein's visit to Cairo has been reconstructed from several sources. See USNA, POL ARAB-ISR, box 9: Amman to the Secretary of State, May 31, 1967. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 656–57. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 108–10. Hussein, *My "War" with Israel*, pp. 43–48. Dhabbah, *Wa-Madha Ba'du?*, pp. 39–41. El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, p. 395. Al-Shuqayri, *Mudhakkirat* 3, pp. 191–200. Kimche and Bawly, *The Sandstorm*, p. 106. Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, p. 283. Mohamad Ibrahim Faddah, *The Middle East in Transition: A Study of Jordan's Foreign Policy* (New York: Asia Publication House, 1974), p. 75. See also Sayigh, *Armed Struggle and the Search for State*, p. 138.

8. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 111; Hussein, *My "War" with Israel*, p. 50; Jum'a quote in Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, pp. 283–84; LBJ, National Security files, Country file, box 104/107: "Reactions to ME Crisis in UN Circles," June 8, 1967, USNA, Middle East Crisis files, 1967, box 1: Chronology of U.S.-Jordanian Consultations on the Middle East, May 31, 1967; POL ARAB-ISR, box 9: Amman to the Secretary of State ("political and military insurance"), June 1, 1967, Amman to the Secretary of State ("shifted the burden"), June 3, 1967. Cairo Radio quote from El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, p. 395.

9. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 161, 184. Oral history interview with Adnan Abu-Oudeh, Nov. 16, 1999. LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 21: White House Situation Room to the President, May 30, 1967. USNA, Middle East Crisis files, 1967, box 1: Chronology of U.S.-Jordanian Consultations on the Middle East, Amman to the Department of State, May 31, 1967 ("Pandora's box"); Amman to the Department of State, June 2, 1967 ("August 1914"), Central Foreign Policy file, 1967–1969, box 1789: Egyptian-Jordanian Mutual Defense Treaty—Information Memorandum (Meeker), June 2, 1967. The complete text of the Egyptian-Jordanian Mutual Defense Treaty appeared in the May 31 edition of the *New York Times*.



Notes to Pages 132–136

10. On the Egyptian commando units, see Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 129. Shuqayri quotes from Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, pp. 284–85, and BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, No. D-1. Oral history interview with 'Awad Bashir Khalidi, Nov. 16, 1999. See also Uzi Benziman, *Yerushalayim: Ir lelo Homa* (Jerusalem: Schocken, 1973), pp. 23–24.

11. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 194; Oral history interview with Miriam Eshkol, Aug. 30, 1999; Schiff column in *Ha'aretz*, May 28, 1967.

12. ISA, 7919/1, Levi Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Geva to Rabin, May 26, 1967. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Tel Aviv to the Secretary of State, May 28, 1967 (*Ha'aretz* quote). Ariel Sharon, *Warrior* (New York: Simon & Schuster, 1989), pp. 181–84. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 194–98. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 25–26. Gluska, *Imut bein ha-Mateh ha-Klali u-bein Memshelet Eshkol bi-Tkufat ha-Hamtana*, pp. 23–27. Rabin, *Memoirs*, pp. 92–93, Weizman, *On Eagles' Wings*, pp. 214–16. IDF, 1977/1786: The Regular Paratrooper Brigade in the Six-Day War, Commander 35th Brigade, p. 626. Oral history interviews with Miriam Eshkol, Aug. 30, 1999, with Yeshayahu Gavish, Dec. 7, 1999, with Rehavam Ze'evi, Sept. 9, 2001.

13. Teddy Kollek, *For Jerusalem* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1978), p. 190. Dayan, *My Life*, pp. 333–35.

14. BGA, Diary, Entries for May 24, 28, 31, and June 1, 1967, Shabtai Teveth, *Moshe Dayan, Biografia* (Jerusalem: Schocken Press, 1971), pp. 561–62. Peres, *Battling for Peace*, pp. 90–93. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 182. Moshe Dayan, *Diary of the Sinai Campaign, 1956* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1967), p. 180. Zaki Shalom and S. Ilan Troen, "Ben-Gurion's Diary for the 1967 Six-Day War: An Introduction," *Israel Studies* 4, no. 2 (Fall 1999), p. 197.

15. ISA, 4086/8, Foreign Ministry files, Red Cross: Foreign Ministry to Le Hague, May 30, 1967, Stockholm to Foreign Ministry, June 4, 1967; 4087/1: Egyptian Army Entry into Sinai and Closure of the Tiran Straits. Copenhagen to Foreign Ministry, June 3, 1967. PRO, PREM 13 1619, The Middle East Crisis: Tel Aviv to Foreign Office, June 4, 1967. Abraham Rabinovich, *The Battle for Jerusalem, June 5–7, 1967* (Philadelphia: Jewish Publication Society of America, 1972), pp. 23–27, 51, 59. On Weizman's resignation, see Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 183, 203. Weizman, *On Eagles' Wings*, pp. 217–18. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 26–27. Avraham Rabinovich, "The War That Nobody Wanted," *Jerusalem Post*, June 13, 1967.

16. ISA, Foreign Ministry files, 4087/6, Emergency Appeal: Rothschild to Sapir, May 28, 1967, Eytan to Foreign Ministry, May 29, 1967; 4089/8, Foreign Ministry files, Volunteers, Foreign Ministry to South American Embassies, May 28, 1967; 7920/3, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams, General: Bonn to the Foreign Ministry, June 1, 1967. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Item for the President's Evening Reading, May 19, 1967. Mansoor, *Arab World*, entry for May 28.

17. Robert J. Donovan, *Six Days in June: Israel's Fight for Survival* (New York: The New American Library, 1967), p. 15. Rabin, *Memoirs*, pp. 93 (Rabin quote), 100. USNA, Summary of MEDAC, box 7: Tel Aviv to the Secretary of State, June 1, 1967. LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 21: White House Situation Room to the President, May 30, 1967. See also Uzi Narkiss, *Soldier of Jerusalem*, trans. Martin Kett (London: Mitchell Vallentine, 1998), p. 203. Zemer quote from Rabinovich, "The War That Nobody Wanted."

Notes to Pages 136–140

18. UN, S-0316, UNEF-Withdrawals/UN Missions-EIMAC, box 9: Bull to Bunche, May 30, 1967. Eric Hammel, *Six Days in June: How Israel Won the 1967 Arab-Israeli War* (New York: Scribner's, 1992), p. 157. Abu Murshid, Butrus, and Jabber, *Silsilat al-Kitab al-Sanawi lil-Qadiyya al-Filastiniyya*, p. 117. Eshkol's Knesset speech from Prittie, *Eshkol*, pp. 101–2. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 209.

19. Hussein speech in BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, No. B6. On Arab armed forces, see USNA, Summary of MEDAC, box 13: Middle East Sitrep as of June 1; POL ARAB-ISR, box 1789: Amman to Department of State, May 31, 1967. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 169–73, 278–79. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 107–9. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 112–17. Van Creveld, *The Sword and the Olive*, p. 179. Hammel, *Six Days in June*, pp. 286–87, 388–90. Seale, *Asad of Syria*, p. 117. Schiff, *A History of the Israeli Army*, p. 138. Shmuel Segev, *Sadin Adom*, p. 223. Nasser and Mahmud quotes from Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 191.

20. BGA, Diary, June 1, 1967. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 200–201. MPA, Meeting of the Executive Committee, June 1, 1967. Teveth, *Moshe Dayan*, pp. 564–65 (Dayan quote). Gluska, *Imut bein ha-Mateh ha-Klali u-bein Memshelet Eshkol bi-Tkufat ha-Hamtana*, pp. 29–33. Rabin, *Memoirs*, p. 94. Golda Meir, *My Life* (New York: G.P. Putnam's Sons, 1975), pp. 362–63. Amos Perlmutter, *The Life and Times of Menachem Begin* (New York: Doubleday, 1987), p. 283. Gawrych, *The Albatross of Decisive Victory*, p. 19. Nakdimon, *Likrat Sh'at ha-Efes*, pp. 61–81, 102. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 29–30. MPA, Party Secretariat Protocols, 2/24/66/88: June 1, 1967.

21. Teveth, *Moshe Dayan*, pp. 570–71. Rabin, *Memoirs*, p. 94. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 184. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 241–43. Dayan, *My Life*, pp. 340–41. Ze'evi quote from Michael Shashar, *Sihot im Rehavam – Gandhi – Ze'evi* (Tel Aviv: Yediot Ahronot, 1992), p. 165.

22. PRO PREM 13 1622: The Second Arab-Israel War, 1967: The Preliminaries (Hadow), July 6, 1967 ("terrier at a rat hole"); FCO17/498: Israel – Political Affairs: Tel Aviv to Foreign Ministry, June 3, 1967.

23. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 69–70, 81–88. USNA, POL ARAB-ISR, box 1789: Rusk to Certain Embassies, May 28, 1967; Rusk to Tel Aviv, May 31, 1967; Chronology of U.S. Consultations with Other Governments on the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967. Johnson, *The Vantage Point*, p. 294.

24. LBJ, National Security file, National Security Council History, Middle East Crisis 2, box 17: Walt Rostow to the President, May 30, 1967; Walt Rostow to the President – Report from Barbour, May 28, 1967; Memos to the President (W. Rostow), box 16: Rostow to the President – Conversation with Evron, May 31, 1967. Rabin quote from Rabin, *Memoirs*, pp. 95–96.

25. LBJ, National Security file, Memos to the President (W. Rostow), box 16: Rusk to the President, May 30, 1967; History of the Middle East Crisis, box 19: State Department Activities Report, June 1, 1967; Joint Chiefs of Staff – Memorandum for the Secretary of Defense, June 2, 1967, box 18: Department of State Circular, May 30, 1967; NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: The President in the Middle East



Crisis, Dec. 19, 1968 (Rostow quote). USNA, META Agenda, Actions, Minutes, box 15: Memorandum for the Middle East Control Group, May 31, 1967 ("appeal to vanity"). Oral history interview with Walt Whitman Rostow, July 27, 1999. Oral history interview with Robert McNamara, Feb. 11, 2000. Johnson, *The Vantage Point*, p. 295 (Rusk and McNamara memorandum). Rusk, *As I Saw It*, pp. 384–85. Klinghoffer, *Vietnam, Jews and the Middle East*, pp. 109–11. Wheeler quote in Parker, *The Six Day War*, p. 218.

26. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17: Saunders to Rostow, May 30, 1967; box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 61–62, 93–95; NSC Histories, Middle East Crisis, box 18: Memorandum for the Secretary of Defense, June 2, 1967; Pearson to Johnson, June 2, 1967; box 17: The President in the Middle East Crisis, Dec. 19, 1968 (President's diary quote). USNA, Middle East Crisis files, 1967, box 2: The Department of State to Canberra, June 2, 1967, box 13: Memorandum for Mr. Battle (Deane Hinton), June 4, 1967 ("The Belgians are waffling"); History of MADEC (Hinton), June 9, 1967. NAC, RG 25, box 10050: Political Affairs – Canada's Foreign Policy Trends and Relations – Israel: Tel Aviv to Ottawa, May 28, 1967. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, p. 54. Johnson, *The Vantage Point*, p. 296.

27. PRO, FO17/497: Israel – Political Affairs: Draft Paper for Cabinet – Middle East Crisis: May 28, 1967; PREM 13 1618: Middle East: Memorandum by the Foreign Secretary, May 28, 1967; Note on a Meeting between the Prime Minister and the Foreign Minister, May 28, 1967; CAB 128/42 33rd Conclusions; 128/42 35th Conclusions. USNA, Middle East Crisis files, 1967, box 1: Chronology of U.S.-Jordanian Consultations on the Middle East, June 1, 1967; box 2: London to the Department of State, June 1, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 93–95; Middle East Crisis 2, box 17: Wilson to Johnson, May 27, 1967; NSC Histories, Middle East Crisis, box 21: White House Situation Room to the President, May 30, 1967 ("going soft"); London to the Secretary of State, June 3, 1967 ("digging in its heels").

28. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17: Joint Chiefs of Staff: Military Actions – Straits of Tiran, June 2, 1967. USNA, POL ARAB-ISR, box 1789: First report of Working Group of Economic Vulnerabilities, May 31, 1967. PRO, FO 39/380: Gulf of Aqaba—Political Organization and Guidelines, June 2, 1967; PREM 13 1618: The Middle East Crisis: Annex A—International Action to open the Straits of Tiran, May 28, 1967; FO17/497: Israel – Political Affairs: Draft Paper for Cabinet – Middle East Crisis, June 2, 1967.

29. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17: Memorandum for WWR, June 1, 1967; box 18, Joint Chiefs of Staff: Military Actions—Straits of Tiran, May 24, 1967; NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: London to the Secretary of State, May 28, 1967. Rusk, *As I Saw It*, p. 365.

30. LBJ, box 1–10, the USS *Liberty*: Department of Defense Press Release, June 8, 1967; box 19: CINCUSNAVEUR Order, May 30, 1967; box 18: Joint Chiefs of Staff: Military Actions—Straits of Tiran, May 25, 1967; box 104/107: The National Military Command Center: Attack on the USS *Liberty*, June 9, 1967.

31. USNA, Pol ARAB-ISR, box 1789: Cairo to the Department of State, May 27, 1967, and LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17: Cairo to the Department of State, May 26, 1967; Damascus to the Department of State, May

Notes to Pages 143–145

26, 1967; Amman to the Department of State, June 3, 1967; Amman to the Secretary of State, June 4, 1967; box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 71–73 (Porter quote). See also LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Cairo to the Secretary of State, May 28, 1967; Amman to the Secretary of State, June 2, 1967; Beirut to the Secretary of State, May 29, 1967. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 53, 233.

32. USNA, POL ARAB-ISR, box 1789; Rusk to Harmel, May 28, 1967; Arab-Israeli Crisis, Minutes of the Control Group, box 17: 5th Meeting of Control Group, May 28, 1967 ("full speed ahead"); box 13: Summary of MEDAC: Middle East Sitrep as of June 1, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 18: Memo for the President: Today's Security Council Meeting, May 31, 1967; NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Secretary of State to Ambassador Goldberg, May 30, 1967; box 23: Circular to Arab Capitals (Rusk), June 3, 1967; box 21: Arab-Israeli Situation Report, June 2, 1967; Arab-Israeli Situation Report, June 3, 1967; Chronology of the Soviet Delay on the Security Council Meetings (J. Baker), June 6, 1967; White House Situation Room to the President, May 30, 1967; Memorandum to the President: Security Council Meeting, June 3, 1967 ("drowned Vietnam in blood"). Rikhye, *Sinai Blunder*, pp. 82–84. Lall, *The UN and the Middle East Crisis*, pp. 40–43. Rusk response to Middle East ambassadors in Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 121–22.

33. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17: Johnson to Kosygin, May 28, 1967; Rusk to Gromyko, May 28, 1967; box 20: Nathaniel Davis, Memorandum for Mr. Rostow, May 29, 1967.

34. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 18: Text of Cable from Mr. Yost, June 1, 1967; box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 88–92. Mahmoud Riad, *Mudhakkirat Mahmoud Riad 1, 1948–1976: al-Bahth 'an al-Salam fi al-Sharq al-Awsat* (Beirut: al-Mu'assasa al-'Arabiyya lil-Dirasa wal-Nashr, 1987), p. 312. Imam, *'Abd al-Nasir—Kayfa Hakama Misr*, p. 366. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 56, 233–39. Rouleau et Lacouture, *Israel et les Arabes le 3e Combat*, p. 83.

35. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 17: W. Rostow to the President, May 23, 1967; Rusk to Cairo, May 29, 1967; Anderson to the President, June 1, 1967; box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 88–89; NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: The President in the Middle East Crisis, Dec. 19, 1968; box 18: Scenario: June 4–11, June 3, 1967; box 23: Cairo to the Secretary of State, June 4, 1967. USNA, Middle East Crisis files, 1967, box 17: Eighth Control Group Meeting, June 3, 1967; Ninth Control Group Meeting, June 4, 1967. PRO, FCO/39/261 UAR – Relations with the US: Washington to Foreign Ministry, June 4, 1967. Imam, *'Abd al-Nasir—Kayfa Hakama Misr*, pp. 366–67. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 680–84. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 235–41.

36. USNA, Middle East Crisis files, Maritime Declaration, box 13: Memorandum of Conversation, June 2, 1967; box 2: Grey to Rusk, June 2, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17: Memorandum for WWR , June 1, 1967; Miscellaneous Reports, box 15: Battle to Rusk, June 2, 1967; NSC Histories, Middle East Crisis, box 23: Tel Aviv to the Secretary of State, June 4, 1967 (Barbour quote); Circular to All American Diplomatic Posts, June 2, 1967 (Rusk quote).



37. Oral history interview with Meir Amit, Feb. 9, 1999; all quotes from Amit's Report on Visit to the United States, June 4, 1967, access to which was furnished during the interview. ISA, 6444/5 North America, telegrams. Ministry to Embassies, Head of the Mossad to the Mossad, June 1, 1967; Head of the Mossad to the Mossad, June 2, 1967. LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 18: Walt Rostow to the President, June 2, 1967. Oral history interview with Robert McNamara, Feb. 11, 2000. Quandt, *Peace Process*, pp. 43–45. Parker, *The Six Day War*, pp. 124–25; 136. Amit, "Ha-Derekh le-Sheshet ha-Yamim."

38. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 96–97.

39. Oral history interview with Shlomo Merom, Dec. 7, 1999. Eshkol quote from Dayan, *My Life*, p. 338.

40. PRO, FCO 17/506: Israel – Political Affairs (External): Tel Aviv to Foreign Ministry, June 2, 1967. Teveth, *Moshe Dayan*, pp. 67, 104 ("a liar, a braggart"), 134, 440–41, 556–57. Amit, *Rosh be-Rosh*, pp. 85–87. Rafael quotes from Rafael, *Destination Peace*, p. 283, and http://www.us-israel.org/jsource/biography/Dayan.html. See also Moshe Dayan, *Avnei Derekh* (Tel Aviv: Yediot Ahronot, 1976) pp. 39–40.

41. Gal quote in Yisrael Harel, *Sha'ar ha-Arayot—Ha-Krav al Yerushalayim be-Havayat Lohamei Hativat ha-Tzanhanim* (Tel Aviv: Ma'arkhot, n.d.), p. 209. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 28–29, 43–44. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 203, 249. Dayan, *My Life*, pp. 338–39.

42. LBJ, National Security file, Middle East Crisis, box 18: W. Rostow to the President, June 2, 1967; NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: The President in the Middle East Crisis, Dec. 19, 1968 (Rostow quote). USNA, Middle East Crisis files, 1967, box 17: Ninth Control Group Meeting, June 3, 1967. ISA, 4091/23, Foreign Ministry files, Exchange of Messages Before the War: Kosygin to Eshkol, June 2, 1967; 7919/1, Levi Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Geva to Rabin, May 26, 1967; Evron to Levavi, May 27, 1967; Evron to Bitan, May 29, 1967. PRO, FO 17/489, Israel – Political Affairs: Foreign Ministry to Washington, June 2, 1967. Oral history interview with Avraham Liff, Sept. 13, 1999. Oral history interview with Shlomo Merom, Dec. 7, 1999. Quandt, *Peace Process*, pp. 46–47.

43. USNA, Summary of MEDAC, box 13: Middle East Sitrep as of June 1 (Eban quote). Baron, *Hotam Ishi*, pp. 28–29. Gluska, *Imut bein ha-Mateh ha-Klali u-bein Memshelet Eshkol bi-Tkufat ha-Hamtana*, pp. 38–44. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 48–50. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 206–12. Dayan, *My Life*, pp. 338–39. Yariv, *Ha'arakha Zehira*, pp. 57–58. Bartov, *Dado*, p. 94. Rabin, *Memoirs*, pp. 96–97. Sharon, *Warrior*, pp.185–86.

44. ISA, 7919/1, Levi Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Harman to Bitan, May 24, 1967; Rafael to Eban, June 4, 1967. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 203. Dayan, *My Life*, pp. 340–41. Rabin, *Memoirs*, p. 97. Baron, *Hotam Ishi*, p. 35. Fortas quote from Eban, *Personal Witness*, p. 405. Quandt, *Peace Process*, p. 47, and Laura Kalman, *Abe Fortas: A Biography* (New Haven, Conn.: Yale University Press, 1990), pp. 300–301. A different version of the quote appears in Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 119–20. Goldberg quote from Parker, *The Six Day War*, pp. 149–50 and in Rafael, *Destination Peace*, pp. 153–54.

45. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 36–39. David Rozner, "H-5 be-Yuni 1967 be-Kahir," *Bamahane* 35 (May 1968), p. 20. Dupuy, *Elusive Victory*, p. 244. Churchill and Churchill,

The Six Day War, pp. 97–98. Dayan, *My Life*, p. 341. Oral history interview with Israel Tal, Aug. 23, 1999. Dayan's comments to reporters in PRO, FO 17/489, Israel-Political Affairs: Tel Aviv to Foreign Ministry, June 3, 1967, and Hadow's reactions in PREM 13 1619, The Middle East Crisis: Tel Aviv to Foreign Ministry, June 3, 1967, and PREM 13 1622, The Second Arab-Israel War, 1967: The Preliminaries, July 6, 1967.

46. Dayan remarks to General Staff, Zak, *Hussein Ose Shalom*, p. 109. Dayan conversation with Elazar in Bartov, *Dado*, pp. 93–96; in Dayan, *My Life*, p. 348; and in Baron, *Hotam Ishi*, pp. 47–48. See also YAD, Interview with Ephraim Reiner, June 20, 1996. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 46–47 (Rabin quote), 102, 115–23, 154–63, 174–83. Yehezkel Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ha-Rama* (Tel Aviv: Levin-Epstein, 1970), p. 41. Rabin, *Memoirs*, p. 103. Dayan conversation with Narkiss in Narkiss, *Soldier of Jerusalem*, p. 204. See also IDF, 901/67/1, Central Command: The Six-Day War, Concluding Report 1, p. 142. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, p. 60. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 51–52. Zak, *Hussein Ose Shalom*, p. 109. Oral history interview with Rehavam Ze'evi, Sept. 9, 2001.

47. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 97–98; box 18: Johnson to Eshkol, June 3, 1967; Intelligence Information Cable: France, June 3, 1967. ISA, 7920/2, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams, France: Meroz to Eban, June 3, 1967. Mansoor, *Arab World*, entry for June 2. De Gaulle-Eytan conversation in Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 143. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 214.

48. Dayan, *My Life*, p. 342. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 216–18. Amit, Report on Visit to the United States, June 4, 1967. Information on the *Dolphin* in ISA, 7919/1, Levi Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Bitan to Evron, May 24, 1967, and in PRO, PREM 13 1619: The Middle East Crisis – Summary of telegrams, June 3, 1967.

49. Dayan, *My Life*, pp. 343–47. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 221. Zorach Warhaftig, *Hamishim Shana ve-Shana: Pirkei Zikhronot* (Jerusalem: Yad Shapira, 1998), pp. 178–82.

50. Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 181–82. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 122–30. Imam, *Nasir wa-'Amer*, pp. 143–49. 'Abd al-Hamid, *Al-Mushir wa-Ana*, p. 125. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, p. 109. Heikal, *Al-Infijar*, p. 699. El-Sadat, *In Search of Identity*, p. 174. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, p. 57. Nasser-Sidqi conversation in Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askariyya al-Misriyya* 2, pp. 5–6; see also 4, pp. 13–19, and 5, pp. 22–23. BBC, Daily Report, Middle East, Africa and West Europe, No. 196, B4. Interview with General Hudud in *Al-Hawadith* (Lebanon), Sept. 8, 1972—cited in Yariv, *Ha'arakha Zehira*, p. 155.

51. Al-Baghdadi, *Mudhakkirat*, p. 274. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askariyya al-Misriyya* 4, p. 19; 5, pp. 21–23. PRO, FCO/39/286 UAR – Economic Affairs: Foreign Office to Washington, June 3, 1967; PREM 13 1619, The Middle East Crisis: Foreign Office to Washington, June 3, 1967. Farid, *Nasser*, p. 20. Mahjoub, *Democracy on Trial*, p. 114. Ben D. Mor, "Nasser's Decision-Making in the 1967 Middle East Crisis: A Rational-choice Explanation," *Journal of Peace Research* 28, no. 4 (1991), pp. 359–75. Nasser's interviews with the British press appear in Mansoor, *Arab World*, entry for June 3.

Notes to Pages 159–162

52. PRO, FCO 17/494, Israel – Political Affairs: Cairo to Foreign Office, June 2, 1967 (Tesh quote); FCO 39/233 UAR Internal Political Situation: Canadian Embassy, Cairo to Foreign Office, June 2, 1967. USNA, Central Policy files, 1967–1969, POL 2 UAR, box 2553: Alexandria to the Department of State, May 31, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 82–83. UN, DAG 1/5.2.2.1.2-2, Middle East: El Kony to the Secretary-General, June 2, 1967. Nasser quote in BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, No. B4. See also Stephens, *Nasser*, p. 480.

53. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 109–11, 128–30. Nasser and 'Amer exchange in 'Abd al-Hamid, *Al-Mushir wa-Ana*, pp. 125, 212–13. Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 181–82. Imam, *Nasir wa-'Amer*, pp. 143–49. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, p. 109. Heikal, *Al-Infijar*, p. 699. Mahmud Murad "Harb Haziran," *Al-Majalla al-'Askariyya* 19, no. 1 (Aug. 1968), pp. 45–46. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askariyya al-Misriyya* 2, pp. 14–15. Abu Dhikri, *Madhbahat al-Abriya'*, pp. 156–62. USNA, Central Policy files, 1967–1969, POL Arab-ISR, box 7: Alexandria to the Department of State, May 16, 1967.

54. 'Abd al-Hamid, *Al-Mushir wa-Ana*, pp. 212–13. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 115–16. Imam, *Nasir wa-'Amer*, pp. 146–48. Gawrych, *The Albatross of Decisive Victory*, pp. 20–21. 'Amer quotes from Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, pp. 94–95, 98. Amin al-Nafuri, *Tawazun al-Quwwa bayna al-'Arab wa-Isra'il*, pp. 212–13.

55. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, pp. 51, 107. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 92–93, 104, 123–26. Walter Laqueur, *The Road to Jerusalem: The Origins of the Arab-Israeli Conflict, 1967* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1968), pp. 288–93. Al-Shuqayri, *Mudhakkirat* 5, pp. 76–77. Oral history interview with General Yeshayahu (Shaike) Gavish, Dec. 7, 1999. USNA, ARAB-IS, box 14: Memorandum for the files – Captured UAR Battle Order, June 2, 1967. Versions of the War Order also appear in Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 193, and Kimche and Bawly, *The Sandstorm*, pp. 109–10.

56. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 112–18. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 278–79. Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, pp. 121, 127, 140–41. Hammel, *Six Days in June*, p. 293. Bull, *War and Peace in the Middle East*, p. 111. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, pp. 62–64, 73. Oral history interview with Yusuf Khawwash, Nov. 16, 1999; Mahmud Abu Faris, Nov. 17, 1999. El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, p. 359.

57. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 112–18, 122. Hussein, *My "War" with Israel*, pp. 54–59. USNA, Summary of MEDAC, box 13: Middle East Sitrep as of June 4. The orders for Operation Tariq, discovered by Israeli forces during the war, can be found at the IDF Intelligence Library: The Six Day War, file 1, Jordan, Document 59/1/67, Col. 'Abd al-Rahim Fakhr al-Din, May 22, 1967. The orders are also discussed in PRO, PREM 13 1622: Record of Conversation between the Foreign Secretary and the Israeli Ambassador, June 30, 1967. Hussein quote in PRO, PREM 13 1619: The Middle East Crisis, Amman to Foreign Office, June 4, 1967.

58. USNA, Summary of MEDAC, box 13: Middle East Sitrep as of June 1. Tlas quote from PRO, FO 17/671: Syria – Political Affairs, Damascus to Foreign Office, June 3, 1967. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, pp. 52, 104. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 112. Al-Shuqayri, *Mudhakkirat* 5, pp. 215–20. See also Hani al-Shum'a, *Ma'arik Khalida fi Ta'rikh al-Jaysh al-'Arabi al-Suri* (Damascus: Al-Tiba'a al-Suriyya, 1988).

Notes to Pages 163–165

59. USNA Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 12 SY, box 2511: Beirut to the Department of State, June 3, 1967. ISA, Foreign Ministry files, 4083/3, Contacts with the Soviet Union, Raviv to Shimoni, June 7, 1967. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 169–73. Segev, *Sadin Adom*, p. 223. Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, pp. 230–32. Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ha-Rama*, pp. 55–57. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 133–41. For documents on Operation Victory, see IDF Intelligence Library, The Six Day War, file 1: Syria, Defense Ministry Document No. 26/123 Southwest Area Command, Operations Branch to 8th Brigade Operations, by Col. K.M. Ahmad, Signed General Muhamad Ahmad Ayd, 123rd Brigade Commander, June 3, 1967. See also Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ha-Rama*, pp. 55–57, and O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, p. 229.

60. USNA, USUN, box 6: CINSTRIKE to AIG, May 24, 1967. Oral history interview with Fayiz Fahed Jaber, Nov. 17, 1999. Mustafa Khalil, *Suqut al-Julan* (Amman: Dar al-Yaqin lil-Tiba'a wal-Nashr, n.d.), pp. 25–26, 174, 248–49, 254. IDF Intelligence Library, Internal Syrian Army Papers: The Southwestern Front, June 9, 1967. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, p. 130. Oral history interviews with Ibrahim Isma'il Khahya and Muhammad 'Ammar, Jan. 10, 2001; with Marwan Hamdan al-Khuli, Jan. 11, 2001. Sisser, "Bein Yisrael le-Suria," pp. 224–25. Tlas quote from Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, p. 162; also cited in Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 191.

61. LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Beirut to the Secretary of State, June 2, 1967; box 18: Sanaa to the Secretary of State, May 23, 1967. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 694–95. PRO, FO 17/489, Israel – Political Affairs: Cairo to Foreign Office, June 3, 1967 (Nasser threat to close the Suez Canal). USNA, POL ARAB-ISR, box 1789: Amman to the Department of State, May 27, 1967 (Jum'a quote). Mansoor, *Arab World*, entries for June 2, 3, 4 (Boumedienne quote). Arab military figures, from Rabin, *Memoirs*, p. 100. 'Aref quote from BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, No. 1.

62. USNA, Middle East Crisis files, Maritime Declaration, box 13: Memorandum of U.S.-British Conversation, June 2, 1967; META Agenda, Actions, Minutes, box 15: Memorandum for the Middle East Control Group, May 31, 1967; Intelligence Notes, box 11: Hughes to the Secretary of State, June 5, 1967. PRO, FO17/497: Israel – Political Affairs: Draft Paper for Cabinet – Middle East Crisis—Conversation between the Prime Minister and the President at the White House, June 2, 1967; PREM 13 1619, The Middle East Crisis: Prime Minister to the Foreign Secretary, June 3, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 95–96; NSC Histories, Middle East Crisis, box 21: Arab-Israeli Situation Report, May 31, 1967. ISA, Foreign Ministry files, 4083/3, Contacts with the Soviet Union: Ankara to Tekoah – Soviet Ships in the Mediterranean, June 1, 1967. The passage of Soviet ships through the Dardanelles was widely reported in the Middle East; see Mansoor, *The Arab World*, entries for June 2, 3, 4, 1967.

63. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 86–89, 103–5; NSC Histories, Middle East Crisis, box 21: Arab-Israeli Situation Report, May 31, 1967; box 18: Saunders to Walt Rostow, May 31, 1967 ("parade of horribles"); Memorandum for the Secretary of Defense, June 2, 1967; box 17: USUN to the Secre-



tary of State, May 29, 1967. USNA, Arab-Israel Crisis, Miscellaneous Reports, box 15: Memorandum for the Secretary of Defense, May 25, 1967. PRO FCO/39/261, UAR – Relations with the United States: Washington to the Foreign Office, June 4, 1967; PREM 13 1619, The Middle East Crisis: Washington to the Foreign Office, June 4, 1967. ISA, 7919/1, Levi Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Evron to Eshkol, May 31, 1967. Oral history interview with Walt Rostow, July 27, 1999; with Eugene Rostow, Aug. 5, 1999.

64. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Reflections Pre-Eban (Saunders), May 25, 1967; box 18: Arab-Israel: Where We Are and Where We're Going (Saunders), May 31, 1967. USNA, Middle East Crisis files, 1967, box 17: Ninth Control Group Meeting, June 4, 1967; Arab-Israeli Crisis, Intelligence Notes, box 11: Denny to Rusk, June 2, 1967; Battle to the Secretary of State, June 2, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 18: Walt Rostow to the President, June 4, 1967; Saunders to Walt Rostow, May 31, 1967. Rusk quote from Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 121–22, and from Rusk, *As I Saw It*, p. 385. Feinberg quote from Quandt, *Peace Process*, p. 48.

65. USNA, Middle East Crisis files, 1967, box 13: Circular to All American Diplomatic Posts (Rusk), June 4, 1967. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, pp. 110–15. Imam, *Nasir wa-'Amer*, pp. 156–57 (Dugheidi quote). Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 132–34. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askariyya al-Misriyya 5*, pp. 24–25. 'Imad Al-'Ilmi, *Harb 'Am 1967* (Acre: Al-Aswar lil-Thaqafa, 1990), p. 114. USNA, Central Policy files, 1967–1969, POL 2 UAR, box 2553: Jidda to the Department of State, Aug. 29, 1967. Bar-Zohar, *Embassies in Crisis*, p. 176. Murtagi communiqué in Lall, *The UN and the Middle East Crisis*, p. 48, and in Rikhye, *Sinai Blunder*, pp. 95–97.

66. Rikhye, *Sinai Blunder*, pp. 96–100. Donovan, *Six Days in June*, p. 78.

67. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 122. El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, p. 373. Hussein, *My "War" with Israel*, p. 59.

68. ISA, Foreign Ministry files, 4083/3, Contacts with the Soviet Union: Katz to Foreign Ministry, June 4, 1967; 7920/2, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams, USSR: Katz to Foreign Ministry, May 24, 1967; Katz to Levavi, June 4, 1967. Dagan, *Moscow and Jerusalem*, p. 224.

69. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 47–48. BGA, Diary, Entry for June 4, 1967. YAD, Remarks by Yitzhak Rabin, Feb. 3, 1987. Rabin, *Memoirs*, pp. 98–100. Slater, *Rabin of Israel*, p. 133. Nachshon quote in IDF, 1977/1786: The Regular Paratrooper Brigade in the Six-Day War, Commander 35th Brigade, p. 619. Dayan, *My Life*, pp. 349–50. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 222–24. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 51–52. ISA, Foreign Ministry files, 4089/4, Prime Minister's Memoranda; Eshkol to Kosygin, June 5, 1967; Eshkol to Johnson, June 5, 1967. Similar letters were sent to Lester Pearson and Charles de Gaulle; see NAC, RG 25, box 10050: Political Affairs – Canada's Foreign Policy Trends and Relations – Israel: Tel Aviv to Ottawa, June 5, 1967 and ISA, 7920/2, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams, France: Eshkol to de Gaulle, June 5, 1967.

The War: Day One, *June 5*

1. PRO FCO17/576: Israel – Defense: Report of Air Attaché, July 13, 1967. USNA, Middle East Crisis, 1967, Cir/Military files, box 6: CINSTRIKE to AIG 930, May 24, 1967. 'Isam Darraz, *Dubbat Yunyu Yatakallamun: kayfa Shahada Junud Misr Hazimat 67*

Notes to Pages 171–177

(Cairo: al-Manar al-Jadid lil-Sahafa wal-Nashr, n.d.), pp. 89–94. Ze'ev Schiff, *Tzahal be-Hailo: Encyclopedia le-Tzava u-le-Bitahon* (Tel Aviv: Revivim, 1981), pp. 98–99 (Hod quote). Ehud Yanay, *No Margin for Error: The Making of the Israeli Air Force* (New York: Pantheon Books, 1993), pp. 234–36 (including the Harlev quote). "Hail ha-Avir ba-Milhama," *Bit'on Hail ba-Avir*. 'Imad Al-'Ilmi, *Harb 'Am 1967* (Acre: Al-Aswar lil-Thaqafa, 1990), pp. 90–91. Gawrych, *The Albatross of Decisive Victory*, pp. 14, 25. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 5*, p. 20. Shmuel M. Katz, *Soldier Spies: Israeli Military Intelligence* (Novato, Calif.: Presidio Press, 1992), pp. 150–201. Oral history interview with Motti Hod, March 9, 1999. A profile of Wolfgang Lotz and other Israeli intelligence sources in Egypt appears in http://www.us-israel.org/jsource/biography/Lotz.html.

2. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 132–35. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 822–27. *Al-Hawadith*, interview with Shams Badran, Sept. 2, 1977, p. 21. Ramadan, *Tahtim al-Aliha*, pp. 93–94. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, p. 24. 'Abd al-Hamid, *Al-Mushir wa-Ana*, pp. 217–20. Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Series of Events on the Jordanian Front, June, 1967. "Hail ha-Avir ba-Milhama," *Bit'on Hail ha-Avir*. Rozner, "Ha-5 be-Yuni 1967 be-Kahir." Dupuy, *Elusive Victory*, p. 242. 'Awda and Imam, *Al-Naksa—Man al-Mas'ul?*, p. 87. 'Afifi quote in Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 3*, pp. 7–8; see also 4, pp. 15–6, and 5, pp. 33–39.

3. YAD, Remarks by Yitzhak Rabin, Feb. 3, 1987, p. 24. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, p. 67. Weizman quote from Weizman, *On Eagles' Wings*, p. 221.

4. YAD, Conference on the Six-Day War sponsored by the Center for the History of Defensive Force, Feb. 3, 1987, remarks by Motti Hod. P3RO FCO17/576: Israel – Defense: Report of Air Attaché, July 13, 1967. "Hail ha-Avir ba-Milhama," *Bit'on Hail ha-Avir*. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 88–89. Al-'Ilmi, *Harb 'Am 1967*, p. 239. Weizman, *On Eagles' Wings*, pp. 192, 223–24. Rabin, *Memoirs*, p. 104. Yanay, *No Margin for Error*, p. 217. Gawrych, *The Albatross of Decisive Victory*, p. 14. Dupuy, *Elusive Victory*, p. 245. O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, pp. 53, 59.

5. Van Creveld, *The Sword and the Olive*, p. 162. Dupuy, *Elusive Victory*, p. 246. PRO FCO17/576: Israel – Defense: Report of Air Attaché, July 13, 1967. *Bit'on Hail ha-Avir* 20, no. 74/75 (Dec. 1967). Hammel, *Six Days in June*, pp. 167–68. Zaki quote from Darraz, *Dubbat Yunyu Yatakallamun*, pp. 7–8. Bin-Nun quote from "First Strike," *Jerusalem Post*, June 5, 1997.

6. LBJ, National Security files, NSC Histories, The Middle East Crisis, box 23: Cairo to the Secretary of State, June 5, 1967. Ben Akiva and Guvrin, "Sh'at ha-Mirage—Esrim Shana le-Milhemet Sheshet ha-Yamim." Dayan, *My Life*, pp. 351–53. Schiff, *Tzahal be-Hailo*, pp. 103–4. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 226–67. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 140–41. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 5*, p. 31. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, pp. 25–26. Hammel, *Six Days in June*, pp. 168–70. Yanay, *No Margin for Error*, p. 243. Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 245–46. O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, pp. 65–67. M. Naor, and Z. Aner, eds., *Yemei Yuni – Teurim min ha-Milhama 1967* (Tel Aviv: Ma'arakhot, 1967), p. 77. PRO FCO17/576: Israel – Defense: Report of Air Attaché, July 13, 1967. Rozner, "H-5 be-Yuni 1967 be-Kahir." Oral history interview with Motti Hod, March 9, 1999; with Sa'id Ahmad Rabi', July 4, 1999.

7. Darraz, *Dubbat Yunyu Yatakallamun*, pp. 7–12 (Zaki testimony and quote), 25–33 (Hashim Mustafa Hassan testimony). Khouri, *Al-Watha'iq al-Filastiniyya*, pp. 314–



16. Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Series of Events on the Jordanian Front, June, 1967. V.A. Zolotarev, main ed., *Rossia (SSSR) v' lokal'nykh voinakh i voennykh konfliktakh vtoroi poliviny XX veka* (Moscow: Kuchkovo Pole, 2000), pp. 183–84 (Tarasenko quote). Imam, *'Abd al-Nasir—Kayfa Hakama Misr*, pp. 366–67. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 143–45. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 5*, pp. 26–27 (Sidqi quote). Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, p. 127. Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 122–23. Ramadan, *Tahtim al-Aliha*, pp. 97–98. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, p. 24. Hussein, *My "War" with Israel*, pp. 60–61. Dupuy, *Elusive Victory*, p. 267. Joseph Finklestone, *Anwar Sadat: Visionary Who Dared* (London: Frank Cass, 1996), p. 57. USNA, Central Policy files, 1967–1969, POL 2 UAR, box 2553: Cairo to the Department of State, June 5, 1967. Oral history interview with Eric Rouleau, Dec. 18, 2000.

8. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 830–33. Al-Jiyyar, "Ayyam al-Naksa fi Bayt 'Abd al-Nasir," *Ruz al-Yusuf 2482* (January 5, 1976), p. 8. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, pp. 23–24. El-Sadat, *In Search of Identity*, p. 175. Cairo Radio quotes from BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, B4, B5. Oral history interview with Israel Tal, Aug. 23, 1999; with Yeshayahu Gavish, Dec. 7, 1999.

9. IDF, 192/74, file 1348: The Battle for the Southern Front, n.d., p. 3; 1977/17: Ugdah 84, Hativa 35, in the Six-Day War, pp. 637–42; 1977/1786: The Regular Paratrooper Brigade in the Six-Day War, Commander 35th Brigade, 605, 625 (Tal quote); IDF, 717/77, file 86: Battle for the Southern Front, p. 353. Rabin, *Memoirs*, p. 102. Dayan, *My Life*, pp. 359–60. Segev, *Sadin Adom*, p. 83.

10. IDF 1977/17: Ugdah 84, 35th Brigade in the Six-Day War, pp. 646–48; Eytan quote on p. 650; 717/77, file 86: Battle for the Southern Front, p. 367 (description of Jiradi battle). Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 249–52. Hammel, *Six Days in June*, pp. 144, 176–79. Churchill and Churchill, *The Six Day War*, p. 106. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, p. 147. Gawrych, *Albatross of Decisive Victory*, p. 44. Gonen quote from Shabtai Teveth, *The Tanks of Tammuz* (London: Sphere Books, 1969), pp. 108–9. Gonen press comment from O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, p. 109. Tal quote from Churchill and Churchill, *The Six Day War*, pp. 108–9. Peled, *Ish Tzava*, p. 105. Oral history interview with 'Izzat 'Arafa, July 6, 2001.

11. Sharon, *Warrior*, pp. 191–92. Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 257–61. Hammel, *Six Days in June*, pp. 202–14, 228–31. O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, pp. 120–27.

12. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 21: Jerusalem to the Secretary of State, May 23, 1967. USNA, Summary of MEDAC, box 13: Middle East Sitrep as of June 4. The document reports that "Israel did not return the [Jordanian] fire and [we] do not yet attribute much importance to such incidents on that front." PRO, FO 17/489, Israel – Political Affairs: Jerusalem to the Foreign Office, June 5, 1967. IDF, 901/67/1 Central Command: The Six-Day War, Concluding Discussion 1; pp. 2 (Narkiss quote), 66, 142; 2, p. 3; 192/74/1076 Round Table Discussion on the Liberation of Jerusalem, n.d. Weizman, *On Eagles' Wings*, p. 210. O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, pp. 177–78. Ammunition Hill Archive, Museum of the Tourjeman Post: Interview with Yoram Galon, Sept. 27, 1983.

13. IDF, 901/67/1 Central Command: The Six-Day War, Concluding Discussion 2, p. 2 (Narkiss quote); 192/74/1076 Round Table Discussion on the Liberation of Jerusalem, n.d. Uzi Narkiss, *Soldier of Jerusalem*, pp. 200–203. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, pp. 12–13.

Notes to Pages 184–187

14. IDF, 901/67/1 Central Command, Six Day War, Concluding Report, Part A, p. 142 (Narkiss quote). Dupuy, *Elusive Victory*, p. 284. Hammel, *Six Days in June*, p. 290.

15. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, p. 125. ISA, 6444/6, Foreign Ministry files, North America Telegrams: Foreign Ministry to Embassies, June 5, 1967. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 222 (Dayan quote). Bull, *War and Peace in the Middle East*, pp. 42–43, 113. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, pp. 80–83. Rabin, *Memoirs*, p. 105. Narkiss quote from Schiff, *A History of the Israeli Army*, p. 132. Eban, *Personal Witness*, p. 409. Israel cable to Hussein in ISA, 6444/6 North America, telegrams: Foreign Ministry to Embassies, June 5, 1967.

16. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 16–18. Darraz, *Dubbat Yunyu Yatakallamun*, pp. 34–48. Hussein, *My "War" with Israel*, pp. 60–64. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 116–17, 125–26. Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama* (Abu Nawwar quote), p. 142. Col. Ephraim Kamın, "Haf'alat ha-Zira ha-Mizrahit be-Milhemet Sheshet ha-Yamim," *Ma'arakhot* 325 (June 1992), pp. 16–17. El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, p. 379. Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Series of Events on the Jordanian Front, June, 1967. Oral history interview with 'Awad Bashir Khalidi, Nov. 17, 1999; with Shafiq 'Ujeilat, Nov. 17, 1999; with Yusuf Khawwash, Nov. 16, 1999.

17. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 23: Amman to the Secretary of State, June 5, 1967. ISA, 4078/7, Foreign Ministry files, Contacts with the United States with the Entry of Egyptian Forces into Tiran: Evron to Foreign Ministry, June 5, 1967 (Hussein quote to American ambassador). O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, p. 181 (another version of Hussein's response). Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Sequence of Events on the Jordanian Front, June, 1967. Hussein, *My "War" with Israel*, pp. 64–65, 71 (Nasser quote). Rabin, *Memoirs*, p. 188. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 123, 130. Dann, *King Hussein and the Challenge of Arab Radicalism*, p. 163.

18. IDF 901/67/1 Central Command: The Six-Day War, Concluding Discussion 1: Testimony of Col. Reuben Davidi, artillery corps, p. 64. PRO FCO17/576: Israel – Defense: Report of Air Attaché, July 13, 1967. LBJ, National Security Council files, History of the Middle East Crisis, box 18: McPherson to the President, June 11, 1967; NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Amman to the Secretary of State, June 5, 1967 (remark of Soviet ambassador). Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 40–41, 264–65. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, p. 194. Schiff, *Tzahal be-Hailo*, pp. 104–5. Yanay, *No Margin for Error*, pp. 249–50. Dayan, *My Life*, p. 353. Orders to Jordanian commanders in Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, pp. 188, 195.

19. USNA, Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 27-7 ARAB-ISR, box 1830: Jerusalem to Department of State, June 5, 1967. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, pp. 151, 352. Teddy Kollek, *For Jerusalem*, pp. 190–91. Bull, *War and Peace in the Middle East*, p. 113. PRO, FO 17/489, Israel – Political Affairs: Jerualem to Foreign Office, June 5, 1967. Ammunition Hill Archive, Museum of the Tourjeman Post: Interview with Eliezer Amitai, n.d. Amitai quote from IDF, IDF 901/67/1 Central Command: The Six-Day War, Concluding Discussion 1, p. 43.

20. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 56–57. Dayan, *My Life*, pp. 358–59. Hammel, *Six Days in June*, p. 295. On the continued flow of French arms to Israel, see LBJ National Security file, Middle East Crisis, box 104, 107: Paris to the Department of State, June 8, 1967. PRO, PREM 13 1620, Middle East Crisis: Paris to Foreign Office, June 9, 1967.



21. PRO, FCO 17/275: Amman to Foreign Ministry, Air Attaché's Report on the Jordan-Israel Battles, June 5, 1967; FCO 17/490, Israel – Political Affairs: Report of the Air Attaché, July 13, 1967. Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Sequence of Events on the Jordanian Front, June 1967. Hussein, *My "War" with Israel*, pp. 72–73, 111. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 9–12. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 125–26. Dayan, *My Life*, pp. 353–54. Yanay, *No Margin for Error*, pp. 253–54. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, p. 50. Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, p. 196. Bull, *War and Peace in the Middle East*, p. 112. O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, pp. 69–71. Tal quote from Al-Shuqayri, *Mudhakkirat* 5, pp. 279–80.

22. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, p. 97. Quote from Ari Milstein, "Ha-Til she-Haras et Emdot ha-Ligion," *Bamahane* 34 (May, 1977). Ben-Or quote from Schiff, *Tzahal be-Hailo*, pp. 102–3.

23. Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 222. Zak, *Hussein Ose Shalom*, p. 110 (Beiberman and Jum'a quotes). Dome of the Rock announcement in Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, p. 117.

24. El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, p. 374. Oral history interview with Badi 'Awad, Nov. 21, 1999. Bull's protest appears in UN, DAG 13 3.4.0: 84: Chairman IJMAC to Chief of Staff UNTSO, May 11, 1967.

25. Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Sequence of Events on the Jordanian Front, June, 1967. Bull, *War and Peace in the Middle East*, pp. 114–15. De Carvalho quote from *Life: Special Edition – Israel's Swift Victory* (1967), p. 50. Narkiss quote from IDF, 901/67/1 Central Command: The Six-Day War, Concluding Discussion 1; 192/74/1076 Round Table Discussion on the Liberation of Jerusalem, n.d. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, pp. 116–22. Hammel, *Six Days in June*, pp. 293–94. Dupuy, *Elusive Victory*, p. 294. Michael Shashar, *Milhemet ha-Yom ha-Shvi'i: Yoman ha-Mimshal ha-Tzvai be-Yehuda ve-Shomron* (Tel Aviv: Hoza'at Poalim, 1997), p. 133.

26. IDF, Central Command: The Six-Day War, Concluding Discussion 2, p. 29. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 56–58. Narkiss, *Soldier of Jerusalem*, pp. 203–6. Bartov, *Dado*, p. 97. Hammel, *Six Days in June*, pp. 307–8, 362–66. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, p. 196. Mustafa, *Harb Haziran 1967*, pp. 279–81. Dupuy, *Elusive Victory*, p. 294. All quotes from Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 227–28. Oral history interview with Rehavam Ze'evi, Sept. 9, 2001.

27. IDF, 901/67/1 Central Command: The Six-Day War, Concluding Discussion 2, pp. 43–44; 192/74/1076 Round Table Discussion on the Liberation of Jerusalem, n.d., p. 49 (Dreizin quote). ISA, Foreign Ministry files, 4086/1: Government House, Foreign Ministry to New York, June 6, 1967. Slater, *Rabin of Israel*, p. 135. Narkiss, *Soldier of Jerusalem*, pp. 206–7. U Thant, *View from the UN*, p. 255. Hammel, *Six Days in June*, pp. 300–304. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, pp. 123–31, 138–48. Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 294–95. Oral history interview with Rafi Benvenisti, Jan. 1, 1999; with 'Ata 'Ali, Nov. 18, 1999.

28. Hammel, *Six Days in June*, pp. 84–85, 117. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, pp. 49–50. IDF, 901/67/1 Central Command: The Six-Day War, Concluding Discussion 2, pp. 5, 76; 192/74/1076 Round Table Discussion on the Liberation of Jerusalem, n.d., p. 50 (Gal quote); 901/67/ Central Command: The Six-Day War, Concluding Discussion 2, p. 39 (Ben-Ari quote). Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Sequence of Events on the Jordanian Front, June, 1967. Motta Gur, *Har ha-Bayyit be-Yadeinu!: Kravot ha-Tzanhanim be-Yerushalayim be-Milhemet*

Notes to Pages 193–196

Sheshet ha-Yamim (Tel Aviv: Ma'arakhot, 1974), pp. 53–54 (Gur quote), 75–80. Oral history interview with Shimon Kahaner, Oct. 18, 2000.

29. IDF 901/67/1 Central Command: The Six-Day War, Concluding Discussion 2, p. 40 (Ben-Ari quote); 192/74/1076 Round Table Discussion on the Liberation of Jerusalem, n.d., p. 57 (Gal quote). Hammel, *Six Days in June*, pp. 315–18. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, pp. 195–96. El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, p. 377.

30. Elad quoted in El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, p. 384. Ami Shamir, "Im ha-Koah she-Ala al Jenin," *Lamerhav*, no. 3014 (June 8, 1967), p. 4. Eitan Haber and Ze'ev Schiff, eds., *Lexicon le-Bithon Yisrael* (Tel Aviv: Mahadurat Davar, 1976), p. 423. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 116–17. Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, pp. 205–6, 303. Hussein, *My "War" with Israel*, pp. 76–78. Mustafa, *Harb Haziran 1967*, pp. 279–81. Moshe Bar Kokhva, *Merkavot ha-Plada* (Tel Aviv: Ma'arakhot, 1989), pp. 151–52. Interview with 'Awad Bashir Khalidi, Nov. 17, 1999.

31. IDF, Central Command: The Six-Day War, Concluding Discussion 2, pp. 29–40. Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Sequence of Events on the Jordanian Front, June, 1967. Kamm, "Haf'alat Hazira ha-Mizrachit be-Milhemet Sheshet ha-Yamim," p. 21; *Hussein Poteah be-Milhama*, pp. 190–92. Sadiq al-Shara', *Hurubuna ma'a Isra'il* (Amman: Dar al-Shuruq lil-Nashr wal-Tawzi', 1997), p. 491. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 76–78, 135. Hussein, *My "War" with Israel*, pp. 76–78. Mustafa, *Harb Haziran 1967*, pp. 279–81. Hammel, *Six Days in June*, pp. 362–66. Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 309–11. Bar Kokhva, *Merkavot ha-Plada*, pp. 152–67.

32. USNA Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 12 SY, box 2511: Beirut to State Department, June 19, 1967. LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 23: Damascus to the Secretary of State, June 5, 1967. PRO, FO 17/490, Israel – Political Affairs: Damascus to Foreign Ministry, June 5, 1967. Schiff, *Tzahal be-Hailo*, p. 108. Yanay, *No Margin for Error*, pp. 253–54. Dayan, *My Life*, pp. 353–54. O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, pp. 61–62. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, p. 197. Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ha-Rama*, pp. 66–67. Mustafa, *Harb Haziran 1967*, pp. 142–45, 270–71. Al-'Ilmi, *Harb 'Am 1967*, pp. 190–91.

33. Mustafa, *Harb Haziran 1967*, pp. 184–85. PRO, FO 17/490, Israel – Political Affairs: Damascus to Foreign Ministry, June 5, 1967. Israel Intelligence Library : Internal Syrian Army Papers: The Southwestern Front, June 29, 1967; The Six Day War, file 1, Syria, Defense Ministry Document No. 25/3 to Col. Ahmad al-Amir Mahmud, commander of the 12th Brigade Attack Group, June 5, 1967. Baron, *Hotam Ishi*, p. 58. Bartov, *Dado*, p. 96. Draper, *Israel & World Politics*, p. 114. David Dayan, *Me-Hermon ad Suez: Korot Milhemet Sheshet ha-Yamim* (Ramat Gan: Masada Press, 1967), pp. 202–5. Khalil, *Suqut al-Julan*, pp. 139–41. Mustafa Tlas, *Mir'at Hayati*, (Damascus: Tlasdar, 1995), pp. 854-55. Atassi quote from Khouri, *Al-Watha'iq al-Filastiniyya*, p. 292. Assad quote from Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ha-Rama*, pp. 69–70.

34. Baron, *Hotam Ishi*, p. 58. Dayan, *My Life*, p. 375. YAD, Ramat Efal, Israel: Remarks by Matti Mayzel, June 20, 1966. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 196–200.

35. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 18: Walt Rostow's Recollections of June 5, 1967 Security Council Meeting, Nov 17, 1968; box 19: Daily Brief for the President, June 5, 1967; box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 106–108; NSC Histories, Middle East Crisis, box 23: Circular, All American Diplomatic Posts, June 5, 1967; box



Notes to Pages 196–199

18: Memorandum for the Record, "Who Fired the First Shot?" Dec. 19, 1968. USNA, Middle East Crisis files, 1967, Chronology, box 8: Tel Aviv to the Secretary of State, June 5, 1967; box 17: The President in the Middle East Crisis, Dec. 19, 1968 ("All HELL broke lose"); box 21: Memorandum for Mr. W.W. Rostow (Davis), June 5, 1967; Arab-Israeli Situation Report, June 5, 1967 ("reduced by a coefficient of ten"). Quandt, *Peace Process*, p. 520, ft. 5. Oral history interview with Robert McNamara, Feb. 11, 2000. Johnson quote from Johnson, *Vantage Point*, p. 297. Rusk quote from Rusk, *As I Saw It*, pp. 386–87.

36. LBJ: National Security file, History of the Middle East Crisis, box 19: Kosygin to Johnson, June 5, 1967; Rusk to Gromyko, June 5, 1967; Johnson to Kosygin, June 5, 1967. PRO, FO 17/490, Israel – Political Affairs: Washington to Foreign Ministry, June 5, 1967. USNA, Middle East Crisis files, 1967, Situation Reports, box 13: Chronology of U.S.-USSR Consultations on the Middle East, May 18 – June 10, 1967. PRO, FO 17/490, Israel – Political Affairs, Washington to Foreign Office, June 5, 1967. Johnson and McNamara quotes from Johnson, *The Vantage Point*, p. 287, and Robert S. McNamara, *In Retrospect: The Tragedy and Lessons of Vietnam* (New York: Times Books, 1995), pp. 278–79. Quandt, *Peace Process*, pp. 50–51. Alvin Z. Rubinstein, *Red Star on the Nile*, pp. 9–10. Johnson message to Eshkol in Eban, *Personal Witness*, p. 409.

37. USNA, Middle East Crisis, Chronology June 4th – 7th, box 15: Tel Aviv to Department of State, June 5, 1967; Memorandum for the Middle East Task Force, May 29, 1967 (Rostow quote). LBJ, National Security file, National Security Council Histories, Middle East Crisis, 1967, 1, box 17: Saunders to Rostow, May 15, 1967; The President in the Middle East Crisis, Dec. 19, 1968 (Walt Rostow quote); History of the Middle East Conflict, box 18: Walt Rostow's Recollections of June 5, 1967 Security Council Meeting, Nov 17, 1968; Tel Aviv to the Department of State, June 5, 1967; Memos to the President (W. Rostow), box 17: Rostow to the President, June 5, 1967. PRO, FO 17/490, Israel – Political Affairs: Rostow to Certain Embassies, June 5, 1967.

38. USNA, Summary of MEDAC, box 13: Rusk to Johnson, June 5, 1967; Middle East Crisis files, 1967, box 2: Nairobi to the Department of State, June 5, 1967 (see also cables from Tokyo, Adis Ababa, and Lisbon); Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 12 SY, box 2511 Beirut to the Department of State, June 5, 1967. LBJ, National Security file, The Middle East Crisis, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 112–18; History of the Middle East Crisis, box 18: Califano to Johnson, June 5, 1967; White House Communiqué, June 5, 1967; NSC Histories, Middle East Crisis, box 21: Arab-Israeli Situation Report, June 6, 1967; box 23: Circular, All American Diplomatic Posts, June 5, 1967; Circular, London to Washington, June 5, 1967. Rikhye, *Sinai Blunder*, pp. 99–100. Draper, *Israel & World Politics*, p. 111.

39. PRO, FO, 7/490, Israel – Political Affairs, New York to Foreign Ministry, June 5, 1967 (Egyptian complaint to the Security Council). ISA, 4086/4, Foreign Ministry files, Security Council Meetings, Eban to Levavi, June 5, 1967. LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 23: USUN to the Secretary of State, June 5, 1967. UN, DAG 1/5.2.2.1.2-2 El Kony to the Secretary-General, June 5, 1967. U Thant, *View from the UN*, pp. 253–54 (Bunche quote). Lall, *The UN and the Middle East Crisis*, pp. 46–50. Rafael, *Destination Peace*, pp. 154–55. El Kony quote in Shevchenko, *Breaking with Moscow*, p. 133. Oral history interview with George Tomeh, Nov. 17, 1999; with Dr. Muhammad al-Farra, Nov. 16, 1999.

Notes to Pages 200–206

40. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 17: W. Rostow to the President, May 26, 1967; Arthur J. Goldberg Oral History, pp. 20–21; Eugenie Moore Anderson Oral History, p. 34; box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, p. 109. ISA, Foreign Ministry files, 3979/10, Goldberg: Evron to Bitan. March 2, 1967. Donovan, *Six Days in June*, pp. 100–101. For a general biography of Goldberg, see David L. Stebenne, *Arthur J. Goldberg: New Deal Liberal* (New York: Oxford University Press, 1996).

41. LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 20: The Cease-Fire Negotiations in New York, Nov. 7, 1968; box 21: State of Play in New York (Davis), May 26, 1967; Report by Bureau of International Organizations Affairs (Arthur Day), n.d; Arthur J. Goldberg Oral History, p. 17. PRO, FCO 17/494, Israel – Political Affairs: Hayman Minute, June 5, 1967. Lall, *The UN and the Middle East Crisis*, pp. 50–59. Wilson, *The Chariot of Israel*, pp. 348–50. Federenko quote from Dagan, *Moscow and Jerusalem*, pp. 228–29.

42. ISA, 4086/4, Foreign Ministry files, Security Council Meetings: Eban to Rafael, June 5, 1967.

43. IDF, 522/69/212: General Operations Survey, n.d. Hammel, *Six Days in June*, pp. 232–40. Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 259–61. Sharon, *Warrior*, pp. 189, 191. O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, pp. 124–26. Egyptian Military Orders in Khouri, *Al-Watha'iq al-Filastiniyya*, pp. 314–15. Bahgat quote in Darraz, *Dubbat Yunyu Yatakallamun*, pp. 81–82. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, p. 62.

44. Most of the UNEF casualties were members of the Indian contingent caught in an Israeli artillery barrage. India protested the action. See Mansoor, *Arab World*, entry for June 5. Yahya Sa'ad Basha's testimony appears in Darraz, *Dubbat Yunyu Yatakallamun*, pp. 49–54. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 50–52. Teveth, *The Tanks of Tammuz*, pp. 194–95. Oral history interview with Rafael Eytan, Feb. 24, 1999. IDF, 1977/71786: The Regular Paratrooper Brigade in the Six Day War, Commander 35th Brigade (Eytan quote); 717/77, file 86: Battle for the Southern Front, 375 (description of the al-'Arish battle).

45. LBJ National Security file, box 104, 107. Middle East Crises Joint Embassy Memorandum, June 5, 1967. Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Sequence of Events on the Jordanian Front, June, 1967. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 80–84. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 125–26. *Al-Watha'iq al-Urduniyya, 1967* (Amman: Da'irat al-Matbu'at wal-Nashr, 1967), pp. 491–92. Hammel, *Six Days in June*, pp. 362–66. Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, pp. 189–97 ('Ajluni quote on pp. 192–93). Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 308–9. 'Alayyan quote in El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, p. 386. Israeli official history quote in Yosef Eshkol, ed., *Milhemet Sheshet ha-Yamim* (Tel Aviv, Misrad ha-Bitahon, 1967), p. 85. YAD, interview with Ephraim Reiner, June 20, 1996.

46. IDF, Central Command: The Six-Day War, Concluding Report, Part B, pp. 3, 32. Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, p. 150. Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 295–97. PRO, FCO 17/493, Israel – Political Affairs: Foreign Office to Amman, June 7, 1967. Hammel, *Six Days in June*, p. 361. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, pp. 188–93. 'Awda and Imam, *Al-Naksa—Man al-Mas'ul?*, pp. 117–31. Marsi testimony appears in Darraz, *Dubbat Yunyu Yatakallamun*, pp. 34–48. Bar-Lev quote from Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 228. Gur quote from Gur, *Har ha-Bayyit be-Yadeinu!*, pp. 58–59, 86–89. Oral history interview with Muhammad Fallah al-Fayiz, Nov. 21, 1999.



Notes to Pages 207–213

47. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 57–58, 71–74. Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Sequence of Events on the Jordanian Front, June, 1967. Oral history interview with 'Ata 'Ali, Nov. 18, 1999. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 132. Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 292–96. Hammel, *Six Days in June*, pp. 300, 309–10. El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, pp. 379–80.

48. For Eshkol's reply to Allon and Begin, see Ammunition Hill Archive, Begin to Motta Gur, June 15, 1992. Zak, *Hussein Ose Shalom*, p. 110. Hussein, *My "War" with Israel*, p. 73. Benziman, *Ir lelo Homa*, pp. 13–14. Nadav Shragai, *Har ha-Merive: Ha-Ma'avak al Har ha-Bayyit, Yehudim ve-Muslemim, Dat ve-Politika Meaz 1967* (Jerusalem: Keter, 1995), pp. 18–20. Lior quote in Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 228.

49. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 58–59. Dayan, *My Life*, pp. 358–59. Dayan quote from Bartov, *Dado*, p. 97. All other quotes from Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 228–31. Benziman, *Ir lelo Homa*, pp. 14–19. Eban, *Personal Witness*, p. 412.

50. *Al-Watha'iq al-Urduniyya*, pp. 46–47. Mansoor, *Arab World*, entry for June 5, 1967.

51. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 143–46, 155–56. Imam, *'Abd al-Nasir—Kayfa Hakama Misr*, pp. 162–63. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, p. 67. Al-Jiyyar, "Ayyam al-Naksa fi Bayt 'Abd al-Nasir." El-Sadat, *In Search of Identity*, p. 172. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 830–33. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, p. 26. U Thant, *View from the UN*, p. 257. Dupuy, *Elusive Victory*, p. 267. Hammel, *Six Days in June*, p. 244. El-Sadat, *In Search of Identity*, p. 175. Rubinstein, *Red Star on the Nile*, pp. 9–10. Voice of the Arabs quote from BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, B3.

52. PRO, FO 17/490, Israel – Political Affairs: Washington to Foreign Ministry, June 5, 1967; PREM 13 1622: The Second Arab-Israel War, 1967: The Preliminaries (Hadow), July 6, 1967. Schiff, *A History of the Israeli Army*, p. 131. O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, p. 75. Ayyub quote from oral history interview with Fayiz Fahed Jaber, Nov. 21, 1999. Eshkol quote from Prittie, *Eshkol*, pp. 109–10.

53. USNA, Middle East Crisis, box 18: Tel Aviv to the Department of State, Chronology June 4th – 7th, June 7, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 18: W. Rostow to the President, June 5, 1967; Tel Aviv to the Secretary of State, June 5, 1967 ("push all the buttons").

Day Two, *June 6*

1. IDF, 192/74, file 1348: The Battle for the Southern Front, n.d., p. 3; 717/77, file 32: Summary of the Battle for the Southern Front, p. 29. Dayan, *My Life*, p. 355. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 146–47. Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 254–55, 263–64. Teveth, *The Tanks of Tammuz*, pp. 195–200. Hammel, *Six Days in June*, pp. 214–17. O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, pp. 134–36, 141–42. Shlomo Gazit, *Pta'im be-Malkodet*, p. 28. Peled, *Ish Tzava*, p. 107. Shadmi quote from Eran Sorer *Derekh ba-Mitla* (Ramat Gan: Masada, 1967), p. 35. Oral history interview with Meir Pa'il, Dec. 6, 2000.

2. Sorer, *Derekh ba-Mitla*, pp. 54–58. The testimonies of 'Adel Mahjub, Hasan Bahgat, and 'Azzam Shirahi appear in Darraz, *Dubbat Yunyu Yatakallamun*, pp. 79–86, 89–94, and 97–103, respectively.

3. IDF, 717/77, file 32: Summary of the Battle for the Southern Front, p. 31. LBJ, National Security file, Middle East Crisis, box 104, 107: Intelligence Cable, June 6,

Notes to Pages 213–218

1967; NSC Histories, Middle East Crisis, box 23: Rabat to the Secretary of State, June 6, 1967; Paris to the Secretary of State, June 8, 1967. PRO, FCO 17/492, Israel – Political Affairs, Khartoum to Foreign Ministry, June 5, 1967; 17/492, Israel – Political Affairs, Tunis to Foreign Ministry, June 5, 1967; 17/495, Israel – Political Affairs: Hanoi to Foreign Ministry, June 5, 1967 (Ho Chi Minh cable). ISA, Foreign Ministry files, 4083/3, Contacts with the Soviet Union: Moscow to Foreign Ministry, June 5, 1967 (Soviet statement). Ramadan, *Tabtim al-Aliba*, pp. 99–100. Mansoor, *Arab World*, entries for June 5 and 6, 1967.

4. IDF, 171/77/48: Debriefing on Battles on the Southern Front, p. 135. USNA, Middle East Crisis files, 1967, Chronology, box 12: Tel Aviv to the Secretary of State, June 6, 1967. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 61–63. Rabin, *Memoirs*, p. 107 (Dayan quote). O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, pp. 73–74. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, p. 183. Dayan, *My Life*, pp. 364–65.

5. *Al-Hawadith*, interview with Shams Badran, Sept. 2, 1977. Heikal, *Al-Infijar*, p. 822. El-Sadat, *In Search of Identity*, p. 176. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 151–52. Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 90–91. Imam, *'Abd al-Nasir—Kayfa Hakama Misr*, p. 167. Al-'Ilmi, *Harb 'Am 1967*, pp. 146–48. For examples of Cairo's victory broadcasts see Mansoor, *Arab World*, entry for June 6, 1967.

6. Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 152–53 ('Amer order to Sidqi Mahmud), 221–22 (Murtagi quote). Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 152–53 ('Amer remark to Fawzi). Moshe Seren, "Tvusat Mitzrayim be-Enei ha-Aravim," *Ma'arakhot* 200 (June 1969). Imam, *'Abd al-Nasir—Kayfa Hakama Misr*, p. 164. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 1*, pp. 26–27. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, p. 88. IDF, 717/77, file 32: Summary of the Battle for the Southern Front, p. 33. 'Amer quote in Ramadan, *Tabtim al-Aliba*, p. 114. For 'Uthman Nassar story, see PRO FCO/39/243 UAR – Political Affairs: *Egypt Gazette* clipping, Feb. 11, 1968. Muhammad Ahmad Khamis' testimony appears in Darraz, *Dubbat Yunyu Yatakallamun*, pp. 69–75.

7. IDF, 171/77/48: Debriefing on Battles on the Southern Front, p. 121. Dayan, *My Life*, p. 366.

8. IDF, 171/77/48: Debriefing on Battles on the Southern Front, p. 41; Summary of the Battle for the Southern Front, p. 39. Oral history interview with Yeshayahu Gavish, Dec. 7, 1999; Israel Tal, Aug. 23, 1999. Hammel, *Six Days in June*, pp. 248–50. Dupuy, *Elusive Victory*, p. 271.

9. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 728–29 (Pojidaev quote). Parker, "The June 1967 War: Some Mysteries Explored," pp. 183–85. LBJ, National Security files, NSC Histories, Middle East Crisis, box 23: Washington to Amman and London, June 10, 1967. Riad, *Mudhakkirat 1*, pp. 310–12. Nasser communiqué in USNA, USUN, box 6: Circular: Middle East Sitrep as of June 7; Middle East Crisis files, box 4: London to the Secretary of State, June 8, 1967. PRO, PREM 13 1621: Amman to Foreign Office, June 14, 1967. See also Arye Shalev, "Ha-Milhama ve-Totzoteha be-Eynei ha-Aravim," *Dapei Elazar, no. 10, Esrim Shana le-Milhemet Sheshet ha-Yamim* (Tel Aviv: Yad David Elazar, 1988), p. 65.

10. LBJ, National Security file, Middle East Crisis, box 23: Cairo to the Department of State, June 6, 1967 (Nolte cable); box 104, 107: Cairo to the Department of State, June 6, 1967 (Nolte-Riad discussion); Intelligence Information Cable, June 6, 1967; Jidda to the Department of State, June 6, 1967; LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 23: Amman to the Secretary of State, June 6,



1967. Thompson quote from *Life: Special Edition – Israel's Swift Victory* (1967), p. 70. BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, B4–5. Radio Damascus report in Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ba-Rama*, p. 20. Radio Algiers broadcast in Mansoor, *Arab World*, entry for June 6, 1967. Murad, "Harb Haziran," pp. 47–48.

11. USNA, USUN, box 6: Circular: Middle East Sitrep as of June 7. Reports on attacks on U.S. embassies and consulates appear in LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 19: Daily Brief, June 6, 1967; Miscellaneous files, box 16: Oil Exporters Actions During Crisis as of June 23, 1967; Country file, box 104, 107: Middle East Crisis (see reports from Benghazi, Aleppo, Tunis, Algiers, Damascus); The box also contains Nolte's cable to the State Department. LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 23: Damascus to the Secretary of State, June 6, 1967. PRO, FCO 17/493, Israel – Political Affairs: Damascus to Foreign Office, June 6, 1967. Mahjoub, *Democracy on Trial*, pp. 118–19. Riad, *Mudhakkirat* 2, pp. 96 (Nasser quote regarding Jordan and Hussein), 313; Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, pp. 26–27.

12. Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Sequence of Events on the Jordanian Front, June, 1967. El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, p. 397. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 116–17. Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, pp. 215–16, 220–24, 230, 242. Dupuy, *Elusive Victory*, p. 310. Hammel, *Six Days in June*, pp. 366–74. Hussein quote from Hussein, *My "War" with Israel*, p. 79. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 99–103. Bar Kokhva quote from Bar Kokhva, *Merkavot ba-Plada*, pp. 163–64. Shmuel Katz and Aharon Megged, *Me-Har Grizim ad Har Hermon: Rishumei Pikud ha-Tzafon be-Milhemet Sheshet ha-Yamim* (Tel Aviv: Misrad ha-Bitahon, 1967), pp. 5–56. Interview with 'Awad Bashir Khalidi, Nov. 17, 1999.

13. IDF, 192/74/1076 Round Table Discussion on the Liberation of Jerusalem, n.d. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, pp. 235–36. Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Sequence of Events on the Jordanian Front, June, 1967.

14. IDF, 901/67/1 Central Command: The Six-Day War, Concluding Report, Part B, Testimony of Gen. Narkiss, p. 76; 192/74/1076 Round Table Discussion on the Liberation of Jerusalem, n.d. Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Sequence of Events on the Jordanian Front, June, 1967. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, pp. 163–64.

15. IDF, 192/74/1076 Round Table Discussion on the Liberation of Jerusalem, n.d; Central Command: The Six Day War, Summary Report, Part B. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, pp. 228–59. El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, p. 397. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 116–17. Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, pp. 215–16, 220–24, 242. Gur, *Har ha-Bayyit be-Yadeinu!* pp. 93–159. Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 298–301. Hammel, *Six Days in June*, pp. 332–35. Narkiss, *Soldier of Jerusalem*, p. 208. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 57–58, 71–74. Oral history interview with 'Awad Bashir Khalidi, Nov. 17, 1999; with Mahmud Abu Faris, Nov. 17, 1999. Miller quote from Yisrael Harel, *Sha'ar ha-Arayot*, p. 101. Kirshan quotes from Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, pp. 154–68.

16. IDF, 192/74/1076 Round Table Discussion on the Liberation of Jerusalem, n.d; Central Command: The Six Day War, Summary Report, Part B. Gur, *Har ha-Bayyit be-Yadeinu!*, pp. 161–258; Gur and Narkiss quotes on p. 258. ISA, 7920/1, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams: Herzog to Eban, June 6, 1967. Oral history interview with Mahmud Abu Faris, Nov. 17, 1999; with Ghazi Isma'il Ruba'iyya, Nov.

Notes to Pages 224–229

21, 1999; with Shimon Kahaner, Oct. 18, 2000. Hammel, *Six Days in June*, pp. 330–31. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, pp. 267–91, 298–300. El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, p. 397. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 116–17. Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, pp. 173–75 (Kranshur quote). Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 298–301. Fradkin quote from Harel, *Sha'ar ha-Arayot*, p. 214; Eilam quote on pp. 219–20.

17. IDF, 192/74/1076 The Six Day War, Summary Report, Part B. El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, p. 397. Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Sequence of Events on the Jordanian Front, June, 1967. Hammel, *Six Days in June*, pp. 316–20, 335–37. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, pp. 267–91, 298–300, 335–42. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 116–17, 134. Dupuy, *Elusive Victory*, p. 299. Yusuf Khawwash, *Al-Jabha al-Urduniyya, Harb Haziran* (Amman: Dar al-Yaqin lil-Tiba'a wal-Nashr, 1980), n.p.

18. USNA, Middle East Crisis files, 1967, box 1: Chronology of U.S.-Jordanian Consultations on the Middle East, June 6, 1967; box 12: Tel Aviv to the Secretary of State, June 6, 1967 (Barbour quote); Amman to the Secretary of State, June 6, 1967 (Hussein quote); box 9: Tel Aviv to the Secretary of State, June 7, 1967. PRO, FO 17/490, Israel – Political Affairs: Amman to Foreign Ministry, June 6, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 126–29. ISA, 7920/4, Levi Eshkol Papers, Prime Minister's Speeches, Surveys, and Reports: Bitan to Harman, Evron, Eban: June 6, 1967; 6444/6, Foreign Ministry files, North America Telegrams: Lourie to Foreign Ministry, June 6, 1967. Riyad quote from Hussein, *My "War" With Israel*, p. 81.

19. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 21: CIA Intelligence Memorandum, Arab-Israeli Situation Report June 8, 1967. For example of the text of the Hussein-Nasser conversation, see Donovan, *Six Days in June*, pp. 109–10. See also Hussein, *My "War" With Israel*, pp. 82–87. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 159. Al-Ahram confirmation in Khouri, *Al-Watha'iq al-Filastiniyya*, pp. 316–17.

20. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 128–29, 138–39, 155. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 267, 279–80. Al-Shuqayri, *Mudhakkirat* 5, p. 296. Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Sequence of Events on the Jordanian Front, June, 1967. Hussein's cable to Nasser in Hussein, *My "War" With Israel*, pp. 87–88, and in Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, p. 294. Oral history interview with Munir Zaki Mustafa, July 5, 2001.

21. IDF, 192/74/1076 Round Table Discussion on the Liberation of Jerusalem, n.d; Central Command: The Six Day War, Summary Report, Part B. Oral history interview with Suliman Marzuq, Nov. 17, 1999. Hammel, *Six Days in June*, pp. 334–40. Rabinovich, *The Battle for Jerusalem*, pp. 357–70. El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, p. 397. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 134. Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, p. 304. Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 298–301. Bartov, *Dado*, p. 97. Hussein and Riad quotes from Hussein, *My "War" With Israel*, pp. 89–91 and 107, respectively.

22. IDF, 192/74/1076 Round Table Discussion on the Liberation of Jerusalem, n.d. Gur, *Har ha-Bayyit be-Yadeinu!*, pp. 387–407. Oral history interview with 'Ata 'Ali, Nov. 18, 1999.

23. ISA, 7920/4, Levi Eshkol Papers, Prime Minister's Speeches, Surveys, and Reports: Eshkol's Remarks to the Knesset Defense and Foreign Affairs Committee,

Notes to Pages 229–235

June 7, 1967. Bartov, *Dado*, p. 90. Oral History with Ya'akov Eshkoli, Feb. 7, 2000. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 76, 83. Lior quote from Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 241. Dayan quotes from YAD, Interviews with Ephraim Reiner, Haim Nadel and Matti Mayzel, June 20, 1996. BGA, Diary, Entry for June 6, 1967.

24. PRO, FCO 17/493, Israel – Political Affairs: Damascus to Foreign Office, June 6, 1967. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 188–93 (including al-Assad quote). Aktum quote in Yehezkel Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ha-Rama* (Tel Aviv: Levin-Epstein, 1970), p. 16. Ha-Merkaz le-Moreshet ha-Modi'in: Report on Syrian artillery barrage, top secret, signed by Col. Muhammad Rafiq Qu'ad. Khouri, *Al-Watha'iq al-Filastiniyya*, p. 342. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 755–56. YAD, Interview with Haim Nadel, June 20, 1996. Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 317–19. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, p. 203. Ezra Sadeh, *Amud Ha-Esh: Yoman ha-Milhama shel Yirmi* (Tel Aviv: Yosef Shimoni, n.d.), pp. 189–90. Yehuda Harel, *El Mul Golan* (Givatayim: Masada Press, 1967), pp. 86–98. Meir Hareuveni and Meir Arye, eds., *Ha-Hativa Shelanu be-Milhemet Sheshet ha-Yamim* (Tel Aviv: Misrad ha-Bitahon, 1968), pp. 56–57. Dayan, *Me-Hermon ad Suez*, pp. 209–11 (Yossi quote).

25. Israel Intelligence Library, Internal Syrian Army Papers: The Southwestern Front, June 29, 1967. Khalil, *Suqut al-Julan*, p. 148. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 140–43. Syrian communiqué in Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ha-Rama*, pp. 77–78.

26. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 60–61, 66. Bartov, *Dado*, p. 99. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 188–91, 204–8. Rabin quote from *Memoirs*, p. 112.

27. IDF, 192/74/1076 Round Table Discussion on the Liberation of Jerusalem, n.d LBJ National Security file, box 104, 107. Middle East Crisis: Department of State to Tel Aviv and Amman, June 6, 1967; History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 126–29. BGA, Diary, Entry for June 6, 1967. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 61–64 (Dayan quotes). Narkiss, *Soldier of Jerusalem*, p. 209. Benziman, *Ir lelo Homa*, pp. 19–20. Shragai, *Har ha-Meriva*, pp. 16–17.

28. ISA, 7920/4, Levi Eshkol Papers, Prime Minister's Speeches, Surveys, and Reports: Bitan to Harman, Evron, Eban, Rafael, June 7, 1967; 7920/3, Diplomatic Telegrams, General: Rome to the Foreign Ministry, June 6, 1967. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 231–33. Rabin, *Memoirs*, p. 107. Begin quote from Ammunition Hill Archive, Begin to Motta Gur, June 15, 1992. BGA, Diary, June 6, 1967. Senior defense official quoted in USNA, Middle East Crisis files, 1967, Miscellaneous Documents, box 14: Houghton to Morehouse, June 6, 1967.

29. ISA, 4086/4, Foreign Ministry files, Security Council Meetings 2: Eban to Levavi, June 6, 1967; Security Council Meetings: Herzog to Eban, June 6, 1967; 7920/1, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams: Herzog to Eban, June 6, 1967; Tekoah to Rafael, June 6, 1967.

30. ISA, 7920/1, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams: Rafael to Tekoah, June 5, 1967. Text of Eban speech appears in PRO, FCO 17/492, Israel – Political Affairs: New York to Foreign Ministry, June 6, 1967. Eban, *Personal Witness*, pp. 413–16. Raviv, *Israel at Fifty*, pp. 109–10. Rafael, *Destination Peace*, pp. 158–60 (including Goldberg quote). Donovan, *Six Days in June*, p. 133.

31. ISA, 4086/4, Foreign Ministry files, Security Council Meetings 2: Eban to Eshkol, June 6, 1967; 7919/1, Levi Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Bitan to Harman, June 6, 1967; 7920/4, Prime Minister's Speeches, Surveys, and Reports:

Notes to Pages 235–239

Eshkol's Remarks to the Knesset Defense and Foreign Affairs Committee, June 7, 1967. LBJ National Security files, box 104, 107. Middle East Crisis: Donnelly to Rusk, Aug. 6, 1967 (analysis of White House mail); History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, p. 129; Country file, box 104, 107: Rostow to the President, June 6, 1967 (Eshkol message); NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: The President in the Middle East Crisis, Dec. 19, 1968 (Rusk quote); box 18: Rostow to the President, June 6, 1967. Eban, *Personal Witness*, pp. 417–18. Johnson, *Vantage Point*, p. 229. Quandt, *Peace Process*, p. 522, ft. 20. BGA, Diary, Entry for June 7, 1967.

32. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 18: New York to the Department of State, June 6, 1967; Country file, box 104, 107: New York to the Department of State, June 6, 1967; NSC Histories, Middle East Crisis, box 20: The Cease-Fire Negotiations in New York, Nov. 7, 1968; Memorandum of Conversation: The Hotline Exchanges, Nov. 4, 1968; box 23: Kuwait to the Secretary of State, June 6, 1967; Secretary of State to Tel Aviv, June 6, 1967. PRO, FCO 17/492, Israel – Political Affairs: New York to Foreign Office, June 6, 1967; FCO 17/493, Israel – Political Affairs: New York to Foreign Office, June 6, 1967. ISA, 7920/1, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams: Rafael to Levavi, June 6, 1967; 4086/4, Foreign Ministry files, Security Council Meetings 2: Eban to Eshkol, June 6, 1967. Vassiliev, *Russian Policy in the Middle East*, p. 68. Arthur J. Goldberg Papers, "Behind Goldberg's UN Victory," in *New York Post*, June 7, 1967. Johnson quote in Donovan, *Six Days in June*, p. 130. Semyonov quote from Shevchenko, *Breaking with Moscow*, pp. 34–35.

33. USNA, Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 77-14 ARAB-ISR, box 1832: Goldberg to Rusk, June 6, 1967. PRO, FCO 17/494, Israel – Political Affairs: Hayman Minute, June 8, 1967. LBJ, National Security file, Country file, box 104, 107: Davis to Rostow, June 6, 1967. PRO, FCO 17/492, Israel – Political Affairs: New York to Foreign Office, June 6, 1967. LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 23: Washington to Amman and London, June 10, 1967. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, p. 27 (Riad quote). Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, p. 154. Lall, *The UN and the Middle East Crisis*, pp. 59–62. U Thant, *View from the UN*, pp. 258–59. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 158. Muhammad El-Farra, *Years of Decision* (London: KPI, 1987) pp. 1–22, 50–57. Oral history interview with Muhammad al-Farra, Nov. 17, 1999.

34. ISA, 7920/4, Levi Eshkol Papers, Prime Minister's Speeches, Surveys, and Reports: Bitan to Harman, Evron, Eban, and Rafael, June 6, 1967; 7920/3, Diplomatic Telegrams, Negotiations: Harman to the Prime Minister, June 6, 1967. IDF, 717/77, file 32: Summary of the Battle for the Southern Front, p. 29. Rabin quote from *Memoirs*, p. 113. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 65–66. Warhaftig, *Hamishim Shana ve-Shana*, p. 190. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 240–41 (Eshkol quote).

35. Nasser letter in Hussein, *My "War" with Israel*, pp. 92–93. Hussein quote in Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, p. 296. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 129–30. PRO, FCO/17/275 Defense Attaché's Report on the Jordan-Israel Battles (Colonel J.F. Weston-Simons), Amman to Foreign Office, June 7, 1967. Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Series of Events on the Jordanian Front, June, 1967. Oral history interview with Shafic 'Ujeilat, Nov. 17, 1999.

36. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, p. 129.



Hussein, *My "War" with Israel*, p. 95. Kamm, ***Hussein Poteah be-Milhama***, pp. 296, 304. Mutawi, ***Jordan in the 1967 War***, pp. 129, 139–40, 156. Hammel, ***Six Days in June***, p. 375. Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Sequence of Events on the Jordanian Front, June, 1967. Oral history interview with Yusuf Khawwash, Nov. 16, 1999.

Day Three, *June 7*

1. Hussein cable to Nasser in Hussein, *My "War" with Israel*, pp. 93–94. Hussein's orders in USNA, Middle East Crisis files, 1967, Misc. Documents, box 14: Morehouse to Houghton, June 7, 1967. El Edroos, *The Hashemite Arab Army*, pp. 398–99. Dupuy, *Elusive Victory*, p. 302. IDF, 901/67/1 Central Command: Six Day War, Concluding Report, Part A. Oral history interview with 'Ata 'Ali, Nov. 18, 1999; with Badi 'Awad, Nov. 21, 1999. Mutawi, ***Jordan in the 1967 War***, p. 140.

2. USNA, Middle East Crisis files, 1967, box 1: Chronology of U.S.-Jordanian Consultations on the Middle East, June 7, 1967. Cable from Cairo in Hussein, *My "War" with Israel*, pp. 94–95. Kamm, ***Hussein Poteah be-Milhama***, pp. 243–46 (al-Darubi quote). Hammel, ***Six Days in June***, pp. 366–74. Benziman, ***Ir lelo Homa***, pp. 22–25, 29. Bartov, ***Dado***, p. 98. Oral history interview with Adnan Abu Oudeh, Nov. 16, 1999.

3. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 129 (Barbour quote), 132–33. USNA, Middle East Crisis files, 1967, box 1: Chronology of U.S.-Jordanian Consultations on the Middle East, June 7, 1967. ISA, 4086/4, Foreign Ministry files, Security Council Meetings 2. Director-General's Office to Levavi and the Defense Ministry. Haber, ***Ha-Yom Tifrotz Milhama***, p. 238. Zak, ***Hussein Ose Shalom***, pp. 110–15.

4. IDF, 192/74/1076 Rav Siah ba-Nose: Shihrur Yerushalayim: n.d Baron 67. 901/67/1 Central Command: Six Day War, Concluding Report, Part A (Bar-lev and Narkiss quotes). Gur, ***Har ha-Bayyit be-Yadeinu!***, pp. 284, 309; Gur quote on p. 287. Dupuy, ***Elusive Victory***, pp. 303–4. Hammer, ***Six Days in June***, p. 350. Haber, ***Ha-Yom Tifrotz Milhama***, p. 233. Rabinovich, ***The Battle for Jerusalem***, pp. 410–19; Gur quote on p. 419. Benziman, ***Ir lelo Homa***, pp. 20–21. Shragai, ***Har ha-Meriva***, p. 21. Baron, ***Hotam Ishi***, p. 67 (Dayan quote). Oral history interview with Mahmud Abu Faris, Nov. 17, 1999.

5. Kollek, ***For Jerusalem***, p. 194. Biographical information on Kollek, Herzog and Goren from the Jewish Agency Zionist Education website, www.jajz-ed.org.il.

6. USNA, Middle East Crisis files, 1967, box 1: Chronology of U.S.-Jordanian Consultations on the Middle East, June 7, 1967. PRO, PREM 13 1620, Middle East Crisis: Foreign Office to Amman, June 7, 1967; Amman to Foreign Office, June 7, 1967; FCO 17/493, Israel – Political Affairs: Foreign Office to Amman, June 7, 1967; Tel Aviv to Foreign Office, June 7, 1967. ISA, 7920/1, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams: Eban to Eshkol, June 7, 1967; 7920/4, Prime Minister's Speeches, Surveys, and Reports: Eshkol's Remarks to the Knesset Defense and Foreign Affairs Committee, June 7, 1967; Remez to Levavi, June 7, 1967.

7. IDF, 901/67/1: Central Command: Six Day War, Concluding Report, Part A; 192/74/1076: Roundtable Discussion on the Liberation of Jerusalem, n.d. (Achman quote). Gur, ***Har ha-Bayyit be-Yadeinu!***, pp. 316–24. Benziman, ***Ir lelo Homa***, p. 29. O'Balance, ***The Third Arab-Israeli War***, pp. 208–11. Harel, ***Sha'ar ha-Arayot***, pp. 160–62. Hammel, ***Six Days in June***, pp. 335–36 (Goren quote).

Notes to Pages 246–251

8. Uzi Narkiss, "Kakh Uhda Yerushalayim," ***Bamahane*** 34 (May 1987); ***Soldier of Jerusalem***, p. 209 (Narkiss quote). Dayan quote from Mansoor, ***Arab World***, entry for June 7, 1967. Rabin quotes from Rabin, ***Memoirs***, pp. 111–12, and Slater, ***Rabin of Israel***, p. 142. Donovan, ***Six Days in June***, p. 120. Nadav Shragai, ***Har ha-Meriva***, pp. 23–24, 28–30.

9. Haber, ***Ha-Yom Tifrotz Milhama***, pp. 242–45. Eban, ***Personal Witness***, p. 419. Warhaftig, ***Hamishim Shana ve-Shana***, pp. 204–6.

10. USNA, Middle East Crisis, Chronology June 4th - 7th, box 1: Amman to the Department of State, June 6, 1967; Miscellaneous Documents, box 14: Morehouse to Houghton, June 7, 1967 (officer's description of Hussein). Israel Intelligence Library, Internal Jordanian Army Papers: Sequence of Events on the Jordanian Front, June, 1967. Dayan, ***My Life***, p. 370. Susser, ***On Both Banks of the Jordan***, p. 17. Narkiss, ***Soldier of Jerusalem***, p. 209. Al-Shara', ***Hurubuna ma'a Isra'il***, p. 494. Kamm, ***Hussein Poteah be-Milhama***, p. 296.

11. IDF, 717/77, file 32: Summary of the Battle for the Southern Front, pp. 57–62. USNA, Lot files, USUN, box 6: Circular: Middle East Sitrep as of June 7. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 21: CIA Intelligence Memorandum, Arab-Israeli Situation Report, June 8, 1967; box 104, 107: Cincstrike and Eucom for Polad, June 8, 1967. Fawzi, ***Harb al-Thalath Sanawat***, pp. 151–56. Rabin, ***Memoirs***, pp. 107–8. Hammel, ***Six Days in June***, pp. 251–53. Baron, ***Hotam Ishi***, pp. 67, 71. Slater, ***Rabin of Israel***, p. 150. Schiff, ***A History of the Israeli Army***, p. 133. Al-Sabbagh, ***Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 1***, pp. 28–29. Al-Sabbagh, ***Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 10***, pp. 9–10 (Khalil quote). Mahmud 'Abd al-Hafiz's testimony appears in Darraz, ***Dubbat Yunyu Yatakallamun***, pp. 135–46. Interview with Sidqi al-Ghul in ***al-Ra'i al-'Am***, June 2, 1987. Oral history interview with Meir Pa'il, Dec. 6, 2000.

12. ISA, Foreign Ministry files, 4085/1: Emergency Situation 1967 – Prisoners, June 14, 1967. USNA, Middle East Crisis files, 1967, Chronology, box 8: Tel Aviv to the Secretary of State, June 8, 1967. Dupuy, ***Elusive Victory***, pp. 271–75. Fawzi, ***Harb al-Thalath Sanawat***, pp. 151–56. Al-Sabbagh, ***Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 5***, p. 28. Rabin, ***Memoirs***, pp. 107–8. Hammel, ***Six Days in June***, pp. 251–53. Baron, ***Hotam Ishi***, pp. 67, 71. Slater, ***Rabin of Israel***, p. 150. Schiff, ***A History of the Israeli Army***, p. 133. Sharon, ***Warrior***, pp. 194–95. O'Balance, ***The Third Arab-Israeli War***, pp. 144–45. Mahmud 'Abd al-Hafiz's testimony appears in Darraz, ***Dubbat Yunyu Yatakallamun***, pp. 135–46. Asher quote from Avraham Shapira, ed., ***The Seventh Day: Soldiers Talk About the Six-Day War*** (New York: Scribners, 1970), p. 66. Oral history interview with Mahmud al-Suwarqa, July 7, 2001.

13. The testimonies of 'Azzam Shirahi and Dr. 'Abd al-Fattah al-Tarki appear in Darraz, ***Dubbat Yunyu Yatakallamun***, pp. 89–94 and 107–18, respectively. Oral history interview with Amin Tantawi, July 4, 2001.

14. Mazhar, ***I'tirafat Qadat Harb Yunyu***, p. 177. Fawzi, ***Harb al-Thalath Sanawat***, pp. 151–53. Murtagi, ***Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq***, p. 163. Quote from Ramadan, ***Tahtim al-Aliha***, p. 105. Oral history interview with Al-Shirbini Sa'id Hamada, July 5, 2001.

15. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 19: CIA, Office of National Estimate—Current Soviet Attitudes, June 9, 1967; State Department Activities Report, June 7, 1967; Country file, box 104, 107: Davis to Rostow, June 6, 1967; New York to the Department of State, June 8, 1967; Soviet Official's



Notes to Pages 251–256

Comments on Soviet Policy on the Middle Eastern War, June 8, 1967. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 728–31. Parker, *The Politics of Miscalculation in the Middle East*, pp. 33–34. Segev, *Sadin Adom*, p. 132. Pravda quote from ISA, Foreign Ministry files, 4083/3, Contacts with the Soviet Union, Moscow to Foreign Ministry, June 6, 1967. Dagan, *Moscow and Jerusalem*, pp. 226–27 (Chuvakhin quote and Kosygin's letter to Eshkol). Al-'Ilmi, *Harb 'Am 1967*, pp. 203–7. I. I. Mintz, *Sionizm: Teoria i Praktika* (Moscow: Izdetelstvo Politicheskoy Literatury, 1970), pp. 111–12. See also Yosef Argaman, "Nasser Metzaltzel le-Hussein: Ha-Siha," *Bamabane* 18 (January 1989).

16. ISA, 7920/2, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams, USSR: Tekoah to New York, June 7, 1967 (Kosygin cable to Eshkol). PRO, FCO 17/493, Israel - Political Affairs: Kosygin to Wilson, June 7, 1967. Eshkol in Dagan, *Moscow and Jerusalem*, pp. 229–30. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milbama*, pp. 243–44. Wilson, *Chariot of Israel*, pp. 351–52.

17. Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 188–90. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 155–61. Murtagi, *Al-Fariq Murtagi Yarwi al-Haqa'iq*, pp. 164–65. Ramadan, *Tabtim al-Aliba*, pp. 136–37 (including orders to the 4th Division).

18. UN, DAG 1/5.2.2.1.2-2, The Middle East, Eban to the Secretary-General, June 7, 1967. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 73–74 (Dayan quote). Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milbama*, pp. 237–40, 244 (Lior, Allon, Eshkol and Tekoah quotes). Zak, *Hussein Ose Shalom*, pp. 110–15. PRO, FCO 17/494, Israel - Political Affairs: Hayman Minute, June 8, 1967.

19. LBJ, National Security file, Country file, box 104, 107: Minutes of the NSC Meeting, June 7, 1967; Rostow to the President, June 7, 1967; History of the Middle East Crisis, box 19: Bundy to the President, June 9, 1967; Guidelines for U.S. Position and Action in Connections with the Present ME Situation, by Nadav Safran and Stanley Hoffman, June 8, 1967. USNA, POL AR-ISR, Mintues of the Control Group, box 17: Twelfth Control Group Meeting, June 7, 1967.

20. LBJ National Security file, Country file, Middle East Crisis, box 104, 107: Tel Aviv to the Department of State, June 7, 1967 (Barbour quote); USNA, Middle East Crisis, Chronology June 4th – 7th, box 8: Tel Aviv to the Department of State, June 7, 1967 (report from Tel Aviv); USUN, box 6: Circular: Middle East Sitrep as of June 7. USNA, POL ARAB-ISR, United Nations files, box 1: Tel Aviv to the Secretary of State, June 8, 1967. ISA, Foreign Ministry files, 4089/15: Rome to Foreign Ministry, June 7, 1967. PRO, FO 17/11, American Middle East Policy, Urwick to Morris, June 7, 1967 (Bank of Israel plans). See also Reuven Pedatzur, "Coming Back Full Circle: The Palestinian Option of 1967," *Middle East Journal* 49, no. 2 (Spring 1995).

21. USNA, Arab-Israeli Crisis, box 17: Minutes of the Control Group, June 7, 1967. LBJ, National Security file, Country file, box 104, 107: Rusk to London, June 7, 1967 ("territorial integrity"); Minutes of the NSC Meeting, June 7, 1967 ("attorneys for Israel"); Memorandum for Mr. Bundy, June 7, 1967; CIA Intelligence Memorandum: Impact on Western Europe and Japan of a Denial of Arab oil, June 7, 1967; Mrs. Arthur Krim to Walt Rostow, June 7, 1967. Draper, *Israel & World Politics*, p. 117. William B. Quandt, "The Conflict in American Foreign Policy," in Rabinovich and Shaked, *From June to October*, p. 5.

22. Oral history interview with Rafi Benvenisti, Jan. 1, 1999. Susser, *On Both Banks of the Jordan*, pp. 19–20. Hammel, *Six Days in June*, pp. 377–80. Donovan, *Six Days in June*, p. 121. Kamm, *Hussein Poteab be-Milbama*, p. 217. Dupuy, *Elusive Victory*,

Notes to Pages 256–261

pp. 301–2. Shashar, ***Milhemet ba-Yom ha-Shvi'i***, p. 20. Ram quote from Bartov, ***Dado***, p. 98. Dayan, *My Life*, p. 370. Al-Shara', ***Hurubuna ma'a Isra'il***, pp. 493–95.

23. Hammel, *Six Days in June*, pp. 254–59. Sorer, ***Derekh ba-Mitla***, pp. 37–38. Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 273–75. *The Six Days' War* (Tel Aviv: Ministry of Defense, 1967), p. 36. Al-'Ilmi, ***Harb 'Am 1967***, pp. 176–85.

Day Four, *June 8*

1. USNA, Middle East Crisis files, 1967, box 1: Chronology of U.S.-Jordanian Consultations on the Middle East, June 8, 1967. PRO, PREM 13 1620 Middle East Crisis: Amman to Foreign Office, June 10, 1967. UN, DAG 1/5.2.2.1.2-2, Middle East: Minister of Foreign Affairs of Jordan to the Secretary-General, June 8, 1967. Hussein, *My "War" with Israel*, p. 88. Khalid Fakhida, "Al-Fariq Haditha lil-Hadath: Sharakna fi Harb '67 Irda'an li-'Abd al-Nasir wa-Man'an min 'Takhwin' al-Urdun," ***al-Hadath***, no. 265 (Jan. 29, 2001).

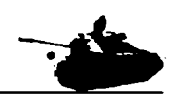
2. Hammel, *Six Days in June*, pp. 258–59. Mustafa, ***Harb Haziran***, pp. 118–19. "Hail ha-Avir ba-Milhama," ***Bit'on Hail ha-Avir*** 3, no. 74/75 (December 1967), p. 265. IDF, 901/67/1 Central Command: The Six-Day War, Concluding Report, Part A, 3 (Narkiss quote), p. 38 (evaluation of Jordanian soldiers). Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 140.

3. IDF, 717/77, file 32: Summary of the Battle for the Southern Front, pp. 31 (Dayan quote), 63, 399 (Even quote). LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 21: CIA Intelligence Memoranda, Arab-Israeli Situation Report, June 8, 1967; box 104, 107. Middle East Crisis: Joint Embassy Memorandum, June 8, 1967 (Yariv quote). 'Amer, Murtagi and Muhsin quotes from Al-Sabbagh, ***Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 1***, pp. 30–31. Rabin quote in Haber, ***Ha-Yom Tifrotz Milhama***, p. 245. Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 264, 276–77. Hammel, *Six Days in June*, pp. 268–69. Dayan, "Before and After the Battle," in *The Six Days' War (*Tel Aviv: Ministry of Defense, *1967)*, p. 36. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, p. 32. Fawzi, ***Harb al-Thalath Sanawat***, p. 148. Aviezer Golan, *Albert* (Tel Aviv: Yediot Ahronot, 1977), p. 118. Sorer, ***Derekh ba-Mitla***, pp. 37–39, 93–101.

4. Dayan, *My Life*, p. 367. Slater, ***Rabin of Israel***, p. 150. Schiff, *A History of the Israeli Army*, p. 133. Hammel, *Six Days in June*, pp. 264–78. Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 274–75. Oral history interviews with Yeshayahu Gavish, Dec. 7, 1999; with Meir Pa'il, Dec. 6, 2000; with Rehavam Ze'evi, Sept. 9, 2001.

5. LBJ National Security file, Middle East Crisis, box 104, 107: Tel Aviv to the Department of State, June 8, 1967; box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 140–41; box 23: Tel Aviv to the Secretary of State, June 8, 1967; Beirut to the Secretary of State, June 8, 1967; NSC Histories, Middle East Crisis, box 23: Tel Aviv to the Secretary of State, June 8, 1967. USNA, Middle East Crisis files, 1967, Situation Reports, box 14: Middle East Sitrep as of June 7. Al-Shuqayri, ***Mudhakkirat*** 5, p. 330. Hart, ***Arafat***, pp. 199–200. Kimche and Bawly, ***The Sandstorm***, pp. 200–201. Mustafa, ***Harb Haziran***, pp. 193–94. Khouri, ***Al-Watha'iq al-Filastiniyya***, p. 354. Khalil, ***Suqut al-Julan***, pp. 100–101. Mayzel, ***Ha-Ma'arakba al ha-Golan***, p. 438. Syrian army record in Israel Intelligence Library: Internal Syrian Army Papers: The Southwestern Front, June 29, 1967.

6. Baron, ***Hotam Ishi***, p. 83. Eshkoli and Eshkol quotes from ***Eretz ha-Golan***, no. 100 (1985), pp. 32–33. Warhaftig, ***Hamishim Shana ve-Shana***, pp. 186–89. Haber, ***Ha-Yom***



Notes to Pages 261–264

Tifrotz Milhama, pp. 244–46 (Aran quote). Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 232. *Ha'aretz* quote from USNA, POL ARAB-ISR, United Nations files, box 1: Tel Aviv to the Secretary of State, June 8, 1967. Bar-Lev quote from Guy, *Bar-Lev*, p. 139. Dayan quote from YAD, Interview with Matti Mayzel, June 20, 1996.

7. Rabin, *Memoirs*, p. 113. Elazar quotes from YAD, Interview with Haim Nadel, June 20, 1996, from Bartov, *Dado*, pp. 99–101, Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 225–27. Golan, *Albert*, pp. 124–25. Allon and Ber quotes from Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 247. Oral history interview with Rehavam Ze'evi, Sept. 9, 2001.

8. LBJ National Security file, Middle East Crisis, box 104, 107: Joint Embassy Memorandum, June 8, 1967; Report of the American Consulate in Jerusalem, June 8, 1967 ("an apparent prelude..."); The Secretary of State to Tel Aviv, June 8, 1967. Eban, *Personal Witness*, p. 424. IDF, 901/67/1 Central Command: The Six-Day War, Concluding Report, Part A, pp. 9–10. Eban, *Personal Witness*, p. 423 (Bundy quote).

9. LBJ National Security file, Middle East Crisis, box 19: NSC Special Committee Meeting (handwritten notes), June 8, 1967; box 104, 107: Rusk to Embassies, June, 1967; Tripoli to the Department of State, June 8, 1967; box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 132–33, 140–41. USNA, Middle East Crisis files, 1967, Situation Reports, box 13: The Secretary of State to King Faisal, June 8, 1967. UN, DAG 1/5.2.2.1.2-2, Middle East: Goldberg to U Thant, June 9, 1967.

10. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 19: JCS to USCINCEUR, June 8, 1967; box 104, 107, The National Military Command Center: Attack on the USS *Liberty*, June 9, 1967; Department of Defense: USS *Liberty* Incident, June 15, 1967. USNA, Chairman Wheeler files, box 27: The Court of Inquiry Findings, June 22, 1967.

11. IDF, 2104/92/47: *Attack on the Liberty*, IDF Historical Department, Research and Instruction Branch, June 1982 (hereafter IDF, *Attack on the Liberty*). The Israeli fighter pilot originally thought that the ship had fired at him, and Israeli destroyers were ordered to find it. The orders were rescinded, however, following further debriefing of the pilot. See also ISA, 4079/26 Foreign Ministry files, the *Liberty* Incident; IDF Preliminary Inquiry file 1/67 Col. Y. Yerushalmi, July 24, 1967. Report by Carl F. Salans, Department of State Legal Advisor, September 21, 1967, to the Undersecretary of State. (Document available on the USS *Liberty* site—www.halcyon.com/jim/uss*Liberty*/*Liberty*.htm)

12. USNA, Middle East Crisis files, 1967, USUN, box 6: CINSTRIKE to AIG, June 2, 1967; Cir/Military files, box 6: CINSTRIKE to AIG 930, May 24, 1967; INR Reseach Reports: ALUSNA to COMSIXTHFLEET: June 8, 1967. LBJ, National Security file, History ofthe Middle East Crisis, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 87–88. On the naval liaison, see LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: Tel Aviv to the Secretary of State, May 27, 1967. Ben-Gurion Archive, Diary, Entry for May 26, 1967. See also A. Jay Cristol, *The Liberty Incident*, unpublished doctoral dissertation, University of Miami, 1997, pp. 25–26. British Public Record Office, FCO17/498, Israel—Political Affairs: Tel Aviv to Foreign Office, June 5, 1967. Shlomo Erell, *Lefanekha ba-Yam: Sipuro shel Yamai, Mefaked u-Lohem* (Tel Aviv: Misrad ha-Bitahon, 1998), pp. 268–75. Rabin, *Memoirs*, pp. 100, 110; Hirsh Goodman and Ze'ev Schiff, "The Attack on the *Liberty*," *The Atlantic Monthly*, September 1984, p. 81.

Notes to Pages 264–269

13. ISA, 4079/26 Foreign Ministry files, the *Liberty* Incident; IDF Preliminary Inquiry file 1/67 Col. Y. Yerushalmi, July 24, 1967. IDF, 717/77, file 32: Summary of the Battle for the Southern Front, p. 34. The *Liberty* was also sailing near 'Point Boaz,' the location at which Israeli aircraft entered and exited Sinai—another reason for the heavy air traffic that morning. See IDF, *Attack on the Liberty*, p. 39, n. 14.

14. ISA, 4079/26 Foreign Ministry files, the *Liberty* Incident; IDF Preliminary Inquiry file 1/67 Col. Y. Yerushalmi, July 24, 1967. See also Rabin, *The Rabin Memoirs*, pp. 108–9. Oral history interview with Mordechai Hod, March 9, 1999. Yanay, *No Margin for Error*, p. 257. On issue of whether the Israelis consulted Commander Castle, see the protocol of the official U.S. Naval Board of Inquiry posted on the USS *Liberty* website.

15. The Israeli pilot mistook the "G" on the *Liberty*'s hull for a "C." IDF, Attack on the *Liberty*; Israeli Air Force Historical Branch, Transcript of the Ground-To-Air Communications, the *Liberty* Incident. ISA, 4079/26 Foreign Ministry files, the *Liberty* Incident; IDF Preliminary Inquiry file 1/67 Col. Y. Yerushalmi, 24 July, 1967. USNA, Chairman Wheeler files, box 27: The Court of Inquiry Findings, June 22, 1967. Rabin quote from *Memoirs*, pp. 109, 127. LBJ, Country files, box 104, 107, The National Military Command Center: Attack on the USS *Liberty*, June 9, 1967; NSC Histories, box 18: CINCEURUR to RUDLKD/CINSUSNAVEUR, June 8, 1967; COMSIXTHFLT to RUFPBK/USCINCEUR, June 8, 1967; USDOA Tel Aviv to RUDLKD/CINCUSNAVEUR, June 15, 1967. See also Cristol, *Liberty Incident*, p. 55. James M. Ennes, Jr., *Assault on the Liberty: The True Story of the Israeli Attack on an American Intelligence Ship* (New York: Random House, 1979), pp. 72–117. Prostinak quote provided by Marvin Nowicki in a personal letter to Jay Cristol, dated March 3, 2000; conveyed to the author on May 31, 2001.

16. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 19: Memorandum for the Record, Washington-Moscow "Hot-line" Exchange, Oct. 22, 1968; box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 143–44. Johnson, *Vantage Point*, p. 301.

17. LBJ, National Security files, History of the Middle East Crisis, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 143–44; boxes 1, 3, 4, 5, 6, 7, 8, 9, 10: Memorandum for the Record (E. Rostow), June 9, 1967 (Operation Frontlet); Department of Defense Press Release, June 8, 1967; box 19: JCS to USCINCEUR, June 8, 1967. USNA, Middle East Crisis files, 1967, Chronology, box 7: Tel Aviv to the Secretary of State, June 8, 1967 (Barbour quote). Compensation package described in U.S. Department of State Bulletin 58, no. 1512, June 17, 1968, and 60, no. 1562, June 2, 1969, and U.S. Department of State Daily News Briefing, DPC 2451, December 18, 1980. See also Phil G. Goulding, *Confirm or Deny—Informing the People on National Security* (New York: Harper and Row, 1970), pp. 123–30.

18. USNA, box 16: Diplomatic Activity in Connection with the USS *Liberty* Incident, June 14, 1967. LBJ, Country files, box 104, 107, Middle East Crisis: Eshkol to Johnson; Memos to the President (W. Rostow), June 8, 1967; box 17: Barbour to Department of State, June 8, 1967; box 19: NSC Special Committee Meeting (handwritten notes), June 9, 1967. ISA, 4079/26 Foreign Ministry files, the *Liberty* Incident: Harman to Foreign Ministry, June 10, 1967; Eban to Johnson, June 9, 1967; Evron to Johnson, June 8, 1967. Barbour and Nolte quotes in LBJ, National Security file, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 143–44; box 104, 107, Middle East Crisis: Cairo to the Department of State, June 9,



1967. Clark Clifford with Richard Holbrooke, *Counsel to the President* (New York: Random House, 1991), pp. 446–47.

19. ISA, 4079/26 the *Liberty* Incident: Bitan to Harman, June 18, 1967; IDF Preliminary Inquiry file 1/67 Col. Y. Yerushalmi, July 24, 1967. LBJ, National Security file, Country files, box 104, 107: Middle East Crisis: Diplomatic Activity in Connection with the USS *Liberty* Incident, June 14, 1967. Erell, *Lefanekha ba-Yam*, pp. 275–77.

20. USNA, Chairman Wheeler files, box 27: The Court of Inquiry Findings, June 22, 1967. LBJ, National Security file, Special Committee, box 1–10: Why the USS *Liberty* Was Where It Was, June 10, 1967; W. Rostow to the President, June 13, 1967 (Evron quote); NSA Declassified Report: Attack on the U.S.S. *Liberty*, July 11, 1983. Cristol, *Liberty Incident*, pp. 86–105. Rusk, *As I Saw It*, p. 388. The complete protocol of the U.S. Naval Inquiry can be found on the USS *Liberty* website.

21. Conspiracy theories on the *Liberty* affair can be found in Ennes, *Assault on the Liberty*, pp. 254–59. Anthony Pearson, *Conspiracy of Silence: The Attack on the U.S.S. Liberty* (London: Quartet Books, 1978). Donald Neff, *Warriors for Jerusalem: The Six Days That Changed the Middle East* (Brattleboro, Vt.: Amana Books, 1988), p. 253. John Loftus and Mark Aarons, *The Secret War Against the Jews: How Western Espionage Betrayed the Jewish People* (New York: St. Martin's Press, 1997), p. 267. Richard Deacon, *The Israeli Secret Service* (London: Sphere Books, 1979), pp. 192–97. For the Arab interpretation of the affair, see Riad, *Mudhakkirat 1*, p. 312. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 731–32. Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 86–88. El-Farra, *Years of No Decision*, pp. 58–68. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 135–36. Salah al-Din Al-Ashram, "Al-Tawatu' al-Anklo-Amriki ma'a Isra'il," *Al-Majalla al-'Askariyya* 6, no. 18 (1967). I. P. Beliaev and E.M. Primakov, *Egipet: vremia prezidenta Nasera* (Moscow: Mysl', 1974), p. 50. L. Sheidin, "Imperialisticheskii zagovor na Blizhnem Vostoke," *Kommunist*, no. 11 (July 1967), pp. 107–17.

22. LBJ, National Security file, Country file, box 104, 107: Davis to Rostow, June 8, 1967; NSC Histories, Middle East Crisis, box 21: Report by Bureau of International Organizations Affairs (Arthur Day), n.d. (Goldberg quote); USUN to the Secretary of State, June 8, 1967; CIA to the White House Situation Room, June 8, 1967 ("We have no other choice"); NSC Histories, Middle East Crisis, box 20: Memorandum of Conversation: The Hotline Exchanges, Nov. 4, 1968. USNA, Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 77-14 ARAB-ISR, box 1832: Goldberg to Rusk, June 8, 1967. PRO, FCO 17/494, Israel – Political Affairs: Hayman Minute, June 8, 1967. ISA, 7920/1, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams: Eban to Eshkol, June 8, 1967; 7919/1, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Eban to Eshkol, June 8, 1967 (Goldberg advice to Eban). Lall, *The UN and the Middle East Crisis*, pp. 66–67. Rafael, *Destination Peace*, pp. 160–61. Federenko and Rafaël quotes from Dagan, *Moscow and Jerusalem*, p. 232.

23. Mahmud al-Jiyyar, "Rajulan Qatala al-Mushir 'Amer," in *Ruz al-Yusuf* 2482 (January 5, 1976), pp. 8–9. El-Sadat, *In Search of Identity*, pp. 176–77. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, pp. 28–30. Cairo Radio broadcasts in IDF, Historical Branch, 192/74/1349: Cease-Fire Orders in the Egyptian, Jordanian, and Syrian Sectors, p. 26. Nasser quote from Ramadan, *Tahtim al-Aliha*, p. 171. Salah Nasser quote in LBJ, National Security file, Middle East Crisis, box 104, 107: Cairo to the Department of State, June 8, 1967.

24. USNA, Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 27-7 ARAB-ISR, box 1830: Department of the Army to the Department of State, June 16, 1967. Muhammad

Notes to Pages 274–281

Ahmad Khamis's testimony appears in Darraz, *Dubbat Yunyu Yatakallamun*, pp. 69–75; Yahya Sa'ad Basha's testimony appears on pp. 49–54. Oral history interview with Fu'ad Hijazi, July 5, 1967. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 10*, p. 11 (Khalil quote). Ramadan, *Tahtim al-Aliha*, pp. 110–11. Interview with Sidqi al-Ghul in *al-Ra'i al-'Am*, June 2, 1987. David Pryce-Jones, *The Closed Circle: An Interpretation of the Arabs* (London: Paladin, 1990), p. 8. Nolte quote in LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 23: Cairo to the Secretary of State, June 8, 1967.

25. LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 23: UNUS to the Secretary of State, June 8, 1967. Mahmud Al-Jiyyar, "Rajulan Qatala al-Mushir 'Amer," p. 9. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, p. 30. Lall, *The UN and the Middle East Crisis*, pp. 67–72. El Kony quote from oral history interview with Muhammad al-Farra, Nov. 17, 1999; El Kony statement to the Security Council in IDF, Historical Branch, 192/74/1349: Cease-Fire Orders in the Egyptian, Jordanian, and Syrian Sectors, p. 26. Supreme Headquarters communiqué in BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, B1.

26. LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 23: Tel Aviv to the Secretary of State, June 8, 1967 (Chuvakhin quote). Baron, *Hotam Ishi*, pp. 83–85. Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ha-Rama*, pp. 25–26. Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 235. Bartov, *Dado*, p. 101. Dayan, *My Life*, pp. 364–67. Rabin, *Memoirs*, p. 113. Hammel, *Six Days in June*, p. 278. Dupuy, *Elusive Victory*, p. 277. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 258 (Eshkol "bulldog" quote), 264–65. Dayan quotes from Baron, *Hotam Ishi*, pp. 85–86, and Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ha-Rama*, pp. 30–31. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 244 (Chuvakhin quote), 248–50. Protocol of the Ministerial Defense Committee appears in Warhaftig, *Hamishim Shana ve-Shana*, pp. 189–91.

27. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 86–87. Bartov, *Dado*, p. 101. Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ha-Rama*, pp. 27, 54, 98.

Day Five, *June 9*

1. Dayan, *My Life*, p. 382. Rabin, *Memoirs*, p. 116. Warhaftig, *Hamishim Shana ve-Shana*, p. 200. Bartov, *Dado*, pp. 101–2. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan-Yuni*, pp. 230–32. YAD, interview with Ephraim Reiner, June 20, 1996. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 76–77, 80 (Dayan quote).

2. Bartov, *Dado*, p. 103. Nasser cable and Dayan's notes on it, in Baron, *Hotam Ishi*, pp. 87–88 and in Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 252–53. Halahmi and Yariv quotes from Amos Gilboa, "Milhemet Sheshet Ha-Yamim 30 Shana," *Ma'ariv*, June 6, 1997. Oral history interview with Miriam Eshkol, Aug. 30, 1999. Radio Damascus quote in Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ha-Rama*, p. 33. Rabin quote from *Memoirs*, pp. 115–16.

3. Dayan-Elazar dialogue in Bartov, *Dado*, p. 103 and in Baron, *Hotam Ishi*, pp. 90–91. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 232–33, 255–57, 272–74. Oral history interview with Miriam Eshkol, Aug. 30, 1999. Lior and Eskhol quotes in Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, pp. 250–51. ISA, 4086/6, Foreign Ministry files, Security Council Meetings: Rafael to Tekoah, June 9, 1967. Rabin quote from *Memoirs*, pp. 115–16.

4. IDF Intelligence Library, Internal Syriah Army Papers: The Southwestern Front, June 29, 1967. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 248–50. Khalil, *Suqut al-Julan*, pp. 189–90. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 145–46. O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*,



Notes to Pages 281–287

pp. 232–33. Or Kashti, "Mesima Bilti Efsharit," *Bamachane* 37 (May 1992). Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ba-Rama*, pp. 20–25; Suweidani quote on p. 100.

5. IDF 522/69, file 212: Special Operations Survey, p. 9. PRO, FCO17/576: Israel – Defense: Report of Defense Attaché, July 13, 1967. Aharon Meged, "Sh'ot ha-Tofet shel Tel Fakhr," *Bamahane* 31–32 (April 1967). Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 295–306; Horowitz quotes on pp. 391–94. Hammel, *Six Days in June*, pp. 413–14. Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 322–23. O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, pp. 438–41. Dayan, *Me-Hermon ad Suez*, pp. 21–29. Yosef Eshkol, ed., *Milhemet Sheshet ha-Yamim* (Tel Aviv: Misrad ha-Bitahon, 1967), p. 104. Hareuveni and Arye, eds., *Ha-Hativa Shelanu be-Milhemet Sheshet ha-Yamim*, pp. 60–65. Harel, *El Mul Golan*, pp. 117–20. Ya'akov Horesh, *47 Madregot* (Tel Aviv: Yaron Golan, 1993), p. 16. Mendler quotes in Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ba-Rama*, pp. 18, 21. Golan, *Albert*, pp. 121–29. Oral history interview with Elad Peled, Jan. 28, 2001.

6. IDF Intelligence Library, Internal Syrian Army Papers: The Southwestern Front, June 29, 1967 (including Khalili quote). Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 283–86, 307–19. Eshkol, *Milhemet Sheshet ha-Yamim*, p. 106. Harel, *El Mul Golan*, pp. 121–26. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 208–20. Hani al-Shum'a, *Ma'arik Khalida fi Ta'rikh al-Jaysh al-'Arabi al-Suri* (Damascus: Al-Tiba'a al-Suriyya, 1988), pp. 63–74. Hammel, *Six Days in June*, pp. 399, 406–13. O'Balance, *The Third Arab-Israeli War*, pp. 240–42. Shmuel Katz and Aharon Megged, *Me-Har Grizim ad Har Hermon: Rishumei Pikud ha-Tzafon be-Milhemet Sheshet ha-Yamim* (Tel Aviv: Misrad ha-Bitahon, 1967), pp. 56–58. Khalil, *Suqut al-Julan*, pp. 197–204. M. Naor and Z. Aner, eds., *Yemei Yuni-Teurim min ha-Milhama 1967* (Tel Aviv: Ma'arakhot, 1967), pp. 240–41. Dangor quote from Hareuveni and Arye, *Ha-Hativa Shelanu be-Milhemet Sheshet ha-Yamim*, pp. 67–68. Dayan, *Me-Hermon ad Suez*, pp. 228–29 (Ben Basat quote), 240 (Ben Harush quote). Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ba-Rama*, pp. 116–19, 125–28, 133 (Mendler quote), 138–40 (Takum and Haliq quotes), 143 (Hamawi quote).

7. Mansoor, *Arab World*, entry for June 9, 1967. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, p. 147. Rabin, *Memoirs*, p. 117. Assad quote from Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ba-Rama*, p. 181.

8. USNA, Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 27-7 ARAB-ISR, box 1830: Cairo to the Department of State, Aug. 12, 1967. PRO, FCO 39/241, UAR – Political Affairs: Cairo to Foreign Office, July 25, 1967. LBJ, National Security file, Memos to the President (W. Rostow), box 17: W. Rostow to the President, June 17, 1967; Cairo to the Secretary of State, June 8, 1967. Dayan, *My Life*, p. 365. Schiff, *A History of the Israeli Army*, p. 113. Lufti Al-Khuli, *Harb Yunyu 1967 ba'da 30 Sana* (Cairo: Markaz Al-Ahram, 1997), pp. 109–11. Ramadan, *Tahtim al-Aliha*, pp. 144–45. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, p. 193. Riad, *Mudhakkirat Mahmud Riad*, p. 83. Al-'Ilmi, *Harb 'Am 1967*, p. 161. El-Sadat, *In Search of Identity*, p. 184. Mahjoub, *Democracy on Trial*, pp. 115–16 (Nasser quote), pp. 120–21. Oral history interview with Eric Rouleau, Dec. 18, 2000. On the Soviet resupply of Egypt, see Valerii Yeryomenko, "Imenno Sovyetski Soyuz spas arabskuyu koalitziyu vo vremya Shestidnevnoi voiny," *Nezavisimoe Veonnoe Obozrenie*, no. 20 (1998).

9. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 21: CIA Intelligence Memorandm, Arab-Israeli Situation Report, June 9, 1967. PRO FCO/39/263 UAR – Relations with the USSR: Effects of the Arab-Israeli War on the UAR Economy, Dec. 1, 1967. Shamir, "Nasser and Sadat, 1967–1973," in Rabinovich and

Notes to Pages 287–293

Shaked, eds., *From June to October*, p. 203. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, p. 40. Farid, *Nasser*, p. 76. Al-Sabbagh, ed., *Mudhakkirat Qadat al-'Askariyya al-Misriyya 12*, pp. 56–57 (Nasser conversation with Madkur Abu al-'Izz). Vatikiotis, *Nasser and His Generation*, p. 315. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 822, 840–46; Nasser remarks to 'Amer on pp. 835 and 840–41.

10. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 21: CIA Intelligence Memorandum, Arab-Israeli Situation Report, June 9, 1967; box 23: Amman to the Secretary of State, June 10, 1967. USNA, USUN, box 6: Circular: Middle East Sitrep as of June 9; USNA, Central Policy files, 1967–1969, POL 7 UAR, box 2554: Athens to the Department of State, June 16, 1967. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, p. 31. El-Sadat, *In Search of Identity*, p. 179. Stephens, *Nasser*, p. 506. Hussein quote from Kamm, *Hussein Poteab be-Milbama*, pp. 299–300. Nasser's communiqué in Mansoor, *Arab World*, entry for June 9, 1967. FCO 39/233 UAR Internal Political Situation: Cairo to the Foreign Office, June 19, 1967 (Tesh). BGA, Diary, Entry for June 9, 1967. Thompson quote from *Life: Special Edition – Israel's Swift Victory* (1967), p. 71. Oral history interview with Eric Rouleau, Dec. 18, 2000. Cairo Radio announcement in Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, B1. Nasser speech from *Watha'iq 'Abd al-Nasir 1* (Cairo: Markaz al-Ahram, 1973), p. 226, and Dan Hofstadter, ed., *Egypt and Nasser 3, 1967–72* (New York: Facts on File, 1973), pp. 40–42.

11. LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 21: Chronology of the Soviet Delay on the Security Council Meetings (J. Baker), June 26, 1967 (Federenko quote); Memorandum for Mr. W.W. Rostow (Davis), June 9, 1967; Tel Aviv to the Secretary of State, June 8, 1967 (Barbour quote). ISA, 4086/6, Foreign Ministry files, Security Council Meetings: Rafael to Tekoah, June 9, 1967. PRO FO17/ 495: Israel – Political Affairs: Tel Aviv to Foreign Office, June 9, 1967. UN, DAG 1/5.2.2.1.2-2, Middle East: Rafael to the Secretary-General, June 9, 1967; Tomeh to the Secretary-General, June 9, 1967. Rafael, *Destination Peace*, p. 163 (Rafael quote to Nesterenko). Lall, *The UN and the Middle East Crisis*, pp. 77–78 (Rafael quote in the Security Council). Mansoor, *Arab World*, entry for June 9, 1967 (Tomeh and Rafael quotes).

12. USNA, POL ARAB-ISR, Tel Aviv file, box 6: Tel Aviv to the Secretary of State, June 10, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 145–46 (Rusk cable), pp. 148–52; box 19: NSC Special Committee Meeting (handwritten notes), June 9, 1967; NSC Histories, Middle East Crisis, box 23: Secretary of State to Tel Aviv, June 9, 1967 (Rusk quote); box 17: The President in the Middle East Crisis, Dec. 19, 1968. ISA, 7919/1, Levi Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Harman to Eshkol, June 9, 1967.

13. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 94–95. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milbama*, pp. 253–56. BGA, Diary, Entries for Juhe 9 and 11, 1967. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 317–18. All quotes from Warhaftig, *Hamishim Shana ve-Shana*, pp. 196–99.

14. Bartov, *Dado*, pp. 104–5. Baron, *Hotam Ishi*, p. 96. Hareuveni and Arye, *Ha-Hativa Shelanu be-Milbemet Sheshet ha-Yamim*, p. 60. Naor and Aner, *Yemei Yuni*, p. 239. Elazar quote from Rabin, *Memoirs*, pp. 116–17, and from Arye Yitzhaki, "Ha-Ma'arakha le-Kibush ha-Golan be-Milhemet Sheshet ha-Yamim," *Ariel*, no. 50–51 (1987). IDF Intelligence Library, Internal Syrian Army Papers: The Southwestern Front, June 29, 1967. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 147, 293. Hammel, *Six Days in June*, p. 423. Eshkol and Dayan quotes from Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milbama*, pp. 255–56. Assad quote from Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ha-Rama*, p. 123.



Notes to Pages 295–298

Day Six, June 10

1. Hame'iri, *Mi-Sbnei Evrei ba-Rama*, pp. 168–70, 179 (Rabin-Elazar conversation), 180 (Elazar order to his officers). Bartov, *Dado*, p. 105. Mayzel, *Ha-Ma'arakba al ba-Golan*, pp. 331–32; Finkelstein quote on pp. 407–8. Hammel, *Six Days in June*, pp. 417–18.

2. Dayan, *Me-Hermon ad Suez*, pp. 254–57. Mayzel, *Ha-Ma'arakba al ba-Golan*, p. 286. Hammel, *Six Days in June*, pp. 417–18. Rabin, *Memoirs*, pp. 117–18. Mendler quote from Gilboa, *Shesh Shanim, Shisha Yamim*, p. 242. Eshkol, ed., *Milbemet Sheshet ba-Yamim*, p. 108. Radio Damascus quote from Hame'iri, *Mi-Sbnei Evrei ba-Rama*, p. 214.

3. USNA Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 12 SY, box 2511: Goldberg to Rusk, June 10, 1967. Hame'iri, *Mi-Sbnei Evrei ba-Rama*, p. 190. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 229–32.

4. LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 21: Chronology of the Soviet Delay on the Security Council Meetings (J. Baker), June 26, 1967; Report by Bureau of International Organizations Affairs (Arthur Day), n.d. ISA, 4086/6, Foreign Ministry files, Security Council Meetings: Rafael to Eban, June 10, 1967; Rafael to Tekoah, June 10, 1967. UN, DAG 13/3.4.0: 83 Chief of Staff, UNTSO to Chairman, ISMAC, June 10, 1967; Mission and Commissions: Chron-9/06 to 24/06, June 10, 1967. Rafael, *Destination Peace*, pp. 163–64. Bull, *War and Peace in the Middle East*, p. 120. Dagan, *Moscow and Jerusalem*, p. 232. Lall, *The UN and the Middle East Crisis*, pp. 77–94 (includes Federenko quote).

5. LBJ, National Security file, Middle East Crisis: Soviet Official's Comments on Soviet Policy on the Middle Eastern War, June 8, 1967; box 19: State Department Activities Report, June 9, 1967. N.S. Khrushchev, *Vospominaniya 3: Vremia. Lyudi. Vlast'*, pp. 461–62. Schevchenko, *Breaking with Moscow*, p. 135.

6. LBJ National Security file, Middle East Crisis: Soviet Role in the Middle East Crisis, June 14, 1967; box 23: USUN to the Secretary of State, June 8, 1967. USNA, POL ARAB-IS, Chronology, box 8: Ankara to the Secretary of State, June 8, 1967; box 9: Moscow to the Secretary of State, June 6, 1967. ISA, 4048/27, Foreign Ministry files, Diplomatic Relations with the Soviet Union: Bonn to Foreign Ministry, June 8, 1967; 4079/11, Foreign Ministry files, Contacts with the United States with the Entry of Egyptian Forces into Tiran: Foreign Ministry to Embassies, June 8, 1967. PRO, FO17/496: Israel – Political Affairs: NATO Intelligence Assessment, June 10, 1967; PREM 13 1622: The Soviet Role in the Middle East Crisis, July 20, 1967 ("bad six weeks"). Dagan, *Moscow and Jerusalem*, pp. 234–35. I. L. Blishchenko and V. D. Kudriavtsev, *Agressia Izrailia i Mezhdunarodnoie Pravo* (Moscow: Mezhdunorodnyie Otnosheniya, 1970) p. 11, Vassiliev, *Russian Policy in the Middle East*, p. 70 (Soviet official quote). Rumors of Soviet intervention in Isabella Ginor, "The Russians Were Coming: The Soviet Military Threat in the 1967 Six-Day War," *Middle East Review of International Affairs* 4, no. 4 (Dec. 2000). A. Khaldeev, "Nesostoiavshiisia desant," *Vesti* (Israel), Sept. 14, 2000.

7. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 19: Memorandum for the Record, Washington-Moscow "Hot-line" Exchange, Oct. 22, 1968; Kosygin to Johnson, June 10, 1967 (10:00 A.M.); Johnson to Kosygin (10:58 A.M.); Movements of Sixth Fleet, June 10, 1967; NSC Histories, Middle East Crisis, box 20: Memorandum of Conversation: The Hotline Exchanges, Nov. 4, 1968 (Thompson quote).

Notes to Pages 298–302

Sedov quote in USNA, Middle East Crisis, Miscellaneous Reports, box 15: Garthoff to Kohler, June 10, 1967. PRO, PREM 13 1620, Middle East Crisis: Moscow to the Foreign Office, Text of Communiqué from the Representatives of Ten Socialist Countries, June 10, 1967. Dobrynin, *In Confidence*, p. 160. Vassiliev, *Russian Policy in the Middle East*, p. 69. Quandt, *Peace Process*, p. 52. P. Demchenko, *Arabskii Vostok v chas ispytanii* (Moscow: Politicheskaia Literarura, 1967), pp. 118–19. LBJ, Richard Helms Oral History; Llewellyn Thompson Oral History. Oral history interview with Robert McNamara, Feb. 11, 2000.

8. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, pp. 147–49; NSC Histories, Middle East Crisis, box 23: Tel Aviv to the Secretary of State, June 10, 1967; Washington to Tel Aviv, June 10, 1967 (Eban and Barbour quotes). USNA, Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 77-14 ARAB-ISR, box 1832: Department of State to Tel Aviv, June 10, 1967. ISA, 4078, Foreign Ministry files, Contacts with the United States with the Entry of Egyptian Forces into Tiran: Rafael to Eban, June 10, 1967; 7919/1, Levi Eshkol files, Diplomatic Telegrams: U.S.A.: Harman to Eban, June 10, 1967; Evron to Eban, June 10, 1967. Rabin, *Memoirs*, pp. 116–17. Parker, *The Six Day War*, p. 233. Baron, *Hotam Ishi*, p. 97. Goldberg quote in Rafael, *Destination Peace*, pp. 164–65. I. I. Mintz., *Sionizm: Teoria I Praktika* (Moscow: Izdetelstvo Politicheskoy Literatury, 1970), pp. 111–12.

9. ISA, 4083/3, Foreign Ministry files, Contacts with the Soviet Union: Katz to Foreign Ministry, June 10, 1967; 7920/2, Levi Eshkol Papers, Diplomatic Telegrams, USSR: Katz to the Prime Minister, June 10, 1967. LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 23: Washinton to Tel Aviv, June 9, 1967. Mintz, *Sionizm*, p. 113. Dagan, *Moscow and Jerusalem*, p. 232. Parker, *The Six Day War*, p. 230. Mintz, *Sionizm*, p. 113. Chuvakhin quote from Eban, *Personal Witness*, pp. 425–26. See also Eban, *Diplomacy for the Next Century*, pp. 101–2.

10. Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ha-Rama*, pp. 187–88 (text of meeting with Eshkol, Dayan, and Elazar), 204–5. Bartov, *Dado*, p. 106. Warhaftig, *Hamishim Shana ve-Shana*, pp. 191–92, 200. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 97–98. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 332–33, 342–43. Rabin, *Memoirs*, pp. 117–18. Amos Gilboa, "Milhemet Sheshet Ha-Yamim 30 Shana," *Ma'ariv*, June 6, 1997. Ze'evi quote from Shashar, *Sihot im Rehavam–Gandhi–Ze'evi*, p. 166.

11. USNA, Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL Arab-Jordan, box 1844: Amman to the Department of State, June 10, 1967. PRO FCO17/576: Israel – Report of Defense Attaché, July 13, 1967. Rabin, *Memoirs*, p. 118. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 81, 335, 338–39. Ezra Sadeh, *Amud Ha-Esh: Yoman ha-Milhama shel Yirmi* (Tel Aviv: Yosef Shimoni, n.d.), pp. 203–4. Oral history interviews with Ibrahim Isma'il Khahya and Muhammad 'Amer, Jan. 10, 2001; with Marwan Hamdan al-Khuli, Jan. 11, 2000. Suweidani quote from Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ha-Rama*, p. 212. Mustafa Tlas, *Mir'at Hayati* (Damascus: Tlasdar, 1995), p. 857. Darwish and Hassan quotes from Saqr Abu Fakhr, "Al-Julan: Shahadat Nazihin 'an Ayyam al-Harb wal-Hadir," *Majallat al-Dirasat al-Filastiniyya* 42 (Spring 2000) pp. 135–39.

12. Eshkol, *Milhemet Sheshet ha-Yamim*, pp. 108–9. Hammel, *Six Days in June*, pp. 419–20. Harel, *El Mul Golan*, p. 130. PREM 13 1620, Middle East Crisis: New York to Foreign Office, June 10, 1967. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 418–20. Ḥame'iri, *Mi-Shnei Evrei ha-Rama*, pp. 165–67. Allon quote from YAD, Remarks by Ephraim Reiner June 20, 1996.



Notes to Pages 302–306

13. Bartov, *Dado*, pp. 107–9. Baron, *Hotam Ishi*, p. 98. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan* , pp. 109–14, 359. Ma'oz, *Syria and Israel*, pp. 101–2. Schiff, *A History of the Israeli Army*, p. 141. Golan, *Albert*, pp. 134–35. Inbar quote from Ran Bin-Nun, *Krav ha-Havka'a shel Hativat 'Golani' be-Milhemet Sheshet ha-Yamim*, unpublished thesis, Kedourie School, Feb. 1988, p. 12.

14. UN, DAG 13/3.4.0.:83: Mission and Commissions: Chron-9/06 to 24/06, O'Hora to the Chief of Staff, June 10, 1967. ISA, 4086/6, Foreign Ministry files, Security Council Meetings: Sasson to Washington, June 10, 1967. Baron, *Hotam Ishi*, pp. 98–99. Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ha-Rama*, p. 187. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, p. 342.

15. Hame'iri, *Mi-Shnei Evrei ha-Rama*, p. 187. YAD, Interview with Ephraim Reiner, June 20, 1996; with Elad Peled, June 20, 1967. Hofi quote from Bartov, *Dado*, p. 108. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, pp. 343–44, 354–57. Oral history interview with Yitzhak Hofi, July 14, 1999.

16. ISA, 4086/6, Foreign Ministry files, Security Council Meetings: New York to Foreign Ministry, June 10, 1967. USNA, Middle East Crisis files, 1967, Chronology, box 7: Tel Aviv to the Secretary of State, June 10, 1967. PRO, PREM 13 1620, Middle East Crisis: New York to Foreign Office, June 11, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Conflict, box 20: United States Policy and Diplomacy in the Middle East Crisis, May 15–June 10, 1967, p. 152 (Barbour quote); NSC Histories, Middle East Crisis, box 21: Report by Bureau of International Organizations Affairs (Arthur Day), n.d. (Goldberg quote); box 19: Kosgyin to Johnson, June 10, 1967; Johnson to Kosygin, June 10, 1967. Rabin, *Memoirs*, p. 118. Baron, *Dado*, pp. 101–2.

Aftershocks

1. USNA, Middle East Crisis files, box 4: Circular to all American Diplomatic Posts, June 12, 1967. Hammel, *Six Days in June*, p. 383. Schiff, *A History of the Israeli Army*, pp. 135, 141. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 164. Mustafa, *Harb Haziran*, pp. 242–44. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 160–61. Donovan, *Six Days in June*, p. 123. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, p. 425. Adnan Abu Oudeh, *Jordanians, Palestinians, and the Hashemite Kingdom in the Middle East Peace Process* (Washington, D.C.: United States Institute of Peace, 1998), p. 137.

2. USNA, USUN, box 6: Circular to All American Diplomatic Posts, June 10, 1967; POL 27-7 ARAB-ISR, box 1830: Cairo to the Secretary of State, Aug. 31, 1967. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 21: CIA Intelligence Memorandum, Arab-Israeli Situation Report, June 11, 1967. PRO, FCO17/577: Report of Air Attaché, Aug. 8, 1967. ISA, 4086/8, Foreign Ministry files, Red Cross: Foreign Ministry Circular, June 7, 1967; 4089/3, Foreign Ministry files, Report on the Gossing Visit, July 26, 1967. Schiff, *A History of the Israeli Army*, p. 135. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, p. 425. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, p. 164. Kimche, *The Sandstorm*, p. 237. Shashar, *Milhemet ha-Yom ha-Shvi'i*, p. 45.

3. USNA, Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 27-7 ARAB-ISR, box 1830: Amman to the Secretary of State, June 30, 1967. ISA, Foreign Ministry files, 4089/2, Refugees: Jerusalem to Embassies, June 23, 1967; Comay to Bitan, July 3, 1967. PRO, FCO17/577: Israel – Defense: Report of Defense Attaché, Oct. 9, 1967; PREM 13 1623: Record of Meeting, The Foreign Secretary and the Israeli Ambassador, July 30, 1967. Shashar, *Milhemet ha-Yom ha-Shvi'i*, pp. 24, 66–67, 76–77, 105, 165,

Notes to Pages 307–314

212. Gazit, *Pta'im be-Malkodet*, pp. 29, 36–39, 48–49. Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, p. 82. Susser, *On Both Banks of the Jordan*, p. 25. Abu Murshid, Butrus, and Jabber, *Silsilat al-Kitab al-Sanawi lil-Qadiyya al-Filastiniyya*, pp. 509–10, 532, 540–41. Yosef Levita, "Ma Ya'ase Zahal ba-Shalal," *Bamahane* 48 (August, 1967). IDF order in Mayzel, *Ha-Ma'arakha al ha-Golan*, p. 364; see also pp. 433–35.

4. LBJ, National Security file, Memos to the President, box 22: Wine to E. Rostow, Aug. 16, 1967. USNA, Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 27-7 ARAB-ISR, box 1830: The Hague to the Secretary of State, July 7, 1967; POL 12 SY, box 2511: Beirut to the Secretary of State, Sept. 6, 1967. ISA, Foreign Ministry file 4091/7: Speeches and Decisions (Comay): Foreign Ministry to Washington, June 16, 1967; 4085/1: Emergency Situation 1967 – Prisoners: Geneva to Tekoah, June 13, 1967. PRO, FCO17/531 Israel – Political Affairs (External): Condition of the Jews of the Arab States in the Light of the Six-Day War, Sept. 27, 1967.

5. USNA, Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL 27-7 ARAB-ISR, box 1830: Jerusalem to the Secretary of State, June 13, 1967; Jerusalem to the Secretary of State, June 23, 1967; Jerusalem to the Secretary of State, Aug. 30, 1967. Abu Murshid, Butrus, Jabber, *Silsilat al-Kitab al-Sanawi lil-Qadiyya al-Filastiniyya*, pp. 525, 531. Shashar, *Milhemet ha-Yom ha-Shvi'i*, pp. 66–69, 131–32, 148. Dayan, *My Life*, pp. 393, 403. Susser, *On Both Banks of the Jordan*, pp. 24–26, 36.

6. LBJ, National Security Council file, History of the Middle East Crisis, box 18: McPherson to the President, June 11, 1967. Eban quote in *Ha'aretz*, June 11, 1967; "victory cake" recipe in June 12, 1967. Slater, *Rabin of Israel*, p. 148. PRO, PREM 13 1622: The Second Arab-Israel War (Hadow), July 6, 1967. Avraham Shapira, ed., *The Seventh Day*, pp. 100, 124–25. Lyrics to "Song of Peace" by Yankele Rotblitt; translation by Michael Oren.

7. Haber, *Ha-Yom Tifrotz Milhama*, p. 256 (Bar-Lev quote). Fuad Ajami, *The Arab Predicament: Arab Political Thought and Practice Since 1967* (Cambridge: Cambridge University Press, 1981), pp. 12 (Middle East historian's quote), 25–40, 50–62. Ramadan, *Tahtim al-Aliha*, p. 88. Hussein, *My "War" with Israel*, p. 97. Riad, *Mudhakkirat* 2, pp. 310–12. Al-Khuli, *Harb Yunyu 1967*, pp. 50–66, 81–101. Gawrych, *The Albatross of Decisive Victory*, pp. 84–88. USNA Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL Arab-Jordan, box 1844: Beirut to the Secretary of State, June 10, 1967 (reference to Assad). Suweidani and Makhous quotes in Khalil, *Shukut al-Julan*, pp. 190–92. Assad quote in Hani al-Shum'a, *Ma'arik Khalida fi Ta'rikh al-Jaysh al-'Arabi al-Suri*, p. 35.

8. Hadidi quote in Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya* 3, p. 17. Fawzi quote in Ramadan, *Tahtim al-Aliha*, p. 109. Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya* 4, p. 32 (Sadiq quote). Mazhar, *I'tirafat Qadat Harb Yunyu*, pp. 157–58 (Sidqi Mahmud quote), 193–95. Muhieddin quote from LBJ National Security file, Memos to the President, box 20: CIA Intelligence Cable: Egypt, July 31, 1967. Imam, *'Ali Sabri Yatadhakkar*, pp. 89–90. Badran, *Al-Hawadith*, Sept. 2, 1977, p. 19.

9. PRO, PREM 13 1622: The Second Arab-Israel War (Hadow), July 6, 1967. Moshe Dayan, "Before and After the Battle," pp. 11–18. Dayan, *My Life*, pp. 382–83. For further explanations of Israel's victory, see IDF, 717/77, file 86: Battle for the Southern Front, General Tal on the Lessons of War, pp. 113–16.

10. LBJ, National Security file, NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: The President in the Middle East Crisis, Dec. 19, 1968; box 21: Memos to the President:



Notes to Pages 314–319

CIA Intelligence Cable, July 11, 1967. PRO, FCO 27/1 Arab-Israel Dispute—Peace Negotiations: The Middle East Situation, Aug. 14, 1967. ISA, 4078/7, Foreign Ministry files, Contacts with the United States with the Entry of Egyptian Forces into Tiran: Eban to Harman and Rafael, June 12, 1967 (Eban quote); Eban to Harman and Rafael, June 26, 1967 ("Constructive deadlock"). Rafael, *Destination Peace*, p. 177. Gazit, *Pta'im be-Malkodet* 32, pp. 136–37. Pedatzur, "Coming Back Full Circle." Mayzel, *Ha-Ma'arakba al ba-Golan*, pp. 381–83. Rabin quote from Beni Michelson, Avraham Zohar, and Effi Meltzer, eds., *Ha-Ma'avak le-Bitbon Yisrael* (Tel Aviv: Ha-Amuta ha-Yisraelit le-Historia Tzva'it leyad Universitat Tel Aviv, 2000), pp. 150–51. Eban quote from ISA, 4078/7, Foreign Ministry files, Contacts with the United States with the Entry of Egyptian Forces into Tiran: Eban Conversation with Goldberg, July 18, 1967.

11. BGA, Diary: Entry for June 11, 1967. Bartov, *Dado*, pp. 112–13. Gazit, *Pta'im be-Malkodet*, pp. 144–46. Shashar, *Milbemet ba-Yom ba-Sbvi'i*, p. 175. Profiles of Yigal Allon, Menachem Begin, David Elazar, Ezer Weizman, and Ariel Sharon can be found at www.us-israel.org/jsource/biography. Allon and Begin quotes from www.research.haifa.ac.il/~eshkol/peace.

12. PRO, FCO 17/507: Israel – Political Affairs (External): Tel Aviv to the Foreign Office, July 27, 1967; FCO 17/506: Tel Aviv to the Foreign Office, Sept. 13, 1967. Dayan quotes from Mayzel, *Ha-Ma'arakba al ba-Golan*, pp. 381–82, and Gazit, *Pta'im be-Malkodet*, p. 141.

13. ISA, 4078/5, Foreign Ministry files, Contacts with the United States After the Six-Day War, North America Desk to Eban, June 26, 1967. Oral history interview with David Kimche, Aug. 26, 1999. Sadia Touval, *The Peace-Brokers: Mediators in the Arab-Israeli Conflict, 1948–1979* (Princeton: Princeton University Press, 1982) pp. 134–53. See also article by Moshe Sasson at www.research.haifa.ac.il/~eshkol/peace. Susser, *On Both Banks of the Jordan*, p. 37.

14. LBJ, National Security Council file, History of the Middle East Crisis, box 18: McPherson to the President, June 11, 1967. PRO, PREM 13 1623: Tel Aviv to Foreign Office, Oct. 16, 1967. Eshkol quotes from FRUS, XX, *Arab-Israeli Dispute, 1967–1968* (Washington, D.C.: United States Government Printing Office, 2001), pp. 80, 82, 83, 87. *Ha'aretz*, Feb. 27, 1967. *Ma'ariv*, Feb. 27, 1967. Oral history interview with Miriam Eshkol, Aug. 30, 1999. Arab reactions to Eshkol's death, including Arafat quote, from Moshe Dayan Center Library, Tel Aviv University, Ramat Aviv, Israel (translations of Arabic press).

15. Egyptian broadcasts in BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, B 2 and 137. USNA Central Foreign Policy files, 1967–1969, POL Arab-Jordan, box 1844: Beirut to the Secretary of State, June 19, 1967; Beirut to the Secretary of State, July 30, 1967; USUN, box 6: USUN to the Secretary of State, June 27, 1967; Middle East Crisis files, 1967, box 1: Amman to the Secretary of State, June 10, 1967 (Nuseibeh quote). Feisal quote in PRO, PREM 13 1622: Jedda to Foreign Office, June 26, 1967. Nasser quote from Riad, *Mudbakkirat* 2, pp. 80–81.

16. Farid, *Nasser*, pp. 4–5, 11 (Podgorny quote), 24–47 (including Brezhnev quote). Heikal, *Al-Infijar*, pp. 777–91 (including Nasser quote "any concession . . ."). Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 193–97. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, pp. 42–50; *Mutbakkirat* 2, pp. 84–85, 97–98 (Nasser 's "That which was taken by war" and "double defeat" quotes), pp. 110–15. Raphael Israeli, *Man of Defiance: A Political Biography of Anwar Sadat* (Totowa, N.J.: Barnes and Noble, 1985), p. 42. PRO, FCO 39/



Notes to Pages 319–322

233 UAR Internal Political Situation: Canadian Embassy, Cairo, to the Foreign Office, June 22, 1967. LBJ, National Security file, Memos to the President (W. Rostow), box 19: Goodpaster Memorandum for the Record, July 12, 1967. ISA, 4078/5, Foreign Ministry files, U.S. – Borders: Lourie to Foreign Ministry, June 22, 1967.

17. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 896–97 (all Nasser quotes). Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 199–201. Riad, *Mudhakkirat 2*, pp. 97–98; Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, pp. 48–49. PRO, FCO 39/250 Middle East Crisis: UAR Attitude, July 10, 1967. LBJ National Security file, Memos to the President, box 19: Extracts from a Cable from Ambassador Burns, July 19, 1967.

18. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, pp. 109–31. Nasser message to Hussein in Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, p. 301. Heikal column in BBC, Daily Report, Middle East, Africa and West Europe, no. 138, d 3. Daniel Dishon, "Inter-Arab Relations," in Rabinovich and Shaked, eds., *From June to October*, p. 159.

19. Ramadan, *Tahtim al-Aliha*, pp. 196–273. Heikal, *Al-Infijar*, pp. 922–28. Farid, *Nasser*, pp. 41, 75. Fawzi, *Harb al-Thalath Sanawat*, pp. 166–79. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, pp. 33–34. Imam, *'Abd al-Nasir—Kayfa Hakama Misr*, pp. 212–39. USNA, Central Policy files, 1967–1969, POL UAR, box 2552: Memorandum of Conversation with Habib Bourgiba, Sept. 28, 1967; POL 2 UAR, box 2553: Amman to the Secretary of State, Oct. 3,1967. PRO, FCO 39/233, North and East African – Political Affairs: Washington to the Foreign Office; June 14, 1967; FCO 39/235, UAR – Political Affairs: Cairo to the Foreign Office, June 11, 1967. Al-Dugheidi quote in Al-Sabbagh, *Mudhakkirat Qadat al-'Askaraiyya al-Misriyya 3*, pp. 9–10. Nasser quote from Mahjoub, *Democracy on Trial*, p. 134. Sadat quote from Finkelstone, *Anwar Sadat*, p. 58. See also Jamal Hamad, *Al-Hukuma al-Khafiyya – Fi 'Abd 'Abd al-Nasir* (Cairo: Al-Zahra lil-I'lam al-'Arabi, 1988).

20. Hussein, *My "War" with Israel*, p. 88. Dupuy, *Elusive Victory*, pp. 282–83. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 164–65. Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, pp. 300–301. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 21: CIA Intelligence Memorandum, Arab-Israeli Situation Report, June 9, 1967. PRO, PREM 13 1622: Amman to Foreign Office; June 17, 1967; New York to Foreign Office, June 26, 1967; Foreign Office to Amman, July 6, 1967 ("Just and honorable peace"). Secret talks in London in Zak, *Hussein Ose Shalom*, p. 21.

21. Khartoum communiqué in PREM 13 1623: Khartoum to Foreign Office, Sept. 2, 1967; Arabic text in Khouri, *Al-Watha'iq al-Filastiniyya*, pp. 667–68. Sela, *The Decline of the Arab-Israeli Conflict*, pp. 104, 108. Kimche, *The Sandstorm*, pp. 265–67. Kamm, *Hussein Poteah be-Milhama*, pp. 298–99. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 176–77. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, p. 51; *Mudhakkirat 2*, pp. 119–21. Mahjoub, *Democracy on Trial*, pp. 137–48.

22. LBJ, National Security file, Country file, Middle East-UAR box 161: Cairo's Moderation Since Khartoum, Sept. 28, 1967; Memos to the President, box 20: CIA Intelligence Cable: Egypt, Feb. 16, 1968 (Nasser quote). PRO, CAB 128/42 54th Conclusions: Sept. 7, 1967; FCO/39/245 UAR – Political Affairs (External): Cairo to Foreign Office, Sept. 5, 1967; PREM 13 1623: Washington to the Foreign Office, June 22, 1967 (Yugoslavian plan); Tel Aviv to the Foreign Office, Sept. 4, 1967 (Eshkol quote). ISA, Foreign Ministry files, 3978/2, United States – Relations with the Middle East: Ben Aharon to the Foreign Ministry, Oct. 4, 1967. Muhammad 'Izza Daruze, *Fi Sabil Qadiyyat Filastin wal-Wahda al-'Arabiyya wamin Wahi al-Nakba wa-liajli mu'alijiba:*



rasa'il wa-Maqalat wa-Buhuth wa-Muqabalat wa-Ta'aqibat, Beirut 1948–1972 (Beirut: al-Maktaba al-'Asriyya, 1972), pp. 85–87. Hussein quote from *My "War" with Israel*, p. 120. Gazit, *Pta'im be-Malkodet*, pp. 143–44.

23. PRO, FCO17/513 Israel – Political Affairs (External): Washington to the Foreign Office, Sept. 5, 1967. Mohamed Hassanein Heikal, *The Road to Ramadan* (London: Collins Press, 1975), pp. 52–53. Al-Shuqayri, *Mudhakkirat* 5, pp. 109–10. Yoram Meital, "The Khartoum Conference and Egyptian Policy After the 1967 War: A Reexamination," *The Middle East Journal* 54, no. 1 (Winter 2000). Al-Khuli, *Harb Yunyu*, pp. 171–77, 187.

24. Heikal, *The Road to Ramadan*, pp. 102–13. Arab reactions to Nasser's death, including Sadat and Hussein quotes, from Moshe Dayan Center Library, Tel Aviv University, Ramat Aviv, Israel (translations of Arabic press). Israeli reactions in BBC, Daily Report, Middle East, Africa, and Western Europe, 3495/E/5.

25. Biographical information for Hussein, al-Assad, and Arafat can be found at, respectively, www.kinghussein.gov.jo/, www.defencejournal.com/globe/2000/aug/hafez.htm, and www.p-p-o.com/.

26. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 19: NSC Special Committee Meeting, June 12, 1967 (Johnson and Sisco quotes); NSC Histories, Middle East Crisis, box 17: The President in the Middle East Crisis, Dec. 19, 1968 (Rusk quote); Rostow to the President, June 20, 1967 (Eshkol and Eban quotes and "cut the pipelines"); PRO, PREM 13 1622: Washington to the Foreign Office, June 27, 1967. ISA, 4078/5, Foreign Ministry files, Contacts with the United States After the Six-Day War: Evron to Eban, June 28, 1967.

27. LBJ, National Security file, Country file, Addendum: Minutes of Meeting, LBJ and Kosygin, June 22, 1967; Europe and the USSR, box 229: President's Meeting with Chairman Kosygin (Zbigniew Brzezinski), June 22, 1967; Memos to the President (W. Rostow), box 18: Rostow to the President, July 21, 1967; NSC Histories, Middle East Crisis , box 20: Davis to Rostow, June 16, 1967; box 21: CIA Intelligence Memorandum, June 15, 1967 (Federenko quote). PRO, PREM 13 1622: Middle East Situation, June 14, 1967 ("consequences of aggression"). CAB 128/42 50th Conclusions: July 20, 1967. PRO, FCO 17/523: Israel – Political Affairs (External); New York to the Foreign Office, July 21, 1967 (Caradon quote); FCO 17/505: Washington to the Foreign Office, July 27, 1967 ("extremist Arab circles"). Eban, *Personal Witness*, pp. 433–40. Dobrynin, *In Confidence*, pp. 162–63. Lall, *The UN and the Middle East Crisis*, pp. 153–81, 218–27 (Federenko quote). Lawrence L. Whetten, *The Canal War: Four-Power Conflict in the Middle East* (Cambridge: The MIT Press, 1974), pp. 46–48.

28. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis, box 18: CIA: Special Assessments on the Middle East Situation, July 7, 1967. PRO, PREM 13 1622: Johnson to Wilson, July 6, 1967; PREM 13 1623: Goldberg/Gromyko draft (n.d.); FCO 17/523: Israel – Political Affairs (External): Dobrynin Meeting with Rusk, July 9, 1967.

29. ISA, 4078/7, Foreign Ministry files, Contacts with the United States with the Entry of Egyptian Forces into Tiran: Eban Conversation with Goldberg, July 21, 1967 (Eban quote); 4088/7, General Assembly Discussions: Rafael to Eban, July 9, 1967; 3976/12, Diplomatic Relations with the United States: Tekoah to Rafael, Aug. 16, 1967 ("physical retreat"). Mahjoub, *Democracy on Trial*, p. 133 (Nasser quote). Lall, *The UN and the Middle East Crisis*, p. 212.

Notes to Pages 326–326

30. LBJ, National Security file, History of the Middle East Crisis); Memos to the President, box 20: Rostow to the President ("lean on them"), June 27, 1967; NSC Histories, box 18: McPherson to the President, June 11, 1967; Country file - Middle East, box 148: Memorandum for the President - Handling Hussein, Bundy to the President, June 27, 1967. USNA, Central Policy files, 1967–1969, POL 2 UAR, box 2553: New York to the Department of State, Nov. 1, 1967. PRO, FCO 17/505: Israel - Political Affairs (External): Johnson Oral Message to Eshkol, July 31, 1967. Mutawi, *Jordan in the 1967 War*, pp. 178–79. Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East*, pp. 64–68.

31. PRO FCO/39/245 UAR - Political Affairs (External): Cairo to the Foreign Office, Nov. 5, 1967; CAB 128/42 68th Conclusions: Nov. 23, 1967. LBJ, National Security file, Memos to the President, box 23: Walt Rostow to the President, Oct. 5, 1967; Arthur J. Goldberg Oral History, pp. 17, 24–25. Riad quote from *Mudhakkirat* 2, pp. 136–37, 151–52. *UN Security Council Resolution 242: The Building Block of Peacemaking. A Washington Institute Monograph* (Washington, D.C.: The Washington Institute for Near East Policy, 1993). Oral history interview with Muhammad al-Farra, Nov. 17, 1999; with George Tomeh, Nov. 17, 1999. Lall, *The UN and the Middle East Crisis*, pp. 254–55. Eban, *Personal Witness*, pp. 456–59. Rafael, *Destination Peace*, pp. 186–90. Quandt, *Peace Process*, pp. 154–57.

32. Nasser quotes from PRO FCO/39/246 UAR - Political Affairs (External): Cairo to the Foreign Office, Nov. 24, 1967; Heikal, *The Road to Ramadan*, p. 54, and LBJ, National Security file, Country file, Middle East-UAR box 161: Rostow to the President, Dec. 18, 1967. Syrian quote from *al-Ba'th*, Nov. 30, 1967. PLO declaration from Moshe Dayan Center Library, Tel Aviv University, Ramat Aviv, Israel (translations of Arabic press), summary for Nov. 23, 1967.

